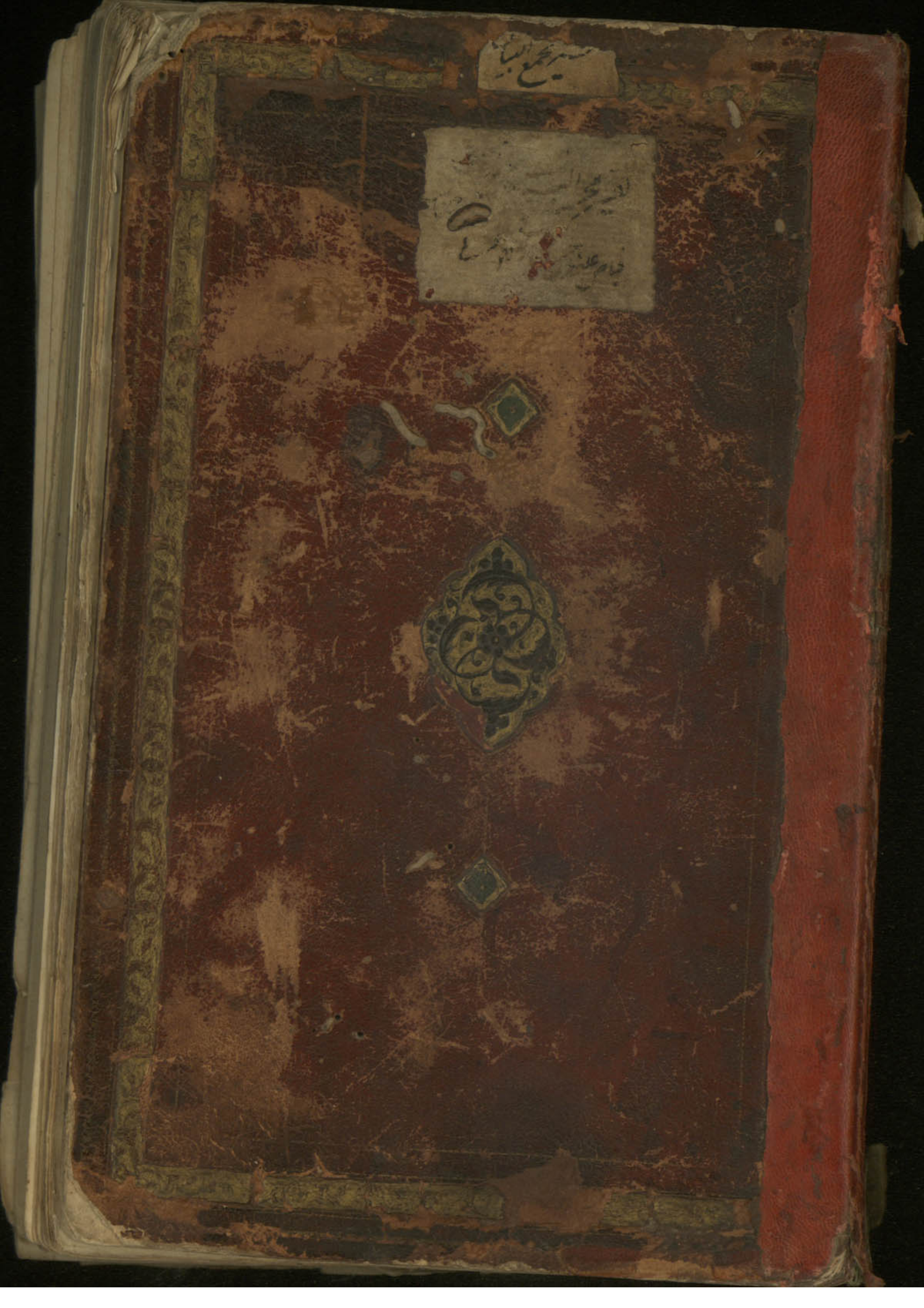
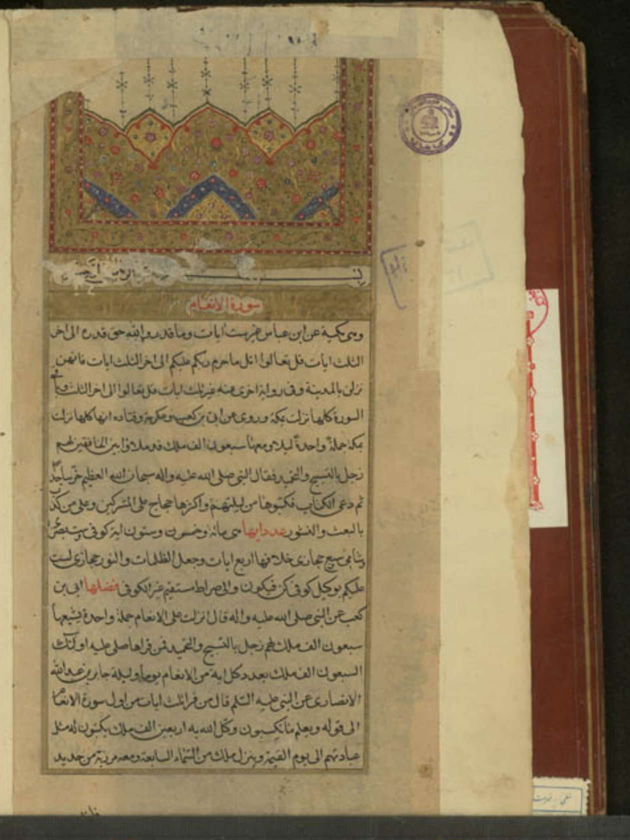

تفسیر مجمع البیان

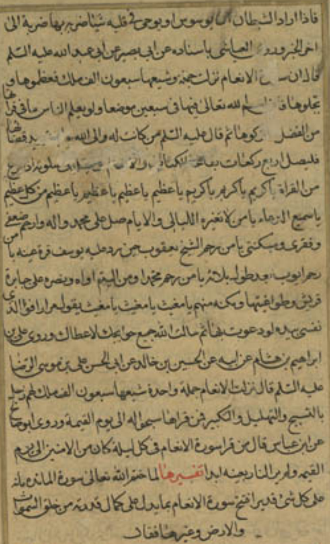

الجزو الثاني من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن مولف الامام
امين الدين ثقة الائمة ابي علي الفضل بن الحسن
بن الفضل بن الطبرسي المشهدي قدس الله
روحه ورضي عنه وعن جميع المؤمنين
بفضله انه ولي كل فضل
والقادر عليه
وسلم تسليما
تمت



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام

وهي مكية عن ابن عباس غير ست ايات وما قدروا الله حق قدره الى اخر الثلث ايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلث ايات فانهن نزلن بالمدينة وفي رواية اخرى عنه غير ثلث ايات قل تعالوا الى اخر الثلث وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروى عن ابي بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك قد ملؤا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه واله سبحان الله العظيم وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور **عدد اياتها** مائة وخمس وستون اية كوفي وست بصري وشامي وسبع حجازي خلافها اربع ايات وجعل الظلمات والنور حجازي لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون والى صراط مستقيم غير الكوفي **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله قال نزلت على الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قراها صلى عليه اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من الانعام يوما وليلة جابر بن عبد الله الانصاري عن النبي عليه السلم قال من قرا ثلث ايات من اول سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد



فاذا اراد الشيطان ان يوسوس او يوحي في قلبه شيئا ضربه بها ضربة الى اخر الخبر وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان سورة الانعام نزلت جملة وشيعها سبعون الف ملك فعظموها وبجلوها فان اسم الله تعالى فيها في سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما في قراءتها من الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلم من كانت له الى الله حاجة يريد قضاءها فليصل اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل في صلوته اذا فرغ من القراءة يا كريم يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا عظيم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالي والايام صل على محمد واله وارحم ضعفي وفقري ومسكنتي يا من رحم الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قرة عينه يا من رحم ايوب بعد طول بلائه يا من رحم محمدا ومن اليتم اواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث يقولها مرارا فوالذي نفسي بيده لو دعوت بها ثم سالت الله جميع حوائجك لاعطاك وروى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلم قال نزلت الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قراها سبحوا له الى يوم القيمة وروى ابو صالح عن ابن عباس قال من قرا سورة الانعام في كل ليلة كان من الامنين يوم القيمة ولم ير النار بعينه ابدا **تفسيرها** لما ختم الله تعالى سورة المائدة بانه على كل شيء قدير افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيرهما فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون ايتان عراقي وشامي وثلث ايات

حجازي **اللغة** العدل خلاف الجور وعدلت بضم التاء به غيره اي سويته به وعدلت عنه اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل اي قومته فاستقام والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد فاجل الانسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التاخير واصله التاخير يقال اجله تاجيلا وعجله تعجيلا والآجل نقيض العاجل والامتراء الشك واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ما رواه يماريه مراء ومماراة اذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبه المشكلة من غير حل **المعنى** بدا الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بانه المستحق لجميع المحامد لان اصول النعم وفروعها منه تعالى ولان له الصفات العلى فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض يعني اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدايع الحكمة وقيل انه في لفظ الخبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وان كان فيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الامرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية وجعل الظلمات والنور يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة وقيل الجنة والنار عن قتادة وانما قدم ذكر الظلمات لانه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السموات قبل الارض ثم عجب تعالى مما جعل له شريكا مع ما يرى من الايات الدالة على وحدانيته فقال ثم الذين كفروا اي جحدوا الحق بربهم يعدلون اي يسوون به غيره بان يجعلوا له اندادا ماخوذ من قولهم ما اعدل بفلان احدا اي لا نظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنا لطيف وهو انه تعالى انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التعجب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بان اصول النعم منه وانه هو الخالق الرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وايضا فانهم عبدوا اما لا ينفع ولا يضر من الحجارة والموات هو الذي خلقكم من طين يعني به آدم والمعنى انشا اباكم واخترعه من طين وانتم من ذريته فلما كان آدم عليه السلم اصلنا

ونحن من نسله جاز ان يقول لنا خلقكم من طين ثم قضى اجلا اي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الامر وبمعنى الخلق وبمعنى الاتمام والاكمال واجل مسمى عنده قيل فيه اقوال **احدها** انه يعني بالاجلين اجل الحيوة الى الموت واجل الموت الى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروى ايضا عطاء عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده الى مماته واجل مسمى عنده من الممات الى المبعث لا يعلم ميقاته احد سواه فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في اجل الحيوة من اجل الممات الى المبعث واذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من اجل الحيوة وزاد في اجل المبعث قال وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب **وثانيها** انه الاجل الذي يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا واجل مسمى عنده يعني الاخرة لانه اجل دايم ممدود لا اخر له وانما قال مسمى عنده لانه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير **وثالثها** ان اجلا يعني به اجل من مضى من الخلق واجل مسمى عنده يعني به آجال الباقين عن ابي مسلم **ورابعها** ان قوله قضى اجلا عنى به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع على صاحبه عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل موت الانسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الاخرى الى اجل مسمى والاصل في الاجل هو الوقت فاجل الحيوة هو الوقت الذي يكون فيه الحيوة واجل الموت والقتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت والقتل وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويجوز ان يسمى ذلك مجازا وما جاء في الاخبار من ان صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الاجل وان الله تعالى زاد في اجال قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله ثم انتم تمترون خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بانه تعالى خلقهم ونقلهم من حال الى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرون بانه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكون

ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه يصح منه
اعادتهم وبعثهم قوله عز وجل **وهو الله في السموات وفي الارض يعلم
سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** آية **الاعراب** هو الاشبه ان يكون
ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم في السموات وفي الارض
سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السموات وفي الارض في موضع النصب
بيعلم وسركم مفعوله ايضا ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب
الموضع بالمصدر وان جعلت الظرف متعلقا باسم الله جاز في قياس قول من قال
ان اصل الله الاله فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الارض يعلم وتقديره
الامر المعبود في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ولو جعل اسم الله بمنزلة
اسماء الاعلام فلا يجوز ان يتعلق الظرف به الا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل
ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السموات وفي الارض
اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر **المعنى** ثم عطف تعالى على ما تقدم
فقال وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وفيه وجوه على ما ذكرنا
في الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السموات وفي الارض سركم
وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لان الخلق اما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء
او بشرا وجنا فهم في الارض فهو تعالى عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه
شيء منها ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم
على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني يكون معناه انه المعبود في السموات وفي
الارض والمتفرد في [illegible] السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى
عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علما على هذا التقدير
ثم علقت به قوله وفي السموات وفي الارض لم يجز وان علقته بمحذوف يكون خبرا لله
او حالا عنه اوهم بان يكون البارئ سبحانه في محل تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال
ابو بكر السراج ان الله وان كان اسما علما ففيه معنى الثناء والتعظيم اللذين يقرب

بهما من الفعل فيجوز ان يوصل لذلك بالمحل وتأويله هو المعظم او نحو ذا في السموات
وفي الارض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل ذلك قوله تعالى وهو الذي في
السماء اله وفي الارض اله قال الزجاج ولو قلت هو زيد في البيت والدار فيكون
المعنى هو المدبر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد الخليفة في الشرق والغرب
جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج تكون في متعلقة بما دل على اسم الله ويكون
هو الله مبتدأ وخبرا وهو المتفرد بالالهية في السموات وفي الارض لا اله فيهما
غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السموات خبرا بعد خبر فيكون التقدير وهو الله
وهو في السموات وفي الارض بمعنى انه في كل مكان فلا يكون الى مكان اقرب منه
الى مكان ثم اخبر تعالى عن هذا المعنى مبينا لذلك مؤكدا له قوله تعالى يعلم سركم
وجهركم اي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم ويعلم ما تكسبون والمعنى يعلم نياتكم
واحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الاية التي استنبطتها
من وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو في استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين
لمحصوله كما تراه لا غبار عليه وفيها دلالة على فساد قول من قال ان الله تعالى في
مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سركم وجهركم دلالة
على انه عالم لنفسه لان من كان عالما بعلم لا يصح ذلك منه **قوله تعالى وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** **الاعراب** من الاولى
مزيدة وهي التي تقع في النفي لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض **المعنى**
ثم اخبر تعالى عن الكفار المذكورين في اول الاية [illegible] الى وما تأتيهم من آية اي لا تأتيهم
حجة من آيات ربهم اي من حججه وبيناته كانشقاق القمر وآيات القرآن وغير
ذلك من المعجزات الا كانوا عنها معرضين لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما
دلهم الله تعالى عليه من توحيده فقد كذبوا وصدق رسوله بالحق الذي آتاهم
محمد صلى الله عليه من القرآن وسائر امور الدين فسوف يأتيهم انباء اي اخبار ما كا

به يستهزؤن والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الاخرة وقيل معناه
سيعلمون ما يؤل اليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى
الاستهزاء ايهام التفخيم في معنى التحقير قوله تعالى عز وجل الم يروا كم اهلكنا
من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم
مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا
من بعدهم قوما اخرين اية اللغة القرن اهل كل عصر ماخوذ من اقترانهم في
العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون قال والذي يقع عندي
ان القرن اهل كل مدة كان فيها نبي او كان فيها طبقة من اهل العلم قلت السنون
او كثرت والدليل عليه قول النبي عليه السلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم والتمكين اعطاء ما به يصح الفعل كائنا ما كان من آلة وغيرها والامكان اعطا
القدرة خاصة ومفعال من اسماء المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا
دارا وهذا كقولهم امراة مذكار اذا كانت كثيرة الاولاد الذكور وكذلك مئناث في
الاناث واصل المدرار من در اللبن اذا اقبل على الحالب منه شي كثير ودرت السماء
اذا امطرت والدار اللبن ويقال لله دره اي عمله وفي الذم لا در دره اي لا كثر خيره الاعراب
كم نصب باهلكنا لا بقوله الم يروا لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو
تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل عمل يرى في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل
من الخبر الى الخطاب في قوله ما لم نمكن لكم اتساعا في الكلام وقد قال مكناهم وانما
لم يقل ما لم نمكنكم لان العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له المعنى
ثم حذرهم تعالى ما نزل بالامم فقال الم يروا اي الم يعلموا هؤلاء الكفار كم اهلكنا من
قبلهم من قرن اي من امة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن مكناهم في الارض ما لم
نمكن لكم معناه جعلناهم ملوكا واغنيا كانه تعالى اخبر النبي عليه السلم عنهم في صدر الكلام
ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسعنا عليهم في
كثرة العبيد والاموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانتم تسمعون اخبارهم

ويرون

ويرون ديارهم وآثارهم وارسلنا السماء عليهم مدرارا قال ابن عباس يريد بالغيث
والبركة والسماء معناه المطر هنا وجعلنا الانهار اي ماء الانهار تجري من تحتهم
فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن ذلك عنهم شيئا لما طغوا واجترؤا علينا وانشانا
من بعدهم قرنا اخرين اي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة اخرى وفي هذه الاية دلالة
على وجوب التفكر والتدبر واحتجاج على منكري البعث بان من اهلك من قبلهم
وانشا قوما اخرين قادر على ان يفني العالم وينشي عالما اخر ويعيد الخلق بعد الافناء
قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين النزول نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله
ابن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من
عند الله ومعه اربعة من الملئكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله
عن الكلبي المعنى ثم اخبر الله تعالى عن عنادهم فقال ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس اي كتابة في صحيفة واراد بالكتاب المصدر والقرطاس الصحيفة وقيل
كتابا معلقا من السماء الى الارض عن ابن عباس فلمسوه بايديهم اي فعاينوا ذلك
معاينة ومسوه بايديهم عن قتادة وغيره قالوا واللمس باليد ابلغ في الاحساس من
المعاينة ولذلك قال فلمسوه بايديهم دون ان يقول فعاينوه لقال الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اخبر تعالى انهم يدفعون الدليل حتى لو اتاهم الدليل مدركا
بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الاية دلالة على ما
يقوله اهل العدل في اللطف لانه تعالى بين انه انما لم يفعل ما سالوه حيث علم انهم
لا يؤمنون عنده قوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما
يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزؤن ثلث ايات اللغة قال الزجاج قضى في اللغة على ضروب كلها
ترجع الى معنى انقطاع الشي وتمامه وقد ذكرنا معاني القضا في سورة البقرة عند

قوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليهم الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك الشئ بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لبسا ولباسا والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء المعنى ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لولا اى هلا انزل عليه اى على محمد ملك تشاهده فنصدقه ثم اخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال ولو انزلنا ملكا على ما اقترحوه لما امنوا به فاقتضت الحكمة استيصالهم وان لا انظرهم ولا امهلهم وذلك معنى قوله لقضى الامر ثم لا ينظرون اى لاهلكوا بعذاب الاستيصال عن الحسن وقتاده وسدى وقيل معناه لو انزلنا ملكا فى صورته لقامت الساعة او وجب استيصالهم عن مجاهد ثم قال ولو جعلناه ملكا اى لو جعلنا الرسول ملكا او الذى نزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك ولو جعلناه ملكا لجعلناه بشرا لانهم لا يستطيعون ان يروا الملك فى صورته لان اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسيم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تاتى الانبياء فى صورة الانس وكان جبرئيل عليه السلم ياتى النبى صلى الله عليه وآله فى صورة دحية الكلبى وكذلك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب واتيانهم ابراهيم ولوطا فى صورة الضيفان من الادميين وللبسنا عليهم ما يلبسون قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفتهم فى امر النبى عليه السلم فيقولون انما هذا بشر مثلكم فقالوا انزل لنا ملكا فلو رأوهم الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اى فانما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بان الذى طلبوا لا يزيدهم بيانا بل يكون الامر فى ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلناه ملكا لما عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيبقون فى اللبس الذى كانوا فيه واضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند انزاله الملئكة ثم قال تعالى على سبيل التسلية لنبيه عليه السلم من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به ولقد استهزئ

برسل من قبلك يقول لقد استهزأت الامم الماضية برسلها كما استهزأ بك قومك فلست باول رسول استهزئ به ولا هم اول امة استهزأت برسولها فحاق بالذين سخروا منهم اى فحل بالساخرين منهم ما كانوا به يستهزؤن من وعيد انبيائهم بحلول العقاب فى الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اى احاط بهم العذاب الذى هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جعلت ما فى قوله ما كانوا به يستهزؤن عبارة عن القران والشريعة وان جعلت ما عبارة عن العذاب الذى كان توعدهم به النبى عليه السلم ان لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذى كانوا يسخرون من وقوعه

قوله عز وجل قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثلث ايات الاعراب قال الاخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف والميم فى ليجمعنكم وقال الزجاج هو فى موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لان ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا انفسهم وغيرهم قال واللام فى ليجمعنكم لام قسم فجائز ان يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استانف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجائز ان يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسرا لها لانه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بانه يمهلهم الى يوم القيمة ليتوبوا المعنى ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار سيروا فى الارض اى سافروا فيها ثم انظروا والنظر طلب الادراك بالبصر والفكر والاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم كيف كان عاقبة المكذبين المستهزئين وانما امرهم بذلك لان ديار المكذبين من الامم السابقة كانت باقية واخبارهم فى الخسف والهلاك كانت شايعة فاذا سار هؤلاء فى الارض وسمعوا اخبارهم وعاينوا اثارهم دعاهم ذلك الى الايمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لمن ما فى

السموات والارض لله الذي خلقهما ام للاصنام فان اجابوك فقالوا الله والا فقل
انت لله اي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له كتب على نفسه الرحمة
اي اوجب على نفسه الانعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه
وقيل اوجب على نفسه الرحمة لامة محمد بان لم يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم
من الامم الماضيه والقرون الخاليه عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيمة
عن الكلبي ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليؤخرن جمعكم الى يوم القيمة فيكون تفسيرا
للرحمة على ما ذكرنا ان المراد بامهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر
البعث والنشور يقول ليجمعنكم الى يوم الذي انكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء الى
هؤلاء اي ضممت بينهم في الجمع يريد يجمع اخركم الى اولكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة
وهو الذي لا ريب فيه وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم
الى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به عن الاخفش ويسئل عن هذا فيقال كيف
يحذر المشركين في البعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا
فانه تعالى انما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفى الريب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر
مرتاب فيه المبطل وايضا فان الدلايل تزيل الشك والريب فان نعم الدنيا تعم المحسن
والمسيء فلا بد من دار يتميز فيها المحسن من المسيء وايضا فقد صح ان التكليف تعريض
للثواب واذا لم يمكن ايصال الثواب في الدنيا لان من شانه ان يكون صافيا من الشوائب
فلا يكون مقرونا بالتكليف لا يعري عن المشقه فلا بد من دار اخرى وايضا فان
التمكين من الظلم من غير انتصاف من العاجل وانزال الالام من غير استحقاق ولا ايفاء
عوض في العاجل توجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى يوفى فيها الاعواض
وينتصف للمظلوم من الظالم الذين خسروا انفسهم اي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد فهم
لا يؤمنون اي لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقبه بذكر
ما فيهما فقال وله ما سكن اي له كل متمكن ساكن في الليل والنهار خلقا وملكا وملكا
وانما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لان الاول يجمع المكان

والثاني

والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكانه اراد الاجسام والاعراض وعلى
هذا فلا يكون السكون في الاية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي
انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحله وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر
في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار
للمعيشه وانما ذكر الساكن دون المتحرك لانه اعم واكثر ولان عاقبة المتحرك السكون
ولان النعمة في السكون اكثر والرحمة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره
وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الاخر لان المذكور
ينبه على المحذوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمراد تقيكم الحر والبرد ومتى قيل
لما ذا ذكر الحركة والسكون من بين ساير المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه
على حدوث العالم واثبات الصانع لان كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي الحركة
والسكون فاذا لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواب ولما نبه على اثبات
الصانع عقبه بذكر صفته فقال وهو السميع العليم والسميع هو الذي على صفة يصح
لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا آفة به ولذلك يوصف به فيما
لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وانما جعل
الليل والنهار في هذه الاية كالمسكن لما اشتملا عليه لانه ليس يخرج منهما شيء فجمع
كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف هذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة : فانك
كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع : فجعل الليل مدركا
له اذا كان مشتملا عليه **قوله تعالى قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** **القراءه** روي في
الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يطعم ومعناه ولا ياكل **اللغه** الفطرة ابتداء الخلقة
قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان في بير فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأت حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا السماء انفطرت اي انشقت

قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى
الانشقاق قيل انهما يرجعان الى شيء واحد لان معنى فطرهما خلقهما خلقا قاطعا
الاعراب غير نصب كانه مفعول اتخذ وليا مفعول ثان وقوله ان عصيت ربي
فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى
هذا لا موضع له من الاعراب والاخر انه في موضع نصب على الحال فكانه قيل اني
اخاف عاصيا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفا على الوجهين
جميعا **النزول** قيل ان اهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه واله يا محمد تركت
ملة قومك وقد علمنا انه لا يحملك على ذلك الا الفقر فانا نجمع لك من اموالنا حتى
تكون من اغنانا فنزلت الاية **المعنى** قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم
اغير الله اتخذ وليا اي مالكا ومولى وولي الشيء مالكه الذي هو اولى به من غيره
والمعنى لا اتخذ غير الله وليا الا ان اخراجه على لفظ الاستفهام ابلغ من سائر الفاظ
النفي فاطر السموات والارض اي خالقهما ومنشئهما من غير احتذاء على مثال وهو
يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه احد وقيل انما
ذكر الاطعام لان حاجة العباد اليه اشد ولان نفيه على الله ادل على نفي شبهه بالمخلوقين
لان الحاجة الى الطعام لا يجوز الا على الاجسام ويحتج تعالى بهذا على الكفار لان من خلق
السموات والارض وانشاء ما فيهما واحكم تدبيرهما واطعم من فيهما وهم فقراء اليه معلوم
انه الذي ليس كمثله شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد
غيره قل يا محمد اني امرت اي امرني ربي ان اكون اول من اسلم اي من استسلم لله للامر
ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان اكون اول من اخلص العبادة من اهل هذا الزمان
عن الكلبي وقيل اول من اسلم من امتي وامن من بعد الفترة عن الحسن وانما كان اول
لانه خص بالوحي وقيل معناه ان اكون اول من خضع وامن وعرف الحق من قومي وان
اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين
اي بانك لا ترى من سالك ان تريه نفسك وقول السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا

خطايانا

خطايانا ان كنا اول المؤمنين بان هذا ليس بسحر وانه الحق اي اول المؤمنين من
السحرة ولا تكونن من المشركين المعنى امرت بالامرين جميعا اي امرت بالايمان ونهيت
عن الشرك وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال
امرت اخبر انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله في المعنى قل يا محمد
اني اخاف قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف ان عصيت ربي اي بترك
امره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره باتخاذ غيره وليا عذاب يوم عظيم يعني يوم
القيمة ومعنى العظيم هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم **قوله تعالى من
يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين** القراءة قرا حمزة والكسائي
وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء وقرا الباقون
يصرف بضم الياء وفتح الراء **الحجة** قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العايد الى ربي وينبغي
ان يكون حذف الضمير العايد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العايد الى
العذاب والمعنى من يصرف عنه وكذلك في قراءة ابي فيما زعموا وليس حذف هذا
الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو اهذا
الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اي بعثهم واصطفاهم ولا يعود
الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي للجزاء وانما يرجع الى العذاب في قوله
عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لان هذا
فعل واحد قد تكرر وعدي الاول منهما الى المفعول فعلم بتعدية الاول ان الثاني
بمنزلته واما قراءة من قرا يصرف فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب
المتقدم ذكره والمذكور العايد الى المبتدا الذي هو من في القراءتين جميعا الضمير
الذي في عنه ومما يقوي قراءة من قرا يصرف بفتح الياء اتفاق ما بعده من قوله فقد رحمه
مسند الى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الاسناد الى هذا الضمير ومما يقوي
ذلك ايضا ان الهاء المحذوف من يصرف لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه
في انه يتسلط على ما يتقدمه بمنزلة ما في الصلة في انه لا يجوز ان يتسلط على الموصول

حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة المعنى من يصرف العذاب عنه يومئذ
فقد رحمه الله يريد من غفر له فانه يثيبه الله لا محالة وذكر تعالى الرحمة مع صرف
العذاب لئلا يتوهم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط وذلك الفوز اى الظفر
بالبغية المبين الظاهر البين ويحتمل ان يكون معنى الاية انه لا يصرف العذاب
عن احد الا برحمة الله كما روى ان النبى صلى الله عليه واله قال والذى نفسى
بيده ما من الناس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدنى الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق راسه وطول بها
صوته رواه الحسن فى تفسيره قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير وهو القاهر فوق عباده
وهو الحكيم الخبير ايتان المعنى ثم بين تعالى انه لا يملك النفع والضر الا هو
فقال وان يمسسك الله بضر اى ان يصيبك بفقر او مرض او مكروه فلا كاشف
له الا هو اى لا مزيل ولا مفرج له عنه الا هو ولا يملك كشفه سواه مما يعبده
المشركون وان يمسسك بخير اى وان يصبك بغنى او سعة فى الرزق او صحة
فى البدن او شىء او محاب الدنيا فهو على كل شىء من الخير والضر قدير ولا يقدر
احد على دفع ما يريد لعباده من مكروه او محبوب فان قيل ان المس من صفات الاجسام
وكيف قال ان يمسسك الله قلنا الباء للتعدية والمراد ان امسك الله ضرا اى
جعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان فى الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى
والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به
وهو القاهر ومعناه القادر على ان يقهر غيره فوق عباده معنى فوق هنا انه قهرهم
واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذى
لا ينفك منه احد ومثله قوله تعالى يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم
وهو الحكيم الخبير معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والخبير
العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشىء تقول لى به خبر اى علم واصله من الخبر لانه

طريق

طريق من طرق العلم فاذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه تعالى
فى ما لم يزل بانه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهرا الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا
يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به قوله عز وجل قل اى
شىء اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم واوحى الى هذا القرآن لانذركم
به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل
انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ايتان الاعراب شهادة نصب على التمييز ومن بلغ فى محل نصب بالانذار
والعائد الى الموصول محذوف وائنكم كتب بالياء لان الهمزة التى قبلها همزة
تخفف بان تجعل بين بين فاذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء الذين آتيناهم
هم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبر الذين خسروا انفسهم رفع بكونه نعتا
للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعا بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره
النزول قال الكلبى اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا اما وجد
الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود
والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد انك رسول الله كما
زعمت فانزل الله تعالى هذه الاية المعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفار اى شىء اكبر اى اعظم
شهادة واصدق حتى آتيكم به وادلكم بذلك على انى صادق وقيل معناه اى شىء
اكبر شهادة حتى يشهد لى بالابلاغ وعليكم بالتكذيب عن الجبائى وقيل معناه اى شىء
اعظم حجة واصدق شهادة فان قالوا الله والا فقل الله شهيد بينى وبينكم يشهد
لى بالرسالة والنبوة وقيل يشهد لى بتبليغ الرسالة اليكم وتكذيبكم اياى واوحى
الى هذا القرآن اى انزل الى حجة وشهادة على صدقى لانذركم به اى لاخوفكم من
عذاب الله تعالى ومن بلغ اى ولاخوف به من بلغه القرآن الى يوم القيمة وروى
الحسن فى تفسيره عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من بلغنى اتى ادعوا الى ان لا اله الا الله

الا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه قال محمد بن كعب من بلغه
القران فكانما راى محمدا وسمع منه وقال مجاهد حيثما ياتى القرآن فهو داع
ونذير واقرا هذه الاية وفى تفسير العياشى قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما
السلم من بلغ معناه من بلغ ان يكون اماما من ال محمد فهو ينذر بالقران كما انذر
به رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ فى موضع
رفع عطفا على الضمير فى انذركم وفى الاية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئا
لان قوله قل اى شىء اكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشىء ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه فالله تعالى شىء لا كالاشياء بمعنى انه معلوم لا كالمعلومات التى هى الجواهر
والاعراض والاشتراك فى الاسم لا يوجب التماثل وفى قوله من دلالة على انه صلى الله
عليه واله خاتم الانبياء ومبعوث الى الكافة ثم قال تعالى موبخا لهم قل يا محمد
لهم ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى هذا استفهام معناه الجحد والانكار
وتقديره كيف تشهدون ان مع الله الهة اخرى بعد وضوح العدلة وقيام
الحجة بوحدانية الله تعالى وانما قال اخرى بعد وضوح العدلة وقيام الحجة
بوحدانية الله تعالى وانما قال اخرى ولم يقل اخر لان الالهة جمع والجمع مونث
فهو كقوله ولله الاسماء الحسنى وقوله فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول
ثم قال تعالى لنبيه عليه السلم قل انت يا محمد لا اشهد بمثل ذلك وان شهدتم
باثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين
لدعوى المدعى ثم قال قل يا محمد لمن شهد ان معه الهة اخرى انما هو اله واحد
واننى برئ مما تشركون به وبعبادته من الاوثان وغيرها ولهذا قال اهل العلم
يستحب لمن اسلم ابتداء ان ياتى بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الاسلام ثم ذكر
تعالى ان الكفار بين جاهل ومعاند فقال الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وهذا مفسر فى سورة البقرة الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون مفسر
فى هذه السورة فان حملته على انه صفة للذين الاولى فالمعنى به اهل الكتاب وان

حملته على الابتداء فانه يتناول جميع الكفار قال ابو حمزة الثمالى لما قدم النبى
صلى الله عليه المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام ان الله تعالى انزل على نبيه ان
اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال نعرف نبى الله
بالنعت الذى نعته الله اذا رايناه كما يعرف احدنا ابنه اذا راه بين الغلمان وايم
الله الذى يحلف به بن سلام لانا بمحمد اشد معرفة منى بابنى فقال له كيف فقال
عبد الله عرفته بما نعته الله فى كتابنا فاشهد انه هو فاما ابنى فانى لا ادرى
ما احدثت امه فقال قد وفقت وصدقت واصبت قوله تعالى وَمَنْ اَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُوْنَ
وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا ثُمَّ نَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ اَشْرَكُوْا اَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ
الَّذِيْنَ كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَ ايتان القراءه ويوم يحشرهم يوم يقول بالياء
فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك فى الفرقان فى سبا وقرا فى ساير القرآن
بالنون وقرا حفص هنا وفى يونس بالنون وفى ساير القرآن بالياء وقرا ابو جعفر
وابن كثير فى الفرقان بالياء وفى ساير القران بالنون وقرا الباقون بالنون
فى جميع القران الحجه من قرا بالياء رده الى الله فى قوله على الله كذبا ومن قرا بالنون
ابتداء والياء فى المعنى كالنون الاعراب ويوم نحشرهم العامل فيه محذوف
على معنى واذكر يوم نحشر وقيل انه معطوف على محذوف كانه قيل لا يفلح الظالمون
ابدا ويوم نحشرهم والعائد الى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون
انهم شركاء او تزعمونهم شركاء فحذف مفعولى الزعم لدلالة الكلام وحلالة السوال
عليه المعنى ثم بين تعالى ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالاشراك فقال ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا معناه ومن اكفر ممن اختلق على الله كذبا فاشرك
به الالهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد اى لا احد اظلم منه لان جوابه
كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه او كذب باياته اى بالقران وبمحمد ومعجزاته
انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار

الظالمون والظالم هاهنا هو الكافر بنبوة محمد المكذب باياته الجاحد لها بقوله ما نصب
الله اية على نبوته ويوم نحشرهم جميعا يعني نحشر من تقدم ذكرهم من الكفار لانه تعالى
يحشرهم يوم القيمة من قبورهم اى موضع الحساب ثم يقول للذين اشركوا اين
شركاؤكم الذين كنتم تزعمون اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين
اذا راوا تجاوز الله تعالى عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سئلتم فقولوا
انا موحدون فلما جمعهم الله تعالى قال لهم اين شركاؤكم ليعلموا ان الله تعالى
يعرف انهم اشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان
المشركين كانوا يزعمون ان الهتهم لتشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيمة اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعونه عن اكثر
المفسرين وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها لانفسهم ومعنى تزعمون
تكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الاية دلالة على
بطلان مذهب اهل الجبر وعلى اثبات المعاد وحشر جميع الخلق قوله تعالى ثُمَّ
لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ايتان القراءة قرا اهل المدينة
وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب وقرا ابن كثير
وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء ايضا فتنتهم بالرفع وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرا حمزة والكسائي وخلف والله ربنا
بالنصب وقرا الباقون ربنا بالجر الحجة من قرا لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فانه انث
ان قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر امثالها فانث الامثال
كما كانت في المعنى الحسنات ومما جاء في الشعر قول لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة
منه اذا هي عردت اقدامها فانث الاقدام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج
ويجوز ان يكون تاويل ان قالوا الا مقالتهم ومن قرا لم تكن بالتاء فتنتهم رفعا
اثبت علامة التانيث في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة

يكون قوله ان قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرا لم يكن بالياء فتنتهم نصبا
فعلى ان قوله ان قالوا اسم كان والاولى والاقوى ان يكون فتنتهم نصبا
وان قالوا الاسم لان ان اوصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر
فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك ان كان
مع اسم غيرها كانت ان تكون الاسم اولا واما من قرا والله ربنا فانه جعل الاسم
المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رايت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين
جواب القسم ومن قرا ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم
عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء
في الكلام وذلك مثل قول الشاعر ذاك الذي وابيك يعرف مالك والحق
يدفع ترهات الباطل ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا واذكر
ربنا اللغة الازهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان ماخوذ من قولك
فتنت الفضة والذهب اذا اذبتهما بالنار واحرقتهما وقد فتن الرجل بالمراة وافتتن
وقد فتنته المراة وافتنته قال الشاعر لئن فتنتني لهي بالامس افتنت سعيدا
فامسى قد قلا كل مسلم الاعراب العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل
فيه انظر لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله المعنى
ثم بين تعالى جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال ثم لم تكن فتنتهم اختلف
في معنى الفتنة هنا على وجوه احدها ان معناها ثم لم يكن جوابهم لانهم حين سئلوا
اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار الا هذا القول وثانيها
ان المراد لم يكن معذرتهم الا ان قالوا عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي
عبد الله عليه السلم وهذا راجع الى معنى الجواب ايضا وثالثها ما قاله الزجاج
ان تاويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك
والله تعالى ذكر في هذه الاقاصيص التي جرت امر المشركين وانهم مفتونون بشركهم ثم
اعلم انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرؤوا منه وانتفوا منه فحلفوا

انهم كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا يحب غاويا فاذا وقع في
هلكة تبرا منه فتقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان انتفيت منه فالفتنة
ههنا بمعنى الشرك والافتتان بالاوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطاء عن ابن عباس
قال فتنته يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التاويل يرجع الى حذف المضاف
لان المعنى لم تكن عاقبة فتنتهم الا البراءة منها بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ويسال فيقال كيف يجوز ان يكذبوا في الاخرة ويحلفوا على الكذب والدار
ليست بدار تكليف وكل الناس ملجاؤن فيها الى ترك القبيح بمشاهدة الحقايق
وزوال عوارض الشبه والشكوك ولمعرفتهم بالله تعالى ضرورة والجواب ان معنا
ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان المشركين
في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا يكون قولهم وحلفهم
يقعان على وجه الصدق وقيل ايضا انهم انما يحلفون على ذلك لزوال عقولهم
بما يلحقهم من الدهشة من اهوال يوم القيمة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون
ويجوز ان ينسوا اشراكهم في الدنيا لما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاهوال
انظر المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء انظر يا محمد كيف كذبوا على انفسهم هذا
وان كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد بالتنبيه على التعجيب منهم ومعناه انظر الى ادعائهم
عن افترائهم كيف هو فانه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الآخرة وانما كذبهم الله تعالى
في قولهم وان كانوا صادقين عند انفسهم لان الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به
على المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذبا في الحقيقة جاز ان يقال
كذبوا على انفسهم في دار الدنيا لانهم كذبوا في الاخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة
وان اعتقدوا انهم على الحق عن الجبائي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ضلت عنهم
اوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله
غدا فذهبت عنهم في الآخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل انه عام في كلما
يعبد من دون الله تعالى انها تضل عن عابديها يوم القيمة ولا تغني عنهم شيئا او تخلف

اهل

اهل العدل في ان اهل الاخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالاصح انه لا يجوز
على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والحيرة في القيمة فاذا
استقر اهل الجنة واهل النار في النار فحينئذ لا يجوز ان يقع منهم القبيح والكذب
ويكون جميعهم ملجئين الى ترك القبيح وبه قال ابو بكر ابن الاخشيد واصحابه وقال
بعضهم انه يجوز وقوعه منهم على جميع الاحوال **قوله عز وجل وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ
إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا
كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** آية **اللغة** الاكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا فهو كنانه
وكنه والفعل منه كننت واكننت والكنة امراة الابن او الاخ لانها في كنه واستكن
الرجل من الحر واكتن استتر والوقر الثقل في الاذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد
وقرت اذنه توقر وقرا وقال الكسائي وُقِرت اذنه فهي موقورة **وقال الشاعر**
وكلام سيئ قد وقرت اذني منه وما بي من صمم واساطير واحدها اسطورة
واسطارة ماخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمعه اسطارا
ومن قال سطر والكثير سطور وقال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا لقايل يا
نصر نصرا نصرا وجمع اسطار اساطير قال الزجاج وتاويل السطر في اللغة ان يجعل
شيئا ممتدا مولفا وقال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو ابابيل ومذاكير وقال
بعضهم واحد الابابيل ابيل بالتشديد وكسر الالف والجدال الخصومة سمي بذلك
لشدته وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الارض لان احدهما يلقي صاحبه على الارض
الاعراب ان يفقهوه موضعه نصب على انه مفعول له المعنى لكراهة ان يفقهوه
فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى ان قاله
الزجاج يريد انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجادلونك في موضع نصب
على الحال **النزول** قيل ان نفرا من مشركي مكة منهم النضر بن الحرث وابو سفيان
بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وغيرهم جلسوا الى رسول

الله صلى الله عليه واله وهو يقرا القران فقالوا للنظر ما يقول محمد فقال اساطير
الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية فانزل الله هذه الاية المعنى ثم
وصف الله تعالى حالهم عند استماع القران فقال ومنهم اى ومن الكفار الذين
تقدم ذكرهم من يستمع اليك يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعنى قريشا
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا قد ذكرنا الكلام فيه فى
سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضى ابو عاصم العامرى اصح
الاقوال فيه ما روى ان النبى صلى الله عليه واله كان يصلى بالليل ويقرا القران
فى الصلوة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به وكان
المشركون اذا سمعوه اذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة وكان الله تعالى يلقى عليهم النوم
او يجعل فى قلوبهم اكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما يقوم به الحجة
وينقطع به المعذرة وبعد ما علم الله تعالى انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون
به فشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم وبوقر اذانهم لان ذلك كان
يمنعهم بالتدبر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله تعالى واذا قرات القران جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وهو قول ابى على الجبائى ويحتمل
ذلك وجها اخر وهو انه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم انهم لا يؤمنون بعقوبات
يجعلها فى قلوبهم تكون موانع من ان يفهموا ما يستمعونه ويحتمل ايضا ان يكون
سمى الكفر الذى فى قلوبهم كنانا تشبيها ومجازا واعراضهم عن تفهم القرآن وقرا توسعا
لان مع الكفر والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما لا يحصلان مع الكن والوقر
ونسب ذلك الى نفسه لانه الذى شبه احدهما بالاخر كما يقول احدنا لغيره اذا اثنى على
انسان وذكر مناقبه جعلته فاضلا وبالضد اذا ذكر مقابحه وفسقه جعلته فاسقا
وكما يقال جعل القاضى فلانا عدلا وكل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والابانة عن
حاله كما قال الشاعر جعلتنى باخلا كلا ورب منى انى اسمح كفا منك فى اللزب
ومعناه سميتنى باخلا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يريد وان يروا كل حجة لم

يصدقوا

يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وان يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك
لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو اجرى معنى الاية على ظاهرها لم يكن لهذا
معنى لان من لا يمكنه ان يسمع ويفقه لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح
ان يصفهم بانهم كذبوا باياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذى يزيل
الاشكال انه تعالى قال فى وصف بعض الكفار واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا
كان لم يسمعها الاية ولو كان فى اذنيه وقرا مانع عن السماع مزيل للقدرة لكان
لا معنى لقوله كان فى اذنيه وقرا ولكان لا يستحق المذمة لانه لم يعط الله السمع
فكيف يذم على ترك السمع حتى اذا جاؤك يجادلونك يعنى انهم اذا دخلوا عليك
بالنهار يجيئون مجئ مخاصمين مجادلين رادين عليك قولك ولم يجيئوا مجئ من يريد
الرشاد والنظر فى الدلالة الدالة على توحيد الله تعالى ونبوة نبيه عليه السلم
يقول الذين كفروا ان هذا اى ما هذا القرآن الا اساطير الاولين التى
كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الاساطير الترهات والبسابس مثل
حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فايدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم
ان جدالهم هذا القول منهم وقيل هو مثل قولهم اتاكلون ما تقتلون بايديكم
ولا تاكلون ما قتله الله تعالى قوله عز وجل وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ
عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ اللغة النأى البعد يقال نأيت
عنه انأى نأيا ومنه اخذ النؤى وهو الحائل حول البيت لئلا يدخله الماء المعنى
ثم حكى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال وهم ينهون عنه وينأون عنه اى
ينهون الناس عن اتباع النبى صلى الله عليه واله ويتباعدون عنه فرارا منه عن
ابن عباس ومحمد بن الحنفيه والحسن والسدى وقيل معناه ينهون الناس عن استماع
القران لئلا يقع فى قلوبهم صحته ويتباعدون هم عن استماعه عن قتاده ومجاهد
واختاره الجبائى وقيل عنى به ابا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن
اذى النبى صلى الله عليه واله ولا يتبعونه عن عطاء ومقاتل وهذا لا يصح لان هذه الاية

معطوفة على ما تقدمها وما تاخر عنها معطوف عليها وكلها في ذم الكفار المعاندين
للنبي عليه السلم هذا وقد ثبت اجماع اهل البيت على ايمان ابي طالب واجماعهم حجة
لانهم احد الثقلين الذين امر النبي عليه السلم بالتمسك بهما بقوله ان تمسكتم بهما
لن تضلوا ويدل على ذلك ايضا ما رواه ابن عمر ان ابا بكر جاء بابيه ابي قحافة يوم
الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلم الا تركت الشيخ فاتيه وكان
اعمى فقال ابو بكر اردت ان ياجره الله والذي بعثك بالحق لانا كنت باسلام
ابي طالب اشد سرورا مني باسلام ابي التمس بذلك قرة عينك فقال عليه السلام
صدقت وروى الطبري باسناده ان روسا قريش لما راوا ذب ابي طالب عن النبي ص
اجتمعوا اليه وقالوا جئناك بفتى قريش جمالا وجودا وشهامة عمارة بن الوليد
ندفعه اليك وتدفع الينا ابن اخيك الذي فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقتله
فقال ابو طالب ما انصفتموني تعطوني ابنكم فاغذوه واعطيكم ابني فتقتلونه بل
فليات كل امرء منكم بولده فاقتله وقال معنا الرسول رسول المليك
ببيض تلالا كلمع البروق اذود واحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق
واقواله واشعاره المنبئة عن اسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله
الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في اول الكتب اليس ابونا هاشم شد
ازره واوصى بنيه بالطعان وبالحرب وقوله من قصيدة وقالوا لاحمد انت امرء
خلوف اللسان ضعيف السبب الا ان احمد قد جاءهم بحق ولم ياتهم بالكذب
وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي عليه السلم وقد كان في امر الصحيفة
عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا
من ناطق الحق معرب وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا
غير معتب في قصيدة وقوله يحض اخاه حمزة على اتباع النبي صلى الله عليه واله
والصبر على طاعته صبرا ابا يعلى على دين احمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
فقد سرني اذ قلت انك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا وقوله من قصيدة

اقيم

اقيم على نصر النبي محمد قاتل عنه بالقنا والقنابل وقوله يحض النجاشي على
نصر النبي عليه السلم تعلم خيار الحبش ان محمدا وزير لموسى والمسيح بن مريم
اتى بهدى مثل الذي اتيا به وكل بامر الله يهدي ويعصم وانكم تتلونه في كتابكم
بصدق حديث لا حديث المترجم فلا تجعلوا لله ندا واسلموا وان طريق الحق ليس بمظلم
وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة اوصي بنصر النبي الخير مشهده عليا ابني
وشيخ القوم عباسا وحمزة الاسد الحامي حقيقته وجعفرا ان يذودوا دونه
الناسا كونوا فدى لكم امي وما ولدت في نصر احمد دون الناس اتراسا
في امثال لهذه الابيات ما هو موجود في قصايده المشهورة ووصاياه وخطبه
يطول بها الكتاب على ان ابا طالب لم يناء عن النبي عليه السلم قط بل كان يقرب
منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله وينأون عنه وان
يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اي وما يعلمون باهلاكهم اياها بذلك
قوله عز وجل وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ
بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ
رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ايتان القراة قرا ولا نكذب
ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرا ابن عامر ونكون بالنصب
وقرا الباقون بالرفع فيهن الحجة قال ابو علي من قرا بالرفع جاز فيه وجهان
احدهما ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله ولا نكذب ونكون داخلا
في التمني دخول نرد فيه فعلى هذا تمني الرد ولا نكذب والكون من المؤمنين
ويحتمل الرفع وجها اخر وهو ان يقطعه من الاول ويكون التقدير يا ليتنا
نرد ونحن لا نكذب ونكون وقال سيبويه هو على قولك فانا لا اكذب كما يقول
القايل دعني ولا اعود اي فاني ممن لا يعود فانما يسالك الترك وقد اوجب
على نفسه ان لا يعود ترك او لم يترك ولم يرد ان يسالك ان يجمع له الترك وان
لا يعود وحجة من نصب فقال ولا نكذب ونكون انه ادخل ذلك في التمني لان التمني

غير موجب فهو كالاستفهام والامر والنهى فى انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال
اذا دخلت عليها الفاء او الواو على تقدير المصدر من الفعل الاول كانه فى التمثيل
يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا نكذب
ونصب ونكون فان الفعل الذى هو ولا نكذب يحتمل وجهين احدهما ان يكون
داخلا فى التمنى فيكون فى المعنى كالنصب والاخر ان يخبر على البتات ان لا يكذب
ردّ او لم يرد ومن نصبهما جميعا داخلين فى التمنى **اللغة** يقال وقفت الدابة
وقوفا ووقف غيره يقفه وقفا وحكى عن ابى عمرو انه اجاز ما اوقفك هاهنا
مع اخباره انه لم يسمعه من العرب وبدا يبدو وابدوا اذا ظهر وفلان ذو بدوات
اذا بدا له الراى بعد الراى وبدا لى فى هذا الامر بداء والبداء لا يجوز على الله تعالى
لانه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال **الاعراب** ولو ترى جوابه محذوف
وتقديره لرايت امرا هايلا ونحوه قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال
لكان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الامر وتفخيمه ومثله قول
امرئ القيس ٭ وجدك لو شىء اتانا رسوله ٭ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ٭
وتقديره لو اتانا رسول غيرك لما اجبنا وقد يسال فيقال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا
واذ هى للماضى والجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر به صار بمنزلة ما وقع **المعنى**
ثم بين تعالى ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيمة من الحسرة وتمنى الرجعة فقال
ولو ترى يا محمد او ايها السامع اذ وقفوا على النار فهذا يحتمل ثلثة اوجه جائز
ان يكون المعنى عاينوا النار وجائز ان يكونوا عليها وهى تحتهم قال الزجاج والا جود
ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول فى الكلام قد وقفت
على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته وهذا وان كان بلفظ المضى فالمراد به
الاستقبال وانما جاز ذلك لان كل ما هو كائن يوما مما لم يكن بعد فهو عند الله
قد كان وانشد فى مثله ٭ ستندم اذ يأتى عليك رعيلنا ٭ بارعن جرار كثير صواهله ٭
فوضع اذ موضع اذا وقد يوضع ايضا اذا موضع اذ كما **فى قول الشاعر** وندمان

يزيد الكاس طيبا ٭ سقيت اذا تعرضت النجوم ٭ فقالوا اى فقال الكفار حين عاينوا
العذاب وندموا على ما فعلوه قالوا يا ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب بآيات
ربنا اى بكتب الله ورسوله وجميع ما جاءنا من عنده ونكون من المؤمنين
يعنى من جملة المؤمنين بآيات الله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اختلف فيه
على اقوال **احدها** ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه
عن جهالهم وضعفائهم مما فى كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم **وثانيها** ان المراد بل
بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت به جوارحهم عن ابى روق
وثالثها ان المعنى للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من امر
البعث والنشور لان المتصل بهذا قوله وقالوا ان هى الا حيوتنا الدنيا الاية
عن الزجاج وهو قول الحسن **ورابعها** ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفون من الكفر
عن المبرد وكل هذه الاقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم فى الاخرة وتهتكت استارهم
ولو ردوا لعادوا الى ما نهوا عنه اى لو ردوا الى الدنيا والى حال التكليف كما طلبوا
لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب وانهم لكاذبون وقد يسال على هذا
فيقال ان التمنى كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكذب فى الخبر والجواب ان
من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمنى وصرف الكذب الى غير الامر الذى
تمنوه وقال ان معناه هم الكاذبون ان اخبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا امنوا
وان كان ما حكى عنهم من التمنى ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل على غير الكذب الحقيقى
بان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور فى
كلام العرب يقولون كذبك املك لمن تمنى ما لم يدرك **وقال الشاعر** وكذبتم
وبيت الله لا تنكحونها ٭ بنى شاب قرناها تصر وتحلب ٭ **وقال الاخر** كذبتم وبيت الله
لا تاخذونها ٭ مراغمة ما دام للسيف قائم ٭ والمراد ما ذكرناه من الخيبة فى الامل
والتمنى فان قال كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب
عنه من وجوه **احدها** انا لا نعلم ان اهل الاخرة يعرفون جميع احكام الاخرة وانما

نقول انهم يعرفون الله تعالى معرفة لا يختالجهم فيها الشك لما شاهدوه من الايات
الملجئة لهم الى المعارف ولما التوجع والتمنى للخلاص والدعاء للفرج فيجوز ان
يقع منهم ذلك عن البلخي وثانيها ان التمنى قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع
التمنى على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وتقضى وقته وثالثها
انه لا مانع من ان يقع منهم التمنى للرد ولان يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس
من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون التمنى وهذا انما
يتساق من قراه من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فانا لا نكذب بايات ربنا ونكون
من المؤمنين فيكونون قد اخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا
من انفسهم مثل ذلك فلهذا اكذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلاء استدل على قراءة
بالرفع في الجميع بان قوله انهم لكاذبون دلالة على انهم اخبروا بذلك على انفسهم
ولم يتمنوه لان التمنى لا يقع فيه الكذب قوله عز وجل وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا
بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ايتان المعنى ثم اخبر الله تعالى
عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الاية وانكارهم البعث والنشور والحشر
والحساب فقال وقالوا ان سواء ما هي الا حيوتنا الدنيا عنوا بذلك انه لا حيوة
لنا في الاخرة وانما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا وما نحن بمبعوثين اي لسنا
بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلم فقال ولو ترى يا محمد اذ
وقفوا على ربهم ليس يصح في هذه الاية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو
ترى اذ وقفوا على النار الا وجها واحدا وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال
وقفته على كلام فلان اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم
ربهم من العذاب الذي يفعل بالكفار والثواب الذي يفعله بالمؤمنين في الاخرة
وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى حبسوا على ربهم
ينتظرهم ما يامر به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين

بري

يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والافصاح بالمعنى والتنبيه على عظم الامر قال
اي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي انه لتحققه كانه واقع وقيل معناه
تقول الملائكة لهم بامر الله تعالى اليس هذا بالحق كما قالت الرسل وهذا سؤال
توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا اي فيقول
هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين بل هو حق وربنا قسم ذكروه واكدوا
اعترافهم به قال الله تعالى او الملك بامره فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق
في شدة الاحساس من غير ان يصيروا الى حال من يشم بالطعام في نقصان الادراك
قوله عز وجل قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ
أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ايتان القراءة قرا ابن عامر ولدار الاخرة بلام واحدة
وجر الاخرة على الاضافة والباقون بلامين ورفع الاخرة وقرا اهل المدينة
وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل افلا تعقلون بالتاء ههنا وفي
الاعراف ويوسف ويس ووافقهم حفص الا في يس وحماد ويحيى عن ابي بكر في
يوسف وقرا الباقون جميع ذلك بالياء الحجة من قرا للدار الاخرة فلان الاخرة
صفة للدار يدل على ذلك قوله وللاخرة خير لك من الاولى وان الدار الاخرة
لهي الحيوان وتلك الدار الاخرة نجعلها ومن اضاف دار الى الاخرة فانه لم يجعل
الاخرة صفة للدار فان الشيء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكانه
قال ولدار الساعة الاخرة وجاز وصف الساعة بالاخرة كما وصف اليوم بالاخرة
في قوله وارجوا اليوم الاخر وقال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى الاخرة ولم يقبح
من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لان الاخرة قد صارت كالابطح والا
الابرق انه قد جاء وللاخرة خير لك من الاولى فاستعملت استعمال الاسماء فوقهم

برق

الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله في نحو
دنيا طال ما قد مدت • واما وجه القراءة بالياء في افلا يعقلون فهو انه قد تقدم
ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء انه يصلح ان يكون خطاما
متوجها اليهم ويصلح ان يراد الغيب والمخاطبون فغلب الخطاب اللغة كل شي اتى
فجاة فقد بغت يقال بغته الامر يبغته بغته قال الشاعر ولكنهم بانوا ولم اخش
بغتة • وافظع شي حين يفجاك البغت • والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر
الذي يقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير واصله التقديم فالافراط
التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتقصير والوزر والثقل في
اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كانه يعتصم
الملك به ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي ويزرون يفعلون من وزر
يزر وزرا اذا اثم وقيل وزر فهو موزور اذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء
يتبعن جنازة قيل لهن ارجعن موزورات غير ماجورات والعامة تقول مازورات
والعقل والنهى والحجى متقاربة المعنى فالعقل الامساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها
على الحسن قال الاصمعي وبالدهناء خبراء يقال له معقلة قال ونراها سميت معقلة
لانها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنهى ما ينهى عن القبيح حتى يمتنع
لانها ثبات وحسن ومنه النهى والنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع
فيه لتسلفه ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسيح على وجه الارض والحجى اصله
من الحجو وهو احتباس وتمكث قال فهن يعكفن به اذا حجا • وحجت بالشي وتحجيت
به بهمز ولا يهمز اي تمسكت عن الزهري قال ابو علي فكان الحجى مصدر كالشقى ومن
هذا الباب الحجيا للغز لتمكث الذي يلقى عليه حتى يستخرجه الاعراب يقال ما معنى
الغاية في قوله حتى اذا جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها والجواب ان معناها
منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيمة والعامل فيها كذبوا اي كذبوا الى ان ظهرت
الساعة بغتة فان قيل ما معنى دعاء الحسرة وهي مما
لا يعقل والجواب ان العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم تقع

فيه جملته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد
وقوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتى ءالد وهذا ابلغ من ان
يقول انا احسر على التفريط قاله الزجاج قال سيبويه انك اذا قلت يا عجباه
فانك قلت احضر وتعال يا عجب فانه من ازمانك وتاويل يا حسرتاه انتبهوا
على انا قد خسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيها على
عظم شانها وقيل انها بمنزلة الاستغاثة فكانه قيل يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك
كما يقال يا للعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره بئس الشي شي يزرونه وقد
ذكرنا عمل نعم وبئس فيما مضى المعنى ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار فقال قد
خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني بلقاء ما وعد الله تعالى به من الثواب
والعقاب وجعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس والحسن
وقيل المراد بلقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله اي لقي جزاء عمله
ونظيره الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه حتى اذا جاءتهم الساعة اي
القيامة بغتة اي فجاة من غير ان علموا وقتها قالوا عند معاينة ذلك اليوم و
اهواله وتباين احوال اهل الثواب والعقاب يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي على
ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم اعمال الاخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء
يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل
ان الهاء يعود الى الجنة اي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه
الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي عليه السلم في هذه الاية قال يرى
اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء يعود
الى الصفقة لانه لما ذكر الخسران دل على الصفقة ويجوز ان يكون الهاء يعود الى معنى
ما في قوله ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعلى هذا
الوجه يكون ما موصولة بمعنى الذي وعلى الوجوه المتقدمة تكون ما بمعنى المصدر
ويكون تقديره على تفريطنا وهم يحملون اوزارهم اي اثقال ذنوبهم على ظهورهم

وقال ابن عباس يريد اثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المومن
اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول انا عملك
الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله
اقبح شيء صورة واخبثه ريحا فيقول انا عملك السيء طالما ركبتني في الدنيا
فانا اركبك اليوم وذلك قوله يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال
الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة اثقل
ما يحمل لان الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضا كما يقول
ثقل علي خطاب فلان معناه كرهت خطابه كراهة اشتدت علي فعلى هذا يكون
المعنى انهم يقاسون عذاب اثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزايل والى هذا
المعنى اشار امير المؤمنين علي عليه السلم في قوله تخففوا تلحقوا فانما ينتظر
باولكم اخركم الا ساء ما يزرون اي بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه
ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم السيئة اذ كان عذابا ونكالا ثم رد عليهم
قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا وبين تعالى انما يتمتع به من الدنيا يزول ويبيد
فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور اذا لم يجعل ذلك
طريقا الى الاخرة وانما عنى بالحيوة الدنيا اعمال الدنيا لان نفس الدنيا لا توصف
باللعب وما فيه رضاء الله من عمل الاخرة لا يوصف به ايضا لان اللعب ما لا يعقب
نفعا واللهو ما يصرف من الجد الى الهزل وهذا انما يتصور في المعاصي وقيل المراد
باللعب واللهو ان الحيوة تنقضي وتفنى ولا تبقى فيكون لذة فانية عن قريب
كاللعب واللهو وللدار الاخرة وما فيها من انواع النعيم والجنان خير للذين
يتقون معاصي الله لانها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها
افلا يعقلون ان ذلك كما وصفنا لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في
نعيم الاخرة فيفعلوا ما يوديهم الى ذلك من الاعمال الصالحة وفي هذه الاية تسلية

للفقراء

للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا وتقريع للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها ولم يعملوا
لغيرها قوله عز وجل قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا
يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ
مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ايتان القراءة قرا نافع ليحزنك بضم الياء
وكسر الزاء والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاء وقرا نافع والكسائي والاعشى
عن ابي بكر لا يكذبونك خفيف وهو قراءة علي عليه السلم والمروي عن الصادق
عليه السلم والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد الحجة قال ابو علي قال
سيبويه قالوا احزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث تقول حزنته لم ترد ان
تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت ادخلته اردت جعلته داخلا ولكنك
اردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت
فيه دهنا ولم ترد بفعلته هنا تعدى قوله حزن ولو اردت ذلك لقلت احزنته
فحجة نافع انه اراد تعدي حزن فنقله بالهمز والاستعمال في حزنته اكثر في احزنته
فالى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء واما قولك يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته
اذا نسبته الى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته الى الزنا والفسق وقد جاء في هذا
المعنى افعلته قالوا اسقيته اي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة واسقيه حتى
كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا
ويجوز ان يكون لا يكذبونك اي لا يصادفونك كاذبا كما تقول احمدته اذا اصبته
محمودا ويدل على الوجه الاول قول الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة
قالت مسيء ومذنب اي نسبتني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي
يحكي عن العرب اكذبت الرجل اذا اخبرت انه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت انه
كذاب المعنى ثم سلى تعالى نبيه عليه السلم على تكذيبهم اياه بعد اقامة الحجة عليهم فقال
قد نعلم ان يا محمد انه ليحزنك الذي يقولون اي ما يقولون انك شاعر او مجنون

النصف

واشباه ذلك فانهم لا يكذبونك دخلت الفاء في انه لان الكلام الاول
يقتضيه كانه قيل اذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف
في معناه على وجوه احدها ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا
يظهرون بافواههم التكذيب عنادا وهو قول اكثر المفسرين ابي صالح وقتاده
والسدي وغيرهم قالوا يريد انهم يعلمون انك رسول ولكن يجحدون بعد
المعرفه ويشهد لهذا الوجه ما روي سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول
الله عليه السلم لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله
اني لاعلم انه صادق ولكنا متى كنا تبعا لعبد مناف فانزل الله تعالى الايه وقال
السدي التقى اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له يا ابا الحكم اخبرني
عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا
فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب
بنو قصي باللوا والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لساير قريش
وثانيها ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان
ويدل عليه ما روي عن علي عليه السلم انه كان يقرا لا يكذبونك ويقول
ان المراد بها انهم لا ياتون بحق هو احق من حقك وثالثها ان المراد لا يصادفونك
كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما اجبناكم اي ما اصبناكم جبناء قال الاعشى
اثوى وقصر ليلة ليزودا ٭ فمضى واخلف من قتيلة موعدا ٭ اراد صادف منها
خلفا للوعد وقال ذو الرمة تريك بياض لبتها ووجها ٭ كقرن الشمس افتق ثم زالا ٭
اي وجد فتقا من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراة بالتخفيف دون التشديد
لان افعلت وفعلت يجوزانه في هذا الموضع وافعلت هو الاصل فيه ثم يشدد
تاكيدا مثل اكرمت وكرمت واعظمت وعظمت الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه
ورابعها ان المراد لا ينبونك الى الكذب فيما اتيت به لانك كنت عندهم امينا
صدوقا وانما يدفعون ما اتيت به ويقصدون التكذيب بايات الله ويقوي

هذا

هذا الوجه قوله ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك
ولم يقل وكذبك قومك وما روي ان ابا جهل قال للنبي عليه السلم ما نتهمك
ولا نكذبك ولكنا نتهم الذي جئت به ونكذبه وخامسها ان المراد انهم لا يكذبونك
بل يكذبونني فان تكذيبك راجع الي ولست مختصا به لانك رسول فمن رد عليك
فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسلية منه تعالى للنبي عليه السلم
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون بايات الله اي بالقران والمعجزات يجحدون
بغير حجة سفها وجهلا وعنادا ودخلت الباء في بايات الله والجحد يتعدى بغير الجار
لان معناه هنا التكذيب اي يكذبون بايات الله وقال ابو علي الباء يتعلق بالظالمين
والمعنى ولكن الظالمين برد ايات الله وانكار ايات الله يجحدون ما عرفوه من صدقك
وامانتك ومثله قوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اي ظلموا
بردها او الكفر بها ثم زاد تعالى في تسلية نبيه عليه السلم بقوله ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب
والاذى في اداء الرسالة حتى اتاهم نصرنا اياهم على المكذبين وهذا امر منه تعالى
لنبيه بالصبر على كفار قومه الى ان ياتيه النصر كما صبرت الانبياء ولا مبدل لكلمات
الله معناه لا احد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على اخلاف وعده
وانما اخبر الله ان يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محاله وما وعدك به من نصره
فلا بد من حصوله لانه لا يجوز الكذب في اخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي
وعكرمه يعني بكلمات الله الايات التي وعد فيها نصر الانبياء نحو قوله كتب الله
لاغلبن انا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبا المرسلين
اي خبرهم في القران كيف انجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الاخفش من ههنا صلة
كما تقول اصابنا من مطر اي مطر وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لان من لا تزاد
في الواجب وانما تزاد في النفي ومن ههنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل المذكو

عليه وتقديره ولقد جاءك من نبإ المرسلين نبأ فيكون المعنى انه اخبره عليه السلم
ببعض اخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص
عليك **قوله عز وجل وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان
تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل
ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون** ثلث ايات
اللغة النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان اخر واصله الخروج
ومنه المنافق لخروجه من الايمان الى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد
والسلم الدرج وهو ماخوذ من السلامة قال الزجاج لانه الذي يسلمك الى
مصعدك والاستجابة من الجواب وهو القطع هل عندك جائبة جزاي يجوب
البلاد والفرق بين يجيب ويستجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعي له وليس
كذلك يجيب لانه يجوز ان يجيب بالمخالفة كما ان السايل يقول اتوافق في هذا
المذهب ام تخالف فيقول المجيب اخالف عن علي بن عيسى وقيل ان اجاب واستجاب
بمعنى **الاعراب** جواب ان محذوف وتقديره ان استطعت ذلك فافعل
قال الفراء وانما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب الا ترى
انك تقول للرجل ان استطعت ان تتصدق رايت ان تقوم معنا فتترك
الجواب للمعرفة فاذا قلت ان تقم تصب خيرا فلا بد من الجواب لان معناه لا يعرف
اذا طرح الجواب **المعنى** ثم بين الله تعالى ان هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال
مخاطبا للنبي عليه السلم وان كان كبر اي عظم واشتد عليك اعراضهم وانصرافهم
عن الايمان بك وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك فان استطعت
اي قدرت وتهيا لك ان تبتغي اي تطلب وتتخذ نفقا في الارض اي سربا او مكانا

في جوف الارض او سلما مصعدا في السماء ودرجا فتاتيهم باية اي حجة تلجيهم
الى الايمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتاتيهم باية افضل
مما اتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لا اية افضل واظهر من ذلك ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى بالالجاء وانما اخبر عز اسمه عن كمال قدرته وانه لو
شاء لالجاهم الى الايمان ولم يفعل ذلك لانه ينافي التكليف ويسقط استحقاق
الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الاية انه تعالى لا يشاء منهم ان
يؤمنوا مختارين او لا يشاء ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وانما نفى
المشية لما يلجيهم الى الايمان ليبين ان الكفار ان يغلبوه بكفرهم فانه لو اراد
ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد ان يكون ايمانهم على الوجه
الذي يستحق به الثواب الذي هو الغرض بالتكليف ولا ينافي التكليف فلا
تكونن من الجاهلين قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك
حال الجاهلين بان تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل ان هذا النهي للجهل عنه
اي لا تكن جاهلا بعد ان اتاك العلم باحوالهم وانهم لا يؤمنون والمراد فلا
تجزع ولا تتحسر لكفرهم واعراضهم عن الايمان وغلظ الخطاب تبعيدا وزجرا
عن هذه الحال ثم بين تعالى الوجه الذي لاجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الايمان
فقال انما يستجيب الذين يسمعون ومعناه انما يستجيب في اياتك فان من لم
يتفكر ولم يستدل بالايات بمنزلة من لم يسمع كما قيل لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي **وقال الاخر** اصم عما ساءه سميع والموتى يبعثهم
الله يريد ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقراه
عليهم وتبينه لهم من الايات والحجج بمنزلة الموتى فكما ايست ان تسمع الموتى كلامك
الى ان يبعثهم الله فكذلك فايس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب
المؤمن السامع للحق فاما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب الا ان يبعثه الله يوم
القيمة فيلجيه الى الايمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فاما

من كان قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بانهم يبعثهم ويحكم فيهم ثم اليه اى الى
الحكمة يرجعون وقيل معناه يبعثهم الله من القبر ثم يرجعون الى موقف الحساب
ثم عاد تعالى الى حكاية اقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم وقالوا لولا نزل
عليه اية من ربه هذا اخبار عن رؤسا قريش لما عجزوا عن معارضته فيما اتى به
من القران اقترحوا عليه مثل ايات الاولين كعصى موسى وناقة ثمود فقال تعالى
فى موضع اخر اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وقال ههنا قل يا محمد
ان الله تعالى قادر على ان ينزل اية اى اية تجمعهم على الهدى عن الزجاج وقيل
اية كما تسئلونها ولكن اكثرهم لا يعلمون ما فى انزالها من وجوب الاستيصال لهم
اذا لم يؤمنوا عند نزولها وما فى الاقتصار بهم على ما اتوه من الايات من المصلحة
وقيل معناه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فيما انزلنا من الايات مقنعا وكفاية
لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الاية فقالوا انها تدل
على ان الله تعالى لم ينزل على محمد اية اذ لو نزلها لذكرها عند سوال المشركين
اياها فقال لهم قد بينا انهم التمسوا اية مخصوصة وتلك لم نؤتوها ان المصلحة
منعت عن ايتائها وقد انزلت الايات الدالة على نبوته من القران واتاهم من المعجزات
الباهرة التى شاهدوها ما لو نظروا فيها او فى بعضها حق النظر لعرفوا صدقه
وصحة نبوته وقد بين فى اية اخرى ان لو انزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال
ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وفى موضع اخر وقالوا
لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله يعنى فى قدرة الله ينزل
منها ما شاء فقطع ما اعترضوا به قوله عز وجل وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ
مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اللغة
الدابة كل ما يدب من الحيوان واصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا

فيه تقارب خطو والدبوب والديبوب النمام وفى الحديث لا يدخل الجنة
ديبوب ولا قلاع فالديبوب النمام لانه يدب بالنميمة والقلاع الواشى بالرجل
ليقتلعه قال الازهرى تصغير الدابة دويبة الياء مخففة وفيها اشمام الكسر وفى
الحديث اتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوئب اراد الادب فاظهر التضعيف
وهو الكثير الوبر وقد دب يدب دبا والجناح احدى ناحيتى الطير اللتين يتمكن
بهما من الطيران فى الهوى واصله الميل الى ناحية الاعراب من مزيدة وتاويله
وما دابة ويجوز فى غير القران ولا طائر بالرفع عطفا الى موضع من دابة وقوله
من شيء من زائدة ايضا وتفيد التعميم اى ما فرطنا شيئا ما صم وبكم كلاهما خبر الذين
كقولهم هذا حلو حامض دخول الواو ولا يمنع من ذلك فانه بمنزلة قولك صم بكم
المعنى لما بين تعالى انه قادر على ان ينزل اية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن
تدبيره وحكمته فقال وما من دابة فى الارض اى ما من حيوان يمشى على وجه
الارض ولا طائر يطير بجناحيه ويدب ومما يسال عنه ان يقال لم قال يطير بجناحيه
وقد علم ان الطائر لا يطير الا بالجناح والجواب ان هذا انما جاء للتوكيد ورفع
اللبس لان القائل قد يقول طر فى حاجتى اى اسرع فيها وقال الشاعر قوم
اذا الشر ابدى ناجذيه لهم ❊ طاروا اليه زرافات ووحدانا وانشد سيبويه
فطرت بمنصلى فى يعملات ❊ دوامى الايد يخبطن السريحا ❊ وقيل انما قال بجناحيه
لان السمك يطير فى الماء ولا اجنحة لها وانما خرج السمك عن الطائر لانه من دواب البحر
وانما اراد تعالى ما فى الارض وما فى الجو الا امم اى اصناف مصنفة تعرف باسمائها
يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد امثالكم قيل انه يريد اشباهكم فى ابداع
الله تعالى اياها وخلقه لها ودلالتها على ان لها صانعا وقيل انما مثلت الامم
من غير الناس بالناس فى الحاجة الى مدبر يدبرهم فى اغذيتهم واكلهم ولباسهم
ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مراشدهم الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم وانهم
يموتون ويحشرون وبين بهذا انه لا يجوز للعباد ان يتعدوا فى ظلم شيء منها فان الله

خالقها والمنتصف لها ما فرطنا في الكتاب من شيء اي ما تركنا وقيل معناه ما
قصرنا واختلف في معنى الكتاب على احوال احدها انه يريد بالكتاب القرآن
لانه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه من امور الدين والدنيا اما مجملا واما مفصلا
والمجمل ما قد بينه عليه السلم وامر باتباعه في قوله ما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
ويروى عن عبد الله بن مسعود انه قال ما لي لا العن من لعنه الله في كتابه
يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقرأت المراة التي سمعت ذلك
منه جميع القران ثم اتته وقالت يا ابن ام عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين
فلم اجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه قال الله تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وان مما اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال لعن الله
الواشمة والمستوشمة وهذا قول اكثر المفسرين واختيار البلخي وثانيها ان المراد
بالكتاب ههنا الكتاب الذي عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون وهو
اللوح المحفوظ وفيه اجال الحيوان وارزاقه واثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى
بالاحصاء والاستقصاء عن الحسن وثالثها ان المراد بالكتاب الاجل اي ما تركنا
شيئا الا وقد اوجبنا له اجلا ثم يحشرون جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد ثم
الى ربهم يحشرون معناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيمة كما يحشر العباد
فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض منها وينتصف لبعضها من بعض وفيما روي
عن ابي هريرة انه قال يحشر الله الخلق يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شيء
فيبلغ من عدل الله يومئذ ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك
يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله صلى الله
عليه واله اذ انتطحت عنزان فقال النبي صلى الله عليه واله اتدرون فيما انتطحا فقالوا
لا ندري قال لكن الله يدري ويستقضي بينهما وعلى هذا فانما جعلت امثالنا في
الحشر والاقتصاص واختار الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يبعثون ويؤيده قوله

تعالى

تعالى واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث لا يملك النفع والضر
الا الله تعالى اذ لم يمكن منه كما مكن في الدنيا واستدلت جماعة من اهل التناسخ
بهذه الاية على ان البهائم والطيور مكلفة لقوله امم امثالكم وهذا باطل لانا
قد بينا انها من اي وجه تكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب
ان تكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهياتنا وخلقنا واخلاقنا فكيف
يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل والذين
كذبوا باياتنا اي بالقران وقيل بسائر الحجج والبينات صم وبكم قد بينا معناهما
في سورة البقرة في الظلمات اي في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون الى شيء
من منافع الدين وقيل انهم صم وبكم في الظلمات في الاخرة على الحقيقة عقابا لهم
على كفرهم لانه ذكرهم عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي من يشاء الله يضلله
هذا مجمل قد بينه في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين
والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلم والمعنى
من يشاء الله يخذله بان يمنعه الطافه وفوائده وذلك اذا واتر عليه الادلة
واوضح عليه الحجج فاعرض عنها ولم ينعم النظر فيها ويجوز ان يريد من يشاء الله
اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه ومن يشاء يجعله على صراط
مستقيم اي ومن يشاء ان يرحمه ويهديه الى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه
المؤمنون الى الجنة قوله تعالى قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ
السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ان كنتم
صادقين بل اياه تدعون فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ
مَا تُشْرِكُونَ اثنان القراءة قرا اهل المدينة ارايتكم وارايتم وارايت واشباه ذلك
بتخفيف الهمزة كل القران وقرا الكسائي وحده ارايتكم وارايت وارايتم كل القران
بترك الهمزة وقرا الباقون بالهمزة في الجميع كل القران الحجة قال ابو علي من حقق
الهمزة فوجه قراءته بين لانه فعلت من الرؤية فالهمزة عين الفعل ومن قرا بالف في كل

ع
١١

القران من غير همز على مقدار ذوق الهمز فانه يجعل الهمزتين بين اى بين الالف والهمزة واما الكسائى فانه حذف الهمز حذفا الا ترى ان التخفيف القياسى فيها ان تجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا ويلمه وكما انشد احمد بن يحيى ان لم اقاتل فالبسونى برقعا ۞ وكقول ابى الاسود يا با المغيرة رب امر معضل ۞ ومما جاء على ذلك قول الاخر ارايت ان جئت به املودا ۞ مرجلا ويلبس البرودا ۞ ومما يقوى على ذلك قول الشاعر ومن رء مثل معدان بن ليلى ۞ اذا ما النسع طال على المطية الاعراب ارايتكم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع منه لانه لو كان اسما لوجب ان يكون الاسم الذى بعده فى نحو قوله ارايتك هذا الذى كرمت على وارايتك زيدا ما صنع هو الكاف فى المعنى لان رايت يتعدى الى مفعولين يكون الاول منهما هو الثانى فى المعنى وقد علمنا انه ليس الكاف فى المعنى واذا لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسمية كالكاف فى ذلك وهنالك وكذا فى انت واذا ثبت انه للخطاب فالتاء فى رايت لا يجوز ان يكون للخطاب لانه لا يجوز ان يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتانيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك افردت التاء فى جميع الاحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل فى جميع الاحوال على لفظ واحد لان ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين فيخصص التانيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التانيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق الكاف فكان يودى الى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام ابى على الفارسى وجواب ان من قوله ان اتيكم عذاب الله الفعل الذى دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول ان اتاك زيد اتكرمه وموضع ان وجوابه نصب لانه فى موضع مفعولى رايت وقوله ان كنتم صادقين جوابه محذوف يدل عليه قوله ارايتكم لانه فى معنى اخبروا فكانه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم المعنى ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بمحاجة الكفار فقال قل يا محمد

لهؤلاء ارايتكم ان اتاكم عذاب الله فى الدنيا كما نزل بالامم قبلكم مثل عاد وثمود او اتتكم الساعة اى القيامة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذى يصعق فيه العباد واسم للوقت الذى يبعث فيه العباد والمعنى او اتتكم الساعة التى وعدتم فيها بالبعث والفناء لان قبل البعث يموت الخلق كلهم اغير الله تدعون اى اتدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التى تعلمون انها لا تقدر ان تنفع انفسها ولا غيرها او تدعون الله الذى هو خالقكم ومالككم لكشف ذلك عنكم ان كنتم صادقين فى ان هذه الاوثان الهة لكم احتج تعالى عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله قال بل اياه تدعون وبل استدراك وايجاب بعد نفى اعلمهم تعالى انهم اذا لحقتهم الشدائد فى البحار والبرارى والقفار يتضرعون اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه فيكشف ما تدعون اليه ان شاء اى يكشف الضر الذى من اجله دعوتم ان شاء ان يكشفه وتنسون ما تشركون اى تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لانه ليس عندهم ضر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد الى الموصول محذوفا للعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه انكم فى ترككم دعاهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لانه قال تعرضون عنه اعراض الناسى اى لليأس فى النجاة من مثله ويجوز ان يكون مع ما تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم قوله عز وجل وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اربع ايات القراءة قرا ابو جعفر فتحنا بالتشديد فى جميع القران ووافقه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فانه خففهما ووافقهما يعقوب فى القمر وقرا الباقون فى جميع ذلك بالتخفيف

الاموضع قد اختلفوا فيها سنذكرها ان شاء الله اذا بلغنا الى مواضعها الحجة
من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك اللغة البأساء من البأس
والخوف والضراء من الضر وقد يكون البأساء من البوس والتضرع التذلل يقال
ضرع فلان لفلان اذا بخع له بسؤاله ان يعطيه والمبلس الشديد الحسرة قال الفراء
المبلس المنقطع الحجة قال رؤبة وحضرت يوم الخميس الاخماس وفي الوجوه صفرة
وابلاس دابر القوم الذين يدبرهم ويدبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم
ويأتي على اعقابهم فانشد آل المهلب جز الله دابرهم اضحوا رمادا فلا اصل ولا
طرف وقال الاصمعي الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اي اصله وانشد فدى
لكما رحلي وناقتي غداة الكلاب اذ تحز الدوابر اي يقتل القوم فتذهب اصولهم
فلا يبقى لهم اثر وقال غيره دابر الامر اخره وروي عن عبد الله انه قال من الناس
من لا يأتي الصلوة الا دبريا بضم الدال يعني في اخر الوقت كذا يقوله اصحاب الحديث
قال ابو زيد الصواب دبريا بفتح الدال والباء الاعراب لولا للتحضيض ولا
يدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على
تاويل الكلام الاول فان في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم يتضرعوا
قوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي اخذناهم مباغتين المعنى ثم اعلم الله
تعالى نبيه حال الامم الماضية في مخالفة رسله وبين ان حال هؤلاء اذا سلكوا
طريق المخالفة كحالهم في نزول العذاب بهم فقال ولقد ارسلنا وها هنا محذوف
وتقديره رسلا الى امم من قبلك فخالفوهم فاخذناهم وحسن الحذف للايجاز
والاختصار من غير اخلال بالدلالة مفهوم الكلام عليه بالبأساء والضراء يريد بالفقر
والبوس والاسقام والاوجاع عن ابن عباس والحسن لعلهم يتضرعون ومعناه
لكي يتضرعوا قال الزجاج لعل ترج وهذا الترجي للعباد فاخذناهم بذلك ليكون
ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى قال
سيبويه المعنى اذهبا انتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك خبر الله تعالى

انه ارسل الرسل الى اقوام بلغوا من القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم
ليخضعوا ويذلوا لامر الله تعالى فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسلية للنبي عليه السلام
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه فهلا تضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكن قست
قلوبهم فاقاموا على كفرهم ولم تنجع فيهم العظة وزين لهم الشيطان بالوسوسة
والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة ما كانوا يعملون يعني اعمالهم وفي
هذا حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافر الايمان لانه تعالى بين انه انما فعل
ذلك بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قاله
المجبرة من انه سبحانه من الذي زين لهم ذلك فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا
به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقيل ما تركوا ما دعاهم اليه الرسل
عن مقاتل فتحنا عليهم ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى
انه تعالى امتحنهم بالشدائد لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب
النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا بذلك في نعيم الاخرة وانما فعل ذلك بهم
وان كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والانعام ليدعوهم
ذلك الى الطاعة فان الدعاء الى الطاعة يكون تارة بالعنف وتارة باللطف
او لتشديد العقوبة من النقل من النعيم الى العذاب الاليم حتى اذا فرحوا بما اوتوا
من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا السرور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله
تعالى حتى يشكروه اخذناهم اي احللنا بهم العقوبة بغتة اي مفاجأة من حيث لا
يشعرون فاذا هم مبلسون اي آيسون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة
خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة والمعاني متقاربة والمراد بقوله
ابواب كل شيء التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شيء
والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة وآتيناهم خيرا كثيرا وروي عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال اذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج
منه ثم تلا هذه الاية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال اذا

رأيت بك يتابع عليك نعمه فاحذره فقطع دابر القوم الذين ظلموا معناه فاستؤصل
الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل والحمد لله رب العالمين على
اهلاك اعدائه واعلاء كلمة رسله حمد الله تعالى نفسه بان استاصل شافتهم
وقطع دابرهم لانه ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم واخذهم بالباساء والضراء
واختبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الانذار والامهال والانظار
فهو المحمود في كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر
الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى علي
بن ابراهيم عن ابيه عن القسم بن محمد عن سليمان بن داوود المنقري عن فضيل بن
عياض عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن الورع قال الورع الذي يتورع
عن محارم الله ويجتنب هؤلاء واذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه
واذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب ان يعصى الله ومن احب ان
يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء الظالمين فقد احب ان يعصى
الله وان الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين قوله عز وجل قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ
وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً
هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ
فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ اربع آيات اللغة صدف عن الشيء صدوفا
اذا مال عنه والصدف والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع
وفي الحديث كان عليه السلام اذا مر بصدف مائل اسرع المشي الاعراب من اله
مبتدأ وخبره وغير صفة اله وهذه الجملة في موضع مفعولي ارايتم ومن استفهام علق
الفعل الذي هو رايتم فلم يعمل في مفعوليه لفظا وقوله ان اخذ الله سمعكم جواب

محذوف

محذوف وتقديره فمن يأتيكم به الا انه اغنى عنه قوله من اله غير الله يأتيكم به الذي
هو مفعول ارايتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لاضربنه
ان ذهب او مكث فان قولك ان ذهب او مكث وقع موقع ذاهبا او ماكثا وتقديره
مقدرا ذهابه او مكثه ويدل على انه في موضع الحال مشابهة المفرد في انه لا يستقل
بنفسه كما تستقل الجمل وان كان جملة في المعنى فانه بدخول حرف الشرط قد صار
بمنزلة المفرد في الحاجة الى ما يسند اليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة اتصاله بما قبله
حاجته الى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه الى ما قبله وليس شيء من الفضلات
تقع الجملة موقعه غير الحال فثبت انه في موضع منصوب وهو حال فان قيل ان
الجزاء مقدر والشرط المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وانما كان هذا
الاستدلال يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر قيل الجزاء وان كان مقدرا لا حكم له لانه
لا يجوز اظهاره وانما هو شيء يثبت من جهة التقدير فضعف امره ولو جاز اظهاره
لكان في موضع الحال هذا ماخوذ من كلام ابي علي الفارسي ذكره في القصريات
مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه لم يسبق اليه وقوله يأتيكم به في موضع رفع بانه
صفة اله المعنى ثم زاد تعالى في الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار
ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اي ذهب بهما فصرتم صما عميا وختم على قلوبكم
اي طبع عليها وقيل يذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفهمون شيئا وانما
خص هذه الاشياء بالذكر لان بها تتم النعم دينا ودنيا من اله غير الله يأتيكم بما اخذ
منكم ويجوز ان يكون عائدا الى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلا في القصة
معه اذا كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين تعبدون
ان يجعلوا لكم اسماعا وابصارا وقلوبا تعقلون بها وتفهمون اي ان اخذها الله
منكم فمن يردها عليكم بين سبحانه بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك
يجب ان لا تعبدوا سواه انظر كيف نصرف الايات اي نبين لهم في القران الايات
عن الكلبي وقيل تصريف الايات توجيهها في الجهات التي تظهرها اتم الاظهار

مرة فى جهة النعمة ومرة فى جهة الشدة وقيل تصريف الايات احداثها دالة على وجو
كما ان الايات المعجزة يدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبى وصدقه
ثم هم يعنى الكفار يصدفون اى يعرضون عن تامل الايات والفكر فيها وقيل
اعراضهم عنها كفرهم بها وانما قال انظر لانه تعالى عجب اولا من تتابع نعمه عليهم
وضروب دلايله من تصريف الايات واسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من اعراضهم
عنها ثم زاد سبحانه فى الحجاج فقال قل ارايتكم اى اعلمتكم ان اتاكم عذاب الله اى
عذبكم الله بعد اعذار اليكم وارساله الرسل بغتة اى مفاجاة او جهرة اى علانية
وانما قابل البغتة بالجهرة لان البغتة تتضمن معنى الخفية لانهم ياتيهم من حيث لا
يشعرون وقيل البغتة ان تاتيهم ليلا والجهرة ان ياتيهم نهارا عن الحسن هل
يهلك اى لا يهلك بهذا العذاب الا القوم الظالمون اى الكافرون الذين
يكفرون بالله ويفسدون فى الارض وقيل انهم كانوا يستدعون العذاب فبين
انه اذا نزل لا يهلك به الا الكافر فان هلك فيه مؤمن او طفل فانما يهلك محنة
ويعوضه الله على ذلك اعواضا كثيرة يصغر ذلك فى جنبها والمراد بذلك عذاب
الدنيا دون عذاب الاخرة ثم بين سبحانه انه لا يبعث الرسل اربابا يقدرون على
كل شى يسالون عنه من الايات وانما يرسلهم لما يعلمه من المصالح فقال وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين ثم ذكر ثواب من صدقهم فى باقى الاية وعقاب
من كذبهم فى الاية الثانية فقال فمن امن اى صدق الرسل واصلح اى عمل صالحا
فى الدنيا فلا خوف عليهم فى الاخرة ولا هم يحزنون كما يحزن اهل النار وقيل لا يحزنون
على ما يخلفوا وراءهم فى الدنيا والذين كذبوا باياتنا اى ادلتنا
وحججنا وقيل محمد ومعجزاته يمسهم العذاب اى يصيبهم العذاب يوم القيمة بما كانوا
يفسقون اى بفسقهم وخروجهم عن الايمان قوله عز وجل قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ
إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ آيه

اللغه

اللغه الخزاين جمع الخزانه وهى اسم المكان الذى يخزن فيه الشى وخزن الشى
احرازه بحيث لا تناله الايدى ومنه خزن اللحم ويخزن خزنا اذا تغير لانه يخبا
حتى ينتن المعنى ثم امر النبى صلى الله عليه واله ان يقول لهم بعد اقتراحهم الايات
منه اى لا ادعى الربوبية وانما ادعى النبوة فقال قل يا محمد لا اقول لكم ايها
الناس عندى خزاين الله يريد خزاين رحمة الله عن بن عباس وقيل خزاين الله
مقدوراته عن الجبائى وقيل ارزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعا فى المال ولا اعلم الغيب
الذى يختص الله تعالى بعلمه وانما اعلم ما يعلمنى الله تعالى من امر البعث والنشور
والجنة والنار وغير ذلك وقيل عاقبة ما تصيرون اليه عن ابن عباس ولا اقول
انى ملك لانى انسان تعرفون نسبى يريد لا يقدر على ما يقدر عليه الملك وقد
استدل بهذا على ان الملئكة افضل من الانبياء وهذا بعيد لان الفضل الذى
هو كثرة الثواب لا معنى له ههنا وانما المراد لا اقول انى ملك فاشاهد من امر الله
وغيبه عن العباد ما تشاهده الملئكة ان اتبع الا ما يوحى الى يريد ما اخبركم الا
بما انزله الله الى عن بن عباس وقال الزجاج اى ما انبأتكم به من غيب فيما مضى
وفيما سيكون فهو بوحى من الله عز وجل ثم امره سبحانه فقال قل يا محمد لهم
هل يستوى الاعمى والبصير اى هل يستوى العارف بالله سبحانه العالم بدينه
والجاهل به وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله
وبنبيه هذا قول الحسن واختاره الجبائى وفى تفسير اهل البيت عليهم السلام
هل يستوى من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوى من صدق على نفسه
واعترف بحاله التى هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن البيان
وعمى عن الخلق عن البلخى افلا تتفكرون فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب
عليكم من الاقرار بالتوحيد ونفى التشبيه وهذا استفهام يراد به الاخبار يعنى انهما
لا يستويان قوله عز وجل وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ايه الاعراب

الهاء في به يعود الى ما من قوله ما يوحى الي وليس مع اسمه وخبره في موضع
نصب على الحال من يخافون كانه قيل متخلين من ولي ولا شفيع المعنى ثم امر سبحانه
بعد تقديم البيان بالانذار فقال وانذر اي عظ وخوف به اي بالقران
عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك والذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
يريد المؤمنين يخافون يوم القيمة وما فيها من شدة الاهوال عن ابن عباس
والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون ان يحشروا علما بانه
سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون بيعلمون قال الزجاج المراد
بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر دون
غيرهم وهو صلى الله عليه واله ينذر جميع الخلق لان الذين يخافون الحشر الحجة
عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق عليه السلم انذر بالقران من
يرجون الوصول الى ربهم ترغبهم فيما عنده فان القرآن شافع مشفع لهم ليس لهم
من دونه اي غير الله ولي ولا شفيع عن الضحاك وقال الزجاج ان اليهود والنصارى
ذكرت انها ابناء الله واحباؤه فاعلم الله عز اسمه ان اهل الكفر ليس لهم من دون
الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قال ظاهر في اهل الكفر والمفسرون على ان الآية
في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على ان شفاعة
الانبياء وغيرهم للمؤمنين انما يكون باذن الله لقوله سبحانه من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه فذلك راجع الى الله تعالى لعلهم يتقون كي يخافوا في الدنيا وينتهوا
عما نهيتهم عنه عن ابن عباس قوله عز وجل وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ
حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ
آيتان القراءة قرأ ابن عامر بالغدوة والعشي في كل القران بواو والباقون
والغداة بالف الحجة قال ابو علي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام

فاما

فاما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو علم صنع له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد
منهما اسما للجنس كما جعلوا ام حبين اسما للدابة معروفة قال وزعم يونس عن ابي
عمرو وهو القياس انك اذا قلت لقيته يوما من الايام غدوة او بكرة وانت
تريد المعرفة لم تنون فهذا يقوي قراءة من قرأ بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن
عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز ان تقول اتيتك اليوم غدوة وبكرة
تجعلهما بمنزلة ضحوة ومن حجته ان بعض اسماء الزمان جاء معرفة بغير الف
ولام نحو ما حكاه ابو زيد من قولهم لقيته فينة غير معروف والفينة بعد الفينة
فالحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياع
كما يقدر فيه ذلك اذا ثني وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل
ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا واتيتك يوم الاثنين
مباركا فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالالف واللام ومن ثم انتصب الحال
ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل اما ان يكون جعل عرسا نكرة وان كان علما
واما ان يكون اخبر عنه بخبرين الاعراب فتطردهم جواب للنفي في قوله ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب لانه
جواب للنهي وهو قوله ولا تطرد اي لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا
تقديره في مواضع النزول روى الثعلبي باسناده عن عبد الله بن مسعود
قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده صهيب وخباب
وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء من
قومك افنحن نكون تبعا لهم اهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك
ان طردتهم اتبعناك فانزل الله تعالى ولا تطرد الى اخره وقال سلمان وخباب فينا
نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وذووهم
من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله قاعدا مع بلال وصهيب
وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم فقالوا يا رسول الله لو نحيت

هؤلاء عنك حتى نخلوا بك فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان يرونا مع
هؤلاء الاعبد ثم اذا انصرفنا فان شئت فاعدهم الى مجلسك فاجابهم النبي
صلى الله عليه واله الى ذلك فقالا له اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعى
بصحيفه واحضر عليا عليه السلام قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرئيل
عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين
فنحى رسول الله صلى الله عليه واله الصحيفه واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول
كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا
فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية قال فكان
رسول الله يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة
التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني
ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات المعنى ثم نهى سبحانه
رسوله عليه السلام عن اجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريد يعبدون ربهم بالصلوة
المكتوبة يعني صلوة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده وقيل
المراد بالدعاء هاهنا الذكر اي يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابراهيم وروى
عنه ايضا ان هذا في الصلوات الخمس يريدون وجهه يعني يطلبون ثواب
الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله لا يعدلون بالله شيئا عن عطاء قال الزجاج
شهد الله لهم بصدق النيات وانهم مخلصون في ذلك له اي يقصدون
الطريق الذي امرهم بقصده فكانه ذهب في معنى الوجه الى الجهة والطريق ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء يريد ما عليك من حساب المشركين
شيء ولا عليهم من حسابك شيء انما الله الذي يثيب اولياءه ويعذب اعداءه عن ابن
عباس في رواية عطاء واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون ربهم
وهو الاشبه وذكروا فيه وجهين احدهما ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم

من شيء

من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله سبحانه في قصة نوح ان حسابهم
الا على ربي وهذا لان المشركين ازدروهم لفقرهم وحاجتهم في الاعمال الدنية
وهم عليه السلام برفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم
من شيء اي لا يلزمك عار بعملهم فتطردهم ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء
تاكيدا لمطابقة الكلام وان كان مستغنى عنه بالاول والوجه الثاني ما عليك
من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم اي ليس رزقهم عليك وانما رزقك
واياهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لهم
بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس
قال ابن الانباري عظم الامر في هذا على النبي صلى الله عليه واله وخوف الدخول
في جملة الظالمين لانه كان قد هم بتقديم الرؤساء واولي الاموال على الضعفاء
مقدرا انه يستجر باسلامهم اسلام قومهم ومن لف لفهم وكان عليه السلام لم
يقصد في ذلك الا قصد الخير ولم ينو به ازدراء بالفقراء فاعلمه الله تعالى ان
ذلك غير جائز ثم اخبر الله سبحانه انه يمتحن الفقراء بالاغنياء والاغنياء بالفقراء
فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير والشريف
بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي فاذا نظر الشريف الى الوضيع
قد آمن قبله حمى آنفا ان يسلم ويقول سبقني هذا بالاسلام فلا يسلم وانما قال
سبحانه فتنا وهو لا يحتاج الى الاختبار لانه عاملهم معاملة المختبر ليقولوا هذه اللام
لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فآل امرهم الى هذه العاقبة اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا والاستفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان يكونوا
سبقوهم بفضيلة او خصوا بمنة وقال ابو علي الجبائي المعنى في فتنا شددنا التكليف
على اشراف العرب بان امرناهم بالايمان وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم
لتقدمهم اياهم في الايمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سماه الله فتنة
وقوله ليقولوا اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا

على وجه الانكار اهؤلاء من الله عليهم بالايمان اذا راوا النبي يقدم هؤلاء عليهم
وليرضوا بذلك من فعل رسول الله ولم يجعل هذه الفتنة والشدة في التكليف
ليقولوا ذلك على وجه الانكار لان انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله
سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه ولانه لو اراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين
له لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله اليس الله باعلم بالشاكرين هذا استفهام
تقرير اي انه كذلك كقول جرير الستم خير من ركب المطايا وفي هذا دليل واضح
على ان فقراء المؤمنين وضعفاءهم اولى بالتقديم والتقريب والتعظيم من
اغنيائهم ولقد قال امير المؤمنين علي عليه السلام من اتى غنيا لغناه ذهب ثلثا
دينه قوله عز وجل وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ
مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ايه القراءة قرا اهل المدينة انه من عمل
بالفتح فانه بالكسر وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب انه بفتح الالف فيهما وقرا
الباقون انه فانه بالكسر فيهما الحجة قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جعله
تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد واما كسر فانه غفور
رحيم فلان ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم حمل قوله فينتقم الله منه على ارادة
المبتدا بعد الفاء وحذفه واما من فتح ان في قوله انه فانه جعل ان الاولى
بدلا من الرحمة كانه قال كتب ربكم على نفسه انه من عمل واما فتحها بعد الفاء
فعلى انه اضمر له خبرا وتقديره فله انه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون
الفتح في قول من فتح الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم
تقديره فله ان له نار جهنم الا ان الاضمار هنا احسن لان ذكره قد جرى في قوله
ان له وان شئت قدرت فامره ان له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدا المضمر
واما قراءة كتب ربكم انه فانه فالقول فيهما انه ابدل من الرحمة ثم استانف ما بعد
الفاء اللغة قال المبرد السلام في اللغة اربعة اشياء مصدر سلمت سلاما وجمع

سلامة

سلامة واسم من اسماء الله عز وجل وشجر في قوله الاسلام وخرمل ومعنى السلام
الذي هو مصدر انه دعاء للانسان بان يسلم من الآفات والسلام اسم الله
تاويله ذو السلام الذي هو التخلص من المكروه واما السلام الشجر فهو شجر
قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سميت بذلك لسلامتها
من الرخاوة والصلح يسمى السلم والسلم لان معناه السلامة من الشر والسلم الدلو
التي لها عروة واحدة لانها اسلم الدلاء من الآفات النزول اختلف فيمن نزلت
فيه هذه الاية فقيل نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان النبي
صلى الله عليه وآله اذا راهم بداهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي
من امرني ان ابداهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة
وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطاء وقيل ان جماعة اتوا رسول الله
فقالوا انا اصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت الآية
عن انس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام
المعنى ثم امر نبيه سبحانه عليه السلام بتعظيم المؤمنين فقال واذا جاءك يا محمد
الذين يؤمنون اي يصدقون باياتنا اي حججنا وبراهيننا فقل سلام عليكم
ذكر فيه وجوه احدها انه امره عليه السلام ان يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية
من الله على لسان نبيه عن الحسن وثانيها ان الله تعالى امر نبيه ان يسلم عليهم تكرمة
لهم عن الجبائي وثالثها ان معناه اقبل عذرهم واعترافهم وبشرهم بالسلامة مما
اعتذروا منه عن ابن عباس كتب ربكم اي اوجب ربكم على نفسه الرحمة ايجابا موكدا
عن الزجاج قال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما
يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في
اول السورة انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال الزجاج يحتمل الجهالة هنا وجهين
احدهما انه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه اي لم يعرف ان فيه مكروها والآخر
انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه اثر العاجل فجعل جاهلا بانه اثر النفع القليل

على الراحة الكثيرة والعاقبة الداعية وهذا اقوى ومثله قوله سبحانه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية وقد ذكرنا ما فيه هناك ثم تاب من بعده واصلح اى رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل واصلح فانه غفور رحيم

قوله عز وجل وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ اية

القراءة قرا اهل المدينه ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرا اهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرا الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع الحجه من قرا لتستبين بالتاء سبيل رفعا جعل السبيل فاعلة فانثه كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبويه استبان الشي واستبنته ومن قرا بالياء سبيل رفعا فالفعل مسندا الى السبيل الا انه ذكر كما في قوله سبحانه يتخذوه سبيلا والمعنى ليستبين سبيل المومنين وسبيل المجرمين لان ذكر احدى السبيلين يدل على الاخر ومثله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرا بالياء ونصب اللام فتقديره وليستبين السايل سبيل المجرمين الاعراب كذلك الكاف في موضع نصب بانه مفعول نفصل وذلك مجرور الموضع باضافة الكاف اليه ويقال ما المشبه وما المشبه به في قوله وكذلك وفيه جوابان احدهما التفصيل الذى تقدم في صفة المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلايل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف للحق والثانى ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الايات لكم نفصلها لغيركم المعنى ثم عطف سبحانه على الايات التى احتج بها على مشركي العرب وغيرهم فقال وكذلك اى كما قدمنا نفصل الايات وهى الحجج والدلالات اى نميزها ونبينها ونشرحها على صحة قولكم وبطلان ما يقوله هولاء الكفار ولتستبين سبيل المجرمين بالرفع اى ليظهر طريق من عاند بعد البيان واذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم لذلك من المومنين ليجانبوها ويسلكوا غيرها وبالنصب ليعرف السايل والسامع او لتعرف انت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد ما هم عليه من الكفر والعناد والاقدام على المعاصى والجرائم المودية الى النار وقيل

ان المراد

ان المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الاذلال والبراءة منهم والامر بالقتل والسبى ونحو ذلك والواو في ولتستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير ليتفقهوا ولتستبين سبيل المجرمين والمومنين وجاز الحذف لان فيما ابقى دليلا على ما القى

قوله تعالى قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ اية

القراءة روى في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها الحجة وهما لغتان ضللت تضل وضللت تضل قال ابو عبيدة واللغة العاليه الفتح الاعراب معنى من في قوله من دون الله اضافة الدعاء الى دون بمعنى ابتداء الغاية ومعنى اذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها المعنى ثم امر سبحانه نبيه بان يظهر البراءة مما يعبدونه فقال قل يا محمد انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعنى الاصنام التى تعبدونها وتدعونها آلهة قل يا محمد لا اتبع اهواءكم في عبادتها اى انما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينه والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع اهواءكم في طرد المومنين قد ضللت اذا اى ان فعلت ذلك عن ابن عباس وما انا من المهتدين الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما انا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى

قوله تعالى قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ايتان

القراءة قرا اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بالصاد والباقون يقضى الحق الحجه حجة من قرا يقضى قوله والله يقضى بالحق وحكى عن ابى عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين في ان الفصل في الحكم ليس في القصص وحجة من قرا يقص قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول ايضا في نحو قوله انه لقول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة

مصدر محذوف تقديره يقضى القضاء الحق ويقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله وعليهما مرودتان قضاهما داوود او صنع السوابغ تبع **اللغه** البينه الدلالة التى تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشئ فى غير وقته والحكم فصل الامر على التمام **الاعراب** يقال لم قال كذبتم به والبينة مونثه قيل لان البينة بمعنى البيان فالهاء كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب فى قوله ربى وقوله كذبتم قد مضمر معه لانه فى موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضى الا ومعه قد اما مظهرة او مضمرة **المعنى** لما امر النبى صلى الله عليه واله وان يتبرا مما يعبدون عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة من ذلك وبينه وانه لا بينة لهم فقال قل يا محمد لهولاء الكفار انى على بينة من ربى اى على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينه النبوة اى على نبوة من ربى وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتى وهى القران عن الجبائى وقيل على يقين من ربى عن ابن عباس وكذبتم به اى بما اتيتكم به من البيان يعنى القران ما عندى اى ليس عندى ما تستعجلون به قيل معناه الذى تطلبونه من العذاب كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالذى تعدنا وهذا كقوله ويستعجلونك بالعذاب عن ابن عباس والحسن وقيل هى الايات التى اقترحوها عليه استعجلوه بها فاعلم الله سبحانه ان ذلك عنده فقال ان الحكم الا لله يريد ان ذلك عند الله عن ابن عباس يعنى ليس الحكم فى الفصل بين الحق والباطل وفى انزال الايات الا لله يقضى الحق اى يفصل الحق من الباطل ويقص الحق اى يقوله ويخبر به وهو خير الفاصلين لانه لا يظلم فى قضاياه ولا يجور عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم ان الظلم والقبائح بقضائه لان من المعلوم ان ذلك كله ليس بحق قل يا محمد لهولاء الكفار لو ان عندى اى بمكنتى وارادتى ما تستعجلون به من انزال العذاب بكم لقضى الامر

بينى وبينكم اى لفرغ من الامر باهلاككم فاستريح منكم غير ان الامر فيه الى الله تعالى والله اعلم بالظالمين وبوقت عذابهم وما يصلحهم وفى هذا دلالة على انه سبحانه انما يوخر العقوبة لضرب من المصلحة اما لان يومنوا او لغير ذلك من المصالح فهو يدبر على ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة **قوله تعالى** وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ايتان **اللغه** المفاتح جمع مفتح ومفتح فالمفتح بالكسر المفتاح الذى يفتح فيه والفتح الميم الخزائن وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهو مفتح قال الفراء فى قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة يعنى خزائنه والتوفى قبض الشئ على التمام يقال توفيت الشئ واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجارحة واجتراح الاكتساب **الاعراب** ولا حبة تقديره ولا يسقط من حبة ثابتة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس وقوله الا فى كتاب مبين الجار والمجرور فى موضع الرفع لانه خبر الابتداء تقديره الا هو فى كتاب مبين ولا بد من هذا التقدير لانه لو لم يكن محمولا على هذا لوجب ان لا يعلمها فى كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك فى كتاب مبين والاستثناء منقطع **المعنى** لما ذكر سبحانه انه اعلم بالظالمين بين عقيبه انه لا يخفى عليه شئ من الغيب ويعلم اسرار العالمين فقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو معناه وعنده خزائن الغيب الذى فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها الا هو ومن اعلمه به وعلمه اياه وقيل معناه وعنده مقدورات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده باعلامه به وتعليمه اياه وتيسيره السبيل اليه ونصبه الادلة له ويغلق عمن يشاء بان لا ينصب الادلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة الى علم الغيب وكل ما لا يعلم اذا استعلم يقال فيه افتح على وقال

بن عمر وفاتح الغيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الاية وقال بن عباس معناه
وعنده خزائن الغيب من الارزاق والاعمار وتاويل الاية ان الله تعالى عالم بكل
شيء من مبتدأت الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجيله اصوب واصلح ويؤخر
ما تاخيره اصوب واصلح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء
لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله ويعلم
ما في البر والبحر من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها
ماء وما تسقط من ورقة الا يعلمها قال الزجاج المعنى انه يعلمها ساقطة و
ثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تاويله الا وانا اعرفه
في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت
ظهر البطن عند سقوطها ولا حبة في ظلمات الارض معناه وما تسقط من حبة
في باطن الارض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الارض لانه لا يدرك كما لا
يدرك ما حصل في الظلمة وقال بن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل الارضين
السبع او تحت حجر او شيء ولا رطب ولا يابس قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب
ولا يابس لان الاجسام كلها لا تخلو من احد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع
ولا مفترق لان الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة او مفترقة وقيل يريد
ما ينبت وما لا ينبت عن بن عباس وعنه ايضا ان الرطب الماء واليابس البادية
وقيل الرطب الحي واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال
الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما يحيى واليابس
ويغيض الا في كتاب مبين معناه الا وهو مكتوب في كتاب مبين اي في اللوح
المحفوظ ليحفظها ويدرسها فانه كان عالما بها قبل ان كتبها ولكن ليعارض
الملائكة الحوادث على مر الايام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيه
فيزدادون علما ويقينا بصفات الله تعالى وايضا فان المكلف اذا علم ان
اعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قويت دواعيه الى الافعال

الحسنة

الحسنة وترك القبائح وقال الحسن هذا توكيد في الزجر عن المعاصي والحث على
البر لان هذه الاشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة عنده
محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان
قوله في كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول
القائل لغيره ما تصنعه عندي مسطر مكتوب وانما يريد بذلك انه حافظ
له يريد مكافاته عليه وانشد ان لسلمى عندنا ديوانا عن البلخي قال الجرجاني
صاحب النظم ثم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استانف خبرا اخر بقوله الا
في كتاب مبين ايضا لانك لو جعلت قوله الا في كتاب متصلا بالكلام الاول
لفسد المعنى وامانه سبحانه بهذه الاية على انه عالم لذاته من حيث انه لو كان
عالما بعلم لوجب احد ثلثة اشياء كلها فاسدة اما ان يكون له علوم غير
متناهية واما ان يكون معلوماته متناهية او يتعلق علم واحد بمعلومات
غير متناهية وكلها باطل بالدليل ونبه في الاية التي تليها على انه قادر لذاته
من حيث انه قادر على الاحياء والاماتة فقال وهو الذي يتوفاكم بالليل
اي يقبض ارواحكم عن التصرف عن بن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى
وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الاية عن الزجاج والجبائي ويعلم
ما جرحتم بالنهار اي كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار اي كسبتم من الاعمال
على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة الى رحمته حيث يعلم مخالفتهم اياه ثم لا يعاجلهم
بعقوبة ولا يمنعهم فضله ورحمته ثم يبعثكم فيه اي ينبهكم من نومكم في النهار
عن الزجاج والجبائي جعل انباههم من النوم بعثا ليقضى اجل مسمى معناه
ليستوفوا اجالكم وترتيب الاية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم في النهار
على علم بما تجترحون بالنهار ليقضى اجل مسمى فاللام يتصل بقوله ثم يبعثكم
فيه الا انه قدم ما من اجله بعثنا بالنهار لانه اهم والعناية به اشد عن علي بن

عيسى ومعنى القضا فصل الامر على تمام ومعنا قضاء الاجل فصل مدة
العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على النشأة الثانية لان منزلتها بعد
الاولى كمنزلة اليقضة بعد النوم في ان من قدر على احدهما فهو قادر على
الآخر ثم اليه مرجعكم يريد اذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقلها الى الدار
الاخرة ومعنى اليه الى حكمه وجزائه والى موضع ليس لاحد سواه فيه امر ثم
ينبئكم يخبركم بما كنتم تعملون اي بما غفلتم عنه من اعمالكم وفي هذه الآية
دلالة على البعث والاعادة نبه الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقضة
فان كلا منهما لا يقدر عليه غيره تعالى فاما ما يصلح عادة من الاشياء فالصحيح
من مذهب اهل العدل فيه ان يكون الشي من فعل القديم سبحانه القادر
لذاته وان يكون مما يبقى وان لا يكون مما يتولد عن سبب **قوله عز وجل**
وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى
اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ٥ **القراءة**
قرا حمزة وحده توفيه والباقون بالتاء وقرا الاعرج يفرطون في
الشواذ **الحجة** حجة من قرا بالتاء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم
وحجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث غير حقيقي وانما التانيث للجمع
فهو مثل وقال نسوة وان كانت الكتابة في المصحف بالياء فليس ذلك
بخلاف لان الالف الممالة قد كتبت بياء وقراءة الاعرج من افرط في الامر
اذا زاد فيه وقراءة العامة من فرط في الامر اذا قصر فيه فهو بمعنى لا يقصرون
فيما يؤمرون به من توفي من تحضره منيته وذاك بمعنى لا يزيدون على ذلك
ولا يتوفون الا من امروا بتوفيه ونظيره قوله وكل شي عنده بمقدار **المعنى**
ثم زاد سبحانه في بيان كمال قدرته فقال وهو القاهر فوق عباده معناه
والله المقتدر المستعلي على عباده الذي هو فوقهم لا بمعنى انه في مكان مرتفع

فوقهم وفوق مكانهم لان ذلك من صفة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك
ومثله في اللغة امر فلان فوق امر فلان اي هو اعلى امرا وانفذ حكما ومثله
قوله يد الله فوق ايديهم والمراد به انه اقوى واقدر منهم وانه القاهر لهم
ويقال هو فوقه في العلم اي اعلم به منه وفوقه في الجواد اي اجود فنجز عن تلك
الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها ويرسل عليكم حفظة عطف على صلة الالف
واللام في القاهر وتقديره وهو الذي يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة اي
ملائكة يحفظون اعمالكم ويحصونها عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف للعباد
لينزجروا عن المعاصي اذا علموا ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها
عليهم يوم القيمة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته اي يقبض روحه رسلنا
يعني اعوان ملك الموت عن بن عباس والحسن وقتادة قالوا وانما يقبضون
الارواح بامره ولذلك اضاف التوفي اليه في قوله قل يتوفكم ملك الموت
وقال الزجاج يريد بالرسل هؤلاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في
الحيوة والتوفي عند مجي الممات وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة وهم
لا يفرطون اي لا يضيعون عن بن عباس والسدي وقيل لا يغفلون
ولا يتوانون عن الزجاج قال ومعنى التفريط تقدمة العجز فالمعنى انهم لا يعجزون
ثم بين سبحانه ان هؤلاء الذين يتوفهم رسله يرجعون اليه فقال ثم ردوا
الى الله اي الى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا هو مولهم الحق قد مر معناه
عند قوله انت مولنا والحق اسم من اسماء الله تعالى واختلف في معناه فقيل
المعنى ان امره كله حق لا يشوبه باطل وجد لا يجاوزه هزل فيكون مصدرا وصف
به نحو قولهم رجل عدل وفي قول زهير متى يشتجر قوم يقل سرواتهم هم بيننا فهم
رضا وهم عدل وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث وقيل ان معناه
الثابت الباقي الذي لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد ان افعاله واقواله
حق الا له الحكم اي القضا فيهم يوم القيمة لا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه كما قد

يملك الحكم في الدنيا غيره بتمليكه اياه وهو اسرع الحاسبين اي اذا حاسب فحسابه
سريع وقد مضى معناه في سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروي عن
امير المؤمنين عليه السلام انه سئل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه قال كما يرزقهم
ولا يرونه وروي انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل
على انه لا يشغله محاسبة احد عن محاسبة غيره ويدل على انه سبحانه يتكلم بلا لسان
ولهوات ليصح ان يحاسب الجميع في وقت واحد قوله تعالى قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ
مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ
تُشْرِكُونَ ايتان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء هنا وفي الاعراف
والباقون خفية بالضم وقرا قل من ينجيكم خفيفة يعقوب وسهل وقرا
الباقون ينجيكم وقرا اهل الكوفة لئن انجانا بالالف الا ان عاصما قرا بالتفخيم
والباقون بالامالة وقرا غيرهم من القراء لئن انجيتنا وقرا اهل الكوفة
وهشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقون ينجيكم بالتخفيف الحجة
اما خفية فان ابا عبيدة قال خفية اي تخفون في انفسكم وحكى غيره خفية
وخفية لغتان واما خيفة ففعلة من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة
قال فلا تقعدن على زخة وتضمر في القلب وجدا وخيفا وهو جمع خيفة
واما قوله ينجيكم فانهم قالوا انجا زيد فاذا نقل الفعل حسن نقله بالهمزة
كما حسن نقله بالتضعيف وفي التنزيل فانجاه الله من النار فانجيناه والذين
معه وفيه ونجينا الذين امنوا فاستوى القراءتان في الحسن واما من قرا
انجانا فانه حمله على الغيبة لان ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما
للغيبة ومن قرا لئن انجيتنا فانه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه
الكوفيون الاعراب تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم
داعين وقائلين لئن انجيتنا تضرعا نصب بانه حال ايضا من تدعونه وكذلك

خفية

خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين الحاجة اليه او معلنين الحاجة
اليه او معلنين ومسرين المعنى ثم عاد سبحانه الى حجاج الكفار فقال قل
يا محمد لهؤلاء الكفار من ينجيكم اي يخلصكم ويسلمكم من ظلمات البر والبحر
اي من شدائدهما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم
الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوما ذا كواكب اي قد اشتدت
ظلمته حتى صار كالليل وانشد بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوم
ذو كواكب اشهب وقال اخر فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي اذا كان يوما
ذا كواكب اشنعا وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة
في البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع تدعونه اي تدعون الله عند معاينة
هذه الاهوال تضرعا وخفية اي علانية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل
معناه تدعونه مخلصين متضرعين تضرعا بالسنتكم خفية في انفسكم وهذا اظهر لئن
انجيتنا في اي شدة وقعتم قلتم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
لانعامك علينا وهذا يدل على ان السنة في الدعاء التضرع والاخفاء وقد روي
عن النبي صلى الله عليه واله انه قال خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي ومر
عليه السلام بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون اصم ولا غائبا
وانما تدعون سميعا قريبا قل يا محمد ينجيكم اي ينعم عليكم بالنجاة والفرج ويخلصكم
من هذه الظلمات ومن كل كرب اي ويخلصكم الله من كل غم ثم انتم تشركون
بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم ما لا يقدر على الانجاء من كرب وان خف قوله
تعالى قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ايه اللغة لبست عليهم الامر البسه اذا لم ابينه وخلطت
بعضه ببعض ولبست الثوب البسه واللبس اختلاط الامر واختلاط الكلام
ولابست الامر خالطته والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيعت فلانا

اتبعه والتشيع هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع والشيعة صارت
في العرف اسما لمتبعي امير المؤمنين علي عليه السلام على سبيل الاعتقاد لامامته
بعد النبي صلى الله عليه واله بلا فصل من الامامية والزيدية وغيرهم ولا يقع
اطلاق هذه اللفظة على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محقا او مبطلا
الا ان يسقط عنه لام التعريف ويضاف بلفظ من التبعيض فيقال هؤلاء شيعة بني
العباس او شيعة بني فلان المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج
بها الكافرين ونبه على الاعذار والانذار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار
وهو القادر على ان يبعث اي يرسل عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم
قيل فيه وجوه احدها ان عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والطوفان
والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط ومن تحت ارجلكم يعني به
الخسف كما فعل بقارون عن سعيد بن جبير ومجاهد وثانيها ان المراد بقوله
من فوقكم من قبل كبرائكم ومن تحت ارجلكم من سفلتكم عن الضحاك وثالثها
ان من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم العبيد السوء ومن لا خير فيه
عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام او يلبسكم شيعا
اي يخلطكم فرقا مختلفي الاهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو ان يكلهم
الى انفسهم فلا يلطف لهم اللطف الذي يؤمنون عنده ويخليهم من الطافه
بذنوبهم السالفة وقيل عنى به يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة
والعصبية وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام ويذيق بعضكم باس بعض
اي قتال بعض وحرب بعض ومعناه يقتل بعضكم بعضا حتى يفني بعضكم بعضا
كما قال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وقيل هو سوء
الجوار عن ابي عبد الله عليه السلام وقال الحسن ان التهديد بانزال العذاب والخسف
يتناول الكفار وقوله او يلبسكم شيعا يتناول اهل الصلوة وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله سالت ربي ان لا يظهر على امتي اهل دين غيرهم فاعطاني

وسالته

وسالته ان لا يهلكهم جوعا فاعطاني وسالته ان لا يجمعهم على ضلالة فاعطاني
وسالته ان لا يلبسهم شيعا فمنعني وفي تفسير الكلبي انه لما نزلت هذه الآية
قام النبي صلى الله عليه وآله فتوضا واسبغ وضوءه ثم قام وصلى فاحسن
صلوته ثم سال الله سبحانه ان لا يبعث على امته عذابا من فوقهم ولا من
تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم باس بعض فنزل جبرئيل عليه السلام
وقال يا محمد ان الله تعالى سمع مقالتك وانه قد اجارهم من خصلتين ولم يجرهم
من خصلتين اجارهم من ان يبعث عليهم عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم ولم
يجرهم من الخصلتين الاخريين يا جبرئيل ما بقاء امتي مع قتل بعضهم بعضا فقام
وعاد الى الدعاء فنزل الم احسب الناس ان يتركوا الآيتين فقال لا بد من فتنة
تبتلى بها الامة بعد نبيها ليتبين الصادق من الكاذب لان الوحي انقطع
وبقي السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيمة وفي الخبر انه صلى الله عليه واله
قال اذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنها الى يوم القيمة وقال ابي بن كعب
سيكون في هذه الامة بين يدي الساعة خسف وقذف ومسخ ثم اكد سبحانه الاحتجاج
عليهم بقوله انظر كيف نصرف الآيات اي انظر يا محمد كيف نردد الآيات ونظهرها مرة
بعد اخرى بوجوه ادلتها حتى تزول الشبهة لعلهم يفقهون اي لكي يعلموا الحق
فيتبعوه والباطل فيجتنبوه واذا كان البعث في الآية محمولا على التسليط
فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة دون ان يفعل سبحانه ذلك او يامر به تعالى
عن ذلك وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه قادر على ما المعلوم انه لا يفعله
قوله عز وجل وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ
نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ايتان كوفي وآية واحدة عند غيرهم المعنى لما ذكر
سبحانه وتعالى تصريف الآيات قال عقيب ذلك وكذب به اي بما صرف
من الآيات عن الجبائي والبلخي وقال الازهري الهاء تعود الى القرآن وهو
قول الحسن وجماعة قومك يعني قريشا والعرب وهو الحق اي القرآن او تصريف

نقال ٤

ج

الايات حق بمعنى انه يدل على الحق وانما فيه حق ثم بين سبحانه ان عاقبة تكذيبهم
يعود عليهم فقال قل يا محمد لست عليكم بوكيل اى لم اومر بمنعكم من التكذيب
بايات الله وان احفظكم من ذلك واحول بينكم وبينه لان الوكيل على الشيء
هو القائم بحفظه والذى يدفع الضرر عنه عن الجبائى وقيل معناه لست
بحافظ لاعمالكم لاجازيكم بها انما انا منذر والله سبحانه هو المجازى عن الحسن
لم اومر بحربكم ولا اخذكم بالايمان كما ياخذ الموكل بالشيء الذى يلزم بلوغ
آخره عن الزجاج لكل نبأ مستقر اى لكل خبر من اخبار الله ورسوله حقيقة
كائنة اما فى الدنيا واما فى الاخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل
خبر قرار على غاية ينتهى اليها ويظهر عندها قال السدى استقر يوم بدر ما كان
يعدهم من العقاب وسمى الوقت مستقرا لانه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل
معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازى به يوم القيمة عن الحسن وسوف تعلمون
فيه وعيد وتهديد لهم اما بعذاب الاخرة واما بالحرب واخذهم بالايمان
شاؤا او ابوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب وحذف لدلالة
الكلام عليه **قوله عز وجل** **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ
الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** آيتان **القراءة** قرا ابن عامر وحده
ينسينك بالتشديد والباقون ينسينك بالتخفيف **الحجة** حجة من خفف قوله
وما انسانيه الا الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين
كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال غرمته واغرمته **الاعراب** ذكرى يجوز ان يكون
فى موضع نصب على معنى ولكن ذكروهم ذكرى ويجوز ان يكون فى موضع رفع
على احد وجهين اما ان يكون على معنى ولكن الذى تامرونهم به ذكرى فيكون
خبر المبتدا واما ان يكون عليكم ذكرى اى عليكم ان تذكروهم كما قال ان عليك

الا البلاغ

الا البلاغ وعلى هذا يكون ذكرى مبتدا **النزول** قال ابو جعفر عليه السلام
لما نزل فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف
نصنع وان كان كلما استهزا المشركون بالقران قمنا وتركناهم فلا ندخل
اذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فانزل الله تعالى وما على الذين
يتقون من حسابهم من شيء امرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا **المعنى**
ثم امر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقران فقال واذا رايت
الذين يخوضون فى اياتنا خاطب النبى صلى الله عليه وآله اى اذا رايت
هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذبون
باياتنا وديننا عن الحسن وسعيد بن جبير والخوض التخليط فى المفاوضة على
سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين اى اتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا
فى حديث غيره اى يدخلوا فى حديث غير الاستهزاء بالقران وانما امره عليه السلم
بالاعراض عنهم لان من حاج من هذه حاله فقد وضع الشيء غير موضعه وحط
من قدر البيان والحجاج واما ينسينك المعنى وان انساك الشيطان نهينا
اياك عن الجلوس ويسال على هذا فيقال كيف اضاف النسيان الى الشيطان
لانه تعالى اجرى العادة بفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر
الردية والوساوس الفاسدة من الشيطان فجاز اضافة النسيان اليه لما
حصل عند فعله كما ان من القى غيره فى البرد حتى مات فانه يضاف الموت
اليه لانه عرضه لذلك وكان كالسبب فيه فلا تقعد بعد الذكرى اى بعد
ذكرك نهينا وما يجب عليك من الاعراض عن الجبائى وقيل معناه بعد ان تذكرهم
بدعائك اياهم الى الدين عن ابى مسلم فكانه قال اعرض فى حال الياس واذكر
فى حال الطمع مع القوم الظالمين يعنى فى مجالس الكفار والفساق الذين
يظهرون التكذيب بالقران والايات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن
جبير والسدى واختاره البلخى وقال كان ذلك فى اول الاسلام وكان يخص

النبي عليه السلام ورخص للمؤمنين في ذلك فلما عز الاسلام وكثر المسلمون
نهوا عن مجالستهم ونسخت هذه الاية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره انكم اذا مثلهم قال الجبائي وفي هذه الاية دلالة على بطلان
قول الامامية في جواز التقية على الانبياء والائمة وان النسيان لا يجوز
على الانبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لان الامامية انما يجوزون
التقية على الامام فيما يكون عليه دلالة قاطعة توصل الى العلم ويكون
المكلف مزاح العلة في تكليفه ذلك فاما ما لا يعرف الا بقول الامام من
الاحكام ولا يكون على ذلك دليل الا من جهة فلا يجوز عليه التقية فيه
وهذا كما اذا تقدم من النبي صلى الله عليه واله بيان في شيء من الاشياء
الشرعية فانه يجوز منه ان لا يبين في حال اخرى لامته ذلك الشيء اذا اقتضته
المصلحة الا ترى الى ما روي ان عمر بن الخطاب ساله عن الكلالة فقال يكفيك
اية الصيف واما النسيان والسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدونه عن الله
تعالى فاما ما سواه فقد جوزوا عليهم ان ينسوه او يسهوا عنه ولم يؤد ذلك
الى الخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وقد جوزوا عليهم النوم والاغماء
وهما من قبيل السهو فهذا ظن منه فاسد وبعض الظن اثم وما على الذين
يتقون من حسابهم من شيء اي ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصي الله
سبحانه من حساب الكفر شيء بحضورهم مجلس الخوض ولكن ذكرى لعلهم
يتقون اي نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم
على خطاياهم لكي يتقي المشركون اذا راوا اعراض هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم
مجالستهم فلا يعودون لذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على
المتقين من الحساب يوم القيمة مكروه ولا تبعة ولكنه اعلمهم انهم محاسبون
وحكم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله يحاسبهم فيتقوا عن الجحود فالهاء والميم على
الوجه الاول يعود الى الكفار وفي الثاني الى المؤمنين قوله عز وجل

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ
أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ
كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ اية اللغة يقال ابسلته بجريرته اي اسلمته
والمستبسل المستسلم الذي يعلم انه لا يقدر على التخلص قال الشاعر وابسالي
بني بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق اي اسلامي اياهم والبعو الجناية قال الاخفش
تبسل اي ترهن والمعاني متقاربة وهذا بسل عليك اي حرام عليك وجائز
ان يكون من الاول اعني ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال
اعط الراقي بسلته اي اجرته وتاويله انه عمل في شيء الذي قد استبسل صاحبه
معه والعدل الفداء واصله المثل والحميم الماء الحار الحر حتى انتهى غليانه
ومنه الحمام الاعراب ان تبسل في موضع نصب بانه مفعول له وهو من باب
حذف المضاف تقديره كراهة ان تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة
لنفس والتقدير نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها اولئك الذين ابسلوا مبتدأ
وخبر وقوله لهم شراب من حميم يجوز ان يكون خبرا ثانيا لاولئك ويجوز
ان يكون كلاما مستانفا المعنى ثم عاد سبحانه الى وصف من تقدم ذكرهم من
الكفار فقال وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دعهم واعرض عنهم
وانما اراد به اعراض انكار لانه قال بعد ذلك وذكر به ولم يرد ملاطفتهم
ومجالستهم ولا تدع مذاكرتهم ودعوتهم ونظيره في سورة النساء فاعرض
عنهم وعظهم وغرتهم الحيوة الدنيا يعني اغتروا بحياتهم وذكر به اي عظ بالقران
وقيل بيوم الدين وقيل بالحساب ان تبسل نفس بما كسبت اي لكي لا تسلم
نفس للهلكة بما كسبت اي عملت عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي
والفراء وقيل معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتادة وقيل
تؤخذ عن ابن زيد وقيل تسلم الى خزنة جهنم عن عطية العوفي وقيل تجازى

عن الاخفش ليس لها من دون الله ولي اي ناصر ينجيها من العذاب ولا شفيع
يشفع لها وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء لا يوخذ منها وقيل معناه
وان تقسط كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لان التوبة هناك غير مقبوله وانما
تقبل في الدنيا اولئك الذين ابسلوا اي اهلكوا وقيل اسلموا للهلكة فلا
مخلص له وقيل ارتهنوا وقيل جوزوا بما كسبوا اي بكسبهم وعملهم لهم شراب من
حميم اي ماء مغلي حار وعذاب اليم مولم بما كانوا يكفرون اي بكفرهم يريد
جزاء على كفرهم واختلف في الاية فقيل هي منسوخة باية السيف عن قتاده
وقيل ليست بمنسوخة وانما هي تهديد ووعيد عن مجاهد وغيره وفيها
دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقرآن
وايات الله وتحذير عن سلوك طريقتهم وقال الفراء ما من امة الا ولهم
عيد يلعبون فيه ويلهون الا امة محمد فان اعيادهم صلوة ودعاء وعبادة
قوله عز وجل قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ
عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ
حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ايه القراءه قرا حمزه وحده استهواه بالف ممالة
والباقون بالتاء المعجمة من فوق الحجه قال ابو علي كلا المذهبين حسن
قال الشاعر وكان ورثناه على عهد تبع ∴ طوالا سواريه شديدا دعائمه
اللغه استهوته من قولهم هوى من حالق اذا تردى منه وشبه به الذي
زل عن الطريق المستقيم كما ان قوله زل انما هو في المكان قال قام على
منزلة زلخ فزل فرثيته به المخطي في طريقه في مثل قوله فازلهما الشيطان
في طريقه في مثل قوله فازلهما الشيطان فكذلك هوى واهواه غيره
فيقال اهويته واستهويته بمعنى كما يقال ازله الشيطان واستزله بمعنى
وكذلك استجابه بمعنى اجابه قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب والحيران المتردد

في امره

في امره لا يهتدي الى المخرج منه والفعل منه حار يحار حيرة ورجل حاير وحيران
وقوم حيارى الاعراب كالذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر
محذوف وتقديره اندعوا من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته
الشياطين في الارض حيران وحيران نصب على الحال استهوته له اصحاب
يدعونه وصف لحيران ويدعونه صفة لاصحاب اي اصحاب له داعون له
الى الهدى قايلون له ائتنا وههنا منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول
العرب امرتك لتفعل وامرتك ان تفعل وامرتك بان تفعل فمن قال امرتك
بان تفعل فالباء للالصاق فالمعنى وقع الامر بهذا الفعل ومن قال امرتك
ان تفعل حذف الجار ~~ومن قال امرتك ان تفعل حذف الجار~~ ومن قال
امرتك لتفعل المعنى امرتك للفعل وقال الزجاج التقدير امرنا كي نسلم قال
اريد لانسى ذكرها فكانما ∴ تمثل لي ليلى بكل سبيل اي كي انسى المعنى ثم امر
سبحانه نبيه صلى الله عليه والمومنين بخطاب الكفار فقال قل يا محمد
لهولاء الكفار الذين يدعون الى عبادة الاصنام او قل ايها الانسان
او ايها السامع اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا اي عبدناه ولا يضرنا
ان تركنا عبادته ونرد على اعقابنا هذا مثل يقولون لكل خايب لم يظفر
بحاجته رد على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقرى في مشينا
والمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الاديان بعد اذ هدينا الله له كالذي
استهوته الشياطين في الارض حيران لا يهتدي الى طريق وقيل معناه
دعته الشياطين الى اتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل اذهبت به عن نفطق
وقيل اضلته عن ابي مسلم له اصحاب يدعونه الى الهدى اي الى الطريق الواضح
يقولون له ائتنا ويقبل منهم ولا يصير اليهم لانه قد تحير لاستيلاء الشيطان
عليه بهوى ولا يهتدي ثم امر الله سبحانه فقال قل لهولاء الكفار ان
هدى الله هو الهدى دلالة الله لنا على توحيده وامر دينه هو الهدى

الذي يود المستدل به الى الصلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب ان
نعمل عليه ونستدل به فلا نترك ذلك الى ما تدعون اليه وامرنا لنسلم لرب
العالمين معناه وامرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلم امورنا ونفوضها
الى الله ونتوكل عليه فيها قوله عز وجل وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ
وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي
الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ آيتان كوفي وثلث
آيات في الباقين عدوا كن فيكون آية الاعراب يحتمل اول الآية وجهين
احدهما ان يكون التقدير امرنا لان نسلم ولان نقيم الصلوة والثاني
ان يكون محمولا على المعنى لان معناه امرنا بالاسلام وباقامة الصلوة
وموضع ان نصب لان الباء لما سقطت افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع
لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السموات والارض ويحتمل
ان يكون فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو قوله ينفخ وهذا
كما يقولون اكل طعامك عبد الله والتقدير اكله عبد الله قال الشاعر
ليبك يزيد ضارع لخصومة ؛ ومختبط مما تطيح الطوائح ؛ والاول اجود المعنى
وان اقيموا الصلوة هذا موصول بما قبله اي وقيل لنا اقيموا الصلوة
واتقوه اي واتقوا رب العالمين اي تجنبوا معاصيه فتتقوا عقابه وهو
الذي اليه تحشرون اي تجمعون اليه يوم القيمة فيجازي كل عامل منكم
بعمله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق فيه قولان احدهما
ان معناه خلقهما للحق لا للباطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما
حقا وصوابا لا باطلا وخطاء كما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا وادخلت الباء والالف واللام كما ادخلت في نظائرها يقولون فلان
يقول بالحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو

موصوف

ثلث

موصوف بالحكمة في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا ان هناك
حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الاخير ما قاله قوم ان معناه خلق
السموات والارض بكلامه الحق وهو قوله ائتيا طوعا او كرها فالحق
صفة قوله وكلامه والاول هو الصحيح ويوم يقول كن فيكون ذكر في نصب
يوم وجوه احدها ان يكون عطفا على الهاء في قوله واتقوه اي واتقوا
يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا والثاني ان يكون على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لان بعده
واذ قال ابراهيم لابيه آزر عطفا على ذلك قال الزجاج وهو الاجود والثالث
ان يكون معطوفا على السموات والمعنى وهو الذي خلق السموات والارض
بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فان قيل ان يوم القيمة لم يات بعد
والجواب ان ما انباء الله بكونه فحقيقة يقول واقع لا محالة واما قوله كن
فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمعنى يوم يقول للصور كن فيكون وما ذكر
من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيه اضمار جميع ما يخلق في ذلك
الوقت المعنى ويوم يقول للشيء كن فيكون وهذا انما ذكر ليدل على سرعة
امر البعث والساعة فكانه يقول ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا
فينتشرون اي لا يتعذر عليه ذلك ولا يتاخر عن وقت ارادته وقيل معناه
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق اي يامر فيقع امره اي ما وعدوا به من
الثواب وحذروا به من الثواب وحذروا به من العقاب والحق من صفة
قوله وقوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قولك وليس المعنى انك
قلت فكان الكلام انما المعنى انه كان ما دل عليه القول واما على القول
المتقدم فيكون قوله مبتدا والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن فيكون
في سورة البقرة مستقصى وله الملك يوم ينفخ في الصور قيل في نصب يوم هنا
وجوه احدها ان يكون متعلقا بله الملك وتقديره ان الملك قد وجب له

فى ذلك اليوم الذى فيه ينفخ فى الصور فقد خص ذلك اليوم بان الملك
له فيه كما خصه فى قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه انه لا يبقى
ملك من ملكه الله فى الدنيا او تغلب عليه بل ينفرد سبحانه بالملك والثانى
ان يكون يوم ينفخ فى الصور مبنيا عن قوله يوم يقول كن فيكون والثالث
ان يكون منصوبا بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ فى الصور والوجه
فى اختصاصه بذلك اليوم وان كان قوله حق حقا فى كل وقت ما بيناه
فى الوجه الاول وهو مثل قوله والامر يومئذ لله ولا شك ان الامر فى
كل وقت لله تعالى والمراد ان ذلك اليوم يوم لا يخالف الله فى اوامره
لانها محتومة ليس فيها تخيير ولا يقدر احد على معصية واما الصور فقيل
انه قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفختين فتفنى الخلايق كلهم بالنفخة
الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية
لابتداء الآخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السور جمع سورة وعلى هذا
فيكون معناه يوم ينفخ الروح فى الصور ويؤيد القول الاول ما رواه ابو سعيد
الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القران
القران وحنا جبينه واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول
يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور
ونفخ فى الصور قال الشاعر لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى
ينفخ الصور عالم الغيب والشهادة اى يعلم ما لا يشاهده الخلق وما يشاهدونه
وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شىء من ذلك وهو الحكيم فى افعاله
الخبير العالم بعباده وافعالهم قوله تعالى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ
آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ
نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ
القراة القراة الظاهرة آزر بالفتح وقرا يعقوب الحضرمى آزر بضم الراء وهو

قراة

قراة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك الحجة من قرا بالفتح جعل آزر فى موضع
جر بدلا من ابيه او عطف بيان ومن قرا بالضم جعله منادى مفردا وتقديره
يا آزر اللغة الاصنام جمع صنم والصنم ما كان صورة والوثن ما كان غير مصور
والالهة جمع اله مثل ازار وآزرة والمبين هو المبين الظاهر والملكوت
بمنزلة الملك غير ان هذا اللفظ ابلغ لان الواو والتاء يزادان للمبالغة
ومثله الرغبوت والرهبوت ووزنه فعلوت وفى المثل رهبوت خير
من رحموت اى لان ترهب خير من ان ترحم الاعراب العامل فى اذ محذوف
وتقديره واذكر اذ قال وقيل انه يتصل بقوله بعد اذ هدينا الله اى
وبعد اذ قال ابراهيم والكاف فى كذلك كاف التشبيه والمعنى كما اريناه
ابراهيم قبح ما كان عليه ابوه وقومه من المذهب كذلك نرى ابراهيم
ملكوت السموات والارض للاعتبار وقيل شبه روية ابراهيم برؤية
محمد عليهما السلام والمعنى كما اريناك يا محمد ارينا ابراهيم وقوله وليكون
عطف على محذوف وتقديره نريه الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين
وقيل انه جملة مستانفة اى وليكون من الموقنين اريناه فاللام يتعلق
باريناه المحذوف وقيل ان الواو زايدة ومعناه ليكون وهذا بعيد
المعنى واذ قال ابراهيم اى اذكر اذ قال ابراهيم لابيه آزر فيه اقوال احدها
انه اسم ابى ابراهيم عن الحسن والسدى والضحاك وثانيها ان اسم ابى ابراهيم
تارخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف فى ان اسم ابى ابراهيم تارخ والذى
فى القران يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم فى لغتهم كانه قال واذ قال
ابراهيم لابيه يا مخطى فاذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجايز ان يكون
وصفا له كانه قال لابيه المخطى وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد
قال الزجاج فاذا كان ذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال
واذ قال ابراهيم لابيه اتتخذ آزر وجعل اصناما بدلا من آزر واشباهه فقال

بعد ان قال اتتخذ اي الها اتتخذ اصناما الهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي
ما قاله اصحابنا ان آزر كان جد ابراهيم لامه او كان عمه من حيث صح عندهم ان
آباء النبي صلى الله عليه وآله الى آدم كلهم كانوا موحدين واجمعت الطايفة
على ذلك ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لم يزل ينقلني الله
تعالى من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا
لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه عليه السلم كافر لم يصف جميعهم
بالطهارة مع قوله سبحانه انما المشركون نجس ولهم في ذلك ادلة ليس هنا
موضع ذكرها وقوله اتتخذ اصناما الهة استفهام المراد به الانكار اي لا
تفعل ذلك اني اريك وقومك في ضلال مبين ظاهر وفي الاية حث للنبي عليه السلم
على محاجة قومه الذين دعوه الى عبادة الاصنام والاقتداء بابيه ابراهيم ع
فيه وتسلية له بذلك وكذلك نري اي مثل ما وصفنا من قصة ابراهيم
وقوله لابيه ما قال نريه ملكوت السموات والارض اي القدرة التي تقوى
بها دلالته على توحيد الله تعالى عز وجل وقيل معناه كما اريناك يا محمد
اريناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الارض
من البحار والمياه والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة
وقيل يعني بالملكوت آيات السموات والارض عن مجاهد وقيل ان ملكوت
السموات والارض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا وقيل ان ملكوت
السموات والارض ما شاهده من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه
مالك لهما والله المالك لهما ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فاجرى الملكوت
على المملوك الذي هو في السموات والارض مجازا عن ابي علي الجبائي قال
ابو جعفر عليه السلم كشط الله له عن الارضين حتى راهن وما تحتهن وعن
السموات حتى راهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى ابو بصير
عن ابي عبد الله عليه السلم قال لما اراه ابراهيم ملكوت السموات والارض

رأي رجلا

را رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم را آخر فدعا عليه فمات ثم راى ثلثة فدعا
عليهم فماتوا فاوحى الله تعالى يا ابراهيم ان دعوتك مستجابة فلا تدع
على عبادي فاني لو شئت ان اميتهم بدعائك ما خلقتهم اني خلقت خلقي
على ثلثة اصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئا فاثيبه وصنف يعبد غيري
فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فاخرج من صلبه من يعبدني وليكون
من الموقنين اي من المتيقنين بان الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له
النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما عاب دينهم وذم الهتهم واحتج عليهم
بما سلف ذكره بين انه دين ابراهيم وان الناس الف بدين الآباء لا سيما اذا كان
الاب ذا قدر وقيل انها يتصل بقوله اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا
الى قوله بعد اذ هدينا الله ثم قال وبعد ان قال ابراهيم كذا وكذا عن
ابي مسلم قوله عز وجل **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** القراءة قرا ابو
عمرو وورش من طريق البخاري راى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويحيى عن ابي بكر راى بكسر الراء
والهمزة وقرا الباقون بفتح الراء والهمزة الحجة ذكر ابو علي الوجه في
قراءة من لم يمل وقراءة من امال واورد في ذلك كلاما كثيرا تركنا ذكره
خوف الاطالة اللغة يقال جن عليه الليل وجنه الليل اذا اظلم حتى يستره
بظلمته ويقال لكل ما ستر قد جن واجن ومنه اشتقاق الجن لانهم استجنوا
عن اعين الناس وقال الهذلي ولما وردت قبيل الكرى وقد جنه السدف

الادهم ، ويقال اجنت الميت وجننته اذا واريته في اللحد وافل يافل افولا
اذا غاب قال ذو الرمة ، مصابيح ليست باللواتي يقودها ، نجوم ولا بالافلات
الدوالك ، والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت ويسمى ثلث
ليال من اول الشهر الهلال ثم يسمى قمرا الى اخر الشهر وانما سمى قمرا لبياضه
والحمار الاقمر ابيض والحنيف المائل الى الحق الاعراب يقال لم قال هذا ربي ولم
يقل هذه كما قال بازغة والجواب ان التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون
الخبر والمخبر عنه جميعا على التذكير كما كانا جميعا على التانيث في ذكر الشمس
بازغة وقال ابن فضال المجاشعي قوله رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى
وقوله هذا ربي من كلام ابراهيم والشمس مونثة في كلام العرب فاما في
كلام سواهم فيجوز ان لا يكون مونثة في كلام العرب وابراهيم عليه السلام
لم يكن عربيا فحكى الله تعالى كلامه على ما كان في لغته ويقال لم انث الشمس
وذكر القمر والجواب ان تانيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسابة
وعلامة وليس القمر كذلك لانه دونها في الضياء ويقال لم دخلت الالف
واللام فيها وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمرو قيل لان شعاع الشمس
يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف اذا قصد الجرم الشمس او الى
الشعاع على طريق الجنس اذ الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك
المعنى لما تقدم ذكر الايات التي اراها الله تعالى ابراهيم عليه السلم بين
سبحانه كيف استدل بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال فلما جن عليه
الليل اي اظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء رأى كوكبا واختلف في الكوكب
الذي رآه فقيل هو الزهرة وقيل هو المشتري قال هذا ربي فلما افل اي
غرب قال لا احب الافلين واختلف في تفسير هذه الايات على اقوال احدها
ان ابراهيم عليه السلم انما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر
وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لانه عليه السلم لما اكمل الله عقله

وحرك

وحرك دواعيه على الفكر والتامل رأى الكوكب فاعظمه واعجبه نوره
وحسنه وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل
الفكر فلما غاب علم ان الافول لا يجوز على الاله فاستدل بذلك على انه
محدث مخلوق وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فلما رأى
افولهما قطع على حدوثهما واستحالة الهيتهما وقال في آخر كلامه يا قوم
اني بريء مما تشركون اني وجهت للذي فطر السموات والارض
الى اخره وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بان
صفاة المحدثين لا يجوز عليه وهذا اختيار ابي القسم البلخي وغيره قال
وزمان مهلة النظر هي اكثر من ساعة واقل من شهر ولا يعلم ما بينهما
الا الله تعالى وثانيها انه عليه السلم انما قال ذلك قبل بلوغه وانه
لما قارب كمال العقل حركته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث
فلما رأى الكوكب ونوره واشراقه وزهوره ظن انه ربه فلما افل وانتقل
من حال الى حال قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا عند طلوعه ورأى
كبره واشراقه وانبساط نوره وضيائه في الدنيا قال هذا ربي فلما افل
وصار مثل الكوكب في الافول والغيبوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك
صفة لاله قال لئن لم يهدني ربي الى رشدي ولم يوفقني ويلطف لي في
اصابة الحق من توحيده لاكونن من القوم الضالين بعبادة هذه الحوادث
فلما رأى الشمس بازغة اي طالعة قد ملأت الدنيا نورا ورأى عظمها وكبرها
قال هذا ربي هذا اكبر من الكوكب والقمر فلما افلت قال حينئذ لقومه
يا قوم اني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من
الهتكم فلما اكمل الله عقله وضبط بفكره النظر في حدوث الاجسام بان وجدها
غير منفكة من المعاني المحدثة وانه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه
اني وجهت وجهي اي نفسي للذي فطر السموات والارض حنيفا اي مخلصا

وجهی

مايلا عن الشرك الى الاخلاص وما انا من المشركين وهذا اختيار ابى على
الجبائى وبنال على القول الاول كيف قال عليه السلام هذا ربى مخبرا
وهو غير عالم بما يخبر به والاخبار بما لا يامن المخبر ان يكون فيه كاذبا قبيح
والجواب عنه من وجهين احدهما انه لم يقل ذلك مخبرا وانما قاله فارضا
ومقدرا على سبيل التامل كما يفرض احدنا اذا نظر فى حدوث الاجسام
كونها قديمة ليتبين ما يودى اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك
مخبرا فى الحقيقه والاخر انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يظن المتفكر فى حال
فكره ونظره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة سوال آخر كيف تعجب ابراهيم
عليه السلم من روية هذه الاشياء تعجب لم يكن راها وكيف يجوز ان يكون
مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب انه لا يمتنع ان يكون
عليه السلم ما را السما الا فى ذلك الوقت لانه قد روى ان امه كانت ولدته
فى مغارة من ان يقتله نمرود ومن يكون فى المغارة لا يرى السماء فلما قارب
البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة ورا السماء وقد يجوز ايضا ان يكون
قد را السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر فى اعلامها لان الفكر لم يكن
واجبا عليه وحين كمل عقله فكر فى ذلك وثالثها ان ابراهيم عليه السلم
لم يقل هذا ربى على طريق الشك بل كان عالما موقنا ان ربه سبحانه
لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وانما قال ذلك على سبيل الانكار
على قومه والتنبيه لهم على ان من يكون الها معبودا لا يكون بهذه الصفة
الداله على الحدوث ويكون قوله هذا ربى محمولا على احد وجهين
اما على انه كذلك عندكم وفى مذاهبكم كما يقول احدنا للمشبه هذا ربك جسم
يتحرك ويسكن واما على ان يكون قال ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام
للاستغناء عنه وقد كثر مجئ ذلك فى كلام قال اوس بن حجر لعمرك ما
ادرى وان كنت داريا : شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر : وقال الاخطل

كذبتك

كذبتك عينك ام رايت بواسط : غلس الظلام من الرباب خيالا : وقال
عمر بن ربيعه ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر والحصى والتراب اى
اتحبها وقال آخر رفونى وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه
هم هم اى اهم هم وروى عن ابن عباس انه قال فى قوله فلا اقتحم
العقبة معناه افلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام ورابعها انه عليه السلم
انما قال ذلك استدراجا للقوم ليريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم المخلوق
جار عليه اعراض الحوادث فانهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب
وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم يعبدون الاوثان فلما را الكوكب
الذى كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربى فى زعمكم كما قال اين شركائى
الذين كنتم تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربى ولم يكن الحجر
ربهم ولا الكوكب ربه وفى هذه الايات دلالة على حدوث الاجسام واثبات
الصانع وانما استدل ابراهيم عليه السلم بالافول على حدوثها لان حدوثها
بالافول اظهر ومن الشبه ابعد واذا جازت قادرا ليصح منه الاحداث واذا
احدثها على غاية الانتظام والاحكام فلا بد ان يكون عالما واذا كان
قادرا عالما وجب فى النظر والتفكر لانهم كانوا يعظمون اباءهم فاعلمهم
سبحانه ان اتباع الحق من دين ابراهيم الذى يقرون بفضله اوجب عليهم
القصه ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابراهيم عليه السلم ولد فى زمن
نمرود بن كنعان وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكاوس وبعضهم
قال ملكا برأسه وقيل لنمرود انه يولد فى بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه
وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم انما قالوا ذلك من طريق
التنجيم والكهن وقال اخرون بل وجد ذلك فى كتب الانبياء وقال اخرون
را نمرود كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسال عنه فعبر بانه
يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدى فعند ذلك امر بقتل كل غلام يولد

تلك السنه وامر بان يعزل الرجال عن النساء وبان يتفحص عن احوال النساء
فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فان كان غلاماً قتل وان كانت جارية
خليت حتى حبلت ام ابراهيم فلما دنت ولادة ابراهيم فلما دنت ولادة ام
ابراهيم خرجت ام ابراهيم هاربة فذهبت به الى غار ولفته في خرقة ثم جعلت
على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله تعالى رزقه في ابهامه
فجعل يمصها فتشخب لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة
ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة
فمكث ما شاء الله ان يمكث وقيل كانت تختلف اليه امه فكان يمص اصابعه
فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا
ومن اصبع سمنا عن ابي روق ومحمد بن اسحق ولما خرج من السرب نظر الى
النجم وكان اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر ثم راى القمر ثم راى الشمس
فقال ما قال ولما راى قومه يعبدون الاصنام خالفهم وكان يعيب آلهتهم
حتى فشا امره وجرت المناظرات قوله تعالى وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي
فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا
وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ
وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ايات القراة قرا اهل المدينة
وابن عامر في رواية ابن ذكوان اتحاجوني خفيفة النون والباقون بالتشديد
الحجة قال ابو علي لا نظر في قول من شدد فاما وجه التخفيف فانه حذف النون
الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل الى ازالته تارة بالحذف نحو
علماء بنو افلان وتارة بالابدال نحو لا املاه حتى يفادقا ونحو ديوان وقيراط
فحذفوا النون الثانية كراهية التضعيف ولا يجوز ان يكون المحذوف الاولى
لان الاستثقال يقع بالتكرير في الامر الاعم وفي الاولى ايضا انها دلالة الاعراب

وانما

وانما حذفت الثانية كما حذفها في ليتي في نحو قوله اذ قال ليتي اصادفه وتلف
بعض مالي وقوله تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الغاليات اذا فليني
فالمحذوف المصاحبة للياء ليسلم سكون لام الفعل يجري مجراها او حركتها
ولا يجوز ان يكون المحذوف الاولى لان الفعل يبقى بلا فاعل كما لا يحذف
الاولى في اتحاجوني لانها الاعراب ويدل على ان المحذوف الثانية انها حذفت
مع الجار ايضا في نحو قوله قدني من نصر الخبيبين قدي وقد جاء حذف هذه
النون في كلامهم قال الشاعر ايا الموت الذي لا بد اني ملاق لا اباك تخوفيني
وقال تذكرونا اذ نقاتلكم لا يضر معدما عدمه الاعراب موضع ان يشاء
نصب اي لا اخاف الا مشية الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره
لا اخافهم الا ان يشاء ربي احياءهم واقدارهم وعلما منصوب على التمييز المعنى
ثم ذكر سبحانه محاجة ابراهيم عليه السلام مع قومه فقال وحاجه قومه اي خاصموه
وجادلوه في الدين وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم قال اي ابراهيم لهم
اتحاجوني في الله وقد هداني اي وفقني لمعرفته ولطف لي في العلم بتوحيده
وترك الشرك واخلاص العبادة له ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف
منه ضررا ان كفرت به ولا ارجو نفعا ان عبدته لانه بين صنم قد كسر فلم يدفع
عن نفسه ونجم دل افوله على حدثه فكيف تحاجونني وتدعونني الى عبادة من لا
يخاف ضره ولا يرجى نفعه الا ان يشاء ربي شيئا فيه قولان احدهما ان معناه
الا ان يقلب الله هذه الاصنام التي تخوفونني بها فيحييها ويقدرها فتضر
وتنفع فيكون ضررها ونفعها اذ ذاك دليلا على حدثها ايضا وعلى توحيد الله
وعلى انه المستحق للعبادة دون غيره وانه لا شريك له في ملكه ثم اثنى على الله سبحانه
فقال وسع ربي كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء ثم امرهم بالتذكر والتدبر فقال
افلا تتذكرون والثاني قول الحسن ان معناه لا اخاف الاوثان الا ان يشاء
ربي ان يعذبني ببعض ذنوبي او يشاء الاضرار بي ابتداء والاول اجود ثم

احتج عليه السلام عليهم واكد الحجاج بقوله وكيف اخاف ما اشركتم اى كيف
تلزموننى ان اخاف ما اشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم فى
انهم لا يضرون ولا ينفعون ولا تخافون انكم اشركتم بالله اى ولا تخافون
من هو القادر على الضر والنفع بل تجترئون عليه بان اشركتم اى جعلتم له شركاء
فى ملكه وتعبدونهم من دونه وقيل معناه كيف اخاف شرككم وانا منه برئ
والله تعالى لا يعاقبنى بفعلكم وانتم لا تخافون وقد اشركتم به فيكون على هذا
ما فى قوله ما اشركتم مصدرية ما لم ينزل به عليكم سلطانا اى حجة على صحته
وهذا يدل على ان كل من قال قولا او اعتقد مذهبا بغير حجة فهو مبطل
فاى الفريقين احق بالامن اى نحن وقد عرفنا الله بادلته ووجهنا العبادة نحوه
ام انتم وقد اشركتم بعبادته غيره من الاصنام ولو اطرحتم العصبية والحمية
لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا ان كنتم تعلمون اى تستعملون عقولكم
وعلومكم فتميزون الحق من الباطل والدليل من الشبهة قوله جل وعلا
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ اية اللغة قال الاصمعى الظلم فى اللغة وضع الشئ فى غير
موضعه قال الشاعر هرت الشقاشق ظلامون للجزر يريد انهم عرقبوها
فوضعوا النحر فى غير موضعه وقال النابغة والنوى كالحوض بالمظلومة
الجلد يريد الارض التى صرف عنها المطر وانما سماها مظلومة لانهم
يحوضون فيها حوضا لم يحكموا صنعته ولم يضعوه فى موضعه لكونهم
مسافرين المعنى لما تقدم قوله سبحانه اى الفريقين احق بالامن اى بان
يامن من العذاب الموحد ام المشرك عقبه ببيان من هو احق به فقال
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا
به وبما اوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس
وسعيد بن المسيب وقتاده ومجاهد واكثر المفسرين وروى عن ابى بن كعب

انه قال الم تسمع قوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم وهو المروى عن سلمان
الفارسى وحذيفة بن اليمان وروى عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت
هذه الاية شق على الناس وقالوا يا رسول الله واينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلم
انه ليس الذى تعنون الم تسمعوا الى ما قال العبد الصالح يا بنى لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال الجبائى والبلخى يدخل فى الظلم كل كبيرة
وتحبط ثواب الطاعة قال البلخى ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب ان يكون
مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمنا كان امنا وذلك خلاف القول بالارجاء وهذا
لا يلزم لانه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير آمن وان كان ذلك
معلوما بدليل اخر اولئك لهم الامن من الله بحصول الثواب والامان من
العقاب وهم مهتدون اى محكوم لهم بالاهتداء الى الحق والدين وقيل
الى الجنة واختلف فى هذه الاية فقيل انه من تمام قول ابراهيم عليه السلم وروى
ذلك عن على عليه السلم وقيل ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل
القضاء بذلك بين ابراهيم وقومه عن محمد بن اسحق وابن زيد والجبائى قوله
عز وجل وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ
مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ خمس ايات القراءة قرا اهل الكوفة ويعقوب درجات
منونا والباقون درجات من نشا بالاضافة وقرا اهل الكوفة غير عاصم
والليسع بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفى ص والباقون واليسع
بسكون اللام وفتح الياء الحجة من اضاف درجات ذهب الى ان المرفوعة

رفيع الدرجات لمن يشاء ومن نون ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات
ويقوى قراة من اضاف قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن فضل
على غيره فقد رفع درجته عليه ويدل على قراة من نون قوله ورفع بعضهم
درجات لانه فى ذكر الرسل فاما قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فانه فى الرتب وارتفاع الاحوال فى الدنيا وانقضاعها
لان قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا واما من قرا الليسع باللام
فان هذه اللام زايدة قال ابو على اعلم ان لام المعرفه تدخل الاسماء على ضربين
احدهما للتعريف والآخر زيادة زيدت كما تزاد الحروف والتعريف على ضروب
منها ان يكون اشارة الى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل اذا اردت به
رجلا عرفتماه بعهد كان بينكما والآخر ان يكون اشارة الى ما فى نفوس الناس
من علمهم للجنس فهذا الضرب وان كان معرفة كالاول فهو مخالف له من حيث
كان الاول قد علمه حسا وهذا لم يعلمه كذلك انما يعلمه معقولا فاما نحو مررت
بهذا الرجل فانما تشير به الى الشاهد الحاضر لا الى غايب معلوم بعهد الا ترى
انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدلك على ذلك قولك
فى النداء يا ايها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر فاما نحو العباس والحرث والحسن
فاما دخلت الالف واللام فيها على تنزيل انها صفات جارية على موصوفين
وهذا يعنى الخليل بقوله جعلوه الشئ بعينه فاذا لم تنزل هذا التنزيل لم يلحقوها
الالف فقالوا حارث وعباس وعلى المذهبين جاء ذلك فى كلامهم قال
الفرزدق يقعدهم اعراق جزء بعدما ٭ رجا الهتم ادراك العلى والمكارم ٭
وقال يلتما ابن الملوك وفى بها ٭ رداى وجلت عن وجوه الاهاتم ٭ فجعله
مرة اسما بمنزلة اضحاة واضاح ومرة صفة بمنزلة احمر وجمع الاهتم بين الامرين
فى قوله اتانى وعيد الحوص من ال جعفر ٭ فيا عبد عمرو لو نهيت الاحاوصا واما
قوله والتيم الام من يمشى والامه ٭ دهل بن تيم بنو السود المدانيس ٭ فانه يحتمل

امرين يجوز ان يكون بمنزلة العباس لان التيم مصدر والمصادر قد اجريت
مجرى اسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعها
فى نحو نور ونوار وسيل وسوائل وعلى هذا قال الفضل فى اسم رجل كانهم
جعلوه الشئ الذى هو خلاف النقص والاخر ان يكون يتمى وتيم كزنجى وزنج
فاما الالف واللام فى اليسع فلا يخلوا ان يكون زايدة او غير زايدة فان
كانت غير زايدة فلا يخلوا ان تكون على حد الرجل اذا اردت به المعهود
والجنس نحو ان الانسان لفى خسر او على حد دخولهما فى العباس فلا يجوز ان يكون
على واحد من ذلك فثبت انه زيادة ومما جاءت اللام فيه زايدة ما انشده
احمد بن يحيى يا ليت ام العمرو كانت صاحبى ٭ مكان من اشا على الركائب ٭
ومما جاء الالف واللام فيه زايدة الخمسة عشر يوما حكاه ابو الحسن الاخفش
الا ترى انهما اسم واحد ولا يجوز ان يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز
ان يعرف بعض الاسم دون بعض وذهب ابو الحسن الى ان اللام فى اللات
زايدة لان اللات معرفة فاما العزى فبمنزلة العباس وقياس قول ابى الحسن
هذا ان يكون اللام فى اليسع ايضا زايدة لانه علم مثل اللات وليس بصفة
ومما جاءت اللام فيه زايدة قول الشاعر وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا ٭ شديدا
باحناء الخلافة كاهله ٭ فاما من قال الليسع فانه يكون اللام على حدها ما فى
الحارث الا ترى انه وزن الصفاة الا انه وان كان كذلك فليس له مزية على
القول الاخر الا ترى انه لم يجئ فى الاسماء الاعجمية المنقولة فى حال التعريف نحو
اسمعيل واسحق شئ على هذا النحو كما لم يجئ فيها شئ فيه لام التعريف واذا كان
كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع فى انه خارج عما عليه الاسماء الاعجمية المختصة
المعربة الاعراب وتلك حجتنا تلك مبتدا وحجتنا خبره والظاهر ان قوله على
قومه من صلة حجتنا اى وتلك حجتنا على قومه واذا جعلت اتيناها من صفة
حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغى ان يكون متعلقا

بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن ابي علي المعنى ثم بين سبحانه ان الحجج
التي ذكرها ابراهيم عليه السلم لقومه اتاه اياها واعطاها اياه بمعنى انه
هداه لها والى احتج بها بامره فقال وتلك حجتنا اي دلتنا اتيناها اعطيناها
ابراهيم واخطرناها بباله وجعلناها حججا على قومه من الكفار حتى تمكن من ايرادها
عليهم عند المحاجة نرفع درجات من نشاء من المؤمنين الذين يصدقون الله
ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الايمان واليقين
ان ربك حكيم عليم يجعل التفاوت بينهم على ما توجبه حكمته ويقتضيه علمه
وقيل معناه نرفع درجات من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة ووهبنا له
اي لابراهيم اسحق وهو ابنه من سارة ويعقوب بن اسحق كلا هدينا اي الثلثة
فضلنا بالنبوة كما قال سبحانه ووجدك ضالا فهدى اي ذاهبا عن النبوة فهداك
اليها وقيل معناه كلا هدينا لنيل الثواب والكرامات عن الجبائي من الله سبحانه
على ابراهيم بان رزقه الولد وولد الولد فان من افضل النعم على العبد ان
يرزقه الله ولدا يدعو له بعد موته فكيف اذا رزق الولد وولد الولد وهما
نبيان مرسلان ونوحا هدينا من قبل اي من قبل هؤلاء ومن ذريته اي ومن
ذرية نوح لانه اقرب المذكورين اليه ولان فيمن عددهم من ليس من ذرية
ابراهيم وهو لوط والياس وقيل اراد ومن ذرية ابراهيم داود وهو داود
بن ايشا وسليمن ابنه وايوب وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن
عيصا بن اسحق بن ابراهيم ويوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وموسى بن
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهرون اخاه وكان اكبر منه
بسنة وكذلك نجزي المحسنين بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما
نفضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة وكذلك نفضل على المحسنين بنيل الثواب
والكرامات وزكريا وهو زكريا بن اذن بن بركيا ويحيى وهو ابنه وعيسى وهو
بن مريم بنت عمران بن ياشهم بن امون بن حزقيا والياس واختلف فيه فقيل انه

ادريس

ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو الياس بن
بسر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران نبي الله عن ابن اسحق وقيل هو
الخضر عن كعب كل من الصالحين اي من الانبياء والمرسلين واسمعيل وهو بن
ابراهيم واليسع بن اخطوب بن العجوز ويونس بن متى ولوطا وهو لوط بن
هاران بن اخي ابراهيم وقيل هو ابن اخته وكلا اي وكل واحد منهم فضلنا
على العالمين اي عالمي زمانه ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن
ابراهيم عليه السلم انه قال سمى ذريته الى قوله وكذلك نجزي المحسنين ثم عطف
قوله وزكريا ويحيى على قوله ونوحا هدينا ولا يمتنع ايضا ان يكون غلب الاكثر
الذين هم من نسل ابراهيم على ان الرواية التي جاءت عن بن مسعود ان الياس
ادريس وهو جد نوح عليه السلم اذا لم يضعف قول من قال ان الهاء كناية
عن ابراهيم وقال الزجاج يجوز ان يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز ان
يكون من ذرية ابراهيم لان ذكرهما جميعا قد جرى واسماء الانبياء التي جاءت
بعد قوله ونوحا نسق على نوح واذا جعل الله سبحانه عيسى من ذرية ابراهيم
او نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسن
والحسين عليهما السلم ذرية رسول الله صلى الله عليه واله على الاطلاق و
انهما ابناء رسول الله صلى الله عليه واله وقد صح في الحديث انه قال لهما عليهما السلم
ابناي هذان امامان قاما او قعدا وقال الحسن ان ابني هذا سيد وان الصحابة
كانت تقول لكل منهما ومن اولادهما يا بن رسول الله ومن ابائهم يعني ومن
اباء هؤلاء الانبياء وذرياتهم واخوانهم جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه
هدينا هؤلاء وهدينا بعض ابائهم واخوانهم واجتبيناهم اي اعطيناهم واخترناهم
للرسالة وهو ماخوذ من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته وهديناهم اي سددناهم
وارشدناهم فاهتدوا الى صراط مستقيم اي طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين
الحق قوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده

وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ

ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء الا ان حمزة والكسائي ويعقوب وخلفا يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقون يثبتونها في الوصل والوقف الحجة قال ابو علي الوجه الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على اثباتها ولا ينبغي ان يوصل والهاء ثابتة لان هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في ان الهاء للوقف كما ان همزة الوصل للابتداء بالساكن فكما لا تثبت الهمزة في الوصل كذلك ينبغي ان لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي تلحق الوقف وحسن اضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر فجال على وحشيه وتخاله * على ظهره سبا جديدا يمانيا * كانه قال وتخال جيلا على ظهره سبا فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتا على ظهره ومثله قول الشاعر هذا سراقة للقرآن يدرسه * والمرء عند الرشى ان يلقها ذيب * فالهاء كناية عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القرآن لان الفعل قد تعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره المعنى ثم بين سبحانه اكرامه لانبيائه عليهم السلام ثم امر من بعد بالاقتداء بهم فقال ذلك وهو اشارة الى ما تقدم ذكره من التفضيل والاجتباء والهداية والاصطفاء هدى الله يهدي به من يشاء من عباده من لم يسمهم في هذه الايات والهداية هنا هي الارشاد الى الثواب دون الهداية التي هي نصب الادلة الا ترى الى قوله وكذلك نجزي المحسنين وذلك لا يليق الا بالثواب الذي يخص المحسنين دون الدلالة التي يشترك فيها المؤمن والكافر وقوله وكذلك نجزي المحسنين والكافر وقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون يدل ايضا على ذلك ومعناه

انهم

انهم لو اشركوا لبطلت اعمالهم التي كانوا يعملونها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لتوجيههم الى غير الله تعالى وليس في ذلك دلالة على ان الثواب الذي استحقوه على طاعاتهم المتقدمة يحبط اذ ليس في ظاهر الاية ما يقتضي ذلك على انا قد علمنا بالدليل ان المشرك لا يكون له ثواب اصلا واجمعت الامة على ذلك اولئك يعني من تقدم ذكرهم من الانبياء الذين آتيناهم اي اعطيناهم الكتاب اراد الكتب ووحد لانه عنى به الجنس والحكم معناه والحكم بين الناس وقيل الحكمة والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بالكتاب والحكم والنبوة هؤلاء يعني الكفار الذين جحدوا نبوة النبي صلى الله عليه وآله في ذلك الوقت فقد وكلنا بها اي بمراعاة امر النبوة وتعظيمها والاخذ بهدى الانبياء قوما ليسوا بها بكافرين واختلف في المعنيين بذلك فقيل عني به الانبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما اتى النبي صلى الله عليه وآله قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي وقيل عني به الملائكة عن ابي رجاء العطاردي وقيل عني به من آمن من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله في وقت مبعثه وقيل عني بقوله فان يكفر بها كفار قريش وبقوله قوما ليسوا بها بكافرين اهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وانما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفا لهم بالاضافة الى نفسه وقيل معناه فقد الزمناها قوما موافقا بها وفي هذا ضمان من الله تعالى الى ان ينصر نبيه ويحفظ دينه اولئك الذين هدى الله اي هداهم الله الى الصبر فبهداهم اقتده اقتد بهم في الصبر على اذى قومك واصبر واحتسب حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه اولئك الذين قبلوا هدى الله واهتدوا بلطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم في التوحيد والادلة والاشارة باولئك الى الانبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل الى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لانه في ذكرهم عن الحسن وقتادة وعلى هذا فلم يكرر لفظ الهداية وفي القول الاول اعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله فبهداهم اقتده اقتد

بصبر ايوب وسخاء ابراهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى
فيه بقوله قل يا محمد لا اسئلكم عليه اجرا اى لا اطلب منكم على تبليغ الوحى واداء
الرسالة جعلا كما لا يسال ذلك الانبياء قبلى فان اخذ الاجر عليه ينفر الناس
عن القبول ان هو اى ما هو الا ذكرى اى تذكير للعالمين بما يلزمهم اتيانه
واجتنابه وفى هذه الاية دلالة على انه لا يخلوا كل زمان من حافظ للدين
اما نبى او امام لقوله فقد وكلنا بها قوما واسند التوكيل الى نفسه وقد استدل
قوم بالاية على ان النبى وامته كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم الا ما قام الدليل
على نسخه وهذه لا يصح لان الاية قد وردت فيما اتفقوا عليه على ما تقدم
ذكره وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الاخلاق فاما الشرايع فانها تختلف
فلا يصح الاقتداء بجميع الانبياء فيها ويدل الاية على ان نبينا عليه السلام مبعوث
الى كافة العالمين وان النبوة مختومة ولذلك قال ان هو الا ذكرى للعالمين
قوله عز وجل وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ اِذْ قَالُوا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى
بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا وَهُدًى
لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
اَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ اية القراءة قرا
ابن كثير وابو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء فيها والباقون
بالتاء فى الجميع الحجة من قرا بالياء فلان ما قبله وما قدروا الله على الغيبة
ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب من قوله قل من انزل الكتاب وقوله فيما بعد
وعلمتم ما لم تعلموا الاعراب حق قدره منصوب على المصدر تبدونها وتخفون
كثيرا يجوز ان يكون صفة لقراطيس لان النكرات توصف بالجمل ويجوز ان يكون
حالا من ضمير الكتاب فى تجعلونه على ان يجعل القراطيس الكتاب فى المعنى لانه
مكتوب فيها وانما رفع قوله يلعبون لانه لم يجعله جوابا لقوله ذرهم ولو
جعله جوابا لجزمه كما قال سبحانه ذرهم ياكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال

والتقدير ذرهم لاعبين فى خوضهم النزول جاء رجل من اليهود
يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبى صلى الله عليه وآله فقال له النبى
انشدك بالذى انزل التورية على موسى اما تجد فى التورية ان الله سبحانه
يبغض الحبر السمين وكان سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر
من شئ فقال له اصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الاية عن سعيد بن جبير
وقيل ان الرجل كان فنحاص بن عازوراء وهو قايل هذه المقالة عن
السدى وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا
والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الاية عن ابن عباس وفى رواية اخرى
عنه انها نزلت فى الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن اقر ان الله على كل شئ
قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت فى مشركى قريش عن مجاهد
لما تقدم ذكر الانبياء والنبوة عقبه سبحانه بالتعجيب لمن انكر النبوة فقال
وما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته
وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ
اى ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة والحكمة يقتضيان
ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بعثة كثير منهم ثم امر سبحانه نبيه فقال قل
يا محمد لهم من انزل الكتاب الذى جاء به موسى يعنى التورية وانما احتج بذلك
عليهم لان القايل لذلك من اليهود ومن قال ان المعنى بذلك مشركوا العرب قال احتج عليهم
بالامر الظاهر ثم بين ان منزلة محمد فى ذلك كمنزلة موسى نورا اى يستضاء به فى الدين
كما يستضاء بالنور فى الدنيا وهدى للناس اى دلالة يهتدون به يجعلونه قراطيس
اى كتبا وصحفا متفرقة وقال ابو على الفارسى معناه يجعلونه ذا قراطيس اى يودعونه
اياها تبدونها وتخفون كثيرا اى تبدون بعضها وهو فى الكتب من صفاة النبى صلى الله
عليه واله والاشارة اليه والاشارة به وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل انه خطاب
للمسلمين بذكرهم ما انعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود اى علمتم التورية



فضيعتموه ولم تنتفعوا به وقيل معناه وعلمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن
قل يا محمد الله اي الله انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا اراد البيان و
الاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب
عنه بما قد علم انه لا جواب له غيره ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي دعهم وما
يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على اباحة
ترك الدعاء والانذار بل على ضرب من التوعد والتهدد كانه قال دعهم
فسيعلمون عاقبة امرهم قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق
الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون ايه القراة قرا ابو بكر
عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء الحجه من قرا بالتاء يؤيد قراءته
قوله وانذرهم به الذين يخافون وانما انت منذر من يخشيها ومن قرا
بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به وانما انذركم
بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع الاعراب انزلناه جملة
مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك صفة له ايضا المعنى لما احتج سبحانه
بانزال التورية على موسى عليه السلم بين ان سبيل القرآن سبيلها فقال
وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه من السماء لان جبرئيل اتى به من السماء مبارك
وانما سماه مباركا لانه ممدوح مستسعد به فكل من تمسك به نال الفوز عن
ابي مسلم وقيل ان البركة ثبوت الخير على النمو والزيادة ومنه تبارك الله اي
ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لان قراءته خير والعمل به
خير وفيه علم الاولين والاخرين وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام
وقيل البركة الزيادة والقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب
المتقدمة لانه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف مصدق الذي بين يديه
من الكتب كالتورية والانجيل وغيرهما عن الحسن ويصدق بقية الكتب على وجهين

احدهما

احدهما انه يشهد بانها حق والثاني انه ورد بالصفة التي نطق بها الكتب المتقدمة
ولتنذر ام القرى ومن حولها يعني بام القرى مكة وبمن حولها اهل الارض كلهم
عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر اهل ام القرى وانما
سميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها فكان الارض تنشأت منها
وقيل لان اول بيت في الدنيا وضع بمكة فكان القرى تنشأت منها عن السدي
وقيل لان على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لانها قبلتهم كما يجب تعظيم
الام عن الزجاج والجبائي والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به اي بالقرآن
ويحتمل ان يكون كناية عن محمد صلى الله عليه وآله لدلالة الكلام عليه وهم على
صلوتهم يحافظون اي يراعونها ليؤدوها في اوقاتها ويقوموا باتمام ركوعها وسجودها
وجميع اركانها وفي هذا دلالة على عظم قدر الصلوة ومنزلتها لانه سبحانه خصها
بالذكر من بين ساير الفرايض ونبه على ان من كان مصدقا بالقيمة وبالنبي صلى الله
عليه وآله لا يخل بها ولا يتركها قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم
اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير
الحق وكنتم عن اياته تستكبرون ايه اللغه اصل الافتراء القطع من فري
الاديم يفريه فريا فكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والغمرة الغشية
وغمرة كل شيء معظمه وغمرات الموت شدايده قال الشاعر الغمرات ثم ينجلينا
ثم يذهبن فلا يجينا واصله الشيء يغمر الاشياء فيغطيها والهون بضم الهاء الهوان
قال ذو الاصبع العدواني اذهب اليك فما امي براعية ترعى المخاض ولا اغضي
على الهون والهون بفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يمشون على الارض هونا
وقال هونا كما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن اسفا في اثر من ماتا الاعراب من قال
سانزل في موضع جر على العطف كانه قال ومن اظلم ممن قال ذلك وجواب لو

من قوله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت محذوف اى لرايت
عذابا عظيما **النزول** اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت فى
مسيلمة حيث ادعى النبوة الى قوله ولم يوح اليه شئ وقوله سانزل
مثل ما انزل الله فى عبد الله بن سعيد بن ابى سرح فانه كان يكتب الوحى
للنبى صلى الله عليه واله فكان اذا قال له اكتب عليما حكيما كتب غفورا
رحيما واذا قال اكتب غفورا رحيما كتب عليما حكيما وارتد ولحق بمكة
وقال انى انزل مثل ما انزل الله عن عكرمه وبن عباس ومجاهد والسدى
واليه ذهب الفراء والزجاج والجبائى وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم
وقال قوم نزلت فى بن ابى سرح خاصة وقال قوم نزلت فى مسيلمه خاصة
المعنى لما تقدم ذكر نبوة النبى صلى الله عليه واله وانزال الكتب عليه
عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه وادعوا انهم يأتون
بمثل ما اتى به فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هذا استفهام
فى معنى الانكار لا احد اظلم ممن كذب على الله فادعى انه نبى وليس
بنبى او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ اى يدعى الوحى ولا يأتيه ولا
يجوز فى حكمة الله سبحانه ان يبعث كذابا وهذا وان كان داخلا فى
الافتراء فانما افرد بالذكر تعظيما ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال
الزجاج هذا جواب قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم لم يفعلوا
وبذلوا النفوس والاموال واستعملوا ساير الحيل فى اطفاء نور الله وابى
الله الا ان يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن ابى سرح املى عليه
رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا اخر فجرى على لسان بن ابى سرح فتبارك
الله احسن الخالقين فاملاه عليه وقال هكذا انزل فارتد عدو الله وقال
لئن كان محمد صادقا فلقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا فلقد

قلت

قلت كما قال وارتد عن الاسلام ونذر رسول الله صلى الله عليه وآله
دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمن وقد اخذ بيده ورسول الله فى المسجد
فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله ثم اعاد فسكت ثم اعاد
فقال هو لك فلما مر قال رسول الله صلى الله عليه واله لاصحابه الم اقل
من راه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عينى اليك يا رسول الله ان تشير
الى فقتله فقال عليه السلم الانبياء لا يقتلون بالاشارة ثم اخبر سبحانه
عن حال هؤلاء فقال ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت اى شدا
يد الموت عند النزع وقيل فى اشد العذاب فى النار والملئكة الذين
يقبضون الارواح وقيل يريد ملئكة العذاب باسطوا ايديهم لقبض
ارواحهم وقيل يبسطون اليهم ايديهم بالعذاب يضربون وجوههم
وادبارهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم من سكرات الموت
ان استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادعيتم وقيل اخرجوا انفسكم من اجسا دكم
عند معاينة الموت ارهاقا لهم وتغليظا عليهم وان كان اخراجها من فعل
غيرهم وقيل على التاويل الاول يقولون لهم يوم القيمة اخرجوا انفسكم
من عذاب النار ان استطعتم اى خلصوها منه اليوم تجزون عذاب الهون
اى عذابا يلقون فيه الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق فى الدنيا
وكنتم عن اياته تستكبرون اى تانفون من اتباع اياته **قوله عز وجل**
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد
تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون اية **القراءة** قرا اهل المدينة
والكسائى وحفص بينكم بالنصب والباقون بينكم بالرفع **الحجة** قال
ابو على استعمل هذا الاسم على ضربين احدهما ان يكون اسما متصفا كالافتراق
والاخر ان يكون ضرمتصرفا كالافتراق والاخر ان يكون ظرفا والمرفو

ع ١ٸ

ع

في قراة من قرأ لقد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفا ثم استعمل اسما والدليل
على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك
فلما استعمل اسما في هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع
في قول من رفع والذي يدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفا
انه لا يخلو من ان يكون الذي كان ظرفا اتسع فيه او يكون الذي هو مصدر
فلا يجوز ان يكون المصدر لان تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا
خلاف المعنى المراد لان المراد لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتالفون عليه فان
قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل واصله الافتراق والتباين قيل انه لما
استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم
وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة وعلى خلاف
الفرقة فلهذا قد جاء لقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فاما من نصب بينكم
ففيه مذهبان احدهما انه اضمر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله
وما نرى معكم شفعاءكم لان هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل
فكانه قال لقد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه انهم قالوا اذا كان غدا فأتني
واضمر ما كانوا فيه من رجاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الاخر انه انتصب
على شيء يراه ابو الحسن فانه يذهب الى ان معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم
منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه في اكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم
القيمة يفصل بينكم وقوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك في موضع رفع عنده
وان كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح **اللغة** فرادى جمع فرد وفريد
وفرد والعرب تقول فرادى وفراد فلا يصرفونها تشبيها بثلاث ورباع
قال الشاعر ترعى النعرات البيض تحت لبانه فرادى ومثنى اصعقتها صواهله وقال
النابغة من وحش وجرة موشى اكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
ومثل الفرادى الردافى والقرابى والتخويل الاعطاء واصله تمليك الخول كما

ان

ان التخويل هو تمليك الاموال وخوله الله اعطاه مالا وفلان خولي مال
وخال مال وخائل مال اذا كان يصلح المال وهم خول فلان اي اتباعه والواحد
خائل والزعم قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر يقول هلكنا اعيا
هلكت وانما على الله ارزاق العباد كما زعم والبين مصدر بان يبين اذا فارق
قال الشاعر بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لبين تجزع قال ابو زبيد
بان الحي بينونة وبينا اذا ظعنوا وتباينوا اي تفرقوا بعد ان كانوا جميعا **الاعراب**
فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بانه مفعول
تركتم **النزول** نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة حين قال سوف تشفع لي اللات
والعزى عن عكرمة **المعنى** ثم بين سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال
ولقد جئتمونا قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت
او البعث وقيل هذا من كلام الملائكة يؤدونه عن الله الى الذين يقبضون
ارواحهم فرادى اي وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم عن الجبائي وقيل
واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفرد من شريكه في الغي وشقيقه
عن الزجاج كما خلقناكم اول مرة اي كما خلقناكم في بطون امهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين
عن الجبائي وقيل معناه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تحشرون
حفاة عراة عزلا والعزل هم القلف وروي عن عائشة قالت لرسول الله صلى الله
عليه وآله حين سمعت ذلك واسوأتاه اينظر بعضهم الى سوأة بعض من الرجال
والنساء فقال عليه السلام لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ويشغل بعضهم عن
بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم اول مرة اي يكون بعثكم كخلقكم وتركتم
ما خولناكم معناه ما ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الاموال وراء
ظهوركم اي خلف ظهوركم في الدنيا والمراد تركتم الاموال وحملتم من الذنوب
الاحمال واستمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة وما نرى معكم
شفعاءكم اي ليس معكم من كنتم تزعمون انهم يشفعون لكم عند الله يوم القيمة

ومن الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم شركاء معناه زعمتم انهم شركاؤنا فيكم
وشفعاؤكم يريد وما نفعكم عبادة الاوثان التي كنتم تقولون انها فيكم شركا
وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله تعالى او اعتمد
غيره يرجوا خيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى لقد تقطع بينكم اي وصلكم
وجمعكم ومن قرا بالنصب فمعناه لقد تقطع الامر بينكم او تقطع وصلكم بينكم وضل
عنكم ما كنتم تزعمون اي ضاع وتلاشى ولا تدرون اين ذهب من جعلتم شفعاءكم
من الهتكم ولم ينفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء
فقد حث الله سبحانه في هذه الاية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز ويدرك
النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات قوله تعالى
ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي
ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ايتان القراءة قرا اهل الكوفة
وجعل الليل والباقون وجاعل بالالف والرفع الليل بالجر الحجة وجه قول من قرا
وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فالق الحب فالق الاصباح ليكون فاعل المعطوف
مثل فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لان الاسم
بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوى ذلك قولهم للبس عباءة وتقر عيني احب الي
من لبس الشفوف فنصب وتقر ليكون في تقدير اسم باضمار ان فيكون قد عطف
اسما على اسم وقوله ولولا رجال من رزام ومازن وال سبيع او اسوءك علقما
ومن قرا وجعل فلان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى
فعل عطف عليه فعل لموافقته له في المعنى ويدلك على انه بمنزلة فعل انه نزل
منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسبانا الا ترى انه لما كان
المعنى فعل حمل عطف المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل
كفعل ويقوى ذلك قولهم هذا معطي زيد درهما امس فالدرهم محمول على اعطى

لان اسم الفاعل اذا كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل فاذا كان معط بمنزلة اعطى
كذلك جعل فالق بمنزلة فلق لان اسم الفاعل لما مضى يعطف عليه فعل لما كان
بمنزلته اللغة الفلق الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبح لان الظلام
ينفلق عنه والفلق المطمئن من الارض كانه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل
ما لا يكون له نوى كالبر والشعير والنوى جمع نواة والاصباح والصبح واحد
وهو مصدر اصبحنا اصباحا وقد روي عن الحسن انه قرا فالق الاصباح بالفتح
يريد صبح كل يوم وما قرا به غيره والسكن الذي يسكن اليه والحسبان جمع حساب
مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسبه حسابا وحسبانا وحكي
عن بعض العرب على الله حسبان فلان وحسبته اي حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع
حسبانة وهي وسادة صغيرة والحسبان والمحسبة مصدر حسبت فلانا عاقلا
احسبه واحسبه الاعراب النصب في الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله
وجاعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر حسبانا وحسبانا المفعول
الثاني منه ولا يجوز وجاعل الليل سكنا لان اسم الفاعل اذا كان واقعا لا يعمل
عمل الفعل واضيف الى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد امس لا غير المعنى
ثم عاد الكلام الى الاحتجاج على المشركين بعجايب الصنع ولطايف التدبير فقال سبحانه
ان الله فالق الحب والنوى اي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها النبات وشاق
النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتاده والسدي وقيل معناه
خالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به
ما في الحبة والنواة من الشق وهو من عجيب قدرة الله سبحانه في استوائه عن مجاهد وابي
مالك يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي اي يخرج النبات الغض الطري
الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب
تسمي الشجر ما دام غضا قائما بانه حي فاذا يبس او قطع او قلع سموه ميتا وقيل معناه
يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وقتاده

وابن زيد وغيرهم وهذا اصح وقيل معناه يخرج الطين من البيض والبيض من الطير عن
الجبائ وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ذلكم الله اى فاعل ذلك كله
الله فانى تؤفكون اى تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الادلة الظاهرة
الى الباطل افلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغي ان يجعل لمن انعم عليكم بفلق الحب
والنوى واخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك فى عبادته فالق الاصباح
اى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن اكثر المفسرين وقيل معناه خالق
الضياء عن ابن عباس وجاعل الليل سكنا تسكنون فيه وتودعون فيه عن
ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين نبه الله سبحانه على عظيم نعمته بان جعل
الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته ثم
قال والشمس والقمر حسبانا اى جعلهما يجريان فى افلاكهما لا يتجاوزانه حتى
ينتهيا الى اقصى منازلهما فتقطع الشمس جميع البروج الاثنى عشر فى ثلثمائة
وخمسة وستين يوما وربع والقمر فى ثمانية وعشرين يوما ويبنى عليهما اللياليَ
والايام والشهور والاعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل
فى فلك يسبحون عن ابن عباس والسدى وقتادة ومجاهد اشار سبحانه بذلك
الى ما فى حسابهما من مصالح العباد فى معاملاتهم وتواريخهم واوقات عباداتهم
وغير ذلك من امورهم الدينية والدنيوية ذلك اشارة الى ما وصفه سبحانه
من فلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز
الذى عز سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع منه العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم
قوله عز وجل وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات
البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون وهو الذى انشاكم
من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون
ايتان القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر
بكسر القاف والباقون بفتح القاف الحجة قال ابو على من كسر القاف كان

المستقر

المستقر بمعنى القار واذا كان كذلك وجب ان يكون خبره المضمر منكم اى
فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر اى مستقر فى الارحام ومن فتح فليس على
انه مفعول الا ترى ان استقر لا يتعدى واذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول
به واذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المقر
بمنزلة القار واذا كان كذلك جعلت الخبر المضمر لكم والتقدير فمستقر لكم
واما المستودع فان استودع فعل يتعدى الى مفعولين تقول استودعت
زيدا الفا واودعت زيدا الفا فاستودع مثل اودع كما ان استجاب مثل
اجاب فالمستودع يجوز ان يكون الانسان الذى استودع ذلك المكان
ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع
مكانا ليكون مثل المعطوف عليه اى فلكم مكان استقرار واستيداع ومن قرا
فمستقر فالمعنى منكم مستقر فى الارحام ومنكم مستودع فى الاصلاب فالمستودع
اسم المفعول به فيكون مثل المستقر فى انه اسم لغير المكان ثم ذكر سبحانه
ما يقارب فى المعنى الاية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته وعظيم قدرته فقال
وهو الذى جعل اى خلق لكم اى لنفعكم النجوم لتهتدوا بها اى بضوئها
وطلوعها ومواضعها فى ظلمات البر والبحر لان من النجوم ما يكون بين يدى
الانسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن
يساره فيهتدى بها فى الاسفار وفى البلاد وفى القبلة واوقات الليل
والى الطرق فى مسالك البرارى والبحار وقال البلخى ليس فى قوله لتهتدوا
بها ما يدل على انه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لامور جليلة عظيمة
ومن فكر فى صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها واتصالها
وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر فى نشو الحيوان والنبات علم ان الامر
كذلك ولو لم يخلقها الا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا او كبارا واختلافها
فى المسير معنى وفى تفسير على بن ابراهيم بن هاشم النجوم ال محمد عليهم السلم

قد فصلنا الايات اى بينا الحجج والبينات لقوم يعلمون اى يتفكرون فيعلمون
وهو الذى انشاكم اى ابدعكم وخلقكم من نفس واحدة اى من ادم عليه السلم
لان الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق امنا حواء من ضلع من اضلاعه ومن علينا
بهذا لان الناس اذا رجعوا الى اصل واحد كانوا اقرب الى التواد والتعاطف
والتالف فمستقر ومستودع قد مر ذكرهما فى الحجة واختلف فى معناهما فقيل
مستقر فى الرحم الى ان يولد ومستودع فى القبر الى ان يبعث عن عبد الله بن
مسعود وقيل مستقر فى بطون الامهات ومستودع فى اصلاب الاباء عن سعيد بن
جبير وعكرمة عن ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الارض فى الدنيا ومستودع
عند الله فى الاخرة عن مجاهد وقيل مستقرها ايام حيوتها ومستودعها حيث يموت
وحيث يبعث عن ابى العالية وقيل مستقر فى القبر ومستودع فى الدنيا عن ابى
الحسن وكان يقول يا ابن ادم انت وديعة فى اهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك
وانشد قول لبيد وما المال والاهلون الا ودايع ولابد يوما ان ترد
الودايع وقال سليمان بن زيد العدوى فى هذا المعنى فجع الاحبة بالاحبة
قبلنا فالناس مفجوع به ومفجع مستودع او مستقر مدخلا فالمستقر يزور
المستودع قد فصلنا الايات اى بينا الحجج وميزنا الادلة لقوم يفقهون
مواقع الحجة ومواضع العبرة وانما خص الذين يعلمون ويفقهون لانهم
المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرر قوله قد فصلنا الايات حثا على
النظر وتنبيها على ان كلا مما ذكر اية ودلالة تدل على توحيده وصفاته العلى
قوله عز وجل وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل
شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان
دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه
انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون اية
القراءة قرا ابو بكر عن عاصم برواية ابى يوسف الاعشى والبرجمى وجنات بالرفع

وهو قراءة

وهو قراءة امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلم وعبد الله بن مسعود والاعمش
ويحيى بن يعمر وقرا الباقون وجنات على النصب وقرا حمزة والكسائى وخلف ثمره
بضمتين وكذلك كلوا من ثمره وفى سورة يس ليأكلوا من ثمره وقرا الباقون
ثمره بفتحتين فى الجميع الحجة من قرا وجنات فانه عطفها على قوله خضرا اى
فاخرجنا من الماء خضرا وجنات من اعناب ومن قرا وجنات بالرفع فانه
عطفها على قنوان لفظا وان لم يكن من جنسها كقول الشاعر متقلدا سيفا ورمحا
ومن قرا الى ثمره فالثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرا ثمره بضمتين
فيحتمل وجهين احدهما ان يكون جمع ثمرة وثمر مثل خشبة وخشب واكمة
واكم قال الشاعر عن الفوارس يوم دبيقة المغشو الكماة غوارب الاكم
ونظيره من المعتل قارة وقور وناقة ونوق وساحة وسوح قال الشاعر وكان سبان
الاشرحوا انهما او يرجوه بها واجريت السوح والاخر ان يكون جمع ثمار على ثمر
فيكون ثمر جمع الجمع اللغة خضر بمعنى اخضر يقال اخضر فهو خضر واخضر واعور
فهو عور واعور وفى الحديث ان الدنيا حلوة خضرة اى غضة ناعمة وذهب دمه
خضرا مضرا اى باطلا واخذ الشئ خضرا مضرا اى مجانا بغير ثمن وقيل غضا طريا
وفلان اخضر الجلدة واخضر المنكب اى ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس
بن عتبة بن ابى لهب وانا الاخضر من يعرفنى اخضر الجلدة فى بيت العرب من يساجلنى
يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب برسول الله وابنى بنته وبعباس
بن عبد المطلب وكتيبة خضراء اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمى الاسود
اخضر وسمى سواد العراق سواد الكثرة خضرته ومتراكب متفاعل من الركوب وطلع
النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق
بكسر العين اى الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف
وظمها لغتان وقنيان بالياء لغة تميم ودانية قريبة المتناول والينع النضج يقال
ينع الثمر ينعا وينعا واينع اذا ادرك قال الشاعر فى قباب وسط دسكرة

حولها الزيتون قد ينعا ٭ وقيل ان الينع جمع يانع ٭ مثل صاحب وصحب وتاجر
وتجر المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وهو الذى انزل من السماء ماء يريد
من السحاب والعرب يقول كل ما علاك فاظلك فهو سماء واخرجنا به نبات
كل شئ والمعنى فاخرجنا بالماء الذى انزلناه من السماء من غذاء الانعام والطير
والوحش وارزاق بنى ادم ما يتغذون به وياكلونه فينبتون عليه وينمون
يريد بنبات كل شئ ما ينبت به كل شئ وينمو عليه ويحتمل ان يكون المراد لخرجنا
به نبات جميع انواع النبات ليكون كل شئ هو اصناف النبات كقوله ان هذا
لهو الحق اليقين عن الفراء والاول اجود وانما قال به لانه سبحانه جعله سببا موصلا
الى النبات لا مولدا له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال انه فعله بسبب
مولد فاخرجنا منه اى من الماء وقيل من النبات خضرا اى زرعا رطبا اخضر
وهو ساق السنبلة نخرج منه اى من ذلك الزرع الخضر حبا متراكبا قد تركب بعضه
على بعض مثل سنبلة الحنطة والسمسم وغير ذلك ومن النخل اى ونخرج من النخل
من طلعها قنوان اى اعذاق الرطب دانية اى قريبة المتناول ولم يقل ومنها
قنوان بعيدة لان فى الكلام دليلا على ان البعيدة السحيقة من النخل قد كانت
غير سحيقة فاجتزا بذكر القريبة عن ذكر السحيقة كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل
وسرابيل تقيكم البرد لان فى الكلام دليلا على انها تقى البرد لان ما يستر عن الحر
يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها وثقل حملها
وتقديره ومن النخل من طلعها ما قنوانه دانية وانما خص الطلع بالذكر لما فيه من
المنافع والاغذية الشريفة التى ليست فى اكمام الثمار وجنات من اعناب يعنى واخرجنا
به ايضا جنات من عناب اى بساتين من اعناب ومن رفعه فتقديره ويخرج به
جنات من اعناب والزيتون والرمان لانهما شجرتان تعرفهما العرب ان ورقهما
يشتمل على الغصن من اوله الى اخره قال الشاعر بورك الميت الغريب كما بورك
نضح الرمان والزيتون ومعناه ان ورقهما يشتمل على العود كله مشتبها وغير متشابه

اى متشابها

اى مشتبها شجره يشبه بعضه بعضا وغير متشابه فى الطعم وقيل مشتبها ورقه مختلفا
ثمره عن قتاده وقيل مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم وقيل مشتبها ما كان من
جنس واحد وغير متشابه اذا اختلف جنسه عن الجبائى والاولى ان يقال ان جميع
ذلك متشبه من وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم انظروا الى ثمره
اذا اثمر اى انظروا اى انظروا الى خروج الثمار نظر الاعتبار وينعه اى نضجه
ومعناه انظروا من ابتداء خروجه اذا اثمر الى انتهائه اذا اينع وادرك كيف ينتقل
عليه الاحوال فى الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر لتستدلوا بذلك
على ان له صانعا مدبرا ان فى ذلك لايات اى ان فى خلق هذه الثمار والزرع

ع

مع اتقان جواهرها اجناسا مختلفة لا يشبه بعضها بعضا لدلالات على ان
لها خالقا قاصدا الى التمييز بينها قبل خلقها على علم بها وانها تكونت بخلقه
وتدبيره لقوم يؤمنون لانهم بها يستدلون بمعرفة مدلولاتها ينتفعون
قوله عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ
عليم ايتان القراءة قرا اهل المدينة وخرقوا بالتشديد والباقون وخرقوا
بالتخفيف الحجة قال احمد بن يحيى خرق واخرق بمعنى وقال ابو الحسن
الخفيفة اعجب الى لانها اكثر والمعنى فى القراءتين كذبوا وقد روى فى الشواذ
عن ابن عباس وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد بكذبهم ايضا ومثله
يحرفون الكلم عن مواضعه اللغة البديع بمعنى المبدع والفرق بين الابداع
والاختراع لان الابداع فعل ما لم يسبق الى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد
سبب له ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لانه احداث ما لم يسبق
اليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لان حده ما ابتداء فى غير
محل القدرة اما ان يفعل مباشرا وهو ما ابتدى فى محل القدرة او متولد

او هو ما يوقع بحسب ضره ولا يقدر على الاختراع اصلا الاعراب انتصاب الجن
من وجهين احدهما ان يكون مفعولا اى جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركا
ومفعولا له سبحانه نصب على المصدر كانه قال تسبيحا له وبديع خبر مبتدأ محذوف
تقديره هو بديع السموات ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره انى يكون له ولد
وانما تعدى بديع وهو فعيل لانه معدول عن مفعل والصفة تعمل عمل
ما عدلت منه فاذا لم تكن معدولة لم تعد نحو طويل وقصير المعنى ثم رد سبحانه
على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والبينات فقال وجعلوا
يعني المشركين لله شركاء الجن اخبر الله سبحانه انهم اتخذوا معه الهة جعلوهم
له اندادا كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واراد بالجن الملائكة وانما
سماهم جنا لاستتارهم عن الاعين وهذا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا عن قتادة والسدي وقيل ان قريشا كانوا يقولون ان الله
تعالى صاهر الجن فحدث بينهما الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن
الشياطين لانهم اطاعوا الشياطين في عبادة الاوثان عن الحسن وخلقهم
الهاء والميم عايدة عليهم اى جعلوا للذى خلقهم شركاء لا يخلقون ويجوز
ان يكون المعنى وخلق الجن والانس جميعا وروى ان يحيى بن يعمر قرأ
وخلقهم بسكون اللام اى وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويافكون فيه
ويكذبونه كانه قال جعلوا الجن شركاه وافعاله او شركاء له اذا عني بذلك
الاصنام ونحوها وقيل ان المعني بالاية المجوس اذ قالوا يزدان واهرمن
وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق الموذيات والشرور والاشياء الضارة
الى اهرمن وجعلوه بذلك شركا له ومثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة
وخرقوا له بنين وبنات اى اختلقوا وموهوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا
البنين والبنات الى الله فان المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى
قال المسيح ابن الله واليهود قالوا عزير ابن الله بغير علم اى بغير حجة ويجوز ان يكون

معناه

معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقه لكن جهلا منهم بالله تعالى وبعظمته
سبحانه اى تنزيها له عما يقولون وتعالى عما يصفون من ادعائهم له شركاء
واختراقهم له بنين وبنات اى هو جل من ان يوصف بما وصفوه به وانما
صار اتخاذ الولد نقصا لانه لا يخلو من ان يكون ولادة او تبنيا وكلاهما
يوجب التشبيه ومن اشبه المحدث كان على صفة نقص بديع السموات والارض
اى مبدعهما ومنشئهما بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي
عن ابي جعفر عليه السلم انى يكون له ولد اى كيف يكون له ولد ومن
اين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اى زوجة وانما يكون الولد من النسا
فيما يتعارفونه وخلق كل شيء في هذا نفي للصاحبة والولد فان من خلق الاشيا
لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولدا ولان الاشياء كلها مخلوقة له وكيف
يتعزز بالولد ويتكثر به وهو بكل شيء عليم يعلم الاشياء كلها موجودها و
معدومها لا يخفى عليه خافية ومن قال ان في قوله وخلق كل شيء دلالة
على خلق افعال العباد فجوابه ان المفهوم منه انه اراد المخلوقات كما يفهم
المأكولات من قول من قال اكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير
العجيب يضاف خلقها اليه سبحانه كما انه سبحانه قد نزه نفسه عن افعال العباد
وكذبهم فلو كان خلقا لما نزه عنه قوله عز وجل ذلكم الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
لا تدركه الابصار وهو اللطيف الخبير ايات اللغة الوكيل على الشيء
هو الحافظ الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه وانما وصف بانه وكيل مع انه
مالك للاشياء لانه لما كانت منافعها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت
هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل اليه الامور يقال وكلت اليه هذا الامر
وليته تدبيره والمؤمن متوكل على الله اى يفوض امره اليه والادراك اللحاق
يقال ادرك قتادة الحسن اى لحقه وادرك الطعام نضج وادرك الزرع بلغ

منتهاه وادرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وادركته ببصري لحقته ببصري
وتدارك القوم تلاحقوا ولا يكون الادراك بمعنى الاحاطة لان الجدار
محيط بالدار وليس بمدرك لها والبصر الحاسة التي يقع بها الرؤية **الاعراب**
خالق كل شيء خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون صفة ربكم وكان يجوز
نصبه على الحال لانه نكرة اتصل بمعرفة بعد التمام **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر
الادلة على وحدانيته عقبه بتنبيه عباده على انه الاله المستحق للطاعة
والعبادة وتعليم الاستدلال بافعاله عليه فقال ذلكم اي ذلك الذي
خلق هذه الاشياء ودبر هذه التدابير لكم ايها الناس هو الله ربكم اي
خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي
كل مخلوق من الاجسام والاعراض التي لا يقدر عليها غيره فاعبدوه لانه
المستحق للعبادة وهو على كل شيء وكيل اي حافظ ومدبر وحفيظ على
خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم لا تدركه الابصار اي لا تراه
العيون لان الادراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الرؤية كما انه اذا
قرن بالة السمع فقيل ادركت باذني لم يفهم منه الا السماع وكذلك اذا
اضيف الى كل واحد من الحواس افاد ما تلك الحاسة الة فيه فقولهم ادركته
معناه وجدت طعمه وادركته بانفي معناه وجدت رائحته وهو يدرك
الابصار تقديره ولا يدركه ذووا الابصار وهو يدرك ذوي الابصار
اي المبصرين ومعناه انه يرى ولا يرى وهذا خالف سبحانه جميع الموجودات
لان منها ما يرى ويرى كالاحياء ومنها ما يرى ولا يرى كالجمادات والاعراض
المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالاعراض غير المدركة فالله سبحانه خالف
جميعها وتفرد بان يرى ولا يرى وتمدح سبحانه في الاية الاخرى بقوله وهو
يطعم ولا يطعم وروى العياشي باسناده المتصل ان الفضل بن سهل ذا
الرياستين سئل ابا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلم فقال اخبرني عما

اختلف

اختلف الناس فيه من الرؤية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه
فقد اعظم الفرية على الله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذه الابصار
ليست هي الاعين انما هي الابصار التي في القلوب ولا تقع عليه الاوهام ولا
يدرك كيف هو وهو اللطيف قيل في معناه وجوه احدها انه اللاطف بعباده
بسبوغ الانعام غير انه عدل عن وزن فاعل الى فعيل للمبالغة والثاني
ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف لدلالة الكلام عليه والثالث ان
اللطيف الذي يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده والرابع
ان اللطيف الذي اذا دعوته لباك وان قصدته اواك وان احببته ادناك
وان اطعته كافاك وان عصيته عافاك وان اعرضت عنه دعاك وان
اقبلت اليه هداك والخامس اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي
والسادس اللطيف من يعز المفتخر به ويغني المفتقر اليه والسابع اللطيف من
يكون عطاؤه خيرة ومنعه ذخيرة الخبير العليم بكل شيء من مصالح عباده
فيدبرهم عليها وبافعالهم فيجازيهم عليها **قوله تعالى قد جاءكم بصائر من
ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك
نصرف الايات ليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون** ايان **القراءة**
قرا ابن كثير وابو عمرو ودارست وقرا ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح
السين وسكون التاء والباقون درست في قراءة عبد الله وابي درس اي
ليقولوا درس محمد وروي عن ابن عباس والحسن درست **الحجه** من قرا دارست
فمعناه انك دارست اهل الكتاب وذاكرتهم ويقويه قوله واعانه عليه قوم
اخرون ومن قرا درست فحجته ان ابن مسعود قرا درس فاسند الفعل فيه الى
الغيبة كما اسند الى الخطاب ومن قرا درست فهو من الدروس الذي هو تعفي
الاثر اي امحت ويكون اللام في ليقولوا على هذا بمعنى لكراهية ان يقولوا
وكان لا يقولوا انها اخبار قد تقدمت فطال العهد بها وباد من كان يعرفها

لان تلك الاخبار لا تخلوا من خلال فاذا سلم الكتاب منه لم يكن لطاعن
فيه مطعن واما على القرائتين الاولتين فاللام فى ليقولوا كالتى فى قوله
ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يلتقطوه لذلك كما لم نصرف الايات
ليقولوا درست ودارست ولكن لما قالوا ذلك اطلق على هذا اللاتساع
واما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الايات معناه درستها انت يا محمد
ويجوز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا اساطير
الاولين اللغة البصيرة البينة والدلالة التى يبصر بها الشئ على ما هو به
والبصاير جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصيرة الترس والبصيرة
الثار والدية قال الشاعر جاؤا ببصائرهم على اكتافهم ؛ وبصيرتى يعدو بها عتد وآى
اى اخذوا الديات فصارت عارا وبصيرتى على فرسى اطلب بها ثارى
وقيل اراد ثقل دمائهم على اكتافهم لم يثاروا بها وقال الازهرى البصيرة
ما اعتقد فى القلب من تحقيق الشئ والثقة تكون على الخباء والابصار
الادراك بحاسة البصر والدرس اصله استمرار التلاوة ودرس الاسم
دروسا اذا امحى لاستمرار الزمان ودرست الريح الاثر درسا محته باستمرارها
عليه الاعراب وكذلك موضع الكاف منه نصب بكونه صفة للمصدر
اى تصريفا مثل ذلك التصريف واللام فى وليقول معطوف على
محذوف تقديره ليجحدوا وليقولوا درست واللام لام العاقبة المعنى
ثم بين سبحانه انه بعد هذه الايات قد ازاح العلة للمكلفين فقال
قد جاءكم ايها الناس بصائر بينات ودلالات من ربكم تبصرون بها
الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة
بانها جاءت تفخيما لشانها كما تقول جاءت العافية وانصرف المرض واقبل
السعد فمن ابصر فلنفسه اى من تبين هذه الحجج بان نظر فيها حتى اوجبت له
العلم فمنفعة ذلك يعود عليه ولنفسه نظر ومن عمى فلم ينظر فيها وصدف

عنها حتى جهل فعليها اى على نفسه وباله وبها اضروا يا هاضر فسمى العلم
والتبين ابصارا والجهل عمى مجازا وتوسعا وفى هذا دلالة على ان المكلفين
مخيرون فى افعالهم غير مجبرين ثم امر سبحانه نبيه عليه السلم بان يقول لهم
وما انا عليكم بحفيظ اى لست انا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست
اخذكم بالايمان اخذ الحفيظ عليكم والوكيل وهذا قبل الامر بالقتال فلما
امر النبى عليه السلم بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى وكذلك
اى وكما صرفنا الايات قبل نصرف هذه الايات قال على بن عيسى والتصريف اجراء
المعنى المتعاقبة كان ذلك تصريفا لها وكذلك كل معنى تصرف فيه فى المعانى المتعاقبة
ليجتمع فيه وجوه الفوائد وليقولوا درست ذلك يا محمد اى تعلمته من اليهود قال
الزجاج وهذه اللام يسميها اهل اللغة لام الصيرورة اى ان السبب الذى
اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الايات وكذلك دارست اى دارست
اهل الكتابين وقارأتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدى وابن عباس
ولنبينه لقوم يعلمون معناه لنبين الذى هذه الايات دالة عليه للعلماء
الذين يعقلون ما نورده عليهم وانما خصهم بذلك لانهم انتفعوا به دون
غيرهم قوله عز وجل اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض
عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما
انت عليهم بوكيل اللغة الاتباع ان يتصرف الثانى بتصريف الاول
والنبى عليه السلم كان يتصرف فى الدين بتصرف الوحى فكذلك كان متبعا
وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى نفس
على وجه يخفى والاعراض اصله الانصراف بالوجه الى الجهة العرض ومنه
واعرضت اليمامة واشمخرت اى ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة
لظهور المساوات بها كالظهور بالعرض والاعتراض المنع من الشئ بحاجز عنه
عرضا ومنه العرض الذى يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث وحد ايضا بانه ما

يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر **المعنى** ثم امر سبحانه نبيه
صلى الله عليه وآله باتباع الوحي فقال اتبع ايها الرسول ما اوحي اليك
من ربك لا اله الا هو انما اعاد هذا القول لان المراد ادعهم الى انه
لا اله الا هو انما اعاد هذا القول لان المراد ادعهم الى انه لا اله الا هو
عن الحسن وقيل معناه ما اوحي اليك من انه لا اله الا هو واعرض عن المشركين
قال ابن عباس نسخه اية القتال وقيل معناه اهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم
ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت ولو شاء الله ما
اشركوا اي لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهرا واجبارا لاضطرهم الى ذلك
الا انه لم يضطرهم اليه بما ينافي التكليف وامرهم بتركه اختيارا ليستحقوا الثواب
والمدح عليه فلم يتركوه فاتوا من قبل نفوسهم وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام
لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه احد
لما كان يحتاج الى جنة ولا الى نار ولكنه امرهم ونهاهم وامتحنهم واعطاهم
ما له عليهم به الحجة من الالة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب
وما جعلناك عليهم حفيظا مراقبا لاعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي لست
بموكل عليهم وانما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين
حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين فان الحافظ للشيء هو الذي يصونه
عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير اليه **قوله عز وجل**
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا
يعملون اية **القراءة** قرا يعقوب عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو
وهو قراءة الحسن وابي رجاء وقتادة وقرا الباقون عدوا بفتح العين
وسكون الدال **الحجة** العدو والعدو جميعا الظلم والتعدي للحق ومثلهما
العدوان والعداء وانما انتصب عدوا لانه مصدر في موضع الحال **اللغة**

السب

السب الذكر بالقبيح ومنه الشتم والذم واصله السب كانه يتسبب الى ذكره
بالقبيح وسبك الذي يسابك قال لا تسبنني فلست بسبي ان سبي من الرجال
الكريم وقيل اصل السب القطع **النزول** قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم الاية قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب الهتنا
او لنهجون ربك فنزلت الاية وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام
الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة **المعنى** ثم نهى الله
سبحانه المؤمنين ان يسبوا الاصنام لما في ذلك من المفسدة فقال ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله اي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم
الى ان تسبوا ما يعبدونه من دون الله فان ذلك ليس من الحجاج في شيء
فيسبوا الله عدوا اي ظلما بغير علم وانتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما
يستحقون لان الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وانما قال من دون الله
لان المعنى يدعونه الها وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لاحد ان يفعل او يقول
ما يؤدي الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله عليه السلام عن قول النبي صلى
الله عليه وآله ان الشرك اخفى من دبيب النمل على صفوانة سوداء في ليلة
ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان
المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب الهتهم
لكيلا يسب الكفار اله المؤمنين فيكون المؤمنون قد اشركوا من حيث
لا يعلمون كذلك زينا لكل امة عملهم قيل في معناه اقوال احدها ان
المراد كما زينا لكم اعمالكم زينا لكل امة من قبلكم اعمالهم من حسن الدعاء الى الله
تعالى وترك السب للاصنام ونهيناهم ان ياتوا من الافعال ما ينفر الكفار
عن قبول الحق عن الحسن والجبائي ويسمى ما يجب على الانسان ان يعمله بانه
عمله كما تقول لولدك او غلامك اعمل عملك اي ما ينبغي لك ان تعمله وثانيها
ان معناه كذلك زينا لكل امة عملهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفناهم الحق

مع ذلك ليأتوا الحق ويجتنبوا الباطل وثالثها ان المراد زينا لهم بذكر ثواب
فهو كقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق يريد حبب الايمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر
بذكر عقابه وذم فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه بذلك انه زين عمل الكافرين
لان ذلك يقتضى الدعاء اليه والله تعالى ما دعا احدا الى معصية لكنه نهى
عنها وذم فاعليها وقد قال سبحانه وزين لهم الشيطان اعمالهم ولا خلاف ان
المراد بذلك الكفر والمعاصى وفى ذلك دلالة على ان المراد به فى الاية تزيين
اعمال الطاعة ثم الى ربهم مرجعهم اى مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون اى
باعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه فى هذه الاية عن سب الاصنام لئلا
يودى ذلك الى سبه فاذا كان سبحانه لا يريد ما يكون سببا الى سبه
فلان لا يريد سب نفسه اولى واجدر وايضا فاذا لم يرد سب الاصنام اذا كان
زيادة فى كفر الكافرين فلان لا يريد كفرهم احرى فبطل قول المجبرة قوله
عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها
قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى
طغيانهم يعمهون ايتان القراءة قرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم
ونصير عن الكسائى وخلف انها بكسر الالف وقرا الباقون انها بفتح الالف
وقرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء والباقى يؤمنون بالياء وفى الشواذ
ويذرهم بالياء والجزم قراءة الاعمش الحجة قال ابو على وما يشعركم ما فيه
استفهام وفاعل يشعركم ضميرها ولا يجوز ان يكون نفيا لان الفعل فيه
يبقى بلا فاعل فان قلت يكون ما نفيا ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى
قيل ذلك لا يصح لان التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا
يستقيم لان الله تعالى قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا الاية

واذا

واذا فسد ان يكون ما للنفى ثبت انها للاستفهام ويكون اثما اسما فيصير
فى الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول
وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجىء الاية فمن كسر الهمزة فانه
استانف على القطع بانهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم
منقولا من شعرت الشىء وشعرت به مثل دريته ودريت به فى انه يتعدى
مرة بحرف ومرة بلا حرف فاذا عديته بالحرف جاز ان يكون ان فى قول
من لم يجعلها بمعنى لعل فى موضع جر لان الكلام لما طال صار كالبدل منه
وجاز ان يكون فى موضع نصب والوجه فى هذه القراءة على تاويلين احدهما
ان يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة ذرينى اطوف فى
البلاد لاننى ٭ ارى ما ترين او بخيلا مخلدا ٭ وقال هل انتم عائجون بنا لانا
نرى العرصات او اثر الخيام ٭ وقال عدى بن زيد ٭ اعاذل ما يدريك ان
منيتى ٭ الى ساعة فى اليوم او فى ضحى الغد ٭ اى لعل منيتى فالمعنى وما
يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره الخليل بقوله ايت السوق
انك تشترى لنا شيئا اى لعلك وقد جاء فى التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه
وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتاويل الاخر
الذى لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا فى قوله لا يؤمنون
زائدة والتقدير وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه فى كونها
فى تاويل زائدة وفى اخر غير زائدة قول الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت
نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله ٭ ينشد ابى جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب
البخل جعلها زائدة كانه قال ابى جوده البخل ومن قال لا البخل اضاف لا الى
البخل ووجه القراءة بالياء فى يؤمنون ان المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة
قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وليس كل الكفار بهذه الصفة اى لا
يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصراف من الغيبة الى الخطاب

والمراد بالمخاطبين بهم الغيب المقسمون الذين اخبر عنهم انهم لا يؤمنون
ومن قرا ويذرهم فانه اسكن المرفوع تخفيفا اللغة الجهد بالفتح المشقة والجهد
بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة فقوله جهد ايمانهم اى بالغوا في
اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لانه مضاف والمضاف الى
المصدر مصدر فان الايمان جمع اليمين واليمين هي القسم والتقدير واقسموا
جهد اقسامهم النزول قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا
يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى عليه السلم كان
يحيي الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقة فاتنا باية من الايات حتى نصدقك
فقال رسول الله صلى الله عليه واله فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني
قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله
ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه واله يدعوا ان
يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال له ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن لم
يصدقوا عذبتهم وان شئت تركهم حتى يتوب تائبهم فقال عليه السلم بل يتوب
تائبهم فانزل الله تعالى هذه الاية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي المعنى ثم بين
سبحانه حال الكفار الذين سالوا الايات فقال واقسموا اى حلفوا بالله
جهد ايمانهم اى مجدين مجتهدين مظهرين الوفا به لئن جاءتهم اية مما سالوا
ليؤمنن بها قل يا محمد انما الايات اى الاعلام والمعجزات عند الله والله تعالى
مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في انزالها لانزلها وما يشعركم
الخطاب متوجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المؤمنين
عن الفراء وغيره لانهم ظنوا انهم لو اجيبوا الى الايات لامنوا انها اذا جاءت
لا يؤمنون قدم معناه ونقلب افئدتهم وابصارهم اخبر سبحانه انه
يقلب افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبهما
قولان احدهما يقلبهما في جهنم على لهب النار وحر الجمر كما لم يؤمنوا به اول مرة

في الدنيا

في الدنيا عن الجبائي قال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الاخرة كما قال
وجوه يومئذ خاشعة يعني في الاخرة عاملة ناصبة يعني في الدنيا والاخر ان
المعنى نقلب افئدتهم وابصارهم بالحيرة التي تغم وتزعج النفس وقوله كما لم
يؤمنوا به اول مرة قيل انه متصل بما قبله وتقديره واقسموا بالله ليؤمنن
بالاية والله تعالى قد قلب قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون
يقال فلان قد قلب هذه المسئلة وقلب هذا الامر اذا عرف حقيقته ووقف
عليه ما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا بما انزل من الايات
اول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو اعيدوا الى الدنيا ثانية
لم يؤمنوا به اول مرة في الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن
عباس في رواية اخرى وقيل معناه يجازيهم في الاخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا
عن الجبائي والهاء في به يحتمل ان يكون عائدة على القران وما انزل من الايات
ويحتمل ان يكون عائدة على النبي عليه السلم ونذرهم في طغيانهم اى نخليهم
وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينهم وبينه يعمهون يترددون في الحيرة
قال الحسين بن علي المغربي في قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم حشو بين الجملتين
ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الاعين اى نخبر قلوبهم فنجد
باطنها بخلاف ظاهرها قوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا
الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون اية القراءة قرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب قبلا بضمتين ههنا وفي الكهف قبلا بكسر القاف
وفتح الباء وقرا ابو جعفر ههنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرا نافع
وابن عامر قبلا بكسر القاف في الموضعين وقرا اهل الكوفة بضم القاف
والسورتين الحجة قبلا يحتمل ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون
بمعنى الصنف كما فسره ابو عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى قبل اى مواجهة كما قال

الجزء الثامن

ابو زيد فى قوله لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة وقبلا كله واحد وهو
المواجهة فالمعنى فى القرائتين على قوله واحد وان اختلف اللفظان **اللغة**
الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر **المعنى** ثم تبين سبحانه حالهم فى عنادهم
وترددهم فى طغيانهم وكفرهم فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى
يروهم عيانا يشهدون لنبينا بالرسالة وكلمهم الموتى اى واحيينا الموتى
حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة وحشرنا اى جمعنا عليهم كل
شئ اى كل اية وقيل كما سالوه قبلا اى معاينة ومقابلة حتى يواجهوها
عن ابن عباس وقتادة ومعناه انه من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان
للحق يشكون فى المشاهدات التى لا شك فيها ومثله قوله وان يروا كسفا من السماء
ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقبلا اى قبيلا قبيلا يعنى جماعة جماعة عن مجاهد
هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذى هو الصنف وانما كانت بهم هذه الاية
لانه ليس فى العرف ان يجتمع جميع الاشياء ويحشر الى موضع وقيل كفلاء عن
الفراء وهذا الوجه فيه بعد لانهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة وكلام
الموتى فان لا يؤمنوا بالكفالة اجدر الا ان يكون المراد حشر كل شئ
وفى الاشياء المحشورة ما ينطق فاذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقا
للعادة ما كانوا ليؤمنوا عند هذه الايات الا ان يشاء الله ان يجبرهم
على الايمان وهو المروى عن اهل البيت عليهم السلم والمعنى انهم قطا لا
يؤمنون مختارين الا ان يكرهوا ولكن اكثرهم يجهلون ان الله قادر على ذلك
وقيل معناه يجهلون انهم لو اتوا بكل آية ما امنوا طوعا وقيل معناه يجهلون
مواضع المصلحة فيطلبون ما لا فايدة فيه وفى الاية دلالة على ان الله سبحانه
لو علم انه اذا فعل بهم ما اقترحوه من الايات امنوا لفعل ذلك ولكان ذلك
من الواجب فى حكمته لانه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بانه لم يظهر هذه
الايات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها ايضا دلالة على ان ارادته

محدث لان الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء
ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله او الا ان يقدر
الله لحصول هاتين الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل فلم لا يقال انهم لا يؤمنوا
لانه سبحانه يعلم انه لم يشاء فالقول فيه انه لو كان كذلك لكان وقوع
الايمان منهم موقوفا على المشية سواء كانت الايات ام لم تكن وفى هذا
ابطال للايات **قوله عز وجل وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء
ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين
لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** ايتان
القراة فى الشواذ عن الحسن ولتصغى اليه وليرضوا وليقترفوا بسكون اللام
فى الجميع والقراة الظاهرة بكسر اللام فى سايرها **الحجة** قال ابو الفتح هذه
اللام هى الجارة اعنى لام كى وهى معطوفة على الغرور من قوله يوحى بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا اى للغرور ولان تصغى اليه افئدة الذين
لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا الا ان اسكان هذه اللام شاذ فى
الاستعمال على قوته فى القياس لان هذا الاسكان انما كثر عنهم فى لام الامر
نحو قوله ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وانما اسكنت تخفيفا لثقل
الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كى بان لم يسكنوها وكانهم انما اختاروا السكون
للام الامر والتحريك للام كى من حيث كانت لام نائبة فى اكثر الامر عن ان وهى ايضا
فى جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوف مع اللام البتة فلما
نابت عنها قووها باقرار حركتها فيها لان الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى
اشبه بان ينوب عن غيره من الاضعف **اللغة** الزخرف المزين يقال زخرفه
زخرفة اذا زينه والزخرف كمال حسن الشئ وفى الحديث انه عليه السلم لم يدخل
الكعبة حتى امر بالزخرف فنحى قيل كانت نقوش وتصاوير زينة الكعبة بها

وقيل اراد بالزخرف الذهب والغرور ماله ظاهر حسن وفيه باطن مكروه
والشيطان غرور لانه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة وبيع الغرر
ما لا يكون على ثقة وصغوت اليه اصغى صَغْواً وصِغْواً وصُغُوّاً وصغيت
اصغى بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر ترى السفيه به عن كل
محكمة زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء ويقال اصغيت الاناء اذا املته ليجتمع ما فيه ومنه
الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصغى الاناء للهرة فالاصل فيه الميل
الى الشيء لغرض من الاغراض والاقتراف اكتساب الاثم ويقال خرج يقترف لاهله
اي يكتسب لهم وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرفت الذنب
واقترفته عمله وقرفته بما ادعاه عليه اي رميته بريبة وقرفت القرحة قشرتها منها واقترف كذبا
الاعراب نصب عدوا على احد وجهين اما ان يكون مفعول
جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدو في معنى اعداء واما ان يكون اصله
خبرا ويكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الانس والجن
عدوا اي اعداء وقوله غرورا نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم لان
معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكانه قال يغرون غرورا عن
الزجاج وقيل انه مفعول له عن ابن جني وقيل نصب على البدل من زخرف عن
ابي مسلم المعنى ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الانبياء عليهم السلام مع اعدائهم
تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن اي وكما جعلنا لك شياطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن
تقدمك من الانبياء وامهم وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه احدها
ان المراد كما امرناك بعداوة قومك من المشركين فقد امرنا من قبلك بمعاداة
اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم
اعداء له وقد يقول الامير المبارز من عسكره جعلت فلانا قرنك في المبارزة وانما
يعني بذلك انه امره بمبارزته لانه اذا امره بمبارزته فقد جعل يبارزه قرنا له وثانيها

ان معناه

ان معناه حكمنا بانهم اعداء واخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الاعداء في الاحتراز
عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وفلانا
فاسقا اذا حكم بعدالة هذا وفسق ذاك وثالثها ان المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم
العداوة لم نمنعهم عن ذلك كرها ولا جبرا لان ذلك يزيل التكليف ورابعها انه
سبحانه انما اضاف ذلك الى نفسه لانه سبحانه لما ارسل اليهم الرسل وامرهم بدعائهم
الى الاسلام والايمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان نصبوا
عند ذلك العداوة لانبيائه عليهم السلام ومثله قوله سبحانه مخبرا عن نوح عليه السلام
فلم يزدهم دعائي الا فرارا والمراد بشياطين الانس والجن مردة الكفار من الفريقين
عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الانس الذين يغوونهم وشياطين
الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس
ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا الى الجن اعداء الرسل
والمؤمنين فيلتقي شياطين الانس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض
اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثلها فذلك وحي بعضهم الى بعض وروي
عن ابي جعفر عليه السلام ايضا انه قال ان الشياطين يلقى ليه ما يغوى به الخلق حتى
يتعلم بعضهم من بعض يوحي اي يوسوس ويلقي خفية بعضهم الى بعض زخرف القول
اي المموه المزين الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا اصل غرورا اي يغرونهم
بذلك غرورا وليغروهم بذلك ولو شاء ربك ما فعلوه اخبر سبحانه انه لو شاء ان
يمنعهم من ذلك جبرا ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه
لما فعلوه ولكنه خلى بينهم وبين افعالهم ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل
معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بان ينزل عليهم عذابا او اية فتظل اعناقهم لها
خاضعين فذرهم وما يفترون اي دعهم وافتراءهم الكذب فاني اجازيهم وانما
امر سبحانه نبيه عليه السلام بان يخلي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنعهم منه بالقهر
تهديدا لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون ان يكون امرا واجبا او ندبا ولتصغى اليه

اي ولتصغى الى هذا الوحي بزخرف القول او الى هذا القول المزخرف افئدة
اي قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة والعامل في قوله ولتصغى قوله يوحي
ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لان الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصغاء
القلوب الى الكفر ووحي الشياطين الا ان تجعلها لام العاقبة كما في قوله
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من
اراد وامنه الصغو قد صغا الى كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه
وليقترفوا ما هم مقترفون لانه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون
جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض والمراد بالافئدة اصحاب الافئدة ولكن
لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغو الى القلب وليرضوه
اي وليرضوا ما اوحي اليهم من القول المزخرف وليقترفوا اي وليكتسبوا
من الاثم والمعاصي ما هم مقترفون اي مكتسبون في عداوة النبي والمؤمنين
عن ابن عباس والسدي وقال ابو علي الجبائي ان اللام في قوله ولتصغى
وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه اعملوا ما شئتم
واستفزز من استطعت وهذا غلط فاحش لانه لو كان كذلك لقال ولتصغ
بحذف الالف وقال البلخي اللام في ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام
الامر الذي يراد به التهديد وهذا جائز الا ان فيه تعسفا فالاصح ما ذكرنا
قوله تعالى افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب
مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اية القراءة قرا ابن عامر وحفص منزل بالتشديد
والباقون بالتخفيف الحجة حجة التشديد قوله سبحانه تنزيل الكتاب من الله
وما اشبهه وحجة التخفيف انا انزلنا اليك الكتاب وما اشبهه المعنى
امر الله سبحانه نبيه عليه السلم ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم
افغير الله ابتغي حكما اي اطلب سوى الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد

الا ان الحكم امدح لان معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضي الا بالحق
وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لاحد ان يعدل عن حكم الله رغبة
عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساوي في حكمه وهو الذي يعني الله
الذي انزل اليكم الكتاب اي القران مفصلا فصل فيه جميع ما يحتاج اليه
وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل بين الحلال
والحرام والكفر والايمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبيين المعاني بما ينفي
التخليط المعمي للمعنى وينفي ايضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن
المراد والذين آتيناهم الكتاب يعني بهم مؤمني اهل الكتاب والكتاب
هو التورية والانجيل وقيل يعني بهم كبراء الصحابة واصحاب بدر والكتاب
هو القران عن عطاء يعلمون انه اي ان القران منزل من ربك بالحق يعني
ببيان الحق اي يعلمون ان كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه
وترغيبه ووعده ووعيده وقصصه وامثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة
وقيل ان معنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به فلا تكونن من
الممترين اي من الشاكين في ذلك والخطاب لغيره اي فلا تكن ايها الانسان
او ايها السامع وقيل الخطاب له عليه السلم والمراد به الزيادة في شرح صدره
ويقينه وطمانينة قلبه وتسكينه كقوله سبحانه فلا يكن في صدرك حرج منه
عن ابي مسلم قوله عز وجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته وهو السميع العليم اية القراءة كلمة ربك بالتوحيد عراقي غير ابي عمرو
والباقون كلمات ربك الحجة من قرا كلمة ربك قال وقع المفرد على الكثرة
فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيرا قال في كلمته يعنون قصيدته وقال
قيس في كلمته يعنون خطبته ومن قرا بالجمع فلانه لما كان جمعا في المعنى جمعوا
اللغة التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق
ما اخبر به والعدل ضد الجور وقيل ان افعال الله تعالى كلها عدل لانها كلها

على الاستقامة وقيل انما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده
صدقا وعدلا نصب على التمييز وقيل انهما مصدران انتصبا على الحال من
الكلمة وتقديره ذلك صادقة وعادلة عن ابى على الفارسى وقد تقدم مثل
هذا فيما مضى ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال وتمت اى كملت
على وجه لا يمكن احدا الزيادة فيه والنقصان منه كلمة ربك اى القران عن
قتاده وغيره وقيل معناه انزل شيئا بعد شئ حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة
وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما فى قوله وكلمة الله هى العليا عن ابى
مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق صدقا وعدلا ما كان فى القران
من الاخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الامر والنهى والحكم والاباحة
والحظر فهو عدل لا مبدل لكلماته اى لا مغير لاحكامه عن قتاده لانه وان امكن
التغيير والتبديل فى اللفظ كما بدل اهل الكتاب التورية والانجيل فانه
لا يعتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك حقت
كلمة ربك اى حكم ربك ويقال عفو ربك وقال النبى صلى الله عليه وآله
فى صفة النساء انهن عوان عندكم استحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل
معناه ان القران محروس عن الزيادة والنقصان فلا مغير لشئ منه وذلك
ان الله تعالى ضمن حفظه فى قوله وانا له لحافظون ولا يجوز ان يعنى
بالكلمات الشرايع كما عنى بقوله وصدقت بكلمات ربها لان الشرايع قد يجوز
فيها النسخ والتبديل وهو السميع لاقوالكم العليم بضمايركم قوله عز وجل
وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا
الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين ايتان اللغة الفرق بين الاكثر والاعظم ان الاعظم
قد يوصف به واحد ولا يوصف بالاكثر واحد بحال ولهذا يقال فى صفة
الله تعالى عظيم واعظم ولا يوصف باكثر وانما يقال اكبر بمعنى اعظم والخرص

الكذب

الكذب يقال خرص يخرص خرصا وتخرص واخترص واصله القطع
قال الشاعر ترى قصد المران فيهم كانه تذرع خرصان بايدى الشواطب
يعنى جريدا يقطع طولا ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل
يخرص خرصا اذا حزره والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة والخرص العود
لانقطاعه عن نظايره بطيب ريحه ولفظة اعلم اذا لم يذكر معها من فله
معنيان احدهما اعلم من الكل واجتزئ عن ذكر من كقولهم الله اكبر اى من
كل شئ والثانى بمعنى فعيل كقول الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه اعز واطول اى عزيز وطويل الاعراب موضع من يضل عن سبيله
فيه وجوه احدها انه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلا لقوله وهو
اعلم بالمهتدين والثانى ان موضعه من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام
والمعنى ان ربك هو اعلم اى الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى
لنعلم اى الحزبين احصى عن الزجاج وفى هذه المسئلة خلاف وسياتى شرح
ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى والثالث ان موضعها نصب بفعل مضمر
يدل عليه قوله اعلم فكانه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصفة
افعل من كذا لا يتعدى لانها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية
عن الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومتجار عن تاجر عن ابى على الفارسى
وزعم قوم ان اعلم ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطاى فحالفت طى من دوننا
حلفا والله اعلم ما كان لهم خذلا وقالت الخنساء القوم اعلم ان جفنتهم
تغدوا غداة الريح او تسرى وهذا فاسد لانه لا يطابق قوله وهو اعلم بالمهتدين
ولا يجوز ان يكون من فى موضع جر باضافة اعلم اليه لان افعل لا يضاف
الا الى ما هو بعضه وجل ربنا وتقدس عن ان يكون بعض الضالين ولا
بعض المضلين المعنى لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه فى هذه الاية ان من
تبع غير الكتاب ضل واضل فقال وان تطع يا محمد خاطبه عليه السلم والمراد

غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الامر وموافقة المطيع المطاع
فيما يريده منه اذا كان المريد فوقه والفرق بينها وبين الاجابة ان الاجابة
عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسئلة ولا يراعى فيها الرتبة
اكثر من في الارض يعني الكفار واهل الضلالة وانما ذكر الاكثر لانه علم
سبحانه ان منهم من يؤمن ويدعوا الى الحق ويذب عن الدين ولكنهم الاقل
والاكثر الضلال يضلوك عن سبيل الله اي عن دينه وفي هذا دلالة على انه
لا عبرة في دين الله تعالى ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع
الاقل وانما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة ان يتبعون الا
الظن اي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون اليه الا الظن
وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون
عن علم ولكن عن حزر وتخمين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبي عليه السلم
والمومنين الى اكل الميتة ويقولون اتاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل
ربكم فهذا اضلالهم ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله خاطب سبحانه نبيه
صلى الله عليه واله وان عني به جميع الامة ويسال فيقال كيف جاز في صفة
القديم سبحانه اعلم مع انه سبحانه لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى ممن يعلمه
او ممن لا يعلمه وكلاهما لا يصح فيه افعل والجواب ان المعنى هو اعلم به ممن
يعلمه لانه يعلمه من وجوه تخفى على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان
وما هو كائن الى يوم القيمة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الاشياء عليها
وليس كذلك غيره لانه لا يعلم جميع الاشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها
واما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لان لفظة اعلم يقتضي
الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بانه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم
اصلا الا مجازا وهو اعلم بالمهتدين المعنى انه سبحانه اعلم بمن يسلك سبيل الضلال
المودي الى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة

والثواب

والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والاضلال من فعل العبد
خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين
والاغترار بالكثرة والى هذا اشار امير المؤمنين عليه السلم حيث قال
للحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله قوله
عز وجل فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين
وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم
الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك
هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون ثلث ايات القراة قرا اهل الكوفة غير حفص
فصل لكم بالفتح ما حرم بالضم وقرا اهل المدينة وحفص ويعقوب وسهل
فصل لكم ما حرم كليهما بالفتح وقرا الباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيهما وقرا
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن
سبيلك وفي ابراهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي
لقمن والزمر في المواضع الستة وقرا اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع
الستة وقرا اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرا الباقون هنا وفي
سورة يونس بفتح الياء وفي الاربعة بعد هذين الموضعين بضم الياء الحجة
حجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حرمت عليكم الميتة والدم
فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حرم وقوله وهو الذي انزل اليكم
الكتاب مفصلا فمفصلا يدل على فصل وحرم بفتح الفاء والحاء قوله قد
فصلنا الايات وقوله اتل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله
حرم هذا وحجة من ضم الياء من يضلون ويضلوا انه يدل على ان الموصوف
بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدى ابعد الا ترى ان كل مضل ضال
مضلا لان الضلال قد يكون مقصورا على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرا

بفتح الياء فانه يريد انهم يضلون فى انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم
من اكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اى يضلون باتباع اهوائهم **اللغه**
وذروا الواو للعطف وانما استعمل منه الامر والمستقبل ولا يستعمل
وذر ولا واذر استغروا بذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيدوها الا
اصلا مع زيادتهم اخواتها واستغنوا فيه بترك وتارك وهذا كما استعملوا
الماضى دون المستقبل واسم الفاعل فى عسى والظاهر الكائن على وجه
يمكن ادراكه والباطن الكائن على وجه يتعذر ادراكه والكسب ما يفعل
لاجتلاب النفع او دفع الضرر وانما يوصف به العبد دون الله تعالى
لاستحالة النفع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لانها
تكسب ما تنتفع به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب **المعنى** ثم عطف
سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال وكلوا ثم اختلف فى ذلك فقيل انه
لما ذكر المهتدين فكانه قال ومن الهدى ان لا تحللوا ما احل الله وتحرموا
ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين اتاكلون ما قتلتم
انتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فكانه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلكم فكلوا
والمراد به الاباحة وان كانت الصيغة صيغة الامر مما ذكر اسم الله عند ذبحه
دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو
كل اسم يختص الله تعالى به او صفة تختصه كقول باسم الرحمن او بالقديم او باسم
القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجرى مجراه والاول مجمع باسم جوازه
والظاهر يقتضى جواز غيره لقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما
تدعوا فله الاسماء الحسنى ان كنتم باياته مؤمنين يعنى ان كنتم مؤمنين بان عرفتم
الله ورسوله وصحة ما اتيكم به من عند الله فكلوا ما احل دون ما حرم فى هذه
الاية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبائح الكفار لا يجوز
اكلها لانهم لا يسمون الله عليها ومن سمى منهم لا يعتقد وجوب ذلك ولانه

يعتقدان الذى يسميه هو الذى ابد شرع موسى او عيسى فاذا لا يذكرون
الله تعالى حقيقة وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد ذكرنا اعرابه فى
سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وتقديره اى شىء لكم
فى ان لا تاكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وجمع من البصريين
ومعناه ما الذى يمنعكم ان تاكلوا مما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل معناه
ليس لكم الا تاكلوا فيكون ما للنفى وقد فصل لكم ما حرم عليكم قيل ما هو مذكور
فى سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم الاية واعترض على هذا
بان سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا
ان يحمل على انه بين على لسان الرسول عليه السلم وبعد ذلك نزل به القرآن
وقيل انه ما فصل فى هذه السورة فى قوله قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الاية
الا ما اضطررتم اليه معناه الا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع اذا
تركتم التناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان مما حرمه الله واختلف فى
مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك
به الرمق وقال قوم يجوز ان يشبع المضطر منها وان يحمل منها معه حتى يجد ما
ياكل وقال الجبائى فى هذه الاية دلالة على ان ما يكره على اكله هذه الاجناس
يجوز اكله لان المكره يخاف على نفسه مثل المضطر وان كثيرا ليضلون باهوائهم
اى باتباع اهوائهم ومن قرأ بالضم اراد انهم يضلون اشياعهم فحذف المفعول
به وفى امثاله كثرة وانما جعل النكرة اسم ان لان الكلام اذا طال احتمل ذلك
ودل بعضه على بعض وذروا ظاهر الاثم وباطنه امر سبحانه بترك الاثم مع قيام
الدلالة على كونه اثما ونهى عن ارتكابه سرا وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد
والربيع بن انس وقيل اراد بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب
عن الجبائى وقيل الظاهر من الاثم هو الزنى والباطن اتخاذ الاخدان عن السدى

والضحاك وقيل ظاهر الاثم امراة الاب وباطنه الزنى عن سعيد بن جبير
وقيل ان اهل الجاهلية كانت ترى ان الزنا اذا ظهر كان فيه اثم واذا
استسر به صاحبه لم يكن اثما ذكره الضحاك والاصح القول الاول لانه
يعم الجميع ان الذين يكسبون الاثم اى يعملون المعاصى التى فيها الاثام
ويرتكبون القبائح سيجزون اى سيعاقبون بما كانوا يقترفون ماكانوا
يكتسبونه ويرتكبونه **قوله عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وان اطعتموهم انكم لمشركون ايه المعنى** ثم اكد سبحانه ما تقدم
بقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه يعنى عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح
فى وجوب التسمية على الذبيحة لانه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم
لها وانه لفسق يعنى وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفى هذا دلالة على
تحريم اكل ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمى منهم ومن لم يسم لانهم لا
يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد الى ذكر اسمه فاما
ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف فى ذلك فقيل لا يحل اكلها سواء
ترك التسمية عمدا او نسيانا عن مالك وداود وروى ذلك عن الحسن وابن
سيرين وبه قال الجبائى وقيل يحل اكلها فى الحالين عن الشافعى وقيل يحل اكلها اذا
ترك التسمية ناسيا بعد ان يكون معتقدا لوجوبها ويحرم اكلها اذا تركها
متعمدا عن ابى حنيفة واصحابه هو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وان الشياطين
يعنى علماء الكافرين ورؤساء المتمردين فى كفرهم ليوحون اى يومون ويشيرون
الى اوليائهم الذين اتبعوهم من الكفار ليجادلوكم فى استحلال الميتة قال الحسن
كان مشركوا العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تاكلون ما تقتلونه
انتم ولا تاكلون ما يقتله الله تعالى وقيل الله اولى بالاكل من قتلكم فهذه مجادلتهم

وقال عكرمة ان قوما من مجوس فارس كتبوا الى مشركى قريش وكانوا
اولياءهم فى الجاهلية ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم
يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك فى نفوسهم
فذلك ايحاؤهم اليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم
وجنوده ليوحون الى اوليائهم من الانس والوحى القاء المعنى الى النفس من
وجه خفى وهم يلقون الوسوسة الى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه وان
اطعتموهم ايها المؤمنون فيما يقولونه من استحلال الميتة وغيره انكم اذا لمشركون
لان من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن اكلها محرما لها مختارا فهو فاسق
وهو قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطا انه مختص بذبائح العرب التى كانت
تذبحها للاوثان **قوله عز وجل او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين
للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون** ايتان **القراة** قرا
اهل المدينة ويعقوب ميتا بالتشديد والباقون ميتا بالتخفيف **الحجه**
ابو عبيدة الميتة تخفيف ميتة ومعناهما واحد قال ابو الرغلاء الغسانى
ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا * كاسفا باله قليل الرجاء
والمحذوف من الياءين الثانية المنقلبة
عن الواو اعلت بالحذف كما اعلت بالقلب **اللغة** الاكابر جمع الاكبر وقد
قالوا الاكابرة والاصاغرة كما قالوا الاساودة والاخامرة قال الشاعر
ان الاحامرة الثلثة اهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين احبه * والزعفران وقد ابيت مردعا
واصل المكر الفتل ومنه
جارية ممكورة اى ملتفة البدن فكان المكر معناه الفتل الى خلاف الرشد
الاعراب او من هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام

يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله وكذلك جعلنا نصب معطوفة على ما
قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين مجرميها يجوز ان يكون منصوبا
على التقديم والتاخير تقديره في كل قرية مجرميها اكابر ويجوز ان يكون
منصوبا باضافة اكابر اليه النزول الاية الاولى قيل انها نزلت في حمزة
بن عبد المطلب وابي جهل بن هاشم وذلك ان ابا جهل اذى رسول الله
صلى الله عليه واله فاخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء
ومعه قوس فضرب بها راس ابي جهل وامن عن ابن عباس وقيل انها نزلت
في عمار بن ياسر حين امن وابي جهل عن عكرمة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام
وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل انها عامة في كل مؤمن
وكافر وجماعة وهذا اولى لانه اعم فايدة فيدخل فيه جميع الاقوال المذكورة
المعنى ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال او من كان ميتا فاحييناه بان
هديناه الى الايمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت
والايمان بالحيوة وقيل معناه من كان نطفة فاحييناه كقوله وكنتم امواتا
فاحياكم وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قيل فيه وجوه احدها ان المراد
بالنور العلم والحكمة سمى سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لان العلم يهتدي به
الى الرشاد كما يهتدي بالنور في الطرقات وثانيها ان المراد بالنور هنا
القران عن مجاهد وثالثها ان المراد به الايمان عن ابن عباس كمن مثله في
الظلمات لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات لان تقديره كمن مثله مثل من هو
في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو
في ظلمات الكفر ليس بخارج منها لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين انه بلغ في الكفر
والحيرة غاية يضرب به المثل فيها وانما سمى الله سبحانه الكافر ميتا لانه لا ينتفع
بحيوته فهو اسوء حالا من الميت اذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر
غيره وسمى المؤمن حيا لان له ولغيره المصلحة والمنفعة في حيوته وكذلك

سمى الكافر ميتا والمؤمن حيا في عدة مواضع مثله قوله انك لا تسمع الموتى
ولينذر من كان حيا وقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات وسمى
القران والايمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك ويهتدون
من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدي بساير الانوار وسمى الكفر ظلمة
لان الكافر لا يهتدي بهداه ولا يبصر امر رشده وهذا كما سمى الكافر اعمى
قوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي
الاعمى والبصير كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وجه التشبيه
بالكاف ان معناه زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لاولئك الايمان
فعملوه فشبه حال هؤلاء في التزيين بحال اولئك فيه كما قال سبحانه كل
حزب بما لديهم فرحون وروي عن الحسن انه قال زينته والله لهم الشيطان
وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله
زين لا يقتضي مزينا غيرهم لانه بمنزلة قوله تعالى انى يصرفون وانى يؤفكون
وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولع بكذا ومثله كثير وكذلك جعلنا
في كل قرية اكابر اي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين
عملهم ومثل ذلك جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء
فعلنا باولئك الا ان اولئك اهتدوا وابجس اختيارهم لان في كل واحد
منهما الجعل بمعنى الصيرورة الا ان الاول باللطف والثاني بالتمكين من
المكر وانما خص اكابر المجرمين بذلك دون الاصاغر لانه اليق بالاقتدار
على الجميع لان الاكابر اذا كانوا في قبضة القادر فالاصاغر بذلك اجدر
واللام في قوله ليمكروا فيها لام العاقبة وتسمى لام الصيرورة كما في قوله
سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر فاقسم لو قتلوا مالكا كنت
لهم حية راصدا وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وما يمكرون
الا بانفسهم لان عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على

الحقيقة لانه لا يصح ان يخفى عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان
يخفى ذلك عن غيره وفائدة الاية ان اكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على
وجه المغالبة لله اذ هم كانه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء
صفة المغالبة قوله عز وجل واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين
اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ابن القراة
قرا ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته
على الجمع الحجه من وحد فلان الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها
مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد اخرى اللغه
الاجرام الاقدام على القبيح بالانقطاع اليه لان اصل الجرم القطع فكانه
قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار
الذل الذي يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا
الاعراب الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من ان يكون
ظرفا متضمنا الحرف او غير ظرف فان كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم
لانه يصير المعنى اعلم في هذا الموضع او في هذا الوقت ولا يوصف الله تعالى
بانه اعلم في مواضع او في اوقات كما يقال زيد اعلم في مكان كذا منه في مكان
كذا واعلم في زمان كذا منه في زمان كذا واذا كان الامر كذلك لم يجز ان يكون
حيث هنا ظرفا واذا لم يكن ظرفا كان اسما وكان انتصابه انتصاب المفعول
به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الاصل والله اعلم بمواضع
رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه اعلم بمن ضل عن سبيله فمن يضل معمول
فعل مضمر دل عليه اعلم ولا يجوز ان يكون معمول اعلم لان المعاني لا تعمل
في مواضع الاستفهام ونحوه انما تعمل فيها الافعال التي تلغى فتعلق كما تلغى
ومثل ذلك في انه لا يكون الا معمولا على فعل قوله واضرب منا بالسيوف

القوانسا

القوانسا فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لان المعاني
لا تعمل في المفعول به وما جعل حيث فيه اسما متمكنا غير ظرف متضمن لمعنى
في قول الشاعر كان منها حيث تلوى المنطقا حقفا نقا مالا على حقفي نقا
الا ترى ان حيث هنا في موضع نصب بكان وحقفا نقا مرفوع بانه خبره
وقال القاضي ابو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه ان من العرب من
يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها انشد ابن الاعرابي بيتا آخره حيث
لي العمائم وانشد ايضا ابو سعيد وابو علي في اخراج حيث من حد الظرف فيه
بالاضافة اليها الى حد الاسماء المحضة قول الشاعر يصف شيخا يقتل القمل
يهز الهرانع عقده عند الخصى باذل حيث يكون من يتذلل ومن ذلك قول
الفرزدق فحض بهرعز بارضا باعزوبه رقاق واعلى حيث ركبن اعجف وقوله
صغار عند الله قال الزجاج عند متصله بسيصيب الذين اجرموا صغار ثابت
لهم عند الله ولا يصلح ان يكون من بحذوف من عند انما المحذوف من عند في
انوا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد في حضرة عمرو وقال ابو علي اذا قلت ان عند معمول
لصغار لم يحتج الى تقدير محذوف في الكلام لان نفس المصدر بينا وله ويعمل فيه
ويكون التقدير ان يصغر وا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فان قدرت
صغارا موصوفا بعند لم يكن عند معمولا لصغار ويكن يكون متعلقا بمحذوف
فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون في الاصل الصفة ثم حذف
واقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا كقولك وانت تريد الصفة هذا
رجل عندك او مستقر ونحوه وكلا الوجهين جائز النزول نزلت في الوليد
بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر
منك سنا واكثر منك مالا وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام قال زاحمنا
بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه عن مقاتل المعنى

ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحهم الباطلة فقال
واذا جاءتهم ايةٌ اى دلالة معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق
نبيه عليه السلام قالوا لن نؤمن اى لن نصدق بها حتى نؤتى اى نعطى اية
معجزة مثل ما اوتى اى اعطى رسل الله حسدا منهم للنبى عليه السلام ثم اخبر
سبحانه على وجه الانكار عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته انه اعلم
منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق بمصالح الخلق بعثته وانه
يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم باداءها
ويحتمل ما يلحقه من المشقة والاذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال
سيصيب اى سينال الذين اجرموا اى انقطعوا الى الكفر واقدموا عليه
يعنى بهم المشركين من اكابر القرى الذين سبق ذكرهم صغار عند الله اى
سيصيبهم عند الله ذل وهوان وان كانوا اكابر فى الدنيا عن الزجاج ويجوز
ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله او سيصيبهم اى يصغروا
عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فى الدنيا اى جزاء على مكرهم
قوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء كذلك
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون آية القراءة قرا ابن كثير ضيقا
بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفى الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها
وقرا اهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وقرا
ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرا ابو بكر يصاعد
بتشديد الصاد والف بعدها وتخفيف العين والباقون يصّعّد بتشديد
الصاد والعين وفتح الصاد الحجة الضيق والضيّق بمعنى مثل الميت والميّت
ومن فتح الراء من حرجا فقد وصف بالمصدر كما قيل فى قمن ودنف ونحوهما
من المصادر التى توصف بها ومن كسر الراء من حرجا فهو مثل دنف وقمن وقراءة

ابن كثير يصعد من الصعود ومن قرا يصّاعد اراد يتصاعد فادغم ومعنى يتصعد
انه يثقل الاسلام عليه فكانه يتكلف ما يثقل عليه شيئا بعد شئ كقولهم
يتعفف ويتجرع ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شئ ويصاعد
مثل يصعد فى المعنى فهو مثل ضاعف وضعف وناعم ونعم وهما من المشقة
وصعوبة الشئ ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعدنى شئ كما تصعدنى
خطبة النكاح اى ما شق على شئ مشقتها اللغة الحرج والحرج اضيق الضيق
قال ابو زيد حرج عليه السحور يحرج حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر يحرج حرجا
اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما بمعنى واحد وحرجت على
المراة الصلوة وحرمت بمعنى واحد وحرج فلان اذا هاب ان يتقدم على
الامر او قاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معانى الهداية والهدى والضلال
والاضلال فى سورة البقرة وما يجوز اسناده الى الله تعالى من كلى الامرين
وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين المعنى لما تقدم ذكر
المؤمنين والكافرين بين عقيبه ما يفعله سبحانه بكل من الفريقين فقال
فمن يرد الله ان يهديه قد ذكر فى تاويل الاية وجوه احدها ان معناه
من يرد الله ان يهديه الى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره فى الدنيا
للاسلام بان يثبت عزمه عليه ويقوى دواعيه على التمسك به ويزيل
عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض فى القلوب من الخواطر الفاسدة
وانما يفعل ذلك لطفا له ومنا عليه وثوابا على اهتدائه بهدى الله وقبوله
اياه ونظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدًى ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى ومن يرد ان يضله يجعل صدره فى كفره ضيقا حرجا عقوبة
له على ترك الايمان من غير ان يكون سبحانه مانعا له عن الايمان وسالبا اياه
القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سببا داعيا له الى الايمان فان من ضاق
صدره بالشئ كان ذلك داعيا له الى تركه والدليل على ان شرح الصدر

قديكون ثوابا قوله سبحانه الم نشرح لك صدرك الايات ومعلوم
ان وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثوابا على تحمل اعباء الرسالة وكلفها
فكذلك ما قرن به من شرح الصدر والدليل على ان الهدى قد يكون
الى الثواب قوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم
ويصلح بالهم ومعلوم ان الهداية بعد القتل لا تكون الا الى الثواب
فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه
الاية سئل رسول الله صلى الله عليه واله عن شرح الصدر ما هو فقال
نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك
من امارة يعرف بها قال عليه السلم نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن
دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وثانيها ان معنى الاية
فمن يرد الله ان يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذى ذكرناه
جزاء له على ايمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد الاستدامة
كما قلناه فى قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن يرد ان يضله اى يخذله
ويخلى بينه وبين ما يريد لاختياره الكفر وتركه الايمان يجعل صدره
ضيقا حرجا بان يمنعه الالطاف التى ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها
باقامته على كفره فان قيل انا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه ونراه
طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف فى خبره سبحانه بين انه يجعل صدره
ضيقا ولم يقل فى كل حال ومعلوم من حاله فى احوال كثيرة انه يضيق
صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعند ما يجازى الله
سبحانه المؤمن على استعمال الادلة الموصلة الى الايمان وهذا القدر هو
الذى يقتضيه الظاهر وثالثها ان معنى الاية من يرد الله ان يهديه زيادة
الهدى التى وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لان من حقها
ان تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد ان يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه

عنها

عنها من حيث اخرج هو نفسه من ان يصح عليه يجعل صدره ضيقا حرجا لمكان
فقد تلك الزيادة لانها اذا اقتضت فى المؤمن ما قلناه اوجب فى الكفار
ما يضاده ويكون الفايدة فى ذلك الترغيب فى الايمان والزجر عن الكفر
وهذا التاويل قريب مما تقدمه وقد روى عن ابن عباس انه قال انما
سمى قلب الكافر حرجا لانه لا يصل الخير الى قلبه وفى رواية اخرى لا تصل
الحكمة الى قلبه ولا يجوز ان يكون المراد بالاضلال فى الاية الدعاء الى
الضلال ولا الامر به ولا الاجبار عليه لاجماع الامة على ان الله تعالى
لا يامر بالضلال ولا يدعوا اليه فكيف يجبر عليه والدعاء اليه اهون
من الاجبار عليه وقد ذم الله سبحانه فرعون والسامرى على اضلالهما
عن دين الهدى فى قوله واضل فرعون قومه وما هدى وقوله فاضلهم
السامرى ولا خلاف فى ان اضلالهما اضلال امر واجبار ودعاء وقد
ذمهما الله سبحانه عليه مطلقا فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره وقوله
كانما يصعد فى السماء فيه وجوه احدها ان معناه كانه قد كلف ان يصعد
الى السماء اذا دعى الى الاسلام من ضيق صدره عنه او كان قلبه
يصعد فى السماء نبوا عن الاسلام والحكمة عن الزجاج وثانيها ان معنى
يصعد كانه يتكلف مشقة فى ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عنوت
وكؤود عن ابى على الفارسى قال ولا يكون السماء فى هذا القول المظلة
للارض لكن قال سيبويه القيدود الطويل فى غير سماء اى فى غير ارتفاع
صعدا وقريب منه ما روى عن سعيد بن جبير ان معناه كانه لا يجد مسلكا
الا صعدا وثالثها ان معناه كانما ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة عليه فى
مفارقة مذهبه كذلك يجعل الله الرجس اى العذاب عن ابن زيد من
اهل اللغة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد على الذين لا يؤمنون وفى
هذا دلالة على صحة التاويل الاول لانه سبحانه بين ان الاضلال المذكور

فى الاية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على
الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه
فى قوله كذلك يجعل الله الرجس انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق
الصدر فى قلوب اولئك وان كل ذلك على وجه الاستحقاق وروى
العياشى باسناده عن ابى بصير عن خيثمة قال سمعت ابا جعفر عليه السلم
يقول ان القلب يتقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم يصب الحق فاذا
اصاب الحق قر ثم قرء هذه الاية قوله عز وجل وهذا صراط ربك
مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند
ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ايتان المعنى ثم اشار سبحانه
الى ما تقدم من البيان فقال وهذا صراط اى طريق ربك وهو القران
عن ابن مسعود والاسلام عن ابن عباس وانما اضافه الى نفسه لانه سبحانه
هو الذى دل عليه وارشد اليه مستقيما لا اعوجاج فيه وانما انتصب
على الحال وانما وصف الصراط الذى هو ادلة الحق بالاستقامة مع
اختلاف وجوه الادلة لانها مع اختلافها تؤدى الى الحق فكانها طريق
واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد قد فصلنا الايات اى بيناها
وميزناها لقوم يذكرون واصله يتذكرون خص المتذكرين بذلك لانهم
المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين لهم دار السلم اى للذين تذكروا
وتدبروا وعرفوا الحق وتبعوه دار السلامة الدائمة الخالصة من كل افة
وبلية مما يلقاه اهل النار عن الزجاج والجبائى وقيل ان السلام هو الله
سبحانه وداره الجنة عن الحسن والسدى عند ربهم اى هى مضمونة لهم عند
ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل لغيره لك عندى هذا المال اى
فى ضمانى وقيل معناه لهم دار السلم فى الاخرة يعطيهم اياها وهو وليهم
يعنى الله يتولى ايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم ناصرهم

على اعدائهم

على اعدائهم وقيل يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق وفى الاخرة بالجزاء بما كانوا
يعملون المراد جزاء بما كانوا يعملونه من الطاعات فحذف لظهور المعنى
فان من المعلوم ان ما لا يكون طاعة من الاعمال فلا ثواب عليه قوله
عز وجل ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس
وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا
الذى اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك
حكيم عليم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ايتان
القرأة قرا حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون الحجة
من قرا بالياء فلقوله عند ربهم بالنون كالياء فى المعنى ويقوى النون
قوله وحشرناهم ونحشره يوم القيمة اعمى الاعراب قال الزجاج خالدين
فيها منصوب الى الحال والمعنى النار مقامكم فى حال خلود دايم قال ابو على
المثوى عندى فى الاية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال فى الكلام
معملا فيها الا ترى انه لا يخلوا من ان يكون موضعا او مصدرا فلا يجوز
ان يكون موضعا لان اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لانه لا معنى للفعل
فيه واذا لم يكن موضعا ثبت انه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها
خالدين اى اهل ان تقيموا وتثووا خالدين فيها فالكاف والميم فى المعنى
فاعلون وان كان فى اللفظ خفض بالاضافة المعنى ثم عطف سبحانه
على ما تقدم فقال ويوم نحشرهم جميعا اى نجمعهم يريد جمع الخلق وقيل
الانس والجن لانه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانتصب ليوم
بالقول المضمر لان المعنى ويوم نحشرهم جميعا نقول يا معشر الجن اى يا
جماعة الجن قد استكثرتم من الانس اى قد استكثرتم ممن اضللتموه من الانس
عن الزجاج وهو ماخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الانس و
اضلالهم وقال اولياؤهم اى متبعوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا

ببعض اى انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه اقوال احدها ان استمتاع
الجن بالانس ان اتخذهم الانس قادة ورؤساء فاتبعوا اهواءهم واستمتاع
الانس والجن انتفاعهم فى الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعوهم اليه
من الشهوات وثانيها ان استمتاع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر
وخاف الجن فى سلوك طريق قال اعوذ بسيد هذا الوادى ثم يسلك
فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن تجيرهم كما قال
سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا واستمتاع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون
بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم كان لهم فى ذلك سرور ونفع
عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم وثالثها ان المراد بالاستمتاع
طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال البلخى
ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس استمتع
بعضهم ببعض دون الجن وقوله وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنى
بالاجل الموت عن الحسن والسدى وقيل البعث والحشر لان الحشر اجل
الجزاء كما ان للموت اجل استدراك ما مضى قال الجبائى وفى هذا دلالة
على انه لا اجل الا واحد لانه لو كان اجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون
الموت بان يقتل لم يكن بلغ اجله والاية تتضمن انهم اجمع قالوا بلغنا
اجلنا الذى اجلت لنا وقال على بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة
فى الاية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان اجلان احدهما ما يقع فيه
الموت والاخر ما يقع فيه الحشر وما كان يجوز ان يعيش اليه قال الله
تعالى لهم النار مثويكم اى مقامكم والثوا الاقامة خالدين فيها اى دائمين
مؤبدين فيها معذبين الا ما شاء الله وقيل فى معنى هذا الاستثناء اقوال
احدها ما روى عن ابن عباس انه قال كان وعيد الكفار مبهما غير مقطوع به



ثم قطع به لقوله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به وثانيها ان الاستثناء
انما هو من يوم القيمة لانه قوله يوم نحشرهم جميعا هو يوم القيمة فقال
خالدين فيها مذ يوم يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم
ومقدار مدتهم فى محاسبتهم عن الزجاج قال وجائز ان يكون الا ما شاء الله
ان يعذبهم به من اصناف العذاب وثالثها ان الاستثناء راجع الى غير
الكفار من عصاة المسلمين الذين هم فى مشية الله تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم
بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفى عنهم فضلا ورابعها ان معناه
الا ما شاء الله ممن امن منهم عن عطا ان ربك حكيم عليم اى محكم لافعاله
عليم بكل شئ وقيل حكيم فى عقاب من يختار ان يعاقبه والعفو عمن يختار
ان يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وبمن يستحق
العقاب وبمقدار ما يستحقه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما
كانوا يكسبون الكاف للتشبيه اى كذلك المهمل تخلية بعضهم من بعض
للامتحان الذى معه يصح الجزاء على الاعمال تولينا بعض الظالمين بعضا
بان نجعل بعضهم يتولى امر بعض العقاب الذى يجرى على الاستحقاق عن
على بن عيسى وقيل معناه انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس
بعضهم الى بعض يوم القيمة وتبراء نا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم
الى بعض القيمة ونكل الاتباع الى المتبوعين ونقول للاتباع قولوا للمتبوعين
حتى يخلصوكم من العذاب عن ابى على الجبائى قال والغرض بذلك اعلامهم
انه ليس لهم يوم القيمة ولى يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى
الله سبحانه ما يجرى بين الجن والانس من الخصام والجدال فى الاخرة قال
وكذلك اى وكما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم فى النار وتولية بعضهم بعضا
نفعل مثله بالظالمين جزاء على اعمالهم وقال ابن عباس اذا رضى الله
عن قوم ولى امرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى امرهم شرارهم بما كانوا

يكسبون من المعاصي اي جزاء على اعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومثله ما رواه الكلبي عن مالك
بن دينار قال قرات في بعض كتب الحكمة ان الله يقول اني انا الله مالك
الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني
جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسبب الملوك ولكن توبوا الي
اعطفهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم على بعض نخلي بينهم وبين
ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم بعضا في النار من
الموالاة التي هي المتابعة اي ندخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتاده
قوله عز وجل يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون
عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا
وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون ثلث ايات
القراءة قرا ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء اللغة الغفلة عن
المعنى والسهو عنه والعزوب عنه نظاير وضد الغفلة اليقظة وضد
السهو الذكر وضد العزوب الحضور الاعراب موضع ذلك يحتمل ان يكون
رفعا على تقدير الامر ذلك ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك
وان لم يكن ان هذه المخففة من الثقيلة وتقديره لانه لم يكن كما في قول
الشاعر في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل
وان المفتوحة لا بد لها من اضمار الهاء لانه لا معنى لها في الابتداء وانما هي
معنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج الى الهاء لانه يصح ان تكون
حرفا من حروف الابتداء فلا تحتاج الى اضماره وانما لم يبن كل اذا حذف منه
المضاف اليه كما بني قبل وبعد لان ما حذف منه المضاف اليه مثل قبل وبعد

لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فانه لا يدخله الرفع في تلك الحال
فلما انضاف الى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج الى
البناء وليس كذلك كل لانه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن المعنى ثم
بين سبحانه تمام ما يخاطب به الجن والانس يوم القيمة بان يقول يا معشر
الجن والانس والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على اصناف
الطوايف ومنه العشرة لانها تمام العقد الم ياتكم رسل منكم هذا احتجاج
عليهم بان بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتاكيدا للحجة عليهم وانما قال
منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس خاصة فانه يحتمل
ان يكون لتغليب احدهما على الاخر كما قال سبحانه يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال
اكلت الخبز واللبن وانما يوكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول اكثر المفسرين
والزجاج والرماني وقيل انه ارسل رسل الى الجن كما ارسل الى الانس
عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون الى الانس ثم بعث محمدا
صلى الله عليه واله الى الانس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول
من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من الجن وقال مجاهد الرسل
من الانس والنذر من الجن يقصون اي يتلون ويقرؤن عليكم اياتي اي
حججي ودلايلي وبيناتي وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء
ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيمة
قالوا شهدنا على انفسنا بالكفر والمعاصي في حال التكليف ولزوم الحجة
وانقطاع المعذرة واعترفنا بذلك وغرتهم الحيوة الدنيا اي زينت لهم
بظاهرها حتى اغتروا بها وشهدوا على انفسهم في الاخرة انهم كانوا كافرين
في الدنيا اي اقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب ذلك حكم الله تعالى
اي لم يكن ربك ان لانه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون

وهذا يجرى مجرى التعليل اى الاجل انه لم يكن الله سبحانه ليهلك اهل
القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث اليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله ويزجروهم
ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا انما يكون منه سبحانه على وجه
الاستظهار فى الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لان ما فعلوه من الظلم
قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه سبحانه لا يهلكهم بظلم منه على
غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائى ومثله قوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وفى هذا دلالة واضحة على انه
سبحانه منزه عن الظلم ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه سبحانه عنه
ولكل اى ولكل عامل بطاعة او معصية درجات مما عملوا اى مراتب فى
عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا
فشر وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج فى الارتفاع والانحطاط
وانما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك
الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليبا لصفة اهل الجنة وما
ربك يا محمد او ايها السامع بغافل اى ساه عما يعملون اى لا يخفى شى من ذلك
عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفى هذا وعيد وتذكير للخلق فى
كل امورهم قوله عز وجل وربك الغنى ذو الرحمة ان يشا يذهبكم
ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين ان
ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
ثلث ايات القراءة قرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم
على التوحيد وقرا حمزة والكسائى من يكون بالياء والباقون بالتاء الحجة
وجه قراءة مكانتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر فى اكثر الامور مفردة
ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال فاما اذا جلسوا

فى الندى فاحلام عاد وايدى هضم ومن قرا من يكون بالياء فلان
العاقبة مصدر كالعافية وتانيثه غير حقيقى فمن انث فهو كقوله فاخذتهم
الصيحة ومن ذكر فكقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الامرين
جائز اللغة الانشاء الابتداء انشاء الله الخلق اذا خلقهم وابتداهم
ومنه قوله انشاء فلان قصيدة والنشا الاحداث من الاولاد قال
نصيب ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشا الصغار
وتوعدون من الايعاد ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد فى الخير
والايعاد فى الشر وقال ابو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند
السلطان من قوم مكناء وقد مكن مكانة الاعراب الكاف فى قوله
كما انشاكم فى موضع نصب اى مثل ما انشاكم ومن فى قوله ويستخلف من بعدكم
للبدل كقولهم اعطيت من دينارك ثوبا اى مكان دينارك وبدله ومن
فى قوله من ذرية قوم اخرين لابتداء الغاية وما فى قوله انما توعدون
بمعنى الذى ومن فى قوله من تكون له عاقبة الدار فى موضع رفع
بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره اينا تكون له عاقبة الدار
ويكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بتعلمون ويكون فى معنى
الذى المعنى لما امر سبحانه بطاعته وحث عليها ورغب فيها بين انه لم يامر بها
لحاجة لانه تعالى عن النفع والضر فقال وربك اى خالقك وسيدك
الغنى عن اعمال عباده لا ينفعه طاعتهم ولا يضره معصيتهم لان الغنى عن الشى
هو الذى يكون وجود الشى وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة ذو
الرحمة اى صاحب النعمة على عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده ينعم عليهم
وان انعامه وان كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته
فقال ان يشا يذهبكم اى يهلككم وتقديره يذهبكم بالاهلاك
ويستخلف من بعدكم ما يشاء اى وينشئ بعد هلاككم خلقا غيركم يكونون خلفا منكم

كما انشاكم في الاول من ذرية قوم اخرين يقدموكم وهذا خطاب لمن سبق ذكرهم من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه ويستخلف جنسا اخرى كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على اخراج قوم اخر لا من الجن ولا من الانس وفي هذه الاية دلالة على ان خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدورا لانه سبحانه بين انه قادر على ان ينشئ خلقا خلاف الجن والانس ولم يفعل ذلك انما توعدون في القيمة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت اهل الجنة في الدرجات وتفاوت اهل النار في الدركات لآت لا محالة وما انتم بمعجزين بفائتين ويقال بسابقين ويقال بخارجين من ملكه وقدرته والاعجاز ان ياتي الانسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى هذا يكون المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب قل يا محمد لهم يا قوم اعملوا على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الامر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائي اي قيموا على حالتكم التي انتم عليه فاني مجازيكم اني عامل اخبار عن النبي صلى الله عليه واله اي عامل بما امرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى اي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم والاول الصحيح فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فستعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم انه لا يفلح الظالمون اي لا يظفر الظالمون بمطلوبهم وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لانه سبحانه قال في موضع اخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم قوله عز وجل وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم

فلا

فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ايه القراءة قرا الكسائي بزعمهم بضم الزاء وهو قراءة يحيى بن وثاب والاعمش وقرا الباقون بفتح الزاء الحجة القول فيه انهما لغتان وقيل ان الكسر ايضا لغة ومثله الفتك والفتك والفتك والود والود والود اللغة الذرء الخلق على وجه الاختراع واصله الظهور ومنه ملح ذرءاني وذراني لظهور بياضه والزراة ظهور الشيب قال وقد علتني ذراة بادي بدي وذرئت لحيته اذا شابت والحرث الزرع والحرث الارض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم ماخوذ من نعمة الوطي ولا يقال لذوات الحافر انعام المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه وجعلوا لله يعني كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين والجعل بمعنى الوصف والحكم مما ذرا من الحرث اي مما خلق من الزرع والانعام اي المواشي من الابل والبقر والغنم نصيبا اي حظا وهيهنا حذف يدل الكلام عليه وهو جعلوا للاوثان منه نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا يعني الاوثان وانما جعل الاوثان شركائهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قيل في معناه اقوال احدها انهم كانوا يزرعون زرعا وللاصنام زرعا فكان اذا زكا الزرع الذي زرعوه للاصنام جعلوا بعضه للاصنام وصرفوه اليها ويقولون ان الله غني والاصنام احوج وان زكا الزرع الذي يجعلونه للاصنام ولم يزك الزرع الذي زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئا لله تعالى وقالوا هو غني وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للاصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم انفق على الصنم عن الزجاج وغيره وثانيها انه كان اذا اختلط ما جعل للاصنام بما جعل لله تعالى ردوه واذا اختلط ما

ما جعل لله بما جعلوه للاصنام تركوه وقالوا الله اغنى واذا تخرق الماء
من الذى لله فى الذى للاصنام فى الذى لله سدوه وقالوا الله اغنى
عن ابن عباس وقتاده وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم وثانيها ان كان
اذا هلك ما جعل الاصنام بدلوه مما جعل لله واذا هلك ما جعل لله
لم يبدلوه مما جعل للاصنام عن الحسن والسدى ساء ما يحكمون اى ساء
الحكم حكمهم هذا قوله عز وجل وكذلك زين للمشركين قتل اولادهم
شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم ولو شاء الله ما فعلوه
فذرهم وما يفترون ايه القراة قرا ابن عامر وحده زين بضم
الزاء قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركايهم بالجر والباقون زين
بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع الحجه شركاؤ
فى قراة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون
شركاء فاعل المصدر الذى هو قتل اولادهم لان زين حينئذ يبقى
بلا فاعل ولان الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزينون القتل لهم واضيف
المصدر الذى هو القتل الى المفعولين الذين هم الاولاد وحذف
الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير الانسان فى قوله لا
يسام الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعايه الخير واما قراة ابن عامر
وكذلك زين فانه اسند زين الى قتل واعمل المصدر عمل الفعل واضافه
الى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض فاسم
الله ههنا فاعل كما ان الشركاء فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم
فاعلون والمعنى قتل شركائهم اولادهم وتقديره ان قتل شركاؤهم
اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول به والمفعول
مفعول المصدر وهذا قبيح فى الاستعمال قال ابن ابو على ووجه ذلك
على ذلك ضعفه انه قد جاء فى الشعر الفصل قال الطرماح يطفن بحوزى

الواقع

الواقع لم يرع نواديه من قرع القسى الكنائن وزعموا ان ابا الحسن انشد
زج القلوص ابى مزاده فهو شاذ مثل قراة ابن عامر وذكر سيبويه فى هذه
الاية قراة اخرى وهى قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
شركاؤهم وهو قراة ابى عبد الرحمن السلمى فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر
غير هذا الظاهر كانه لما قيل وكذلك زين قيل من زينه فقال زينه شركاؤهم
ومثل ذلك قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح
كانه لما قال ليبك يزيد قيل من يبكيه فقال يبكيه ضارع اللغه الارداء
الاهلاك وردى يردى اذا هلك وتردى ترديا والمرداه الحجر يردى
من راس جبل المعنى ثم بين سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمه فقال
وكذلك اى كما جعل اولئك فى الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك زين
لكثير من المشركين اى مشركى العرب قتل اولادهم شركاؤهم يعنى الشياطين
الذين زينوا لهم قتل البنات ووادهن احياء خيفة العيله والفقر والعار
عن الحسن ومجاهد والسدى وقيل ان المزينين لهم ذلك قوم كانوا
يخدمون الاوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الغواه من الناس وقيل
كان السبب فى تزيين قتل البنات ان النعمن بن المنذر اغار على قوم فسبى
نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فارادت كل امراة منهن
عشيرتها غير ابنة قيس فانها ارادت من سباها فحلف قيس لا يولد له بنت
الا وادها فصار ذلك سنة فيما بينهم ليردوهم اى ليهلكوهم واللام لام
العاقبة لانهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا الى ان يردوهم عن ابى
على الجبائى وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب
وليلبسوا عليهم دينهم اى يخلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه
ولو شاء الله ما فعلوه معناه ولو شاء الله ان يمنعهم من ذلك او يضطرهم
الى ترك الفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون

ذلك منافيا للتكليف فذرهم وما يفترون اى اتركهم ودعهم وافتراهم
اى كذبهم على الله تعالى فانه مجازيهم وفى هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول
القايل دعه وما اختاره وفى هذه الاية دلالة واضحة على ان تزيين القتل
والقتل فعلهم وانهم فى اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون قوله عز وجل
وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام
حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم
بما كانوا يفترون اية القراة قرئ فى الشواذ حرج روى ذلك عن ابى
بن كعب وبن مسعود وبن الزبير والاعمش وعكرمه وعمرو بن دينار الحجه
الحرج يمكن لم يو فل معناه الى الحجر فانهما يرجعان فى الاصل الى معنى الضيق
فان الحرام سمى حجر الضيقه والحرج ايضا الضيق فعلى هذا يكون لغة فى
حجر مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب اللغه الحجر الحرام والحجر العقل
وفلان فى حجر القاضى من حجره حجرا اى فى منع القاضى اياه من الحكم فى ماله
وحجر المراة وحجرها بالفتح والكسر حضنها الاعراب افتراء منصوب بقوله
لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون
فكانه قال يفترون افتراء المعنى ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة اخرى من عقايدهم
الفاسدة فقال وقالوا يعنى المشركين هذه انعام اى مواش وهى الابل
والبقر والغنم وحرث زرع حجر اى حرام عنى بذلك الانعام والزرع اللذين
جعلوهما لالهتهم واوثانهم لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم اى لا ياكلها
الا من نشاء ان ناذن له فى اكلها واعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم
لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمة
اصنامهم من الرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها يعنى الانعام
التى حرموا الركوب عليها وهى السائبة والبحيرة والحامى عن الحسن ومجاهد
وقيل هى الحامى الذى حمى ظهره اذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا

يحمل عليه وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل كانت لهم من انعامهم
طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شىء من شانها عن مجاهد وقيل
انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابى وايل وقيل هى التى اذا ذكوها اهلوا
عليها باصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك افتراء عليه اى
كذبا على الله كذبا لانهم كانوا يقولون ان الله امرهم بذلك وكانوا
كاذبين عليهم سبحانه سيجزيهم بما كانوا يفترون ظاهر المعنى قوله تعالى
وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم على
ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم
عليم اية القراة قرا ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع وقرا ابن عامر وابو جعفر
تكن بالتاء ميتة رفع وقرا ابو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب الباقون
يكن بالياء ميتة نصب وفى الشواذ قراة بن عباس بخلاف وقتادة والاعرج
خالصة بالنصب وقراة سعيد بن جبير خالصة وقراة بن عباس بخلاف و
الزهرى والاعمش خالص بالرفع وقراة بن عباس وبن مسعود والاعمش
بخلاف خالصه مرفوع مضاف الحجه وجه قراة الاكثر ان يحمل على ما فيكون
تقديره ان يكون ما فى بطون الانعام ميتة ووجه قراة بن كثير انه لما لم
يكن تانيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاه موعظة ويكون
كان تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن انث الفعل فكقوله سبحانه قد
جاءتكم موعظة ووجه قراة ابى بكر ان ما فى بطون الانعام من الانعام
فلذلك انثها واما خالصة بالرفع على القراة المشهورة فتقديره ما فى
بطون الانعام خالصة لنا اى خالص فانث للمبالغة فى الخلوص كما يقال
فلان خالصة فلان اى صفيه والمبالغ فى الصفا والثقه والتاء فيه للمبالغة
ويكون ايضا بلفظ المصدر نحو العاقبة والعافيه والمصدر الى الجنسيه
فيكون اعم واوكد ويدل على ذلك قراة من قرا خالص واما من نصب خالصة

وخالصًا ففيه وجهان احدهما ان يكون حالا من الضمير في الظرف الذى
جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذى فى الدار قائما زيد ويكون قوله
لذكورنا خبر المبتداء الموصول والاخر ان يكون حالا من ما على مذهب
الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بعد ان
يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائما فى الدار واحتج بقوله سبحانه
جميعا قبضته يوم القيمة **المعنى** ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة اخرى فقال
وقالوا يعنى هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم ما فى بطون هذه الانعام
يعنى البان البحاير والسيب عن ابن عباس والشعبى وقتاده وقيل يعنى اجنة
البحاير والسيب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد
ميتا اكله الرجال والنساء عن مجاهد والسدى وقيل المراد به كلاهما خالصة
لذكورنا لا يشركهم فيها احد من الاناث من قولهم فلان يخلص العمل
لله ومن اخلاص التوحيد وسمى الذكور من الذكر الذى هو الشرف والذكر
انبه واذكر من الانثى ومحرم على ازواجنا اى نسائنا وان يكن ميتة معناه
ان يكن جنين الانعام ميتة فهم فيه شركاء اى الذكور والاناث فيه سواء
ثم قال سبحانه سيجزيهم وصفهم اى سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء
نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه عن الزجاج انه حكيم فيما يفعل بهم من العقاب اجلا
وفى امهالهم عاجلا عليم بما يفعلونه لا يخفى عليه شئ منها وقد عاب الله
سبحانه الكفار في هذه الاية من وجوه اربعة احدها ذبحهم الانعام بغير
اذن الله وثانيها اكلهم على ادعاء التذكية افتراء على الله وثالثها تحليلهم
للذكور وتحريمهم على الاناث تفرقة بين ما لا يفترق الا بحكم الله ورابعها
تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى سمع موثوق به **قوله تعالى قد
خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله**

افتراء

الربع

افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين **ابن القراة** قرا ابن كثير وابن
عامر قتلوا بتشديد التاء والباقون بالتخفيف **الحجة** التشديد للتكثير
والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك **الاعراب** قوله
سفها وافتراء نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما فى قوله افتراء عليه
المعنى ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا الاولاد والذين حرموا
الحلال فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم خوفا من الفقر وهربا من العار
ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الابد والخسران
هلاك راس المال سفها اى جهلا وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها
والفرق بين السفه والنزق ان السفه عجله يدعوا اليها الهوى والنزق
عجلة من جهة حدة الطبع والغليظ بغير علم وهذا تاكيد لجهلهم وذهابهم
عن الصواب وحرموا ما رزقهم الله يعنى الانعام والحرث اللذين زعموا
انهما حجر عن الحسن واعترض على بن عيسى على هذا فقال الانعام كانت
محرمة على ورود السمع لما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض يفسد من حيث
ان الركوب لا يحتاج الى السمع وان احتاج الذبح اليه لان الركوب
مباح اذا اقام بمصالحها ولان اكلها ايضا بعد الذبح مباح افتراء اى
كذبا على الله سبحانه قد ضلوا اى ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا
بحكم الشيطان فيما حكموا فيه وما كانوا مهتدين الى شئ من الدين والخير
والرشاد وفى هذه الايات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لانه
سبحانه اضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم ونزه نفسه عن ذلك وذمهم
على قتل الاطفال بغير جرم وكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الابد على غير جرم
**قوله تعالى وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل
والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه
كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب**

المسرفين اية القراءة قرا اهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر الحجة هما لغتان قال سيبويه جاؤا بالمصادر حين ارادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجداد والجزام والخزام والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان في بعض هذا فكان فيه فعال وفعال اللغة الانشاء احداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالابتداع والاختراع هو احداث الافعال في الغير من غير سبب والخلق هو التقدير والترتيب والجنات البساتين التي تجنها الشجر من النخل وغيره والروضة هي الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الالوان الحسنة والعرش اصله الرفع ومنه سمي السرير عرشا لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم دفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة والاسراف مجاوزة الحد وقد يكون بالمجاوزة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط الاعراب مختلفا اكله نصب على الحال من انشا وانما انتصب على الحال من انشا وانما انتصب على الحال وان كان يوكل بعد ذلك بزمان لامرين احدهما ان المعنى مقدرا اختلاف اكله كما في قوله مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا الصيد به غدا والثاني ان يكون معه اكله ثمره الذي يصلح ان يوكل منه المعنى لما حكى سبحانه عن المشركين انهم جعلوا لبعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بانه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا باذنه فقال وهو الذي انشا اي خلق وابتدا لا على مثال جنات اي بساتين فيها الاشجار المختلفة معروشات مرفوعات بالدعائم وقيل هو ما عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظائر

كالحيطان

كالحيطان عن ابي علي قال واصله الرفع ومنه قوله خاوية على عروشها يعني على اعاليها وما ارتفع منها لم تندك فتستوي الارض وغير معروشات يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من انواع الاشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على اصولها مستغنية عن التعريش عن ابي مسلم والنخل والزرع اي وانشا النخل والزرع مختلفا اكله اي طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف النخل والزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفا في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا في الطعم متفقا في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى انه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء والزيتون والرمان اي وانشا الزيتون والرمان متشابها في الطعم واللون والصورة وغير متشابه وانما قرن الزيتون الى الرمان لانهما متشبهان باكتناز الاوراق في اغصانها كلوا من ثمره المراد به الاباحة وان كان بلفظ الامر قال الجبائي وجماعة هذا يدل على جواز الاكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء واتوا حقه يوم حصاده هذا امر بايتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان احدهما انه الزكوة العشر او نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاووس والثاني انه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلام وعطاء ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى اصحابنا انه الضغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة وقال ابراهيم والسدي الاية منسوخة بفرض العشر لان هذه الاية مكية وفرض الزكوة انما نزل بالمدينة ولما روي ان الزكوة نسخ كل صدقة وقالوا ولان الزكوة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لان يوم حصاده ظرف لحقه وليس بظرف للايتاء المامور به ولا تسرفوا اي لا تجاوزوا الحد

وفيه اقوال احدها انه خطاب لارباب الاموال اى لا تسرفوا بان تتصدقوا
بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فانه صرم خمسين
نخلا وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئا فى داره لاهله عن ابى العالية وابن
جريج وثانيها ان معناه لا تقصروا بان تمنعوا بعض الواجب والتقصير سرف
عن سعيد بن المسيب وثالثها ان المعنى لا تسرفوا فى الاكل قبل الحصاد كيلا
يؤدى الى بخس حق الفقراء عن ابى مسلم ورابعها ان معناه لا تنفقوه فى
المعصية ولا تضعوه فى غير موضعه وفى جميع هذه الاقوال الخطاب لارباب
الاموال وخامسها ان الخطاب للائمة ومعناه لا تاخذوا ما يجحف بارباب
الاموال ولا تاخذوا فوق الحق عن ابن زيد وسادسها ان الخطاب للجميع
بان لا يسرف رب المال فى الاعطاء ولا الامام فى الاخذ وصرف ذلك
الى غير مصارفه وهذا اعم فايدة انه لا يحب المسرفين ظاهر المعنى قوله عز وجل
ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين
ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى
القوم الظالمين ثلث ايات القراءة قرا ابن كثير الا ابن فليح وابن عامر
واهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون بسكونها الحجة قال
ابو على من قرا المعز فانه جمع ماعز مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب
وطلب وقال ابو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى ابو زيد
الامعوز وقال المعيز كالكليب والضئين ومن قرا المعز فانه جمع ايضا

مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع
مستمرا ويرده فى التصغير الى الواحد فيقول فى تحقير ركب رويكبون
وفى تجر تويجرون وسيبويه يراه اسما من اسماء الجموع وانشد ابو عثمان
فى الاحتجاج لسيبويه اخشى ركيبا او رجيلا عاديا فتحقيره له على لفظه
يدل على انه اسم للجمع وانشد واين ركيب واضعون رحالهم اللغة الحمولة
الابل تحمل عليها الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة
بضم الحاء هى الاحمال ومى الحمول ايضا وانما قيل للصغار فرش لامرين
احدهما لاستواء اسنانها فى الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش والثانى
انه من الفرش وهى الارض المستوية التى يتوطاها الناس والزوج يقع
على الواحد الذى يكون معه اخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين
خصم وعدل والاشتمال اصله الشمول يقال شملهم الامر يشملهم وشملهم
يشملهم شمولا اذا عمهم ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشئ وباطنه
بقوتها ولطفها ومن ذلك الشموم للخمر لاشتمالها على العقل وقيل
لان لها عصفة كعصفة الشمال الاعراب حمولة عطف على جنات اى
وانشا من الانعام حمولة واثنين حمول على انشا ايضا اى ثمانية ازواج
اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا واثنين
من كذا واثنين من كذا بدل من ثمانية او عطف بيان وقوله الذكرين حرم
دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل بينهما بالالف ولم يسقط همزة
الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لان ام تدل على
الاستفهام وعلى هذا اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر فوالله ما ادرى
وان كنت داريا شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر استفهاما فيكون تقديره
اشعيث وما فى قوله اما اشتملت فى موضع نصب بكونه عطفا على الانثيين
وانما قال الانثيين فثنى لانه اراد من الضان والمعز المعنى ثم عطف سبحانه

على ما عده فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته فى انشا الانعام فقال
ومن الانعام اى وانشا من الانعام حمولة وفرشا قد قيل فيه اقوال
احدها ان الحمولة كبار الابل والفرش صغارها عن ابن مسعود وابن عباس
بخلاف والحسن بخلاف ومجاهد وثانيها ان الحمولة ما يحمل عليه من
الابل والبقر والفرش الغنم عن الحسن فى رواية اخرى وقتاده والربيع
والسدى والضحاك وابن زيد وثالثها ان الحمولة كل ما حمل من الابل
والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس فى رواية
اخرى فكانه ذهب الى انه يدخل فى الانعام الحافر على وجه التبع ورابعها
ان معناه ما ينتفعون به فى الحمل وما يفترشونه فى الذبح يعنى الافتراش
الاضطجاع للذبح عن ابى مسلم قال وهو كقوله واذا وجبت جنوبها وروى
عن الربيع بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذبح ايضا وخامسها ان الفرش
ما يفرش من اصوافها واوبارها ويرجع الصفتان الى الانعام اى من الانعام
ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من اوبارها واصوافها ما يفرش ويبسط على الارض
على الجباء كلوا مما رزقكم الله اى استحلوا الاكل مما اعطاكم الله ولا تحرموا
شيئا منها كما فعله اهل الجاهلية فى الحرث والانعام وعلى هذا يكون الامر
على ظاهره ويمكن ان يكون اراد نفس الاكل فيكون بمعنى الاباحة ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين مضى تفسيره فى سورة البقرة فسر
سبحانه الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج وتقديره وانشا ثمانية ازواج
انشا من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
وانما اجمل ثم فصل المجمل لانه اراد ان يقرر على شئ منه ليكون اشد فى
التوبيخ من ان يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية ازواج لان كل واحد
من ذلك يسمى زوجا فالذكر زوج الانثى والانثى زوج الذكر كما قال سبحانه
امسك عليك زوجك ومعناه ثمانية اصناف من الضان اثنين يعنى الذكر

والانثى ومن المعز اثنين الذكر والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم
والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضان ضائن كقولهم تاجر وتجر والانثى
ضائنة وواحد المعز ماعز وقيل ان المراد بالاثنين الاهلى والوحشى
من الضان والمعز والبقر والمراد بالاثنين من الابل العراب والبخاتى وهو
المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وانما خص هذه الثمانية لانها جميع
الانعام التى كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره قل يا محمد
لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما احل الله تعالى الذكرين من الضان والمعز
حرم الله ام الانثيين منهما اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اى ام حرم
ما اشتمل رحم الانثى من الضان والانثى من المعز وانما ذكر الله سبحانه
هذا على وجه الاحتجاج عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا
من ان ما فى بطون الانعام حلال للذكور وحرام على الاناث وغير ذلك
مما حرموه فانهم لو قالوا حرم الذكرين لزمهم ان يكون كل ذكر حراما ولو
قالوا حرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضان والمعز لزمهم تحريم الذكور
والاناث فان ارحام الاناث تشتمل على الذكور والاناث فيلزمهم
من عمهم تحريم هذا الجنس صغارا وكبارا وذكورا واناثا ولم يكونوا يفعلون
ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمتهم الحجة
ثم قال نبئونى بعلم ان كنتم صادقين معناه اخبرونى بعلم عما ذكرتموه من
تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه ان كنتم صادقين فى ذلك ومن الابل
اثنين ومن البقر اثنين هذا تفصيل لتمام الازواج الثمانية قل يا محمد
آلذكرين حرم الله منهما ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين
قد تقدم معناه ام كنتم شهداء اى حضورا اذ وصاكم الله بهذا اى امركم
به وحرمه عليكم حتى تضيفوه اليه وانما ذكر ذلك لانه طرق العلم اما الدليل
الذى يشترك العقلاء فى ادراك الحق به او المشاهدة التى تختص بها بعضهم

دون بعض فاذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتم
بالسمع والكتب المنزلة وانتم لا تقرون بذلك ام شاهدتم الله تعالى به فعلمتموه
واذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم اليه فمن اظلم ممن افترى على الله
كذبا اي من اظلم لنفسه ممن كذب على الله واضاف اليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم
يحلله ليضل الناس بغير علم اي يعمل عمل القاصد الى اضلالهم من اجل دعائه اياهم
الى ما لا يثق بصحته مما لا يامن ان يكون فيه هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين الى الثواب لانهم مستحقون العقاب الدائم بكفرهم
وضلالهم قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه
الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل
لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم آية القراءة قرا
ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة نصب وقرا ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة
بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير ابي جعفر فانه شددها
الحجة قال ابو علي قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كانه قال الا ان تكون العين
او النفس ميتة الا ترى ان المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه باحد هذه الاشياء وليس
قوله الا ان يكون كقولك جاني القوم لا يكون زيدا وليس زيدا في ان الضمير
الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التانيث لان الفعل
انما يكون عاريا من علامة التانيث ومن ان يظهر معه الظهير اذا لم يدخل
عليه ان فاما اذا دخله ان فعلى حكم سائر الافعال ومن قرا بالياء ونصب
ميتة فانه جعل فيه ظهيرا مما تقدم وهو اقيس مما تقدم ذكره اي الا ان يكون
ميتة فالحق علامة التانيث الفعل كما الحق في قوله قد جاءتكم موعظة ويقرا
الا ان تقع ميتة المعنى لما تقدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان
ان المحرمات فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لا اجد فيما اوحي اي اوحيه
الله تعالى الي شيئا محرما على طاعم يطعمه اي على اكل ياكله الا ان يكون ميتة

او دما مسفوحا اي مصبوبا وانما خص المصبوب بالذكر لان ما يختلط باللحم
منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو مباح او لحم خنزير انما خص الاشياء الثلثة
هنا بذكر التحريم مع ان غيرها محرم فانه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المنخنقة
والموقوذة والمتردية وغيرها لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون
في حكمها فاجمل ههنا وفصل هناك واجود من هذا ان يقال انه
سبحانه خص هذه الاشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها وبين تحريم ما عداها في
مواضع اخر اما بنص القران واما بوحي غير القران وايضا فان هذه السورة
مكية والمائدة مدنية فيجوز ان يكون غير ما في الاية من المحرمات انما حرم
فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حيوة ففقدت من غير تذكية شرعية
فانه رجس اي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور عنه والرجس
ايضا العذاب والهاء في قوله فانه عائد الى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره
او فسقا عطفه على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه اهل لغير الله به اي
ذكر عليه اسم الاصنام والاوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسمى ما ذكر
عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن امر الله واصل الاهلال رفع الصوت
بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة فمن اضطر الى تناول شيء مما ذكرناه
غير باغ ولا عاد قد سبق معناه في سورة البقرة فان ربك غفور رحيم
حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة قوله عز وجل وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين اللغة
الظفر ظفر الانسان وغيره ورجل اظفر اذا كان طويل الاظفار
كما يقال اشعر للطويل الشعر والحوايا المباعر قال الزجاج واحدها حاوية

وحاوياء وحوية وهي ما تحوي في البطن فاجتمع واستدار الاعراب
موضع الحوايا يحتمل ان يكون رفعا عطفا على ما في قوله الا ما حملت
فاما قوله او ما اختلط بعظم فان ما هنا معطوفة على ما الاولى
ذلك يجوز ان يكون منصوب الموضع بانه مفعول ثان لجزيناهم
التقدير جزيناهم ذلك ببغيهم ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء لانه
يصير التقدير ذلك جزيناهموه فيكون كقولهم زيد ضربت اي ضربته
وهذا انما يجوز في ضرورة الشعر المعنى ثم بين تعالى ما حرم على اليهود
فقال وعلى الذين هادوا اي على اليهود في ايام موسى حرمنا كل ذي
ظفر اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام
والاوز والبط عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتاده ومجاهد والسدي
وقيل هو الابل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب
والسنانير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير
وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما اخبر سبحانه انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من
الثرب وشحم الكلى وغير ذلك مما في اجوافها واستثنى من ذلك فقال
الا ما حملت ظهورهما اي ما حملته ظهورهما من الشحم وهو اللحم السمين
فانه لم يحرم عليهم او الحوايا اي ما حملته الحوايا من الشحم فانه غير محرم عليهم
ايضا والحوايا هي المباعر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتاده
ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي
عليها الشحوم عن الجبائي او ما اختلط بعظم هذا ايضا مستثنى من جملة ما حرم
وهو شحم الجنب والالية لانه على العصعص عن ابن جريج والسدي وقيل
الالية لم تدخل في ذلك لانها لم تستثن عن الجبائي فكانه لم يعتد بعضم
العصعص قال الزجاج انما دخلت او ههنا على طريق الاباحة كما قال سبحانه

ولا تطع

ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى ان كل هؤلاء اهل ان يعصى فاعص
هذا او اعص هذا او ابلغة في هذا المعنى لانك اذا قلت لا تطع زيدا
وعمروا فجائز ان يكون نهيتني عن طاعتهما في حال معا فان اطعت
زيدا على حدته لم اكن عصيتك فاذا قلت لا تطع زيدا وعمروا او خالدا
فالمعنى ان هؤلاء كلهم اهل ان لا يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا
تطع الجماعة ومثله جالس الحسن وابن سيرين والشعبي ذلك جزيناهم
ببغيهم المعنى حرمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الانبياء واخذهم
الربى واستحلالهم اموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهو كقوله
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقيل ببغيهم
ظلمهم على انفسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل ان ملوك بني اسرائيل
كانوا يمنعون فقراهم من اكل لحوم الطير والشحوم فحرم الله ذلك ببغيهم
على فقرائهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويسال فيقال كيف يكون
التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتعريض للثواب وجوابه انه انما سمي
جزاء وعقابا لان عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغيير
المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك وانا لصادقون
اي في الاخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء وفي ان ذلك التحريم
عقوبة لاوائلهم ومصلحة لمن بعدهم الى وقت النسخ فان كذبوك يا محمد
فيما تقول فقل ربكم ذو رحمة واسعة لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل
يمهلكم ولا يرد باسه اي لا يدفع عذابه اذا جاء وقته عن القوم المجرمين
اي المكذبين قوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك
كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة

البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين
كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون
ثلث ايات اللغة هلم قال الزجاج انها ها ضمت اليها لم وجعلتا
كالكلمة الواحدة فاكثر اللغات ان يقال هلم للواحد وللاثنين والجماعة
بذلك جاء القران نحو قولهم هلم الينا ومعنى هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم
ومن العرب من يثنى ويجمع ويؤنث فيقول للذكر هلم وللاثنين هلما
وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمى وللنسوة هلممن وفتحت لانها مدغمة كما
فتحت ردّ يا هذا فى الامر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم
والكسر لانها لا تنصرف قال ابو على هى فى اللغة الاولى بمنزلة رويد
وصه ومه ونحو ذلك من الاسماء التى سميت بها الافعال وفى الاخرى
بمنزلة ردّ فى ظهور علامات الفاعلين كما يظهر فى ردّوا واما ها اللاحق
بها فهى للتنبيه لحقت اولا لان لفظ الامر قد يحتاج له الى استعطاف المأمور
واستدعاء اقباله على الامر فهو لذلك يقرب من المنادى ثم دخل حرف
التنبيه فى الا يا اسجدوا الا ترى انه امر كما ان هذا امر وقد دخل فى جمل اخر
نحوها انتم هؤلاء فكما دخل فى هذه المواضع كذلك لحقته الا انه كثر
الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كالاشياء تغير لذلك نحو
لم ابل ولم ادر ولم يك وما اشبه ذلك مما يغير للكثرة المعنى لما تقدم
الرد على المشركين اعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة
فقال سيقول الذين اشركوا اى سيحتج هؤلاء المشركون فى اقامتهم على شركهم
وفى تحريمهم ما احل الله تعالى بان يقولوا لو شاء الله ما اشركنا اى لو شاء الله
ان لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم ولا اباؤنا واراد منا خلاف ذلك ما
اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شىء اى شيئا من ذلك ثم كذبهم الله تعالى

فى ذلك

فى ذلك بقوله كذلك اى مثل هذا التكذيب الذى كان من هؤلاء فى انه
منكر كذب الذين من قبلهم وانما قال كذب بالتشديد لانهم بهذا القول
كذبوا رسول الله صلى الله عليه واله فى قوله لهم ان الله سبحانه امركم بتوحيده
وترك الاشراك به وترك التحريم لهذه الانعام وكانوا بقولهم ان الله
تعالى اراد منا وذلك شاءه ولو اراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول عليه
السلم كما كذب من تقدم انبياءه فيما اتوا به من قبل الله تعالى حتى ذاقوا
باسنا اى حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل ذلك
على ان لهم عذابا مدخرا عند الله تعالى لان الذوق اول ادراك الشىء
قل يا محمد لهم جوابا عما قالوه من الشرك بمشية الله هل عندكم من علم اى حجة
تؤدى الى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه فتخرجوه لنا اى فتحتجوا
وان ما قالوه باطل ثم اكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم فى مقالتهم بقوله
ان تتبعون الا الظن اى ما تتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين
وان انتم الا تخرصون اى تكذبون فى هذه المقالة على الله تعالى وفى
هذه الاية دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصى والكفر والتكذيب
وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هذا مع قيام الادلة العقلية التى
لا يدخلها التاويل على انه سبحانه عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علوا
كبيرا قل يا محمد اذ عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه فلله الحجة البالغة
الصحيحة المصححة للاحكام وهى التى تقصد الى الحكم بشهادته ماخوذة من
حجة اذا قصد والبالغة هى التى تبلغ قطع عذر المحجوج بان تزيل كل لبس
وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لانه
لا يحتج الا بالحق وبما يؤدى الى العلم فلو شاء لهديكم اجمعين اى لو شاء
لالجاءكم الى الايمان وهديكم جميعا اليه بفعل الالجاء الا انه لم يفعل ذلك
وان كان فعله حسنا لان الالجاء ينافى التكليف وهذه المشية تخالف المشية

المذكورة في الاية الاولى لان الله تعالى اثبت هذه ونفى تلك وذلك
لا يستقيم الا على وجه الذي ذكرناه فالاولى مشية الاختيار والثانية
مشية الالجاء وقيل ان المراد انه لو شاء لهديكم الى نيل الثواب ودخل
الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم
للثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الامر على ما قاله اهل الجبر من ان
الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث
فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لان الطاعة هي
امتثال الامر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث انه
خلق فيهم الكفر فاي حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق
الموصل الى صحة مذاهبهم منسد غير ثابت من جهة حجة عقليه ولا سمعيه
وما هذه صفته فهو فاسد لا محاله فقال قل يا محمد لهم هلم شهداءكم
الذين يشهدون بصحة ما تدعونه من ان الله حرم هذا الذى ذكر
مما حرم المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والانعام
وغيرها فان شهدوا فلا تشهد معهم معناه فان لم يجدوا اشياء يشهدلهم
على تحريمها غيرهم فشهدوا بانفسهم فلا تشهد انت معهم وانما نهاه عن
عن الشهادة معهم لان شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف
دعاهم الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم بان ياتوا
بالعدول الذين يشهدون بالحق فاذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لانفسهم
فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم او تشهد معهم لانها ترجع الى دعوى مجرده
بعيده من الصواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن
احد من العرب يشهد على ذلك لانه كان للعرب شرايع شرعوها لانفسهم
ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا الخطاب للنبي عليه السلم والمراد امته
اى لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب

اى احضروا وهاتوا شهداءكم

هوى

هوى من وجوه منها اى هوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل
عليه شبهه فيتخيله بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع منه ومنها
ان يقطع النظر دون غايته للشقة التى تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد
ومنها ان يكون نشاء على شيء والفه واعتاده فيصعب عليه مفارقته
وكل ذلك متميز مما استحسنه بعقله والذين لا يؤمنون بالاخرة اى
ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالاخرة اما ذكر الفريقين وان كانوا
كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لان منه ما يكون مع الاقرار بالاخرة
كحال اهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان
وهم بربهم يعدلون اى يجعلون له عدلا وهو المثل في الاية دلالة على
فساد التقليد لانه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم
عن الاتيان بها دلالة على بطلان قوله وايضا فانه سبحانه اوجب اتباع
الدليل دون اتباع الهوى قوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا
اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم
وصكم به لعلكم تعقلون ابن اللغه تعالوا اشتق من العلو تقديره
ان الداعي في المكان العالي وان كانا في مستو من الارض كما يقال للرجل
ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراة والمتلو مثل المقرو والتلاوة
غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكى فالمتلو والمحكى هو الكلام الاول والتلاوة
والحكاية مثل الثاني منه على طريق الاعادة والاملاق الافلاس من المال
والمراد منه الملق والتملق لانه اجتهاد في تقريب المفلس للطمع في العطية
والفواحش جمع فاحشة ومعنى القبح العظيم القبح والقبح يقع على الصغير والكبير
لانه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبح الحسن وليس

كذلك الفاحش الاعراب ماحرم ربكم فى موضع نصب بقوله اتل المعنى
اتل الذى حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجايز ان يكون فى موضع
نصب بحرم لان التلاوة بمنزلة القول فكانه قال اقول اى شى حرم ربكم
عليكم اهذا ام هذا فجايز ان يكون الذى تلاه عليهم قوله الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا ويكون ان لا تشركوا منصوبة بمعنى طرح اللام اى
ابين لكم الحرام لان لا تشركوا لانهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله
فى القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان يكون
ان لا تشركوا به شيا محمولا على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم ان لا تشركوا
اى اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشركوا به
قولا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على معنى اوصيكم بالوالدين
احسانا هذا كله قول الزجاج وتشركوا يجوز ان يكون منصوبا فيكون
قوله ولا تقتلوا اولادكم عطفا بالنهى على الخبر وجاز ذلك كما جاز فى
قوله قل انى امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقال
جامع العلوم البصير الاصفهانى يجوز ان تقف على عليكم ثم يبتدى بان لا
تشركوا اى هو ان لا تشركوا اى هو الاشراك اى المحرم الاشراك ولا زيادة
ويجوز ان يكون ما استفهاما فتقف على قوله ربكم ثم تبتدى فتقول عليكم
ان لا تشركوا اى عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله قل
تعالوا عند قوله بلقاء ربهم يومنون لان قوله وان هذا صراطى فيمن
فتح معطوف على قوله ما حرم اى اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير وقل
ان هذا صراطى وكذلك ثم اتينا اى وقل ثم اتينا وهذا كله داخل فى
التلاوة والقول المعنى لما حكى سبحانه عنهم تحريم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات
فقال سبحانه قل يا محمد لهولاء المشركين تعالوا اى اقبلوا وادنوا اتل اى
اقرا ما حرم ربكم عليكم اى منعكم عنه بالنهى ثم بدا بالتوحيد فقال ان لا

تشركوا به

تشركوا به شيا اى امركم ان لا تشركوا ولا فرق بين ان يقول لا تشركوا به
شيا وبين ان يقول حرم ربكم ان لا تشركوا به شيا اذ النهى يتضمن التحريم
وقد ذكرنا ما يحتمله من المعانى فى الاعراب وقد قيل ايضا ان الكلام
قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم الا تشركوا كقوله سبحانه عليكم
انفسكم وبالوالدين احسانا اى وامر بالوالدين احسانا واوصى بالوالدين
احسانا ويدل على ذلك ان فى حرم هذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه
ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه فى التربية امر بالاحسان
اليهما بعد الامر بعبادة الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق اى خوفا
من الفقر عن ابن عباس وغيره نحن نرزقكم واياهم اى فان رزقكم ورزقهم
جميعا علينا و تقربوا الفواحش اى المعاصى والقبايح كلها ما ظهر منها
وما بطن اى ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنى
فى السر باسا ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه فى الحالين عن ابن
عباس والضحاك والسدى وقريب منه ما روى عن ابى جعفر عليه السلام
ان ما ظهر هو الزنى وما بطن هو المخالة وقيل ان ما ظهر افعال الجوارح
وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصى كلها وهذا اعم فايدة
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق اعاد ذكر القتل وان كان داخلا
فى الفواحش تفخيما لشانه وتعظيما لامره والنفس المحرم قتلها هى نفس المسلم
والمعاهد دون الحربى والحق الذى يستباح به قتل النفس المحرم ثلثة
اشياء القود والزنى بعد احصان والكفر بعد ايمان ذلكم خطاب لجميع
الخلق اى ما ذكر فى هذه الاية وصيكم به اى امركم به لعلكم تعقلون اى لكى
تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحللوا ما احله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم
ودل قوله سبحانه وصيكم به على ان الوصية مضمرة فى اول الاية على ما قلنا
وفى قوله سبحانه ان لا تشركوا به شيا دلالة على ان التكليف قد يتعلق

بالا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى انه يستحق الثواب والعقاب على انه لا يفعل
وهو الصحيح من المذهب قوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط
لا يكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى
وبعهد الله اوفوا ذلكم وصكم به لعلكم تذكرون وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصكم به لعلكم تتقون ايتان القراءة قرا اهل الكوفة الا
ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرا
اهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها وكلهم شدد
النون الا ابن عامر ويعقوب فانهما قرا ان بتخفيف النون وكلهم سكن
الياء من صراطي الا ابن عامر فانه فتحها وقرا ابن عامر وابن كثير سراطي بالسين
وقرا حمزة بين الصاد والزاء الحجة القراءتان في تذكرون متقاربتان
والاصل يتذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدد ادغم التاء
الثانية في الذال واما من فتح وان هذا فانه حملها على فاتبعوه على قياس
قول سيبويه في قوله لايلاف قريش وقوله وان هذه امتكم امة واحدة
وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
فيكون على تقدير ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن خفف فقال
وان هذا فان الخفيفة في قوله تتعلق بما تتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع
بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه
الشريطة تخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت وعلى هذا
قول الاعشى في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى
وينتعل والهاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر ان عاطفة جملة
على قول من فتح ان زايدة اللغة الاشد واحدها شد مثل الاشر في

جمع شر والاضر في جمع ضر والشدة القوة وهو استحكام قوة الشباب
والسن كما ان شد النهار هو ارتفاعه قال عنترة عهدي به شد
النهار كانما خضب اللبان وراسه بالعظلم وقيل هو جمع شدة مثل
نعمة وانعم وقال بعض البصريين الاشد واحد فيكون مثل الانك قال
سيبويه الذكر والذكر بمعنى وذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا
ضاعفت العين تعدى الى مفعولين كما في قوله يذكرنيك حنين العجول
ونوح الحمامة تدعو هديلا وتقول ذكرته فتذكر فتفعل مطاوع
فاعل المعنى ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلوا عليهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم
والمراد بالقرب التصرف فيه وانما خص مال اليتيم بالذكر لانه لا يستطيع
الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع الطمع في ماله اشد ويد
الرغبة اليه امد فاكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وان كان
ذلك واجبا في مال كل احد الا بالتي هي احسن اي بالخصلة الحسنى
او الطريقة الحسنى ولذلك انث وقد قيل في معناه اقوال احدها ان معناه
الا بتثميره ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي وثانيها بان ياخذ القيم
عليه بالاكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي وثالثها بان يحفظ
عليه حتى يكبر حتى يبلغ اشده اختلف في معناه فقيل انه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل
هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلثين سنة ثم نسخها
قوله حتى اذا بلغوا النكاح الاية وقال ابو حنيفه اذا بلغ خمسا وعشرين سنة
دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يونس منه الرشد وقيل انه لا حد له
بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويونس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا
اقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الاحسن
ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن على الابد حتى
يبلغ اشده فادفعوه اليه بدليل قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا

واوفوا اى اتموا الكيل والميزان بالقسط اى بالعدل والوفاء من غير بخس
لا نكلف نفسا اى الا ما يسعها ولا تضيق عنه ومعناه انه لما كان التعديل
فى الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل متعذرا بين سبحانه انه لا يلزم
فى ذلك الا الاجتهاد فى التحرز من النقصان واذا قلتم فاعدلوا ولو كان
ذا قربى اى فقولوا الحق وان كان على ذى قرابة لكم وانما خص القول
بالعدل دون الفعل لان من جعل عادته العدل فى القول دعاه ذلك الى
العدل فى الفعل ويكون ذلك من اكد الدواعى اليه وقيل معناه اذا شهدتم
او حكمتم فاعدلوا فى الشهادة والحكم وان كان المقول عليه والمشهود له او عليه
قرابتك وهذا من الاوامر البليغه التى يدخل فيها مع قلة حروفها الاقارير
والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والامر
بالمعروف والنهى عن المنكر وبعهد الله اوفوا قيل فى معنى عهد الله قولان
احدهما ان كلما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بايجابه عليهم
وبتقديم القول فيه والدلالة عليه والاخر ان المراد به النذور والعهود
فى غير معصية الله تعالى والمراد اوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك
ذلكم اى ذلك الذى تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق
وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحرى الحق فيه على مقدار
الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد وصكم الله سبحانه به
لعلكم تذكرون اى لتتذكروه وتاخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه
فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه وان هذا صراطى اى ولان هذا
صراطى خفف فتقديره ولانه هذا صراطى مستقيما ومن كسر ان فانه
استانف قال ابن عباس يريد ان هذا دينى دين الحنيفيه اقوم الاديان
واحسنها وقيل يريد ان ما ذكر فى هذه الايات من الواجب والمحرم
صراطى لان امتثال ذلك على ما امر به يودى الى الثواب والجنه فهو طريق

اليها والى النعيم فيها مستقيما اى قيما لا عوج فيه ولا تناقص وهو
منصوب على الحال فاتبعوه اى اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته
واحلوا حلاله وحرموا حرامه ولا تتبعوا السبل اى طرق الكفر والبدع
والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهوديه والنصرانيه والمجوسية
وعبادة الاوثان عن ابن عباس وتفرق واصله فتتفرق بكم عن سبيله
اى فتشتت وتميل وتخالف بكم عن دينه الذى ارتضى وبه اوصى وقيل
عن طريق الدين ذلكم وصكم به لعلكم تتقون لكى تتقوا عقابه باجتناب
معاصيه قال ابن عباس هذه الايات محكمات لم ينسخهن شىء من جميع
الكتب وهى محرمات على بنى ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن
دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذى نفس
كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذا الاول شىء فى التوريه
بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات
قوله عز وجل ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن
وتفصيلا لكل شىء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
ايتان القراءة فى الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذى احسن بالرفع الحجه
قال ابن جنى هذا مستضعف الاعراب عندنا لانه حذف المبتدا العايد
الى الذى لان تقديره على الذى هو احسن وانما يحذف من صلة الذى
الهاء المنصوبه بالفعل الذى هو صلتها نحو مررت بالذى ضربت اى
ضربته ومن المفعول به فطال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس
المبتدا بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفا لا سيما وهو عايد الموصول على ان
هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذى قايل لك
شيئا وسواء اى بالذى هو قايل وقال لم ار مثل الفتيان فى غبن الايام

يسنون ما عواقبها اى يسنون الذى هو عواقبها ويجوز ان يكون
يسنون معلقة كما علقوا نقيضها التى هى يعلمون فيكون ما استفهاما
وعواقبها خبرها كقولك قد علمت من ابوك وعلى الوجه الاول احمله
اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بانه مفعول له وكذلك تفصيلا
وما بعده والمعنى اتيناه لهذه العلة اى للتمام والتفصيل انزلناه
فى موضع رفع بانه صفة كتاب المعنى ثم اتينا موسى الكتاب قيل فى
معنى ثم اتينا موسى الكتاب قبل القران وثم تقتضى التراخى وجوه
احدها ان فيه حذفا وتقديره ثم قل يا محمد اتينا موسى الكتاب بدلالة
قوله قل تعالوا وثانيها ان تقديره ثم اتل عليكم اتينا موسى الكتاب
ويكون عطفا على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم ثم اتل عليكم ما اتاه الله موسى عن الزجاج وثالثها انه عطف خبر
على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب
والذى يؤيده قول الشاعر ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد بعد
ذلك جده ورابعها انه يتصل بقوله فى قصة ابراهيم ووهبنا له
اسحق ويعقوب فعدد سبحانه نعمه عليه بما جعل فى ذريته من الانبياء
ثم عطف عليه بما اتى موسى عليه السلم من الكتاب والنبوة وهو ايضا
من ذريته عن ابى مسلم واستحسنه المغربى تماما على الذى احسن قيل
فيه وجوه احدها تماما على احسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه الذى
يستحق به فى الاخرة عن الربيع والفراء وثانيها تماما على المحسنين عن مجاهد
وقيل ان فى قراءة عبد الله تماما على الذين احسنوا فكانه قال تماما
للنعمة على الذين احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم
والنون يحذف من الذين كما فى البيت وان الذين حانت بفلج دماؤهم
القوم كل القوم يا ام خالد ويجوز ان يكون الذى للجنس ويكون بمعنى

من احسن وثالثها ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن
زيد ورابعها ان معناه تماما لكرامته فى الجنة على احسانه فى الدنيا
عن الحسن وقتادة تقديره من احسن فى الدنيا تمت عليه كرامة الله فى
الاخرة وخامسها ان معناه تماما على الذين احسن الله سبحانه الى
موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائى وسادسها ما قاله ابو مسلم
انه يتصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تماما للنعمة على ابراهيم ولجزائه
على احسانه فى طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذى سال الله سبحانه
ان يجعله له ولفظة على يقتضى المضاعفة ولو قال تماما ولم يات
بقوله على الذى احسن لدل على نقصانه قبل تكمله وتفصيلا لكل شئ
اى وبيانا لكل ما يحتاج اليه الخلق وهدى اى ودلالة على الحق والدين
يهتدى بها الى التوحيد والعدل والشرايع ورحمة اى نعمة على سائر
المكلفين لما فيه من الامر والنهى والوعد والوعيد والاحكام لعلهم
بلقاء ربهم يؤمنون معناه لكى يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله
تفخيما لشانه مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع
الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا وهذا كتاب يعنى القران
وصفه بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغى ان يكتب لانه اجل الحكم انزلناه
يعنى انزله جبرئيل الى محمد صلى الله عليه واله فاضاف النزول الى نفسه
توسعا مبارك وهو ما ياتى من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت
الخير بزيادته ونموه واصله الثبوت ومنه براكاء القتال فى قوله وما ينجى
من الغمرات الا براكاء القتال او الفرار ومنه تبارك الله اى تعالى
بصفة اثبات لا اول له ولا اخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى
فاتبعوه اى اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه واتقوا معاصى الله
ومخالفته ومخالفة كتابه لعلكم ترحمون اى لكى ترحموا وانما قال اتقوا

لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين احدهما انه
اتقوا على رجاء الرحمة لانكم لا تدرون بما توافون فى الاخرة والثانى
اتقوا لترحموا اى ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من
الرحمة والثواب قوله تعالى ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم
وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها
سنجزى الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا
يصدفون ايان الاعراب قال الزجاج ان تقولوا معناه عند
البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يجيزون اضمار لان فلا يقولون
جئت ان اكرمك اى لان اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك
على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان اكرمك ويكون الحال ينبئ
عن الضمير او تقولوا نصب تقولوا لانه عطف على ان تقولوا اى او كراهة ان
تقولوا او قولوا انه اراد انه مفعول له على حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير ان فلان يجوز مع ان اجدر مع طول
الكلام بالصلة وقال الكسائى موضع ان تقولوا نصب باتقوا اى اتقوا يا اهل
مكة ان تقولوا ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا تقع فيه المصدر لان الفعل مقدر
بعد لو وكانه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا الا ان هذا الفعل لا يظهر
من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا فى الشعر قال لو غيركم
علق الزبير بحبله ٭ ادى الجوار الى بنى العوام المعنى ثم بين سبحانه انه انما انزل
القران قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا
يا اهل مكة او لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اى
جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده

والسدى

والسدى وانما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما اى انزلنا عليكم هذا
الكتاب لتنقطع حجتكم وان كنا عن دراستهم لغافلين والمعنى انا كنا
غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا
الكتاب كما انزل عليهم لانهم كانوا اهله دوننا ولو اريد منا ما اريد منهم
لانزل الكتاب علينا كما انزل عليهم او تقولوا يا اهل مكة لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فى المبادرة الى قبوله والتمسك به
لانا اجود اذهانا واثقب معرفة منهم فان العرب كانوا يدلون بجودة
الفهم وذكاء الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشئ اهدى
اليه من عارف اخر بان يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبان يكون
ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الاخر ثم قال سبحانه فقد جاءكم بينة من
ربكم اى حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القران وهدى يهتدى
به الخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم ورحمة اى نعمة لمن اتبعه وعمل
به فمن اظلم لنفسه ممن كذب بايات الله وصدف عنها غير مستدل
بها ولا متفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقتاده سنجزى
الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب اى شدة العذاب وهو
ما اعده الله للكفار نعوذ بالله منه بما كانوا يصدفون اى جزاء
بما كانوا يصدفون عن القران ومن اتى به وهو محمد صلى الله عليه
واله وسلم وفى هذا دلالة على ان انزال القران لطف للمكلفين
وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة واذا كان فى منع اللطيف عذر وحجة
للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فان قيل فهل للذين
ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان
عذرا ولكنه كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب
وهؤلاء ايضا لو لم ياتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله

تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك
فمن تقدم لانزل عليهم مثل ما انزل على هؤلاء واذا لم ينزل عليهم
علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم قوله عز وجل هل ينظرون الا
ان يأتيهم الملائكة او ياتى ربك او ياتى بعض ايات ربك
يوم تأتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون آية القراءة قرا
حمزة والكسائى وخلف ياتيهم بالياء هنا وفى النحل وقرا الباقون
تاتيهم بالتاء وقد مضى الكلام فى امثال ذلك المعنى ثم توعدهم
سبحانه فقال هل ينظرون معناه ما ينتظرون يعنى هؤلاء الكفار
الذين تقدم ذكرهم وقال ابو على الجبائى معناه هل تنتظر يا محمد انت
واصحابك الا هذا وهم وان انتظروا غيره فذلك لا يعتد به من حيث
ما ينتظر ونزر من هذه الاشياء المذكورة لعظم شانها فهو مثل قوله
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم
اذا تكلم بما لا يعتد به الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم عن مجاهد
وقتاده والسدى وقيل لانزال العذاب والخسف بهم وقيل لعذاب
القبر او ياتى ربك فيه اقوال احدها او ياتى امر ربك بالعذاب فحذف
المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز فى
قوله ان الذين يؤذون الله يعنى اولياء الله وقال ابن عباس ياتى
امر ربك فيهم بالقتل وثانيها او ياتى ربك بجلائل اياته فيكون
حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهو
قيام الدليل فى العقل على ان الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا
يختلف عليه الحال وثالثها ان المعنى او ياتى اهلاك ربك اياهم
بعذاب عاجل او اجل او بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان بلد

كذا

كذا وقد اتاهم فلان اى قد اوقع بهم عن الزجاج او ياتى بعض ايات
ربك وذلك نحو خروج الدابة او طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد
وقتاده والسدى وروى عن النبى صلى الله عليه واله وسلم انه قال بادروا
بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان
وخويصة احدكم اى موته وامر العامة يعنى القيمة يوم ياتى بعض ايات
ربك التى يضطرهم الى المعرفة ويزول التكليف عندها لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل لانه ينسد باب التوبة بظهور ايات القيمة
ويضطر الله تعالى كل احد الى معرفته ويعرف المحسنات والمقبحات ضرورة
ويعرف انه ان حاول القبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجاء
الى فعل الحسن وترك القبيح فلا ينتفع بايمانه حينئذ من كسب فى ايمانه خيرا
او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على قوله امنت وقيل فى معناه اقوال
احدها انه انما قال ذلك على جهة التغليب لان الاكثر ممن ينتفع بايمانه
خيرا وثانيها انه لا ينفع احدا فعل الايمان ولا فعل خير فيه فى تلك الحال
لانها حال زوال التكليف وانما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدى
فيكون معناه لا ينفعه ايمانه حينئذ وان كسب فى ايمانه خيرا اى طاعة لان
الايمان واكتساب الخير انما ينفعان من قبل وثالثها انه الابهام فى احد
الامرين والمعنى انه لا ينفع فى ذلك اليوم ايمان نفس اذا لم تكن امنت قبل
ذلك اليوم او ضمت الى ايمانها افعال الخير فانها اذا امنت قبل نفعها
ايمانها وكذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعتها ايضا يريد انه لا ينفع
حينئذ ايمان من امن من الكفار ولا طاعة من اطاع من المؤمنين ومن امن
من قبل نفعه ايمانه بانفراده وكذلك من اطاع من المؤمنين نفعته طاعته
ايضا وهذا اقوى الاقوال واوضحها قل انتظروا اتيان الملئكة ووقوع
هذه الايات فانا منتظرون بكم وقوعها وفى هذه الاية حث على المسارعة

الى الايمان والطاعة قبل الحال التى لا يقبل فيها التوبة ومنها ايضا حجة
على من يقول ان الايمان اسم لاداء الواجبات او للطاعات فانه سبحانه
قد صرح بان اكتساب الخيرات غير الايمان المجرد لعطفه سبحانه كسب
الخيرات والطاعات فى الايمان على فعل الايمان فكانه قال لا ينفع
نفسا لم تؤمن من قبل ذلك اليوم ايمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفسا لم تكن
كاسبة خيرا فى ايمانها قبل ذلك اليوم كسبها الخير ذلك اليوم وقد عكس
الحاكم ابو سعد فى تفسيره الامر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجيه لانه
يدل على ان الايمان بمجرده لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت
شعرى كيف تدل الاية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه عليه وهل هذا
الا عدول عن سنن العدل والانصاف قوله عز وجل ان الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما
كانوا يفعلون آيه القراة قرا حمزة والكسائى ههنا وفى الروم فارقوا
بالف وهو المروى عن على عليه السّلم والباقون فرقوا بالتشديد الحجه
قال ابو على من قرا فرقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرا فارقوا
دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤل الى معنى فرقوا الى ترى انهم
لما امنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه اللغه
الشيع الفرق التى يمالى بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم فى غيره
وقيل ان اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا ظهر وشيعت النار
اذا القيت عليها الحطب فكانه تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال
شاعكم السلام واشاعكم السلام اى تبعكم السلام قال الا يا نخلة من ذات
عرق ❊ برود الظل شاعكم السلام ❊ ويقول اتيك غدا او شيعه اى او اليوم

الذى

الذى يتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا قال الكميت وما لى
الا آل احمد شيعة ❊ وما لى الا مشعب الحق مشعب المعنى ثم عطف سبحانه على ما
قدمه من الوعيد فقال ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا اختلف فى
المعنيين بهذه الاية على اقوال احدها انهم الكفار واصناف المشركين
عن السدى ونسختها اية السيف وثانيها انهم اليهود والنصارى لانهم
يكفر بعضهم بعضا عن قتادة وثالثها انهم اهل الضلالة واصحاب الشبهات
والبدع من هذه الامة رواه ابو هريرة وعايشه مرفوعا وهو المروى عن
الباقر عليه السّلم جعلوا دين الله اديانا لاكفار بعضهم بعضا وصاروا
احزابا وفرقا لست منهم فى شىء هذا خطاب للنبى صلى الله عليه واله وسلم
واعلام له انه ليس منهم فى شىء وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع
معهم فى معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم من بعض لانهم
يجتمعون فى معنى من المعانى الباطلة وان افترقوا فى غيره فليس منهم
فى شىء لانه برى من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالطتهم فى شىء وانما هو
نهى للنبى صلى الله عليه واله وسلم من مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة
وقيل معناه لست من قتالهم فى شىء ثم نسختها اية القتال عن الكلبى والحسن
انما امرهم الى الله فى مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم الى الانظار
والاستيصال الى الله وقيل الحكم بينهم فى اختلافهم الى الله ثم ينبئهم اى
يخبرهم ويجازيهم بما كانوا يفعلون يوم القيمة فيظهر المحق من المبطل.
قوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون آيه القراة قرا يعقوب عشر منون
برفع اللام وهو قراة الحسن وسعيد بن جبير الباقون عشر مضاف امثالها
مجرور الحجه من قرا عشر امثالها فالمعنى له عشر حسنات فيكون امثالها صفة
للموصوف الذى اضيف اليه عشر ومن قرا عشر امثالها فيكون امثالها صفة

لعشر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ضعيف
عند المحققين واكثر ما ياتى ذلك فى الشعر والاولى ان يكون امثالها صفة عشر
فى قوله عشر امثالها بل يكون محمولا على المعنى فانث الامثال لما كان فى
معنى الحسنات وحكى عن ابى عمرو انه سمع اعرابيا يقول فلان لغوب جاته
كتابى فاحتقرها قال فقلت له اتقول جاته كتابى قال نعم اليس بصحيفة اللغة
الحسنه اسم للاعلى فى الحسن ودخول الهاء للمبالغة قال على بن عيسى دخول
الهاء يدل على انها طاعة اما واجب او ندب وليس كل حسن كذلك لان فى
الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من ذلك ان يقول
يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها الماموربها لانها لام العهد
والله سبحانه لا يامر بالمباح المعنى لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصى عقبه
بذكر الوعد وتضعيف الجزاء فى الطاعات فقال من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها اى من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من
الثواب ومن جاء بالسيئة بالخصلة الواحدة من خصال الشر فلا يجزى الا مثلها
وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل انعامه على عباده حيث لا يقتصر فى
الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفوا عن ذنوب المؤمن
منا منه عليه وتفضيلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد
بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين على هذا فان اصل
الحسنات التوحيد واسوا السيات الكفر وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار
ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس فى ان هذه الحسنات العشر التى وعدها
الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا او انما يكون الثواب منها الواحد
والتسع الزايد يكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من
فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها فى النعيم واللذة لا فى عظم المنزلة
ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب فى الكثرة واللذة وان يميز منه الثواب

بمقارنة التعظيم والاجلال الذين لولاهما لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح
وقال قوم لا يجوز ان يساوى الثواب التفضل على وجه فيكون على قولهم
كل ذلك ثوابا قال الزجاج ان المراجاة من الله عز وجل الى الحسنه بدخول
الجنه شئ لا يبلغ وصف مقداره فاذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة
انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبه وقال فيضاعفه اضعافا كثيرة
فالمعنى فى هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد
الذى هو النهاية فى التقدير فى النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين
عشرة اضعاف الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا ذلك ان
المعنى من جاء بالحسنة فله عشرة امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره
الا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك فى العدد وهذا كما يقول الانسان
لاجزين لك من الاجر مثل ما عملت اى مثل ما تستحقه بعملك وقد وردت الرواية
عن المعرور بن سويد عن ابى ذر قال حدثنى الصادق المصدوق عليه السلام
ان الله سبحانه قال الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن
غلبت احاده اعشاره قوله عز وجل قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم
دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلوتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا
اول المسلمين ثلث ايات كوفى واربع عند غيرهم القراة قرا ابن عامر واهل
الكوفة قيما مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قيما مفتوحة القاف
مشددة وقرا اهل المدينة محياى ساكنة الياء ومماتى بفتحها والباقون
محياى بفتح الياء ومماتى ساكنة الياء الحجه من قرا قيما فالقيم هو المستقيم فيكون
وصفا للدين كما ان التقدير فى قوله دين القيمة دين الملة القيمة لان الملة
هى مثل الدين ومن قرا قيما فانه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصح حوال
كما صح حول وعوض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو ثيرة فى جمع ثور

وجياد في جميع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج انما اعتد قيم
لانه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لانه جرى عليه واما حول فانه جار
على غير فعل واما اسكان الياء في محياى فانه شاذ عن القياس والاستعمال
فان الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد واذا ما كان قبلها متحركا نحو مماتي
فالفتح جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه في محياى سكون الياء
مع شذوذه ما حكي عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان
باسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوزه يونس في قوله
اضربان زيدا واضربنان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال
علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كما جاز فبهداهم اقتده فانما
تزاد هذه الهاء في الوقف كما تسكن تلك الياء في الوقف اللغة الملة الشريعة ماخوذة
من الاملاء كانه ما ياتي به الشرع ويورده الرسول من الشرائع المتجددة فيمله
على امته ليكتب ويحفظ واما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون
فيهما اختلاف والشرائع تختلف ولهذا يجوز ان يقال دين الملائكة ولا
يقال ملتي ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة
ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي يذبح فيه
الذبائح قال الزجاج فالنسك كلما تقرب به الى الله عز وجل الا ان الغالب
عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ان يودي المناسك
اي يودي ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله عز وجل الاعراب دينا قال
ابو علي يحتمل نصبه ثلثة اوجه احدها انه لما قال هداني ربي الى صراط مستقيم
استغنى بجري ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط
المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لان هدايتهم اليه تعريف لهم فحملهم
على اعرفوا دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع كانه قال اتبعوا دينا قيما
والزموه كما قال اتبعوا ما انزل اليكم قال الزجاج ملة ابرهيم بدل من دينا

قيما وحنيفا منصوب على الحال من ابرهيم والمعنى هداني وعرفني ملة ابرهيم في
حال حنيفيته ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله وسلم فقال
قل يا محمد لهولاء الكفار وللخلق جميعا انني هداني اي دلني وارشدني ربي
الى صراط مستقيم وقيل اراد لطف لي ربي في الاهتداء ووفقني لذلك وقد
بينا الصراط المستقيم في سورة الحمد دينا قيما اي مستقيما على نهاية الاستقامة
وقيل ثابتا دائما لا ينسخ ملة ابراهيم وانما وصف دين النبي صلى الله عليه
واله وسلم بانه ملة ابراهيم ترغيبا فيه للعرب لجلالة ابرهيم في نفوسها
ونفوس كل اهل الاديان ولانتساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على
الحق حنيفا اي مخلصا في العبادة لله سبحانه عن الحسن وقيل مائلا الى الاسلام
لازما لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان مائل القدم من خلقة
عن الزجاج وقيل مستقيما فانما جاء احنف على التفاؤل عن الجبائي وما كان
من المشركين يعني ابرهيم عليه السلم كان يدعوا الى عبادة الله وينهى عن عبادة
الاصنام قل ان صلوتي قد فسرنا معنى الصلوة فيما تقدم ونسكي اي ذبيحتي
للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني
عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج وانما ضم الصلوة الى اصل
الواجبات من التوحيد والعدل لان فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة
القران الذي يدعوا الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيهما الخضوع لله
سبحانه والتسبيح الذي هو التنزيه له ومحياى ومماتي اي حيوتي وموتي
لله رب العالمين وانما جمع بين صلوته وحيوته واحدهما من فعله والاخر
من فعل الله لانهما جميعا بتدبير الله تعالى وقيل معناه صلوتي ونسكي له
عبادة وحيوتي ومماتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له
لانه بهدايته ولطفه ومحياى ومماتي له لانه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله
محياى ومماتي لله لان الاعمال الصالحة الذي يتعلق بالحيوة في فنون الطاعات

وما يتعلق من الممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حيوته لشهوته ومماته لورثته لا شريك له في العبادة وفي الاحياء والاماتة وبذلك امرت اي وبهذا امرني ربي وانا اول المسلمين من هذه الامة فان ابرهيم كان اول المسلمين ومن بعده تابع له في الاسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى اول من سارع اليه ولانه لما امر بذلك ليتاسى به ويقتدى بفعله قوله تعالى قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم اللغة الرب اذا اطلق افاد المالك لتصريف الشيء بتمام التصريف واذا اضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه باتم تصريف العباد واصله التربية وهي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الاعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وَزَرَ يَزِرُ وِزْرًا ووُزِرَ يُوزَرُ فهو مَوْزُورٌ واصله من الوزر الذي هو الملجا فحال الموزور كحال الملتجي الى غير ملجا ومنه الوزير لان الملك يلتجي اليه في الامور وقيل ان اصله الثقل ومنه قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة وسفينة وسفائن وخلف فلان فلانا يخلفه فهو خليفته اذا جاء بعده في نصب درجات ثلثة اقوال احدها ان تقع موقع المصدر فكانه قال رفعة بعد رفعة والثاني انه درجات فحذف الى كما حذفه في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت والثالث ان يكون مفعولا من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا لما امر سبحانه نبيه ببيان الاخلاص في الدين

عقبه

عقبه بامره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء وتقديره ايجوز ان اطلب غير الله ربا واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي واترك عبادة من خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بمربوب ام هذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الاوثان ولا تكسب كل نفس الا عليها اي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك لانه ليس بعذر لي في اكتساب الاثم اكتساب غيري له لانه لا تزر وازرة وزر اخرى لا يحمل احد ذنب غيره قال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس اثمة باثم اخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي عليكما اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطاء فانزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله يعذب الطفل بكفر ابيه ثم الى ربكم مرجعكم اي مالكم ومصيركم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء وهو الذي جعلكم خلائف الارض اخبر سبحانه الذي جعل خلائف الارض ومعناه ان كل اهل عصر يخلف اهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الاخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون الا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك امة نبينا صلى الله عليه واله وسلم جعلهم الله تعالى خلفاء لساير الامم ونصرهم على ساير الخلق ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة هذا اولى ان الاول يدخل فيه ووجه الحكمة فيه مع انه سبحانه خلقهم ابتدا من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصارفات

عن المقبحات لان من كان غنيا فی ماله شریفا فی نسبه دعاه ذلك الی
طاعة من عليه دعبة فی امثاله ومن كان علی ضد ذلك دبما دعاه الی طاعته
رهبة من امثاله ورجاء ان ینقله عن هذه الحال الی حال جلیله
یغبط علیها لیبلوكم فیما اتیكم ای لیختبركم فیما اعطاكم ای یعاملكم
معاملة المختبر مظاهرة فی العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لینظر
الغنی الی الفقیر فیشكر وینظر الفقیر الی الغنی فیصبر ویفكر العاقل
فی الادلة فیعلم ویعمل بما یعلم ان ربك سریع العقاب انما وصف
نفسه بذلك مع ان عقابه فی الاخرة من حیث كل ما هو ات قریب فهو
اذا سریع وقیل معناه انه سریع العقاب بمن استحقه فی دار الدنیا
فیكون تحذیرا لمواقع الخطیئة علی هذه الجهة وقیل معناه انه قادر علی
تعجیل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك فی الدنیا وانه لغفور
رحیم قابل سبحانه بین العقاب والغفران ولم یقابل بالثواب لان ذلك
ادعی الی الاقلاع عما یوجب العقاب لانه لو ذكر الثواب لجاز ان یتوهم
انه لمن لم یكن منه عصیان وقیل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد علی نعمة
تعلیما وختمها بالمغفرة لیحمد علی ذلك سورة الاعراف هی مكیة وقد روی
عن قتاده والضحاك انها مكیه غیر قوله وسئلهم عن القریة الی قوله بما كانوا
یفسقون فانها نزلت بالمدینه عدد ایها مایتان وست ایات حجازی
كوفی وخمس بصری شامی اختلافها خمس ایات المص وبدأكم تعودون
كوفی مخلصین له الدین بصری شامی ضعفا من النار والحسنی علی بنی
اسرائیل حجازی فضلها ابی بن كعب عن النبی صلی الله علیه واله وسلم
قال من قرأ سورة الاعراف جعل الله بینه وبین ابلیس سترا وكان آدم
له شفیعا یوم القیمة وروی العیاشی باسناده عن ابی بصیر عن ابی عبد الله
علیه السلم قال من قرأ سورة الاعراف فی كل شهر كان یوم القیمة من الذین

لاخوف علیهم ولاهم یحزنون فان قرأها فی كل جمعة كان ممن لا یحاسب له
یوم القیمة قال ابو عبد الله علیه السلم اما ان فیها ایا محكمة فلا تدعوا
قرائتها وتلاوتها بها فانها تشهد یوم القیمة لمن قرأها عند ربه تفسیرها
لما ختم الله تبارك وتعالی سورة الانعام بالرحمة افتتح هذه السورة لانه
انزل كتابا فیه معالم الدین والحكمة فقال بسم الله الرحمن الرحیم
المص كتاب انزل الیك فلا یكن فی صدرك حرج منه لتنذر
به وذكری للمؤمنین اتبعوا ما انزل الیكم من ربكم ولا تتبعوا
من دونه اولیاء قلیلا ما تذكرون ثلث ایات كوفی اثنتان
فی الباقین القراءة قرأ ابن عامر یتذكرون بیاء وتاء وقرأ اهل الكوفه
غیر ابی بكر تذكرون خفیفة الذال وقرأ الباقون تذكرون بتشدید
الذال والكاف الحجه قال ابو علی من قرأ تذكرون مشددة اراد تتذكرون
فادغم التاء فی الذال وادغامها فیها حسن لان التاء مهموسة والذال
مجهورة والمجهورة ازید صوتا واقوی من المهموس فحسن ادغام الانقص
فی الازید ولا یسوغ ادغام الازید فی الانقص وما فی قوله ما تذكرون
موصوله بالفعل وهی معه بمنزلة المصدر والمعنی قلیلا تذكركم ولا
ذكر فی الصله یعود الیها كما لا یكون فی صلة ان ذكر ومن قرأ تذكرون
فانه حذف التاء التی ادغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلثة
احرف متقاربة ویقوی ذلك قولهم اسطاع یسطیع فحذفوا احد الثلثه
المتقاربه ومن قرأ یتذكرون بیاء وتاء فوجهه انه مخاطبة النبی علیه السلم
ای قلیلا ما یتذكر هؤلاء اللغه قد تقدم ذكر الحروف المقطعة فی اوائل
السور فی اول سورة البقرة وذكرنا الاقوال فی معانیها واعرابها فلا معنی
لاعادتها وبینا ان حروف الهجاء توصل علی نیة الوقف فرقا بینها وبین
ما یوصل للمعانی فعلی هذا متی سمیت رجلا بالمص وجبت الحكایة وان سمیته

بصاد او قاف لم يجب ذلك لان صاد وقاف لهما نظير في الاسماء المفردة مثل باب
وناد وليس كذلك المص لانه بمنزلة الجملة اذ ليس له نظير في المفرد وانما عد
الكوفيون المص اية ولم يعدوا صاد لان المص بمنزلة الجملة مع ان اخره على ثلثة
احرف بمنزلة المردف فاما اجتمع هذان السببان وكل واحد منهما يقتضي عدة
عدوه ولم يعدوا المر لان اخره لا يشبه المردف ولم يعدوا صاد لانه بمنزلة
اسم مفرد وكذلك قاف ونون ومن قال ان هذه الحروف في اوايل السور
اسماء للسور فعلى قوله انما سميت بها ولم تسم بالاسماء المنقولة لانه تتضمن
معان اخر مضافة الى التسمية وهو انها فاتحة لما هو منها فاصلة بينها
وبين ما قبلها ولانه ياتي من التاليف بعدها ما هو معجز مع انه تاليف
كتاليفها هذه المعاني من اسرارها او الذكرى مصدر وذكرى يذكر تذكيرا
فهي اسم للتذكير وفيه مبالغة ومثله الرجعى الاعراب قال الزجاج اجمع
النحويون على ان قوله كتاب انزل اليك مرفوع بغير هذه الاحرف فالمعنى
هذا كتاب انزل اليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص
حروف كتاب يلزم اضمار شيئين فيكون المعنى المص بعض حروف كتاب
انزل اليك فيكون قد اضمر الاضاف وما اضيف اليه وهذا ليس بجايز
فان قال قايل قد تقول ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا وانما ذكرت
اربعة فمن اين جاز ذلك قيل قد صار اسم هذه الحروف كلها ا ب
ت ث كما انك تقول الحمد سبع ايات فالحمد اسم لجملة السورة وليس
اسم الكتاب المر ولا اسم القران طسم وهذا فرق بين قال والذي اخترنا
في تفسير المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافصل فيكون يرتفع
بعض هذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك
حرج دخول الفاء فيه يحتمل وجهين احدهما ان يكون لعاطفة جملة على جملة
وتقديره هذا كتاب انزلناه اليك فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك

والاخر

والاخران يكون جوابا وتقديره اذا كان انزل اليك الكتاب لتنذر به
فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا وذكرى قال
الزجاج يصلح ان يكون في موضع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله
انزل اليك لتنذر به ذكرى لان في الانذار معنى التذكير وهذا كما تقول جئتك
للاحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع فعلى تقدير وهو
ذكرى واما الخفض فعلى معنى لتنذر لان معنى لتنذر فيكون تقديره
للانذار وللذكرى قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز ان يحمل
الجر على التاويل كما لا يجوز مررت به وزيد المعنى المص معنى تفسير وما
قيل فيه كتاب انزل اليك اي هذا الذي اوحينا اليك كتاب انزل اليك
اي انزله الملايكة بامر الله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه ذكر في معناه
اقوال احدها ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيق صدرك
لتشعب الفكر خوفا من ان لا تقوم بتبليغ ما انزل اليك حق القيام فليس
عليك اكثر من الانذار وثانيها ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد
وقتاده والسدي فمعناه فلا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام
بحقه فانما انزل اليك لتنذر به وثالثها ان معناه فلا يضيق صدرك
من قومك ان يكذبوك ويجبهوك بالسوء فيما انزل اليك كما قال سبحانه
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا عن الفراء
وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما انزل القران الى رسوله صلى الله عليه
واله وسلم قال اني اخشى ان يكذبني الناس ويثلغوا راسي فيتركوه كالخبزة
فازال الله الخوف عنه بهذه الاية وقوله لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن
في صدرك حرج منه وقال اخرون ويثلغوا راسي وهو متصل بقوله فلا يكن
في صدرك حرج منه لتنذر اي لكي على انشراح صدره بالانذار ومعناه لتخوف
بوعده ووعيده وامثاله وامره ونهيه ولتذكروا عاقبة وانما خص المؤمنين

لانهم المشفعون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال اتبعوا ما
انزل اليكم من ربكم ويحتمل ان يكون المراد قل يا محمد لهم اتبعوا ما انزل
اليكم قال قيل الشندريه والاتباع تصرف الثانى بتصرف الاول وتدبيره
بتدبيره فالاول امام والثانى موتم ووجوب اتباع فيما انزله الله تعالى
يدخل فيه الواجب والندب والمباح لانه يجب ان يعتقد فى كل منها
ما امر الله سبحانه كما يجب ان يعتقد فى الحرام وجوب اجتنابه ولا تتبعوا
من دونه اولياء اى ولا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم فى معصية الله لان
من لا يتبع القران صار متبعا لغير الله من الشيطان والاوثان فامر سبحانه باتباع
القران ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا ان اتباع القران اتباع له سبحانه ثم
قليلا ما تذكرون اى قليلا يا معشر المشركين تذكركم واتعاظكم وهذا
استبعاد فى التذكر وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر ومعناه تذكروا
كثيرا ما يلزمكم من امر دينكم وما اوجبه الله عليكم ومعنى التذكر ان ياخذ
فى الذكر شيئا بعد شيء مثل التفقه والتعلم قوله عز وجل وكم
من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما
كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
آيتان الاعراب كم لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وانما
كان كذلك لان رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب من النفى وكم يدخل
فى الخبر بمعنى التكثير لان استبهام العدد عن ان يظهر او يضبط انما يكون
لكثرته فى غالب الامر وكم مبهمة قال الفرزدق كم عمة لك يا جرير وخالة
فدعاء قد حلبت على عشارى فدل بكم على كثرة العمات والخالات وموضع
كم فى الاية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلتها فى موضع نصب
جاز كما تقول فى قوله سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر والاول اجود
وقيل فى دخول الفاء فى قوله فجاءها باسنا بياتا مع ان الفاء للتعقيب

اقوال احدها اهلكناها فى حكمنا فجاءها باسنا والثانى اهلكناها بارسال
ملئكة العذاب اليها فجاءها باسنا والثالث انه مثل زرتنى فاكرمتنى فان
نفس الاكرام على الزيارة قال على بن عيسى وليس هذا مثل ذاك بانه
نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله او هم قائلون
قال الفراء او الحال مقدرة فيه وتقديره او وهم قائلون واغا حذف
استخفافا قال الزجاج وهذا لا يحتاج الى ضمير الواو ولو قلت جاء
زيد وهو فارس لم تحتج الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول ومعنى
بياتا اى ليلا يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة والمصدر فى الاصل
بات بيتا وانما سمى البيت بيتا لانه يصلح للمبيت فمعنى او هم قائلون
او جاءهم باسنا نهارا فى وقت القائلة واو دخلت هنا على جهة
تصرف الشيء ووقوعه اما مرة كذا واما مرة كذا فهى فى الخبر هنا بمنزلة
او فى الاباحة اذا قلت جالس الحسن وابن سيرين اى كل واحد منهما
اهل ان يجالس واو هنا احسن من الواو لان الواو يتضمن اجتماع
الشيئين لو قلت ضربت القوم قياما وقعودا لاوجبت الواو انك
ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ولو قلت ضربتهم قياما او ضربتهم
قعودا ولم تكن شاكا فانما المعنى انك ضربتهم مرة على هذه الحال وقول
ان الاولى ان يكون بياتا وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائتين
او قائلين فيكون حالا عن الهاء والميم فى جاءهم وموضع ان قالوا
الاختيار ان يكون رفعا وان يكون دعويهم فى موضع نصب ويكون
الدعوى فى موضع رفع الا ان الدعوى اذا كانت فى موضع رفع فى
الاكثر فى اللفظ لما كانت دعويهم كذا لان الدعوى مونثة وهى اسم ما
تدعيه ويصلح ان يكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا فى صالح
دعوى المسلمين وانشد ولت ودعويهم كثير صخبه اى دعاؤها المعنى

لما تقدم الامر منه سبحانه للمكلفين باتباع القران وتحذير من مخالفته
والتذكر عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم
ان ينزل بهم ما نزل باولئك فقال وكم من قرية اى من اهل قرية
فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه اهلكناها بعذاب الاستيصال
فجاءهم باسنا اى عذابنا بياتا بالليل او هم قائلون اى فى وقت القيلولة
وهو نصف النهار واصله الراحة ومنه الاقالة فى البيع لانه الاراحة منه
بالاعفاء من عقده والاخذ بالشدة فى وقت الراحة اعظم فى العقوبة
فلذلك خص الوقتين بالذكر فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا اى لم
يكن دعاء هولاء الذين اهلكناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم
فى الوقت الذى جاءهم شدة عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعنى
اعترافهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به وهذا القول كان منهم
عند معاينة الباس والتيقن انه ينزل بهم ويجوز ان يكونوا قالوه
حين لابسهم طرف منه ولم يهلكوا بعد وفى هذا دلالة على ان الاعتراف
والتوبة عند معاينة الباس لا ينفع قوله عز وجل فلنسالن الذين
ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا
غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك
هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا
انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون اللغة السوال طلب الجواب
باداته فى الكلام كما ان الاستخبار طلب الخبر باداته فى الكلام والقصص
ما يتلو بعضه بعضا ومنه المقص لان قطعه يتلو بعضه بعضا ومنه
القصة من الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصاص لانه يتلو الجناية
فى الاستحقاق ومنه المقاصة فى الحق لانه يسقط ما له قصاصا بما عليه
والوزن فى اللغة هو مقابلة احد الشيئين بالاخر حتى يظهر مقداره وقد

استعمل

استعمل فى غير ذلك تشبيها بر فنها وزن الشعر بالعروض ومنها قولهم
فلان يزن كلامه وزنا قال الاخطل واذا وضعت اباك فى ميزانهم
رجحوا عليك وشلت فى الميزان والحق وضع الشئ موضعه على وجه
تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدرا على هذا المعنى وصفة كما جرى
ذلك فى العدل قال الله سبحانه ذلك بان الله هو الحق فجرى على طريق
الوصف والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا ونقيضه الخفة وهى
الاعتماد اللازم علوا الاعراب الفاء فى قوله فلنسالن عاطفة جملة
على جملة وانما دخلت الفاء وهى موجبة للتعقيب مع تراخى ما بين الاول والثانى
وذلك بالتوثيم لتقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر
الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقال ولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو
خصيم مبين واذا ظرف المفاجات وبينهما بعد يومئذ يجوز فيه الاعراب
والبناء لان اضافته الى مبنى اضافة غير محضة تقربه من الاسماء المركبة واضافته
الى الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية ونون اذ لانه قد قطع عن الاضافة
اذ من شان التنوين ان يعاقب بالاضافة المعنى ولما انذرهم سبحانه
بالعذاب فى الدنيا عقبه بالانذار بعذاب الاخرة فقال فلنسالن الذين
ارسل اليهم ولنسالن المرسلين اقسم الله سبحانه انه يسال المكلفين الذين
ارسل اليهم رسله واقسم ايضا انه يسال المرسلين الذين بعثهم فيسال
هولاء عن الابلاغ ويسال اولئك عن الامتثال وهو تعالى وان كان
عالما بما كان منهم فانما اخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتاهب
العباد بحسن الاستعداد لذلك السوال وقيل انه يسال الامم عن الاجابة
ويسال الرسل ماذا عملت اممهم فيما جاؤا به وقيل ان الامم يسالون سوال
توبيخ والانبياء يسالون سوال شهادة على الحق عن الحسن واما فايدة السوال
فاشياء منها ان يعلم الخلايق انه سبحانه ارسل الرسل وازاح العلة وانه

لا يظلم احدا ومنها ان يعلموا ان الكفار استحقوا العذاب بافعالهم
ومنها ان يزداد سرور اهل الايمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار
بما يظهر من افعالهم القبيحة ومنها ان ذلك لطف للمكلفين ومما يسال على
هذا ان يقال كيف يجمع بين قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون فيومئذ
لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم فوربك
لنسالنهم اجمعين والجواب عنه من وجوه احدها ان الله سبحانه نفى ان يسالهم سوال
استرشاد واستعلام وانما يسالهم سوال تبكيت وتقريع ولذلك قال عقيبه
يعرف المجرمون بسيماهم وسوال الاستعلام مثل قولك اين زيد ومن عندك
وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسوال التوبيخ والتقريع كمن يقول الم احسن اليك
فكفرت نعمتي ومنه قوله الم اعهد اليكم يا بني ادم الم تكن اياتي تتلى عليكم
وكقول الشاعر الستم خير من ركب المطايا   واندى العالمين بطون راح
اى انتم كذلك وفى ضده قوله   وهل يصلح العطار ما افسد الدهر   اى لا
يصلح واما سوال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار
وتقريع لهم وثانيها انهم انما يسالون يوم القيمة كما قال وقفوهم انهم
مسئولون ثم ينقطع مسالتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار
فلا تنافي بين الخبرين بل هو اثبات للسوال في وقت ونفي له في وقت آخر وثالثها
ان في القيمة مواقف ففي بعضها يسال وفي بعضها لا يسال فلا تضاد بين الايات
واما الجمع بين قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون فهو ان الاول معناه انهم يتساءلون سوال استخبار
عن الحال التي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه والثاني معناه يسال بعضهم بعضا سوال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع
اخر يتلاومون وكقوله انحن صددناكم عن الهدى الاية ومثل ذلك كثير في القرآن
ثم بين سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسالهم سوال استعلام بقوله فلنقصن عليهم

اى

اى لنخبرنهم بجميع افعالهم ليعلموا ان اعمالهم كانت محفوظة وليعلم كل
منهم جزاء اعماله وانه لا ظلم عليه وليظهر لاهل الموقف احوالهم بعلم وقيل
معناه نقص عليهم اعمالهم بانا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم كما قال ولا
يحيطون بشيء من علمه اى من معلومه وقال بن عباس معنى قوله فلنقصن
عليهم بعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم
وما كنا غائبين عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما
اجابوا وذكر ذلك موكدا لعلمه باحوالهم والمعنى انه لا يخفى شيء والوزن
يومئذ الحق ذكر فيه اقوال احدها ان الوزن عبارة عن العدل في الاخرة
وانه لا ظلم فيها على احد عن مجاهد والضحاك وهو قول البلخي وثانيها
ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة فيوزن به اعمال العباد
الحسنات والسيئات عن بن عباس والحسن وبه قال الجبائي واختلفوا في
كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا يجوز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن
ولا يقوم بانفسها فقيل توزن صحايف الاعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة
وقيل تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس
عن الجبائي وقيل يظهر للحسنات صورة سيئة عن بن عباس وقيل يوزن
نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن
جناح بعوضة وثالثها ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن من العظم ومقدار
الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فمن اتى بالعمل
الصالح اى يثقل وزنه اى يعظم قدره فقد افلح ومن اتى بالعمل السيء الذي
لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن ابي مسلم واحسن الاقوال القول الاول
وبعده الثاني وانما قلنا ذلك لانه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون
وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة
عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث قال مالك بن اسماء

الفزازى وحديث لذ هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ماكان لحنا اى يتعرض فى الكلام ولا تصرح به وقيل انه من اللحن الذى هو سرعة الفهم والفطنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن ان قام فى النفس مساويا لغيره كما يقوم الوزن فى مراة العين كذلك واما حسن القول الثانى فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجرى على ظاهره فمن ثقلت موازينه انما جمع الموازين لانه يجوز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيمة ميزان ويجوز ان يكون كل ميزان صنف من اصناف اعماله ويؤيد هذا ما جاء فى الخبر ان الصلوة ميزان فمن وفى استوفى فاولئك هم المفلحون اى الفائزون بثواب الله ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بان استحقوا عذاب الابد بما كانوا باياتنا يظلمون اى بجحودهم بما جاء به محمد صلى الله عليه واله من اياتنا وحججنا والخسران ذهاب راس المال ومن اعظم راس المال النفس فاذا اهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه قوله عز وجل ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ايتان القراءة قراء كل القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معائش ممدودا مهموزا الحجة قال ابو على معايش جمع معيشة واعتل معيشة لانه على وزن يعيش وزيادته زيادة تختص الاسم دون الفعل فلم يحتج الى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة فى اخاف وهو اخوف منك وموافقة الاسم ابناء الفعل يوجب فى الاسم الاعتلال الا ترى انهم اعلوا بابا ويوم راح لما كان على وزن الفعل وصححوا نحو حول وعينة ولومة لما لم يكن على مثال الفعل فمعيشة

موافقة للفعل فى البناء الا ترى انه مثل يعيش فى لذمة ونكسيرها نزيل مشابهة فى البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال فى الواحد فى الجمع فلزم التصحيح فى التكسير لزوال المشابهة فى اللفظ لان التكسير معنى لا يكون فى الفعل انما يختص به الاسم واذا كانوا قد صححوا نحو الجولان والهيمان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التى يختص بها الاسم فتصحيح قولهم معايش الذى قد زال مشابهة الفعل فى اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفى وجوب العدل عن اعلاله ومن اعل همز فجاز على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثل ذلك ما يحمل على الغلط قولهم فى جمع مسيل امسلة توهموا فعيلة وانما هو فعلة وذكر المحققون ان الهمزة فى هذه الياء انما يكون اذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وانما همز الياء الزائد لانه لاحظ لها فى الحركة وقد قربت من اخر الكلمة ولزمها الحركة فاوجبوا فيها الهمز واذا جمعت مقاما قلت مقاوم انشدوا. وانى لقوام مقاوم لم يكن. جرير ولا مولى جرير يقومها اللغة التمكين اعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع لان الفعل كما يحتاج الى القدرة فقد يحتاج الى الة والى دلالة والى سبب ويحتاج الى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل ايجاد ما به يكون الشئ على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحركا لانك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشئ اعم من حدوثه لانه قد يكون حدوث غيره مما يتغير به والمعيشة ما يكون وصلة الى ما فيه الحيوة من جهة المطعم والمشرب والملبس والخلق احداث الشئ على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشئ على صورة من الصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض وحقيقة وضع الجبهة على الارض الاعراب قليلا نصب بتشكرون وتقديره تشكرون

قليلا وما زايدة ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون
تقديره قليلا شكركم ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الارض
وما خلق فيها من الارزاق مضافة الى نعمه السابغة عليهم بانزال الكتب
وارسال الرسل فقال ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من التصرف فيها
وملكناكموها وجعلناها لكم قرارا وجعلنا لكم فيها معايش اي ما يعيشون
به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقدار
عليها بالعلم والقدرة والالات قليلا ما تشكرون ثم انتم مع هذه النعم
التي انعمناها عليكم لتشكروا فقد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق
فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الاخفش ثم ههنا في معنى الواو وقال
الزجاج وهذا خطاء لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه
انما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وانما المعنى في هذا
الخطاب ذكر ابتداء الخلق اولا فالمراد انا بدانا خلق ادم ثم صورناه فابتداء
خلق ادم التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم بعد الفراغ من خلق ادم فثم انما هو لما بعد
وهذا مروي عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يعنون
اسلافهم وفي التنزيل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي
ميثاق اسلافكم وقد قيل في ذلك اقوال اخر منها ان معناه خلقنا آدم
ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة عن ابن عباس ومجاهد والربيع
وقتاده والسدي ومنها ان الترتيب وقع في الاخبار فكانه قال خلقناكم
ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا للملائكة اسجدوا لادم كما يقول القايل
انا راجل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي
ابو سعيد السيرافي وغيرهما وعلى هذا فقد قيل ان المعنى خلقناكم في اصلاب
الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم

بشق السمع والبصر وساير الاعضاء عن يمان وقول الشاعر سالت ربيعة
من خيرها ابا ثم اما فقالت لمه فمعناه ليجيبوا ولا عن الاب ثم الام وقوله فسجدوا
الا ابليس لم يكن من الساجدين قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة قوله
عز وجل قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر
فيها فاخرج انك من الصاغرين اي ان اللغه الصاغر الذليل بصغر
القدر يقال صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر اذا رضي بالضيم
ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر ابن السكيت يقال فلان صغرة ولد ابيه
اي اصغرهم الاعراب ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى اي
شيء منعك ولا ملغى في قوله الا تسجد المعنى ما منعك ان تسجد ومثله
قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لان يعلم وقال الشاعر ابى جوده البخل
واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله قالوا معناه ابى جوده البخل
وقال ابو عمرو بن العلاء الروايه ابى جوده لا البخل بالجر والمعنى ابى جوده
لا التي هي البخل فكانه قال ابى جوده البخل وقد قيل انما دخل لا في قوله
الا تسجد لان معناه ما دعاك الى ان لا تسجد او ما احوجك الا ان لا تسجد
المعنى ثم حكى سبحانه خطابه لابليس حين امتنع من السجود لادم بقوله قال
اي قال الله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ما دعاك الى ان لا تسجد وما
اضطرك اليه او ما منعك ان تسجد اذ امرتك بالسجود لادم قال ابليس
انا خير منه اي من ادم خلقتني من نار وخلقته من طين وهذا الجواب غير
مطابق لانه كان يجب ان يقول معنى كذا لان قوله انا خير منه جواب لمن
يقول ايكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى ان يقول القائل
لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز
ذلك لانه افاد انه صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس

اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول
الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت اشرف من الطين لم يجز ان يسجد
الاشرف للادون وهذا خطاء لان ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من
مصالح العباد وقد قيل ايضا ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق
من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معايشهم ومنها يخرج انواع
ارزاقهم والخيرية انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثوب لان الثواب
لا يكون الا للمكلف المامور دون الجماد قال اى قال الله سبحانه لابليس
فاهبط اى انزل واتحدر منها اى من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه
انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التى هى درجة متبعى امر الله
وحافظى حدوده الى الدرجة الدنية التى هى درجة العاصين المضيعين امر الله
فما يكون لك ان تتكبر عن امر الله فيها اى فى الجنة او فى السماء فانها ليست
بموضع المتكبرين وانما موضعهم النار كما قال اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين
فاخرج من المكان الذى انت فيه او المنزلة التى انت عليها انك من الصاغرين
اى من الاذلاء بالمعصية فى الدنيا لان العاصى ذليل عند من عصاه او بالعذاب
فى الاخرة لان المعذب ذليل وهذا الكلام انما صدر من الله سبحانه على لسان
بعض الملائكة عن الجبائى وقيل ابليس راى معجزة تدله على ان ذلك كلام الله
سبحانه فما يكون لك ان تتكبر فيها لا يدل على انه يجوز التكبر فى الجنة فان
التكبر لا يجوز على حال لانه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء وهذا فى صفة
العباد ذم وفى صفة الله سبحانه مدح الا ان ابليس تكبر على الله سبحانه
فى الجنة فاخرج منها قسرا ومن تكبر خارج الجنة منع من ذلك الامر والنهى
قوله عز وجل قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم



شاكرين اربع آيات اللغة الانظار والامهال والتاخير والتاجيل
نظاير وبينها فروق وضد الامهال الاعجال والبعث الاطلاق فى الامر
والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظاير الاعراب
لاقعدن جواب القسم والقسم محذوف لان غرضه بالكلام التاكيد
وهو ضد قوله ص والقران ذى الذكر فانه حذف الجواب هناك ونفى
القسم لان الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك الى الحذف دون
الظرف تقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اى على
الظهر والبطن قال الشاعر لدن بهز الكف يعسل متنه ۞ فيه كما عسل
الطريق الثعلب ۞ وقال اخر كانى اذا اسعى لاظفر طايرا ۞ مع النجم فى جو
السماء يصوب ۞ اى لاظفر على طاير المعنى قال يعنى ابليس انظرنى اى
امهلنى واخرنى فى الاجل ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى يبعث الخلق
من قبورهم للجزاء وقيل معناه انظرنى فى الجزاء الى يوم القيمة فكانه خاف
ان يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الى يوم يبعثون ولم
يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان شاء الله تعالى ان لا يبقى احدا حيا
الى يوم القيمة قال الكلبى اراد الخبيث ان لا يذوق الموت بين النفختين
وهو اربعون سنة واما الوجه فى مسئلة ابليس الانظار مع علمه بانه
مطرود ملعون فعلمه بان الله عز وجل يظاهر الى عباده بالنعم ويعمهم
بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسئلة والطمع فى الاجابة
قال اى قال الله سبحانه لابليس انك من المنظرين اى من المؤخرين قال
ابليس لما لعنه الله سبحانه وطرده ثم ساله الانظار فاجابه الله تعالى
الى شئ منه فبما اغويتنى اى فبالذى اغويتنى قيل فى معناه اقوال احدها
ان معناه بما خيبتنى من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر ۞ فمن يلق خيرا
يحمد الناس امره ۞ ومن يغو لا يعدم على الغى لائما ۞ اى من يخب وثانيها ان

المراد امتحنى بالسجود لادم فغويت عنده فلذلك قال اغويتنى كما قال
فزادتهم رجسا الى رجسهم وثالثها ان معناه حكمت بغوايتى كما يقال
اضللتنى اى حكمت بضلالتى عن ابن عباس وابن زيد ورابعها ان معناه
اهلكتنى بلعنك اياى كما قال الشاعر معطفة الاثناء ليس فصيلها
برازيها درا ولا ميت غوى اى ولا ميت هلاكا وقالوا غوى الفصيل
اذا نفد اللبن فمات والمصدر غوى مقصود وخامسها ان يكون الكلام
على ظاهر من الغواية ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى
يغوى الخلق بان يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر
لاقعدن اى لاجلسن لهم اى لاولاد ادم صراطك المستقيم اى على طريقك
المستوى وهو طريق الحق لاصدهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق
الباطل كيدا لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الايمان
هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فبما اغويتنى مساويا لقوله لو قال
بما اصلحتنى يفسد بان صفة الالة اذا وقع بها الكفر خلاف صفتها اذا وقع
بها الايمان وان كانت الالة واحدة كما ان السيف واحد ويصلح لان يستعمل
فى قتل المؤمن كما يصلح لان يستعمل فى قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان يكون
الصفتان واحدة من اجل انه واحد فلا يمتنع ان يكون متى استعمل الالة التى مكن
فى الضلال والكفر يسمى اغواء واذا استعملت فى الايمان سميت هداية وان كان
ما يصح به الايمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قيل فى ذلك اقوال احدها ان المعنى
من قبل دنياهم واخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة
والسدى وبن جريج وتلخيصه انى ازين لهم الدنيا واخوفهم بالفقر واقول لهم
لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها واحبب
اليهم السيئات واحثهم عليها قال ابن عباس وانما لم يقل ومن فوقهم لان فوقهم

جهة

جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت
ارجلهم لان الاتيان منه يوحش وثانيها ان معنى من بين ايديهم وعن
ايمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون
عن مجاهد وثالثها ما روى عن ابى جعفر عليه السلام قال ثم لاتينهم من
بين ايديهم معناه اهون عليهم امر الاخرة ومن خلفهم امرهم بجمع الاموال
والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم امر دينهم
افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب
اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وانما دخلت من فى القدام
والخلف وعن فى اليمين والشمال لان فى القدام والخلف معنى طلب النهاية
وفى اليمين والشمال الانحراف عن الجهة ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا اخبار
من ابليس ان الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون
قد قال ذلك من احد وجهين اما من جهة الملائكة باخبار الله تعالى اياهم
واما عن ظن منه كما قال الله سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وانما فانه
لا استزل ادم ظن ان ذريته ايضا يجيبونه لكونهم اضعف منه والقول
الاول اختيار الجبائى والثانى عن الحسن قوله تعالى قال اخرج منها مذؤما
مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من
سوآتهما وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اربع ايات القراءة فى الشواذ
قراءة الزهرى مذوما وقرئ سواتهما على تخفيف الهمزة وقرا ابو جعفر وشيبة
سوتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهرى وقرا ابن محيصن عن هذى
الشجرة الحجة الوجه فى تخفيف السوءة انه يحذف ويلقى حركتها على الواو فيقال

النصف

الشوة ومنهم من يقول السوة وهو اردا اللغتين واما هذى التحرة
فانه الاصل فى الكلمة وانما الهاء فى ذه بدل من الياء فى ذى واما اليا
اللاحقة بعد الهاء فى هذه ونحوه فزايدة لحقت بعد الهاء تشبيها لها
بهاء الاضمار فى نحو مررت بهى اللغة الذام والذيم اشد العيب يقال
ذامه ذاما فهو مذؤم وذامه يذيمه ذيما وذاما فهو مذيم قال الشاعر
صحبتك اذ عينى عليها غشاوة ❊ فلما انجلت قطعت نفسى اذيمها ❊ وفى روا
الومها والدحر الدفع على وجه الاوان والاذلال دحره يدحره دحرا
ودحورا والوسوسة الدعاء الى امر بصوت خفى كالهينمة والخشخشة
قال رؤبة ❊ وسوس يدعوا مخلصا رب الفلق ❊ سرا وقد اون تاوين العقق ❊
وقال الاعشى تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت ❊ كما استعان بريح عشرق
زجل ❊ والابداء الاظهار وهو جعل الشى على صفة ما يصح ان يدرك وضده
الاخفاء وكل شى ازيل عنه الساتر فقد ابدى والمواراة جعل الشىء
وراء ما يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووورى لان
الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همزة الواو المضمومة والسوءة الفرج
لانه يسوء صاحبه اظهاره وصل القسم من القسمة قال اعشى بن ثعلبة رضيعى
لبان ثدى ام تقاسما ❊ باسحم داج عوض لا نتفرق ❊ والمقاسمة لا يكون
الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص
وطارقت النعل وعافاه الله وقيل ان فى جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة
مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة
فى المضارعة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحته وهو اخلاص الفاعل
ضميره فيما يظهر من عمله الاعراب لمن تبعك منهم اللام الاولى لام الابتداء
والثانية لام القسم ومن الشرط وهو فى موضع رفع بالابتداء ولا يجوز ان يكون
هنا بمعنى الذى لانها لا تقلب الماضى الى الاستقبال وحذف الجزاء فى قوله

لمن تبعك

لمن تبعك لان جواب القسم اولى بالذكر من حيث انه فى صدر الكلام
ولو كان القسم فى حشو الكلام لكان الجزاء احق بالذكر من جواب القسم
كقولك ان تاتنى والله اكرمك ويجوز ان تقول والله لمن جاك اضربه
بمعنى لا اضربه ولم يجز بمعنى لاضربنه كما يجوز والله اضرب زيدا بمعنى لا اضرب
ولا يجوز بمعنى لاضربن لان الايجاب لا بد فيه من نون التاكيد مع اللام
وانما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لاملان جهنم منك
وممن تبعك منهم كما قاله فى موضع اخر وقوله الا ان تكونا تقديره الا كراهة
ان تكونا ملكين فحذف المضاف فهو فى موضع نصب بانه مفعول له وقيل
ان تقديره لان لا تكون فحذف لا والاول الصحيح وقوله انى لكما لمن الناصحين
تقديره انى لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما
متعلقا بالناصحين لان فى الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله
قوله وانا على ذلكم من الشاهدين تقديره وانا على ذلكم شاهد ويبينه بقوله
من الشاهدين المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بابليس من الاهانة والاذلال
وما اتاه آدم من الاكرام والاجلال بقوله قال اخرج منها اى من الجنة او من
السماء او من المنزلة الرفيعة مذؤوما اى مذموما عن ابن زيد وقيل
معيبا عن المبرد وقيل مهانا لعينا عن ابن عباس وقتاده مدحورا اى مطرودا
عن مجاهد والسدى لمن تبعك منهم اى من بنى آدم معناه من اطاعك و
واقتدى بك من بنى آدم لاملان جهنم منكم اى منك ومن ذريتك وكفار
بنى آدم اجمعين وانما جمعهم فى الخطاب لانه لا يكون فى جهنم الا ابليس
وحزبه من الشياطين وكفار الانس وضلالهم الذين انقادوا له وتركوا
امر الله لاتباعه ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة هذا امر بالسكنى دون
السكون وانما لم يقل وزوجك لان الاضافة اليه وقد اغنت عن ذكره
وابانت عن معناه فكان الحذف احسن لما فيه من الايجاز من غير اخلال

بالمعنى فكلا من حيث شئتما اباح الله سبحانه لهما ان ياكلا من حيث شاءا وابن شاءا ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل فتكونا من الظالمين اى
من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الاية
مشروحا فى سورة البقرة فوسوس لهما اى لادم وحوا الشيطان الفرق
بين وسوس اليه ووسوس له ان معنى وسوس اليه انه القى الى قلبه
المعنى بصوت خفى ومعنى وسوس له انه اوهمه النصيحة له فى ذلك ليبدى
لهما اى ليظهر لهما ما ووري اى ستر عنهما من سوآتهما اى عوراتهما وهذا الظاهر
يوجب ان يكون ابليس علم ان من اكل من هذه الشجرة بدت عورته وان من
بدت عورته لا يترك فى الجنة فاحتال فى اخراجهما منها بالوسوسة وقال ما
نهيكما ربكما عن هذه الشجرة اى عن اكل هذه الشجرة الا ان تكونا من الخالدين
والمعنى انه اوهمهما انهما اذا اكلا من هذه الشجرة تغيرت صورهما الى صورة
الملك وان الله تعالى قد حكم بذلك وبان لا يبيد حيوتهما اذا اكلا منها وروى
عن يحيى بن ابى كثير انه قرا ملكين بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى يدل على ملكين واحده وقد قرئ به ويحتمل ان
يكون المراد بقوله الا ان تكونا ملكين انه اوهمهما ان المنهى عن تناول
الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت
عن كذا الا ان تكون فلانا وانما يريد ان المنهى انما هو فلان دونك وهذا
المعنى اوكد فى الشبهة واللبس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه وقاسمهما
اى وحلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن قتادة انى لكما لمن الناصحين
اى المخلصين النصيحة فى دعائكما الى التناول من هذه الشجرة ولذلك تاكدت
الشبهة عندهما اذ ظنا ان احدا لا يقدم على اليمين بالله تعالى الا صادقا
فدعاهما ذلك الى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله الا ان تكونا
ملكين على ان الملائكة افضل من الانبياء قالوا لان ابليس رغبهما بالتناول

من الشجرة فى منزلة الملائكة حتى تناولا ولا يجوز ان يرغب عاقل فى
ان يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله تعالى
واجاب عنه المرتضى رضى الله عنه بان قال ما انكرتم ان تكون
الاية محمولة على الوجه الثانى الذى ذكرناه دون ان يكون معناها
ان ينقلبا الى صفة الملائكة واذا كانت الاية محتملة لما ذكرناه ايضا فما
يرفع هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم ان يكونا رغبا فى ان ينقلبا
الى صفة الملائكة وخلقتهم لما رغبهما ابليس فى ذلك ولا يدل هذه
الرغبة على ان الملائكة افضل منهما فان الثواب انما يستحق على الطاعات
دون الصور والهيئات ولا يمتنع ان يكونا رغبا فى صور الملائكة و
هيئتها ولا يكون ذلك رغبة فى الثواب ولا الفضل الا ترى انهما
رغبا فى ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضى مزية فى الثواب
ولا الفضل قوله عز وجل فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت
لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع
الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اربع ابواب
القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء ههنا وفى الروم
والزخرف والجاثية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل
ههنا وابن ذكوان ههنا وفى الزخرف وقرا الباقون جميع ذلك بضم
التاء والياء الحجة من قرا بالفتح فحجته اتفاق الجميع فى قوله اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون بفتح التاء وقوله الى ربهم ينسلون
يوبره ايضا وقوله كما بداكم تعودون ومن قرا بالضم فحجته قوله ايعدكم

انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى
اللغة دليهما قيل اصله من تدلية الدلو وهو ان يرسلها فى البير والغرور
اظهار النصح مع ابطان الغش واصله الغر طى الثوب يقال اطوه على غره
اى على كسر طيه فالغرور بمنزلته لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق
يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل واخذ يفعل والخصف
اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذى يخصف به
النعل ومنه قول النبى عليه السلام لكنه خاصف النعل فى الحجرة يعنى
عليا عليه السلم والاخصاف سرعة العدو لانه ينقطعه برهة والبعض
هو احد قسمى العشرة بعضها واحد قسمى الاثنين كذلك ولا بعض لواحد
لانه لا ينقسم قال على بن عيسى العدو هو النائى بنصرته فى وقت الحاجة
الى معونته والولى هو الدانى بنصرته وقت الحاجة اليها والمستقر هو
موضع الاستقرار وهو ايضا الاستقرار بعينه لان المصدر يجى على وزن
المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ والحين الوقت
قصيرا كان طويلا الا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس باصل فيه
المعنى فدليهما بغرور اى اوقعهما فى المكروه بان غرهما بيمينه وقيل
معناه دليهما من الجنة الى الارض وقيل معناه خذلهما وخلاهما من قولهم
تدلى من الجبل او السطح اذا نزل الى الجهة السفل عن ابى عبيدة اى حطهما
عن درجتهما بغرور فلما ذاقا الشجرة اى ابتدا بالاكل ونالا منها شيئا يسيرا
ولذلك اتى بلفظة ذاقا عبارة عن انهما تناولا شيئا قليلا من ثمر الشجرة
على خوف شديد لان الذوق ابتداء الاكل والشرب لتعرف الطعم وفى
هذا دلالة على ان ذوق الشى المحرم يوجب الذم فكيف استيفاؤه وقضا
الوطر منه بدت لهما سوآتهما اى ظهرت لهما عوراتهما وظهر لكل واحد منهما
عورة صاحبه قال الكلبى فلما اكلا منها تهافت لباسهما عنهما فابصر كل منهما

سواه

سوأة صاحبه فاستحيا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى اخذا
يجعلان ورقة على ورقة ليستر اسواتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا
يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار
كهيئة الثوب عن قتادة وهذا انما كان لان المصلحة اقتضت اخراجهما
من الجنة واهباطهما الى الارض لا على وجه العقوبة فان الانبياء
لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه فى سورة البقرة وناديهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة اى عن تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين
قال تلكما والكاف حرف الخطاب ولكما ان الشيطان لكما عدو مبين
ظاهر المعنى قالا اى قال ادم وحوا لما عاتبهما الله سبحانه ووبخهما عن
ارتكاب المنهى عنه ربنا ظلمنا انفسنا ومعناه بخسناها الثواب بترك
المندوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب الى انهما فعلا صغيرة فانه
يحمل الظلم على تنقيص الثواب اذ كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات
فاما من قال ان الصغيرة يقع مكفرة من غير ان ينقص من ثواب فاعلها
شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت فى الاية فايدة فلا خلاف ان ادم
وحوا لم يستحقا العقاب وانما قالا ذلك لان من جل فى الدين قدره كثر
على يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول الى الارض ومفارقة
العيش الرغد وان لم تغفر لنا معناه وان لم تستر علينا لان المغفرة هى
الستر على ما تقدم بيانه وترحمنا اى لم تتفضل علينا بنعمك التى تتم بها
ما فوتناه نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك لنكونن من الخاسرين
اى من جملة من خسر ولم يربح والانسان يصح ان يظلم نفسه بان يدخل عليها
ضررا غير مستحق ولا يدفع عنها ضررا اعظم منه ولا يجتلب به منفعة توفى
عليه ولا يصح ان يكون معاقبا لنفسه قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو
ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين قد مر تفسيره فى سورة البقرة قال الله تعالى

فيها تحيون اى في الارض تعيشون وفيها تموتون ومنها تخرجون عند
البعث يوم القيمة قال الجبائى في الاية دلالة على ان الله سبحانه يخرج العباد
يوم القيمة من هذه الارض التى حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد
ان يخرج العباد منها في يوم الحشر واذا اراد افناها زجرهم عنها زجرة فيصيرون
الى ارض اخرى يقال لها الساهرة ويفنى هذه كما قال فاذا هم بالساهرة قوله
عز وجل يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم وريشا
ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ايات الله لعلهم يذكرون
يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سواتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا
جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون فاذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء
اتقولون على الله ما لا تعلمون ثلث ايات القراة قرا اهل المدينة وابن
عامر والكسائى ولباس بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو على اما
النصب فلانه حمل على انزل اى انزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى وقوله
على ذلك مبتدا وجزه خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس
من الاول واستانف به فجعله مبتدا وذلك صفة او بدل او عطف
بيان ومن قال ان ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لانه يجوز ان يكون
على احد ما ذكرنا وخير خبر اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه
اذا اخذ به واقرب الى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش الذى يتجمل
به واضيف اللباس الى التقوى كما اضيف الى قوله فاذاقها الله لباس الجوع
الى الجوع والخوف اللغة اللباس كما يصلح اللبس من ثوب او غيره من نحو
الدرع وما يغشى به البيت من نطع او كسوة واصله المصدر تقول لبسه
يلبسه لبسا ولباسا ولبسا بكسر اللام قال الشاعر فلما كشفنا اللبس عنه مسحنه

باطراف طفل زان غيلا موشما ∴ والغيل الساعد الريان الممتلى والريش
والاثاث من متاع البيت من فراش ودثار وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه
ريش الطاير وقيل انه المصدر من راشه يريشه ريشا وانشد سيبويه ريشى
منكم وهواى معكم وان كانت زيارتكم لماما قال الزجاج الريش كل ما ستر
الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان اى صار له ما يعيش به وتقول
وتقول العرب اعطيته رجلا بريشته اى بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش
ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار
امتحنته وقلب فاتن اى مفتون قال الشاعر رخيم الكلام قطيع القيام ∴
امسى فؤادى بها فاتنا القبيل الجماعة من قبايل شتى واذا كانوا من اب وام
واحد فهم قبيلة المعنى لما ذكر سبحانه نعمته على بنى ادم في تبوئة الدار والمستقر
عقبه بذكر النعمة في الملابس والستر فقال يا بنى ادم وهو خطاب عام لجميع
اهل الازمنة من المكلفين كما يوصى الانسان ولده بتقوى الله ويجوز خطاب
المعدوم اذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف
قد انزلنا عليكم لباسا قيل انه انزل ذلك مع ادم وحواء حين امرا بالاهباط
عن الجبائى وهو الظاهر وقيل معناه انه ينبت المطر الذى ينزل من السماء
عن الحسن وقيل لان البركات تنسب الى انها تاتى من السماء كقوله وانزلنا
الحديد فيه باس شديد عن على بن عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم
ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك
علوا وسفلا ولكنه يجرى مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتى الى فلان
ورفعت قصتى الى الامير عن ابى مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد عن ابى على الفارسى لباسا يوارى
سواتكم اى يستر عوراتكم وريشا اى اثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا
عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا

عن الاخفش وقيل خيرا وكل ما قاله المفسرون فانه يدخل فيه الا ان
كلا منهم خص بعض الخير بالذكر ولباس التقوى هو العمل الصالح عن
ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسبكم التقوى عن الحسن وقيل هو
ثياب النسك والتواضع اذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب
عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب الدرع والمغفر والالات التي يتقى بها
من العدو عن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وابي مسلم وقيل هو
خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري
عورته عن ابن زيد وقيل هو الايمان عن قتادة والسدي ولا مانع من
حمل ذلك على الجميع ذلك خير اي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس ذلك
من ايات الله اي ذلك الذي خلقه الله وانزله من حجج الله التي تدل على
توحيده لعلهم يذكرون معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا
الى طاعته وينتهوا عن معصيته ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال يا بني
ادم لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بان
يدعوكم الى المعاصي التي تميل اليها النفوس وانما صح ان ينهى الانسان
بصيغة النهي للشيطان لانه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه
ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه كما اخرج
ابويكم من الجنة نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وان كان خروجهما
بامر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذم لفرعون بانه يذبح ابناءهم وانما امر
بذلك وتحقيق الذم فيهما راجع الى ضل في عظم الفاحشة ينزع عنهما عند
وسوسته ودعائه لهما لباسهما من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر عن
ابن عباس اي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسهما نورا عن وهب بن
منبه ليريهما سواتهما عوراتهما انه يعني الشيطان يراكم هو وقبيله اي نسله عن
الحسن وابن زيد يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل

جنوده واتباعه من الجن والشياطين من حيث لا ترونهم قال ابن عباس ان الله تعالى
جعلهم يجرون من بني ادم مجرى الدم وصدور بني ادم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس
في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبنو ادم لا يرونهم قال قتادة والله ان
عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤونة الا من عصم الله وانما قال ذلك
لانا اذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغي ان نكون على
حذر فيما نجده في انفسنا من الوساوس خيفة ان يكون ذلك من الشيطان
وانما لا يراهم البشر لان اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج في رؤيتها الى فضل
شعاع وقال ابو بكر بن الاخشيد وابو الهذيل يجوز ان يمكنهم الله سبحانه
فيكشفوا فيراهم حينئذ من يحضرهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم
ممكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد ابو عبد الله رحمه الله قال
الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهو الاقوى عندي وقال الجبائي لا يجوز
ان يرى الشياطين والجن لان الله عز اسمه قال لا ترونهم وانما يجوز ان يروا
في زمن الانبياء بان يكثف الله اجسادهم علما للانبياء كما يجوز ان يرى الناس
الملائكة في زمن الانبياء انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي
حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا اي حكموا بذلك حكما باطلا وانما خص الذين لا يؤمنون
تنبيها على انهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم
وانما يتمكنون من الكفرة الجهال والفسقة الاغفال واذا فعلوا فاحشة
كنى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سواتهم في طوافهم وكان يطوف
الرجال والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف في الثياب
التي قارفنا فيها الذنوب وهم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئا من سيور
مقطعة يشدونه على حقويهم يسمى حوفا وان عمل من صوف سمي رهطا وكان
تضع المراة على قبلها النسعة فتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه

فلا احله يعني الفرج لان ذلك لا يستر سترا تاما وفي الاية حذف وتقديره
واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها اباءنا قيل ومن اين اخذها
اباؤكم قالوا الله امرنا بها اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم اذا فعلوا
ما يعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم بانا وجدنا اباءنا يفعلونها وان اباهم
فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله
ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم
قولهم بان قال ان الله لا يامر بالفحشاء ثم انكر عليهم من وجه اخر فقال
اتقولون ما لا تعلمون لانهم ان قالوا لا انتقضوا مذهبهم وان قالوا
افتضحوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه
قوله عز وجل قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى
وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون
الله ويحسبون انهم مهتدون ايتان تمام الاية الاولى تعودون
عند الكوفي ومخلصين له الدين في البصري اللغة اصل القسط العدول
فاذا كان الى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين واذا كان
الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
واصل الاخلاص فعل الشيء اول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون
فعل اول خصلة منه بدا كبداء الصلوة وبداء القراءة اخراج كل شايب من الجنس
ومنه اخلاص الدين لله ولو توجيه العبادة اليه خالصا دون غيره و
البداء وبدا وابدا لغتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ
افتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشيء لامر من الامور والحسبان بمعنى الظن وهو
ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويز ان يكون على غيره
فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتبخيت وبالتجويز يتميز من العلم لان مع

العلم القطع الاعراب واقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان
فتقديره احذروا الشيطان وتقيموا وجوهكم عن ابي مسلم وقيل ان تقديره
قل امر ربي بالقسط وقل اقيموا وقوله كما بداكم قال ابو علي الفارسي تقديره
كما بداء خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه تعودون خلقكم ثم حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين وفريقا حق
عليهم الضلالة نصبه ليعطف فعلا على فعل وتقديره وفريقا اضل لانه قد
فسره ما بعده فاغنى عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين
اعد لهم عذابا اليما وقال الفراء فريقا منصوبا على الحال من تعودون وفريقا
الثاني عطف عليه ولو رفع على تقدير احدهما كذا والاخر كذا لجاز كما كان لكم
اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة المعنى لما بين سبحانه
انه لا يامر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقبه ببيان ما يامر به
من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال قل يا محمد امر ربي بالقسط اي
بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن
الضحاك وقيل بلا اله الا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب
عن ابي مسلم واقيموا وجوهكم عند كل مسجد قيل فيه وجوه احدها ان معناه
توجهوا الى قبلة كل مسجد في الصلوة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد
وثانيها ان معناه اقيموا وجوهكم الى الجهة التي امركم الله بالتوجه اليها في صلوتكم
وهي الكعبة والمراد بالمسجد اوقات السجود وهي اوقات الصلوة عن الجبائي وغيره
وثالثها ان المراد اذا ادركتم الصلوة في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع الى
مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي ورابعها ان
معناه اقصدوا المسجد في وقت كل صلوة امرا بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتما
عند الاقلين وخامسها ان معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا
تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين وهذا امر بالدعاء

والتضرع اليه سبحانه من وجه الاخلاص اى ارغبوا اليه فى الدعاء بعد اخلاصكم
له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الايمان كما بداكم تعودون قيل فى
وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها ان معناه وادعوه مخلصين فانكم مبعوثون
ومجاوزون وان بعد ذلك فى عقولكم فاعتبروا بابتداء واعلموا انه كما بداكم
فى الخلق الاول فانه يبعثكم فتعودون اليه فى الخلق الثانى وثانيها انه يتصل
بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بداكم تعودون
اى فليس بعثكم باشد من ابتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكر على وجه الحجاج
عليهم لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وثالثها انه كلام مستانف اى يحييكم
بعد الموت فيجازيكم عن ابى مسلم قال قتادة بداهم من التراب واليه يعودون
كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بداكم لا تملكون شيئا كذلك
تبعثون يوم القيمة ويروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال تحشرون يوم
القيمة عراة حفاة عزلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
وقيل معناه تبعثون على ما متم عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره عن
بن عباس وجابر فريقا اى جماعة هدى اى حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى
او لطف لهم بما اهتدوا عنده او هداهم الى طريق الثواب كما تكرر بيانه فى مواضع
وفريقا حق اى وجب عليهم الضلالة اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان
لانه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم وحق عليهم العذاب والهلاك بكفرهم
ويؤيد هذا القول الاخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث
ثم قال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله بين سبحانه انه لم يبداهم بالعقوبة
ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وانما اتخذوهم اولياء بطاعتهم
لهم فيما دعوهم اليه ويحسبون انهم مهتدون ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم
فى ذلك على هداية وحق قوله عز وجل يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كل
مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة

ع

الله

الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين امنوا فى الحيوة
الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون ايتان
القراءة قرا نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو على من
رفعه جعله خبر المبتداء الذى هو ابن هى ويكون للذين امنوا تبيينا للخلوص
ولا شئ فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض امكن ان يكون للذين امنوا خبرا
وخالصة خبرا اخر ومن نصب خالصة كان حالا مما فى قوله للذين امنوا الا ترى ان
فيه ذكرا يعود الى المبتداء الذى هو هى فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل فى
الحال ما فى اللام من معنى الفعل وحجة من رفع ان المعنى هى تخلص للذين امنوا يوم
القيمة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده وهى
ثابتة للذين امنوا فى حال خلوصها يوم القيمة لهم وانتصاب خالصة على الحال
اشبه بقوله ان المتقين فى جنات وعيون اخذين ونحو ذلك مما انتصب الاسم
فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجرى مجراه اذا كان فيه معنى فعل
قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل فى قولك فى الحيوة
الدنيا فى تاويل الحال كانك تقول هى ثابتة للمؤمنين مستقرة فى الحيوة
الدنيا خالصة يوم القيمة قال ابو على فى قوله فى الحيوة الدنيا يحتمل ثلثة
اضرب احدها ان يكون قل هى فى الحيوة الدنيا للذين امنوا خالصة على
ان يكون خبر هى قوله للذين امنوا ويكون فى الحيوة الدنيا ظرفا والعامل
فيه الظرف الذى هو قوله للذين امنوا والتقدير هى فى الحيوة الدنيا للمؤمنين
مقدرا اخلاصها يوم القيمة ففى هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام
الجارة لانه ظرف للذين امنوا والظروف وان كان العامل فيها المعانى
فان تقديمها عليها جائز وان لم يجز ذلك فى الاحوال ويحتمل ان يكون قوله
فى الحيوة الدنيا متصلا بالصلة التى هى امنوا وهى العاملة فيه والمعنى هى
للذين امنوا فى حيوتهم اى للذين لم يكفروا فيها خالصة فموضع فى على هذا

نصب بآمنوا ويجوز ان يكون في الحيوة الدنيا في موضع حال وصاحب الحال
هو هي والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين امنوا والمعنى قل هي
لهم مستقرة في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ولا يجوز في هذا الوجه الذي
قبله تقدير تقدم في الحيوة على قوله للذين امنوا اما في الوجه الاول فلان
قوله في الحيوة في صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول واما في
الوجه الاخر فلانه موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل
فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحق واما قوله من قرأ خالصة
بالنصب جعله منصوبا على الحال على ان العامل في قوله في الحيوة الدنيا على
تاويل الحال الى اخر كلامه فينبغي ان تعلم ان من نصب خالصة في قراءته جاز
ان يكون في الحيوة الدنيا ظرفا للذين والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان
يكون متعلقا بآمنوا وظرفا له وجاز ان يكون في موضع الحال كما ذكرنا فالحال
فالوجهان الاولان يحتاج معهما الى تقدير شيء تعلقه بما قبله اما اذا كان
ظرفا للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما يقول لك ثوب كل يوم واذا كان من الصلة
فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه واما اذا جعلته حالا فانه ينبغي ان تقدر فعلا
او اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحيوة متعلقا به فلا يوهمنك
قول ابي اسحق الذي ذكرناه انه يلزم ان يقدر قوله في الحيوة الدنيا في تقدير
الحال لا غير اذا جعلت خالصة منصوبا على الحال فان الوجهين الاخرين كل واحد
منهما مع نصب خالصة على الحال سائغ جائز المعنى لما تقدم ذكر ما انعم الله
سبحانه على عباده من اللباس والرزق امرهم في اثرها بتناول الزينة والستر
والاقتصاد في المآكل والمشرب فقال يا بني ادم وهو خطاب لسائر المكلفين
خذوا زينتكم عند كل مسجد اي خذوا ثيابكم التي تتزينون بها للصلوة في
الجمعات والاعياد عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وقيل عند كل صلوة وروى
العياشي باسناده ان الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلم كان اذا قام الى

الصلوة

الى الصلوة لبس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس اجود ثيابك فقال
ان الله جميل يحب الجمال فاتجمل لربي وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فاحب
ان البس اجود ثيابي وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك
لانهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال
بالنهار والنساء بالليل فامرنا بلبس الثياب في الصلوة والطواف عن جماعة
من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التمشط عند كل صلوة وروى ذلك عن
الصادق عليه السلم وكلوا واشربوا صورته صورة الامر والمراد الاباحة وهو
عام في جميع المباحات ولا تسرفوا اي لا تجاوزوا الحلال الى الحرام قال مجاهد
لو انفقت مثل احد في طاعة الله لم تك مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية
الله لكان اسرافا وقيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء في زيادة المقدار وقد
حكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين
بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان
فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه وهو قوله كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وجمع نبينا صلى الله عليه واله الطب في قوله المعدة بيت الادواء و
الحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم
ولا نبيكم لجالينوس طبا وقيل معناه ولا تاكلوا حراما ولا باطلا على وجه لا يحل
واكل الحرام فان قل اسراف ومجاوزة للحد وما استقبحه العلماء وعاد بالضرر
عليكم وهو ايضا اسراف لا يحل لكن يطبخ القدر بماء الورد ويطرح فيه المسك ولمن
لا يملك الا دينارا فاشترى به طيبا فتطيب به وترك ولما حث سبحانه على تناول الزينة
عند كل مسجد وندب اليه واباح الاكل والشرب ونهى عن الاسراف وكان قوم
من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرمون السمون والالبان
في الاحرام وكانوا يحرمون السوائب والبحائر انكر عز اسمه ذلك عليهم فقال قل يا محمد
من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق اي من حرم الثياب

التي يتزين بها الناس مما اخرجها الله من الارض لعباده والطيبات من الرزق
وقيل هي المستلذات من الرزق وقيل هي محللات والاول اظهر لخلوصها يوم
القيمة للمؤمنين قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة قال ابن
عباس يعني ان المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فاكلوا
من طيبات طعامهم ولبسوا من جياد ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخلص الله
الطيبات في الاخرة للذين امنوا وليس للمشركين فيها شيء قال الفراء مجازه هي
للذين امنوا مشتركة في الدنيا وهي لهم خالصة في الاخرة وهذا معنى قول ابن
عباس وقيل معناه قل هي في الحيوة الدنيا للذين امنوا غير خالصة من الهموم
والاحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيمة من ذلك عن الجبائي كذلك نفصل
الايات لقوم يعلمون وفي هذه الاية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة واكل
الاطعمة الطيبة الحلال وروى العياشي باسناده عن الحسين بن زيد عن عمه عمر بن
علي عن ابيه زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلم انه كان يشتري كساء الخز
بخمسين دينارا فاذا اصاف تصدق به ولا يرى بذلك باسا ويقول قل من حرم
زينة الله الاية وباسناده عن يوسف بن ابرهيم قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلم
وعليه جبة خز وطيلسان خز فنظر الي فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه
فقال وما باس بالخز قلت وسداه ابريسم قال لا باس فقد اصيب الحسين ع
وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس لما بعثه امير المؤمنين علي عليه السلم
الى الخوارج لبس افخر ثيابه وتطيب باطيب طيبه وركب افضل مراكبه فخرج اليهم فواقفهم
قالوا يا ابن عباس بينا انت خير الناس اذ اتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه
الاية قل من حرم زينة الله الى اخرها فالبس وتجمل فان الله جميل يحب الجمال وليكن
من حلال وفي الاية دلالة ايضا على الاباحة لقوله من حرم فالسمع ورد موكدا
لما في العقل قوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان

تقولوا

تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون ايتان اللغة التحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل
على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان عن جوازه
وله واصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو محروم واحرم
بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمات الجنايات والمحرم القرابة التي لا يحل تزوجها
وحريم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبايح وهي
الكباير والبغي الاستطالة على الناس وحده طلب الترأس بالقهر من غير حق واصله
الطلب وينبغي كذا اي هو اولى ان يطلب والسلطان والبرهان والبيان و
الفرقان نظاير وحدودها تختلف فالبيان اظهار المعنى للنفس كاظهار نقيضه
والبرهان اظهار صحة المعنى وفساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس
به والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والامة الجماعة التي
يعمها معنى واصلها من امه يؤمه اذا قصده فلامة الجماعة التي على مقصد واحد
والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لان بين العقد الاول الذي يضرب
لنفس الاجل وبين الوقت الاخر مهلا مثل اجل الدين واجل الرزق واجل
الوعد واجل العمر المعنى ثم بين سبحانه المحرمات فقال قل يا محمد انما حرم ربي
الفواحش اي جميع القبايح والكباير عن الجبائي وابي مسلم ما ظهر منها وما بطن اي ما
علن منها وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربي الا
الفواحش لما قد بينا قبل ان لفظة انما محققة لما ذكرنا فية لما لم يذكر فذكر
القبايح على الاجمال ثم فصل البيان فقال والاثم والبغي فكانه قال حرم الفواحش
التي منها الاثم ومنها البغي ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هي الزنى
وهو الذي يظن منها والتعري في الطواف وهو الذي ظهر عن مجاهد وقيل
الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل
والاثم قيل هي الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الاثم ما دون الحد عن الفراء

وقيل الاثم الخمر عن الحسن وانشد الاخفش شربت الاثم حتى ضل عقلى كذاك
الاثم يذهب بالعقول وقال اخر نهانا رسول الله ان نقرب الخنا وان
نشرب الاثم الذى يوجب الوزرا والبغى الظلم والفساد وقوله بغير الحق تاكيد
كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغى من كونه ظلما اذا كان
بسبب جايز فى الشرع كالقصاص وان تشركوا بالله اى وحرم الشرك بالله ما لم
ينزل به سلطانا اى لم يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفه ليس حجه
ولا برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اى وحرم القول على الله بغير
علم ثم بين تعالى ما فيه تسلية للنبى عليه السلم فى تاخر عذاب الكفار فقال
ولكل امة اجل اى لكل جماعة واهل عصر وقت لاستيصالهم ولم يقل لكل احد
لان ذكر الامة تقتضى تقارب اعمار اهل العصر ووجه اخر وهو انه يقتضى اهلاكهم
فى الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم باتيان الرسل وقال الجبائى المراد بالاجل هنا
اجل العمر الذى هو مدة الحيوة وهذا اقوى لانه يعم جميع الامم فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون اى لا يتاخرون ساعة عن ذلك الوقت ولا يستقدمون اى لا
يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التاخر عن ذلك
الوقت للاياس عنه ولا يطلبون التقديم عليه ومعنى جاء اجلهم كما يقال جاء
الضيف اذا قارب وقته قوله عز وجل يا بنى ادم اما يا تينكم رسل منكم
يقصون عليكم اياتى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون ايتان الاعراب ما اصلها ان للجزاء دخلت عليه ما ولدخولها دخلت
النون الثقيله فى يا تينكم ولو قال ان يا تينكم لم يجز وقد شرحنا هذا فى سورة
البقرة وبيناه وقال سيبويه ان حتى ولما والا لا يجوز فيهن الامالة لان هذه
الالفات الزمت الفتح لانها اواخر حروف جاءت ففصل بينها وبين اواخر الاسماء
التى فيها الالف نحو حبلى وهدى الا ان حتى كتبت بالياء لانها على اربعة احرف

فاشبهت

فاشبهت سكرى واما التى للتحبيب شبهت بان التى ضمت اليها ما فكتبت بالالف
والا كتبت بالالف لانها لو كتبت بالياء لاشبهت الى المعنى لما تقدم ذكر النعم الدنيوية
عقبه بذكر النعم الدينية فقال يا بنى ادم هو خطاب يعم جميع المكلفين من بنى ادم
من جاءه الرسول منهم ومن جاز ان ياتيه الرسول معطوف على ما تقدم اى ان
يا تينكم رسل منكم اى من جنسكم يقصون عليكم اياتى يعرضونها عليكم ويخبرونكم
بها فمن اتقى انكار الرسل والايات واصلح عمله وقيل فمن اتقى المعاصى واجتنبها
والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم واصلح فلا خوف عليهم فى
الدنيا ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا اى بحججنا واستكبروا عنها اى
عن قبولها اولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون باقون على
وجه الدوام والتابيد قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفو نهم
قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين اللغة النيل وصول النفع الى المبعيد
اذا اطلق فان قيد وقع على الضرر لان اصله الوصول الى الشئ من نلت انال
نيلا قال امرؤ القيس اذا قبض ذا وبرذا او وفاذاء ونايل اذا صحا واذا سكر والتوفى
الشئ بتمام يقال توفيته واستوفيته المعنى ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه صورته صورة الاستفهام
والمراد به الاخبار وانما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ او كذب باياته الدالة
على توحيده ونبوة رسله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اى من العذاب كا
انه كنى عن العذاب بالكتاب لان الكتاب ورد به كقوله لقد حقت كلمة العذاب
على الكافرين عن الحسن وابى صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق
وما كتب لهم من الخير والشر فلا ينقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل
ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية حتى اذا جاءتهم رسلنا يعنى الملئكة

اى حتى اذا استوفوا ارزاقهم وجاءهم ملك الموت مع اعوانه يتوفونهم اى
يقبضون ارواحهم وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم
الى النار يوم القيمة عن الحسن قالوا يعنى الملائكة اينما كنتم تدعون من دون
الله من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السوال توبيخهم اى هلا دفعوا
عنكم ما نزل بكم من العذاب قالوا يعنى قال الكفار ضلوا عنا اى ذهبوا عنا
وبطلت عبادتنا اياهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اى اقروا على
نفوسهم بالكفر قوله عز وجل قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم
من الجن والانس فى النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا
ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اوليهم لاخريهم
فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ايتان
القراة قرا ابن كثير لا يعلمون بالياء الباقون بالتاء الحجه وجه القراة بالياء انه
حمل الكلام على كل لانه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحمل
على اللفظ دون المعنى اللغه الخلو انتفاء الشىء عن مكانه يقال خلا عن البيت
وكذلك خلت بمعنى مضت لانها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها
الجن جنس من الحيوان مستترون عن اعين الناس لرقتهم يغلب عليهم التمرد
فى افعالهم كما يغلب على الملك افعال الخير والضعف المثل الزايد على مثله فاذا
قال القايل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما اخر لا دينارا وكذلك
اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما اربعة وحكى ان المضعف فى كلام العرب ما كان
ضعفين والمضاعف ما كان ما اكثر من ذلك واداركوا اصله تداركوا
فادغمت التاء فى الدال واجتلب الف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذى بعده
ومعناه تلاحقوا المعنى قال ادخلوا هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيمة
وامره لهم فى الدخول ويجوز ان يكون اخبارا عن جعله اياهم فى جملة اولئك

ان يكون

مى جى

ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد به جعلهم كذلك فى
امم قد خلت اى فى جملة اقوام وجماعات قد مضت من قبلكم من الجن والانس
على الكفر فى النار وقيل ان فى بمعنى مع اى ادخلوا مع امم كافرة كلما دخلت
امة من هذه الامم النار لعنت اختها يعنى التى سبقها الى النار وهى اختها فى
الدين لا فى النسب يريد انهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل
يلعن الاتباع القادة والروساء اذا حصلوا فى العذاب بعد ما كانوا يتوادون
فى الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن ابى مسلم حتى
اذا اداركوا اى تلاحقوا واجتمعوا فيها اى فى النار جميعا اى كان هذا حالهم
حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا قالت اخريهم لاوليهم اى قال اخرهم دخولا النار
وهم الاتباع لاولهم دخولا وهم القادة والروساء ربنا هؤلاء اضلونا اى
شرعوا لنا ان نتخذ من دونك الها عن ابن عباس وقيل معناه دعونا الى الضلال
وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلام يعنى ائمة الجور
فاتهم عذابا ضعفا من النار اى فاعطهم عذابا مضاعفا قال ابن مسعود اراد
بالضعف هنا الحيات والافاعى وقيل اراد باحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالاخر
عذابهم على الاغواء قال الله تعالى لكل ضعف اى للتابع والمتبوع عذاب مضاعف
لانهم قد دخلوا فى الكفر جميعا ولكن لا تعلمون ايها المضلون والمضلون ما
لكل فريق منكم من العذاب وقالت اوليهم لاخريهم اى قال المتبوعون للتابعين
فما كان لكم علينا من فضل اى تفاوت فى الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيدنا فى عذابنا
وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الامة السابقة للامة المتاخرة ما كان لكم
علينا من فضل فى الراى والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا
وقيل من فضل اى من تخفيف من العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم قوله عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل

في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين آيتان القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرا ابو عمرو بالتاء والتخفيف والباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن النخير حتى يلج الجمل بالضم والتشديد وعن ابن عباس وسعيد بن جبير رواية اخرى وعبد الكريم وحنظله الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم وسكون الميم والجمل بضمتين وعن ابي السمال الجمل بفتح الجيم وسكون الميم الحجة حجة من قرا لا يفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنا ابواب السماء واما الجمل بالضم والتشديد والجمل بالتخفيف فكلاهما الحبل الغليظة من القنب وقيل هو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة واما الجمل فيجوز ان يكون جمع جمل فيكون مثل اسد واسد ووثن ووثن وكذلك المضموم ايضا كاسد ووثن قال ابن جني واما الجمل فبعيد ان يكون مخففا من جمل لخفة الفتحة وان كان قد جاء عنهم قوله ❊ وما كل مبتاع ولو سلف صفقة ❊ براجع ما قد فاته برداد ❊ اللغة السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لانه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم وسم وجمعه سموم قال الفرزدق ❊ فنفست عن سميه حتى تنفسا ❊ وقلت له لا تخش شيئا ورائيا ❊ يريد بسميه ثقبي انفه ويجمع السم القاتل سماما والخياط الابرة كاللحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من اسماء النار واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قولهم بئر جهنام اي بعيد قعرها والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا الامر اي وطاته له والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك اي يسترك ومنه غاشية السرج وفلان يغشى فلانا اي ياتيه ويلابسه الاعراب قال ابو علي النحويين في نحو غواش وجوابي

فولان احدهما مذهب سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفا لا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنة التي كالتنوين يعاقبها ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذف هنا الياء لا لالتقاء الساكنين كما يحذف اللين في الوقف في نحو والليل اذا يسر وذلك ما كانبغ وقد حذف في الوصل ايضا وكان الذي حسن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لانها قد صارت عوضا منها بدلالة تعاقبها وانما تحذف وفي الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجا عن الابنية الاول وثانيا الزم الحذف والقول الاخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال ناظر يونس النحوي وابو زيد والكسائي الى جواري وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقوه في المعتل وما كان يلحقه التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون القول الاول المعنى ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي تكبروا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تفتح ابواب السماء لارواحهم لا تفتح لارواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لاعمالهم ولدعائهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية اخرى وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم انه قال اما المؤمنون فترفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لان الجنة في السماء عن الجبائي ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابدا وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كانه استجهل من ساله عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التبعيد للشيء لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارظان قال الشاعر ❊ اذا شاب الغراب اتيت اهلي ❊ وصار القار كاللبن الحليب ❊ وقال اخر ❊ فرجي الخير

وانتظري وابلي اذا ما القارظ العنزي آبا ونعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده
ولا يتصور حصوله تاكيد له وتحقيق للياس من وجوده وكذلك نجزي المجرمين
اي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي ساير المجرمين المكذبين بايات الله تعالى لهم
اي لهؤلاء من جهنم مهاد اي فراش ومضجع ومن فوقهم غواش مثل قوله لهم
من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به لحف والمعنى ان النار محيطة بهم من
اعلاهم واسفلهم وكذلك نجزي الظالمين قال ابن عباس يريد الذين اشركوا
به واتخذوا من دونه الها قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا
ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدينا الله لقد جاءت رسل ربنا
بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ايتان القراة
قرا ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل الشام والباقون
مع الواو وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي اورثتموها مدغمة وكذلك في الزخرف
وقرا الباقون اورثتموها غير مدغمة الحجة قال ابو علي وجه الاستغناء عن حرف
العطف ان الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم
ذكر امثاله ومن ترك الادغام في اورثتموها فلتباين المخرجين كان الحرفين في حكم
الانفصال وان كانا من كلمة واحدة الا ترى انهم لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا
وان كانا مثلين لما لم يكونا لازمين الا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير
التاء فكذلك اورث قد يقع بعد الثاء منها غير التاء فلا يجب الادغام ووجه
الادغام ان الثاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك
اللغة الغل الحقد الذي ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول
بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغل الذي يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيها
والصدر ما يصدر من جهته التدبير والراي ومنه قيل للرئيس صدر والجريان

انحدار

انحدار المايع فالماء يجري والدم يجري وكلما يصح ان يجري فهو مايع والنهر
الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان
الاعراب لا نكلف نفسا الا وسعها جملة في موضع رفع بانه خبر الذين امنوا وحذف
العايد الى المبتدا فكانه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم
اي منوان منه بدرهم ويجوز ان يكون اعتراضا بين المبتدا والخبر ويكون الخبر
الجملة التي هي اولئك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب
وان تلكم الجنة يجوز ان يكون ان بمعنى اي لتفسير النداء فيكون المعنى
نودوا على وجه التهنية بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة
والهاء مضمرة والتقدير بانه تلكم الجنة قال الشاعر اكاشره واعلم ان كلانا
على ما ساء صاحبه حريص المعنى لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع
ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال والذين امنوا اي صدقوا بايات
الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها وعملوا الصالحات اي ما اوجبه الله عليهم او
ندبهم اليه لا نكلف نفسا الا وسعها التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة
من الكلفة التي هي المشقة اي لا يلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لان الوسع
دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما في وسعه
وان من استحق النار فمن نفسه اتي اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مقيمون
ونزعنا ما في صدورهم من غل واخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة
في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان راه ارفع درجة منه تجري من تحتهم الانهار
قيل انه في موضع الحال اي تجري ماء الانهار من تحت ابنيتهم واشجارهم في حال
نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استيناف وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا اي هدينا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بان دلنا عليه وعرضنا له
بتكليفه ايانا وقيل معناه هدينا الثبوت الايمان في قلوبنا وقيل نزع الغل من
صدورنا وقيل هدينا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة وما كنا لنهتدي لما يصيرنا

الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم لولا ان هدانا الله هذا اعتراف من اهل
الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنه عليهم في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ
بذلك لانه لا تكلف هناك لقد جاءت رسل ربنا بالحق وهذا اقرار منهم بان
ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة في صحته ونودوا
اى وينا ديهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه
لهم ان تلكم الجنة اى هذه الجنة وانما قال تلكم لانهم وعدوا بها في الدنيا
فكانهم قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فقال
لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تلكم الجنة اورثتموها اى اعطيتموها ارثا
صارت اليكم كما يصير الميراث لاهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم
عما كان اعد للكفار لو امنوا وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال
ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فيرث المؤمن
منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها
بما كنتم تعملون اى توحدون الله وتقومون بفرايضه قوله تعالى ..
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم
ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا وهم بالاخرة كافرون ايتان القراءة قرا الكسائى وحده نعم بكسر
العين كل القران والباقون بالفتح وقرا اهل المدينة والبصرة وعاصم ان
مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان بالتشديد لعنة الله بالنصب الحجة قال
الاخفش نعم ونعم لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقى العرب
وان التى تقع بعد العلم انما هى المشددة والمخففة عنها واذن مؤذن معناه
اعلم معلم ان لعنة الله ومن خفف ان فعلى ارادة اضمار القصة والحديث
وتقديره انه لعنة الله ومثله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير

انه

انه ولا يخفف ان هذه الا واضمار القصة والحديث يراد معها والمكسورة اذا
خففت لا يكون كذلك والفصل بينهما ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضى
صلتها فصارت لاقتضائها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر
بعدها الضمير الذى هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك الاعراب قال
سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو على والذى يريد
بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجتمع التصديق
مع العدة الا ترى انه اذا قال اتعطينى فقلت نعم كان عدة ولا تصديق في هذا واذا
قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة في هذا فليس هذا القول من
سيبويه كقوله في اذا انها جواب وجزاء لان اذا يكون جوابا في الموضع الذى يكون
فيه جزاء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم
ولو كان مكان الايجاب النفى لقلت بلى ولم يقل نعم كما لا تقول في جواب الموجب
بلى قال الست بربكم قالوا بلى والذين يصدون في موضع جر بانه صفة للظالمين
وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بانه مفعول به بمعنى تبغون لها العوج ويجوز
ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى تطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول
رجع القهقرى اى رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدا البشكى واشتمل
الصماء والعوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتح يكون في الخلقة
يقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر المعنى ثم حكى سبحانه ما يجرى
بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم في الدارين فقال ونادى اى وسينادى
اصحاب الجنة اصحاب النار اى اهل الجنة اهل النار وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق
المعنى جعل ما سيكون كانه قد كان لانه كاين لا محالة وذلك ابلغ في الردع ان قد
وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في كتبه وعلى السنة رسله حقا فهل وجدتم
ما وعدكم من العقاب حقا وانما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لان الكفار
ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكانهم لم يوعدوا بالجنة

واِنما سألوهم هذا السوال لان الكفار كانوا يكذبون المومنين فيما يدعون
لانفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سوال توبيخ وشماتة يزيد به سرور
اهل الجنه وحسرة اهل النار قالوا نعم اى قال اهل النار انا وجدنا ربنا من
العقاب حقا وصدقا فاذن موذن بينهم اى نادى مناد بينهم اسمع الفريقين
ان لعنة الله على الظالمين اى غضب الله وسخطه واليم عقابه على الكافرين لانه
وصف الظالمين بقوله الذين يصدون عن سبيل الله اى يعرضون عن الطريق
الذى دل الله سبحانه على انه يودى الى الجنه وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل
الله اى دينه والحق الذى دعا اليه ويبغونها عوجا قال ابن عباس معناه يصلون
لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه الذى
التى يلبسون بها ويوهمون انها تقدح فيها وهى معوجة عن الحق بتناقضها
وهم بالاخرة اى بالدار الاخرة يعنى القيمه والبعث والجزاء كافرون جاحدون
وقيل فى الموذن انه مالك خازن النار وروى عن ابى الحسن الرضا عليه السلم
انه قال الموذن امير المومنين على عليه السلم ذكره على بن ابراهيم فى تفسيره قال
حدثنى ابى عن محمد بن فضيل عن الرضا عليه السلم ورواه الحاكم ابو القاسم الحكانى
باسناده عن محمد بن الحنفيه عن على عليه السلم انه قال انا ذلك الموذن وباسناده
عن ابى صالح عن ابن عباس ان لعلى فى كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله
فاذن موذن بينهم فهو الموذن بينهم يقول الا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتى
واستخفوا بحقى قوله عز وجل وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون
كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين ايتان اللغة الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرير
محجوب وحاجب الامير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة اخذ من عرف
الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بظهوره اعرف مما

ثلث ع

الخفض

انخفض قال الشماخ وظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز
وقال آخر كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفى على الاعراف يعنى نشوز من الارض
والسيماء العلامة وهى فعلى من سام ابله يسومها اذا ارسلها فى المرعى معلمة وهى
السائمة وقيل ان وزنه عفلى من وسمت فقلبت كما قالوا له جاه فى الناس واصله
وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل وارض خامة اى وخيمة وفيه ثلث لغات سيما
وسيماء بالقصر والمد وسيمياء على وزن كبرياء قال الشاعر له سيمياء ما تشق على
البصر والتلقاء جهة اللقاء وهى جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان
تقول هو تلقائك نحو هو حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة التى يدرك
بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر يقال له بصر بالاشياء اى علم بها وهو بصير
بالامور اى عالم المعنى ثم ذكر سبحانه الفريقين والجزاء فقال وبينهما حجاب اى بين
الفريقين اهل الجنة واهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة
والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدى وفى التنزيل فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائى
وقيل الاعراف الصراط عن الحسين بن فضل وعلى الاعراف رجال اختلف فى المراد بالرجال
ههنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين
النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هنالك حتى يقضى الله فيهم ما شاء ثم
يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكران بكر بن عبد الله المزنى قال للحسن
بلغنى انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن يده على فخذه ثم هؤلاء قوم
جعلهم الله على تعريف اهل الجنه والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادرى
لعل بعضهم معنا فى هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه
حمزة والعباس وعلى وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد
الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبى باسناده فى تفسيره وقيل انهم
الملئكه فى صورة الرجال يعرفون اهل الجنه والنار ويكونون خزنة الجنة

والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الاخرة عن ابي مجلز
وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول
الاخرة عن الجبائي وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم هم ال محمد عليهم السلم لا يدخل
الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال ابو
عبد الله جعفر بن محمد عليه السلم الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها
كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفا
من جنده وقد سيق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين
معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سيقوا فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون
يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله اياها بشفاعة
النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا فئة
للقوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء اهل النار مقرعين
لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم يعني اهؤلاء
المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لاهؤلاء
المستضعفين عن امر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
ويؤيده ما رواه عمر بن شيبة وغيره ان عليا عليه السلم قسيم النار والجنة ورواه ايضا
باسناده عن النبي صلى الله عليه واله انه قال يا علي كاني بك يوم القيمة وبيدك عصا عوسج
تسوق قوما الى الجنة واخرين الى النار وروى الحاكم ابو القسم الحسكاني باسناد
رفعه الى الاصبغ بن نباتة قال كنت جالسا عند علي عليه السلم فاتاه ابن الكواء فسأله عن
هذه الاية فقال ويحك يا ابن الكواء نحن نوقف يوم القيمة بين الجنة والنار فمن نصرنا
عرفناه بسيماه فادخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فادخلناه النار وقوله
يعرفون كلا بسيماهم يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق
بسيماهم يعرفون اهل الجنة بسيما المطيعين واهل النار بسيما العصاة ونادوا اصحاب

الجنة

الجنة يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة ان سلام عليكم وهذا تسليم
تحية وسرور بما وهب الله لهم لم يدخلوها اي لم يدخل الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود
والحسن وقتادة وهم يطمعون اي يدخلوها وقيل ان الطمع هيهنا طمع يقين مثل قوله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي واذا صرفت ابصارهم
يعني ابصار الذين على الاعراف تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم فنظروا اليهم وانما قال
صرفت ابصارهم لان نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت وجوههم اليهم
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي لا تجمعنا واياهم في النار وروي ان في
قراءة عبد الله بن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك
ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عليه السلام قوله عز وجل ونادى
اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم
تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون اي ان اللغة النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير
دعا الا ان الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن باشارة تنبئ عن
معنى تعال ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع
المكروه وهو ضد الامن وهو الثقة بانتفاء المكروه الاعراب هؤلاء مبتدا وخبره
الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدا محذوف لتقدير اهؤلاء
هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهو داخل في صفة الذين
لان الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين
احدهما لان المبهم لا يوصف الا بالجنس والاخر انه يبقى المبتدا بلا خبر المعنى ثم بين سبحانه
خطاب اصحاب الاعراف لاصحاب النار فقال ونادى اي وسينادي اصحاب الاعراف
رجالا من اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم اي بصفاتهم يدعونهم باساميهم وكناهم
ويسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم
من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا

يعرفونهم بها في الدنيا عن ابي مسلم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم الاموال والعدد في
الدنيا وما كنتم تستكبرون اي واستكباركم عن عبادة الله تعالى وعن قبول الحق
وقد كان نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم ثم تقبلوا منا فاين ذلك المال واين
ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد لانبياء
الله في الدنيا عن الجبائي اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اي حلفتم انهم لا يصيبهم الله
برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون اي لا خائفين ولا محزونين على اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا التقريع
على الذين ندروا على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت
اقوال المفسرين في القائل لهذا القول فقال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو
كلام الله تعالى وقيل كلام الملائكة والصحيح ما ذكرناه لانه المروي عن الصادق عليه السلام

قوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم
لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما
كانوا بآياتنا يجحدون ايتان اللغة الافاضة اجراء الماء في علو ومنه قولهم افاضوا
في الحديث اي اخذوا فيه من اوله لانه بمنزلة اعلاه وافاضوا من عرفات الى المزدلفة صاروا
اليها واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المرح بما لا يحسن ان
يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء الاعراب قال ان افيضوا
علينا من الماء او مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وان كان التقدير افيضوا
احد هذين لانه جاء على قولهم جالس الحسن وابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعا وقوله
الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعا
بالابتداء فيكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم المعنى ثم ذكر سبحانه كلام
اهل النار وما اظهروه من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال ونادى
اي وسينادي اصحاب النار وهم المخلدون في النار وفي عذابها اصحاب الجنة ان

افيضوا

افيضوا علينا من الماء اي صبوا علينا من الماء نسكن به العطش او ندفع به حر النار اي
مما رزقكم الله اي اعطاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد قالوا يعني اهل الجنة
جوابا لهم ان الله حرمهما على الكافرين ويسال فيقال كيف يتنادى اهل الجنة واهل
النار واهل الجنة في السماء على ما جاءت به الرواية واهل النار في الارض وبينهما
ابعد الغايات من البعد واجيب عن ذلك بانه يجوز ان يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع
من السماع ويجوز ان يقوي الله اصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض الذين اتخذوا دينهم
لهوا ولعبا اي اعدوا دينهم الذي امرهم الله تعالى به للهو واللعب دون التدين به
وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به والتجنب من محظوراته
لعبا ولهوا فحرموا ما شاءوا واستحلوا ما شاءوا بشهواتهم وغرتهم الحيوة الدنيا اي
اغتروا بها وبطول البقاء فيها وكان الدنيا غرتهم فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء
يومهم اي نتركهم في العذاب كما تركوا التاهب والعمل للقاء هذا اليوم عن ابن عباس
والحسن ومجاهد وقيل معناه نعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم
دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن
الجبائي وما كانوا بآياتنا يجحدون ما في الموضعين بمعنى المصدر تقديره كنسيانهم
لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لآياتنا واختلف في هذه الآية فقيل ان الجميع
كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن اهل الجنة وتم كلام اهل الجنة بقوله فاليوم
ننسيهم قوله عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة
لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه
من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ايتان
اللغة الكتاب صحيفة فيها كتابة والكتاب حروف مسطورة تدل بتاليفها على
معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظاير ينظرون اي ينتظرون
والانتظار هو الاقبال على ما ياتي بالتوقع له واصله الاقبال على الشيء بوجه

من الوجوه والتاويل ما يؤول اليه حال الشئ والنسيان ذهاب المعنى عن
النفس واختلفوا المتكلمون فيه فقال ابو علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم
ليس بمعنى وانما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري
واليه ذهب المرتضى الاعراب هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان
يكون مفعولا به وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع
على الاستيناف او بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب
لانه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة او نرد على
تقدير او هل نرد فنعمل اي هل يكون لنا رد وان نعمل اي فعمل ما غير ما كنا
عملناه المعنى لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه انه قد اتاهم الكتاب والحجة
فقال ولقد جئناهم بكتاب وهو القران فصلناه بيناه وفسرناه على علم اي
ونحن عالمون به ولما كانت لفظة عالم ماخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم
ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الموجود كذلك هدى ورحمة
لقوم يؤمنون اي دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع
المؤمنين لانهم المنتفعون به هل ينظرون الا تاويله اي هل ينتظرون
الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول معنه امورهم اليه عن الحسن وقتاده ومجاهد
والسدي وانما اضاف اليهم مجاز الانهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين
له وانما كان ينتظرهم المؤمنون لايمانهم بذلك واعترافهم به وقيل ان تاويله
ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي يوم ياتي تاويله
اي يوم ياتي عاقبة ما وعدوا به يقول الذين نسوه من قبل اي يقول الذين تركوا
العمل به ترك الناسي له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج قد جاءت رسل ربنا
بالحق اعترفوا بان ما جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا تمنوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في
ازالة العقاب او نرد اي وهل نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمله من الشرك

والمعصية

والمعصية قد خسروا انفسهم اي اهلكوها بالعذاب وضل عنهم ما كانوا
يفترون على الاصنام بقوله انها الهة وانها تشفع لها قوله تعالى
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اية القراءة قرا اهل
الكوفة غير حفص ويعقوب يغشي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون
بالتخفيف وقرا ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون
بالنصب الحجة قال ابو علي غشي فعل متعد الى مفعول واحد فاذا نقلته بالهمزة
او بتضعيف العين تعدى الى مفعولين وقد جاء التنزيل بالامرين قال
فغشيها ما غشى فما في موضع النصب بانه المفعول الثاني وقال فاغشيناهم
فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فاغشيناهم
العمى او فقد الرؤية عنهم فاذا جاء التنزيل بالامرين فكلا الفريقين بما جاء في
التنزيل وقوله يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بانه
مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل يغشي النهار الليل كما
قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا
يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم انه حمله على خلق كما قال واسجدوا لله
الذي خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
ومما في السماء الشمس والقمر فاذا اخبر بتسخيرهما حسن الاخبار عنهما به كما انك
اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب اللغة قد بينا معنى الاستواء
في سورة البقرة عند قوله ثم استوى الى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم
والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها
والحثيث السير السريع بالسوق واصل البركة الثبات ومنه براكاء القتال الاعراب
قوله حثيثا يجوز ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما جميعا ومثله

قوله فاتت بر قومها تحمله كذلك ومثله قول الشاعر متى ما تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا **المعنى** لما ذكر الله سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله
احتج عليهم بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال
مخاطبا لجميع الخلق ان ربكم الله اى سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو
الله الذى خلق السموات اى انشا اعيانها وابدعها لا من شئ ولا على مثال
ثم امسكها بلا عماد يدعمها والارض اى وانشا الارض واوجدها كذلك
فى ستة ايام اى فى مقدار ستة ايام من ايام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر
خلق امثال ذلك فى لحظة ولكنه خلقهما فى هذه المدة لمصلحة ورتبهما على ايام الاسبوع
فابتدا بالاحد والاثنين والثلثا والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق
يوم الجمعه فلذلك سمى جمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء
شئ بعد شئ على ترتيب ادل على كون فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره ويجريه
على مشيته وقيل انه سبحانه علم خلقه التثبت والرفق فى الامور عن سعيد بن
جبير ثم استوى على العرش اى استوى امره على الملك عن الحسن يعنى استقر ملكه
واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما اخرج هذا
على المتعارف من كلام العرب لقولهم استوى الملك على عرشه اذا انتظمت امور
مملكته واذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير
ولا يجلس على سرير ابدا **قال الشاعر** اذا ما بنو امروان ثلت عروشهم ۰ واودت
كما اودت اياد وحمير ۰ **وقال** ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم ۰ بعتيبة بن
الحارث بن شهاب ۰ وقيل معناه استولى عليه بان رفعه عن الجباء وقيل معناه
ثم قصد الى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضى قال دل بقوله
ثم ان خلق العرش كان بعد السماء والارض وروى عن مالك بن انس انه قال
الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسوال عنه بدعة وروى عن ابى حنيفة
انه قال امروها كما جاءت لا تفسروها يغشى اى يلبس الليل النهار يعنى يأتى باحدهما

بعد

بعد الاخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل ويغشى النهار الليل
لان الكلام يدل عليه وقد ذكر فى مواضع اخر يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل يطلبه حثيثا اى يتلوه فيدركه سريعا وهذا توسع يريد انه يأتى
فى اثره كما يأتى الشئ فى اثر الشئ طالبا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
اى مذللات جاريات فى مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن
قرأ مسخرات بالنصب فانه منصوب على الحال الا له الخلق والامر انما فصل بين
الخلق والامر لان فائدتهما مختلفة لانه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالامر
ان له ان يأمر فى خلقه بما احب ويفعل بهم ما شاء تبارك الله اى تعالى بالوحدانية
فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات
المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة اى البركة فى ذكر اسمه رب
العالمين **قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله
قريب من المحسنين** ايتان **القراءة** قرا ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون
بضمها وهما لغتان **اللغة** التضرع التذلل اظهار الذل الذى فى النفس ومثله
التخشع ومنه التطلب لامر من الامور واصل التضرع الميل فى الجهات ذلا من قولهم
ضرع الرجل يضرع ضرعا اذا مال باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع
الشاة لان اللبن يميل اليه ومنه المضارعة للشابهة لانها تميل الى شبه والضريع
نبت لا يسمن لانه يميل مع كل داء والخفيه خلاف علانية والهمزة فى الاخفاء منقلبه
عن الياء كما ان الهمزة فى الغناء منقلبه عن الياء بدلالة الغنيه وقالوا اخفيت الشئ
اذا اظهرته **قال** يخفى التراب باظلاف ثمانية ۰ فى اربع مسهن الارض تحليل ۰ ويمكن
ان يكون اخفيت الشئ اى ازلت اظهاره واذا ازلت اظهاره فقد كتمته كما ان اشكيته
بمعنى ازلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع المحبوب
وضده الياس وهو القطع بانتفاء المحبوب **الاعراب** تضرعا وخفية مصدران

وضعا موضع الحال اى ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفا وطمعا فى موضع
الحال اى خائفين عقابه وطامعين فى رحمته قال الفراء انما ذكر قريب ولم يؤنث
ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لان
كل ما قرب فى مكان او نسب فهو جار على ما يصيبه من التانيث والتذكير والوجه تذكيره
هنا ان الرحمة والغفران والعفو فى معنا واحد وكذلك كل تانيث ليس بحقيقى قال
الاخفش جائز ان يكون اراد بالرحمة هنا المطر فلذلك ذكره ومثله قول الشاعر يا ايها
الراكب المزجى مطيته · سائل بنى اسد ما هذه الصوت · اى ما هذه الصيحة وقول الاخر
ان السماحة والمروة ضمنا · قبرا بمرو على الطريق الواضح · **المعنى** ثم امر سبحانه بعد ذكر
دلايل توحيده بدعائه على وجه الخشوع كافة عبيده فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
اى تخشعا وسرا عن الحسن قال بين دعوة العلانية سبعون ضعفا ثم قال ان الرجل
لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به
الناس وان كان الرجل ليصلى الصلوة الكثيرة فى بيته وعنده الزور فلا يشعرون به
ولقد تداركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملوه فى السر فيكون
علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان
الا همسا بينهم وبين ربهم وروى ان النبى صلى الله عليه واله كان فى غزاة فاشرفوا
على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال عليه السلام
اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم
وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفيه السر يعنى ادعوه علانية وسرا عن ابى مسلم وروى
عن ابن ابراهيم فى تفسير انه لا يحب المعتدين فى الدعاء قيل هو ان يطلب منازل الانبياء
فيجاوز الحد فى الدعاء عن ابى مجلز وقيل هو الصياح فى الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه
لا يحب المجاوزين الحد الموسوم فى جميع العبادات والدعوات ولا تفسدوا فى الارض
بعد اصلاحها ومعناه النهى عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصى فى الارض
بعد ان اصلحها الله تعالى بالكتب والرسل عن الحسن والسدى والضحاك والكلبى وقيل

بعد ان امر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع اوامر الله تعالى فيها وروى
عنه ايضا انه قال لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها
بالظلم بعد اصلاحها بالعدول وقيل لا تعصوا فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك
الحرث بمعاصيكم عن عطيه وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله
اياها بالمطر والخصب وروى ميسر عن ابى جعفر عليه السلام فى هذه الاية قال ان
الارض كانت فاسدة فاصلحها الله بنبيه عليه السلام وادعوه خوفا من عقابه وطمعا
فى ثوابه وقيل خوفا من الرد وطمعا فى الاجابة وقيل خوفا من عدله وطمعا فى فضله
عن ابن جريج وقيل معناه خوفا من النيران وطمعا فى الجنان عن عطاء ان رحمة الله
قريب من المحسنين معناه ان انعام الله قريب الى فاعل الاحسان وقيل ان رحمة الله
اى ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش
ويؤيده قوله فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها والاحسان هو النفع
الذى يستحق به الحمد والاساة هى الضرر الذى يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين
من خلصت افعاله من الاساة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضى ذلك بل الذى
يقتضيه ان رحمة الله واصلة الى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل الى من جمع
الاحسان والاساة وذلك موقوف بالدلالة **قوله عز وجل وهو الذى يرسل
الرياح نشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا
به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلهم يذكرون والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف
الايات لقوم يشكرون** ايتان **القراءة** قرا ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضمومة
النون والشين وقرا اهل المدينة والبصرة الرياح جمع نشرا بضم النون والشين
حيث كان وقرا اهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرا
ابن عامر الريح نشرا بضم النون وسكون الشين وقرا عاصم الرياح بشرا بالباء ساكنة الشين
وقرا ابو جعفر الا نكدا بفتح الكاف والباقون نكدا بالكسر **الحجة** قال ابو على اعلم ان

الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسرة فاما في الجمع القليل
فصحت لانه لا شيء فيه يوجب الاعلال الا ترى ان الفتحة لا توجب اعلال هذه الواو
في نحو قوم وقول فاما في الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها واذا كانت
انقلبت في عودة وعيد وحيلة وحول فان تنقلب في رياح اجدر لوقوع الالف بعدها
والالف تشبه الياء والياء اذا تاخرت عن الواو وجب فيها الاعلال وكذلك الالف
لتشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد بها الكثرة كقولهم
كثر الدرهم والدينار والشاء والبعير وان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين امنوا
وكذلك من قرأ الريح نشرا فافرده ووصفه بالجمع فانه حمله على المعنى وقد اجاز
ابو الحسن ذلك وقال فيها اثنتا واربعون حلوبة ∴ سودا كخافية الغراب الاسود ∴
ومن نصب حمله على المعنى لان هو نشرا احسن وهذا وجه قراة ابن كثير وقول من
جمع الريح اذا وصفها بالجمع الذي هو نشرا احسن لان الحمل على المعنى ليس بكثير
كالحمل على اللفظ واما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه واله كان يقول
اذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلان عامة ما جاء في التنزيل على
لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وان يرسل الرياح
مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فاهلكوا بريح صرصر ريح فيها
عذاب اليم ابو عبيدة نشرا متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا
اذا بعثها وانشر الله الريح مثل احيا فنشرت هي اي حييت والدليل على ان انشار
الريح احياؤها قول المرار الفقعسي وهبت له ريح الجنوب واحييت له ريدة يحيي
المياه نسيمها والريدة والريدانة قال وودت به ريدانة صرصر ومن قرأ نشرا احتمل
ضربين يجوز ان يكون جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فاذا جعله
جمع نشور احتمل امرين احدهما ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمعنى المركوب
فكان المعنى ريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور
ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشرا جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل

وقائل

وقائل وقتل قال الاعشى انا لامثالكم يا قومنا قتل وقول ابن عامر نشرا يحتمل الوجهين
ان يكون على فعول وفاعل فخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل
كبازل وبزل وعائط وعيط واما من قرأ نشرا فانه يحتمل ضربين احدهما ان يكون
المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا منها احتمل امرين احدهما ان يكون النشر
الذي هو خلاف الطي كانها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تاويل ابي عبيدة
ان يكون متفرقة في وجوهها والاخر ان يكون النشر الذي هو الحيوة في نحو قوله
يا عجبا للميت الناشر فاذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل
كما يقول اتانا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كانه يرسل
الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوائد من المصدر كما قال عمرك الله وكما قال
وان يهلك فذلك كان قدري اي تقديري والضرب الاخر ان يكون نشرا ينتصب
انتصاب المصدر من باب صنع الله لانه اذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على
نشر الرياح نشرا ونشر نشرا من قوله كما تنشر بعد الطية الكتب ومن نشرت الريح كما
نشر الميت وقراة عاصم بشرا جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر
بالمطر والرحمة وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه قراة ابي جعفر نكدا انه لغة
في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان اخران نكدا ونكدا الا انه لم يثبت بهما رواية
الاقلال حمل الشيء باسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل
بحمله استقلالا واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب والسوق
حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال استقل بحمله استقلالا واقله اقلالا
والبلد هو الارض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للاعراب ونحوهم من الاكراد
والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد
ونكد وقد نكد اذا سئل فبخل قال الشاعر واعط ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود
والناكد لما اخبر الله سبحانه في الاية المتقدمة بانه خلق السموات والارض وما
فيهما من البدايع عطف على ذلك بقوله وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته

تعداد النعم على بريته اى يطلقها ويجريها منتشرة فى الارض او محيية للارض او
مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر حتى اذا اقلت اى حملت و رفعت سحابا ثقالا بالماء سقناه لبلد ميت اى الى بلد ميت وموت البلد تعفى مزارعه
ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير الى لفظ
السحاب والرياح تحمل السحاب من المواضع المختلفة حتى اذا اتصل السحاب انزل المطر
فانزلنا به الماء يجوز ان يكون الضمير فى به راجعة الى البلد اى فانزلنا بالبلد
الماء ويجوز ان يكون راجعة الى السحاب اى فانزلنا بالسحاب الماء فاخرجنا به
اى بهذا المنزل او بهذا البلد من كل الثمرات يحتمل ان يكون من للتبعيض و يحتمل
ان يكون لتبيين الجنس كذلك نخرج الموتى اى كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج
الموتى بان نحييها بعد موتها لعلكم تذكرون اى تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا
بان من قدر على انشاء الاشجار والثمار فى البلد الذى لا ماء فيه ولا زرع بريح
يرسلها فانه يقدر على احياء الاموات بان يعيدها الى ما كانت عليه ويخلق فيها
الحيوة والقدرة واستدل ابو القسم البلخى بهذه الاية ان كثيرا من الاشياء يكون
بالطبع قال ان الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذى ينزله من السماء ثم قال
ولا ينبغى ان ينكر ذلك وانما ينكر قول من يقول بتقدم الطبايع او ان الجمادات
فاعلة واما من قال ان الله تعالى هو الفاعل لهذه الاشياء غير انه يفعلها تارة مخترعة
بلا وسائط وتارة يفعلها بوسائط فلا كراهة فى ذلك كما نقول فى السبب والمسبب
وانكر عليه هذا القول اكثر اهل العدل وقالوا ان الله سبحانه اجرى العادة باخراج
النبات عند انزال المطر مع قدرته اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من
وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الارض التى ياتيها المطر
فقال والبلد الطيب ترابه يخرج نباته اى زروعه خروجا حسنا ناميا زاكيا من غير
كد ولا عناء باذن ربه وانما قال باذن ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الارادة
من غير تعب ولا نصب والذى خبث لا يخرج الا نكدا والارض السبخة التى خبث ترابها



الروح
لا يخرج ريعها الاشيا قليلا لا ينتفع به عن السدى ومعناه الا عسيرا ممتنعا من الخروج
لو اراد سبحانه ان يخرج من الارض النكدة اكثر مما يخرج من الارض الطيبة لامكنه
الا انه جرى العادة باخراجه من الارض الطيبة ليكون ذلك باعثا للانسان على
طلب الخير من مظانه ودلالة على وجوب الاجتهاد فى الطاعات فاذا اذا حمل
نفسه على ابتغاء الخير البر الذى لا يدوم وربما لا يحصل فان يبتغى النعيم الدائم
الذى لا يفنى ولا يبيد بالاعمال الصالحة اولى كذلك نصرف الايات اى الدلالات
المختلفة لقوم يشكرون معناه كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين و قيل
كما صرفنا الايات لكم بالاتيان اية بعد اية وحجة بعد اخرى نصرفها لقوم
يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته اياهم لما فيه نجاتهم
ومصيرهم سبيل اهل الضلال وامره اياهم بجنب ذلك والعدول عنه وروى
عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربه الله للمومنين والكافر حتى
بان الارض كلها جنس واحد الا ان منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر
ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئا وان انبت فلا منفعة فيه وكذلك القلوب
كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله
تعالى من لان قلبه لذكره قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
قال الملأ من قومه انا لنريك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة
ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم
من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى
الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين ست ايات القراءة
قرا ابو جعفر والكسائى من اله غيره بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرا
ابو عمرو وحده ابلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها الحجة قال ابو على

ع ١٢

وجه قراءة من جر جعل غير صفة لاله على اللفظ وجعل لكم مستقرا وجعله غير مستقر
واضمر الخبر والخبر ما لكم في الوجود او في العالم او نحو ذلك لابد من هذا الاضمار
اذا لم تجعل لكم مستقرا لان الصفه والموصوف لا يستقل بهما كلام ووجه من رفع
قوله ما من اله الا الله فكما ان قوله الا الله بدل من قوله من اله كذلك قوله غيره بدلا
من قوله من اله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذى بعد الا وهذا الذى ذكرنا اولى ان
يحمل عليه من ان يجعل غير صفة لاله على الموضع فان قلت ما ينكر ان يكون الا الله صفة
لقوله من اله على الموضع كما كان قوله لو كان فيهما الهة الا الله صفة لالهة قيل ان
الا بكونها استثناء اعرف واكثر من كونها صفة وانما جعلت صفة على التشبيه بغير
فاذا كان الاستثناء اولى حملنا هل من خالق غير الله ولابد من اضمار الخبر كانه من خالق
للعالم غير الله ويؤكد ذلك لا اله الا الله فهذا استثناء من منفى مثل لا احد في الدار
الا زيد واما قراءة حمزة والكسائى هل من خالق غير الله فعلى ان جعلا غير صفة للخالق
واضمر الخبر كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلا من المنفى وهو الاولى عندنا
لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله ما من اله الا الله واما ابلغكم فالقول فيه
ان بلغ يتعدى الى مفعول في نحو بلغني الخبر فاذا نقلته تعدى الى مفعولين والنقل
يكون بالهمزة وبتضعيف العين وكلا الامرين جاء به التنزيل قال سبحانه يا ايها الرسول
بلغ ما انزل الى قوله فما بلغت رسالته وقال فان تولوا فقد ابلغتكم وليعلم ان قد
ابلغوا اللغة الملاء الجماعة من الرجال خاصة ومثله النفر والقوم والرهط عن الفراء وسموا
بذلك لانهم يملاؤن المحافل والقوم الجمع الذى يقوم بالامر سموا بالمصدر والابلاغ
ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة
من اللفظ والبليغ الذى ينشئ البلاغة لا الذى ياتى بها على وجه الحكاية والفرق بين
الابلاغ والاداء ان الاداء ايصال الشئ على الوجه الذى يجب فيه ومنه فلان ادى الدين
اداء وفلان حسن الاداء لما يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهى جملة
من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره والنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في

المعاملة

المعاملة والفلك السفن تقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور مشتق من قولهم فلك
ثدي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك الاعراب يا قوم حذفت ياء الاضافة
لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز ان يحذف في غير النداء للاجتزاء
بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع سببين فيها لكني اصله لكنني حذفت النون لاجتماع
النونات ويجوز الاتمام في غير القرآن لانه الاصل وكذلك انى وكانى فاما ليتنى فلا
يجوز فيه الا اثبات النون لانه لم يعرض فيه علة الحذف واما لعلى فيجوز فيه الوجهان
لان اللام قريبة من النون رسول من رب العالمين من هنا لابتداء الغاية اى هو
ابتدائى بالرسالة وكل مبتدئ بفعل فذلك الفعل منه واصل من ان يكون لابتداء
الغاية المعنى لما بين سبحانه الادلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب
رسله تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله وتثبيتا له على احتمال الاذى من قومه
وتحذيرا لهم عن الاقتداء باولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتداء بقصة نوح فقال
لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام للقسم وقد تاكيد للكلام وتقديره حقا اقول انا
حملنا نوحا الرسالة الى قومه وتحميل الرسالة تكليف القيام بها وهى منزلة جليلة شريفة
يستحق الرسول بتقبله اياها وقيامه باعبائها من التعظيم والاجلال ما لا يستحق
بغيره وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ النبى وهو ادريس عليه السلم وهو اول
نبى بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذى مات فيه ادم عليه السلم
قبل موت ادم في الالف الاولى وبعث في الالف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث
وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان في تلك الالف
ثلثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه
الا فرارا وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومى فانهم
لا يعلمون ثم شكاهم الى الله تعالى ففرقت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة
وروى اكثر من ذلك ايضا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اخبر سبحانه
انه امرهم بعبادة الله وحده لانه لا اله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم على

مخالفته فقال انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم انما قال اخاف ولم يقطع لانه جوز
ان يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال قال الملاء من قومه اى الجماعة من قومه على الجبابرة
وقيل الاشراف والروساء الذين يملاؤن الصدور هيبة وجمالا عن ابي مسلم انا
لنريك فى ضلال مبين قيل معناه روية القلب الذى هو العلم اى انا لنعلمك فى ذهاب
من الحق بين ظاهر لدعائك ايانا الى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه روية البصر اى
نراك بابصارنا على هذه الحال وقيل انه من الراى الذى هو غالب الظن فكانه قال
انا لنظنك قال يا قوم ليس بى ضلالة هذا اخبار عما اجابهم به نوح عليه السلام
اى ليس بى عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لان معناه عرض
به ذلك كما يقال به جنة ولا يجوز ان يقال به معرفة لانها ليست مما يعرض لصاحبها
ولكن يصح ان يقال به جوع وبه عطش ولكنى رسول من رب العالمين الذى يملك كل شئ
ابلغكم رسالات ربى اى اؤدى اليكم ما حملنى ربى من الرسالات وانصح لكم فى تبليغ الرسالة
على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان واعلم من الله اى من صفات الله وتوحيده
وعدله وحكمته ما لا تعلمون وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة
عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل انما قال ذلك لان قوم نوح لم يسمعوا قط ان الله
سبحانه عذب قوما وقد سمعت الامم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى ان هودا قال جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وقال نخب مثل ما اصاب قوم نوح او عجبتم هذه همزة دخلت
على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستانف من وجه
متصل من وجه ان جاءكم ذكر اى لان جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة من ربكم على رجل
منكم لينذركم اى على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب ان لم تؤمنوا وقيل ان على ههنا بمعنى مع اى مع
رجل منكم تعرفون مولده ومنشاه ليعلمكم موضع المخافة وانما انكر عليهم التعجب لانه ليس فى
ارسال الله اليهم ليرشدهم الى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وانما العجب من اهمال امرهم كيف وجوب الرسالة
اذا كان للخلق فيها مصلحة امر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل ولتتقوا اى ولتتقوا الشرك
والمعاصى ولعلكم ترحمون اى ولكى ترحموا قال الحسن ولتتقوا رجاء ان ترحموا فكذبوه اى فكذبوا نوحا

فنادهم اليه فانجيناه والذين معه فى الفلك اى فخلصناه والذين كانوا معه فى السفينة وهم
المؤمنون من عذاب الغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى واهلكنا الذين كذبوا بدلائلنا بالماء
انهم كانوا قوما عمين عن الحق اى ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم اذا كان اعمى القلب ورجل
اعمى فى البصر قال زهير ولكننى عن علم ما فى غد عمى قصة نوح عليه السلام وقد ذكرنا نسبه وكان من
قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده فى كتاب النبوة مرفوعا الى ابى عبد الله عليه السلام قال
لما ان بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقيب هبة بن نوح تصديق ما فى ايديهم
من العلم وعرفوا ان العلم الذى فى ايديهم هو العلم الذى جاء به نوح صدقوه وسلموا له فاما ولد
قابيل فانهم كذبوه وقالوا ان الجن كانت قبلنا فبعث الله اليهم ملكا فلو اراد ان يبعث الينا
لبعث الينا ملكا من الملائكة حنان بن سدير عن ابى عبد الله عليه السلام قال آمن مع نوح من قومه
ثمانية نفر وفى حديث وهب بن منبه ان نوحا عليه السلام كان اول نبى نباه الله عز وجل بعد ادريس
وكان الى الادمة ما هو دقيق الوجه فى راسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا
جسيما دعا قومه الى الله حتى انقرضت ثلثة قرون منهم كل قرن ثلثمائة سنة يدعوهم ليلا
ونهارا وسرا وجهرا فلا يزدادون الا طغيانا ولا ياتى منهم قرن الا كان اعتى على الله من
الذين قبلهم وكان الرجل منهم ياتى بابنه وهو صغير فيقيمه على راس نوح فيقول يا بنى ان بقيت
بعدى فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون الى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دما
وحتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به فى بيت او على داره مغشيا عليه فاوحى الله تعالى
اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فعندها اقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا
عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الارض الى آخر السورة فاعقم الله تعالى اصلاب الرجال
وارحام النساء فلبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا تلك الاربعين سنة حتى هلكت
اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات فاعذر
اليهم وانذر فلم يزدادوا الا كفرا فلما يئس منهم اقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا
لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية يعنون حتى غرقهم الله وآلهتهم التى كانوا يعبدونها
فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم باسماء اصنام قوم نوح

فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق واهل دومة الجندل صنما سموه ودًّا واتخذت حمير صنما سمته نسرا
وهذيل صنما سموه سواعا فلم يزل يعبدونها حتى جاء الاسلام وسنذكر قصة السفينة و
الغرق في سورة هود ان شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن علي بن احمد بن موسى
قال حدثنا محمد بن ابي عبد الله الكوفي قال حدثنا زياد الادمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد
الله الحسني قال سمعت علي بن محمد عليهما السلم يقول عاش نوح عليه السلم الفين وخمسماية سنة
وكان يوما في السفينة نايما فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فانتهرهما نوح
وداما يضحكون فقال ما هذا فاخبره سام بما كان فرجرهم سام ونهاهم عن الضحك وكان كلما
غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فرفع نوح يديه الى السماء يدعو فقال اللهم
غير ماء صلب حام حتى لا يولد له الا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبيهما
فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقالبة ياجوج وماجوج والصين
من يافث وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكما خولا لذرية
سام الى يوم القيمة لانه بر بي وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما الى في ذريتكما ظاهرة
وسمة البر في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله ذكرا في
في هذا الخبر غريب لم ارويه الا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها
ذكر حام وحده وانه ضحك لما انكشفت عورة ابيه وان ساما ويافث كانا في ناحية فبلغهما
ما صنع فاقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان والقياه عليه الثوب وهو نايم فلما استيقظ اوحى
الله عز وجل اليه ما الذي صنع حام فلعن حاما ودعا عليه وروى ابراهيم بن هاشم عن علي بن
الحكم عن بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلم قال عاش نوح الفي سنة وخمسماية سنة منها
ثمانماية وخمسين قبل ان يبعث والف سنة الا خمسين عاما وهو في قومه يدعوهم ومايتي عام
في عمل السفينة وخمسماية عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الامصار واسكن
ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلم عليك فرد عليه نوح
وقال له ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئت لاقبض روحك فقال له تدعني اتحول من الشمس
الى الظل فقال نعم قال فتحول نوح ثم قال يا ملك الموت كان ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس

الى الظل فامض لما امرت به قال فقبض روحه صلى الله عليه وعلى نبينا قوله عز وجل والى عاد
اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ
الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا
لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله
لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا
اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين
كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين ثماني ايات اللغة السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه اذا
كان خفيفا قال المورج السفاهة الجنون بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب ان العجب بضم العين
عقد النفس على فضيلة لها ينبغي ان يعجب منها وليس كذلك العجب بفتح العين والجيم لانه قد يكون
حسنا وفي المثل الاخير من لا يتعجب من العجب وارذل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة
وهو الكاين بدل غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف
وظرفا وجاز ان يجمع على خلايف على اللفظ مثل طريقة وطرايف والالاء النعم وفي واحدها
اربع لغات الى مثل معا والى مثل قفا والي مثل دمي والى مثل حسي قال الاعشى ابيض
المزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى وروي الي وقيل اراد بقوله الا الا بالتشديد فخففه وهو
العهد والقرابة والوقوع والسقوط والنزول نظاير والرجس العذاب وقيل الرجس
الرجز قلبت الزاي سينا كما قلبت السين تاء في قول الشاعر الا لحى الله بني السعلات عمرو
بن يربوع شرار النات اي الناس ليسوا باعفاف ولا اكيات يريد اكياس الاعراب انتصب
اخاهم هودا بقوله ارسلنا في اول الكلام لان تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وارسلنا
الى عاد اخاهم هودا وصرف هودا لخفته كما صرفت نوحا لخفتها يا قوم موضع قومي نصب لانه نداء مضاف

ولو وصفته لم يجز في صفته الا النصب قوله ولكني رسول استدراك بلكن لان فيه معنى ما دعاني الى أمركم
السفه ولكن دعاني اليه اني رسول **المعنى** ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود عليهما السلام
فقال والى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح اخاهم يعني في النسب لا في الدين هودا
وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عن محمد بن اسحق وقيل هو هود بن عبد الله بن رباح
بن حلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وانما قال
اخاهم لانه ابلغ في الحجة عليهم اذا اختار للرسالة اليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا اليه اسكن وبه
آنس وعنه افهم قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره افلا تتقون استفهام
يراد به التقرير قال الملأ الذين كفروا من قومه مر تفسيره انا لنريك يا هود في سفاهة
اي جهالة ومعناه نريك سفيها الا انه قال في سفاهة على جهة المبالغة اي نراك متمكنا في سفاهته
وانا لنظنك من الكاذبين اي كذبوه ظانين لا متيقنين عن الحسن والزجاج وقيل ان المراد بالظن
هنا العلم كما في قول الشاعر: فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد: وقيل معناه ا
قال يا قوم ليس بي سفاهة اي لم يحملني على هذا الاخبار السفاهة ولكني رسول من رب العالمين
هذا تعليم من الله بان لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما اضيف
اليه عن النفس ابلغكم رسالات ربي اي نبوات ربي انما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ
الجمع لان الرسالة متضمنة لاشياء كثيرة من الامر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد
وغير ذلك فاتى بلفظ يدل عليها واذا قال رسالة ربي بلفظ الواحد اتى بلفظة مشتملة على هذه
الاشياء بطريق الاجمال وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده امين اي ثقة
مامون في تادية الرسالة فلا اكذب ولا اغير عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأمونا
فيكم فكيف تكذبونني عن الكلبي او عجبتم ان جاءكم ذكر اي لا عجب في ان جاءكم تخويف وقيل معجزة
وبيان على رجل منكم في النسب نشأ بينكم وقيل معناه كيف تعجبون من بعثة رجل منكم ولا
تعجبون من عبادة حجر لينذركم ليخوفكم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح معناه
واذكروا نعمة الله عليكم بان جعلكم سكان الارض من بعد قوم نوح واهلكهم بالعصيان وزادكم
في الخلق بسطة اي طولا وقوة عن ابن عباس وجماعة قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين

ذراعا

ذراعا وقيل كان اقصرهم اثني عشر ذراعا وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام كانوا كانهم النخل الطوال
وكان الرجل منهم يأتي الجبل بيده فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزادكم في خلقكم بسطة
وكانوا اطول من غيرهم بمقدار ان يمد الانسان يده فوق راسه باسطا فاذكروا آلاء الله
اي نعم الله لعلكم تفلحون اي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة قالوا اجئتنا يا هود لنعبد
الله وحده ونذر عبادة ما كان يعبد اباؤنا من الاصنام فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت
من الصادقين في انك رسول الله الينا في نزول العذاب بنا ان لم نترك عبادة الاصنام قال هود
لقومه جوابا عما قالوه قد وقع عليكم اي وجب عليكم وحل بكم لا محالة فهو كالواقع من
ربكم رجس اي عذاب وغضب والغضب من الله ارادة العذاب بمستحقه ومثله السخط اتجادلونني
اي اتناظرونني وتخاصمونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم اي في اسماء صنعتموها انتم وآباؤكم
واخترعتم لها اسماء فسميتموها آلهة وما فيها من معنى الالهية شيء وقيل معناه تسميتهم بعضها
انه يسقيهم المطر والآخر انه يأتيهم بالرزق والآخر انه يشفي المرضى والآخر انه يصحبهم في السفر ما
نزل الله بها من سلطان اي حجة وبرهان وبينة وعليكم البينة بما ادعيتم وسميتم وليس علي
ان آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعلي ان آتيكم بسلطان
مبين ان الله تعالى هو المعبود ولا معبود سواه واني رسوله فانتظروا عذاب الله فانه نازل
بكم اني معكم من المنتظرين لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين فانجيناه والذين معه
برحمة منا اي خلصنا هودا والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا اياهم من بينهم
قبل انزال العذاب بهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا واستاصلنا الذين كذبوا بحججنا
بعذاب الاستيصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية وما كانوا مؤمنين بالله ورسوله وانما قال ذلك
ليبين انه كان المعلوم من حالهم انه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد
اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه
الآية دلالة على ان قوم هود استؤصلوا فلا عقب لهم **قصة هود عليه السلام** جملة ما ذكره
السدي ومحمد بن اسحق وغيرهما من المفسرين في قصة هود ان عادا كانوا ينزلون اليمن وكان
مساكنهم الشحر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان الى

حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اصنام يعبدونها فبعث
الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى التوحيد وخلع
الانداد فابوا عليه وكذبوه وآذوه فامسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلث سنين حتى
قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد التجاوا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم
وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق
اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معوية بن بكر وكانت امه من عاد فوفدا الى مكة ليستسقوا لهم فنزل
على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم وانزلهم واقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر فلما راى معوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك
عليه وقال هلك اخوالي وهولاء مقيمون عندي وهم ضيفي استحيي ان امرهم بالخروج الى ما
بعثوا له فشكا ذلك الى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعرا نغنيهم به
لا يدرون من قاله فقال معوية بن بكر: الا يا قيل ويحك قم فهينم · لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا · قد امسوا ما يبينون الكلاما · وان الوحش تاتيهم جهارا · ولا تخشى
لعادي سهاما · وانتم ههنا فيما اشتهيتم · نهاركم وليلكم التماما · فقبح وفدكم من وفد قوم
ولا لقوا التحية والسلاما · فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم
يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن بهود سرا
والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا يستسقون بها لعاد
وكان قيل بن عنز راس وفد عاد فقال يا الهنا ان كان هود صادقا فانا قد هلكنا فانشا
الله سحابا ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك و
لقومك فاختار السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها
من النقمة الى عاد فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل
بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال وثمانية ايام
حسوما اي دائمة فلم تدع من عاد احدا الا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة
ما يصيبه ومن معه الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء

والارض وتدمغهم بالحجارة فاهلكتهم وروي ابو حمزة الثمالي عن سالم عن ابي جعفر عليه السلم قال
ان لله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لاذرت ما بين السماء والارض ما ارسل
على قوم عاد الا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب واسمعيل ونبينا صلى الله عليه واله وسلم
وعليهم السلم يتكلمون بالعربية. قوله عز وجل: وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها
تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون
الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه
قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون
فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت
من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال
يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين سبع آيات
القراءة قرا ابن عامر وحده وقال الملا باثبات الواو والباقون بغير واو الحجة قد تقدم القول
في نحو هذا الواو وان اثباتها حسن وحذفها حسن اللغة البينة العلامة الفاصلة بين
الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة من التوطئة والتذليل قالوا بعير منوق اي
مذلل موطاء وتنوق في العمل جوده والاية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوئة
التمكين من المنازل يقال بواته منزلا اذا امكنته منه لياوي اليه واصله من الرجوع قال
الشاعر: وبوئت في صميم معشرها · فتم في قومها مبوأها · اي انزلت ومكنت والقصور
جمع قصر وهو الدار التي لها سور تكون به مقصورة واصله القصر الذي هو الجعل على
منزلة دون منزلة ومنه القصير دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لا اقصر
والعثي الفساد يقال عثي يعثى وعاث يعيث بمعنى والعقر الجرح الذي ياتي على اصل النفس
وهو من عقر الحوض اصله قال امرؤ القيس: بازاء الحوض او عقره · والعتو تجاوز الحد في الفساد

والرجفة الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا اذا اضطرب من تحتهم وارجف الناس بالشي اذا خاضوا فيه واضطربوا والجثوم البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحدأ الجثوم الاعراب ثمود جاء مصروفا وغير مصروف فمن صرفه جعله اسم الحي مذكرا ومن ترك صرفه جعله اسم القبيلة كما قال الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود صرف الاول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لان معنى قوله هذه ناقة الله انظروا الى هذه الناقة آية اى علامة وتاكل في موضع النصب على الحال اى آكلة ومفسدين ايضا نصب على الحال وقوله لمن امن منهم موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل الا انه اعيد فيه حرف الجر وقوله يا صالح ائتنا ان وصلته همزته وان ابتدات به لم تهمز بل تقول ايتنا وانما كان كذلك لان اصله ائتنا بهمزتين فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها واذا وصل سقط همزة الوصل فيظهر همزة الاصل المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم قصة صالح فقال والى ثمود اخاهم صالحا وارسلنا الى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح من ولد ثمود وقال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره فتعبدوه قد جاءتكم بينة من ربكم اى دلالة معجزة شاهدة على صدقي هذه ناقة الله لكم آية اشار الى ناقة بعينها اضافها الى الله سبحانه تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وقيل انما اضافها اليه لانه خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لانها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تمخض المراة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحق وجماعة وقيل انما اضافها الى الله لانه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها انها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه فذروها اى اتركوها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء اى بعقر ونحر فياخذكم اى فينالكم عذاب اليم اى مؤلم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اى واذكروا نعم الله تعالى عليكم

وصالح من ولد ثمود

في ان اورثكم الارض ومكنكم فيها من بعد عاد وبواكم في الارض اى انزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تاوون اليها وتتخذون من سهولها قصورا والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس اى تبنون في سهولها الدور والقصور وانما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها وتنحتون الجبال بيوتا قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وادفأ وروى انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا في الجبال بيوتا لان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم فاذكروا آلاء الله اى نعم الله عليكم بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الارض ولا تعثوا في الارض مفسدين اى ولا تضطربوا بالفساد في الارض ولا تبالغوا فيه قال الملأ الذين استكبروا اى تعظموا ورفعوا انفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه من قومه اى من قوم صالح للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم من المؤمنين لمن آمن منهم انما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين انهم كانوا غير مؤمنين لانه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فازال سبحانه هذه الشبهة اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اى هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا قالوا انا بما ارسل به مؤمنون اى مصدقون قال الذين استكبروا لهم حين سمعوا منهم الايمان والاعتراف بنبوة صالح انا بالذي آمنتم به صدقتم به كافرون جاحدون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله فعقروا الناقة اى نحروا الناقة قال الازهري العقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اى تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها ان كنت من المرسلين ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله فاخذتهم الرجفة اى الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن ابي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الارض واصل الرجفة الحركة المزعجة لشدة الزعزعة فاصبحوا في دارهم اى في بلدهم ولذلك وحد وقيل يريد في دورهم وانما وحد لانه اراد الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع جاثمين اى صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كانوا كرماد الجاثم لانهم احترقوا بالصاعقة فتولى عنهم صالح اى اعرض عنهم لانه انما

يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم اى اديت النصح في
تبليغ الرسالة ولكن لا تحبون الناصحين اى ولكنكم لا تحبون من نصح لكم لان من احب انسانا
قبل منه **قصة صالح عليه السلام** وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ ان عادا
لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فكثروا وعمروا وكانوا في
سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا
وكان من اوسطهم نسبا وكانوا قوما عربا وروي في الخبر انه لما بعث كان ابن ست عشرة سنة
فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون
صنما يعبدونها فلما راى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسئلوني حتى اسال
الهي فيجيبكم فيما تسالون وان شئتم سالت الهتكم فان اجابوني خرجت عنكم فقد شنئتكم وشنئتموني
قالوا قد انصفت فاتعدوا اليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم الى عيدهم واكلوا وشربوا
فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سلها فسالها فلم تجبه قال لا ارى الهتكم تجيبني فاسئلوني حتى
اسال الهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة منفردة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك وامنا
بك فسال الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت
كالمراة ياخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فامن به رهط من قومه ولم يؤمن
اكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا ذلك قبل فاذا
كان يومها وضعت راسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع راسها فتفحج لهم
فيحلبون ما شاءوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملأوا اوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب
حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة
بين الجبلين ورايت اثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي وردت منه
لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد لانه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون
الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها فهموا بقتلها

قالوا وكانت امراة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة
لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة
وامراة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا
ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت اعطيك اي بناتي شئت
على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فقدار بن سالف ومصدع فاستغويا
غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر واجمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله الى صالح
ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد
في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر
الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه
وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر ونبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة
فراوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم
ابناءهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فترى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتي
الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار
فكنا فيه فقلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا يعلمون انا قد خرجنا
الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية ويبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فاذا
اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار و
ارادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك
منهم فاذا هم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية اي عباد الله اما رضي صالح ان امرهم
بقتل اولادهم اذ قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما كان تقاسم
التسعة على تبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدي و
لما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم
وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار
هل لكم في ان اعقرها قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امراة يقال لها ملكا كانت

قد ملكت ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام
وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة اخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار
ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ان اتاكما الليلة قدار ومصدع
فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل الناقة ولاجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا
الناقة فلما اتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق
قدار ومصدع واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار
في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم
به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقدار
ثم دمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر
سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما راى الفصيل
ما فعل بامه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم واقبل صالح
فخرجوا يعتذرون اليه انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون
فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه و
كانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلثة
ايام فان العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني
تصبحون ووجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم
مصفرة فقالوا جاءكم ما قال صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث
اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرئيل عليه السلم فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم
وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا ان العذاب نازل بهم
فماتوا اجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئا
يتنفس الا اهلكها فاصبحوا في ديارهم موتى ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم
اجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابراهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى
الثعلبي باسناده مرفوعا عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال يا علي اتدري من اشقى الاولين قال قلت

الله ورسوله

الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال
قاتلك وفي رواية اخرى قال اشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وروى
ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال
لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا
باكين ان يصيبكم الذي اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح
سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ماءهم
يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل حتى ارتقى في القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك الله
من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال
وهو ابو ثقيف كان في حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن
معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فابتدروه باسيافهم وحثوا عليه فاستخرجوا ذلك
الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راسه واسرع السير حتى جاز الوادي قوله
عز وجل وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
خمس آيات القراءة قرأ اهل المدينة وحفص وسهل انكم لتأتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين
يجتمعان يكتفون بالاستفهام الاول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي الا في قصة
لوط والباقون بهمزتين الثانية مكسورة وحققهما اهل الكوفة الا ان حفصا يفصل بينهما
بالف وابن كثير وابو عمرو ورويس يحققون الاولى ويلينون الثانية الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالف
الحجة قال ابو علي كل واحد من الاستفهامين لا يحتاج في تمامها الى شيء فمن الحق حرف الاستفهام
جملة نقلها به من الخبر الى الاستخبار ومن لم يلحقها اياها على الخبر فاذا كان كذلك فمن قرأ انكم
لتأتون الرجال جعله تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية
اللغة قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لان العجمي لا يشتق من العربي وانما قال ذلك لانه لم يوجد

الا علماً في اسماء الانبياء. وقيل انه مشتق من لطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به وقال
هذا الوط بقلبي من ذاك اي ألصق واللِيطة القشر للصوقه بما اتصل به. الشهوة مطالبة النفس
بفعل ما فيه اللذة وليست كالارادة لانها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية
فينا من فعل الله تعالى والارادة من فعلنا يقال شهيت اشهى شهوة قال واشعث يشتهي النوم
قلت له ارتحل اذا ما النجوم اعرضت واسبكرت فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال له خذها
بكفيك خرت. والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الاعشى عض
بما ابقى المواسي له من امه في الزمن الغابر **الاعراب** انما صرف لوطاً لخفته بكونه على ثلثة حروف
ساكن الاوسط فقاومت الخفة احد السببين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود
النصب وعليه القراءة شهوة مصدر في موضع الحال وقوله الا امرأته استثناء متصل لانه يجوز
ان تدخل الزوجة في الاهل على التغليب في الجملة دون التفصيل ولم يقل من الغابرات لانه
اراد انها ممن بقيت مع الرجال ومطراً مصدر ذكر للتاكيد كقولهم ضربته ضرباً **المعنى** ثم
عطف سبحانه على ما تقدم فقال ولوطاً اي وارسلنا لوطاً وقيل ان تقديره واذكر لوطاً
قال الاخفش يحتمل المعنيين هنا ولم يحتمل في قصة عاد وثمود الا ارسلنا لان فيهما ذكر الى
وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم الخليل عليه السلم وقيل انه كان ابن خالة ابراهيم
وكان سارة امرأة ابراهيم اخت لوط اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة اي السيئة العظيمة القبح
يعني اتيان الرجال في ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم
لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال
انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء معناه انكم تأتون الرجال في ادبارهم اشتهاء منكم
اي تشتهونهم فتأتونهم وتتركون اتيان النساء التي اباحها الله لكم بل انتم قوم مسرفون
اي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المعايب باتيان الذكران [illegible]
وما كان جواب قومه اي لم يجيبوه عما قال الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقابلوا الوعظ
والنصح بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطاً ومن آمن به من بلدكم والمراد من القرية البلد كما قال
ابو عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد القرويين من يسكن المدن

انهم

انهم اناس يتطهرون اي يتحرجون عن ادبار الرجال عابوهم بما يجب ان يمدحوا به عن ابن عباس
ومجاهد وقتادة وقيل معناه يتنزهون عن افعالكم وطرايقكم فانجيناه اي خلصنا لوطاً من
الهلاك واهله المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة الا امرأته كانت من
الغابرين اي من الباقين في قومه والمتخلفين عن لوط حتى هلكت لانها كانت على دينهم فلم تؤمن
به وقيل معناه كانت من الباقين في عذاب الله عن الحسن وقتادة وامطرنا عليهم مطراً اي ارسلنا
عليهم الحجارة كالمطر كما قال في اية اخرى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة
المجرمين معناه ثم تفكر وانظر بعين العقل كيف كان مآل امر المقترفين للسيئات والمنقطعين
اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا بالاستيصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار
قصة لوط عليه السلم وجملة امرهم فيما روي عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلم
ان لوطاً لبث في قومه ثلثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش
ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء اشحاء على
الطعام فاعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق السيارة
الى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحوه
وانما فعلوا ذلك لينكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم الى ذلك فاوردهم البخل هذا الداء
حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخياً كريماً يقري الضيف
اذا نزل بهم فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفاً ما ينزل بك فانك ان فعلت فضحنا ضيفك
فكان لوط اذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم
بعث اليهم رسلاً مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرئيل عليه السلم
في نفر من الملائكة فاقبلوا الى ابراهيم قبل لوط فلما راهم ابراهيم ذبح عجلاً سميناً فلما رأى ايديهم
لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا يا ابراهيم انا رسل ربك ونحن لا ناكل الطعام
انا ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال
من انتم قالوا نحن ابناء السبيل اضفنا الليلة فقال لوط ان اهل هذه القرية قوم سوء ينكحون
الرجال في ادبارهم وياخذون اموالهم قالوا قد ابطانا فاضفنا فجاء لوط الى اهله وكانت امرأته كافرة

فقال قد اتاني اضياف من هذه الليلة فاكتمي امرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها
انه اذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح واذا كان بالليل توقد النار فلما
دخل جبريل والملائكة معه بيت لوط وثبت امراته على السطح فاوقدت نارا فاقبل القوم
من كل ناحية يهرعون اي يسرعون ودار بينهم ما قص الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب
جبريل بجناحه على عيونهم فطمسها فلما راوا ذلك علموا انه قد اتاهم العذاب فقال جبريل
عليه السلم للوط اخرج من بينهم انت واهلك الا امراتك فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول
داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم احد فخرجوا
من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبريل عليه السلم بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم
الارضين السابعة ثم رفعها في الهوآء حتى سمع اهل السمآء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها
عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد ان امطر الله عليهم حجارة
من سجيل وهلكت امراته بان ارسل الله عليها صخرة فقتلها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين
منهم فجعل عاليها سافلها وامطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا بها وقال الكلبي اول
من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لان بلادهم اخصبت فانتجعها اهل البلدان فتمثل
لهم ابليس في صورة شاب ثم دعا الى دبره فنكح في دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم
عجت الارض الى ربها فسمعت السمآء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله السمآء
ان تحصبهم وامر الارض ان تخسف بهم قوله عز وجل وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ
لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ثم ايات اللغة الايفاء اتمام الشي
الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعهد والكيل تقدير الشي بالمكيال حتى يظهر مقداره

والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع او ما زاد عليه او نقص والبخس النقص عن الحد الذي
يوجبه الحق والافساد اخراج الشي الى حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها وضده الاصلاح والصد
الصرف عن الفعل بالاغوآء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلوة يقال صده عن
الامر يصده اي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في العود وكل
ما يرى كالحائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف ماخوذة من انها تجتمع
على الطوف الاعراب مدين اسم للمدينة او القبيلة لا ينصرف للتعريف والتانيث وجاز
ان يكون اعجميا عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلثة هنا
الباء وعلى وفي تقول لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لانه اجتمع معاني الاحرف
الثلثة فيه فان الباء للالصاق وقد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفي
للحلول وهو قد حل المكان ومن امن في موضع نصب لانه مفعول به اي وتصدون المؤمنين بالله
وانما قال فاصبروا ولم يجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لان المعنى فسيقع جزاء كل فريق
بما يستحقه من ثواب او عقاب كانه قال فانتم مصبورون على حكم الله بذلك المعنى ثم عطف
سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال والى مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا
وقيل ان مدين ابن ابراهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدين بن
ابراهيم وقال قتادة هو شعيب بن يوبب وقال ابن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين
بن ابراهيم وام ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب
الايكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين الى مدين مرة والى اصحاب الايكة مرة قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم قد مر تفسيره فاوفوا الكيل والميزان اي اتموا
ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادوا حقوق الناس على التمام
في المعاملات ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي
البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
يعني لا تعملوا في الارض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد ان اصلحها الله بالامر والنهي وبعثة
الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوها بان لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل ذلكم

الذي امرتكم به خير لكم واعود عليكم ان كنتم مؤمنين مصدقين بالله وانما علق خيريته بالايمان
وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله عارفا بنبيه لم يمكنه ان يعلم
ان ذلك خير له وكانه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا ان ذلك خير لكم ويمكن ان يكون المراد
لا ينفعكم ايفاء الكيل والوزن الا بعد ان تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة
على نبوته لان الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهذا غلط لانه لا يجوز ان يخلي الله نبيا
عن معجز وهذا وقال سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا فجاء بالفاء جوابا للجزاء ويجوز ان يكون
له معجزات وان لم تذكر في القرآن كما ان اكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكور
في القرآن ولم يوجب ذلك نفيها ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قيل في معناه اقوال احدها
انهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للايمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن
وقتادة ومجاهد وثانيها انهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه عن ابي هريرة وعبد الرحمن
بن زيد ويمكن ان يكون المراد به انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع الى
معنى القول الاول وثالثها ان المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج
بايراد الشبه ويقولون لشعيب انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتوعدونه وتصدون عن
سبيل الله من آمن به اي تمنعون عن دين الله من اراد ان يؤمن به من الناس وتبغونها عوجا
الهاء راجعة الى السبيل اي تبغون السبيل عوجا عن الحق وهو ان يقولوا هذا كذاب وباطل
وما اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون
على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول عن القصد عن الزجاج و
اذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك ان مدين بن ابراهيم تزوج
بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز ان يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد
ان كنتم فقراء وجائز ان يكون جعلكم ذوي مقدرة واقدار فكثركم وجائز ان يكون عددكم قليلا
فكثرهم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني فكروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط
واتال العقاب بهم واستيصال شافتهم وما حل بهم من البوار وان كان طائفة اي جماعة
منكم آمنوا بالذي ارسلت به اي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولي وطائفة لم يؤمنوا لم يصدقوا قولي

فاصبروا

الجزء التاسع

فاصبروا حتى يحكم الله بيننا خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس عني فان جهل العاقبة
لي وسيجزي الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا او في الآخرة دون الدنيا
وهو خير الحاكمين لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخي امرهم في
هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والايعاد عليه والكف عنه خير
ورشد ولم يأمرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفرا ومعصية
كما يذهب اليه بعض اهل النظر قوله عز وجل قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا
كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ
لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا
رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ آيتان اللغة العود الرجوع وهو مصير
الشيء الى حال كان عليها ومنه اعادة الله الخلق ويحتمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة
وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة تقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت
مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وان لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتاويله انه
قد لحقني منه مكروه قال الشاعر لئن كانت الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب الافتراء
مشتق من فري الاديم وهو مثل الاختلاق والافتعال والملة الديانة التي تجتمع على العمل بها
فرقة عظيمة والاصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل
وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبزة حتى تنضج لتكرر الحمى عليها
والفتح الحكم والفاتح والفتاح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره وفاتحته في كذا
اي فاصلته قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى
بيني وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك الى القاضي اي احاكمك اليه المعنى ثم اخبر سبحانه عما
دار بينه وبين قومه فقال قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي رفعوا انفسهم فوق مقدارها
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا اي لنخرجك واتباعك من المؤمنين بك
من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرك او لتعودن في ملتنا او لترجعن الى ملتنا التي نحن عليها الا

كان عندهم وفي ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان عليه السلم
دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل ان يكون المراد به
او لتدخلن في ديننا وطريقتنا لان العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون
الصيرورة ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وحقيقة المعنى انا لا نمكنك من المقام في بلدنا وانت على غير ملتنا فاما ان تخرج من بلدنا
او تدخل في ملتنا قال اولو كنا كارهين قال شعيب لهم اتعيدوننا في ملتكم وتردوننا اليها
ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى انا مع كراهتنا لذلك لما عرفنا من بطلانه لا نرجع
فادخل همزة الاستفهام على واو ولو وقيل المعنى انكم لا تقدرون على ردنا الى دينكم على كره منا
فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها اي ان عدنا في ملتكم بان نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسبه الى الله
تعالى بعد اذ نجانا الله منها بان اقام الدليل والحجة على بطلانها واوضح الحق لنا فقد اختلقنا
على الله كذبا فيما دعوناكم اليه وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قيل في معنى
المشية مع حصول العلم بانه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام اقوال احدها ان المراد بالملة الشرع
وليس المراد بها ما يرجع الى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز ان يختلف العبادة
فيه وفي شريعتهم اشياء يجوز ان يتعبد الله تعالى بها وكانه قال ليس لنا ان نعود في ملتكم
الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي
وثانيها انه سبحانه علق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن
الحليب فيكون معناه كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لان ذلك لا يليق بحكمته فكذلك
لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب وثالثها ان المراد الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا
ويخلي بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله اولو كنا كارهين ورابعها
ان تعود الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما ان ذكر الملة
تقدم فيكون تحقيق الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من

الوعد

الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها وخامسها ان يكون المعنى الا ان يشاء الله ان يردكم
الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال حاكيا عنهم او لتعودن في ملتنا
كان معناه او لنكونن على ملة واحدة فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق
قلنا بلى ولكن ما شاء ذلك الا انه انما شاء ان يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأه على
كل حال لما جاز ان لا يقع منهم ذلك فكانه قال ان ملتنا لا تكون واحدة ابدا الا ان يشاء الله
ان يلجئكم الى الايمان والاجتماع معناه على ملتنا وسع ربنا كل شيء علما على التمييز وتقديره
وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل الى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه
اتصاله بما قبله ان الملة يتعبد بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى انه سبحانه عالم
علم بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعبدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود
او ترك على الله توكلنا في الانتصار منكم وفي كل امورنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق هذا
سؤال من شعيب ورغبة منه الى الله تعالى في ان يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع
اليه وان كان من المعلوم ان الله تعالى سيفعله لا محالة وقيل ان معناه اكشف بيننا وبين
قومنا بان انا على حق وهذا استعجال منه للنصرة وانت خير الفاتحين والفاصلين قوله عز وجل
وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ اربع آيات اللغة غني بالمكان يغنى
غنى وغنيانا اقام به كانه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل واصل الباب الغنى
قال حاتم طي غنينا زمانا بالتصعلك والغنى وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا
على ذي قرابتنا غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر والاسى شدة الحزن يقول اسي ياسى اسى وقال
يعقوب لا تهلك اسى وتجمل الاعراب انكم اذا لخاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط
من قوله لئن واذا ههنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين
كذبوا شعيبا الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كأن لم يغنوا فيها وانما اعيد ثانية

من غير كناية لتغليظ الامر في تكذيبهم شعيبا مع البيان ثم اذا حملوا على الخسران لا من نسبوه الى ذلك
من اهل الايمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وانما دخل الفصل مع ان المضمر لا يوصف لاحتياج
فيه الى التوكيد ليتمكن معناه في النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر
وان كان الاصل في الخبر النكرة المعنى ثم حكى الله ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بايات الله
فقال سبحانه وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي من قوم شعيب الباقين منهم لئن اتبعتم شعيبا
في دينه وتركتم دينكم لقيادة الامر ونهيه لان الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما
دعا اليه انكم اذا لخاسرون والخسران ذهاب راس المال فكانهم قالوا ان تبعتموه كنتم بمنزلة من
ذهب راس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون فاخذتهم الصاعقة
اي فاخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم ومدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم
فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله
تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا
الى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما
يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من
المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل انه كان
لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة فاصبحوا في دارهم اي في دارهم
جاثمين اي ميتين ملقين على وجوههم الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اي كانهم لم يقيموا
بها قط لان المهلك يصير كان لم يكن وقيل كان لم يغنوا فيها كان لم يعيشوا فيها مستغنين عن
قتادة وقيل كان لم يعمروا فيها عن ابن عباس الذين كذبوا شعيبا اعاد اللفظ تاكيدا وتغليظا
كانوا هم الخاسرين ثم معناه بين سبحانه انهم الخاسرون دون من امن منهم فتولى عنهم شعيب
اي اعرض عنهم لما راى اقبال العذاب عليهم اعراض الآيس منهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربي فيما امرني فلم تؤمنوا ونصحت لكم فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء
وان كان عظيما فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على انفسكم فكيف آسى اي فكيف احزن على قوم
كافرين حل العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وان كان على لفظ الاستفهام فالمراد

النفي جوابه في هذا الموضع لا يصح الا بالنفي وانما يدخله مع الانكار ايضا لهذه العلة وهذا كما قال
العجاج اطربا وانت قنسري وهذا التسلي من شعيب عليه السلام بما يذكر من حاله معهم في مناصحته
لهم وتاديته رسالة ربه وانه لا ينبغي ان ياسى عليهم مع تمردهم في كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي
وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم ان يدعو الكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك
الكافرين والظالمين قوله عز وجل وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا
قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون البيان اللغة البدل
وضع احد الشيئين مكان الآخر واصل العفو الترك من قولهم فمن عفي له من اخيه شيء فمعنى قوله
عفوا تركوا حتى كثروا قال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم والبغتة
الفجاة وهي الاخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته يبغته بغتا وبغتة قال
وانكاء شيء حين تفجاك البغت الاعراب اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء في الضاد
ولا يدغم الضاد في التاء لان في الضاد استطالة وانما يدغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد
في الناقص لما في ذلك من الاخلال به وهو في موضع رفع بانه خبر لعل وبغتة مصدر وضع
موضع الحال المعنى ثم ذكر سبحانه ما اقتص من قصص الانبياء وتكذيب اممهم اياهم وما نزل بهم
من العذاب بسنته في امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقال وما ارسلنا في قرية
من القرى التي اهلكناها بالعذاب وقيل في سائر القرى عن الجبائي من نبي وهو من يؤدي
عنا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة عليهم الا اخذنا اهلها اي اهل تلك القرية
بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون اي ليتنبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا ويتوبوا
عن شركهم ومخالفتهم ويعني بالبأساء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضراء ما نالهم في اموالهم وقيل
ان البأساء الجوع والضراء الامراض والشدائد عن الحسن وقيل ان البأساء الجوع والضراء الفقر
عن السدي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي رفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها و
السيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسميت سيئة لانها
تسوء صاحبها قال الجبائي جرى في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز حتى عفوا اي كثروا عن ابن عباس

ومجاهد والسدي وقيل بطروا عن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن ابي مسلم وقالوا قد مس اباءنا الضراء
والسراء اي قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم كذلك فلم ينتقلوا
عن حالهم فتنتقلوا فاخذناهم بغتة اي فجاة عبرة لمن بعدهم وهم لا يشعرون اي لم يعلموا ان العذاب
نازل بهم الا بعد حلوله وحقيقة المعنى في الآية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بان ياخذهم
تارة بالشدة وتارة بالرخاء فاذا افسدوا على الامرين جميعا اخذهم فجاة ليكون ذلك اعظم في الحسرة
وابلغ في العقوبة نعوذ بالله من سخطه قوله عز وجل وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم
بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ
اربع آيات القراءة اوَامن بفتح الواو عراقي وابن فليح والباقون اوْامن بسكون الواو الا ان ورشا
قراه على اصله في القاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فقال اوَامن الحجة قال ابو علي او حرف
استعمل على ضربين احدهما ان يكون بمعنى احد الشيئين او الاشياء في الخبر والاستفهام والآخر ان يكون
للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما ان ام المنقطعة في الاستفهام والخبر كذلك فاما التي
تكون لاحد الشيئين او الاشياء فمثاله في الخبر زيد جاء او عمرو جاء وزيدا او عمرا ضربته كما تقول احدهما
جاء واحدهما ضربته وسواء كانت للاباحة كذلك ايضا وهو قوله جالس الحسن او ابن سيرين واما او
التي تجي للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك انا اخرج ثم تقول او اقيم اضربت عن الخروج
واثبت الاقامة كانك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لابل ام شاء تضرب عن الاول
ولا يقع بعد او هذه الا الجملة ومن ثم قال سيبويه في قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا انك لو قلت
او لا تطع كفورا انقلب المعنى وانما كان ينقلب المعنى لانه اذا قال لا تطع اثما او كفورا فكانه قال
لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فالمراد ان لا يطيع واحدا منهما لان كل واحد منهما
اهل المجالسة ومجالسة كل واحد منهما كمجالسة الآخر ولو قال ولا تطع منهم اثما ولا تطع
كفورا كان بقوله او لا تطع قد اضرب عن ترك طاعة الاول فكان يجوز ان يطيعه وفي جواز ذلك
انقلاب المعنى ووجه قراءة من قرا اوْامن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطل الاول ولكن كقوله

الم تنزيل الكتاب ثم قال ام يقولون افتراه فجاء ليبصروا ضلالتهم فكان المعنى اوامنوا هذه الضروب
من معاقبتهم والاخذ لهم وان شئت جعلت او التي في قولك ضربت زيدا او عمرا كانك اردت
افامنوا احدى هذه العقوبات ووجه قراءة من قرا اوَامن انه ادخل همزة الاستفهام على حرف
العطف كما دخل في نحو قوله اثم اذا ما وقع وقوله اوكلما عاهدوا عهدا ومن حجة من قرا ذلك انه
اشبه بما قبله وبما بعده الا ترى ان قبله افامن اهل القرى وبعده افامنوا مكر الله اولم يهد
للذين يرثون الارض فكما ان هذه الاشياء عطف حروف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك
يكون اوَامن اللغة البركات الخيرات النامية واصلها الثبوت والامن والثقة والطمانينة
نظاير في اللغة وضد الامن الخوف وضد الثقة الريبة وضد الطمانينة الانزعاج و
الامن الثقة بالسلامة من الخوف والباس العذاب والبوس الفقر والاصل الشدة ورجل بئيس
شديد في القتال والنوم نقيض اليقظة وهو سهو يغمر القلب ويغشي العقل ويضعف الحس
وينافي العلم يقال نام الرجل ينام نوما وهو حسن النيمة اذا كان حسن هيئة النوم ورجل نُوْمة
بسكون الواو اذا كان خسيسا لا يؤبه به ورجل نُوَمة بفتح الواو اذا كان كثير النوم والبيات الطرق
لان من شان ان ينام فيه او لانه يغشى كما يغشى النوم والضحى صدر النهار في وقت انبساط الشمس
واصلها الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحى ضحوا وضحوا اذا ظهر وفعل ذلك الامر ضاحية واضحيها ظاهرا
والاضحية لانها تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال باظهار خلاف الاضمار
وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساق ممكورة اي ملتفة حسنة قال ذو الرمة عجزاء ممكورة
خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب والمكور شجر ملتف قال الليث في علقى وفي
مكور معنى قولك مكر فلان يمكر مكرا انه تدبيره على مكروه لصاحبه الاعراب لو معناه
تعليق الثاني بالاول الذي يجب الثاني بوجوبه وينتفي بانتفائه على طريقة كان وان فيها هذا
المعنى على طريقة يكون والفرق بينهما ان ان تعلق الثاني بالاول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان
لا يكون كقولك ان امن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك لو لانها قد
تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع وانما فتحت ان بعد لو

لانها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فان لو ليس يدخل الا على الفعل فان مع اسمها وخبرها
في تاويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع ان اهل القرى امنوا فيكون ان ما بعده في موضع رفع
بالفعل المقدر بعد لو وانما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله افامن
اوامن مع ان الاستفهام للاستيناف والعطف بخلافه لانهما انما تنافيان في المفرد
لان الثاني اعمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستيناف قد اخرجه من ان يكون منه
بخلافه لانهما انما تنافيان في المفرد لان الثاني اعمل فيه الاول كان من الكلام الاول
والاستيناف قد اخرجه من ان يكون منه واما في عطف جملة على جملة فيصح لانه على استيناف
جملة بعد جملة المعنى ثم بين سبحانه ان كل من اهلكه من الامم المتقدم ذكرهم انما اتوا في ذلك من
قبل نفوسهم فقال ولو ان اهل القرى التي اهلكناها بسبب جحودهم وعنادهم امنوا وصدقوا
رسلنا واتقوا الشرك والمعاصي لفتحنا عليهم بركات من السماء اي خيرات نامية بانزال المطر
ومن الارض باخراج النبات والثمار كما وعد نوح بذلك امته فقال يرسل السماء عليكم
مدرارا الايات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض تيسير الحوائج ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عليهم
واخذناهم بالضيق عليهم عقوبة لهم على فعلهم افامن اهل القرى المكذبون لك يا محمد ان ياتيهم
باسنا اي عذابنا بياتا ليلا وهم نائمون في فرشهم ومنازلهم كما اتى المكذبين قبلهم اوامن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا ضحى اي عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس وهم يلعبون اي وهم في غير ما
ينفعهم او يعود عليهم بنفع فان من اشتغل بدنياه واعرض عن اخرته فهو كاللاعب والمعنى
باهل القرى كل اهل قرية يقيم على معاصي الله في كل وقت وزمان وان نزلت بسبب اهل القرى
الظالم اهلها المشركين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما خص سبحانه هذين الوقتين
لانه اراد انه لا يجوز لهم ان يامنوا ليلا ولا نهارا عن الحس افامنوا مكر الله اي افبعد هذا كله
امنوا عذاب الله ان ياتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائي قال دخلت الفاء للتعقيب وسمي العذاب
مكرا لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كما ان المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل ان

مكر الله استدراجه اياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة فلا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون سئل عن هذا فقيل ان الانبياء والمعصومين امنوا مكر الله وليس بخاسرين وجوابه
من وجوه احدها ان معناه لا يامن مكر الله من المذنبين الا القوم الخاسرون بدلالة قوله تعالى
ان المتقين في مقام امين وثانيها ان معناه لا يامن عذاب الله للعصاة الا الخاسرون و
المعصومون لا يامنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من مواقعة الذنوب وثالثها لا يامن
عذاب الله جهلا بحكمته الا الخاسرون ومعنى الاية الابانة عما يجب ان يكون عليه المكلف من
الخوف لعقاب الله ليسارع الى طاعته واجتناب معاصيه ولا يستشعر الامن من ذلك فيكون
قد خسر في دنياه واخرته بالتهالك في القبائح قوله عز وجل اَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْاَرْضَ
مِنْ بَعْدِ اَهْلِهَا اَنْ لَوْ نَشَاءُ اَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا
لِاَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَاِنْ وَجَدْنَا اَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ثلث آيات القراءة قرا ابن يعقوب برواية
زيد اَوَلَمْ نَهْدِ بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرا ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة والباقون
بالياء الحجة من قرا نهد بالنون فانه للتعظيم وهذا يقوي ان المعنى في قوله اولم يهد بالياء اولم يبين
الله لهم دون ان يكون المعنى او لم يهد لهم مشيئنا او اصطلامنا لمن اهلكناه اللغة القصص اتباع
الحديث يقال فلان يقص الاثر اي يتبعه ومنه المقص لانه يتبع في القطع اثر القطع والنبا
الخبر لامر عظيم الشان ولذلك اخذ منه اسم نبي والوجدان والالفاء والادراك والمصادفة
نظاير الاعراب نطبع ليس محمولا على اصبناهم لانه لو حمل لكان ولطبعنا ولكنه على الاستيناف
اي ونحن نطبع من عهد من هنا للتبعيض لانه اذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان
يكون من مزيدة للتعميم واستغراق الجنس وقيل ان اصلها لابتداء الغاية فدخلت على ابتداء الجنس
الى انتهائه وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ان هذه هي المخففة من الثقيلة واذا خففت جاز الغاؤها
من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت خارجة من شبه الفعل المعنى ثم اكر سبحانه عليهم

تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الامم فقال اولم يهد هو استفهام يراد به التقرير اولم يبين الله وبالنون
اولم نبين عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه افلم يهد لهم ما اهلكنا من ابناء القرى وقيل
تقديره اولم يهد لهم شيئا لان قوله ان لو نشاء اصبناهم في موضع رفع بانه فاعل يهدي
للذين يرثون الارض من بعد اهلها معناه للذين خلفوا في الارض من بعد اهلها الذين
اهلكهم الله بتكذيبهم للرسل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني اولم يتبين انا لو نشاء اهلكناهم
بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضية قبلهم ونطبع على قلوبهم قد ذكرنا معنى الطبع
والختم في اوايل سورة البقرة فهم لا يسمعون الوعظ ولا يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى
التي ذكرها وقص خبرها فقال تلك القرى والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم نقص
عليك من انبائها لتتفكر فيها وتخبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار
على مثل حال اولئك المغترين بطول الامهال في النعم السابغة والمنن المتظاهرة ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات اي الدلالات والحجج وانما اضاف الرسل اليهم مع انهم رسل الله لان
المرسل مالك لرسالته وقد ملك العباد الانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البيان فما
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل معناه فما اهلكناهم الا وقد كان في معلومنا انهم لا
يؤمنون ابدا عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من قبل الهلاك وهو بمنزلة قوله ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه ان عتوهم في كفرهم وتمردهم فيه يحملهم على ان لا يتركوه
الى الايمان فما كانوا ليؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات وبما كذبوا به من قبل رؤيتهم
تلك البينات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من
الامم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
قيل ان الله سبحانه شبه الكفر بالصدا لانه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام
كما يذهب الصدا بنور السيف وصفاء المراة ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان الى الكفر جاز
ان يضيف الله سبحانه الطبع الى نفسه كما قال زادتهم رجسا الى رجسهم وان كانت السورة لم تزدهم
ذلك عن جعفر بن حرب والبلخي ووجه التشبيه في الكاف ومعناه ان دلالته على انهم لا يؤمنون

كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤ
فكذلك يدل الملائكة بالطبع على انهم لا يؤمنون وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر المهلكين من عهد
اي من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له اي لا وفاء له بالعهد وليس بحافظ للعهد ويجوز
ان يكون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر النعم وطاعة المالك المحسن
واجتناب القبائح ويجوز ان يكون المراد به ما اخذ على المكلفين على السنة الانبياء ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وهو قول الحسن وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اللام فان للتاكيد والمعنى
وانا وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخالفين للعهد وان قيل فيقال كيف اكثرهم وكلهم فسقة
وكيف يجوز ان يكون كافر غير فاسق والجواب انه قد يكون الكافر عدلا في دينه غير مرتكب للمحارم
في طريقته فعلى هذا يكون المعنى ان اكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم لمذهبه ناقض
للعهد قليل الوفاء بالعهد قوله عز وجل ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ
بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ست آيات القراءة قرأ نافع وحده حقيق عليّ بتشديد
الياء والباقون بتخفيف الياء الحجة قال ابو علي حجة نافع في قوله حقيق علي واتصاله بعلى
من وجهين احدهما ان حق الذي هو فعل يتعدى بعلى قال فحق علينا قول ربنا والآخر ان
حقيق بمعنى واجب كما ان وجب يتعدى بعلى وكذلك تعدى حقيق ومن قرا حقيق على فمجاز
تعديته بعلى من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا ان يكون على
بمعنى الباء وقال ابو الحسن كما وقعت الباء في قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك
وقعت على ههنا موقع الباء اللغة البعث الارسال وهو في الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع
في المشي فالبعث بعد الموت نقل الى حال الحيوة والبعث للانبياء نقل بالارسال عن حاله الى حال
النبوة والعصا عود كالقضيب يابس واصله الامتناع بحيث يقال عصي بالسيف يعصى اذا

امتع قال جرير تضعف النوف وعز كريعني بها يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل ويقال عصى السيف

اخلع اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل القى عصاه قال فالقت عصاها واستقرت بها النوى

كما قر عينا بالاياب المسافر وليست العصبة مشتقة من العصا لان العصا من بنات الواو و

من بنات اليا قال فجاءت نسج العنكبوت كانه على عصونها سابري مشبرق واصل القى

من اللقا الذي هو الاتصال فالقى عصاه اى ازال اتصالها عما كان عليه والثعبان الحية

الضخمة الطويلة قال الفرا الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء

اثعبه اذا فجرته والمثعب موضع انفجار الماء فسمى الثعبان لانه يجري كعنق الماء عند الانفجار

والنزع ازالة الشي عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الانسان والنزع و

والقلع والجذب نظاير الاعراب موضع كيف في قوله كيف كان نصب لانه خبر كان وتقديره

انظر اي شي كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعل والميم زايدة لكثرة زيادتها اولا

كالهمزة حتى صارت اغلب من زيادة الالف اخيرا وافعى على وزن افعل لهذه العلة وموسى

لا ينصرف لانه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلا لم تصرفه لانه مؤنث

معرفة على اكثر من ثلثة احرف كما لو سميته بعناق لم تصرفه وفرعون على وزن فعلون مثل

برذون فالواو زايدة لانها جاءت مع سلامة الاصول الثلاثة والنون زايدة للزومها

وفرعون لا ينصرف لانه اعجمي معرفة عرب حال التعريف لانه نقل من الاسم العلم وعرب في تنكيره

لانصرف كما ينصرف ياقوت في اسم رجل الا الحق نصب لانه مفعول القول على غير الحكاية بل

معنى الترجمة على المعنى دون حكاية اللفظ قوله ان كنت جئت باية قال ابو العباس المبرد ان

لم ينقل الماضي الى الاستقبال من اجل قوة كان لانها ام الافعال ولا يجوز ذلك في غيرها

وقال ابو بكر السراج المعنى ان يكن جئت باية اى ان يصح ذلك قال اذا امكن اجرا الحرف على

لم يجز اخراجه عنه وان يقل الفعل نقلين الى الشرط والاستقبال كما ان لم يقل الفعل الى النفي

والماضي وضمير الغايب في كنت يرجع الى المكني ولا يجوز ذلك في الذي لان الذي غايب فحقه

ان يعود اليه ضمير الغايب وقد اجازوه اذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر وانا

قتلت بكرا بالقنا وتركت تغلب غير ذات سنام ونحو ما روي عن امير المومنين عليه السلام من قوله

انا الذي

انا الذي سمتني امي حيدره اكيلكم بالسيف كيل السندره وعلى هذا يجوزانت الذي ضربت عمرو وانا

ضربته وقوله فات بها جاز وقوع الامر في جواب الشرط لان فيه معنى ان كنت جئت باية فاني

الزمك ان تاتي بها فقد عاد الى انه وجب الثاني بوجوب الاول قوله فاذا هي ثعبان مبين

اذا هذه ظرف مكان وتسمى ظرف المفاجاة وهي بخلاف اذا التي هي ظرف زمان وفيها معنى

الشرط ويعمل فيها جوابها ومثال اذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فاذا الناس وقوف

فاذا في موضع نصب بكونها ظرفا لوقوف وتقديره فبالحضرة الناس وقوف ويجوز ان

وقوفا على الحال لان اذا ظرف مكان وظروف المكان تكون اخبارا عن الجثث وهذه المسئلة

بين سيبويه والكسائي لما اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمان الاخفش

قال حدثني احمد بن يحيى ثعلب ومحمد بن يزيد المبرد قال لما ورد سيبويه بغداد شق امره على

فاتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليذهب

بمحلي فقالا له فاحتل لنفسك فانا سنجمع بينكما فجمعا بينهما عند ابيهما وحضر سيبويه وحده

وحضر الكسائي ومعه الفرا وعلي الاحمر وغيرهما من اصحابه فقالوا كيف تقول كنت اظن

العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي او فاذا هو اياها قال اقول فاذا هو هي فا

عليه الجمع فقالوا اخطات ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انما انما مصركما فمن

يحكم بينكما قال فقال الكسائي واصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل ابو الجراح ومن

وجد معه ممن كان الكسائي واصحابه يحملون عنهم فقالوا فاذا هو اياها وانصرف المجلس على

ان سيبويه اخطا وحكموا عليه بذلك فاعطاه البرامكة واخذوا له من الرشيد وبعثوا به

الى بلده فانه بعد هذا الا يسيرا حتى مات ويقال انه مات كمدا قال علي بن عيسى واصحاب

الى هذه المدة لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيبويه فاذا هو هي وهذا موضع

الرفع وهو كما قال علي بن سليمان وذلك ان النصب انما يكون على الحال نحو خرجت فاذا الناس

وقوفا جاز النصب هنا لان وقوفا نكرة والحال لا تكون الا نكرة فاذا اضمرت بطل ان الحال

فان المضمر معرفة والمعرفة لا تكون حالا فوجب العدول عن النصب الى الرفع كما تقول فاذا

الناس وقوف المعنى ثم عطف سبحانه قصة موسى عليه السلام على ما تقدم من قصص الانبياء عليهم

فقال ثم بعثنا من بعدهم اي من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الامم الذين ذكرنا اهلاكهم موسى باياتنا
اي بدلايلنا وحججنا الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وذوي الامر منهم فظلموا بها اي ظلموا
انفسهم بجحدها عن الحسن والجبائي وقيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الايمان بها
الكفر والجحود لان الظلم وضع الشي في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقبل فذهب موسى عليه السلم
فادى اليهم الرسالة فكذبوه لان في قوله فظلموا بها دلالة عليه فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين يعني ما آل اليه امرهم في الهلاك قال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
هذه حكاية قول موسى لفرعون وندائه له اني رسول الله اليك من قبل رب العالمين مبعوث
اليك والى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف
وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعماية عام حقيق
على ان لا اقول على الله الا الحق قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق
وقال الامام العلامة الزمخشري يقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون
انا قائله والقائم به ولا يرضى الا مثلي ناطقا به ومنه قول العرب فلان يتعبه العلم بان يعرف
فوق ما ينبغي هو العلم بها وقال الفرا معناه حقيق بان لا اقول على الله الا الحق فيكون على
بمعنى البا كما تقول رميت على القوس وبالقوس وجاني فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة
وقيل معناه حريص على ان لا اقول على الله الا الصدق وما فرضه علي من الرسالة عن ابي عبيدة
قد جيتكم ببينة اي بحجة ومعجزة من ربكم اي اعطانيها ربكم فارسل معي بني اسرائيل اي فاطلق
بني اسرائيل من عقال التسخير وخلهم يرجعوا الى الارض المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا
كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال الشاقة مثل بنا المنازل
وحمل الما ونقل التراب وما اشبه ذلك قال فرعون ان كنت جيت باية اي حجة ودلالة لتشهد
لتشهد ذلك على ما تقوله فات بها ان كنت من الصادقين في انك رسول الله فالقى عصاه
العصا فالجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين اي حية
عظيمة بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس ولم يكن مما يخيل انه حية وليس بحية
وقيل ان العصا لما صارت حية اخذت قبة فرعون بين فكيها وكان بينهما ثمانون ذراعا ففزع فرعون

للمعري

موسى الى موسى بعد ان وثب من سريره وهرب منها واحدث وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
خذها وانا اومن بك فاخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان طولها ثمانين
ذراعا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين هناك قيل ان فرعون قال له هل معك اية اخرى قال
نعم فادخل يده في جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه واظهرها فاذا هي بيضاء اي
لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس وكان موسى عليه السلم ادم فيما يروى ثم اعاد
اليد الى كمه فعادت الى لونها الاول عن ابن عباس والسدي ومجاهد سوال قيل كيف قال
سبحانه هنا فاذا هي ثعبان وقال في موضع آخر فلما راها تهتز كانها جان والثعبان الحية العظيمة
والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الاثنين ليسا انبا
عن قصة واحدة بل الحالتان مختلفتان فالحالة التي كانت العصا بصفة الجان في ابتدا النبوة
والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقا فرعون وعلى هذا فلا سوال وقد اجيب ايضا
عن ذلك بانه شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر
خلقها وهذا اظهر في باب الاعجاز حديث العصا قد ذكرنا ان موسى عليه السلم في سورة البقرة
واما عصاه فقيل انه اعطاه ملك حين توجه الى مدين وقيل ان عصا آدم من آس الجنة حين
اهبط وكان يتوارثون اولاده حتى انتهت النوبة الى شعيب فكان ميراثه مع اربعين عصا كانت
لابائه فلما استاجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العصي وقال له خذ عصا من تلك العصي
فوقع تلك العصي بيد موسى فاستردها شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلث مرات في كل
مرة تقع بيده عليها دون غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الى مصر
وراى نارا واتى الشجرة فناداه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله وامره بالقائها فصارت حية
فولى هاربا فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف فادخل يده بين لحييها فعادت عصى فلما اتى
فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الانبيا عليهم السلم ياخذون العصا
تجنبا من الخيلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعصوا فانها من سنن اخواني المرسلين
وقال امير المومنين علي عليه السلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خرج في سفر ومعه
عصى لوزمر وتلا هذه الاية ولما توجه تلقا مدين الى قوله والله على ما نقول وكيل امنه الله



اجماعهم في الشعر وربما حذفت همزة الاستفهام قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت
بني اسرائيل ان من الناس من يذهب بالآية على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال افرح ان ارزأ
الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا وهذا اقبح من قوله واصبحت فيهم آمنا لا كمعشر
اتوني فقالوا من ربيعة او مضر لان ام يدل على الهمزة **الاعراب** نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعا
ويكون تاكيدا للمضمر المتصل في كنا ويحتمل ان يكون فصلا بين الخبر والاسم ونعم حرف معه انه يجوز الوقف
عليه لانه في الوجوب نظير لا في النفي وانما جاز الوقف على كل واحد منهما لانه جواب لكلام يستغني
بدلالته عليه عما يتصل به والواو في قوله وانكم واو العطف فكانه قال لكم ذلك وانكم لمن
المقربين وهو في مخرج الكلام كانه معطوف على الحرف وكسرت الالف من انكم لانه في موضع
استيناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لانه لو لم تكن اللام لكانت مكسورة وانما دخلت
ان في قوله اما ان تلقي ولم تدخل في اما يعذبهم او يتوب عليهم لان فيه معنى الامر كانه قال
اختر اما ان تلقي اي اما القاؤك واما القاؤنا فموضع ان نصب ويجوز ايضا ان يكون التقدير
اما القاؤك مبدوء به واما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصبا **المعنى** وجاء السحرة فرعون
في الكلام حذف كثير تقديره فارسل فرعون في المداين حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم
فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن اسحق وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكدر وقيل
سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضع وثلثون الفا عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا
اثنان من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي
قالوا لفرعون ان لنا لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالاول لان المعنى لما جاؤا قالوا فلم يصلح
دخول الفاء على هذا الوجه ان لنا لاجرا اي عوضا على عملنا وجزاء بالخير ان كنا نحن الغالبين
لموسى قال نعم اي قال فرعون مجيبا لهم عما سالوه نعم لكم الاجر وانكم لمن المقربين اي وانكم مع حصول
الاجر لمن المقربين الى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التي لا يتخطى اليها العامة ولا يحظى بها
الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته لو استدل القوم به واحسنوا النظر فيه لقوتهم
لان من المعلوم انه لم يحتج الى السحرة الا لعجزه وضعفه قالوا يعني قالت السحرة لموسى اما ان تلقي ما معك
من العصا اولا واما ان نكون نحن الملقين لما معنا من العصي والحبال اولا قال موسى لهم القوا ما انتم ملقون

تهديد

تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل
وقيل معناه ان كنتم محقين فالقوا فلما القوا سحروا اعين الناس اي فلما القى السحرة ما عندهم من
السحر احتالوا في تحريك العصي والحبال بما جعلوا فيها من الزيبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير
ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل الى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وانما
سحروا اعين الناس لانهم اروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فانهم
لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لانه لو صارت
حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا اعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حيات
وقد قال سبحانه ايضا يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واسترهبوهم اي استدعوا رهبتهم حتى
رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد وجاؤا بسحر عظيم وصف سحرهم
بالعظم لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس ولانه
على ما ذكرناه في عمل السحر وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا او حبل فلما القوه وخيل الى الناس
انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه **قوله عز وجل واوحينا الى موسى ان الق عصاك**
فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون ست آيات **القراءة** قرا حفص عن عاصم تلقف خفيفة وفي طه والشعراء مثله والباقون
تلقف بتشديد القاف في جميعها **الحجة** لقف ولقم ولهم واصله تتلقف فحذفت التاء التي
للمطاوعة في تفعل وثبتت التي للمضارعة وتلقف ساكنة اللام مضارع لقف يلقف لقفا
قال الشاعر انت عصا موسى التي لم تزل تلقف ما يافكه الساحر **اللغة** الافك قلب الشيء عن وجهه
في الاصل ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى عن جهة الصواب اصل الوقوع السقوط كسقوط
الحائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشيء بوجوده
نازلا الى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدي
الى الهلاك وهو نقيض الحق فان الحق كون الشيء بحيث يؤدي الى النجاة والغلبة والظفر بالبغية
من العدو في حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشيء يصغر صغرا

وصغروا صغارا اذا ذل واصله صغر القدر الاعراب ان الق يجوز ان ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون
تقديره واوحينا الى موسى بان الق عصاك اى بالالقاء ويجوز ان يكون بمعنى اى لانه تفسير ما
اوحي اليه ما يافكون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يافكون فيه اى تلقف المافوك الذي
حل فيه الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون بمعنى وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل
ان يكون ما بمعنى المصدر اي وبطل عملهم ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي اى وبطل الحبال و
العصي التي عملوا بها السحر وما اذا كانت بمعنى المصدر لان ان يقلب الفعل يقلبن الى المصدر و
الى الاستقبال ولا ينقله ما الى الاستقبال تقول يعجبني ما تصنع الآن ويعجبني ان تصنع الخير وهنالك
دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار اليه كما دخلت في ذلك لبعد المشار اليه فهنا لما
بعد قليلا وهنالك لما كان اشد بعدا وهو ظرف مبهم وفيه معنى الاشارة كما ان ذا مبهم
وانما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الاشارة لتشعر بتاكيد معنى الاشارة الى المخاطب لبيته على
بعد المشار اليه من المكان والبعيد احق بعلامة التنبيه المعنى ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال
واوحينا الى موسى اى القينا اليه من جهة لم يشعر به الا هو ان الق عصاك التي معك فاذا هي تلقف
ما يافكون معناه فالقاها فصارت ثعبانا فاذا هي تبتلع ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد
فوقع الحق اي ظهر الحق وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق
بان صارت العصا حية في الحقيقة وبطل ما كانوا يعملون اي بطل تمويهاتهم وانما ظهر ذلك
لهم لانهم لما راوا تلك الايات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا انه امر سماوي لا
يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الايات قلب العصا حية ومنها اكلها حبالهم وعصيهم
مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيهم في بطنها اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوزه ومنه
عودها عصا كما كانت في غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الامور يعلم كل عاقل انه لا يدخل
تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار اسلامهم حجة على فرعون وقومه فغلبوا
هنالك اى قهر فرعون وقومه عند ذلك الجمع وبهت فرعون وخلي سبيل موسى ومن تبعه
وانقلبوا صاغرين اى انصرفوا اذلاء مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني ان السحرة لما شاهدوا
تلك الايات وعلموا انها من عند الله تعالى امنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله الهمهم الله

وقيل ان موسى وهرون سجدا لله تعالى شكرا له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما وانما قال
القي على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القاهم ما راوا من عظيم ايات الله بان دعاهم الى السجود
والخضوع له عزت قدرته وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند ذلك ان وقعوا ساجدين وهذا كما
يقال اعجب فلان بنفسه وان كان اتي من قبله وليس يفعل ذلك به غيره قالوا امنا اى صدقنا
برب العالمين الذي خلق السموات والارض وما بينهما رب موسى وهرون خصوهما بالذكر
بعد دخولهما في جملة العالمين لانهم دعوا الى الايمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما ولتفضيلهما
على غيرهما على طريق المدح والتعظيم لهما وقيل انهم فسروا سجودهم بان قالوا امنا برب العالمين
لئلا يتوهم متوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعي
انه رب العالمين فازالوا به الابهام لئلا يتوهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون
قال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل ربا ولا مربوب كما جاز لم يزل سميعا ولا مسموع
لانها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور هو للملوك ولا يطلق
الرب الا على الله تعالى لانه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب
الفرس ومثله خالق لا يطلق الا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الاديم قوله تعالى قال فرعون
امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها
فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا
انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ
علينا صبرا وتوفنا مسلمين اربع آيات القراءة قرا حفص عن عاصم امنتم بهمزة واحدة على
الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام الا ان اهل الكوفة الا حفصا يحققون الهمزتين
وغيرهم حققوا الاولى ولينوا الثانية ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف الحجة وجه الخبر انه
يخبرهم بايمانهم على وجه التقريع بايمانهم والانكار عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقريع
والتوبيخ ايضا ومن حقق الهمزتين فانه على ما يراه من تحقيقهما والهمزة الثانية ممدودة لان
الالف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء من الامن تصل بها ومن خفف الهمزة الثانية فتخفيفها
ان يجعلها بين بين اللغة الصلب الشد على الخشبة وغيرها واصله من صلابة الشد والقرا اكهم

على تشديد اللام من التصليب الازهري يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت والفصيح نقمت ابن الاعرابي
النقمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النقمة ضد النعمة والفرق بين النقمة والاساءة ان
النقمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والاساءة لا تكون الا قبيحة والمسيء مذموم لا محالة و
الافراغ صب ما في الاناء اجمع حتى يخلو اشتق من الفراغ والصبر حبس النفس على اظهار الجزع
والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل المعنى ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند
ايمان السحرة فقال سبحانه قال فرعون آمنتم به اي اقررتم له بالصدق من قبل ان آذن لكم اي من
قبل ان آمركم بالايمان واذن لكم في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها
اهلها اراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وايهامهم ان ايمان السحرة لم يكن عن علم
ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا اموالكم وملككم وقيل معناه ان هذا الصنيع صنعتموه فيما بينكم
وبين موسى في مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها اهلها فسوف
تعلمون عاقبة امركم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
اي من كل شق طرفا قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل
اليمنى ولاصلبنكم اجمعين اي لا ادع واحدا منكم الا اصلبه وقيل ان اول من قطع الرجل فرعون
صلبهم في جذوع النخل على شاطئ نهر مصر قالوا يعني السحرة جوابا لفرعون انا الى ربنا منقلبون
اي راجعون الى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب الى الله تعالى هو الانقلاب
الى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده
بوعيدات منه وهو عقاب الله وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا معناه وما
تطعن علينا وما تكره منا الا ايماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه
ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا منك مكروها تعذبنا عليه الا ايماننا بآيات ربنا وهي
ما اتى به موسى عليه السلام امنوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها الا هو ربنا افرغ علينا
صبرا اي اصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا والمراد الطف لنا حتى نصبر
على عذاب فرعون ونتشجع عليه ولا نفزع منه وتوفنا مسلمين اي وفقنا للثبات على الايمان
والاسلام الى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا واصلبهم فرعون

من قوم

من يومه وكانوا اول النهار كفارا سحرة واخر النهار شهداء بررة وقيل ايضا انه لم يصل اليهم وعصمهم الله
منه قوله تعالى وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك
وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون آية القراءة روي عن
علي عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وانس بن مالك وعلقمة وعمرو ويذرك وإلاهتك وعن نعيم
بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرك بالرفع وعن الاشهب ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة
ويذرك وآلهتك وقرا اهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف والباقون سنقتّل الحجة اما
الالاهة فانه الربوبية او العبادة فمن قرا والاهتك فمعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج
وقيل وعبادتك عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الالاهة والاهة لانهم كانوا يعبدونها
ومن قرا ويذرك بالرفع فانه على الاستيناف اي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذرْك فانه
كقراءة ابي عمرو ان الله يامرْكم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذرَك فانه على جواب الاستفهام
بالفاء فيكون المعنى ايكون منك ان تذر موسى وان يذرك ويجوز ان يكون عطفا على ليفسدوا
ومن قرا سنقتل بالتخفيف فانه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتثقيل بهذا المعنى
اخص وبالموضع اليق المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه وقال الملأ من قوم فرعون
لما اسلم السحرة تحريشا له على موسى اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي اتتركهم احياء
ليظهروا خلافك ويدعوا الناس الى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك وامرك وقيل
ليفسدوا في الارض بعبادة غيرك والدعاء الى خلاف ذلك وقيل ليفسدوا فيها بالغلبة
عليها واخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس انه لما آمن السحرة اسلم من بني اسرائيل ستمائة
الف نفس واتبعوه ويذرك وآلهتك قال الحسن وكان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام
بنفسه وكان الناس يعبدونها تقربا اليه وقال الحسن كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي
انه كان يامرهم ايضا بعبادة البقر ولذلك اخرج السامري لهم عجلا جسدا له خوار وقال هذا
الهكم واله موسى وقال الزجاج كان له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ومن قرا والاهتك
قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئا وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون
يُعبَد ولا يَعبُد قال فرعون سنقتل ابناءهم الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال

ونستحيي نساءهم اي بناتهم نستبقيهن اذ لا نكون فيهن بخوف وقوة للمهنة والخدمة استرقاقا لهن وكان
فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى فلم يقدر على قتل موسى وقومه لما رأى من علو امره وعظم
شانه فانتقل الى عذاب المستضعفين وهم ابناء بني اسرائيل وبناتهم ليوهم انه لم يتم له ذلك فيهم ايضا
وانا فوقهم قاهرون ظاهر المعنى قوله تعالى قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل
ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
فينظر كيف تعملون آيتان المعنى قال ابن عباس كان فرعون قتل ابناء بني اسرائيل فلما كان من
امر موسى ما كان امر باعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل الى موسى فعند ذلك قال موسى
لقومه استعينوا بالله في دفع بلاء فرعون عنكم واصبروا على دينكم وعلى اذى فرعون ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده اي ينقلها الى من عباده اي ينقلها الى من يشاء نقل المواريث فيورثكم
بعد اهلاك فرعون كما اورثها فرعون وهذا وعدهم بحسن العاقبة ليكون داعيا لهم الى الصبر
والعاقبة للمتقين معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فان حسن العاقبة في الدارين للمتقين و
العاقبة ما يؤدي اليه البادية الا انه اذا قيل العاقبة له فهو في الخير واذا قيل العاقبة عليه
فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه والدبرة له وعليه قالوا اي قال بنو اسرائيل لموسى اوذينا
من قبل ان تاتينا اي عذبنا فرعون بقتل الابناء واستخدام النساء قبل ان تاتينا بالرسالة
وقيل قبل ان جئتنا ومن بعد ما جئتنا ايضا ويوعدنا ويأخذ اموالنا ويكلفنا الاعمال
الشاقة فلم ننتفع بمجيئك وهذا يدل على انه جرى عليهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون
ياخذ الجزية قبل مجيء موسى وبعده من بني اسرائيل فلهذا قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا
ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه انما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى عليه السلام من النجاة
من فرعون وقومه فجدد عليه السلام لهم الوعد عن الله ليثقوا به قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم قال
الزجاج عسى طمع واشفاق الا ان ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين
عسى من الله واجبة معناه اوجب ربكم على نفسه ان يهلك عدوكم فرعون وقومه و
يستخلفكم في الارض اي يملككم ما كانوا يملكونه في الارض من بعدهم فينظر كيف تعملون اي فيرى

ذلك بوقوعه منكم لان الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما يقع منهم عن
الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلوم اي يبتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكم بالمحنة
ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب ونقدره
اعمالا حسنا تعملون ام قبيحا وشاكرين كنتم لنعمته ام كافرين وقد حقق الله سبحانه وهذا الوعد
فاورث بني اسرائيل ارض مصر ونواحيها بعد ان هلك عدوهم قوله تعالى ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة
قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم
عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون آيتان القراءة في الشواذ قراءة الحسن الا انما طيرهم عند الله
بغير الف الحجة الطير جمع طائر في قول ابي الحسن و في قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بمنزلة
الجامل والباقر غير مكسر وحكي عن قطرب ان الطير قد يكون واحدا كما ان الطائر واحد ويجوز
ان يكون الطائر جمعا كالجامل انشد ابن الاعرابي كانه تهتان يوم ماطر على رؤوس كرؤوس الطائر
اللغة العرب تقول اخذتهم السنة اذا كانت قحطة ويقال اسنت القوم اذا اجدبوا وانما
قيل للسنة المجدبة السنة ولم يقل المخصبة لانها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر احق بالافراد
بالذكر لانفراده بالمعنى الذي عدد به قالوا وجدنا البلاد سنين اي جدوبا قال واموال اللئام بكل
ارض تجحفها الجوائح والسنون وقال آخر كان الناس اذ فقدوا عليا نعام جال في بلد سنينا
اي في بلد جدوب والتطير التطير من الشيء وهو التشاؤم واشتقاقه من الطير وطائر الانسان
عمله اخذ من ذلك لان العرب كانت تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذي ياتي من جهة الشمال
وتتبرك بالسانح وهو الذي ياتي من قبل اليمين قال الشاعر زجرت لها طير الشمال فان يكن هواك
الذي تهوي يصبك اجتنابها ثم كثر ذلك حتى نسب الانسان طائره ويقال طار له من القسم
كذا وكذا وانشد ابن الاعرابي فاني لست منك ولست مني اذا ما طار من مالي الثمين يعني الزوجة
اذا اخذت ثمنها من ماله المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بال فرعون واقسم عليه فقال ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين اللام للقسم وقد يقرب الماضي من الحال لانه اذا توقع كون امر فقيل قد كان
دل على قربه من الحال وآل الرجل خاصته الذي يؤول امره اليهم وامرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا

قوم فرعون بالجدوب والقحوط ونقص من الثمرات اي واخذناهم مع القحط واجداب الارض نقصان
من الثمار لعلهم يذكرون اي يخافون فيوحدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك و
يرجعوا الى الحق قال الزجاج انما اخذوا بالضراء لان احوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما
عند الله الا ترى الى قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكي يتذكروا ان فرعون
لو كان الها لما كان ليتسلم لذلك الضر وفي هذه الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة فانه
سبحانه بين انه اراد منهم التذكر والرجوع الى الله فاذا جاءتهم الحسنة يعني الخصب
والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية قالوا لنا هذه اي انا نستحق ذلك على العادة
الجارية لنا من نعمنا وسعة ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه
ويؤدوا شكر النعمة فيه وان تصبهم سيئة اي جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك
المواشي والثمر يطيروا بموسى ومن معه اي يتطيروا فادغمت التاء في الطاء وتفسيره تشاءموا
بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رايناشرا ولا اصابنا بلاء حتى رايناكم الا انما طائرهم
عند الله الا انما الشوم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعله بهم في
الاخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه ان الله تعالى هو الذي ياتي بطائر البركة
وطائر الشوم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله
وقال الحسن معناه الا ان ما تشاموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله به يوم القيمة ولكن اكثرهم
لا يعلمون ولا يتفكرون ليعلموا قوله تعالى وقالوا مهما تاتنا به من اية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمومنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين آية بلا خلاف القراءة في الشواذ
قراءة الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف اللغة الطوفان السيل الذي يعم
بتغريقه الارض وهو ماخوذ من الطوف بها وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان قال
الاخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع والقمل
كبار القردان قال ابو عبيدة هو الحمنان الجمع حمنة وحمنانة الاعراب مهما قال الخليل انه
اصلها ما ما الا انهم ادخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء فيقولون اما وحيثما فغيروا الفها

بان

بان ابدلوها هاء لئلا يوهم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره اصلها مه بمعنى
الكف دخلت على ما التي للجزاء والفرق بين مهما وما ان مهما خالصة للجزاء وفي ما اشتراك لانها قد
يكون استفهاما تارة وبمعنى الذي اخرى وبمعان اخر تاتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه سقوط الياء
وانما حذفنا الياء للجزم لانه من حروف المد واللين وهي مجانسة لحركات الاعراب ومن شان
الجازم ان يحذف حركة فاذا لم يصادف حركة عمل في نفس الحرف لئلا يتعطل من العمل والضمير في به
يعود الى مهما وتقديره اي شيء تاتنا به والضمير في بها يعود الى اية ايات مفصلات نصب على الحال
المعنى وقالوا اي قال قوم فرعون لموسى عليه السلم مهما تاتنا به من اية اي اي شيء تاتينا به
من المعجزات لتسحرنا بها اي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون فما نحن لك بمومنين اي
مصدقين اشاروا بهذا القول الى اصرارهم على الكفر وانهم لا يصدقونه وان اتى بجميع الايات ثم
زاد سبحانه في الايات تاكيدا لامر موسى عليه السلم كما قال فارسلنا عليهم الطوفان اختلف فيه
فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان والقالع للاشجار والزروع عن ابن عباس
وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطا وقيل هو الطاعون بلغة اليمن ارسل الله
ذلك على ابكار ال فرعون في ليلة فاقعصهن فلم يبق منهن انسان ولا دابة عن وهب بن منبه
وقيل هو الجدري وهم اول من عذبوا به فبقي في الارض عن ابي قلابة وقيل هو امر من امر الله
تعالى طاف بهم عن ابن عباس رواه ابو طبيان عنه ثم قرا فطاف عليها طائف من ربك وهم
نائمون والجراد هو المعروف والقمل اختلف فيه فقيل هو الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة
له والجراد الطيارة التي لها اجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والكلبي وقيل
القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد بن
جبير والحسن وعطا الخراساني ولذلك قرا الحسن القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل القمل القراد
وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد بن جبير والضفادع والدم ايات مفصلات
اي بعضها منفصل من بعض وقيل مفصلات اي معجزات بينات ظاهرات وادلة واضحات عن
مجاهد فاستكبروا اي تكبروا عن قبول الحق والايمان بالله وكانوا قوما مجرمين عاصين كافرين
القصة قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق بن يسار ورواية علي بن ابراهيم باسناده

عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام دخل حديث بعضهم في بعض قالا لما آمنت السحرة ورجع فرعون
مغلوبا وابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر
من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات و
اخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا
الى البرية وضربوا الخيام وامتلات بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة
واقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون على ان يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا
المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان
لفرعون لئن خليت بني اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك وانبت الله تعالى لهم في تلك السنة
من الكلا والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم واخصبت فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا
وخصبا فانزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسرين
الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتاكل الابواب والثياب
والامتعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وجزع
فرعون من ذلك جزعا شديدا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى نخلي
عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى
السبت وقيل ان موسى عليه السلام برز الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت
الجراد من حيث جاءت حتى كان لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل فانزل
الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن ابراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل
وهو الجراد الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر ما يكون واخبثه فاتى على زروعهم كلها و
اجتثها من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الارض كلها وقيل امر موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب
اعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فاتاه فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فكان يدخل
بين ثوب احدهم فيعضه وكان ياكل احدهم الطعام فيمتلئ قملا قال سعيد بن جبير القمل
السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها ثلثة
اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم

ولزمت

ولزمت جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع
لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لاكفن عن بني اسرائيل فدعا موسى عليه السلام حتى ذهب القمل بعدما
اقام عندهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا فانزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في
الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلات منها بيوتهم وآنيتهم فلا يكشف
احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد
عليهم وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه ويفتح فاه
لاكلته فيسبق الضفدع اكلته الى فيه فلقوا منها اذى شديدا فلما راوا ذلك بكوا وشكوا
الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فانا نؤمن بك
ونرسل معك بني اسرائيل فاخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع
بعدما اقام عليهم سبعا من السبت الى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت
السنة الخامسة ارسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والاسرائيلي
يراه ماء فاذا شربه الاسرائيلي كان ماء واذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول للاسرائيلي
خذ الماء في فيك وصبه في فيّ فكان اذا صبه في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش
حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها دما فمكثوا في ذلك سبعة ايام
لا ياكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذي سلط عليهم كان
الرعاف فاتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني
اسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل قوله تعالى وَلَمَّا وَقَعَ
عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى
أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ آيتان اللغة اصل الرجز الميل عن الحق ومنه الرجز في
عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة
لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك و
ساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة تتحرك بها ثم تسكن ثم تستمر على ذلك

والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة دوية ودجى ليل كانهما يم تراطن
في حافاته الروم والغفلة حال تعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة **الاعراب** اذا ظرف المفاجأة
على ما تقدم بيانه وليست مضافة الى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد يكتفى بالاسم كما تقول خرجت فاذا
زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لانه اتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء فكانه فاجا الراي
عجب من نكثهم واذا هذه جواب لما ومثله قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون
ولا يجوز ان يجاب الشرط باذ لان اذ لا تكون الا للوقت الماضي والجواب انما يكون بعد الاول
ولذلك يصلح فيه الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء انما يقلب الفعل الى الاستقبال دون الوقت
المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب عن الحسن وقتادة و
مجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون
الف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد بن جبير ومثله ما روي عن ابي عبد الله عليه السلم
انه اصابهم ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا واصابهم ما لم يعهدوه قبله قالوا
يعني فرعون وقومه يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي تقدم اليك ان تدعوه به
فانه يجيبك كما اجابك في آياتك وقيل بما عهد عندك انا لو آمنا لرفع عنا العذاب وقيل بما
عهد عندك من النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون الباء باء القسم والمعنى بحق ما آتاك الله من
النبوة لما دعوت الله ليكشف عنا هذا الرجز اي العذاب لنؤمنن لك اي لنصدقن في انك نبي
ارسلك الله ولنرسلن معك بني اسرائيل اي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الاعمال الشاقة
فلما كشفنا عنهم الرجز اي فلما رفعنا عنهم العذاب الى اجل هم بالغوه يعني الاجل الذي غرقهم
الله فيه وقيل هو الاجل المقدر عن الحسن اذا هم ينكثون اي ينقضون العهد فانتقمنا منهم اي
فجازيناهم على سوء صنيعهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال فاغرقناهم في اليم اي البحر
بانهم كذبوا باياتنا اي فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم باياتنا بحججنا وبراهيننا الدالة على
صدق موسى وصحة نبوته وجحودهم لها وكانوا عنها غافلين معناه انه انزل عليهم العذاب
وكانوا غافلين عن نزول ذلك وقيل معناه انا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لاسباب الغفلة
وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيدا لهم على الاعراض عن الآيات والله اعلم بالصواب **قوله تعالى**

لئن كشفت عنا

الربع

**واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا
فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون
وقومه وما كانوا يعرشون** آية **القراءة** قرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون
بكسرها **الحجة** هما لغتان فصيحتان والكسر افصح ابو عبيدة يعرشون يبنون يقال عرش مكة اي بناؤها
الاعراب يجوز ان يكون مشارق الارض ومغاربها انما انتصب بانه مفعول اورثنا ويجوز ان يكون
ظرفا على تقدير واورثناهم الارض في مشارقها ومغاربها وقيل انما انتصب مشارق الارض
ومغاربها على الظرف لـ الاستضعاف والتقدير واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
في مشارق الارض ومغاربها الارض التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود الى
التي والتي صفة للارض المحذوفة وموضعها نصب باورثنا **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم
فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني بني اسرائيل فان القبط كانوا يستضعفونهم
فاورثهم الله بان مكنهم وحكم لهم بالتصرف واباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط
وكانوا اورثوا منهم مشارق الارض ومغاربها التي كانوا فيها يعني جهات المشرق والمغرب
منها يريد به ملك فرعون من ادناه الى اقصاه وقيل هي ارض الشام ومصر عن الحسن وقيل
ارض الشام شرقيها وغربيها عن قتادة وقيل ارض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني اسرائيل
داود وسليمان ملكوا الارض التي باركنا فيها باخراج الزروع والثمار وساير صنوف النبات
والاشجار الى غير ذلك من العيون والانهار وضروب المنافع وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض وانما كان
الانجاز تماما للكلام لتمام النعمة به وقيل ان كلمة الحسنى قوله سبحانه ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض الى قوله يحذرون وقال الحسنى وان كانت كلمات الله سبحانه كلها
حسنة لانه وعدهم بما يحبون وقال الحسن اراد وعد الله لهم بالجنة بما صبروا على اذى فرعون
وقومه وتكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه اي اهلكنا ما كانوا يبنون من القصور والابنية والديار وما كانوا يعرشون
من الاشجار ومن الاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس

قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين

ثلث آيات **القراءة** يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان **اللغة** المجاوزة الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوز جوازاً اذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة واجازه اجازة واصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شق اذنها وتبحر في العلم اذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والمتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لامرين احدهما ان معدنه مهلكة والآخر ما قاله الزجاج انه يقال لكل اناء متبر وكسارته تبره **الاعراب** كما لهم آلهة ما هذه كافة للكاف لان ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زماننا في هذا الفن ما ههنا مصدرية اي كما ثبت لهم آلهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ والخبر في قوله كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه ويجوز ان يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود اليه وآلهة بدل من ذلك الضمير او يرتفع باضمار هي اي هي آلهة فحذف هي وما هم فيه موصول وصلته في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل لباطل اغير الله ابغيكم الها ابغي يتعدى الى مفعولين وطلب يتعدى الى مفعول واحد لان معنى قوله بغاه الخير اعطاه الخير وليس كذلك طلب لانه غير متضمن بالمطلوب وعلى هذا فيكون الها مفعولا به ثانيا ويكون غير منصوبا على الحال التي لو تاخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغيكم الها غير الله وقد يجوز ان يكون بمعنى ابغي لكم ويكون غير الله منصوبا بانه مفعول ابغي وتقديره اطلب غير الله لكم معبودا فيكون الها منصوبا على الحال **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن احوال بني اسرائيل فقال وجاوزنا ببني اسرائيل اي قطعنا بهم البحر يعني النيل نهر مصر بان جعلنا لهم فيه طرقا يابسة حتى عبروا واغرقنا فرعون وقومه فيه فاتوا على قوم اي فمروا على قوم يعكفون على اصنام لهم اي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة اي انصب لنا شيئا نعبده

كما لهم

كما لهم اوثان يعبدونها وهذا كفر منهم بما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الاخيار وانما قالوا ذلك لان الانسان يحن الى ما يراه لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعدما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات حيث توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجعول لا يكون الها وان الاصنام لا يكون آلهة ويمكن ان يكونوا قد ظنوا انه يجوز ان يتقرب الى الله سبحانه بعبادة غيره وان اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا شبيه له كما حكى الله عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال انكم قوم تجهلون هذا حكاية عما اجابهم به موسى عليه السلام اي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس ان هؤلاء يعني القوم الذين عبدوا الاصنام متبر اي مدمر مهلك ما هم فيه من عبادة الاصنام وباطل ما كانوا يعملون اي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضررا فكأنه بمنزلة ما لم يكن من هذا الوجه فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه او بانه لا يصح معتقده فالاول بطلان البناء بالهدم والثاني كبطلان اله آخر مع الله لانه لا يصح في عدم ولا وجود قال يعني قال موسى لقومه بعد ما انكر على الاصنام وعلى من كان يعبدها اغير الله ابغيكم الها اي التمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل كقوله واختار موسى قومه اي من قومه الها اي معبودا تعبدونه سوى الله وهو فضلكم على العالمين اي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو ان ارسل اليكم رجلين منكم لتكونوا اقرب الى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم **قوله تعالى وإذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** آية **القراءة** يقتلون بالتشديد **الحجة** قد مضى الكلام في امثال ذلك مرة بعد اخرى فلا وجه للاطالة باعادته **المعنى** ثم خاطب الله سبحانه بني اسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بالنعم على اسلافهم فقال وإذ انجيناكم اي واذكروا اذ خلصناكم من آل فرعون يسومونكم اي يولونكم اكراها ويحملونكم اذلالا لاسوء العذاب يقتلون ابناءكم اي يكثرون قتل ابنائكم ويستحيون نساءكم اي يستبقون بنتهم

للخدمة والمهنة وفي ذلكم اي فيما فعل بكم من النجاة بلاء اي نعمة من ربكم عظيم عددها وقيل معناه وفي
تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مر تفسير هذه الآية في سورة البقرة قوله عز وجل
وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة و
قال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين آية
اللغة الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال والوقت وقت
الشيء قدره مقدر او لم يقدره ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها
المعنى ثم بين سبحانه تمام نعمه على بني اسرائيل فقال وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر ولم يقل
اربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه احدها ان العشر كانت ذا القعدة
وعشر ذي الحجة ولو قال اربعين ليلة لم يعلم انه كان الابتداء اول الشهر ولا ان الايام كانت
متوالية ولا ان الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قوله قول مجاهد وابن عباس وابن جريج
ومسروق واكثر المفسرين وثانيها انه سبحانه واعد موسى ثلثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة
ثم اتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت له التورية فيها فلذلك افردت بالذكر
وثالثها ان موسى عليه السلام قال لقومه اني اتاخر عنكم ثلثين يوما ليتسهل عليكم ثم زاد عليهم عشرا
وليس في ذلك خلف لانه اذا تاخر عنهم اربعين ليلة فقد تاخر ثلثين قبلها عن ابي جعفر الباقر
عليه السلام وقريب منه ما روي عن الحسن ان الموعد كان اربعين ليلة في الاصل فاجمل هنالك و
فصل هاهنا على وجه التاكيد فتم ميقات ربه اربعين ليلة انما قال هذا مع ان ما تقدم دل
على هذا العدد للبيان والتفصيل الذي يسميه الكتاب الفذلكة ولو لم يذكره لجاز ان يتوهم
انه اتم الثلثين بعشر منها على معنى كملنا الثلثين بعشر حتى كملت ثلثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين
وقد مر معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا ان اربعين هنا منصوب على الحال وتقديره
معدودة اربعين ليلة وقال موسى وقت خروجه الى الميقات لاخيه هرون اخلفني اي كن خليفتي
في قومي واصلح فيما بينهم واجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال
غيبتي وقيل اصلحهم اي احملهم على الطاعة ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تسلك طريقة العاصين
ولا تكن عونا للظالمين وانما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به اخاه وانما امر موسى عليه السلام

اخاه

اخاه هرون بان يخلفه وينوب عنه في قومه مع ان هرون كان نبيا مرسلا لان الرياسة كانت لموسى
عليه السلام عليه وعلى امته ولم يكن يجوز ان يقول هرون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على ان
منزلة الامامة منفصلة من النبوة وغير داخلة فيها وانما اجتمع الامران لانبياء مخصوصين لان
هرون لو كان له القيام بامر الامة من حيث كان نبيا لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه
واقامته مقامه قوله عز وجل ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني
انظر اليك قال لن تريني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تريني
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت
اليك وانا اول المؤمنين آية القراءة جعله دكاء بالمد ههنا وفي الكهف كوفي غير عاصم و
وافقهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر والتنوين في الموضعين الحجة قال الزجاج
جعله دكا بالتنوين معناه جعله مدقوقا مع الارض والدكاء والدكاوات الروابي التي مع
الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا وقال ابو الحسن لما قال جعله دكا قال دكه واراد
جعله ذا دك وقال ابو عبيدة جعله دكا اي مندكا وناقة دكاء ذاهبة السنام لانه جعله كالناقة
الدكاء ففي اكثره والدك المستوي وانشد للاغلب هل غير غار دك غارا فانهدم وقال علي
بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال دكه يدكه دكا اي سحقه سحقا اللغة التجلي الظهور وقد يكون
تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة
نائيا اراد الشاعر ان تدبيره دل عليه ويقال للسيد هو ابن جلا اي لا يخفى امره لشهرته وفي
خطبة الحجاج انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل ماض
وكانه قال انا ابن الذي جلا اي اوضح وكشف المعنى ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال ولما جاء
موسى لميقاتنا معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي وقتنا له وامرنا بالمصير اليه لنكلمه
وننزل عليه التورية ويمكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقته الله له ان ياتي
ذلك المكان فيه فان لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت الاحرام فانها
للامكنة التي لا يجوز مجاوزتها لاهل الآفاق الا وهم محرمون وكلمه ربه من غير سفير او وحي
كما كان يكلم الانبياء على السنة الملائكة ولم يذكر في اي موضع اسمعه كلامه وذكر في موضع آخر

انه اسمعه كلاما من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام لان الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل انه في هذا
الموضع اسمعه كلاما من الغمام قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك انظر اليك اختلف العلماء
في وجه مسألته عليه السلام الرؤية مع علمه بانه سبحانه لا يدرك بالحواس على اقوال احدها ما قاله
الجمهور وهو الاقوى انه لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها لقومه حين قالوا له لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال عليه السلام لما اخذتهم الرجفة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
واضاف ذلك الى السفهاء وسأل على هذا فقال لو جاز ان يسأل الرؤية لقومه مع علمه
باستحالة الرؤية عليه تعالى لجاز ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبه
ذلك متى شكوا فيه والجواب ان الشك في الرؤية لان الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي
كونه جسما يمكن معه معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب
الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه مع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع
من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون غنيا ولا عالما بجميع المعلومات ولا يثبت العلم بصحة السمع من
ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز ان يسأل موسى لقومه ما
يعلم استحالته ايضا وان كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك
صلاحا للمكلفين في دينهم غير انه شرط ان يبين النبي في مسألته ذلك علمه باستحالة ما يسأل عنه
وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا وثانيها انه عليه السلام لم يسأل الرؤية بالبصر
ولكن سأله ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فتزول
عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل ابراهيم
عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وان كان قد عرف ذلك بالاستدلال
والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فقد يفيد العلم كما يفيد الادراك بالبصر على غير وجه التشبيه عن
الحسن والربيع والسدي وذلك لان معرفة التوحيد يصح مع الجهل بمسألة الرؤية ومعرفة السمع
يصح ايضا معه وهذا ضعيف لان الغرض ان كان على ما ذكروه فان الانبياء لا يجوز ان يخفى
عليهم مثل هذا مع جلالة رتبتهم وعلو درجتهم قال لن تراني هذا جواب من الله تعالى
ومعناه لا تراني ابدا لان لن تنفي على وجه التأبيد كما قال ولن يتمنوه ابدا وقال ولن يخلقوا ذبابا

ولو اجتمعوا

ولو اجتمعوا له ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق رؤيته باستقرار الجبل الذي
علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون فان
قيل انه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه سبحانه بما يستحيل كما علق دخول الجنة بما يستحيل
من ولوج الجمل في سم الخياط فجوابه انه علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله
دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر امر ربه لاهل الجبل
فحذف والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رؤيته
غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدثها في الجبل لاهل الجبل كما يقال الحمد لله
الذي تجلى لنا بقدرته وكل آية يجددها الله سبحانه وكانه تجلى للعباد بها فلما اظهر الآية العجيبة
في الجبل صار كانه ظهر لاهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلى
ربه امره للجبل اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله ابرز من
العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نوره للجبل وقال الحسن لما
ظهر وحي ربه للجبل جعله دكا اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض
حتى فني عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب
وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل ستة اجبل وقعت ثلثة بالمدينة
وثلثة بمكة فالتي بالمدينة احد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثبير وحراء وروي ذلك عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن و
ابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما افاق ولا يقال افاق الميت وانما يقال عاش او حيي و
اما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروي عن
ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية يوم الخميس يوم عرفة فافاق عشية الجمعة وفيه نزلت
عليه التورية وقيل معناه خر ميتا عن قتادة فلما افاق من صعقته ورجع اليه عقله قال
سبحانك اي تنزيها لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من ان تأخذني
بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية تبت اليك من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل قال
على وجه الانقطاع الى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الالفاظ عند ظهور الامور



يخبط خبطا اذا اصابها ذلك واذا حمل الانسان عملا على خلاف الوجه الذي امر به يقال اخبطه
المعنى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض في معناه وجوه احدها انه اراد ساصرف
عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المتكبرين
في الارض بغير الحق كما فعل بقوم موسى وفرعون فان موسى كان يقتل من القبط وكان احد
منهم لا يجترئ بامر الله بمكروه خوفا من الثعبان وعبر بني اسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه
عن ابي علي الجبائي والآيات على هذا التأويل يحتمل ان يكون سائر الادلة ويحتمل ان يكون معجزات
الانبياء عليهم السلم وفي قوله ذلك بانهم كذبوا بآياتنا بيان ان صرفهم عن الآيات مستحق
بتكذيبهم وثانيها ان معناه ساصرفهم عن زيادة المعجزات التي اظهرها على الانبياء عليهم السلم بعد
قيام الحجة بما تقدم من المعجزات التي تثبت بها النبوة لان هذا الضرب من المعجزات انما يظهر
اذا كان في المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بان لا يظهرها
جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي
لان ما بعده يليق به من قوله وان يروا سبيل الرشد الى آخر الآية وثالثها ان معناه سامنع الكذابين
والمتكبرين آياتي ومعجزاتي واصرفهم عنها واخص بها الانبياء فلا اظهرها الا عليهم واذا
صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لاحد ان يقول هلا
قال ساصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا يبطل قول من قال ان الله تعالى جعل النيل لخاتم
فرعون فكان يجري بامره ويقف بامره وما شاكل ذلك ورابعها ان يكون الصرف معناه المنع
من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها من كونها ادلة وحججا ويكون تقدير الآية
اني اصرف المبطلين والمكذبين عن القدح في دلالاتي بما اؤيدها واحكمها من الحجج والبينات
ويجري ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعداءه بافعاله الحميدة واخلاقه الكريمة من ذمه
وتهجينه واخرس السنتهم عن الطعن فيه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله
ذلك بانهم كذبوا بآياتنا راجعا الى ما قبله بلا فصل من قوله وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا ولا يرجع الى قوله ساصرف وخامسها ان المراد ساصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها
هؤلاء المتكبرين بالاهلاك او المنع من غير اهلاك فلا يقدرون على القدح فيها ولا قهر مبلغها ولا

منع المؤمنين من اتباعها والايمان بها وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون الآيات في
هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحملها الانبياء عليهم السلم ويكون قوله ذلك
بانهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقا ايضا بقوله وان يروا سبيل الرشد الى ما بعده ومعنى قوله
الذين يتكبرون في الارض اي يرون لانفسهم فضلا على الناس وحقا ليس لغيرهم مثله فيحملهم
ذلك على ترك اتباع الانبياء انفة من الانقياد لهم والقبول منهم وقوله بغير الحق وقد مضى ذكر
امثاله وان يروا كل آية اي كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة انبيائه لا يؤمنوا بها
هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم انهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان انه انما
صرفهم عن آياته لذلك وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يعني ان يروا طريق الهدى و
الحق لا يتخذوه طريقا لانفسهم وان يروا سبيل الغي اي طريق الضلال يتخذوه سبيلا اي طريقا
لانفسهم ويميلون اليه وقيل الرشد الايمان والغي الكفر وقيل الرشد كل امر محمود والغي كل
امر قبيح مذموم ذلك اشارة الى صرفهم عن الآيات وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق الغي و
ترك طريق الرشد وتقديره امرهم ذلك بانهم كذبوا بآياتنا اي بحججنا ومعجزات رسلنا و
كانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالغفلة هنا التشبيه لا الحقيقة
مثل قوله سبحانه صم بكم عمي وذلك انهم لما اعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها اشبهت
حالهم حال من كان غافلا ساهيا عنها ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال والذين كذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة يعني القيمة والبعث والنشور حبطت اعمالهم التي عملوها فلا يستحقون بها
مدحا ولا ثوابا لانها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت بمنزلة ما لم تعمل اصلا
هل يجزون الا ما كانوا يعملون صورته صورة الاستفهام والمراد به الانكار والتوبيخ ومعناه ليس
يجزون الا ما عملوه ان خيرا فخير وان شرا فشر النظم قيل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه
احدها انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين بقوله ساصرف عن آياتي
انه يمنع عن ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون وثانيها انه لما تقدم
ذكر معجزات موسى نبه عقيبه على انه سبحانه لا يظهر المعجزة على يد من ليس بنبي واراد من صدق
موسى ومحمد عليهما السلم لمكان المعجزة وثالثها انه خطاب لموسى عليه السلم وزيادة في البيان عن امام

ما وعده في اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه منعها اياهم من طعن الطاعنين فاني
ساصرف ورابعها ان الآيتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم
والمراد انه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى **قوله عز وجل واتخذ قوم موسى**
من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
اتخذوه وكانوا ظالمين آية **القراءة** قرا حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرا يعقوب

بضم الحاء

حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرا الباقون حليهم بكسر اللام **الحجة** من قرا بضم الحاء فانه جمع حلي
مثل ثدي وثُدي وجمعه لانه اضافه الى جميع ومن قرا بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج
من الضمة الى الكسرة واجراه مجرى قسي ومن قرا حَليهم فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير
اللغة الاتخاذ اجتباء الشيء لامر من الامور فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة
من الذهب او الفضة ويقال حلي الشيء في عيني يحلى حلى وحلا في فمي يحلو حلاوة وحلى الرجل
تحلية اذا وصفته بما يزين به وتحلى بكذا تزين به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن
وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره
من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصراخ
والبكاء والعطاس **الاعراب** موضع من حليهم نصب وتقديره اتخذوا حليهم عجلا جسدا
بدل من عجل **المعنى** ثم عاد الكلام في قصة بني اسرائيل وما احدثوه عند خروج موسى عليه السلم
الى ميقات ربه فقال سبحانه واتخذ قوم موسى يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني
جميعهم لان منهم من صاغ العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكره وانما انكره القليل منهم
فخرج الكلام على الغالب من بعده اي من بعد خروج موسى الى الميقات عن الجبائي وغيره من حليهم
التي استعاروها من قوم فرعون وكانت بنو اسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان لهم يوم
عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلي القبط
فلما اخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في ايديهم فاتخذ السامري منها
عجلا وهو ولد البقرة جسدا اي مجسدا لا روح فيه وقيل لحما ودما عن وهب له خوار اي
صوت وروي في الشواذ عن علي عليه السلم جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت ايضا وفي كيفية خوار

العجل

العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف فقيل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرئيل عليه السلم يوم
قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحما ودما وكان ذلك معتادا غير خارق العادة
وجاز ان يفعل الله ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات
التي تصوت بالحيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وانما اضاف سبحانه الصوت اليه لانه كان محله
عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فارجفا ان موسى عليه
السلم قد مات لما لم يرجع على راس الثلثين فدعاهم الى عبادة العجل فاطاعوه ولم يطيعوا هرون
وعبدوا العجل على ما مر ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال الم يروا اي الم
يعلموا انه لا يكلمهم بما يجدي عليهم نفعا او يدفع عنهم ضررا ولا يهديهم سبيلا اي لا يهديهم
الى خير لياتوه ولا الى شر ليجتنبوه ودل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا يتكلم
بخير وشر ولا يهدي الى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون الها معبودا اتخذوه
اي اتخذوه الها وعبدوه وكانوا ظالمين باتخاذهم له الها واضعين للعبادة في غير موضعها
قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا
ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين آية **القراءة** لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب و
تغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم الباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع **الحجة** من قرا بالياء
جعل الفعل للغيبة وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرا بالتاء ففيه ضمير الخطاب و
ربنا منادى وحذف حرف التنبيه معه لان عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله
ربنا اني اسكنت من ذريتي ربنا وآتنا ما وعدتنا **اللغة** معنى سقط في ايديهم وقع البلاء
في ايديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عندما يجده مما كان خفي عليه
ويقال سُقط في يده وبغير الف افصح وقال معناه صار الذي كان يضرب به تلقى في يده **المعنى**
ثم اخبر سبحانه انهم ندموا على عبادة العجل فقال ولما سقط في ايديهم اي فلما لحقتهم الندامة
وراوا انهم قد ضلوا اي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع اليهم
موسى وبين لهم ذلك قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويغفر لنا ما قدمنا من عبادة العجل
لنكونن من الخاسرين باستحقاق العقاب قال الحسن انهم كلهم عبدوا العجل الا هرون بدلالة قول موسى

رب اغفر لي ولاخي ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له وقيل غيره لانا عبده بعضهم **قوله عز وجل**
**ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم
امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع
القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت
ارحم الراحمين** آيتان **القراءة** قرا ابن عامر واهل الكوفة غير حفص ابن ام بالكسر ههنا وفي طه وقرا
الباقون ابن ام نصبا في الموضعين وروي في الشواذ عن مجاهد فلا تشمت بفتح التاء والميم الاعداء
بالنصب وروي عن مجاهد ايضا فلا يشمت بالياء **الحجة** من قرا ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا
الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جعلوهما اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم
فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لان هذا اكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول
يا ابن امي باثبات الياء قال الشاعر: يا ابن امي ويا شقيق نفسي انت خليتني لدهر شديد ولامر شديد
قال ابو علي بني الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبة التي كان تكون في الاسم المضاف
المنادى لكن بني على الحركة التي كان تكون للاعراب كما ان قولهم لا رجل كذلك وكما ان ما كان منادى الرد
به الامر لا تكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في دونك فان
قال قائل فلم لا تقول انها نصبة والمراد يا ابن اما فحذفت الالف كما حذفت بالاضافة في يا غلام
قيل له ليس هذا مثله الا ترى ان من حذف الياء من يا غلامي اثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت
الالف مقدرة في يا ابن ام لم تكن تحذف كما لم تحذف في قوله يا ابنة عما لا تلومي واهجعي فالالف
لا تحذف حيث تحذف الياء الا ترى ان من قال ما كنا نبغ والليل اذا يسر فحذف الياء من الفواصل
وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في قوله والليل اذا يغشى والنهار
اذا تجلى الا الاثبات فان قلت فقد حذف الالف في نحو قوله رهط ابن مرجوم ورهط ابن
المعل يريد المعلى وانشد ابو الحسن: فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو اني
يريد بلهفى فالقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي ان يحمل
قول ابن ام على هذا وقياس من اجاز ذلك ان تكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في

عشر

عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم يا ابنة عما قال الزجاج ومن قرا ابن ام بالكسر فانه اضافه
الى نفسه بعد ان جعله اسما واحدا **اللغة** الاسف الغضب الذي فيه تاسف على فوت ما سلف
والاسف الحزن والتلهف ايضا ويقال خلفه يخلفه بما يحب وبما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل
والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة
ويقال عجلته اي سبقته واعجلته استحثثته والشماتة سرور العدو بنزول العاقبة يقال
شمت به شماتة واشمته اشماتا عرضه لتلك الحال **الاعراب** غضبان منصوب على الحال
وهو فعلان مؤنثه فعلى نحو غضبان وغضبى ولا ينصرف لان فيه الالف والنون
المضارعتين لالفي التأنيث في حمراء **المعنى** ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى عليه السلام حين رجع من
مناجاة ربه وراى عكوف قومه على عبادة العجل فقال ولما رجع موسى الى قومه يعني بني
اسرائيل غضبان اسفا اي حزينا عن ابن عباس وقيل الاسف الشديد الغضب عن ابي الدرداء
وقيل معنى الغضب والاسف واحد وانما كررهما للتاكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر
متى ادن منه ينا عني ويبعد عن ابي مسلم وقيل معناه غضبان على قومه اذ عبدوا العجل
اسفا حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاة ربه قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما
عملتم خلفي وبئس الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ميقات ربي اعجلتم امر ربكم اي ميعاد ربكم
فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعدكم الذي وعدني من الاربعين ليلة
وذلك انهم قدروا انه قد مات لما لم يأتكم على راس ثلاثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل
قبل ان يأتيكم امر من ربكم عن الكلبي وقيل ان معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته
فلما لم تنالوه عدلتم الى عبادة غيره عن الجبائي والقى الالواح معناه انه القاها لما لحقه
من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال يرحم الله اخي موسى ليس المخبر كالمعاين لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد
عرف ان ما اخبره ربه حق وانه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع الى قومه وراهم فغضب
والقى الالواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الالواح واخذ براس اخيه يعني هرون يجره اليه قيل في
معناه وجوه احدها ان موسى عليه السلام انما فعل ذلك مستعظما لفعلهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل

الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفتيه فاجرى
موسى عليه السلام اخاه هرون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر
عن ابي علي الجبائي وهذا من الامور التي تختلف احكامها بالعادات فيكون ما هو اكرام في موضع
استخفافا في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع اكراما في آخر وثانيها انه عليه السلام اراد
ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لاكباره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد فصدر
ذلك منه الما بضلالهم واعلاما لهم عظم الحال عنده لينزجروا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره
الشيخ المفيد ابو عبد الله بن النعمان رضي الله عنه وثالثها انه انما جره الى نفسه ليناجيه
ليبرئ حال القوم منه ولهذا اظهر هرون براءة نفسه ولما اظهر براءته دعا له ورابعها
انه لما رأى بهرون مثل ما به من الجزع والقلق اخذ برأسه متوجعا له مسكنا فكره هارون
ان يظن الجهال ذلك استخفافا فاظهر براءته ودعا له موسى ازالة التهمة وخامسها انه انكر
على هرون ما بينه في طه من قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني الآية عن ابي مسلم قال
يعني قال هرون ابن ام قال الحسن والله لقد كان اخاه لابيه وامه انما نسبه الى الام لان ذكر الام
ابلغ في الاستعطاف ان القوم استضعفوني يعني ان القوم الذين تركتني بين اظهرهم اتخذوني
ضعيفا وكادوا يقتلونني اي هموا بقتلي وقربوا ان يقتلوني لشدة انكاري عليهم فلا تشمت
بي الاعداء اي لا تسرهم بان تفعل ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ولا تجعلني مع القوم الظالمين
اي لا تجعلني مع عبدة العجل ومن جملتهم في اظهار الغضب والموجدة علي قال موسى حين تبين له
ما بينه هارون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم رب اغفر لي ولاخي هذا
على وجه الانقطاع الى الله سبحانه والتقرب اليه لا انه كان وقع منه او من اخيه قبيح كبير او صغير
يحتاج ان يستغفر منه فان الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل
انه عليه السلام بين بهذا لبني اسرائيل انه لم يجر راسه اليه لعصيان وجده منه وانما فعله كما يفعل
الانسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائي وادخلنا في رحمتك اي نعمتك وجنتك
وانت ارحم الراحمين ظاهر المعنى وانما يذكر في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته عز اسمه فان الا
بالنعمة يوجب الاتمام وسعة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فيقال ارحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته

كما يقال

الرحمة

فان الابتداء بالنعمة يوجب الاتمام وسعة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فيقال ارحم الراحمين لاستدعاء
من جهته كما يقال اجود الاجودين لاستدعاء الجود من قبله قوله عز وجل ان الذين اتخذوا
العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين و
الذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور
رحيم ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم
لربهم يرهبون ثلث آيات اللغة السكوت الهدو واصله منع البدال التي يليه ومنه قولهم
قولك ان تفعل كذا اي ينبغي ان تفعله فانه يحتمل خيره وسكت اي سكن والسكوت هو الامساك
عن الكلام بهيئة منافية لسببه وهو تسكين آلة الكلام وانما قيل سكت الغضب توسعا
مجازا لانه لما كان بفورته دالا على ما في نفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكنت
تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلما به فالسكوت في هذا الموضع احسن من السكون
لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه الاعراب قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون
لربهم لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام
عليه وقيل انه اذا كان بمعنى من اجله جاز دخول اللام عليه تقدم او تأخر كما قال ردف لكم
المعنى ثم اوعدهم سبحانه فقال ان الذين اتخذوا العجل فيه حذف اي اتخذوه الها او معبودا
من دون الله سينالهم غضب اي سيلحقهم على عبادتهم اياه عقوبة من ربهم وانما ذكر الغضب
مع الوعيد بالنار لانه ابلغ في الزجر عن القبيح وذلة في الحيوة الدنيا يعني صغر النفس والمهانة
قال الزجاج والذلة ما امروا به من قتل انفسهم وقيل ان الذلة اخذ الجزية واخذ الجزية
لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد استسلامهم للقتل وكذلك نجزي المفترين اي مثل هذا الغضب
والعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمتخرصين وانما سموا مفترين لانهم عبدوا عجلا
وقالوا انه اله فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله والذين عملوا السيئات اي
الشرك والمعاصي ثم تابوا من بعدها وآمنوا اي واستأنفوا عمل الايمان وقيل معناه
وآمنوا بان الله قابل للتوبة ان ربك يا محمد من بعدها اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات
لغفور لذنوبهم رحيم بهم ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب وقيل معناه زالت فورة غضبه

ولم يزل الغضب لان توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال غضبه لانهم تابوا اخذ الالواح التي كانت
فيها التورية وفي نسختها اي وفيما نسخ فيها وكتب عن الجبائي وابي مسلم وقيل في نسختها اي
كتبت ونسخت منها هدى اي دلالة وبيان لما يحتاج اليه من امور الدين ورحمة اي نعمة
ومنفعة للذين هم لربهم يرهبون اي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي
الآية دلالة على انه يجوز القاء التورية للغضب الذي يظهر بالقائها ثم اخذها للحكمة التي
فيها من غير ان يكون القاؤها رغبة عنها قوله عز وجل وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ
رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ
وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ
وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ اللغة
الاختيار ارادة ما هو خير فعل الخير بين امرين فاختار احدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد
والفتنة الكشف والاختبار قال المسيب بن علس اذ تستبيك باصلتي ناعم قامت لتفتنه بغير
قناع اي لتكشفه وتبرزه الاعراب واختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه
وانما حذف من لدلالة الفعل عليه مع ايجاز اللفظ قال الفرزدق ومنا الذي اختير الرجال
سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع وقال غيلان وانت الذي اخترت المذاهب كلها
بوهبين اذ ردت علي الاباعر وقال آخر فقلت لها اخترها قلوصا سمينة ونابا علينا مثل
نابك في الحيا المعنى ثم اخبر سبحانه عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات ربه فقال
واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا واختلف في سبب اختياره اياهم ووقته فقيل انه
اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التورية فيكونوا شهداء
له عند بني اسرائيل لما لم يثقوا بخبره ان الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلام الله
تعالى سألوا الرؤية فاصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم
اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الاول الذي
تقدم ذكره عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن ابراهيم
في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا

م ذلك

من ذلك فلما سمعوا كلام الله قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الرعدة والحركة الشديدة
حتى كادت تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل
على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بانهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين
الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين
اخذتهم الرجفة وانما امر الله تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرز بهم
ليدعوا ربهم وكان فيما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطيه احدا
بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة ورووا عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه
قال انما اخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل هرون وذلك ان موسى وهرون وشبر
وشبير ابني هارون انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون في سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى
فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هرون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته حسدتنا
على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم فلما انتهوا
الى القبر قال موسى يا هرون اقتلت ام مت فقال هرون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا
لن نعصي بعد اليوم فاخذتهم الرجفة وصعقوا وماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب
لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى
كادت تبين منهم مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت
واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد
ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم قال اي
قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اي لو شئت هؤلاء السبعين من قبل هذا
الموقف واهلكتني معهم فالآن ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا معناه النفي وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء
منا فبهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى
عليه السلام انهم اهلكوا لاجل عبادة بني اسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤية عن
جماعة من المفسرين ان هي الا فتنتك معناه ان الرجفة الا اختبارك وابتلاؤك ومحنتك اي

تشديد التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير وابي العالية والربيع
مثله قوله اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يعني بذلك الامراض والاسقام التي
شدد الله بها التعبد على عباده وتمام ذلك فتنة لا نثبت الصبر عليها ومثله الم احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اي تبتليهم بشدائد الدنيا وقيل ان المراد بالفتنة ها هنا العذاب
عن ابن عباس وقد سمى الله العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وكان
قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل او سوالهم الرؤية
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اي تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عمن تشاء
عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك
وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها
من تشاء انت ولينا معناه انت ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الغافرين اي خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم قوله عز وجل واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء
ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا
يؤمنون اية القراءة في الشواذ قراءة الحسن وعمرو الاسواري من اساء والقراءة المشهورة من اشاء
والوجه فيه ظاهر المعنى هذا تمام ما قاله موسى عليه السلام في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة سأل الله سبحانه ان يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وانما سميت النعمة حسنة
وان كانت الحسنة اسم الطاعة لله لامرين احدهما ان النعمة تتقبلها النفس كما ان الطاعة يتقبلها
العقل والآخر انها ثمرة الطاعة لله وانما ذكر لفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا واوجب لنا لان
الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور
الايام وفي الآخرة معناه واكتب لنا في الآخرة حسنة ايضا كما في قوله ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الآخرة الرحمة وقيل
هي في الدنيا التوفيق للاعمال الصالحة وفي الآخرة المغفرة والرحمة انا هدنا اليك اي رجعنا
بتوبتنا اليك والهود الرجوع قال الله تعالى مجيبا لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشاء

من عصاني

من عصاني واستحقه بعصيانه وانما علقه بالمشية لجواز الغفران في العقل ورحمتي وسعت كل شيء قال
الحسن وقتادة ان رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم القيمة للمتقين خاصة قال عطية
العوفي وسعت كل شيء ولكن لا تجب الا للذين يتقون وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن
لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار
غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه انها تسع كل شيء ان دخلوها فلو دخل
الجميع فيها لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها لضلالته وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قام في الصلوة فقال اعرابي وهو في الصلوة اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا
احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للاعرابي لقد تحجرت واسعا يريد رحمة
الله عز وجل واورده البخاري في الصحيح فسأكتبها للذين يتقون اي فسأوجب رحمتي للذين
يتقون الشرك اي يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي ويؤتون الزكوة اي يخرجون
زكوة اموالهم لانها من اشق الفرائض وقيل معناه يطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن
وانما ذهبا الى تزكية النفس وتطهيرها والذين هم باياتنا يؤمنون اي بحججنا وبيناتنا
يصدقون وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انه لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال
ابليس انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس بقوله فسأكتبها للذين يتقون الى آخر الآية
فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكوة ونؤمن بآيات ربنا فجعلها لهذه الامة
بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية قوله عز وجل الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون القراءة قرأ ابن عامر آصارهم
على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد الحجة قال ابو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد
لفظه يدل على ذلك قوله اصرهم فاضيف وهو مفرد الى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمل
علينا اصرا وقال ينظرون من طرف خفي ولا يرتد اليهم طرفهم فالوجه الافراد في غير هذا اللفظ

وجمعه بن عامر كانه اراد ضروبا من المآثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع اذا اختلفت ضروبها
واذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله هل من حلوم لاقوام فينذرهم ما جرب الناس
من عضي وتضريسي فان يجمع ما يختلف من المآثم اجدر ويقوي ذلك قوله وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر **اللغة** قال الزجاج اختلف اهل اللغة في معنى
قوله عزروه في قولهم عزرت فلانا اعزره واعزره عزرا فقيل معناه رددته وقيل معناه
اعنته وقيل معناه لمته ويقال عزرته بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه
منعوا اعداءه من الكفر به وقيل نصروه والمعنى قريب لان معنى منع الاعداء منه نصرة و
معنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا دون الحد انه يمنعه بضرب اياه عن معاودة مثل عمله ويجوز
ان يكون من عزرته اي رددته فمعناه فعلت به ما يرده عن المعصية **الاعراب** قال الزجاج قوله
يامرهم بالمعروف يجوز ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه يامرهم بالمعروف ويجوز ان
يكون يامرهم بالمعروف مستانفا قال ابو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه يامرهم ان كان
يعني انه للشرع لانه لا شيء يدل على حذفه ولانا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره وانه وجدت
هنا هو المتعدي الى مفعولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجدون ذكره مكتوبا عندهم في التورية
او اسمه فالمفعول الاول قام مقامه المضاف اليه وانما قلنا ذلك لان المكتوب هو الاسم او
الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب ان يكون الاول في المعنى قال فاما قوله يامرهم
بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوعدهم
وكما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فان قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الاول
فلان ذلك ممتنع في المعنى الا ترى ان المعنى اذا كان يجدون ذكره او اسمه مكتوبا لم يجز ان يكون
يامرهم حالا منه لان الاسم والذكر لا يامران انما يامر المذكور والمسمى لا يجوز ان يكون حالا من
مكتوب من الضمير لان الضمير هو المفعول الاول في المعنى **المعنى** ثم وصف سبحانه الذين يتقون
بصفة اخرى فقال الذين يتبعون الرسول النبي اي يؤمنون به ويعتقدون نبوته يعني نبينا محمد
صلى الله عليه واله وسلم الامي ذكر في معناه اقوال احدها انه الذي لا يكتب ولا يقرا وثانيها
انه منسوب الى الامة والمعنى انه على جبلة الامة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالامي الذي

لانها لم تكن تحسن الكتابة وثالثها انه منسوب الى الام والمعنى انه على ما ولدته امه قبل تعلم الكتابة
ورابعها انه منسوب الى ام القرى وهي مكة وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التورية في السفر الخامس اني ساقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك و
اجعل كلامي في فيه فيقول لهم كلما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب واما ابن الامة فقد
باركت عليه جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واوخره لامة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله
من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفارقليط
في مواضع منها نعطيكم فارقليط اخر يكون معكم اخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح للحواريين
انا اذهب وسياتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه نذيركم بجميع الخلق
ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحني ويشهد لي وفيه ايضا انه اذا جاء فند اهل العالم يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر يجوز ان يكون هذا مكتوبا في التورية والانجيل فيكون موصولا
بما قبله وبيانا لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعروف الحق والمنكر الباطل معروف الصحة في العقول
والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر
عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الاول ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه
الانفس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل
يحل لهم ما حرم عليهم رهبانهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحاير والسوائب
وغيرها ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها ويضع عنهم اصرهم اي ثقلهم شبه
ما كان على بني اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل
بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب حرمة النبي صلى الله عليه وآله عن الحسن
وقيل الاصر هو العهد الذي كان الله سبحانه اخذه على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التورية عن
ابن عباس والضحاك والسدي ويجمع للمعنيين قول الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل والاغلال
التي كانت عليهم معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال

ويضع م

ما امتحنوا به من قبل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من
تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية
عن اكثر المفسرين فالذين امنوا به اي بهذا النبي وصدقوه في نبوته وعزروه اي عظموه
ووقروه ومنعوا عنه اعداءه ونصروه عليهم واتبعوا النور معناه القرآن الذي هو نور في
القلوب كما ان الضيا نور في العيون ويهتدي به الخلق في امور الدين كما يهتدون
بالنور في امور الدنيا الذي انزل معه وقد يقوم مع قيام على كما يقوم على مقام مع وقيل
معناه انزل في زمانه وعلى عهده ويروى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال لاصحابه
اي الخلق اعجب ايمانا قالوا الملائكة فقال عليه السلم الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون
قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا نحن يا نبي الله قال انا
فيكم فما لكم لا تؤمنون انما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به فهو
معنى قوله واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون اي الظافرون بالمراد الناجون
من العقاب الفائزون بالثواب قوله عز وجل قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
الاعراب جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الاضافة فيه والعامل في الحال
معنى الفعل في رسول الا انه لا يجوز ان يتقدم على حرف الاضافة لانه قاصر بمنزلة العامل
المعنى ثم امر الله سبحانه نبينا صلى الله عليه واله وسلم ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال
قل يا ايها الناس اني رسول الله ارسلني اليكم جميعا ادعوكم الى توحيده وطاعته واتباعي
فيما اوديه اليكم وانما ذكر جميعا للتاكيد وليعلم انه مبعوث الى الكافة الذي له ملك السموات
والارض معناه الذي له التصرف في السموات والارض من غير دافع ومنازع لا اله الا هو اي لا معبود
الا هو ولا شريك له في الالهية يحيي الاموات ويميت الاحياء لا يقدر احد على الاحياء والاماتة
سواه لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر على الاحياء فان من شان القادر على الشي ان يكون قادرا
على ضده فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله يعني لم يامركم بالايمان حتى امن هو

اولا وعليه زيادة التكليف من اداء الرسالة وبيان الشرايع والقيام بالدعوة وكلماته اي
يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن واتبعوه لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا
الى الثواب والجنة قوله تعالى وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ
وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ
أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اللغة قال الازهري
السبط الفرقة لا بشي ولا بجمع ولا يؤنث وقد جمع فقيل اسباط واشتقاقهما من السبط
وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامراة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو
الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الاصابع طويلها وسبط الكف سخيها ومطر سبط وسبط
متدارك وسباطته سعته والسبط في كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم
السبط القرن الذي يجي بعد قرن والصحيح ان الاسباط في ولد اسحق بمنزلة القبايل في ولد اسمعيل
فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من اولاد اسمعيل قبيلة وانما سموا
هؤلاء بالقبايل وهؤلاء بالاسباط ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق عليهم السلم ومعنى
القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبايل وكذلك الاسباط من السبط كانه جعل اسحق
بمنزلة شجرة وجعل اسمعيل بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسابون في النسب يجعلون الوالد
بمنزلة الشجرة والاولاد بمنزلة اغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة
فهذا معنى الاسباط الاعراب اثنتي عشرة اسباطا معنى اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك
انث واسباطا بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرقناهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز كسر
الشين في عشرة وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وامما نعت الاسباط المعنى ثم عاد الكلام
الى قصة بني اسرائيل فقال سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اي جماعة يدعون الى
الحق ويرشدون اليه وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه
الامة منهم على اقوال احدها انهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين واد جار من الرمل

لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطا وهو المروي عن ابي جعفر
الباقر عليه السلام قالوا وليس لاحدهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار و
يزرعون لا يصل اليهم منا احد وهم على الحق قال ابن جريج بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا
انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله
تعالى ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا من الارض فساروا فيه سنة ونصف سنة
حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرئيل
انطلق بالنبي صلى الله عليه واله ليلة المعراج اليهم فقرا من القرآن عشر سور نزلت بمكة
فآمنوا به وصدقوه وامرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وامرهم بالصلوة والزكوة
ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل
اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا يعني عيسى ابن مريم يخرجون معه وروى
اصحابنا انهم يخرجون مع قائم آل محمد عليه السلام وروي ان ذا القرنين رآهم وقالوا لو امرت بالمقام
لسرنا ان نقيم بين اظهركم وثانيها انهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشريعة موسى عليه السلام
في وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى عليه السلام
فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى امة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي وانكر
القول الاول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحدهم نبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم
وليس هذا بشيء لانه لا يمتنع ان يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وامنوا وثالثها انهم الذين امنوا بالنبي
صلى الله عليه وآله مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهم وفي حديث ابي حمزة الثمالي
والحكم بن ظهير ان موسى عليه السلام لما اخذ الالواح قال رب اني اجد في الالواح امة هي خير
امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد
قال رب اني اجد في الالواح امة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم
امتي قال تلك امة محمد قال رب اني اجد في الالواح امة كتبهم في صدورهم يقرؤونها فاجعلهم
امتي قال تلك امة احمد قال رب فاني اجد في الالواح امة يؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر

ويقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال رب اني اجد في الالواح امة
اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر امثالها وان هم
بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتي قال تلك
امة محمد قال رب اني اجد في الالواح امة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال
تلك امة احمد قال موسى عليه السلام رب اجعلني من امة احمد قال ابو حمزة فاعطي موسى
آيتين لم يعطوها يعني امة محمد قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي و
بكلامي قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضا
وفي حديث غير ابي حمزة قال النبي صلى الله عليه وآله لما قرا ومن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا اي
وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة اسباطا يعني اولاد يعقوب عليه السلام فانهم كانوا اثني عشر
وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطا وامة وانما جعلهم تعالى امما
ليتميزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل امة منهم الى رئيسهم فيخف الامر على موسى عليه السلام ولا
يقع بينهم اختلاف وتباغض واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه اي طلبوا منه السقيا ان
اضرب بعصاك الحجر فانبجست الانبجاس خروج الماء الجاري بقلة والانفجار خروجه بكثرة
وكان يبتدي الماء من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفي
سورة البقرة الانفجار والآية الى آخرها مفسرة هناك فلا معنى لاعادته **قوله تعالى واذ**
قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي
قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون آيتان **القراءة** قرا اهل
المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون و
كسر الفاء وقرا اهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرا ابن عامر
خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرا ابو عمرو خطاياكم بغير همز على جمع التكسير والباقون خطيئاتكم
على جمع السلامة وكسر التاء **الحجة** من قرا نغفر بالنون فهو على واذ قلنا لهم ادخلوا نغفر لكم اي ان دخلتم

عفرنا والتي في البقرة نغفر بالنون هناك احسن لقوله واذ قلنا واما قراة من تغفر بالتاء مضمومة فلانه قد اسند اليها خطيا انكم وهو مونث فانث وبني الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله واذا قيل لهم وقد مضى تفسير هاتين الايتين في سورة البقرة فلا وجه لاعادته **قوله تعالى**

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ آيتان **القراءة** قرا حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروى في الشواذ عن شهر ابن حوشب وابي نهيك يعدّون وعن الحسن يُسبتون بضم الياء **الحجة** من قرا معذرةٌ بالرفع فتقديره موعظتنا معذرةٌ فيكون خبر مبتدا محذوف ومن قرا بالنصب فعلى نعتذر معذرةً قال سيبويه لو قال رجل لرجل معذرةً الى الله واليك من كذا وكذا النصب ومن قرا يعدّون اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل فتحتها الى العين فصار يعدّون ومن قرا يُسبتون فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت ويقيمون عمل يوم السبت فالسبت على هذا ضلهم تقول سبت يسبت سبتاً اذا عظم يوم السبت **اللغة** حيتان جمع حوت واكثر ما تسمي العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عُدوانا وعَداء وعَدوا وعُدوّا ظلم واصله مجاوزة الحد والشرع اصله الظهور ومنه الشرعة والشريعة وهو الطاهر المستقيم من المذاهب ومنه المشرعة والشريعة لكونهما مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة لظهورها والمعذرة والعُذر والعُذرى والعِذرة واحد مصدر عذرته اعذره والمعذِر الذي له عذر صحيح والمعذّر بالتشديد الذي لا عذر له وهو يريك انه معذور وهو المقصر والمعتذِر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقوله من يعذرني معناه من يقوم بعذري **الاعراب** اذ يعدون موضع اذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم اي عن وقت ذلك اذ تاتيهم في موضع نصب ايضاً بيعدون المعنى سلهم اذ عدوا في وقت الاتيان شرعاً نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب نبلوهم

النصف

ويحتمل

ويحتمل ان يكون على ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك اي لا تاتيهم شرعاً فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تاتيهم ويكون نبلوهم مستانفاً والاول اجود ولم تعظون اصله لما ولكن هذه الالف تحذف مع حروف الجر نحو لم وفيم وعلام وعم **المعنى** ثم ابتدا سبحانه بخبر آخر من اخبار بني اسرائيل فقال مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وآله واسألهم اي اسأل اليهود يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقرير لا سؤال استفهام عن القرية التي كانت حاضرة البحر اي مجاوزة البحر وقريبة من البحر وعلى شاطي البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين عنه ايضاً وقيل الطبرية عن الزهري اذ يعدون في السبت اي يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون الحد في امر السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً اي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤسها قال الحسن كانت تشرع على ابوابهم مثل الكباش البيض لانها كانت آمنة يومئذ ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اي ويوم لا يكون السبت كانت تغوص في الماء واختلف في انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء الا يوم الاحد وهذا تسبب محظور في رواية عكرمة عن ابن عباس وقيل انهم اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد يوم السبت عن الحسن كذلك نبلوهم اي مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الاخر لا تاتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استانف فقال نبلوهم واذ قالت امة اي جماعة منهم من بني اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلث فرق فرقة فاسقة وفرقة ساكتة وفرقة واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين لم تعظون قوماً الله مهلكهم اي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لاياسهم عن ان يقبل اولئك القوم الوعظ فان الامر بالمعروف انما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم او معذبهم عذاباً شديداً في الاخرة قالوا اي قال الواعظون في جوابهم معذرة الى ربكم معناه موعظتنا اياهم معذرة الى الله وتادية لفرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم ولعلهم بالوعظ

يتقون ويرجعون قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا
قردة خاسئين آيتان القراءة قرا اهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل
وقرا ابن عامر بئس مهموز على وزن فعل ايضا وقرا ابو بكر غير حماد بيئس على وزن فيعل و
الباقون بئيس على وزن فعيل وروي في الشواذ عن ابن عباس بيئس على وزن فيعل وعن
زيد بن ثابت بئس على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف بئس وعن طلحة بن مصرف بئس
وروي ايضا عن نافع وروي عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن بئس بكسر الباء
وفتح السين الحجة قال ابو علي من قرا بئيس فانه يحتمل امرين ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس
اذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون مصدرا على فعيل نحو النذير
والنكير وقولهم عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب
ذي بئيس اي ذي بؤس ومن قرا بعذاب بيس فانه جعل بئس الذي هو فعل اسما فوصف به
ومثل ذلك قوله ان الله ينهى عن قيل وقال وعن قيل وقال ومثله منذ شب الى دب
ومذ شب الى دب فلما استعملت هذه الالفاظ اسما واضعا لا فعلا كذلك بئس جعل اسما
بعد ان كان فعلا صار وصفا ومن قرا بيئس فانه يكون وصفا مثل ضيغم وحيدر قال ولا يجوز
كسر العين منه لان فيعلا انما اختص به ما كان عينه ياء او واوا مثل سيد وطيب ولم يجيء
مثل ضيغم وقد جاء في المعتل فيعل انشد سيبويه ما بال عينيك كالشعيب العين فينبغي ان
يحمل بيئس ممن رواه على الوهم قال ابن جني وكانه انما جاء في الهمزة لمشابهتها حرف العلة وا
بيئس على فيعل فانه جاء على بئس الرجل بأسه اذا شجع فكانه عذاب مقدم عليهم غير متأخر
عنهم ويجوز ان يكون مقصورا من بئيس فيكون مثل ابق من ابيق واما بيئس في وزن حيير
وكانه اراد بيس فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلبا للخفة فصارت
في اللفظ ياء ونحوه من ذلك قول ابن ميادة وكان بويتدلها حكمها اراد بويئد فخفف واما
بائس فاسم الفاعل من بئس وانكر ابو حاتم قراءة الحسن بيس وقال لو كان كذا لما كان بد منهما
من ما بئس ما كنتم ما اللغة قال ابو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس

وفي البؤس وهو الفقر بأس الرجل يبأس بؤسا وبئسا وبأسا والابتئاس الاسم والعتو الخروج
الى الفحش في الذنوب والعاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة والخاسئ المطرود
المتبعد عن الخير من خسأت الكلب اذا اقصيته فخسأ اي تبعد المعنى فلما نسوا ما ذكروا به اي
فلما ترك اهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك
انجينا الذين ينهون عن السوء اي خلصنا الذين ينهون عن المعصية واخذنا الذين ظلموا انفسهم
بعذاب بئيس اي شديد بما كانوا يفسقون اي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل ان مسخوا قردة
عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية ام الهالكة وروي عن ابن عباس
فيهم ثلثة اقوال احدها انه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي والثاني انه هلكت
الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام والثالث
التوقف فيه وروي عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرا هذه
الاية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم ولا ادري
ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختاره الجبائي وقال الحسن انه نجا
الفرقة الثالثة لانه ليس شيء ابلغ في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد
فقالوا الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقال قتل المؤمن اعظم عند الله من اكل الحيتان فلما
عتوا عما نهوا عنه اي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة
على المعصية وابوا ان يرجعوا عنها قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جعلناهم قردة
خاسئين مبعدين مطرودين وانما ذكر كن ليدل على انه بمنزلة لا يمتنع عليه شيء واجاز الزجاج
ان يكون قيل لهم ذلك بكلام مسموع فيكون ذلك ابلغ في الاية النازلة بهم وحكي ذلك عن ابي
الهذيل قال قتادة صاروا قردة لها اذناب تعاوى بعد ان كانوا رجالا ونساء وقيل انهم بقوا
ثلثة ايام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلثة
ايام وقيل عاشوا سبعة ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لان
من المعلوم ان القردة ليست من اولاد آدم كما ان الكلاب ليست منهم ووردت الرواية عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى لم يمسخ شيئا فيجعل له نسلا وعقبا القصة

قيل كانت هذه القصة في زمن داود عليه السلم وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي امر به نبيهم يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم اتاهم الشيطان وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم ياخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا وشده الى الساحل ثم اخذه يوم الاحد فشواه فلاموه على ذلك فلما لم ياته العذاب اخذوا ذلك واكلوه وباعوه وكانوا نحوا من اثني عشر الفا فصار الناس ثلث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم فاصبحوا يوما ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فاذا قالوا لهم الم ننهكم قالت برؤسها نعم قال قتادة صارت الشبان قردة والشيوخ خنازير قوله تعالى وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ آيتان الاعراب ومنهم دون ذلك دون في موضع الرفع بالابتدا ولكنه جاء منصوبا لتمكنه في الظرفيه ومثله على قول الحسن لقد تقطع بينكم هو في موضع الرفع وجاء منصوبا لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيمة يفصل بينكم بين في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وان شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف واقيمت صفته مقامه المعنى ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله فقال واذ تاذن ربك معناه واذكر يا محمد اذ آذن واعلم ربك فان تاذن واذن بمعنى وقيل معناه تالى ربك اي اقسم القسم الذي يسمع بالاذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس ليبعثن عليهم اي على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب اي يذيقهم ويوليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم والمعني به امة محمد صلى الله عليه وآله عند جميع المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وهذا يدل على ان اليهود لا تكون لهم دولة الى يوم القيمة ولا عز وانما معنى البعث ههنا

فهو الامر

فهو الامر والاطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ان ربك لسريع العقاب لمن يستوجبه على الكفر والمعصية وانه لغفور رحيم بين ظاهر المعنى وانما قال سريع العقاب وان كان العقاب موخرا الى يوم القيمة لان كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء ان يعاقبه في الدنيا وقطعناهم في الارض امما معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعات شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد وانما فرقهم بان فرق دواعيهم حتى افترقوا في البلاد وتفرقهم ذل لهم بمنزلة اخذ الجزية لانهم لا يجتمعون ولا يتناصرون وقيل انه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم فصلح فريق وعصى فريق ثم اخبر عنهم فقال منهم الصالحون اي من هؤلاء الصالحون يعني من بني اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ويطيعونه ومنهم دون ذلك اي دون الصالحة في الدرجة والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الاوامر دون بعض وعملوا بعض المعاصي وانما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل ان يبعث فيهم عيسى عليه السلم وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليهما السلم ومنهم الكافرون عن عطا ومجاهد وبلوناهم بالحسنات والسيئات معناه اختبرناهم بالرخاء والعيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق وبالشدائد في العيش والمصائب في الانفس والاموال او كانه قال بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فان فعل النعم تقتضي الرغبة الى الله تعالى في ارتباطها وفعل النقم يقتضي الرغبة الى الله في كشفها لعلهم يرجعون اي لكي يرجعوا الى الله تعالى وينيبوا الى الطاعة وامتثال الامر ومتى قيل كيف يصح الرجوع الى امر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه ان الذاهب عن الشيء قد يقال له ارجع اليه اي صر اليه كما ان من ذهب عنه سالكا في المهالك قد يقول له ارجع الى الطريق المستقيم يريد اخرج عن المهالك وقيل ان معناه لعلهم يرجعون الى ما عليه اصل الفطرة قوله تعالى فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ آيتان القراءة قرا ابو بكر يمسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد في الشواذ قراءة

السلمي واذا درسوا ما فيه اراد تدارسوا فادغم **اللغة** قال الزجاج يقال للقرن الذي يجي في اثر قرن
خَلْفٌ والخَلَف ما أُخلِف عليك بدلًا مما ذهب منك قال الفراء يقال هو خلف صدق وخلف
سوء قال لبيد ذهب الذين يُعاش في اكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الاجرب قال علي بن عيسى
قد يوضع احدهما مكان الآخر قال حسان لنا القدمُ الاولى اليك وخَلْفُنا لاولنا في طاعة
الله تابعُ والاغلب بالفتح ان يستعمل في المدح والعَرَض ما يَعرِض ويقل لبثه ومنه سمي العرض
القايم بالجسم عَرَضًا لانه يعرض في الوجود ولا يجب له من اللبث ما للاجسام والدرس تكرير
الشي ويقال درس الكتاب اذا كرر قراءته ودرس المنزل اذا تكرر مرور الامطار والرياح
عليه حتى انمحى اثره وامسك ومسّك وتمسّك واستمسك بالشي بمعنى واحد اي اعتصم به
الاعراب يأخذون عرض هذا الادنى في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا وقوله
ورثوا صفةٌ لخَلْفٍ ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم الى قوله الا
الحق اعتراضٌ بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الآية الا على قوله ما فيه وخبر الذين
يمسكون قوله انا لا نضيع اجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله الذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع اجرهم لان المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب
في المعنى ويجوز ان يكون الخبر محذوفًا وتقديره نعطيهم اجرهم لانا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى
بذكر العلة عن ذكر المعلول **المعنى** ثم ذكر سبحانه الاخلاف بعد ذكر الاسلاف فقال فخلف
من بعدهم خَلْفٌ فذهب اولئك وقام مقامهم قوم اخرون ورثوا الكتاب يعني التورية
فان الميراث ما صار للباقي من جهة البادي يأخذون عرض هذا الادنى معناه ما اشرف لهم
من الدنيا اخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منه البر والفاجر وجميع متاع
الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق
وكل ذلك عَرَضٌ خسيسٌ واراد بقوله هذا الادنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم
الادنى وهو الدار الفانية ويقولون سيغفر لنا وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم
على الذنوب اذا اشرف لهم شي من الدنيا اخذوه حلالًا كان او حرامًا ويتمنون على الله المغفرة
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه اي وان وجدوا من الغد مثله اخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم

تتوا

تتوا المغفرة مع الاصرار وقيل معناه ان جاءهم حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك اخذوه واستحلوه
ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شي عن الحسن الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الاحكام
القائلين سيغفر لنا اذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التورية ان لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا
اليه الا ما انزله على رسوله موسى عليه السلم في التورية من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها
ميعاد المغفرة مع الاصرار ودرسوا ما فيه اي وقرؤا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل معطوف
على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه
فضيعوه وتركوا العمل به والدار الاخرة خير للذين يتقون معناه ما اعدّ الله لاوليائه في الدار
الاخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصي الله افلا تعقلون من
قرأ بالياء فمعناه افلا يعقل هذه الطايفة ومن قرأ بالتاء فمعناه قل لهم افلا تعقلون ان الامر على
ما اخبر الله به والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به والكتاب التورية اي لا يحرفونه ولا يكتمونه
عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والمتمسك به امة محمد صلى الله عليه وآله عن عطا
واقاموا الصلوة انما خص الصلوة بالذكر لجلالة موقعها وشدة تأكدها انا لا نضيع اجر المصلحين
اي لا نضيع جزاء عملهم ونثيبهم على ما يستحقونه **قوله تعالى وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ**
ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ آية **اللغة** النتق قلع الشي من الاصل وكل شي قلعته ثم رميت به فقد نتقته ومنه
قيل المرأة الكثيرة الاولاد ناتق لانها ترمي بالاولاد رميًا هذا قول ابي عبيدة وقيل اصل النتق
الرفع ومنه امرأة ناتق لرفعها الاولاد ونتقت المرأة فهي ناتق ومِنتاق اذا كثر ولدها وقول
ابن الاعرابي وقيل اصل الجذب نتقت الغرب من البئر جذبته عن ابي مسلم الظُّلّة كل ما اظلك
اي يسترك من سقف او سحاب او جناح حائط **المعنى** عاد الكلام الى قوم موسى عليه السلم فقال سبحانه
واذ نتقنا الجبل فوقهم معناه واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل من اصله ورفعناه فوق بني اسرائيل
وكان عسكر موسى فرسخًا في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم كانه ظلة اي غمامة وقيل مغفر
عن عطا وظنوا انه واقع بهم اي علموا وايقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اي

فوي في نفوسهم ذلك عن الرماني والجبائي خذوا اي وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة اي خذوا ما الزمناكم
من احكام كتابنا وفرايضه فاقبلوه بجد واجتهاد منكم في كل اوان من غير تقصير ولا توان اذكروا
ما فيه من العهود والمواثيق التي اخذناها عليكم بالعمل بما فيه لعلكم تتقون اي تتقوا ربكم
وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحا قوله تعالى وَإِذْ أَخَذَ
رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا
أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ
وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ثمّ الآيات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة
ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرا ابو عمرو ان يقولوا او يقولوا بالياء
والباقون بالتاء الحجة قال ابو علي الذرية قد تكون جمعا وقد تكون واحدا فمما جاء فيه جمعا
قوله وكنا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جعله جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه
على الجمع ومما جاء فيه واحدا قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال ان الله يبشرك بيحيى
فهذا مثل قوله هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واما قراءة ابي عمرو ان
يقولوا بالياء فلان الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرا بالتاء فلانه جرى في الكلام
خطاب ايضا فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغيب هم المخاطبون في المعنى
الاعراب من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم والمعنى اخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم
وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقدير وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا تقديره
كراهة ان تقولوا او لئلا يقولوا وقد مضى الكلام في امثاله المعنى ثم ذكر سبحانه ما اخذ على
الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جميعا من دلائل العقل والسمع
والابلاغ في اقامة الحجة فقال واذ اخذ ربك اي واذكر لهم يا محمد اذ اخرج ربك من بني آدم
من ظهورهم اي من ظهور بني آدم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى اختلف
العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الاخراج والاشهاد على وجوه احدها
ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني آخذ على ذريتك ميثاقهم

ان يعبدوني

ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئا وعلى ارزاقهم ثم قال الست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال
للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه
ويفهمونه ثم ردهم الى صلب آدم والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من اخرجه في ذلك الوقت
وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الاولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الاولى
عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة ويجعلونها
تاويلا للآية ورد المحققون هذا التاويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لانه تعالى
قال واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال
ذريتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين
او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشاوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول
الظاهر ولد آدم لصلبه وايضا فان هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلوا من ان جعلهم
الله عقلاء او لم يجعلهم كذلك فان لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا
خطاب الله تعالى وان جعلهم عقلاء واخذ عليهم الميثاق فيجب ان يذكروا ذلك ولا ينسوه لان
اخذ الميثاق لا يكون حجة على الماخوذ عليه الا ان يكون ذاكرا له فيجب ان نذكر نحن الميثاق
ولانه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكره
واحد منهم وان طال العهد الا ترى ان اهل الآخرة يعرفون كثيرا من احوال الدنيا حتى يقول
اهل الجنة لاهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ولو جاز ان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة
لجاز ان يكون الله تعالى كلف الخلق فيما مضى ثم اعادهم اما ليثيبهم ولما ليعاقبهم وينسوا ذلك
وذلك يؤدي الى التجاهل والى صحة مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن ابي بكر ابن
الاخشيد انه جوز ان يكون خبر الذر صحيحا غير انه قال ليس تاويل الآية على ذلك ويكون فايدته
انهم اصل الجري على الاعراق الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله سبحانه بالربوبية كما روي
انهم ولدوا على الفطرة وحكي ابو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون
الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن ايمان في الذر وثانيها ان المراد بالآية ان الله سبحانه
اخرج بني آدم من اصلاب آبائهم الى ارحام امهاتهم ثم رقاهم درجة درجة علقة ثم مضغة ثم انشاهم

كلا منهم بشرا سويا ثم حيا مكلفا واراهم آثار صنعه ومكنهم من معرفته ودلالته حتى كانه اشهدهم وقال
لهم الست بربكم فقالوا بلى فعلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلهم بخلقه على توحيده وانما
اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعل في عقولهم من الادلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم
من عجائب خلقه وغرائب صنعته وفي غيرهم فكانه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا
في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف
المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما جواب ومثله
قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم لكنه
لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه وكانهم اعترفوا به ومثله في الشعر وقالت له العينان
سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وكما يقول القائل جوارحي تشهد بنعمك وكما روي عن
بعض الخطباء من قوله سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك واينع ثمارك فان لم تجبك
حوارا اجابتك اعتبارا ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرماني
وابي مسلم وابن الاخشيد والثاني انه تعالى انما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم واكمل
عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلام بمعرفته وبما يجب من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم
على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انما اشرك اباؤنا
من قبل فنقتدي بهم في ذلك فنبه سبحانه على انه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقه وعلى هذا
يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لان المؤمن لا يدخل فيه لانه ليس ان هو
الماخوذ ميثاقهم كان لهم سلف في الشرك ولان ولد آدم لصلبه لم يوخذ من ظهور بني آدم
فقد خرجوا من ذلك وهو اختيار الجبائي والقاضي وقوله شهدنا حكاية عن قول الملائكة
انهم يقولون ذلك اي شهدنا لئلا يقولوا ذكره الازهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا
بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لان الكل قالوا شهدنا من قول من
قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر في الاية فيبعد ان يكون
اخبارا عنهم ان يقولوا يوم القيمة معناه لئلا يقولوا واذا صاروا الى العذاب يوم القيمة انا كنا

عن هذا غافلين لم ننبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم نجعل عقولنا فنفكر فيه او يقولوا اي ويقول قوم
منهم انما اشرك اباؤنا من قبل حين بلغوا وعقلوا وكنا ذرية من بعدهم اي اطفالا لا نعقل ولا
نصلح للفكرة والنظر والتدبر وعلى التاويل الاخير فمعناه اي انما قررتكم بهذا لئلا تواظبوا على
لسان الانبياء او يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل فنشأنا على شركهم احتجاجا بالتقليد وتعويلا
عليه اي فقد قطعت حجتكم هذه بتقريركم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم بمعرفتكم
اياي افتهلكنا بما فعل المبطلون ومعناه ولئلا يقولوا افتهلكنا بما فعل اباؤنا من الشرك وتقديره
انا لا نهلككم بما فعلوه وانما نهلككم بفعلكم انتم وكذلك نفصل الايات معناه انا كما بينا لكم
هذه الايات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيل الايات تمييزها ليتمكن من الاستدلال
بكل واحدة منها ولعلهم يرجعون اي ليرجعوا الى الحق من الباطل قوله تعالى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي
آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ
بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ
الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اربع آيات اللغة النبأ الخبر عن الامر العظيم ومنه
اشتقاق النبوة نبأه الله جعله نبيا واخلد الى كذا وخلد اليه سكن اليه واخلد اكثر واصله اللزوم
على الدوام ورجل مخلد اذا ابطأ عنه الشيب واخلد الى الارض لصق بها قال مالك بن نويرة
بابناء حي من قبائل مالك وعمرو بن يربوع اقاموا فاخلدوا اللهث ان يدلع الكلب لسانه من
العطش واللهاث حر العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المراة اللهثى انها تفطر في رمضان
يلهث وقيل هو النفس الشديد من شدة الاعياء الاعراب نصب مثلا لانه تفسير للضمير في ساء التي
هي بمعنى بئس فيكون فعلا ماضيا غير متصرف وتقديره ساء المثل مثلا وفي الكلام حذف آخر
وتقديره ساء المثل مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب عليه وحذف الثاني
لقيام المضاف اليه مقامه ولان المعنى مفهوم المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
ان يقرأ عليهم قصة اخرى من اخبار بني اسرائيل فقال واتل عليهم اي واقرأ عليهم يا محمد نبأ الذي آتيناه

أي خبر الذي أعطيناه آياتنا أي حججنا وبيناتنا فانسلخ منها أي فخرج من العلم بها بالجهل كالشيء ينسلخ
من جلده فأتبعه الشيطان أي تبعه وتبع واتبع وأتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وأدركه
حتى أضله فكان من الغاوين أي من الهالكين وقيل من الخائبين عن الجبائي واختلف في المعني
به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى وكان في المدينة
التي قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الأعظم وكان إذا دعا الله تعالى به أجابه
وقيل هو بلعم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن أبي حمزة الثمالي ومسروق قال أبو حمزة وبلغنا
أيضا والله أعلم أنه أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمرو
عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبي روق وكانت قصته أنه قد قرأ الكتب
وعلم أن الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل
محمد صلى الله عليه وآله حسده ومر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا
ما قتل أقرباءه واستنشد رسول الله أخته شعره بعد موته فأنشدته لك الحمد والنعماء والفضل
ربنا ولا شيء أعلى منك جدا وأمجد مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد وهي
قصيدة طويلة حتى أتت على آخرها ثم أنشدته قصيدته التي فيها وقف الناس للحساب جميعا فشقي معذب
وسعيد والتي فيها عند ذي العرش يعرضون عليه يعلم الجهر والسرار الخفيا يوم يأتي الرحمن وهو رحيم
إنه كان وعده مأتيا رب إن تعف فالمعافاة ظني أو تعاقب فلم تعاقب بريا فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله آمن شعره وكفر قلبه وأنزل الله فيه قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه الآية وقيل إنه أبو عامر
بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق وكان قد ترهب
في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وآله ما هذا الذي جئت به
قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فأنا عليها فقال عليه السلم لست عليها لكنك أدخلت فيها
ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فخرج إلى الشام وأرسل إلى
المنافقين أن استعدوا السلاح ثم أتى قيصر وأتى بجند ليخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من المدينة فمات بالشام طريدا وحيدا عن سعيد بن المسيب وقيل المعني منافقوا أهل
الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وآله كما يعرفون أبناءهم ويكون معنى فانسلخ منها

اعرض

أعرض عن آيات الله وتركها فأتبعه الشيطان أي خذله الله وخلى بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان
وقيل إنه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله عن قتادة وقال أبو جعفر عليه السلم
الأصل في ذلك بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة وقيل أيضا في
الآيات التي أوتيها أقوال أخر منها أن المراد به المعجزات الدالة على صدق الأنبياء فلم يقبلها
وعري عنها يعني فرعون عن أبي مسلم فكأنه قال اتل عليهم نبأ فرعون إذ آتيناه الحجج الدالة
على صدق موسى فلم يقبلها ومنها أن الآيات الإيمان والهدى والدين عن الحسن ومنها أنها
النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لأن الأنبياء عليهم السلم منزهون عن ذلك فإنهم حجج الله على
خلقه ولو شئنا لرفعناه بها أي بتلك الآيات والهاء في رفعناه تعود إلى الذي آتاه آياتنا فانسلخ
منها معناه ولو شئنا لرفعناه منزلته بإيمانه ومعرفته قبل أن يكفر ولكن بقيناه ليزداد الإيمان
فكفر عن الجبائي وقيل معناه ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا إخبار
عن كمال قدرته عن البلخي والزجاج ولكنه أخلد إلى الأرض أي إلى الدنيا ومال إليها عن سعيد بن
جبير والسدي ومعناه ولكنه مال إلى الدنيا بإيثار الراحة والدعة في لذة واتبع هواه أي وانقاد
لهواه في الركون إلى الدنيا واختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثلا فقال فمثله كمثل الكلب إن
تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث معناه فصفته كصفة الكلب إن طردته وشددت عليه يخرج
لسانه من فيه وإن تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فيه أيضا وتحمل عليه من الحملة لا من الحمل
والمعنى إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال في كل حال كما أن كل شيء يلهث فإنما يلهث
في حال الإعياء والكلال إلا الكلب فإنه يلهث في كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليكم أدعوتموهم
أم أنتم صامتون وقيل إنما شبهه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف
الكلب باللهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم يأخذون في وصف المشبه به وإن
لم يكن ذلك الوصف في الهيئة وذلك يكثر في كلامهم عن أبي مسلم وقيل شبهه بالكلب في أنه يخرج
لسانه من الغم مثل الكلب ولهثه وهذا الموضع صاحبه وباحثه وقيل إن هذا مثل للذي يقرأ القرآن
فلا يعمل به عن مجاهد ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا معناه ذلك صفة الذين يكذبون
بآيات الله قال ابن عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله

فلما جاءهم من لا يكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب

فاقصص القصص اي فاقصص عليهم اخبار الماضين لعلهم يتفكرون فيعتبرون ولا يفعلون مثل

فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله سبحانه هذا المثل الذي ضربه وذكره بانه ساء مثلا

اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ومعناه بئست الصفة المضروب فيها المثل وقبح

حال المضروب فيه المثل لان المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبيح صفتهم وانفسهم كانوا

يظلمون اي وانما نقضوا بذلك انفسهم ولم ينقصونا شيئا لان عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم

والله سبحانه لا يضره كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه ايمانهم وطاعتهم من يهدي الله فهو المهتدي

كتبت ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء واثبات الياء ههنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من

يهده الله الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للايمان

والخير عن الجبائي ومن يضلله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه فاولئك

هم الخاسرون خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل المهتدي هو الذي

هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي اضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلى الله بينه

وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن

والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون

بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى

فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن

خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ثلاث ايات القراءة قرا حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء

حيث كان ووافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الحجة

قال ابو الحسن لحد والحد لغتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر ليس الامام بالشحيح الملحد

وفي القران ومن يرد فيه بالحاد اللغة الذرء الانشاء والاحداث والخلق نظائر قال علي

بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة

والصفة كلمة ماخوذة للمذكور من اصل من الاصول لتجري عليه تابعة له والالحاد العدول عن

الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في

في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جرت وملت والحدت ماريت وجادلت ابو عبيدة

لحدت لحدت والحدت بمعنى واحد الاعراب اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه

آل فرعون ليكون لهم عدوا وانما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امراة فرعون قرة عين لي

ولك ومثله في قول الشاعر وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالدة وقول الآخر وللموت

تغذوا الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الآخر اموالنا لذوي الوراث

نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الآخر يا ام ثجرة بعض الوجد واعترفي فكل والده

للموت ما تلد قال علي بن عيسى هي لام الاضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة

المعنى لما بين سبحانه امر الكفار وضرب لهم الامثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال ولقد

ذرأنا اي خلقنا لجهنم يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم

ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة

فلا يجوز ان يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع ولقد صرفناه بينهم ليذكروا

ونظائر ذلك لا تحصى والمراد بالاية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير الى النار لهم قلوب

لا يفقهون بها الحق لانهم لا يتدبرون ادلة الله سبحانه وبيناته ولهم اعين لا يبصرون بها الرشد

ولهم اذان لا يسمعون بها الوعظ لانهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آلة

الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الاية اولئك كالانعام اي هؤلاء

الذين لا يتدبرون ايات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم

التي لا تفقه ولا تعلم بل هم اضل من البهائم لان البهائم اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق

اهتدت وهؤلاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول

الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن الاول ولكن للاضراب

عنه مع بقائه وقيل انما قال بل هم اضل من الانعام لان الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز

فضيعوها ولم ينتفعوا بها ولان الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهؤلاء عصاة

فهم اسوء حالا منها اولئك هم الغافلون عن ايات الله وحججه وعن الاستدلال والاعتبار

بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم من

من العذاب ولله الاسماء الحسنى اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق
والكريم وقيل ان جميع اسمائه داخلة فيه وانها كلها حسنة متضمنة لمعان حسنة فمنها ما
يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والاله والقديم والسميع والبصير ومنها ما يرجع الى
صفات فعله كالخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات
النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت اليه النفوس
من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة فادعوه بها اي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه
بها ان يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة
مفيدة لان اللقب لا يجوز عليه فانه بمنزلة الاشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله
تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر اورده مسلم
في الصحيح وذروا الذين يلحدون في اسمائه اي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي
عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات من الله
والعزى من العزيز ومناة من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه
يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي
اراد تسميتهم المسيح بانه ابن الله وفي هذا دلالة على انه لا يجوز ان يسمى الله سبحانه الا بما سمى به
نفسه سيجزون ما كانوا يعملون في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة وممن خلقنا امة يهدون
بالحق اخبر سبحانه ان من جملة خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه
وهو الحق يرشدونهم اليه وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم انه قال هي لامتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد اعطي القوم
بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال الربيع ابن انس قرأ
النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم
وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن
هذه الامة على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة ومن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا نحن هم

النظم

قيل في

قيل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجهان احدهما انه لما بين في الآية المتقدمة حال قوم من الكفار في عدولهم
عن الحق بين في هذه الآية ان من جملة ما خلق من يهدي الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخر
انه متصل بقوله ذرأنا وكأنه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وقوما صفتهم كذا قوله تعالى والذين كذبوا
بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما
بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده
يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون خمس آيات القراءة
قرأ اهل العراق ويذرهم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون ونذرهم بالنون والجمع الحجة
من قرأ بالنون فالتقدير فانا نذرهم ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى اي وهو يذرهم
ويكون مقطوعا عن الاول على الوجهين فلم يكن جوابا ومن جزم فانه عطفه على موضع الفاء و
ما بعده من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لانه لو لم يلحق
الفاء لقيل لولا اخرتني اصدق لان معنى لولا اخرتني اخرني اصدق ومثله قول الشاعر
انى سلكت فانني لك ناصح وعلى انتقاصك في الحياة وازدد وقول ابي داود فابلوني بليتكم لعلي
اصالحكم واستدرج نؤيا حمل استدرج على موضع الفاء المحذوف من قوله فلعلي اصالحكم و
موضعه جزم اللغة الاستدراج اصله من الدرجة وهو ان يؤخذ قليلا قليلا ولا يباغت
كما يرتقي الراقي الدرجة فيتدرج شيئا بعد شيء حتى يصل الى العلو وقيل اصله من الدرج الذي
يطوى منزلة بعد منزلة كما يطوى الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض
والاملاء التأخير والامهال من الملي يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة من الدهر
بفتح الميم وضمها وكسرها اي قطعة منه واصل الاملاء الاستمرار على العمل من غير ابطاء من
امليت الكتاب ومنه الملا للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي
والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانبي الصلب وهما متنان والكيد والمكر
واحد والجنة الجنون واصله الستر والملكوت هو الملك الاعظم للمالك الذي ليس بمالك
المعنى لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد صلى الله عليه واله الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال

والذين كذبوا باياتنا التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وكفروا بها
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز
ان يريد عذاب الآخرة اي نقربهم اليه درجة درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهي
الطريق ودرج اذا مشى سريعا اي سناخذهم من حيث لا يشعرون يعلمون اي طريق سلكوا فان
الطرق كلها علي ومرجع الجميع الي لا يغلبني غالب ولا يسبقني سابق ولا يفوتني هارب وقيل
انه من الدرج اي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الارض يقال طويت فلانا وطويت
امر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح
قول من قال ان معناه نستدرجهم الى الكفر والضلال لان الآية وردت في الكفار وتضمنت
انه يستدرجهم في المستقبل فان السين يخص المستقبل ولانه جعل الاستدراج جزاء على كفرهم
وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله واملي لهم معناه وامهلهم ولا اعاجلهم
بالعقوبة فانهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم ان كيدي متين اي عذابي قوي منيع لا يمنعه
مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم
متين والقول هو الاول اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة معناه اولم يتفكر هؤلاء
المكذبون بمحمد صلى الله عليه وآله وبنبوته في اقواله وافعاله فيعلموا انه صلى الله عليه وآله
ليس بمجنون اذ ليس في اقواله واحواله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله اولم يتفكروا
ثم ابتدأ فقال ما بصاحبهم من جنة اي ليس به جنون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله
صعد الصفا وكان يدعو قريشا فخذا فخذا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون
ان صاحبهم قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح فانزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة ان
هو الا نذير مبين اي ما هو الا معلم بموضع المخافة ليتقى وبموضع الامن ليجتبى ومعنى مبين بين
امره وقيل مبين لهم عن الله امره فيهم ثم قال اولم ينظروا ومعناه اولم يتفكروا في ملكوت السموات
والارض وعجيب صنعها فينظروا فيها نظر المستدل المعتبر فيعرفوا بان لهما خالقا مالكا ويستدلوا
بذلك عليه وما خلق الله من شيء وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه فيعلموا بذلك انه شيئا

خالق

خالق جميع الاجسام فان كل شيء خلقه الله تعالى دلالة واضحة على اثباته وتوحيده وان عسى ان يكون قد
اقترب اجلهم اي اولم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم
ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولانفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من امور الآخرة ويزهدوا في
الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون فباي حديث
بعده اي بعد القرآن يؤمنون مع وضوح الدلالة على انه كلام الله المعجز اذ لم يقدر احد منهم ان
ياتي بسورة مثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم من يضلل الله فلا هادي له وقد ذكرنا
معناه ويذرهم في طغيانهم يعمهون معناه ويتركهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في القلب
كالعمى في العين قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي
لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ
كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ آية اللغة ايان معناه
متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر ايان تقضي حاجتي ايانا اما ترى لنجحها
ابانا والساعة ههنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرساها مثبتها ورسى الشيء
يرسو فهو راس اذا ثبت وارساه غيره والحفي المستقصي في السؤال واحفى فلان بفلان في المسألة
اذا الح واكثر قال الاعشى فان تسألي عني فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا ومنه احفى
شاربه اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصور اذا كثر عليها المشي والحفاء ممدود
المشي بغير نعل الاعراب الكاف في يسألونك المفعول الاول عن الساعة في موضع الثاني وايان
مرساها يتعلق ببدل من السؤال والتقدير قائلين ايان مرساها مرساها في موضع رفع بالابتداء و
ايان خبره وبغتة مصدر في موضع الحال من الضمير في تأتيكم النزول قيل جاء قوم من اليهود فقالوا
يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبيا فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل قالت قريش يا محمد
متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن المعنى لما تقدم الوعيد بالساعة سألوا عن وقتها
فقال سبحانه يسألونك يا محمد عن الساعة وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي
القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشر عن اكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي
ايان مرساها اي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها

عن قتادة والسدي قل يا محمد انما علمها عند ربي اي انما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله
لم يطلع عليه احداً من خلقه وانما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك
ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يظهرها ولا يكشف عن
علمها ولا يبين وقتها الا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا يأتي
بها الا هو عن مجاهد ثقلت في السموات والارض ذكر فيه وجوه احدها ثقل علمها على
اهل السموات والارض لان من خفي عليه علم شيء كان ثقيلاً عليه عن السدي وغيره
قال ابو علي الفارسي اصل هذا قولهم احطت به علماً اي دليل ضربت لعلي غائباً عليه فخفي علي صفتها
ولم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك وثانيها ان معناه عظمت على اهل السموات والارض
لما يكون فيها من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج وثالثها
ثقل وقوعها على اهل السموات والارض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة
عن الجبائي وابي مسلم وجماعة ورابعها ان المراد نفس السموات والارض اي لا تطيق السموات و
الارض حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقل عليها تلك الاحوال
من انفطار السموات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها لا تأتيكم الا بغتة اي فجأة لتكون
اعظم وتقول يسئلونك كأنك حفي عنها معناه يسئلونك عنها كأنك حفي بها اي عالم بها
قد اكثرت المسئلة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت في السؤال عن الشيء حتى علمته
اي استقصيت وروي عن ابن عباس انه قرأ كأنك حفي بها وعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها
محذوفاً لدلالة الحال عليها كما يكون في التقدير الاول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفاً
للدلالة عليها ايضاً الا ترى انه اذا كان حفياً بها فلا بد ان يسأل عنها كما انه اذا سأل عنها
فليس ذلك الا لحفاوته بها وقيل فيه معنى آخر وهو ان يكون تقديره يسئلونك عنها كأنك
حفي بهم اي بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة في المسئلة هي المباشرة بالمسؤول عنه وقيل معناه كأنك
معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها وعلى هذا فان السؤال يوصل بعن فلما وضع قوله حفي
موضع السؤال وصله بعن وتقديره كأنك حفي بالمسئلة عنها او تسأل عنها فتعلمها قل يا محمد
انما علمها عند الله لا يعلمها الا هو وانما اعاد سبحانه هذا القول لانه وصل به هنا بقوله ولكن

اكثر

اكثر الناس لا يعلمون وقيل اراد بالاول علم وقت قيامها وبالثاني علم كيفيتها وهيئتها وتفصيل ما فيها
عن الجبائي قال وهذا يدل على بطلان قول الرافضة ان الائمة منصوص عليهم باعيانهم امام بعد امام
الى يوم القيمة لانه لو كان كذلك لوجب ان يعلم آخر الائمة ان القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله
قل انما علمها عند الله وهذا ضعيف غير ممتنع ان يعلم آخر الائمة ان لا امام بعده وان لم يعلم وقت
قيام الساعة لانه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا اذا قيل ان الساعة وقت فناء الخلق او معظمهم
واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يفنى الخلق بعده
لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية ان التكليف يزول عند موت آخر الائمة
لظهور اشراط الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة و
غير ذلك ومع هذا فيجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة قوله تعالى قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا
وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آية النزول قيل ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك
ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه فتربح فيه وبالارض التي تريد ان تجدب فترتحل
منها الى ارض قد اخصبت فانزل الله هذه الآية المعنى قل يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
الا ما شاء الله ان يملكني اياه فاملك بتمليكه اياي ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وههنا محذوف آخر وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم الغيب
لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت وقت الرخص لوقت الغلاء وقيل
معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت الافضل
فالافضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما اسأل عنه من الغيب لاستكثرت من
الخير اي لاجبت في كل ما اسأل عنه من الغيب في امر الساعة وغيرها عن الزجاج وما مسني السوء
اي وما اصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه
وما مسني التكذيب منكم لاني اذا كنت عالما بكل شيء اجبت عن كل ما اسأل فتصدقونني ولا
تكذبونني وقيل وما مسني سوء من جهة الاعداء لاني كنت اعلم ذلك فاحترز منه ان انا الا نذير
مخوف بالعذاب وبشير مبشر بالثواب لقوم يؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك

ع

كقوله انما انت منذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايضا وفي قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد
مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها لان احدا لا يملك عندهم
شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لانها
لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب **النظم** وجه اتصال الاية بما قبلها
انه لما تقدم اجابة القوم بانه لا يعلم الغيب عقبه بان علم الغيب يختص بالمالك النفع والضر
وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل ان الاية في معنى جواب سوالهم ايضا فكانه قال اذا انا لا املك
ان اسوق الى نفسي نفعا ولا ان ادفع عنها ضررا فكيف اعلم الغيب **قوله عز وجل هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا
خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** خمس آيات **القراءة** قرا اهل المدينة وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على
المصدر لا على الجمع وهو قراءة الاعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع
وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرا نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم
بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد **الحجة** من قرا شركا فانه حذف المضاف وتقديره جعلا له
ذا شرك او ذوي شرك فالقراءتان على هذا يؤولان الى معنى واحد فان معنى جعلا له شركاء جعلا له
ذوي شرك والضمير في له يعود الى اسم الله ومن قرا فمرت به خفيفة فانه ينبغي ان يكون اصله
التشديد كقراءة الجماعة الا انه حذف تخفيفا لثقل التضعيف قالوا مت به اي مثتها وما
ابو زيد خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس اي احسن به وقيل انه من المرية
اي شكت اي احملت ام لا وعن الحسن شكت اغلام ام جارية وروي ان عبد الله بن عمرو قرا فمارت
به وهو من قولهم مار يمور اذا ذهب وجاء وقرا ابن عباس فاستمرت به ومعناه مرت به مكلفة
نفسها ذلك لان استفعل ياتي في اكثر الامر لمعنى الطلب ومن قرا لا يتبعوكم فانه في المعنى مثل القراءة الاخرى

قال

قال ابو زيد رايت القوم فاتبعتهم اتباعا اي ذهبت معهم واتبعتهم اتباعا اذا سبقوك فاسرعت نحوهم وتبعتهم
مثل اتبعتهم في المعنى اتبعتهم تبعا **المعنى** لما تقدم ذكر الله سبحانه ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال
هو الذي خلقكم والخطاب لبني آدم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلم وجعل منها زوجها
يعني حوا عليها السلم ليسكن آدم عليه السلم اليها ويانس بها فلما تغشاها اي فلما اصابها
كما يصيب الرجل زوجته يعني وطئها وجامعها حملت حملا خفيفا وهو الماء الذي حصل في
رحمها وكان خفيفا فمرت به اي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجي وتذهب كما كانت
من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شيء من التصرف فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل كما يقال
اثمرت الشجرة صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال اصاف دخل في الصيف
واشتى دخل في الشتاء والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة دعوا الله ربهما
يعني آدم وحوا سالا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها لئن اتيتنا صالحا اي اعطيتنا ولدا
صالحا عن ابي مسلم وقيل نسلا صالحا اي معافى سليما صحيح الخلقة عن الجبائي وقيل بشرا سويا
عن ابن عباس وقيل غلاما ذكرا عن الحسن لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا قال الجبائي
وانما قالا ذلك لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يؤنسونهما في الموضع الذي كانا فيه
لانهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا
بلا مونس ويحتمل ان يكون اراد بقوله صالحا مطيعا فاعلا للخير مصلحا فلما اتيهما الله صالحا
كما التمساه جعلا له شركاء فيما اتيهما اختلف فيمن يرجع الضمير الذي في جعلا اليه على وجوه
احدها انه يرجع الى النسل الصالح اي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وانما ثنى لان
حوا كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذين هم ذكر وانثى جعلا له شركاء
فيما اعطاهما من النعمة فاضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم الهة مع الله تعالى من الاصنام
والاوثان عن الجبائي وثانيها انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحوا عن
الحسن وقتادة وهو قول الاصم قال ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد
منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال تعالى ومن آياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل

فلما اثقلت بصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحا اي ذكرا
سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يئدوا البنات فلما آتاهما يعني الاب والام
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما لانهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة
ثم رجعت الكناية الى جميعهم في قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فالكناية في جميع ذلك
غير متعلقة بآدم وحواء ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الآية
هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس
زوجها وهي حوا ثم انقضى حديث آدم وحوا وخص بالذكر المشركين من اولاد آدم الذين
سألوا ما سألوا وجعلوا له الشركاء فيما آتيهما قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر
ومثله كثير في الكلام قال سبحانه هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية
اخبرت عن جملة البشر بانهم مخلوقون من آدم وحوا ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى
ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له الشركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي
خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذ كان كل واحد من بني آدم مخلوقا من نفس واحدة
وزوجها وذكر قريبا من قول الاصم قال وقد يجيء مثل ذلك في التنزيل وغيره قال سبحانه والذين
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى كل واحد منهم وثالثها
ان الضمير يرجع الى آدم وحوا عليهما السلم ويكون التقدير في قوله جعلا له شركاء جعلا اولادهما
له شركاء فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه
اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا والتقدير واذ قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف
المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من اول الكلام الى آخره راجعة الى آدم وحوا ويقوي
قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون ورابعها ما روت العامة انه يرجع الى آدم وحوا وانهما
جعلا لله تعالى شريكا في التسمية وذلك انهما اقاما زمانا لا يولد لهما فمر بهما ابليس ولم يعرفاه
فشكوا اليه فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما اتسميانه باسمي قالا نعم وما اسمك
قال الحرث فولد لهما فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال وقيل ان حوا حملت اول ما حملت فاتاها ابليس

في غير صورته فقال لها يا حوا ما يؤمنك ان يكون في بطنك بهيمة فقالت لآدم لقد اتاني آت
فاخبرني ان الذي في بطني بهيمة واني لاجد له ثقلا فلم يزالا في همّ من ذلك ثم اتاها فقال
ان سألت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه اتسميه عبد الحرث ولم
يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحرث برضا آدم وكان اسم ابليس عند الملائكة الحارث وهذا
الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فان البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق اليها
المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الانبياء عليهم السلم فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة
الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل كيف وقد ذكرنا
الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على ان الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها
بما هو مذكور في مواضعه ولا يحتاج الى ابانته فان الآية تقتضي انهم اشركوا الاصنام التي تخلق
ولا تخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انهما اشركا ابليس اللعين
فيما ولد لهما بان سموه عبد الحرث وليس في ظاهر الآية لابليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من
العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية
واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم عليهم السلم انه كان شركهما شرك طاعة
ولم يكن شرك عبادة وقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون توبيخ وتعنيف للمشركين فانهم
يعبدون مع الله تعالى جمادا لا يخلق شيئا من الاجسام ولا ما لا يستحق له العبادة وهم مع ذلك
مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وان خرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما انما تستعمل فيما
لا يعقل مثل ذلك على ان المراد بقوله جعلا له شركاء انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى لا
ما ذكروه من اشراك ابليس وانما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وان كان الاصنام جمادا
لانه اراد به الاصنام والعابدين لها جميعا فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز ان يكون على انهم
يعظمونها تعظيم من يعقل ويصورونها على صورة من يعقل فكنى عنهم كما يكنى عن العقلاء
كقوله الشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اي
ويشركون به ويعبدون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بان يدفع عن نفسه من اراده
بالضر ومن هذه صورته فهو في غاية العجز فكيف يكون الها معبودا وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم

قيل معناه وان دعوتم الاصنام التي عبدوها الى الهدى فانها لا تقبل الهدى عن ابي علي الجبائي
بين ذلك ضعف امرها بانها لا تهدي غيرها ولا تهتدي بانفسها وان دعيت الى الهدى وقيل
معناه ان دعوتم المشركين الذين اصروا على الكفر الى دين الحق لم يؤمنوا وهو نظير قوله سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون عن الحسن سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اي سواء عليكم
دعاؤكم والسكوت عنهم وانما قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم في مقابلة ادعوتموهم ليفيد
الماضي والحال فان المقابلة كانت تدل على الماضي فحسب وصورة اللفظ يدل على معنى الحال
ومثله قول الشاعر سواء عليك الفقر ام بت ليلة باهل القباب من نمير بن عامر قوله عز
وجل **ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم**
ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين
يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا
تنظرون ايات **القراءة** قرا ابو جعفر وحده يبطشون ههنا وفي القصص والدخان بضم الطاء
والباقون بكسرها وقرا هشام ويعقوب كيدوني بياء في الوقف والوصل وافقهما ابو جعفر
وابو عمرو واسمعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الحالين وقرا يعقوب تنظروني بياء في
الحالين **الحجة** بطش يبطش ويبطش والكسر افصح وقال ابو علي الفواصل من الكلام التام تجري
مجرى القوافي لاجتماعهما في ان الفاصلة اخر الاية كما ان القافية اخر البيت وقد الزموا في
القوافي حذف هذه الياءات قال الاعشى فهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت ان ياتين
والياء التي هي لام كذلك نحو قوله يلمس الاحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل ومن اثبت
فلان الاصل الاثبات **المعنى** ثم احتج سبحانه على المشركين بقوله ان الذين تدعون من دون
الله يعني الاصنام يريد تدعونهم الهة عباد امثالكم اي مخلوقة امثالكم عن الحسن وقيل
مملوكون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير اي انهم مسخرون مذللون لامر الله عن الاخفش
ولما كانت الاصنام غير ممتنعة مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فان العبد الذليل وطريق
معبد موطوء مسلوك ومنه قوله وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي ذللتهم
واستخدمتهم ضروبا من الخدم فادعوهم هذا الدعاء ليس الدعاء الاول والمراد فادعوهم في

مهماتكم

مهماتكم وكشف الاسواء عنكم فليستجيبوا لكم هذه لام الامر على معنى التعجيز والتبكيت كما قالوا هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين
ان لكم عندها منفعة وثوابا او شفاعة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال الهم ارجل
يمشون بها اي الهؤلاء الاصنام ارجل يمشون بها في مصالحكم ام لهم ايد يبطشون بها التي تاخذون
في الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والاخذ بشدة ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها اي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فانتم افضل منهم فلو دعوتم وعبدتم من له الحيوة
وما فيها الزمكم الذم واللوم بذلك لانها مخلوقة من نوبة فكيف تعبدون من هم انتم افضل
منه ثم زاد سبحانه في تبكيتهم فقال قل يا محمد ادعوا شركاءكم اي هذه الاوثان التي تزعمون انها
الهة وتشركونها في اموالكم تجعلون لها حظا من المواشي وغيرها وتوجهون عبادتكم اليها اشراكا
بالله بها ثم كيدوني اجمعكم ولا تنظرون اي لا تؤخرون ومعناه ان معبودي ينصرني ويدفع كيد
الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فان قدرتم على ضري فاجمعوا انتم مع اصنامكم و
تظاهروا على كيدي ولا تمهلوني في الكيد والاضرار فان معبودي يدفع كيدكم عني قوله تعالى
ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من
دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا
يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ثلث ايات **المعنى** ثم بين سبحانه بعد انه ناصر
نبيه وحافظه فامره ان يقول للمشركين ان وليي اي حافظي وناصري ودافع شركم عني الله الذي
نزل الكتاب اي القران يؤيدني بنصره كما انزله علي وهو يتولى الصالحين اي ينصر المطيعين له المجتنبين
معاصيه تارة بالدفع عنهم واخرى بالحجة والذين تدعون من دونه الهة لا يستطيعون نصركم
اي لا يقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ولا انفسهم ينصرون كرر ههنا الان ما
تقدم فانه على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره هنا فانه على وجه الفرق بين صفة من تجوز
له العبادة وصفة من لا تجوز له العبادة فكانه قال من اعبده ينصرني ومن تعبدونه لا يقدر
على نصركم ولا على نصر نفسه وان تدعوهم يعني ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام
الى الهدى اي الى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وان دعوتم المشركين الى الدين

عن الحق لا يسمعوا اي لا يسمعوا دعاءكم وتراهم فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور
قال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظراً منهم اليهم مجازاً لان النظر تقليب الحدقة
الصحيحة نحو المرئي طلباً لرويته وذلك لا يتاتى في الجماد ويقال تناظر الحايطان اذا تقابلا
وقيل معناه لا يعقلوا ومنه سمع الله لمن حمده وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الحجة
يعني مشركي العرب عن الحسن والسدي ومجاهد **قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف و**
اعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم
ايتان **اللغة** قد تقدم ما قيل عند قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف
والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر
لا يذهب العرف بين الله والناس والنزغ الازعاج بالاغواء واكثر ما يكون ذلك عند الغضب
واصله الازعاج بالحركة نزغه ينزغه نزغاً وقيل النزغ الفساد ومنه نزغ الشيطان بيني وبين
اخوتي اي افسد قال الزجاج ادنى حركة ما يكون ومن الشيطان ادنى وسوسة **المعنى** لما امر الله
سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بالدعاء اليه وتبليغ رسالته علمه محاسن الافعال ومكارم
الاخلاق والخصال فقال خذ العفو اي خذ يا محمد ما عفا من اموال الناس اي ما فضل من النفقة
وكان رسول الله ياخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت اية الزكوة فصار منسوخاً
بها فان هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من
اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه استعمل المساهلة وترك الاستقصاء
في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى
الخبر المرفوع احب الله عبداً سمحاً بايعاً ومشترياً قاضياً ومقتضياً وقيل هو العفو في قبول العذر
من المعتذر وترك المواخذة بالاساءة وروي انه لما نزلت هذه الاية سال رسول الله صلى
الله عليه وآله جبرئيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسال العالم ثم اتاه فقال يا محمد ان الله
يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وامر بالعرف يعني بالمعروف
وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء وقيل بكل
خصلة حميدة واعرض عن الجاهلين معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس من قبولهم

ولانقابلهم

ولانقابليهم بالسفه صيانة لقدرك فان مجاوبة السفيه تضع عن القدر وقيل ان هذه الاية منسوخة باية
القتال الا انها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل قال ابن زيد لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وآله كيف يا رب والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان
نزغ معناه يا محمد ان نالك من الشيطان عارض وسوسة ونخسة في القلب بما يسول للانسان
وقيل معناه ان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وان نعلك الشيطان
عن شيء مما امرتك من هذه الاشياء فاستعذ بالله اي سل الله عز اسمه ان يعيذك منه انه هو
سميع للمسموعات عليم بالخفيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل ان النزغ اول
الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي وغيره فقال للنبي
عليه السلم واما ينزغنك وقال للناس اذا مسهم طايف من الشيطان **قوله تعالى ان الذين**
اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم
في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي
من ربي هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ثلث ايات **القراءة** قرا اهل البصرة
وابن كثير والكسائي طيف بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن يزيد وقرا الباقون طايف بالالف
وقرا اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ عن الجحدري
يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد **الحجة** الطيف مصدر طاف الخيال
يطيف طيفاً اذا الم به في المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطايف بمعناه
فطيف كالخطرة وطايف كالخاطر والطيف اكثر قال ابا لقوم لطيف الخيال ارق من نازح ذي
دلال وقال الاعشى وتصبح عن غب السرى وكانما الم بها من طايف الجن اولق وقال ابو علي
عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين
وامددناهم بفاكهة واتمدونني بمال وما كان بخلافه على مددت قال ويمدهم في طغيانهم فهذا
يدل على ان الوجه فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرا يمدونهم انه مثل فبشرهم بعذاب
اليم فبشره للعسرى والله اعلم ويمادونهم يفاعلونهم اي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في اقصر
يقصر ويقال اقصر عنه اذا تركه عن قدرة وقصر عنه اذا ضعف عنه **اللغة** المس النزية

جن والمسوس من المياه ما نالته الايدي والاجتباء افتعال من الجباية ونظيره الاصطفاء وهو استخلاص
الشي للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج ومنه جباية الخراج وقيل اصله الجمع من جبيت الماء
والحوض جابية ونظيره الاصطفاء وهو استخلاص الشي للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج
جباية الخراج وقيل اصله الجمع من جبيت الماء والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجتبيت
الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو عبيدة واخترعته مثل
ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتديه الرجل لم يكن اعده قبل ذلك
في نفسه والبصاير البراهين والحجج جمع بصيرة والبصاير ايضا طرايق الدم قال الاسعر
الجعفي راحوا بصايرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى والبصيرة الترس وجمعها
بصاير قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشي وبيانه الاعراب اذا الاولى ظرف زمان
ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجاة كقولك خرجت فاذا زيد
المعنى ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرضت لهم وساوس الشيطان فقال ان الذين اتقوا باجتناب
معاصيه اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا قيل معناه اذا وسوس اليهم الشيطان واغراهم
بمعاصيه تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس و
السدي قال الحسن يعني اذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه وقال سعيد بن جبير هو الرجل
يغضب الغضبة فيذكر فيكظم غيظه وبه قال مجاهد وروي عنه ايضا انه قال هو الرجل يهم بالذنب
فيذكر الله فيتركه وقيل طايف غضب وطيف جنون وقيل معناهما واحد فاذا هم مبصرون
للرشد واخوانهم يمدونهم في الغي معناه واخوان المشركين من شياطين الانس والجن يمدونهم
في الضلال والمعاصي اي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه ثم لا يقصرون ثم لا يكفون يعني
الشياطين عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه واخوان الشياطين من
الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصر هؤلاء من ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس
والسدي والجبائي وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرون هم عن ارتكاب
الفواحش واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها معناه انك يا محمد اذا جئتهم باية كذبوا بها
واذا ابطأت عنهم يقترحونها ويقولون هلا جئتنا بها من قبل نفسك فليس كلما تقوله وحي من السماء

عن قتادة

عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تاتهم باية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فسال
ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وابي مسلم قل يا محمد لهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي
اي ليس اتي بالايات من عندي وانما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في
ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وانما اتبع الوحي ولا اتعداه وليس لي ان اسأله انزال الايات
الا بعد اذنه في هذا السؤال هذا بصاير من ربكم اي هذا القرآن دلايل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين
ساطعة من ربكم يبصر الانسان بها امور دينه وهدى ورحمة اي ودلالة تهدي الى الرشد و
نعمة في الدين والدنيا لقوم يؤمنون خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار
وفي هذه الاية دلالة على ان افعال النبي صلى الله عليه وآله واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز
ان يعمل بالراي والقياس النظم قيل ان هذه الاية اتصلت بقوله يسئلونك عن الساعة وتقديره
ويسئلونك عن الايات فاذا لم تاتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن ابي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها
من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يعمهون في الضلالة اذا لم تاتهم باية يسألون عنها فقالوا
كذا قوله عز وجل وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ
فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ثلث
آيات اللغة الانصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث
وسكت وانصته وانصت له وانتصت الرجل سكت وانصته غيره عن الازهري والاصال جمع اصل
والاصل جمع اصيل فالاصال جمع الجمع وتصغيره اصيلال على ابدال النون ومعناه العشيات وهو
ما بين العصر الى غروب الشمس الاعراب تضرعا وخيفة مصدران وقعا موضع الحال اي
متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه فيجب ان يكون في موضع الحال اي وغير رافعين
اصواتكم حتى يبلغ حد الجهر المعنى ثم امر الله سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا اختلف في الوقت المامور بالانصات للقرآن والاستماع له فقيل انه في الصلوة
خاصة خلف الامام الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير و
سعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام قالوا وكان المسلمون يتكلمون

سجدة

في صلوتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وامروا
بالاستماع وقيل انه في الخطبة والصلوة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه
واقوى الاقوال الاول لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القرآن الا حال قراءة الامام في الصلوة
فان على المأموم الانصات والاستماع له فاما خارج الصلوة فلا خلاف ان الانصات والاستماع
غير واجب وروي عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال يجب الانصات للقرآن في الصلوة وغيرها
قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي كهمش عن ابي عبد الله عليه السلم
قال قرا ابن الكوا خلف امير المؤمنين عليه السلم لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
فانصت له امير المؤمنين وعن عبد الله بن ابي يعفور عن ابي عبد الله عليه السلم قال قلت له الرجل
يقرا القرآن ايجب على من سمعه الانصات له والاستماع قال نعم اذا قرئ عندك القرآن وجب
عليك الانصات والاستماع قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه
ولا تجاوزوا الان معنى قول القايل سمع الله دعاك اجاب الله دعاك لان الله سميع عليم وقال الجبائي
انها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا ويتفهموا وقال احمد بن حنبل اجمعت الامة على انها نزلت في
الصلوة لعلكم ترحمون اي لترحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بمواعظه واذكر ربك في
نفسك خطاب للنبي عليه السلم والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن والمعنى اذكر ربك
في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروى زرارة عن احدهما عليهما السلم قال
معناه اذا كنت خلف امام تاتم به فانصت وسبح في نفسك بصفات العلى واسماء الحسنى تضرعا
وخيفة يعني متضرع وخوف يعني في الدعاء فان الدعاء بالتضرع والخوف من الله هو اقرب
الى الاجابة وانما خص الذكر بالنفس لانه ابعد من الرياء عن الجبائي ودون الجهر من القول معناه
ارفعوا اصواتكم قليلا فلا تجهروا بها اجهارا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا
تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وقيل انه امر للامام ان يرفع صوته في الصلوة مقدار ما يسمع
من خلفه عن ابن عباس بالغدو والاصال اي بالغدوات والعشيات عن قتادة والمراد به دوام الذكر
واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لانهما حال فراغ عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما اصوب
بالقلب ولا تكن من الغافلين عما امرتك به من الدعاء والذكر وقيل ان الاية متوجهة الى من امر بالاستماع

للقرآن والانصات وكانوا اذا سمعوا القرآن رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار عن ابن
زيد ومجاهد وابن جريج قال الجبائي وفي الاية دليل على ان الذين يخفون اصواتهم عند الدعاء و
يجهرون به مخطئون وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعو اليه فقال
ان الذين عند ربك وهم الملائكة عن الحسن وغيره لا يستكبرون عن عبادته معناه انهم مع جلالة
قدرهم وعلو امرهم يعبدون الله ويذكرونه وفايدته انكم ان استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا
منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشريفا للملائكة باضافتهم الى نفسه ولم يرد به قرب المكان
تعالى عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله
تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الامير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه وتحت امره وعند فلان
كذا من المال ولا يراد ان ذلك بحضرته وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله
اي هو قريب من تفضله واحسانه ويسبحونه اي ينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون اي يخضعون
وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلوة عن الحسن ولا خلاف ان ههنا سجدة وهي اول سجدات
القرآن واختلف في سجود التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة
واليه ذهب اصحابنا سورة الانفال هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع ايات نزلت بمكة واذ
يمكر بك الذين كفروا الى اخرهن وقيل نزلت باسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة عدد اياتها سبعون
وسبع ايات شامي وست حجازي بصري وخمس كوفي اختلافها ثلث ايات ثم يغلبون بصري
شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره وبالمؤمنين غير البصري فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى
الله عليه واله انه قال من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له وشاهد يوم القيمة انه بريء من
النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حيوته في الدنيا وروى العياشي
باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قرا الانفال وبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق
ابدا وكان من شيعة امير المؤمنين حقا وياكل يوم القيمة من موايد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من
الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم قال في سورة الانفال جدع الانوف تفسيرها
لما قص الله سبحانه في سورة الاعراف قصص الانبياء عليهم السلم وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه واله

للقرآن

افتتح سورة الانفال بذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم
مؤمنين آية القراءة قرا ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر محمد بن علي الباقر
وزيد بن علي وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلم وطلحة بن مصرف يسئلونك الانفال الحجة قال
ابن جني هذه القراءة بالنصب مودية عن السبب للقراءة الاخرى التي هي عن الانفال وذلك انهم انما
سالوه عنها تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب صراح بالتماس
الانفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فان قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كانه قال
يسئلونك عن الانفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به قيل هذا
شاذ انما يحمله الشعر فاما القرآن فيختار افصح اللغات وان كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا
لهم كل مرصد فان الاظهر ما اللغة الانفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلتك كذا
اذا زدته قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل وقيل النفل العطية ونفلتك
اعطيتك والنافلة عطية الطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلوة والنوفل الرجل الكثير
العطية المعنى يسئلونك اي يسألك يا محمد جماعة من اصحابك عن الانفال واختلف المفسرون في
الانفال ههنا فقيل هي الغنائم التي غنمها النبي صلى الله عليه واله يوم بدر وهو المروي عن عكرمة
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح
بن حي وقيل هو ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما شبه ذلك
عن عطا وقال هو للنبي خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم من
الفرس والدرع والرمح عن ابن عباس في رواية اخرى وروي عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه
ينفل النبي صلى الله عليه وآله من شاء وقيل هي الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس عن مجاهد
في رواية اخرى وصحت الرواية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم انهما قالا ان الانفال كل
ما اخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ويسميها الفقهاء فيئا و
ميراث من لا وارث له وقطايع الملوك اذا كانت في ايديهم من غير غصب والآجام وبطون الاودية
والارضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه

يصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لاحد فيه شيء وقالا ان غنائم بدر كانت للنبي عليه السلم خاصة فسألوه ان يعطيهم
وقد صح ان قراءة اهل البيت عليهم السلم يسئلونك الانفال فقال الله سبحانه قل يا محمد الانفال لله
والرسول وكذلك ابن مسعود وغيره انما قرأوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في
كيفية سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله فقال هؤلاء ان اصحابه سألوه ان يقسم غنيمة بدر بينهم
فاعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك ايضا عن
ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا ان عن صلة ومعناه
يسئلونك الانفال ان يعطيهم ويؤيد هذا القول قوله فاتقوا الله الى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء
فقال بعضهم هي منسوخة باية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست بمنسوخة
وهو الصحيح لان النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقال آخرون انهم سألوا النبي
صلى الله عليه وآله عن حكم الانفال وعلمها فقالوا لمن الانفال وتقديره يسئلونك عن الانفال
لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله قل الانفال لله والرسول وقال آخرون انهم سألوه عن حال الغنائم
وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم انها حلال واختلفوا ايضا
في سبب سؤالهم فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه واله قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا ومن
جاء باسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان
قد نفلهم النبي صلى الله عليه وآله فقال الشيوخ كنا ردءا لكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم
الينا وجرى بين ابي اليسر بن عمرو الانصاري اخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام فنزع الله
تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما شاء فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت
اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه بيننا
على السوية وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن ابي وقاص قتل
اخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة
فجئت به الى النبي صلى الله عليه وآله واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه
في القبض فطرحت ورجعت وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فقلت عسى ان يعطى
هذا لمن لم يبل بلائي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد انزل الله يسئلونك الآية

ان يكون قد نزل فيّ شي فلما انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه واله قال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي
وانه قد صار لي فاذهب وخذه فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله خاصة
ليس لاحد فيها شي وما اصاب سرايا المسلمين من شي اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول
فسالوا رسول الله صلى الله عليه واله ان يعطيهم منها فنزلت الاية وملكها الله رسوله يقسمها
كما اراه الله وقال مجاهد هي الخمس وذلك ان المهاجرين قالوا لم يرفع عنا هذا الخمس لم يخرج منا فقال
الله تعالى قل الانفال لله والرسول يقسمانها كما شاء او يرضخان منها ما شاء فاتقوا الله باتقاء
معاصيه واتباع ما يامركم به وما يامركم رسوله واحذروا مخالفة امرهما واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا
ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة
والبنية يقال فلان في ذاته صالح اي في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شي بينكم واصلحوا حال كل
نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا حقيقة وصلكم كقوله لقد تقطع بينكم اي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين
على ما امره الله تعالى ورسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين اي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون
عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر عن ابن
عباس ومجاهد والسدي واطيعوا الله ورسوله اي اقبلوا ما امرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج
ومعناه واطيعوهما فيما يامرانكم وينهيانكم عنه ان كنتم مومنين مصدقين للرسول فيما ياتيكم به من
قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي ان الخمس لم يكن مشروعا يومئذ وانما شرع يوم احد وفيه لما
نزلت هذه الاية عرف المسلمون انه لا حق لهم في الغنيمة وانها لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعا
وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه اي ما غنمتم بعد بدر
وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله قسم غنائم بدر عن بواء اي على سواء ولم يخمّس قوله عز
وجل **اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
اِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ اُولٰئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ثلث ايات **اللغة** الوجل والخوف
والفزع واحد يقال وجل يوجل وياجل وييجل وييجل اربع لغات حكاها سيبويه واجودها يوجل
قال الشاعر لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول والتوكل هو الثقة بالله في كلما

يحتاج اليه يقال وكلت الامر الى فلان اذا الجات اليه القيام به والوكيل القايم بالامر لعجزه **الاعراب** حقا
منصوب بمعنى دلت عليه الجملة التي هي قوله اولئك هم المومنون والمعنى احق ذلك حقا **المعنى** لما
قال سبحانه ان كنتم مومنين بين صفة المومنين بقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
اي خافت لعظمة الله وذلك اذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ووعيده على المعاصي بالعقاب واقتداره
عليه فاما اذا ذكر نعمة الله على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات
اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفو الله كما قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب فلا تنافي
بين الايتين اذ وردتا في حالتين ووجه اخر وهو ان المومن ينبغي ان يكون من صفته انه اذا نظر في نعم
الله عليه ومنته لديه وعظيم مغفرته اطمان قلبه وحسن بالله ظنه واذا ذكر عظيم معاصيه وترك
اوامره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن وانما
يستعمل في الغالب في القلب واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا واذا قرئ عليهم القران زادتهم اي
تبصرة ويقينا على يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقا مع تصديقهم بما انزل اليهم قبل ذلك عن
ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالاولى والثانية والثالثة وكلما ياتي من عند الله فيزداد تصديقهم
وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون امورهم الى الله فيما يخافونه من السوء في الدنيا وقيل فيما يرجون
من قبول اعمالهم في الاخرة الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون قد مر تفسيره في سورة البقرة
وانما خص الصلوة والزكوة بالذكر لعظم شانهما وتاكد امرهما وليكون داعيا الى المواظبة على
فعلهما اولئك هم المومنون حقا اي هولاء المستجمعون لهذه الخصال والحايزون لهذه الصفات
هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة لهم درجات عند ربهم يعني درجات الجنة يرتقونها
باعمالهم عن عطا وقيل لهم اعمال رفيعة وفضايل استحقوها في ايام حيوتهم عن مجاهد ومغفرة
لذنوبهم ورزق كريم اي خطير كبير في الجنة وقيل كريم دايم كثير لا يشوبه ضرر ولا يعتريه كدر و
لا يخاف عليه فناء ولا انتقاص ولا احساب من قولهم فلان كريم اذا كانت اخلاقه محمودة واستدل
من قال ان الايمان يزيد وينقص ان افعال الجوارح من الايمان بهذه الايات فقالوا ان الله
تعالى نفى ان يكون المومن غير متصف بهذه الصفات بلفظة انما وكانه قال لا يكون احد مومنا
الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه ان هذه صفات خيار المومنين وافاضلهم وكانه قال

انما خيار المومنين من له هذه الاوصاف وليس يمتنع ان يتفاضل المومنون في الطاعات وان تساووا
في الايمان يدل على ذلك ان الاجماع حاصل على ان وجل القلب ليس بواجب وانما هو من المندوبات
وان الصلوة قد تدخل فيها الفرايض والنوافل والانفاق كذلك فعلمنا ان الاشارة بالاية
الى خيار المومنين واماثلهم فلا يدل على ان من كان دونهم في المنزلة خارج عن الايمان وقد
قال ابن عباس انه سبحانه اراد بذلك ان المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وان هذه
الاوصاف المذكورة منفية عنه قوله عز وجل كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ
إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اربع آيات اللغة المجادلة المنازعة التي يفتل
بها من مذهب الى مذهب سميت بذلك لشدة واصل الجدل شدة الفتل ومنه الاجدل الصقر
لشدته وزمام جديل شديد الفتل وقيل اصله من الجدالة وهي الارض يقال طعنه فجدله اي اوقعه
على الارض فكان المتجادلين يريد كل واحد منهما ان يرمي بخصمه الى الارض والسوق الحث على السير
والشوكة الحدة يقال ما اشد شوكة بني فلان وفلان شاك في السلاح وشائك وشاك من
الشكة وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صايف قال الشاعر فتوهموا
اني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم واصله من الشوك ودابر الامر آخره ودابر الرجل
عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له فاذا اعتقد شيء بضرورة او حجة فهو حق لانه
وضع موضعه الذي هو له وعكسه الباطل الاعراب الكاف في قوله كما اخرجك ربك يتعلق
بما دل عليه قوله قل الانفال لله والرسول لان في هذا معنى نزعها من ايديهم بالحق كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابت لله والرسول ثبوتا مثل ما اخرجك ربك
اي هذا كاين لا محالة كما ان ذلك كان لا محالة وقيل يتعلق بيجادلونك وتقديره يجادلونك في
الحق كما كرهوا اخراجك من بيتك بالحق وقيل انه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وقوله انها لكم في موضع نصب على البدل من احدى الطائفتين وتقديره يعدكم

ان

ان احدى الطائفتين لكم ونظيره هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم المعنى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق يا محمد
معناه على التقدير الاول قل الانفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة ذلك عليكم لانه اصلح لكم كما
اخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المومنين ذلك لان الخروج كان اصلح لكم من كونكم في بيتكم
والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي صلى الله عليه وآله منها الى بدر ويكون معنى اخرجك
ربك دعاك الى الخروج وامرك به وحملك عليه كما يقال اضرب زيدا عمرا اي حمله على ضربه واما على التقدير
الثاني وهو ان يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك يا محمد
حين اخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية طباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل والعدو
كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عمياء لا ندري الى العير نخرج ام الى القتال فشبه جدالهم بخروجهم لان
القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا اخبرتنا بالقتال فكنا نستعد لذلك
فهذا هو جدالهم عن [illegible] مجاهد واما على التقدير الثالث فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك
على كراهية جماعة منكم خير لكم وقريب منه ما جاء في حديث ابي حمزة فالله ناصرك كما اخرجك من بيتك
وقوله بالحق اي بالوحي وذلك ان جبرئيل عليه السلام اتاه وامره بالخروج وقيل معناه اخرجك ومعك
الحق وقيل معناه اخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد وان فريقا من المومنين اي طايفة
منهم لكارهون لذلك للمشقة التي لحقتهم يجادلونك في الحق بعد ما تبين معناه يجادلونك فيما دعوتهم
اليه بعد ما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلك
وهم يعلمون انك لا تامرهم عن الله الا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدة عليهم يطلبون
بذلك رخصة لهم في التخلف او في تاخير الخروج الى وقت آخر وقيل معناه يجادلونك في القتال يوم
بدر بعد ما تبين صوابه وانه مامور به عن ابن عباس وقيل معناه بعد ما تبين لك انك يا محمد لا تصنع
الا ما امرك الله به كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون معناه كان هؤلاء الذين يجادلون في
لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكراهتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة
من يساق الى الموت وهم يرونه عيانا وينظرون الى اسبابه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم
يعني اذكروا او اشكروا الله اذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين اما العير واما النفير وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم اي تودون ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لئلا يلحقكم

مشقة دون النفير وهو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات
الشوكة كنى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح
ويريد الله ان يحق الحق بكلماته معناه والله اعلم بمصالحكم فاراد ان يظهر الحق بلطفه ويعز الاسلام
ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على ايديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون وقيل بكلماته اي بامره لكم بالقتال ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم فلا يبقى منهم احد
يعني كفار العرب ليحق الحق اي انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام ويبطل الباطل اي الكفر باهلاك اهله
ولو كره المجرمون اي الكافرون وذكر البلخي عن الحسن ان قوله واذ يعدكم الله الآية نزلت قبل قوله
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها **قصة غزاة بدر** قال اصحاب السير وذكر
ابو حمزة وعلي بن ابراهيم في تفسيريهما دخل حديث بعضهم في بعض اقبل ابو سفيان بعير قريش من
الشام وفيها اموالهم وهي اللطيمة وفيها اربعون راكبا من قريش فندب النبي صلى الله عليه وآله
واصحابه للخروج اليها لياخذوها وقال لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل
بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله يلقى كيدا ولا حربا فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب لا
يرونها الا غنيمة لهم فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي صلى الله عليه وآله استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري
فبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد تعرض لعيرهم في اصحابه فخرج ضمضم
سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رات فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلث
ليال ان رجلا اقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا الى مصارعكم ثم وافى بجمله على ابي قبيس فاخذ
حجرا فدهدهه من الجبل فما ترك دارا من دور قريش الا اصابته منه فلذة فانتبهت فزعة
من ذلك واخبرت العباس بذلك فاخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث
في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك ابا جهل فقال هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب واللات
والعزى لننظرن ثلثة ايام فان كان ما رات حقا والا لنكتبن كتابا بيننا انه ما من اهل بيت من العرب اكذب
رجالا ولا نساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث اتاهم ضمضم باعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب
اللطيمة اللطيمة العير العير ادركوا وما اراكم تدركون ان محمدا والصباة من اهل يثرب قد خرجوا

يتعرضون

يتعرضون لعيركم فتهيأوا للخروج وما بقي احد من عظماء قريش الا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا
من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب
وعقيل بن ابي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله
في ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فلما كان بقرب بدر اخذ عينا للقوم فاخبره بهم وفي حديث ابي حمزة
بعث رسول الله ايضا عينا له على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله
فاخبره اين فارق العير نزل جبرئيل عليه السلم على رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره بنفير المشركين
من مكة فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش
وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب وفي حديث
ابي حمزة وقال ابو بكر انا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم
على ماء بدر يوم كذا وكذا كانا فرسا رهان فقال عليه السلم اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب
فقال مثل ذلك فقال عليه السلم اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها
وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق والله لو امرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك
الهراس لخضناه معك والله لا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون ولكنا نقول امض لامر ربك فانا معك مقاتلون فجزاه رسول الله صلى
الله عليه وآله خيرا على قوله ذلك ثم قال اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار لان
اكثر الناس منهم ولانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم
انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع آباءنا ونساءنا فكان عليه السلم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى
عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدو وان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة فقام
سعد بن معاذ فقال بابي انت وامي يا رسول الله كانك اردتنا فقال نعم قال بابي انت وامي
يا رسول الله انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت
وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك
ولعل الله عز وجل يريك ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه
وآله وقال سيروا على بركة الله فان الله قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكاني

انظر الى مصرع ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وامر رسول الله صلى
الله عليه وآله بالرحيل وخرج الى بدر وهو بئر وفي حديث ابي حمزة الثمالي وبدر رجل من جهينة
والماء ماؤه وانما سمي الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فاخذهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا لهم من انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فاين العير قالوا
لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله يصلي فانفتل من صلوته فقال ان صدقوكم
ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال
كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم يخرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة الى عشرة فقال
رسول الله القوم تسعمائة الى الف رجل وامر عليه السلم بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشا ففزعوا وندموا
على مسيرهم ولقى عتبة بن ربيعة البختري بن هشام فقال اما ترى هذا البغي والله ما ابصر موضع قدمي
خرجنا لنمنع عيرنا وقد افلت فجئنا بغيا وعدوانا والله ما افلح قوم بغوا قط لوددت ان ما في
العير من اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البختري انك سيد من سادات
قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصابها محمد واصحابه بنخلة ودم بن الحضرمي فانه حليفك فقال
له علي ذلك وما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعني ابا جهل فصر اليه واعلمه اني حملت العير
ودم بن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال فقصدت خباءه وابلغته ذلك فقال ان عتبة يتعصب
لمحمد فانه من بني عبد مناف وابنه معه ويريد ان يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم
يثرب او ناخذهم اسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول
الله صلى الله عليه وآله وكان ابو سفيان لما جاز بالعير بعث الى قريش قد نجا الله عيركم فارجعوا
ودعوا محمدا والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول بالجحفة
فاراد عتبة ان يرجع فابى ابو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة قال وفزع اصحاب رسول
الله لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله سبحانه اذ تستغيثون ربكم وما بعده

قوله عز وجل اِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنِّي مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ
وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ

وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْاَقْدَامَ اِذْ يُوحِي رَبُّكَ
اِلَى الْمَلَائِكَةِ اَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَاُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ
وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَاَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ست ايات ويثبت به الاقدام آية وكل بنان آية بلا خلاف القراءة قرا اهل المدينة و
يعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال وقرا اهل المدينة يغشيكم بضم الياء
وسكون الغين النعاس بالنصب و قرا ابن كثير وابن عمرو يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع
والباقون يغشيكم بضم الياء وفتح الغين والتشديد النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهركم
به ما بمعنى الذي الحجة قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين احدهما ان يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت
زيدا خلفي فيكون في الآية المفعول الثاني محذوفا والآخر ان يكونوا جاءوا خلفهم تقول العرب بنوا
فلان يردفوننا اي يجيئون بعدنا وقال ابو عبيدة مردفين جاءوا بعد وردفني واردفني واحد قال
الشاعر اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا وهذا الوجه كانه ابين لقوله اذ تستغيثون
ربكم الى قوله مردفين اي جائين بعد لاستغاثتكم ربكم وامداده اياكم به فمردفين على هذا صفة لالف
وقال الزجاج معناه ياتون فرقة بعد فرقة ومردفين على اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم فيجوز على
هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بالف من الملائكة وقرئ في الشواذ مردفين
ومردفين والاصل فيهما مرتدفين فادغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لالتقاء
الساكنين فضمت تارة اتباعا لضمة الميم وكسرت تارة ولان الساكن يحرك بالكسر ومن قرا يغشيكم
ويغشيكم فلانه اشبه بما بعده من قوله وينزل عليكم فكما انه مسند الى اسم الله فكذلك يغشي ويغشي
ومن قرا يغشاكم فانه اسند الفعل الى النعاس كما في قوله امنة نعاسا يغشى واغشى معناهما واحد
وقد جاء بهما التنزيل قال سبحانه فاغشيناهم وقال فغشيها ما غشى ومن قرا ما ليطهركم به فان ما
موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكانه قال ما للطهور كقولك كسوت الثوب الذي للبرد فحذف
وصفه اللام في قراءة الجماعة ماء ليطهركم به لام المفعول له وهي كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله وتتعلق بنفس الفعل واللام التي في قراءة من قرا ما ليطهركم به اي الذي للطهارة

فتعلقه بمحذوف وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف اللغة الرعب الخوف يقال رعبته ارعبه رعبا ورعبا
والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعيبا اذا قطعته مستطيلا
فالرعب تقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السيل فهو راعب اذا ملأ
منه الوادي لانه انقطع اليه من كل جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة واصله
اللزوم من ابنت السحابة ابنانا اذا لزمت قال الشاعر الا ليتني قطعت منه بنانه ولاقيته في البيت
يقظان حاذرا الشقاق العصيان واصله الانفصال يقال شقه فانشق وشاقه شقاقا اذا صار
في شق عدوه عليه ومنه انشقاق الكلام لانه انفصال الكلمة عما تحتمله في الاصل الاعراب
العامل في اذ من قوله اذ تستغيثون في قوله ويبطل الباطل وقيل محذوف وتقديره اذكروا اذ فعلى
الوجه الاول يكون متصلا بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستأنفا والهاء في جعله عائدة على الامداد
لانه معتمد الكلام وقيل عائدة على الخبر بالمدد لان تقديره ذلك اليهم بشارة على الحقيقة وقيل عائدة
الى الارادات وامنة انتصب بانه مفعول له والعامل فيه يغشي اذ يوحي في موضع نصب على معنى
ما جعله الله الا بشرى في ذلك الوقت ويجوز ان يكون على تقدير واذكروا اذ يغشيكم النعاس واذ
يوحي ذلكم فذوقوه تقديره الامر ذلكم فيكون خبر مبتدا محذوف فيكون كما قال الشاعر وقائلة خولان
فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا اي هذه خولان ويجوز ان يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون
مثل قولهم زيدا فاضربه منصوبا بفعل مضمر يفسره الظاهر والكاف في ذلكم لا موضع له من الاعراب لانه
حرف الخطاب وان للكافرين يحتمل ان يكون موضعه نصبا وجرا ورفعا فالرفع بالعطف على ذلكم
فكانه قال الامر ذلكم وان للكافرين عذاب النار مع ذا والنصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه اذ يوحي
ربك ان للكافرين والجر على ان يكون معطوفا على قوله بانهم شاقوا الله والرفع اليق بالظاهر
وشاقق باظهار التضعيف مع الجزم لغة اهل الحجاز وغيرهم يدغم النزول قال ابن عباس لما كان
يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابو جهل اللهم اولانا بالنصر فانصره فاستغاث المسلمون فنزلت
الملائكة ونزل قوله اذ تستغيثون الى آخره وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله لما نظر الى كثرة عدد المشركين
وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال يهتف ربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فانزل الله تعالى اذ تستغيثون

ربكم

ربكم الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام قال ولما امسى رسول
الله صلى الله عليه وآله وجنه الليل القى الله على اصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل
لا يثبت فيه قدم فانزل الله عليهم المطر رذاذا حتى لبد الارض وثبتت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل
العزالي والقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب الآية
المعنى ثم ذكر سبحانه ما اتى المسلمين من النصر فقال اذ تستغيثون ربكم اي تستجيرون بربكم يوم بدر من
اعدائكم وتسألونه النصر عليهم لقلتكم وكثرتهم فلم يكن لكم مفزع الا التضرع اليه والدعاء له في
كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرون والفرق بين المستنصر
والمستجير ان المستنصر طالب الظفر والمستجير طالب الخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطية على موافقة
المسألة فمعناه فاغاثكم واجاب دعاءكم اني ممدكم اي مرسل اليكم مددا لكم بالف من الملائكة مردفين
اي متبعين الفا آخر من الملائكة لان مع كل واحد منهم ردف له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين
متتابعين وكانوا الفا بعضهم في اثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه بالف من
الملائكة جاؤوا على آثار المسلمين عن ابي حاتم وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم عنها والا
فملك واحد كاف في التدمير عليهم كما فعل جبرئيل عليه السلام بقوم لوط فاهلكهم بريشة واحدة و
اختلف في ان الملائكة هل قاتلت يوم بدر ام لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين
وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد انما امدكم بالف مقاتل من الملائكة فاما
ما قاله سبحانه في آل عمران بثلثة آلاف وبخمسة آلاف فانه للبشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه
وروي عن ابن مسعود انه سأل ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة
فقال هم غلبونا لا انتم وعن ابن عباس ان الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت وما النصر الا من عند
الله معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وانما كان من قبل الله لانهم عباده ينصرهم من يشاء
كما ينصر غيرهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء
قل العدد ام كثر ان الله عزيز لا يمتنع عن مراده حكيم في افعاله يجريها على ما تقتضيه الحكمة اذ يغشيكم
النعاس قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا والنعاس اول النوم
قبل ان يثقل امنة اي امانا امنة اي من العدو وقيل من الله فان الانسان لا يأخذه النوم في حال الخوف

فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهر والامن منيم والامنة الدعة التي تنافي
المخافة وايضا فازقوتهم بالاستراحة على القتال من العدو وينزل عليكم من السماء ماء اي مطرا ليطهركم
به وذلك لان المسلمين قد سبقهم الكفار الى الماء فنزلوا على كثيب رمل واصبحوا محدثين ومجنبين
واصابهم الظماء ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم الى الماء وانتم تصلون مع
الجنابة والحدث وتسوخ اقدامكم في الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به
من الحدث وتلبدت به ارضهم واوحلت ارض عدوهم ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته
بما معنى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهولاء طاقة
عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابتكم بالاحتلام وليربط على قلوبكم اي
وليشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر ويثبت
به الاقدام اي اقدامكم في الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر
وقوة القلب عن ابي عبيدة والهاء في به يرجع الى الماء المنزل وقيل الى ما تقدم من الربط على القلوب
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم يعني الملائكة الذين امدهم المسلمين اي اني معكم بالمعونة
والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى الى النفس من وجه يخفى وقد
يكون ذلك بنصب دليل يخفى الا على من القي اليه من الملائكة فثبتوا الذين آمنوا يعني بشروهم
بالنصر وكان الملك يسير امام الصف في صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم عن مقاتل
وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم باشياء تلقونها في قلوبهم يقوون
بها عن الزجاج سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف من اوليائي فاضربوا فوق الاعناق
يعني الرؤس لانها فوق الاعناق قال عطا يريد كل هامة وجمجمة وجايز ان يكون هذا امرا للمؤمنين
وجايز ان يكون امرا للملائكة وهو الظاهر قال ابن الانباري ان الملائكة حين امرت بالقتال لم تعلم
اين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى واضربوا منهم كل بنان يعني الاطراف من اليدين
والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل يعني اطراف الاصابع اكتفى الله به من جملة اليد
والرجل عن ابن الانباري ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله معناه ذلك العذاب لهم والامر بضرب
الاعناق والاطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه

حاربوا الله وحاربوا رسوله ثم اوعد المخالف فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
في الدنيا بالاهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار ذلكم فذوقوه اي هذا الذي اعددته لكم من الاسر
والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا وان للكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب
كالذائق للطعام وهو الطالب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم لان معظم العذاب بعده **تمام القصة**
ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر عبأ اصحابه فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن
العوام وفرس للمقداد بن الاسود وكان في عسكره سبعون جملا يتعاقبون عليها وكان رسول الله وعلي
ابن ابي طالب ومرثد بن ابي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن ابي مرثد وكان في عسكر قريش
اربعمائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله قال ابو جهل ما هم
الا اكلة راس لو بعثنا اليهم عبيدنا لاخذوهم اخذا باليد فقال عتبة بن ربيعة أترى لهم كمينا او مددا
فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان شجاعا فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ثم رجع فقال
ما لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرسا لا يتكلمون و
يتلمظون تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ الا سيوفهم وما اراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى
يقتلوا بعددهم فارتأوا رايكم فقال ابو جهل كذبت وجبنت فانزل الله سبحانه وان جنحوا للسلم
فاجنح لها فبعث اليهم رسول الله فقال يا معشر قريش اني اكره ان ابدأكم فخلوني والعرب وارجعوا
فقال عتبة ما رد هذا قوم فافلحوا ثم ركب جملا له احمر فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال عليه السلام ان يك عند احد خير فعند صاحب الجمل
الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش اطيعوني في اليوم و
اعصوني الدهر ان محمدا له آل وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان يك صادقا فانتم اعلى
عينا به وان يك كاذبا كفتكم ذوبان العرب امره فغاظ ابا جهل قوله فقال له جبنت وانتفخ سحرك
فقال يا مصفر استه مثلي يجبن ستعلم قريش اينا الام واجبن واينا المفسد لقومه ولبس درعه
وتقدم هو واخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش فبرز اليه ثلاثة نفر
من الانصار وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا انما نريد الاكفاء من قريش فنظر رسول الله صلى الله عليه
وآله الى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة

فقال قم يا عم ثم نظر الى علي ابن ابي طالب عليه السلام فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله
الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد ان تطفئ نور الله ويابى الله الا ان يتم نوره ثم قال
يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعلي عليك بالوليد فمروا حتى
انتهوا الى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على راسه ضربة فلقت هامته
وضرب عتبة عبيدة على ساقه فاطنها فسقطا جميعا وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيف حتى
انثلما وحمل امير المؤمنين على الوليد فضربه على حبل عاتقه فاخرج السيف من ابطه قال علي لقد اخذ الوليد
يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت ان السماء وقعت على الارض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال
المسلمون يا علي اما ترى الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي ثم قال يا عم طاطئ راسك وكان حمزة اطول
من شيبة فادخل حمزة راسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء الى عتبة وبه رمق فاجهز عليه
وفي رواية اخرى انه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي الوليد فقتل حمزة عتبة وقتل عبيدة
شيبة وقتل علي الوليد وضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي وحمل عبيدة حمزة
وعلي حتى اتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله فاستعبر فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى انت
اول شهيد من اهل بيتي وقال ابو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابناء ربيعة عليكم باهل
يثرب فاجزروهم جزرا وعليكم بقريش فخذوهم اخذا حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم
عليها وجاء ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال لهم انا جار لكم ادفعوا الي رايتكم فدفعوا
اليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
لاصحابه غضوا ابصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده فقال يا رب هذه العصابة ان لم تنصرها
لا تعبد ثم اصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق عن وجهه فقال هذا جبرئيل قد اتاكم في الف
من الملائكة مردفين وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر وان
احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه من جسده قبل ان يصل اليه السيف قال ابن عباس حدثني
رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان
ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فبينا نحن هناك اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيه حمحمة الخيل
فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم قال فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت
اهلكت

اهلكت ثم تماسكت وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال يوم بدر هذا جبرئيل اخذ
براس فرسه عليه اداة الحرب اورده البخاري في الصحيح قال عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله صلى
الله عليه وآله كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت
ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال
كثير متفرق في قومه وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن
المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث رجلا مكانه فلما جاء الخبر عن مصاب اهل بدر من قريش
كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها في
حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا
من الخبر اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة وكان ظهره الى ظهري فبينا هو
جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وقد قدم فقال ابو لهب هلم الي يا ابن
اخي فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لا شيء
والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسرون كيف شاءوا وايم الله مع ذلك ما لمت
الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو
رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة
شديدة فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام
الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته ضربة فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه
ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله
ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثا ما يدفنانه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس
الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش ويحكما الا تستحيان ان اباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا
انا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فانا معكما فما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه
ثم احتملوه فدفنوه باعلى مكة الى جدار وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه وروى مقسم عن ابن عباس
قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو اخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان
العباس رجلا جسيما فقال رسول الله لابي اليسر كيف اسرت العباس يا ابا اليسر فقال يا رسول الله لقد

عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال صلى الله عليه واله لقد عانك عليه ملك كريم

قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

اللغة اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لان الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض في المحل الواحد الزحف الدنو قليلا قليلا والتزاحف التداني يقال زحف يزحف زحفا وازحف القوم اذا دنوا لقتالهم وثبتوا لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدوهم بمرة وجمعه زحوف والتولية جعل الشيء يلي غيره يقال ولاه دبره اذا جعله يليه فهو يتعدى الى مفعولين ومنه ولاة البلدين ولاية الامارة وتولى هو اذا اقبل الولاية واولاه نعمة لانه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء الى جهة الحرف ومنه الاحتراف وهو ان يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق الى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء لانها اطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه والحيز المكان الذي فيه الجوهر والفئة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جدا وهو من فأوت راسه بالسيف اذا قطعته الاعراب زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لان معناه متزاحفين مجتمعين ومتحرفا ومتحيزا منصوبان على الحال ايضا ويجوز ان يكون النصب فيهما على الاستثناء اي الا ان يكون رجلا متحيزا او ان يكون منفردا فيجاز ليكون مع المقاتلة يومئذ يجوز اعرابه وبناؤه فالاعراب لانه متمكن اضيف على تقدير الاضافة الحقيقية كقولك هذا يومئذ ذاك واما البناء فلانه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فاشبه الاسماء المركبة

المعنى لما امد سبحانه المسلين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهاهم عقيبه عن الفرار فقال سبحانه يا ايها الذين امنوا قيل انه خطاب لاهل بدر وقيل هو عام اذا لقيتم الذين كفروا زحفا اي متدانين لقتالكم قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال فلا تولوهم الادبار يعني فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم اي فلا تنهزموا ومن يولهم يومئذ دبره اي ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ودبره

جهه

الى جهة الانهزام واراد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد بياض النهار خاصة دون الليل الا متحرفا لقتال اي الا تاركا موقفا الى موقف آخر اصلح للقتال من الاول عن الحسن وقيل معناه الا منعطفا مستطردا كانه يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجهه ويري انه يفر ثم يكر والحرب كر وفر او متحيزا الى فئة اي منحازا منضما الى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم فقد باء بغضب من الله اي احتمل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله ومأواه جهنم اي مرجعه الى جهنم وبئس المصير واكثر المفسرين على ان هذا الوعد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ ان ينحازوا لانه لم يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك ووردت الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه واله في سرية فلقوا العدو فحاص الناس حيصة واتينا المدينة ففتحنا بابها وقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وقيل انه عام في جميع الاوقات وان من فر من الزحف اذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية اخرى وهو قول الجبائي وابي مسلم ثم نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وانما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه الى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدي اليه من اقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب اعدائهم المشركين حتى قتلوا وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى خطاب للنبي صلى الله عليه وآله ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان جبرئيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما التقى الجمعان لعلي عليه السلام اعطني قبضة من حصاء الوادي فناوله كفا من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينه ومنخريه منها شيء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخذ يوم بدر ثلث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فعلى هذا انما اضاف الرمي الى نفسه لانه لا يقدر احد غيره على مثله

فانه من عجايب المعجزات وليبلي المومنين منه بلاء حسنا اي ولينعم عليهم نعمة حسنة اي فعل ذلك انعاما على المومنين والضمير في منه راجع الى النصر اي من ذلك النصر ويجوز ان يكون راجعة الى القتل ان الله سميع لدعائكم عليم بافعالكم وضمايركم وانما يقال النعمة بلاء كما يقال المضرة بلاء لان اصل البلاء ما يظهر به الامر من الشكر او الصبر فيبلي سبحانه عباده اي يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدايد ليظهر عندها الصبر الموجب للاجر والبلاء الحسن ههنا هو النصر والغنيمة والاجر والمثوبة

النظم وقيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وجهان احدهما انه سبحانه لما امرهم بالقتال في الاية المتقدمة وذكر عقيبها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكيرا للنعمة عن ابي مسلم والاخر انهم لما امروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول انا قتلت فلانا وانا فعلت كذا نزلت الاية على وجه التنبيه لهم لئلا يعجبوا باعمالهم قوله عز وجل ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اربع ايات القراءة قرا اهل الحجاز وابو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد غير منون كيد بالجر على الاضافة وقرا الباقون موهن بالتخفيف والتنوين كيد بالنصب وقرا اهل المدينة وابن عامر وحفص وان الله مع المومنين بفتح الالف والباقون بكسر الالف

الحجة من قرا موهن فانه من اوهنته اي جعلته واهنا ومن شدد فانه من وهنته كما يقال فرحته وفرحته وكلاهما حسن ومن قرا ان الله بكسر الهمزة فانه قطعه مما قبله ويقويه انهم زعموا ان في حرف عبد الله والله مع المومنين ومن فتح الهمزة فوجهه ان يكون على تقدير ولان الله مع المومنين اي لذلك لن تغني عنكم فئتكم اللغة الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي يفتح فيه بلاد العدو والفتح ايضا الحكم ويقال للقاضي الفتاح واصل الباب من الفتح الذي هو ضد الاغلاق والانتهاء ترك الفعل لاجل النهي عنه يقال نهيته فانتهى ولم يرتدع فانه الاعراب ذلكم موضعه رفع وكذلك ان الله في موضع رفع وتقديره الامر ذلكم والامر ان الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ومن قال ان ذلكم مبتدا وفذوقوه خبره فقد اخطا لان ما بعد الفاء لا يكون

جر

خبر المبتدا لا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه الا ان تضمر هذا وتريد هذا زيد فاضربه المعنى ذلكم اشارة الى بلاء المومنين خاطبهم سبحانه بعد ان اخبر عنهم ومعناه الامر ذلكم الانعام او ذلكم الذي ذكرت وان الله موهن كيد الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول اني قد اوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قيل انه خطاب للكفار فان ابا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث ابي حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فاي الدينين كان احب اليك وارضى عندك فانصر اهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لاهدى الفئتين فقد جاءكم النصر اي نصر محمد واصحابه وقيل انه خطاب للمومنين عن عطا وابي علي الجبائي ومعناه ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي صلى الله عليه وآله قال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ان تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله وان تنتهوا اي تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمومنين فهو خير لكم وان تعودوا نعد معناه وان تعودوا ايها المشركون الى قتال المسلمين نعد بان ننصرهم عليكم ونامرهم بقتالكم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا اي ولن تدفع عنكم جماعتكم ولو كثرت وان الله مع المومنين بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة المفسرين وقيل معناه وان تنتهوا ايها المسلمون عما كان منكم في الغنايم وفي الاسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى ذلك التنازع نعد الى الانكار عليكم وترك نصرتكم ولن تغني حينئذ جمعكم شيئا اذ منعنا لكم النصر عن عطا والجبائي ثم امر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصر فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله خص المومنين بطاعة الله ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم ايضا لانه لم يعتد بغيرهم لاعراضهم عما وجب عليهم ويجوز ان يكون انما خصهم اجلالا لقدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع ولا تولوا عنه اي ولا تعرضوا عن سبيل الله وانتم تسمعون دعاءه لكم وامره ونهيه اياكم عن ابن عباس وقيل معناه وانتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة رسوله عن الحسن ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في الكلام حذف ومعناه لا تكونوا كمن في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوا سماع

عالم الله قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهولاء هم المنافقون عن ابن اسحق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم اهل الكتاب من اليهود من اليهود قريظة والنضير عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركوا العرب لانهم قالوا سمعنا لو نشآء لقلنا مثل هذا قوله عز وعلا **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ا**للغة** الشر اظهار السر الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشر الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لانه قد يكون ضررا ما لا يكون شرا بان يعقب خيرا واصل الشر الاظهار من قوله اذا قيل اى الناس شر قبيلة اشرت كليبا بالاكف الاصابع والدواب جمع دابة وهو ما دب على وجه الارض الا انه يختص في العرف بالخيل **المعنى** ثم دعا سبحانه الكافرين فقال ان شر الدواب اي شر من دب على وجه الارض من الحيوان الصم البكم الذين لا يعقلون يعني هولاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه ولا يقرون به فكانهم صم بكم لا يتفكرون ايضا فيما يسمعون فكانهم لم ينتفعوا بعقولهم ايضا وصاروا كالدواب وقال الباقر عليه السلام نزلت الاية في بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت في النضر بن الحرث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم معناه لو علم الله فيهم قبولا للهدى واقبالا على طلب الحق لاسمعهم ما يذهبون عن استماعه عن الحسن وقيل معناه لاسمعهم الجواب عن كل ما سالوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لاسمعهم قول قصي بن كلاب فانهم قالوا احي لنا قصي بن كلاب ليشهد بنبوتك عن الجبائي ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اي لاعرضوا وفي هذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنع احدا من المكلفين اللطف وانما لا يلطف لمن يعلم انه لا ينتفع به قوله عز وعلا **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ايتان **القراءة** قرا امير المؤمنين علي عليه السلام وابو جعفر الباقر والربيع عن انس وابو العالية لتصيبن والقراءة المشهورة لا تصيبن **الحجة** قال ابن جني معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لان احدهما

لتصيبن

لتصيبن الذين ظلموا خاصة والاخرى لا تصيبنهم ويمكن ان يكون حذفت الالف لا تصيبن تخفيفا واكتفى بالفتحة منها كما قالوا ام والله ليكونن كذا فحذفوا الف اما وذهب ابو عثمان في قوله يا ابت بفتح التاء انه اراد يا ابتا فحذف الالف تخفيفا فان قلت فهل يجوز ان تحمله على انه اراد لتصيبن ثم اشبع الفتحة فانشا عنها الفا كقول عنترة ينباع من ذفرى غضوب جسرة واراد ينبع ومثله قول ابن هرمة فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح اي بمنتزح قيل قوله تعالى فيما يليه واعلموا ان الله شديد العقاب اشبه بما ذكرناه واما الوجه في قوله لا تصيبن فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان هذا الكلام جزاء فيه طرف من النهي واذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك او لا تطرحنك فهذا جواب الامر بلفظ النهي فالمعنى انزل ان تنزل عنها لا يطرحك فاذا اتيت بالنون الخفيفة او الثقيلة كان اوكد للكلام ومثل قوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن فالمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز ان يكون نهيا بعد امر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعد فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اي لا يتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب فيكون بمعنى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم انما امرت بالدخول ثم نهيتهم ان يحطمنهم سليمان فقالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل كما تقول لا ارينك ههنا قال ابو علي انه حكى القول الاول على جهة احتمال الاية كما احتملها القول الثاني فاما القول الثاني فقول ابي الحسن ولا يصح عندنا الا قول ابي الحسن لان قوله لا تصيبن لا يخلو اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لان دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر كما انشده سيبويه ومهما تشا منه فزارة تمنعا واما ان يكون نهيا بعد امر واستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالاولى كما مضى ذكر امثاله من قولهم ثلثة رابعهم كلبهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الاول قال ومحال ان يكون جواب الامر بلفظ النهي كما يستحيل ان يكون جواب الشرط بلفظ النهي لان جواب الامر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء جزء فحكمه يكون على لفظ الاخبار واخبار الالفاظ لا يجي على لفظ الامر الا فيما علمته من قولهم اكرم به وما الحسن بجزاء دخول النون فيه والنون لا يدخل في الجزاء كما ذكرنا انه خبر ولا يجوز دخول النون في الجزاء الا في ضرورة الشعر يحوز ربما اوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات **المعنى**

بدل على انه

ثم ذكر سبحانه بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله فقال يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اي اجيبوا
الله والرسول فيما يامركم به فاجابة الله والرسول طاعتهما فيما يدعوان اليه اذا دعاكم لما يحييكم
قيل فيه اقوال احدها ان معناه اذا دعاكم الى الجهاد واللام في معنى الى قال القتيبي هو الشهادة
فان الشهداء احياء عند الله تعالى قال الجبائي اي دعاكم الى احياء امركم واعزاز دينكم بجهاد عدوكم
مع نصر الله اياكم وهو معنى قول الفراء وثانيها ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فانه حيوة القلوب
والكفر موته عن السدي وقيل الى الحق عن مجاهد وثالثها ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في
الدين لان الجهل موت والعلم حيوة والقرآن سبب الحيوة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة
ورابعها ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيه من الحيوة الدائمة ونعيم الابد عن ابي مسلم و
اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه
استدراك ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف عن الجبائي قال وفيه
حث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه اقرب اليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد فان الحائل بين الشيء وغيره اقرب الى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن
وقتادة قالا وفيه تحذير شديد وقيل انه سبحانه يملك تقليب القلوب من حال الى حال كما جاء
في الدعاء يا مقلب القلوب فكانهم خافوا من القتال فاعلمهم سبحانه انه يبدل خوفهم امنا بان يحول بينهم
وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام معناه
لا يستيقن القلب ان الحق باطل ابدا ولا يستيقن القلب ان الباطل حق ابدا وروى هشام بن سالم
عنه عليه السلام قال معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق اوردهما العياشي في تفسيره
وقال محمد بن اسحق معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئا وهذا في معنى قول الحسن وانه اليه
تحشرون معناه واعلموا انكم تحشرون اي تجمعون للجزاء على اعمالكم يوم القيمة خيرا فخير وان شرا فشر
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة حذرهم الله سبحانه من هذه الفتنة وامرهم
ان يتقوها فكانه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبكم لان قوله لا تصيبن نهي مسوق على
الامر ولفظ النهي ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في معنى المامورين بالاتقاء كقوله لا تموتن
الا وانتم مسلمون اي احذروا ان يدرككم الموت قبل ان تسلموا واختلف في معنى الفتنة هنا فقيل

من العذاب امر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والخطاب لاصحاب النبي صلى الله
عليه وآله خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن امر الانسان فيها عن الحسن
قال ونزلت في علي وعمار وطلحة والزبير قال وقد قال الزبير لقد قرانا هذه الآية زمانا وما ارانا
من اهلها فاذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى اصابتنا خاصة وقيل نزلت في اهل بدر خاصة
فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا
عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل احد ثم اختلف
في اصابة هذه الفتنة على قولين احدهما انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما
الظالمون فمعذبون واما المؤمنون فممتحنون ممحصون عن ابن عباس وروى انه سئل عنها فقال
ابهموا ما ابهم الله والثاني انها تخص الظالم لان الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره واتقوا
عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة باللام
فانه يفسره على هذا المعنى وقيل لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز ان يقال ان الالف في لا لا
الفتحة على ما تقدم ذكره قال ابو مسلم تقديره احذروا ان يخص الظالم منكم بعذاب اي لا
تظلموا فيأتيكم عذاب لا ينجو منه الا من زال عنه اسم الظلم واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن ارتكب المعاصي وروى الثعلبي باسناده عن حذيفة انه قال اتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك
فيها كل شجاع بطال وكل راكب موضع وكل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري
ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم
وحتى يقتل بعضهم بعضا وحتى يتبرا بعضهم من بعض فاذا رايت ذلك فعليك بهذا الاصلع
عن يميني علي بن ابي طالب فان سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي
علي وخل عن الناس يا عمار ان عليا لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعة علي
طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والاسود قالا
اتينا ابا ايوب الانصاري الخبر بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحسكاني رحمه
الله وحدثناه عنه السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن احمد قال
حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي قال حدثنا عبد الرحمن

بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الاشج عن ابي خالد الاحمر عن ابراهيم بن طهمان عن سعيد بن عروبة عن
قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية واتقوا فتنة قال النبي صلى
الله عليه وآله من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكانما جحد نبوتي ونبوة الانبياء قبلي
قوله عز وعلا وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ آية اللغة الذكر
ضد السهو وهو احضار المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الاخذ
بسرعة يقال تخطف وخطف واختطف المعنى ثم ذكرهم الله سبحانه حالتهم السالفة في القلة والضعف و
وانعامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال واذكروا معاشر المهاجرين اذ انتم قليل في العدد
وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الاسلام مستضعفون يطلب ضعفكم بتهوين امركم في الارض
اي في ارض مكة عن ابن عباس والحسن تخافون ان يتخطفكم الناس اي يستلبكم المشركون من العرب
ان خرجتم منها وقيل انه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب
فآواكم اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة وايدكم بنصره اي قواكم ورزقكم
من الطيبات يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم
من الاطعمة اللذيذة لعلكم تشكرون اي لتشكروا والمعنى قابلوا حالكم التي انتم عليها الآن بتلك الحال
المتقدمة ليتبين لكم موقع النعمة فتشكروا عليها قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ
الرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ
أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ آيتان اللغة الخيانة منع الحق الذي قد ضمن التأدية فيه وهي ضد الامانة
واصلها ان تنقص من ائتمنك امانته قال زهير بارزة الفقارة لم يخنها قطاف في الركاب و
لا خلاء اي لم ينقص من فراهتها الاعراب وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الاخفش
وهو في معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب على الصرف مثل قول الشاعر لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم وهو في معنى قول السدي النزول قال عطاء سمعت جابر بن عبد الله
يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا
فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله هذه

الآية

الآية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وآله فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي
والزهري نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله حاصر
يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير
على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى ان يعطيهم ذلك رسول الله صلى
الله عليه وآله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله
وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله فاتاهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة اننزل على حكم سعد
بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا فاتاه جبرئيل عليه السلام فاخبره بذلك
قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت
الآية فيه فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا
عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا احل نفسي حتى يكون رسول
الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي
اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وآله يجزيك الثلث ان تصدق
به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام المعنى ثم امرهم سبحانه بترك الخيانة فقال
يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اي لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته
وشرايعه عن ابن عباس وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضيعه فقد خان الله ورسوله عن
الحسن وتخونوا اماناتكم يعني الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض يقول لا تنقصوها
عن ابن عباس وقيل انه اذا خانوا الله ورسوله فقد خانوا اماناتهم عن السدي وانتم تعلمون
ما في الخيانة والعقاب وقيل وانتم تعلمون انها امانة من غير شبهة واعلموا اي وتحققوا وتيقنوا
انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة عليكم ابتلاكم الله تعالى بها فان ابا لبابة حمله على ما فعله ماله
الذي كان في ايديهم واولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم وان الله عنده اجر عظيم لمن اطاعه
وخرج الى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الاموال والاولاد بين سبحانه بهذه الآية
ان يختبر خلقه بالاموال والاولاد ليتبين الراضي بقسمته ممن لا يرضى وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم

ولكن ليظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب وعلى هذا اشار امير المؤمنين علي عليه السلام في قوله
لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ
من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن
ابن مسعود ايضا قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم آية المعنى يا ايها الذين
آمنوا اي يا ايها المؤمنون ان تتقوا الله اي تتقوا عقاب الله باتقاء معاصيه واداء فرائضه يجعل
لكم فرقانا اي هداية ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد و
قيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي و
قيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزا
في الدنيا وثوابا في الآخرة وعقوبة وخذلانا لاعدائكم وذلا وعقابا كل ذلك يفرق بينكم
وبينهم في الدنيا والآخرة عن الجبائي ويكفر عنكم سيئاتكم التي عملتموها ويغفر لكم ذنوبكم والله
ذو الفضل العظيم على خلقه بالنعم عليهم من انواع النعم فاذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير
استحقاق كرما منه وجودا فانه لا يمنعهم ما استحقوه بطاعتهم له وقيل معناه اذا ابتدأ بنعيم
الدنيا من غير استحقاق تفضله اتمام ذلك بنعيم الآخرة باستحقاق وغير استحقاق النظم قيل اتصلت
الآية باول السورة من الامر بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله ولم تخالفوه فيما امركم به من الجهاد يجعل
لكم فرقانا وقيل انه لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين جميع ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا و
الآخرة قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين آية اللغة المكر القتل الى جهة الشر خفية
قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزاء واصل المكر الالتفاف من قولهم
جارية ممكورة قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب اي
ملتفة والفرق بين المكر والغدر ان الغدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء
من غير عقد والاثبات الحبس يقال رماه فاثبته اي حبسه مكانه واثبته في الحرب اذا جرحه جراحة
مثقلة النزول قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفرا من قريش اجتمعوا فيها

وهي دار قصي بن كلاب وتآمروا في امر النبي صلى الله عليه وآله فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون
قال ابو البختري اخرجوه تستريحوا من اذاه وقال ابو جهل ما هذا براي ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل
بطن رجل فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب ابليس هذا
الراي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من اهل نجد وخطأ الاولين فاتفقوا على هذا الراي و
اعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرئيل عليه السلام فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج الى
الغار وامر عليا عليه السلام فبات على فراشه فلما اصبحوا وفتشوا الفراش وجدوا عليا و
قد رد الله مكرهم فقالوا اين محمد قال لا ادري فاقتصوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل
ومروا بالغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث
فيه ثلاثا ثم قدم المدينة المعنى واذ يمكر بك الذين كفروا اي واذكر اذ يحتال الكفار في ابطال امرك
ويدبرون في هلاكك وهم مشركوا العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث
وابو جهل بن هشام وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وامية بن خلف و
غيرهم ليثبتوك اي ليقيدوك فيثبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل
ليثبتوك في الحبس ويحبسوك في بيت عن عطاء والسدي وقيل معناه ليثخنوك بالجراحة والضرب
عن ابان بن تغلب والجبائي وابي حاتم وانشد فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم قالوا الخليفة امسى
مثبتا وجعا او يقتلوك او يخرجوك من مكة الى طرف من اطراف الارض وقيل او يخرجوك على بعير
ويطردونه حتى يذهب في وجه ويمكرون ويمكر الله اي ويدبرون في امرك ويدبر الله في امرهم
عن ابي مسلم وقيل يحتالون في امرك من حيث لا تشعر فاحل الله بهم ما اراد من عذابه من حيث لا
يشعرون عن الجبائي وقيل يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء سيئة
سيئة مثلها والله خير الماكرين لانه لا يمكر الا ما هو حق وصواب وهو انزال المكروه بمن يستحقه
والعباد قد يمكرون مكرا هو ظلم وباطل ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين
مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر النظم الآية اتصلت بقوله
واذكروا اذ انتم قليل فتقديره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر الكفار بمكة عن ابي مسلم و
قيل انها متصلة بما قبلها من قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نجاة كما جعل النبي

واصحابه الجفاة من مكر مشركي قريش فاذكر واذ ذلك قوله تعالى وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ
سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ
إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ
إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اربع آيات الاعراب هو الحق هو فصل
لا محل له من الاعراب ويسميه الكوفيون عمادا والحق منصوبا بانه خبر كان ويجوز فيه الرفع
ولكن لم يقرأ به والكلام في قوله ليعذبهم لام الجحد واصلها لام الاضافة وانما دخلت في النفي
ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر ما ولم تدخل في الايجاب و
موضع ان من قوله ان لا يعذبهم الله نصب لان تقديره وما لهم في ان لا يعذبهم الله اي شيء لهم
في ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحوه وانما جاز الحذف مع ان
ولم يجز مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر المعنى
ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتهم للحق فقال واذا تتلى عليهم اياتنا من القرآن
قالوا قد سمعنا اي ادركناه باذاننا فان السماع ادراك الصوت بحاسة الاذن لو نشاء لقلنا
مثل هذا انما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الاتيان بسورة مثله بعد التحدي عداوة
وعنادا وقيل يحمل الانسان شدة العداوة على ان يقول ما لا يعلم وقيل انما قالوا ذلك لانهم
لم ينقطع طمعهم عن القدرة عليه في المستقبل اذ القرآن كان مركبا من كلمات جارية على السنتهم
فطمعوا ان يتأتى لهم ذلك في المستقبل بخلاف صيرورة العصى حية فانهم قد انقطع طمعهم
عن الاتيان بمثله اذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم ان هذا الا اساطير الاولين معناه ما
هذا الا احاديث الاولين نتلوها علينا وكان قائل هذا النضر بن الحرث بن كلدة واسر يوم
بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وآله وعقبة بن ابي معيط قال يا علي علي بالنضر واخذ
فاخذ علي عليه السلم بشعره وكان رجلا جميلا له شعر فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال
يا محمد اسئلك الرحم بيني وبينك الا اجريتني كرجل من قريش ان قتلتهم قتلتني وان فاديتهم فاديتني فقال

عليه السلم

عليه السلم لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالاسلام قدمه يا علي فاضرب عنقه فضرب عنقه ثم قال علي
بعقبة فاحضر فقال يا محمد الم تقل لا يصبر قريش اي لا يقتلون صبرا فقال او انت من قريش انما انت
علج من اهل صفورية والله لانت في الميلاد اكبر من ابيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال عليه
النار ثم قال حن قدح ليس منها فما قال جبير فقتل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ثلثة من قريش
صبرا المطعم بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط واذ قالوا اي واذكر يا محمد اذ قالوا
اي قال هؤلاء الكفار اللهم ان كان هذا الذي جاء به محمد هو الحق من عندك دون ما نحن عليه
فامطر علينا حجارة من السماء كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم اي شديد مؤلم والقائل
لذلك النضر بن الحارث ايضا عن سعيد بن جبير ومجاهد وروي في الصحيحين ان هذا من قول ابي جهل
ويسأل ههنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وانما يطلب بالحق الخير والثواب والاجر والجواب
انهم كانوا يعتقدون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ليس بحق من الله واذا لم يكن حقا لم يصبهم
شيء ويقال لم قال امطر من السماء والامطار لا يكون الا من السماء وفي هذا جوابان احدهما انه يجوز
ان يكون امطار الحجارة من مكان عال غير السماء والثاني انه على طريق البيان ثم قال سبحانه وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم ذكر سبحانه سبب امهالهم وما كان الله ليعذب اهل مكة بعذاب الاستيصال
وانت مقيم بين اظهرهم لفضلك وحرمتك ومكانك يا محمد فان الله تعالى بعثك رحمة للعالمين
فلا يعذبهم الا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة باخراجك عنهم قال ابن عباس ان الله
سبحانه لم يعذب قوما حتى اخرجوا نبيهم منها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون معناه وما كان
الله يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله
لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا لعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله
العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم فلما خرجوا اذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية
والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستيصال في الدنيا وهم
يقولون غفرانك ربنا وانما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في رواية اخرى ويزيد
بن رومان وابي موسى ومحمد بن مبشر وفي تفسير علي بن ابراهيم لما قال النبي صلى الله عليه وآله
لقريش اني اقتل جميع ملوك الدنيا واجر الملك اليكم فاجيبوني الى ما ادعوكم اليه تملكون العرب بها

وتدين لكم العجم فقال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق الآية حسدا للرسول ثم قال غفرانك اللهم
فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الآية ولما هموا بقتل رسول الله واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه
وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل
معناه انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية
اخرى والسدي وقتادة وابن زيد قال مجاهد وفي اصلابهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون
فارادوا بالاستغفار الاسلام وقد روي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال كان في الارض امانان
من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به وقرا هذه الآية وروى ذلك عن قتادة
ايضا وما لهم الا يعذبهم الله معناه ولم لا يعذبهم الله واي امر يوجب ترك تعذيبهم وهم يصدون
عن المسجد الحرام اي يمنعون عن المسجد الحرام اولياءه فحذف لان ما بعده يدل عليه وما كانوا
اولياءه اي وما كان المشركون اولياء المسجد الحرام وان سعوا في عمارته ان اولياؤه الا
المتقون معناه وما اولياء المسجد الحرام الا المتقون عن الحسن وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام
وقيل معناه وما كانوا اولياء الله ان اولياء الله الا المتقون الذين يتركون معاصي الله
ويجتنبونها والاول احسن وسال فيقال كيف يجمع بين الآيتين وفي الاولى نفي تعذيبهم وفي
الثانية اثبات ذلك وجوابه على ثلثة اوجه احدها ان المراد بالاول عذاب الاصطلام و
الاستيصال كما فعل بالامم الماضية وبالثاني عذاب القتل بالسيف والاسر وغير ذلك بعد
خروج المؤمنين من بينهم والآخر انه اراد وما لهم الا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالاول
عذاب الدنيا عن الجبائي والثالث ان الاول استدعاء للاستغفار يريد انه يعذبهم بعذاب دنيا
ولا اخرة اذا استغفروا وتابوا فلما لم يفعلوا عذبوا ثم بين ان استحقاقهم العذاب بصدهم الناس
عن المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون القراءة يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتهم بالنصب
الا مكاء وتصدية بالرفع وروي ايضا عن ابان بن تغلب الحجة قال ابن جني لسنا ندفع ان جعل
اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيحا وانما جاءت منه ابيات شاذة لكن من وراء ذلك ما اذكره
وهو ان نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته الا تراك تقول خرجت فاذا اسد بالباب فتجد معناه فاذا الاسد بالباب

ولا فرق بين

ولا فرق بينها وذلك انك في الموضعين لا تريد اسدا واحدا وانما تريد واحدا من هذا الجنس واذا كان كذلك
جاز هنا الرفع في مكاء وتصدية جوازا قريبا كانه قال وما كان صلاتهم الا هذا الجنس من الفعل ولا يكون
مثل قولك كان قائم اخاك لانه ليس في معنى الجنسية وايضا فانه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع
الايجاب الا تراك تقول ما كان انسان خيرا منك ولا تجيز كان انسان خيرا منك اللغة المكاء
الصفير والمكاء طائر يكون بالحجاز بالتشديد يقال مكا يمكو مكاء اذا صفر بفيه قال عنترة وحليل
غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم والتصدية التصفيق وهو ضرب اليد على اليد
ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه المعنى ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال وما كان صلاتهم يعني
هؤلاء المشركين الصادين عند البيت الا مكاء وتصدية قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت
عراة يصفرون ويصفقون وصلاتهم معناه دعاؤهم اي يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء
والتسبيح وقيل اراد ليس لهم صلوة ولا عبادة وانما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون
الذين يطيعون الله ويعبدونه عند هذا البيت احق بمنع المشركين منه وروي ان النبي صلى الله عليه
وآله كان اذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار فيصفران ورجلان عن يساره
ويصفقان بايديهما فيخلطان عليه صلوته فقتلهم الله جميعا ببدر ولهم يقول ولبقية بني عبد
الدار فذوقوا العذاب يعني عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الآخرة و
على هذا يكون في الكلام حذف اي يقال لهم اذا عذبوا ذوقوا بما كنتم تكفرون بتوحيد الله تعالى
قوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها
ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك
هم الخاسرون آيتان بصري آيتان عند غير البصري يغلبون اللغة الحسرة الغم
بانكشاف من فوت استدراك الخطيئة واصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا
والتمييز اخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه والحاقه بما هو منه يقال ميزه يميزه ومازه يميزه فامتاز
وانماز الازهري الركم جعل شيء فوق شيء حتى تجعله ركاما مركوما كركم الرمل وهو المتراكب بعضه
على بعض النزول قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي

صلى الله عليه وآله سوى من استجاشهم من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك فجئنا الى موج من
البحر وسطهم احابيش منهم حاسر ومقنع ثلثة آلاف ونحن بقية ثلث مئين ان كثرن فاربع
عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت في مطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا ابو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام
والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل
والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان كل يوم يطعم واحد منهم عشر جزور وكانت
النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلبي والضحاك ومقاتل وقيل لما اصيبت قريش يوم بدر
ورجع فلهم الى مكة مشى صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل في رجال من قريش اصيب آباؤهم
واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة
فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على
حربه لعلنا ان ندرك منه ثارنا بمن اصيب منا ففعلوا فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية
رواه محمد بن اسحق عن رجاله المعنى ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين اموالهم في معصية الله تعالى
فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم في قتال الرسول والمومنين ليصدوا عن سبيل الله
اى ليمنعوا بذلك عن دين الله الذي اتى به محمد صلى الله عليه وآله وانما قال ليصدوا
وان كان لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا ان ذلك دين الله لان فعلهم ذلك كان صدا
عن دين الله وان لم يقصدوا ذلك فسينفقونها معناه فسيقع منهم الانفاق لها ثم تكون
عليهم حسرة ثم ينكشف لهم ويظهر من ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث انهم
لا ينتفعون بذلك الانفاق لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالا عليهم ثم يغلبون
في الحرب اي يغلبهم المومنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله لانه
اخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما اخبر به والذين كفروا الى جهنم يحشرون اى يجمعون الى
النار بعد حشرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وانما اعاد قوله والذين
كفروا لان جماعة ممن انفقوا اسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة
ليميز الله الخبيث من الطيب معناه ليميز الله نفقة الكافرين ويجعل الخبيث بعضه على بعض

اى يجعل

اى ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض فيركمه اي فيجمعه جميعا في الآخرة فيجعله في جهنم فيعاقبهم
به كما قال يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية وقيل معناه ليميز الله الكافر من المومن في الدنيا بالغلبة
والنصر والاسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة عن ابي مسلم وقيل
بان يجعل الكافر في جهنم والمومن في الجنة ويجعل الخبيث بعضه على بعض في جهنم يضيقها عليهم
فيركمه جميعا اى يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بان يكون بعضهم فوق بعض مجتمعين
فيها فيجعله في جهنم اي يدخله جهنم اولئك هم الخاسرون قد خسروا انفسهم لانهم اشتروا
بانفاق الاموال في المعصية عذاب الله في الآخرة قوله عز وجل **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا
يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ثلث آيات **اللغة**
الانتهاء الاقلاع عن الشيء لاجل النهي يقال نهاه عن كذا فانتهى والسنة والطريقة والسيرة نظاير
قال فلا تجزعن من سنة انت سرتها فاول راض سنة من يسيرها والسلوك التقدم والتولي
عن الدين الذهاب عنه الى خلافه والتولي فيه هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعته **الاعراب**
وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله مولاكم امر في موضع الجواب وانما جاز ذلك لان فيه معنى
الخبر فكانه قال فواجب عليكم العلم بان الله مولاكم **المعنى** ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
بدعائهم الى التوبة والايمان فقال قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا اى يتوبوا عما هم عليه من
الشرك ويمتنعوا منه يغفر لهم ما قد سلف اي مضى من ذنوبهم وقيل معناه ان ينتهوا عن
المحاربة الى المراد عنه يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين
معناه وان يعودوا الى القتال واصروا على الكفر فقد مضت سنة الله في آبائكم وعادته في نصر
المومنين وكبت اعداء الدين بالاسر والاسترقاق وانما ذكر ذلك تحذيرا لهم واضاف السنة
اليهم لانها كانت تجري عليهم وقال سنة من قد ارسلنا فاضاف السنة الى الرسل لانها كانت
تجري عليهم ثم قال ولا تجد لسنتنا تحويلا فاضاف الى نفسه لانه هو المجري لها وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة هذا خطاب للنبي عليه السلام والمومنين بان يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة اي شرك عن ابن عباس

والحسن ومعناه حتى لا يكون كافر بغير عهد لان الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا في قومه ويدعوا
الى الناس الى دينه فيكون الفتنة في الدين وقيل حتى لا يفتن مومن عن دينه ويكون الدين
كله لله اي ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به فيكون الدين
حينئذ كله لله باجماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال لم يجي
تاويل هذه الاية ولو قد قام قائمنا بعد فيرى من يدركه ما يكون من تاويل هذه الاية وليبلغن
دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على ظهر الارض كما قال الله تعالى
فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير معناه فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله
يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شي وان تولوا عن
دين الله وطاعته فاعلموا ايها المومنون ان الله موليكم اي ناصركم وسيدكم وحافظكم فنعم
المولى اي نعم السيد والحافظ ونعم النصير ينصر المومنين ويعينهم على طاعته ولا يخذل
من هو ناصره قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا
على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اللغة
الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله للمسلمين والفيء ما اخذ
بغير قتال وهو قول عطا ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقال
قوم الغنيمة والفيء واحد وادعوا ان هذه الاية ناسخة للتي في الحشر من قوله ما افاء الله على
رسوله الاية واليتيم الذي مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل امه الا
الانسان فانه من قبل ابيه والمسكين الذي تحل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شانه ان يسكن
الحاجة عما ينهض بالغنى وابن السبيل المسافر المنقطع به في سفره وانما قيل ابن السبيل لان السبيل اخرجه
الى هذا المستقر كما اخرجه ابوه الى مستقره الاعراب فان لله خمسه يقولك فتح ان قولان احدهما
ان تقديره فعلى ان لله خمسه ثم حذف حرف الجر والاخر انه عطف على ان الاولى وحذف
خبر الاولى لدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا انما غنمتم من شي يجب قسمته فاعلموا ان لله
خمسه المعنى ثم بين سبحانه الغنيمة فقال سبحانه مخاطبا للمسلمين واعلموا انما غنمتم من شي اي مما

قل

قل او كثر فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى اختلف العلماء في كيفية الخمس ومن يستحقه على اقوال
احدها ما ذهب اليه اصحابنا وهي ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان
مع سهم ذي القربى للامام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسهم ليتامى آل محمد صلى الله
عليه وآله وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم لان الله سبحانه حرم
عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي ابن الحسين
زين العابدين ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروي ايضا عن ابي العالية والربيع انه يقسم على
ستة اسهم الا انهما قالا سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب
ويقويه والثاني ان الخمس يقسم على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم
الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وعطا والثالث انه يقسم على
اربعة اسهم سهم ذي القربى لقرابة النبي صلى الله عليه وآله والاسهم الثلثة لمن ذكر وابعد ذلك
من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع انه يقسم على ثلثة اسهم لان سهم الرسول قد سقط
بوفاته عندهم لان الانبياء لا تورث فيما يزعمون وسهم ذي القربى قد سقط لان ابا بكر وعمر
لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهما وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق
ومنهم من قال لو اعطي فقراء ذي القربى سهما والاخرون ثلثة اسهم جاز ولو جعل ذوو القربى اسوة
الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف في ذي القربى فقيل انهم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب
لان هاشما لم يعقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا وقيل انهم بنو هاشم
بن عبد مناف وبنو عبد المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروي ذلك عن جبير بن
مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وقال اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل من المكاسب
وارباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ويمكن
ان يستدل على ذلك [illegible] الاية فان في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ثم
نعود الى تاويل الاية قوله فان لله خمسه قالوا افتتح الكلام على جهة التيمن والتبرك لان الاشياء
كلها له عز وجل والمراد مصروف الى الجهات المقربة الى الله سبحانه وللرسول قالوا كان النبي
صلى الله عليه وآله سهم من خمسة اسهم يصرفه في مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح

والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول عليه السلام على ما ذكرناه وقال
الشافعي يصرف سهم الرسول الى الخيل والكراع في سبيل الله وسهم ذي القربى لبني هاشم وبني المطلب
يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغني والفقير وروي عن الحسن وقتادة ان سهم الله وسهم
الرسول وسهم ذي القربى للامام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين
وهو مثل مذهبنا واليتامى والمساكين وابن السبيل قالوا ان هذه الاسهم الثلثة لجميع الناس فانه
يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم ومذهبنا ان عندنا يختص اليتامى من بني هاشم ومساكينهم و
ابناء سبيلهم ان كنتم آمنتم بالله قال الزجاج يجوز ان يكون ان كنتم آمنتم معلقة بقوله فاعلموا ان
الله موليكم نعم المولى ونعم النصير ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى
الجمعان اي فايقنوا ان الله ناصركم اذ كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز ان يكون
ان كنتم آمنتم بالله معناه واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول يأمران فيه بما يريد
ان كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما امرتم به من الغنيمة واعملوا به واعلموا بما انزلنا على عبدنا اي وآمنتم
بما انزلنا على محمد من القرآن وقيل من النصرة وقيل من الملائكة اي علمتم ان ظفركم على عدوكم كان
بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لان الله تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين باعزاز هؤلاء
وقمع اولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وجمع الكافرين وهم
بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش ورؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين واسروا
منهم مثل ذلك وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين
من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا وقيل كان التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن
ابي عبد الله عليه السلام والله على كل شيء قدير قد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال
ابن عمرو سألت علي بن الحسين عليه السلام وعبد الله بن محمد بن علي عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي
ان الله تعالى يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال ايتامنا ومساكيننا وروى العياشي باسناده
عن ابي عبد الله عليه السلام قال كتب نجدة الحروري الى ابن عباس يسأل عن موضع الخمس فكتب اليه ابن
عباس فاما الخمس فانا نزعم انه لنا ويزعم قومنا انه ليس لنا فصبرنا وعن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله
تعالى لما حرم علينا الصدقة انزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال

قوله عز وجل اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ثلث آيات كوفي واربع عند غيرهم القراءة قرأ ابن كثير وابو عمرو بالعدوة
بكسر العين والباقون بضمها وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير حيي باظهار اليائين و
قرأ الباقون حيّ بالادغام الحجة الكسر والضم في العدوة لغتان قال الراعي في الكسر وعينان حمر
مآقيهما كما نظر العدوة الجؤذر وقال اوس بن حجر في الضم وفارس لا يحل الحي عدوته ولوا سراعا
وما هموا باقبال ومن ادغم فللزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا اذا اخبروا عن جماعة قال
احيوا فخففوا وقد جاء مدغما نحو حيوا قال عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة ومن اختار الاظهار
فلامتناع الادغام في مضارعه وهو يحيى فاجرى الماضي على شاكلة المستقبل اللغة العدوة شفير
الوادي وللوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدى والدنيا تأنيث الادنى من دنوت
والقصوى تأنيث الاقصى وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فان العرب تحوله
الى الياء نحو الدنيا والعليا استثقلوا الواو مع ضم الاول الا ان اهل الحجاز قالوا القصوى
فاظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الابعد والقصى البعد وقصوت
منه اقصو اي تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصحب والعلو
قرار تحته قرار والسفل قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس والمنام موضع النوم
كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدد كما ان الكثرة زيادة على عدد والفشل ضعف
من فزع والفعل منه فشل يفشل والتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه عما هو
عليه والسلامة النجاة من الآفة واسلم الانسان دخل في السلام واسلم اسلاما دفعه عن السلامة
وسلمه اذا نجاه واسلم بالحجر اذا طلبه على السلامة والصدر الموضع الاجل كون في القلب
وصدر المجلس جليل لانه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لان الاجتماع قد يكون في معنى غير اتصال

كاجتماع القوم في الدار وان لم يكن هناك اتصال ويقال للعسكرين اذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين الاعراب انما نصب اسفل لان تقديره بمكان اسفل او في مكان اسفل فهو في موضع جر فهو غير منصرف ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج ويجوز ان ترفع اسفل على انك تريد والركب اسفل منكم اى اشد تسفلا المعنى ثم بين سبحانه نصرة المسلمين ببدر فقال سبحانه اذ انتم ايها المسلمون بالعدوة الدنيا قال ابن عباس يريد والله قدير على نصركم وانتم اقلة اذلة اذ انتم نزول بشفير الوادي الاقرب الى المدينة وهم يعني المشركين بالعدوة القصوى والركب يعني ابا سفيان واصحابه وهم العير اسفل منكم اي موضع اسفل منكم الى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة اميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي يسوخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة وتروطهم على الماء والعير اسفل منهم وفيها اموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عند الله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد معناه ولو تواعدتم ايها المسلمون الاجتماع في الموضع الذي اجتمع فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتاخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختلفتم بما يعرض من العوايق والقواطع فذكر الميعاد لتاكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر جرت الرياح على محل ديارهم فكانهم كانوا على ميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا معناه ولكن قدر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي الله امرا كان كاينا لا محالة وهو اعزاز الدين واهله واذلال الشرك واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاه اذ الله تعالى قد قضى ما هو كاين ومعنى قوله مفعولا اى واجبا كونه لا محالة فقال للامر الكاين لا محالة هذا امر مفروغ منه وقيل معناه ليتم امرا كان في علمه مفعولا لا محالة من اظهار الاسلام واعلاء كلمته على عبدة الاصنام ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اى فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما راى من المعجزات الباهرة بالنبي صلى الله عليه وآله في حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه وقيل ان البينة هي ما وعد الله من النصر للمومنين على الكافرين صار ذلك

حجة على الناس في صدق النبي صلى الله عليه وآله فيما اتاهم به من عند الله تعالى وقيل معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجة عليه فيكون حيوة الكافر وبقاوه هلاكا لهم ويحيى من اهتدى بعد قيام الحجة عليه ويكون بقاء من بقي على الايمان حيوة له وقوله عن بينة اى بعد بيان وان الله لسميع لاقوالهم عليم بما في ضمايرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم اذ يريكهم الله العامل في اذ ما تقدم وتقديره اتاكم النصر اذ كنتم بشفير الوادي اذ يريكهم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذكر يا محمد اذ يريكهم الله اي يريك الله يا محمد هولاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر معناه يريكهم الله في نومك قليلا لتخبر المومنين بذلك فيجترئ المومنون على قتالهم وهو قول اكثر المفسرين وهذا جايز لان الروٰيا في النوم هو تصور يتوهم معها الرؤية في اليقظة ولا يكون ادراكا ولا علما بل كثير عما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما راه كما يكون تعبير البكاء ضحكا قال الرماني ويجوز ان يريد الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لان الروٰيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جاء معه قطع من الانسان على المعنى وانما ذلك على مثل اما بخيال امام من غير قطع على الزمان ولا يجوز ان يلهمه اعتقادا للشيء على خلاف ما هو به لان ذلك يكون جهلا لا يجوز ان يفعله الله سبحانه والروٰيا على اربعة اقسام روٰيا من الله عز وجل لها تاويل وروٰيا من وساوس الشيطان وروٰيا من غلبة من غلبة الاخلاط وروٰيا من الافكار وكلها اضغاث احلام الا الروٰيا من قبل الله التي هي الهام في المنام وروٰيا النبي صلى الله عليه وآله هذا كانت بشارة لهم وللمومنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك اى في عينك التي تنام بها وليس من الروٰيا في النوم وهو قول البلخي وهذا بعيد لانه خلاف الظاهر ولو اريكهم كثيرا على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتم في امر القتال فكان يقول بعضكم نقاتلهم وبعض اخرى نحالفونكم ويقول بعضكم لبعض تقدموا في القتال ويتاخر هو بنفسه ولكن الله سلم اي سلم المومنين عن الفشل والاختلاف الكلمة واضطراب الامر بلطفه واحسانه اليهم حتى بلغوا ما ارادوه من عدوهم انه عليم بذات الصدور وما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الكاف والميم كناية عن المومنين والهاء والميم كناية عن المشركين اضاف الروٰيا في النوم الى النبي

صلى الله عليه وآله لان رويا الانبيا لا تكون الا حقا واضاف روية العين اليهم فقلل الله المشركين في اعين المومنين ليشتد بذلك طمعهم فيه وجراتهم عليهم وقلل المومنين في اعين المشركين لئلا يتاهبوا لقتالهم ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المومنون وذلك قوله ويقللكم في اعينهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود انه قال قلت لرجل بجنبي اتراهم سبعين رجلا فقال اراهم قريبا من مائة وقد روي ان ابا جهل كان يقول خذوهم بالايدي اخذا ولا تقاتلوهم ومتى قيل كيف قللهم الله في اعينهم مع رويتهم لهم فالقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرويا اما بغبار او بما اشبه فيتخيلونهم باعينهم من غير روية على الصحة لجميعهم وذلك لطف من الطاف ليقضي الله امرا كان مفعولا انما كرره سبحانه مع ذكره في الآية الاولى لكثرة الفائدة لان المعنى في الآية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من الالتقاء على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالاول الوعد بالنصرة يوم بدر وبالثاني الاستمرار على النصرة فيل التاكر للتاكيد وانما قال كان مفعولا والمعنى يكون مفعولا في المستقبل تحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه كاين لا محالة والى الله ترجع الامور مر معناه. قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ثلث آيات اللغة الريح الدولة قال عبيد بن الابرص كما حميناك يوم النعف من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد اي من عز ودولة البطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والريا اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح الاعراب تفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النهي ولذلك عطف عليه وتذهب ويصدون في محل نصب العطف على قوله بطرا ورئاء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى بطرين ومرائين وصادين ولا يجوز ان يكون عطفا على خرجوا اذ لا يعطف مستقبل على ماض المعنى ثم امر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب فقال يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة اي جماعة

كافرة

كافرة فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا وانما اطلق الفئة لان من المعلوم ان المومن لا يقاتل الا الفئة الكافرة والباغية فحذف للايجاز واذكروا الله كثيرا مستعينين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الاعداء في الدنيا والثواب في الآخرة ليدعوكم ذلك الى الثبات في القتال لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا او تنجحوا بالنصر والظفر بهم والثواب عند الله يوم القيمة واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به ولا تنازعوا في لقاء العدو ولا تختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم وتذهب ريحكم معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الاخفش دولتكم والريح هاهنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا جرى امره على ما يريد وركدت ريحه اذا ادبر امره وقيل ان المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن زيد ومنه قوله صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على القتال ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا اي بطرين يعني قريشا خرجوا من مكة ليحموا عيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمور وتعزف القيان ورئاء الناس قيل انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك الى الناس كانوا مرائين وقيل انهم وردوا بدرا ليروا الناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رياء ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون غيرهم عن دين الله والله بما يعملون محيط اي عالم باعمالهم فيجازيهم عليها لا يخفى عليه منها شيء القصة قال ابن عباس لما راى ابو سفيان انه احرز عيره ارسل الى قريش اي ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا كووس المنايا وناحت عليهم النوائح قوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب آية المعنى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم دخلت الواو عطفا على حال المشركين في خروجهم بطرا ورئاء الناس

فتفشلوا اي لا تنازعوا

يعني في وقت تزيين الشيطان اعمالهم وقيل انه يعني واذكروا اذ زين للمشركين اعمالهم اى حسنها في نفوسهم
وذلك ان ابليس حسّن لقريش مسيرهم الى بدر لقتال النبي صلى الله عليه وآله وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس اى لا يغلبكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم واني مع ذلك جار لكم اي
ناصركم ودافع عنكم السوء وقيل معناه واني عاقد لكم عقد الامان من عدوكم وهو مجير ولا مجار
عليه فلما تراءت الفئتان اي التقت الفرقتان نكص على عقبيه اى رجع القهقرى منهزماً وراءه
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اي رجعت عما ضمنت لكم من الامان والسلامة لاني ارى
من الملائكة الذين جاؤا لنصر المؤمنين ما لا ترون وكان ابليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه
اني اخاف الله اى اخاف عذاب الله على ايدي من اراهم والله شديد العقاب لا يطاق عقابه وقيل
معناه اني اخاف ان يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه فان الملائكة لا ينزلون الا لقيام
الساعة والعقاب وقال قتادة كذب عدو الله ما به من مخافة ولكنه علم ان لا قوة له ولا منعة
وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون
قوله اني ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون واخاف الله ان يهلكني فيمن يهلك واختلف في
ظهور الشياطين يوم بدر كيف كان فقيل ان قريشاً لما اجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بني
بكر بن عبد مناف بن كنانة من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فجاء ابليس في جند من الشياطين فتبدى
لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم اى مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر يا ظالمي اني فيم ظلامتي والله
من كل الحوادث جاري فلما رأى ابليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة له بهم نكص على
عقبيه فقال له الحارث يا سراقة اين اتخذلنا على هذه الحالة فقال له اني ارى ما لا ترون فقال
والله ما ترى الا جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فقالوا انك اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروي
ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان ابليس لا يجوز ان يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقة
ولكن الله تعالى جعل ابليس في صورة سراقة علماً للنبي صلى الله عليه وآله وانما فعل ذلك لانه علم انه

لو لم يدع المشركين انساناً الى قتال المسلمين فانهم لا يخرجون من ديارهم حتى يفانهم المسلمون لخوفهم من بني
كنانة فصوّره بصورة سراقة حتى تم المراد في اعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان ابليس لم يتصور في
صورة انسان وانما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البلخي والاول هو المشهور
في التفاسير ورايت في كلام الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه انه يجوز
ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على ان يجمعوا اجسامهم ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض
حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويتشبهوا بغيرهم من انواع الحيوان لان اجسادهم من الرقة على
ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهواء ويفرقه ويغير صورة الاجسام الرخوة
ضروباً من التغير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بان ابليس تراءى لاهل دار الندوة
في صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقة وان جبرئيل عليه السلام ظهر لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي قال وغير محال ايضاً ان يغير الله تعالى
صورهم ويكثفها في بعض الاحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان قوله عز وجل اذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله
عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم
وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد
آيتان القراءة قرا ابن عامر وحده اذ تتوفى بتائين والباقون يتوفى بالياء والتاء الحجة من قرا بالتاء
فلاسناد الفعل الى الملائكة ومن قرا بالياء فلان التانيث غير حقيقي الاعراب العامل في اذ يجوز ان
يكون الابتداء والتقدير اذ يقول ويجوز ان يكون التقدير اذكر اذ يقول وجواب لو محذوف
وتقديره لرايت منظراً عظيماً وامراً عجيباً وحذف الجواب هنا اوجز وابلغ فان ذلك يخص وجهاً
واحداً ومع الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الرفع
بكونه خبر ذلك والثاني النصب بان يكون متصلاً بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت
ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصباً بتقدير وبان الله وجراً على الخلاف فيه
ويحتمل ان يكون محله رفعاً بتقدير وذلك ان الله كما يقول ذاك هذا المعنى اذ يقول المنافقون
هذا يتعلق بما قبله معناه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو

وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان والذين في قلوبهم مرض وهم الشاكون في الاسلام مع
اظهار كلمة الايمان وقيل انهم فتية من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم اباؤهم فخرجوا مع قريش يوم
بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن
زمعة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة لما راوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم اي غر المسلمين
دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لاجل دينهم الى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لانفسهم حين
اغتروا بقول نبيهم فبين الله تعالى انهم المغرورون بقوله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز
حكيم معناه من يسلم لامر الله ويثق به ويرض بفعله وان قل عددهم فان الله تعالى ينصرهم على
اعدائهم وهو عزيز لا يغلب فكذلك لا يغلب من توكل عليه وهو حكيم يضع الامور مواضعها
على ما تقتضيه الحكمة ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة اي يقبضون ارواحهم عند الموت
يضربون وجوههم وادبارهم يريد استاههم ولكن الله سبحانه كنى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل
وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد يضربون اجسادهم من قدامهم ومن خلفهم
والمراد به قتلى بدر عن ابن اسحق ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم
الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وروي الحسن قال ان رجلا
قال يا رسول الله اني رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك فقال عليه السلام ذاك ضرب الملائكة وروي مجاهد
ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فندر راسه
فقال سبقك اليه الملائكة وذوقوا عذاب الحريق اي ويقول الملائكة للكفار استخفافا بهم
ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد
كلما ضربوا المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم فذلك قوله ذوقوا عذاب الحريق ذلك
اي ذلك العقاب بما قدمت ايديكم اي بما قدمتم وفعلتم وانما اضاف الى اليد على التغليب
لان اكثر الافعال تكون باليد والمراد ذلك بجنايتكم الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد
لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة
على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ويعذب عليه وانه يجوز ان يعذب من غير ذنب وان يأخذ
البريء بجرم المذنب لان هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلام للعبيد

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان
الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم
حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين

ثمان آيات اللغة الدأب العادة والطريقة يقال ما زال ذاك دابه ودينه وديدنه قال الزجاج الدأب
ادامة الفعل دأب يدأب في كذا اذا دام عليه وهو دائب بفعل كذا اي يجري فيه على عادة قال
خداش بن زهير وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازن وارفضت سليم وعامر والتغيير
تصيير الشيء على خلاف ما كان لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان الاعراب كدأب الكاف في
موضع رفع بانه خبر المبتدا كما تقول زيد خلفك فموضع خلفك رفع بانه خبر المبتدا ولفظه نصب
بالاستقرار وتقديره دابهم كدأب آل فرعون لم يك اصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون
استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لان كان ويكون ام الافعال لان
كل فعل معناه كان ان كان فعل معناه لانك اذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون ضرب فلما قويت بانها
ام الافعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ذلك مثل لم يصن المعنى ثم بين سبحانه
ان حال هؤلاء الكفار كحال من قبلهم فقال كدأب آل فرعون اي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد
صلى الله عليه وآله كعادة آل فرعون والذين من قبلهم في الكفر بالرسل وما انزل اليهم وقيل معناه
عقوبة الله تعالى كعقوبة آل فرعون وآل فرعون اتباعه والفرق بين آل فرعون واصحاب فرعون ان
الاصحاب ماخوذ من الصحبة وكثرته الموافقة في المذهب كما يقال اصحاب الشافعي وابي حنيفة يراد
الموافقة في المذهب ولا يقال آل الشافعي الا لمن يرجعون اليه بالنسب كما لا يقرب كفروا بآيات الله
كما كفر هؤلاء فأخذهم الله اي فعاقبهم الله بذنوبهم ان الله قوي اي قادر لا يقدر احد على منعه
عن احلال الكفر بما يريد شديد العقاب لمن استحقه ولا يوصف الله سبحانه بانه شديد لان الشديد
هو المتداخل على صعوبة تفككه وانما وصف العقاب بالشدة دون نفسه وشبه حال المشركين في
تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لان تعجيل العقاب لهؤلاء بالاهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب
الاستيصال ذلك اي ذلك الاخذ والعقاب لهم بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا

ما بأنفسهم معناه بان الله لم يكن يزيل نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بهم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز
لهم ان يتغيروا اليها وهو ان يبدلوا المعصية بالطاعة ويكفروا النعمة بشكرها وقد يبدل الله تعالى
النعمة على وجه المصلحة لا على وجه العقاب امتحانا لمصلحة يعلمها في ذلك ولكن لا يبدلها بغير النعمة
على وجه العقاب الا عن من استحق العقاب قال السدي النعمة التي انعمها الله تعالى عليهم محمد صلى الله
عليه وآله انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار وان الله سميع لاقوالهم عليم بضمائرهم
وبكل شيء كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كعادتهم وطريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء
كذبوا بآيات ربهم اي بحججه وبيناته فاهلكناهم بذنوبهم اي استأصلناهم واغرقنا آل فرعون وكل
كانوا ظالمين اي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين انفسهم فلم يعاقب فريقا منهم الا عن استحقاق
وانما كرر قوله كدأب آل فرعون لانه اراد بالاول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني
بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل ان في الاول تشبيه حالهم بحال اولئك في التكذيب وفي الثاني
تشبيه حالهم بحالهم في الاستيصال وقيل الاول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل
ان آل فرعون كانوا على احوال مختلفة في المعصية فبين مشاركة هؤلاء اياهم في تلك الاحوال قوله
عز وجل إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ
مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ آيتان الاعراب فهم لا يؤمنون الفاء
لعطف جملة على جملة فهو في الصلة كانه قال كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون وانما حسن عطف
جملة اسمية على جملة فعلية لما فيهما من التأدية الى معنى الحال وذلك ان مصاحبتهم الكفر واصرارهم عليه
ادى الى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لان الغرض ان من شانهم
نقض العهد مرة بعد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم المعنى ثم ذم الله سبحانه الكفار فقال
ان شر الدواب عند الله اي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله او في حكم الله الذين كفروا
واستمروا على كفرهم فهم لا يؤمنون هذا اخبار عن قوم من المشركين وقيل انهم لا يؤمنون ابدا
فخرج الخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم فقال الذين عاهدت منهم اي من جملتهم والضمير العائد
الى الذين محذوف اي الذين عاهدتهم منهم اي من المشركين وقيل ان من مزيدة وانما دخلت
لان معنى عاهدت اخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لان معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به

وقيل

وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد اراد به يهود بني قريظة فانهم كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله
على ان لا يضروا به ولا يمالوا عليه عدوا ثم مالوا عليه الاحزاب يوم الخندق واعانوا عليه بالسلاح
وعاهدوا مرة بعد اخرى فنقضوا فانتقم الله منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة اي كلما عاهدتهم نقضوا
العهد ولم يفوا به وهم لا يتقون نقض العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى قوله عز وجل فَإِمَّا
تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً
فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ آيتان اللغة الثقف الظفر والادراك بسرعة
والتشريد التفريق على اضطراب والخيانة نقض العهد فيما اؤتمن والنبذ القاء الخبر الى من لا يعلمه
والسواء العدل قال الراجز فاضرب وجوه الغدر الاعداء حتى يجيبوك الى السواء اي الى العدل منه وقيل
للوسط سواء لاعتداله الى الجهات قال حسان يا ويح انصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد
اي في وسطه وقيل يعني بقوله على سواء على استواء في العلم به الاعراب اما تثقفن واما تخافن
دخلت نون التوكيد لما دخلت ما ولو لم تدخل ما لما حسن دخول النون لان دخول ما كدخول القسم في
انه علامة توطئة فهي من مواضع تاكيد المطلوب من التصديق لان النون تدخل لتاكيد المطلوب فيما
على المطلوب وهي في ست مواضع الامر والنهي والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما المعنى
ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهود فقال لنبيه صلى الله عليه وآله فاما تثقفنهم في الحرب
معناه فاما تصادفنهم في الحرب اي ان ظفرت بهم وادركتهم فشرد بهم من خلفهم اي فنكل بهم تنكيلا
واثر فيهم تأثيرا تشرد بهم من بعدهم وتطرد بهم وتمنعهم من نقض العهد بان ينظروا فيهم فيعتبروا
فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافة ان تعاملهم بمثل ما عاملتهم وان تحل بهم ما حل
بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي وقال الزجاج معناه
افعل بهم فعلا من القتل تفرق به من خلفهم وقيل ان معنى شرد بهم سمع بهم بلغة قريش قال الشاعر اطوف
في الاباطح كل يوم مخافة ان يشرد بي حكيم لعلهم يذكرون اي لكي يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك
واما تخافن من قوم خيانة معناه وان خفت يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيهم لان الخيانة
انما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد فانبذ اليهم على سواء اي القوا اليهم ما
بينك وبينهم من العهد واعلمهم انك قد نقضت ما شرطت لهم ليكون انت وهم في العلم بالنقض على

سوآء ولا تبدأهم بالقتال من قبل ان تعلمهم بنقض العهد حتى لا ينسبوك الى الغدر بهم فهذا معنى قوله على
سوآء وقيل معنى قوله على سوآء على عدل كان بينك وبينهم عهد بعثت بالقا علمهم بانك قد نقضت
عهدهم وان كان العهد على ما لو فرد المال عليهم ثم انقض العهد ان الله لا يحب الخائنين اي ينقضهم
معناه فلا تخنهم بان تبدأهم بالقتال من غير اعلامهم بنقض العهد قال الواقدي هذه الآية نزلت
في بني قينقاع وبهذه الآية سار النبي صلى الله عليه وآله قوله عز وجل ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم
وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم
فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ثلث آيات القراءة قرأ ابن عامر وابو جعفر
وحمزة وحفص لا يحسبن بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح والباقون
انهم لا يعجزون بالكسر وقرأ رويس يرهّبون بالتشديد والباقون يرهبون وقرأ ابو بكر للسِلم
بكسر السين والباقون بفتح السين الحجة من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الاول وسبقوا
جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني ومن قرأ يحسبن بالياء فلا يخلو من ان يكون جعل الذين
كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لان يحسبن لا بد له من مفعولين ولكنه مفعول على احد ثلثة اشياء
اما ان يكون فاعله النبي صلى الله عليه وآله وتقديره ولا يحسبن النبي الذين كفروا سبقوا واما
ان يكون تقديره على حذف ان كانه قال لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فحذف ان كما حذفها
في تأويل سيبويه في قوله افغير الله تأمروني اعبد كانه قال افغير عبادة الله تأمروني قال الزجاج
ويقوي هذا الوجه انها في حرف ابن مسعود انهم سبقوا وان كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت
ان اقوم وحسبت اقوم على حذف ان واذا وجهه على هذا فقد سد ان سبقوا مسد المفعولين
كما ان قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا كذلك واما ان يكون اضمر المفعول الاول
وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا والهم سبقوا ومن قرأ انهم لا يعجزون بكسر
الالف يكون على الاستئناف كما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع من الجملة التي قبلها التي هي ام حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا ومن قرأ انهم لا يعجزون جعله متعلقا بالجملة الاولى وتقديره لا يحسبنهم سبقوا

لانهم

لانهم لا يفوتون ومن قرأ ترهّبون فلان رهب يرهب يتعدى تارة بالهمزة وتارة بالتشديد فيقال رهّبته
وارهبته واما السَلم والسِلم فلغتان ومعناهما الصلح اللغة السبق تقدم الشيء على طالب اللحوق به
والاعجاز ايجاد ما يعجز عنه والعجز معنى عند ابي علي وابي القاسم البلخي وليس بمعنى عند ابي هاشم وانما
هو عدم القدرة وذهب اليه المرتضى والاعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج اليه في امره والاستطاعة
معنى تطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاء المنع والرباط شد اللبس من العقد يقال ربطه يربطه
ربطا ورباطا وارابطه مرابطة ورباطا والارهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل
ومنه جناح الطاير لانه يميل به في احدى شقيه فلا جناح عليه اي لا ميل الى مأثم الاعراب لا يعجزون
بفتح النون هو القرآء ويجوز كسرها على معنى لا يعجزونني وحذف النون الاولى لاجتماع النونين كما قال
الشاعر تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فلينى واخرين من دونهم منصوب
على تقدير ويرهبون آخرين ويجوز ان يكون على تقدير واعدوا لهم ولآخرين فيكون مجرورا عطفا
على الهاء والميم المعنى لما تقدم الامر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر والامر باعداد ما لهم
فقال ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا معناه ولا يحسبن يا محمد اعداؤك الكافرين قد سبقوا
امر الله واعجزوه وانهم قد فاتوك فان الله سبحانه يظفرك بهم كما وعدك وتظهرك عليهم و
السبق والفوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من افلت هذا الحرب انه قد سبق الى الحياة
عن الزجاج والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به غيره وقيل انه سبحانه انما قال له تطيبا
لنفسه في الهاربين كما طيب قلبه في المقتولين والمأسورين وعلى القرآءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون
انفسهم سابقين او لا تحسبن الكافرين انهم سابقون انهم لا يعجزون اي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى
لا يبعثهم يوم القيمة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائي واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
هذا امر منه سبحانه بان يعدوا لهم السلاح قبل لقاء العدو ومعناه واعدوا للمشركين ما قدرتم
عليه مما يتقوى به على القتال من الرجال وآلات الحرب وروى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله
عليه وآله ان القوة الرمي وعلى هذا فيكون معناه من القوة وقيل ان القوة اتفاق الكلمة و
الثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة ومن رباط الخيل اي ومن ربطهم
الخيل وافتنائها للغزوة وهي من قواعد الجهاد وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارتبطوا

الخيل فان ظهورها لكم عز واجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط الاناث منها عن الحسن وعكرمة ترهبون به اي تخيفون باعداد ذلك عدو الله وعدوكم يعني مشركي مكة وكفار العرب وآخرين من دونهم اي وترهبون كفارا آخرين دون هؤلاء واختلفوا في الآخرين وقيل انهم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم اهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون انهم اعداؤهم وهم اعداء لهم عن الحسن بن زيد لا تعلمونهم معناه لا تعرفونهم لانهم يصلون ويصومون ويقولون لا اله الا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين الله يعلمهم اي يعرفهم لانه المطلع على الاسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لان الاعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة ولم يبق الا من يباعده وما تنفقوا من شيء في سبيل الله اي في الجهاد وفي طاعة الله يوف اليكم اي يوفوه عليكم ثوابه في الآخرة وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيئا منه وان جنحوا للسلم اي مالوا الى الصلح وترك الحرب فاجنح لها اي مل اليها واقبلها منهم وانما انث لان السلم بمعنى المسالمة وتوكل على الله اي فوض امرك الى الله انه هو السميع العليم لا يخفى عليه خافية وقيل ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست بمنسوخة لانها في الموادعة لاهل الكتاب والاخرى لعباد الاوثان وهذا هو الصحيح لان قوله اقتلوا المشركين والآية الاخرى نزلت في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله صلى الله عليه وآله اهل نجران بعدها قوله عز وجل وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آية بصري و آيتان في الباقين اللغة الخدع والخديعة اظهار المحبوب في الامر مع ابطان المكروه والتأييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والايد القوة والتأليف الجمع على تشاكل واختلف في التأليف فاسمه بعضهم معنى وجعله بعضهم والصحيح انه معنى كل محلين ولا يحل من محلين الا هو كما المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه عليه السلام فقال وان يريدوا ان يخدعوك معناه وان يرد الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك في الصلح بان يقصدوك بالتماس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى يقووا ويتأهبوا للقتال من غير استعداد منكم فان حسبك الله اي فان الذي يتولى كفايتك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين

اي هو الذي قواك بالنصر من عنده وايدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على اعدائك والف بين قلوبهم واراد بالمؤمنين الانصار وهم الاوس والخزرج عن ابي جعفر عليه السلام والسدي واكثر المفسرين واراد بتأليف القلوب ما كان بين الاوس والخزرج من العداوة والقتال فانه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فالف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادين متحابين ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم وقيل اراد كل متحابين في الله عن مجاهد لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي لم يمكنك جمع قلوبهم على الالفة وازالة ضغائن الجاهلية ولكن الله الف بينهم بان لطف بهم بحسن تدبيره وبالاسلام الذي هداهم اليه انه عزيز حكيم لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى قوم انفتهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته فالف الايمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل اباه واخاه وابنه فاعلم الله سبحانه ان هذا هو مما تولاه منهم لا هو قوله عز وجل يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ثلث آيات القراءة ان يكن منكم مائة بالياء فيهما كوفي الاول بالتاء بصري ضعفا بالفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر ضعفاء على وزن فعلاء الحجة من قرأ بالياء فلانه يراد به المذكر ويدل على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرأ ابو عمرو وان يكن منكم مائة صابرة بالتاء كما انث صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك انث الفعل ومن قرأ الجميع بالياء حمله على اللفظ واللفظ مؤنث والضعف والضعف لغتان كالفقر والفقر اللغة الاتباع موافقة الداعي فيما يدعو اليه من اجل دعائه والتحريض والحرص والحث بمعنى وهو الندب الى الفعل كالدعاء على المبادرة اليه وضده التقصير والصبر حبس النفس عما ينازع اليه مما ينبغي ان يكون عليه وضده الجزع قال فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة نقيض الثقل والضعف والسهولة بمعنى



والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لانه ذهاب ضعف القوة الاعراب موضع من اتبعك رفع
على معنى حسبك الله واتباعك من المؤمنين ويحتمل ان يكون نصبا بمعنى ويكفي من اتبعك [illegible]
لان الكاف في حسبك في موضع جر بالاضافة لانه مفعول به في المعنى فعطف على المعنى ومثله قوله
سبحانه انا منجوك واهلك وقال الشاعر اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك
سيف مهند الآن مبني مع الالف واللام لانه خرج عن التمكن لشبه الحرف قال الزجاج عشرون
لا يجوز الا كسر العين وزعم اهل اللغة انه كسر اوله كما كسر اول اثنين لان عشرون من عشرة مثل اثنين
من واحد ويدل عليه فتح ثلثين كفتح ثلاثة وكسرهم تسعين ككسر تسعة المعنى ثم امر سبحانه بقتال الكفار
وحث عليه بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي كافيك الله ويكفيك متبعوك
من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسبك من المؤمنين اي يكفيك ويكفيهم قال
الكلبي نزلت هذه الاية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال يا ايها النبي حرض المؤمنين اي حث
المؤمنين على القتال ورغبهم فيه بسائر اسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود
على القتال وبيان ما وعدهم من النصر والظفر واغتنام الاموال ان يكن منكم عشرون صابرون
على القتال يغلبوا مائتين من العدو وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا لفظ
الخبر والمراد به الامر ويدل على ذلك قوله فيما بعد الآن خفف الله عنكم لان التخفيف لا يكون
الا بعد التكليف بانهم قوم لا يفقهون معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار والخذلان
للكفار بانكم تفقهون امر الله تعالى وتصدقونه فيما وعد من الثواب ولما علم الله تعالى ان ذلك
يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال الآن خفف الله عنكم الحكم في الجهاد من وجوب قتال
العشرة على الواحد وثبات الواحد للعشرة وعلم ان فيكم ضعفا اراد به ضعف البصيرة والعزيمة
ولم يرد ضعف البدن فان الذين اسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم اقوياء البدن بل كان فيهم القوي
والضعيف ولكن كانوا اقوياء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمون واختلط بهم من كان ضعيف
اليقين والبصيرة نزل الآن خفف الله عنكم فان يكن منكم مائة صابرة على القتال يغلبوا مائتين من
العدو وان يكن منكم الف يغلبوا الفين منهم باذن الله اي بعلم الله وقيل بامره فامر الله تعالى الواحد
للاثنين وضمن له النصرة له عليهما وانما لم يفصل ولم يميز من كان قوي البصيرة بان يثبت للعشرة ومن كان

ضعيف

ضعيف البصيرة بان يثبت للاثنين لانهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز منهم ونص
على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ايحاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم وهي ناسخة للاولى
والمعتبر في الناسخ والمنسوخ في النزول دون التلاوة وقال الحسن ان التغليظ كان على اهل بدر
ثم جاءت الرخصة قوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله
ان الله غفور رحيم ثلث آيات القراءة قرأ ابو جعفر ان يكون له بالتاء اسارى وقرأ اهل البصرة
ان تكون له بالتاء والباقون ان يكون له بالياء اسرى الحجة من قرأ تكون فلان الجمع مؤنث ومن
قرأ بالياء فلانهم مذكرون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال ابو علي والاسرى
اقيس من الاسارى لان اسيرا فعيل بمعنى مفعول وذلك يجمع على فعلى نحو جريح وجرحى وقتيل
وقتلى واستمر هذا الجمع في هذا الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن لموافقته مثل مرضى
وهلكى وموتى وذلك ان هذه امور ابتلوا بها وادخلوا فيها وهم لها كارهون فصار لذلك
منها بمنزلة [illegible] في قول الخليل وانما قالوا اسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه باسرى
وقال الازهري جمع الاسارى فهو جمع الجمع اللغة الاسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة
الآخذ له فلان مأسور اي مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد والاثخان في الارض تغليظ
الحال بكثرة القتل والثخن والغلظ والكثافة نظائر وقد اثخنه اذا اشتدت قوته عليه واثخنوا
بالجراح والعرض متاع الدنيا سماه عرضا لقلة لبثه والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم
والمباح من التوسعة في الفعل وانما اجتمعا في الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمي طيبا
واللذة نيل المشتهى الاعراب الفاء في فكلوا ادخلت لمعنى المعنى قد احللت لكم الغنائم فكلوا حلالا
طيبا منصوب على الحال المعنى ما كان لنبي اي ليس له ولا في عهد الله اليه ان يكون له اسرى من
المشركين ليفديهم او يمن عليهم حتى يثخن في الارض اي يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع
بهم من وراءهم وقال ابو مسلم الاثخان الغلبة على البلدان والتذليل لاهلها يعني حتى يتمكن
في الارض تريدون عرض الدنيا وهذا خطاب لمن دون النبي صلى الله عليه وآله [illegible] من المؤمنين

الذين رغبوا في اخذ الفداء من الاسرى في اول وقعة ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس
يريد يوم بدر يقول اخذتم الفداء من الاسرى في اول وقعة كانت لكم من قبل ان تثخنوا في الارض
وعرض الدنيا مال الدنيا لانه بعرض الزوال والله يريد الآخرة اي يريد وعاجل الحظ من عرض
الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة والله عزيز لا يغلب انصاره فاعلموا ما يريده منكم لينصركم
حكيم يجري افعاله على وجه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان بالارادة
على ما قاله المجبرة لم يصح هذا التفصيل لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
قيل في معناه اقوال احدها لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون
وانه لم يبين لكم ان لا تاخذوا الفداء لعذبكم باخذ الفداء عن جريج وثانيها لولا ان الله احل لكم
باباحة الغنائم والفداء في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الاباحة
عذاب عظيم فان الغنائم لم تحل لاحد قبلكم عن ابن عباس وثالثها لولا كتاب من الله
سبق وهو القرآن فآمنتم به واستوجبتم بالايمان به الغفران لمسكم العذاب عن الجبائي و
المراد به الصغاير ورابعها ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم و
معناه لولا ما كتب في القرآن او في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين اظهركم لعذبكم
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا هذا اباحة منه سبحانه للمؤمنين ان يأكلوا مما غنموه من اموال
المشركين واتقوا الله باتقاء معاصيه ان الله غفور رحيم القصة كان القتلى من المشركين يوم
بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب سبعة وعشرين وكان الاسرى ايضا سبعين ولم يوسر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فجمعوا الاسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على
اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة رجال منهم سعد بن خيثمة و
كان من النقباء من الاوس وعن محمد بن اسحق قال استشهد من المسلمين يوم بدر احد عشر رجلا
اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقيل ثمانية وقتل من المشركين بضعة واربعون رجلا
وعن ابن عباس لما امسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر والناس محبوسون
بالوثاق بات ساهرا اول الليل فقال له اصحابه ما لك لا تنام فقال سمعت انين عمي العباس
في وثاقه فاطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عبيدة السلماني عن رسول الله

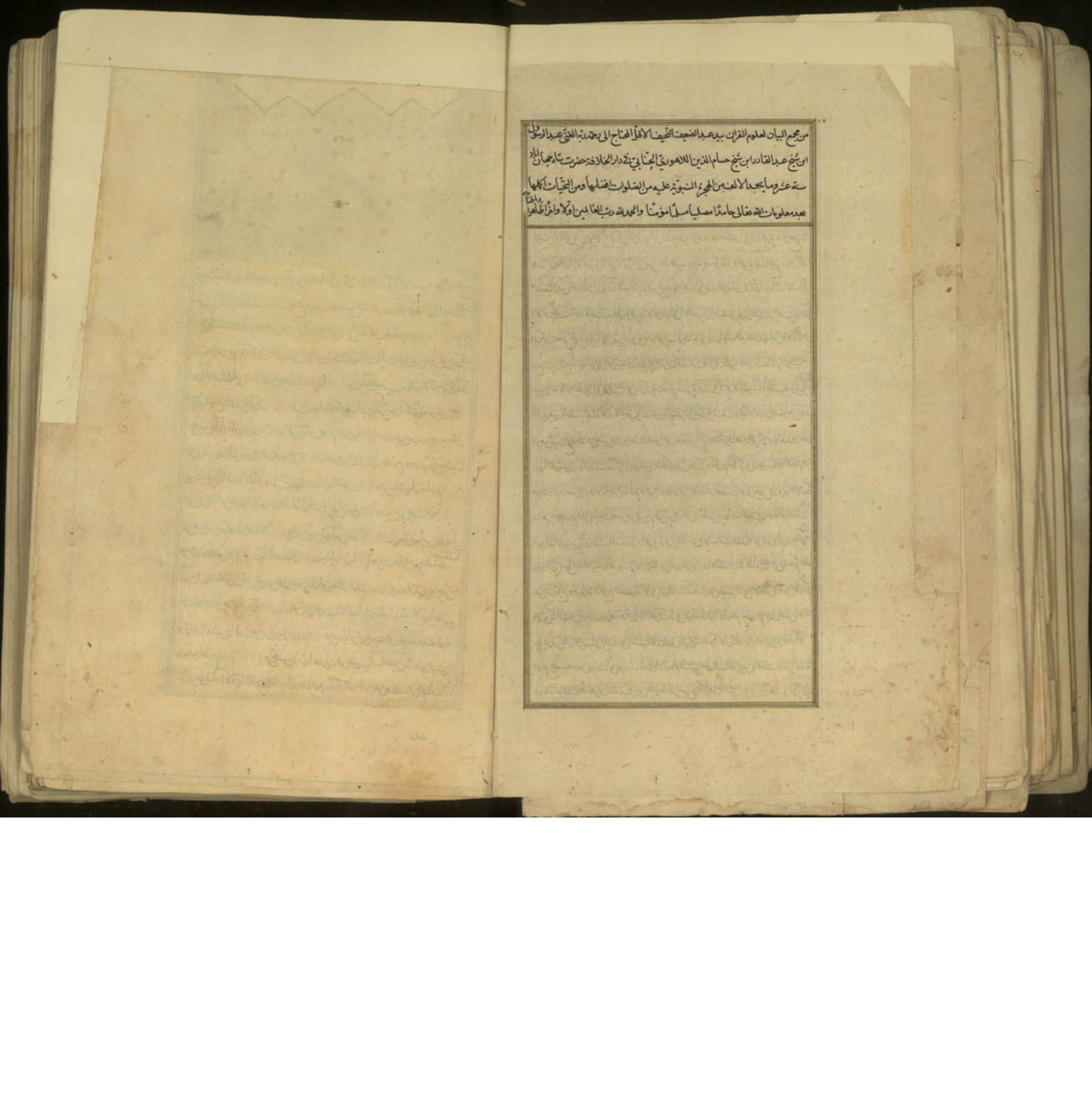
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر في الاسارى ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم
واستشهد منكم بعدتهم فكانت الاسارى سبعين فقالوا بل ناخذ الفداء ونتمتع به ونتقوى به على عدونا
ويستشهد منا بعدتهم قال عبيدة طلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم احد سبعون وفي كتاب
علي بن ابراهيم لما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
خافت الانصار ان يقتل الاسارى قالوا يا رسول الله قتلنا منهم سبعين منهم وهم قومك و
اسرتك اتجد اصلهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجدوه من الغنايم في
عسكر قريش فلما طلبوا اليه وسالوه نزلت الآية ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيات
فاطلق لهم الآيات وكان اكثر الفداء اربعة الاف درهم واقله الف درهم فبعثت قريش بالفداء
اولا فاولا وبعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من فداء زوجها ابا العاص بن
الربيع وبعثت قلايد كانت خديجة جهزتها بها فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
ابو العاص بن اخت خديجة فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك القلايد قال رحم الله
خديجة هذه قلايد هي جهزتها بها فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ان يبعث
اليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهده على ذلك ووفى له وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كره اخذ الفداء حتى راى سعد كراهة ذلك في وجهه فقال يا رسول الله كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم ومكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فان هؤلاء
ائمة الكفر وقال ابو بكر اهلك وقومك استان بهم واستبقهم وخذ منهم فدية تكون قوة على
الكفار وقال بن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا
منه غير عمر وسعد بن معاذ وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين
باربعين اوقية والاوقية اربعون مثقالا الا العباس فان فداءه كان مائة اوقية وكان اخذ
منه حين اسر عشرون اوقية ذهبا فقال النبي ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك نوفلا
وعقيلا فقال ليس معي شيء فقال اين الذهب الذي سلمته الى ام الفضل وقلت لها ان حدث بي
حدث فهو لك وللفضل وعبد الله فقال من اخبرك بهذا قال الله تعالى فقال اشهد انك رسول
الله ما اطلع على هذا احد الا الله قوله عز وجل قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله

في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا
خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم آيتان القراءة قرا ابو جعفر
وابو عمرو من الاسارى والباقون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل
المعنى خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه عليه السلم فقال يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى
انما ذكر الايدي لانهم بمنزلة من يكون في ايديهم لاستيلائهم عليهم من الاسرى يعني اسرى بدر
الذين اخذ منهم الفداء ان يعلم الله في قلوبكم خيراً اسلاماً واخلاصاً او رغبة في الايمان وصحة
نية يؤتكم خيراً اي يعطكم خيراً مما اخذ منكم من الفداء اما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وروي عن العباس بن عبد المطلب انه قال نزلت هذه الآية
فيّ وفي اصحابي كان معي عشرون اوقية ذهباً فاخذت مني فاعطاني الله مكانها عشرين عبداً
كل منهم يضرب بالكثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني
زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان النبي
صلى الله عليه وآله لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفاً وقد توضأ لصلوة الظهر فما صلى
يومئذ حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه ويحثي واخذ وكان العباس يقول هذا خير مما اخذ
مني وارجو المغفرة وان يريدوا خيانتك معناه وان يريد الذين اطلقتهم من الاسارى
خيانتك بان يعودوا حرباً لك او ينصروا عدواً عليك فقد خانوا الله من قبل بان خرجوا الى
بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بان اشركوا بالله واضافوا اليه ما لا يليق به فامكن منهم اي
فامكنك منهم يوم بدر بان غلبوا واسروا وسيمكنك منهم ثانياً ان خانوك والله عليم حكيم
معناه عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وبجميع الاشيآء حكيم بما يفعل قوله عز وجل ان الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا
اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء
حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم و
بينهم ميثاق والله بما تعملون بصير آية القراءة قرا حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الاعمش
ويحيى بن وثاب والباقون ولايتهم بفتح الواو الحجة قال الزجاج فلان الولاية من النصرة والنسب بفتح الواو

والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو ولاء في قول بعض النحويين لغة
جعلها من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة فمكسور نحو الخياطة والصناعة قال ابو عبيدة
وابن الحسن من ولايتهم مصدر المولى واما في السلطان فالولاية بكسر الواو قالوا الاثرة وهي في
الاخرى لغة اللغة الهجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد واصله من الهجر ضد الوصل والجهاد
تحمل المشاق في قتال اعداء الدين من جهده الامر جهداً والايواء ضم الانسان غيره اليه بانزاله
عنده وتقريبه له يقال آواه يؤويه اي آوى يأوي واويت معناه رجعت الى المأوى والولاية
عقد النصرة للموافقة في الديانة النزول قيل نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة
وجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام كان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث
من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض فنسخت هذا وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث اهل ملتين عن ابن عباس
والحسن وقتادة ومجاهد والسدي المعنى ثم ختم الله سبحانه السورة بايجاب موالاة المؤمنين
وقطع موالاة الكافرين وقال ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما يجب الايمان به وهاجروا
من مكة الى المدينة وجاهدوا وقاتلوا العدو باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي في طاعة الله
واعزاز دينه والذين آووا النبي والمهاجرين بالمدينة اي جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم
يعني الانصار اي نصروهم بعد الايواء على اعدائهم وبذلوا المهج في نصرتهم اولئك بعضهم
اولياء بعض اي هؤلاء بعض اولى ببعض في النصرة وان لم يكن بينهم قرابة من اقربائهم من الكفار
وقيل من التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل بالتآمر و
التعاون والموالاة في الدين عن الاصم وقيل في نفوذ بعضهم على بعض فان واحداً من المسلمين
لو امن انساناً نفذ امانه عن سائر المسلمين والذين آمنوا ولم يهاجروا الى المدينة ما لكم من ولايتهم
من شيء حتى يهاجروا اي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث
فان الميراث كان منقطعاً في ذلك الوقت بين المهاجرين وروي عن ابي جعفر عليه السلام انهم كانوا
يتوارثون بالمواخاة الاولى وقيل معناه ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي ليس عليكم نصرتهم
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين الا على قوم

بينكم وبينهم ميثاق معناه الا ان يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم امان وعهد
يجب الوفاء فلا تنصروهم عليهم لما فيه نقض العهد والله بما تعملون بصير اي باعمالهم عليم
لا يخفى عليه شيء منها قوله عز وجل والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه
تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين
آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ثلث آيات اللغة الفتنة اصلها الامتحان
ثم استعملت في اشياء منها الكفر والشرك وذلك في نحو قوله تعالى جعل فتنة الناس كعذاب الله وقوله
ذوقوا فتنتكم يعني عذابكم بالحريق بالنار ومنها العذاب في نحو قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم اي
معذرتهم ومنها القتل في قوله ان خفتم ان يفتنكم وقوله على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم
ومنها الهرج والابتلاء على اثر البلاء في نحو قوله وهم يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم
هذا التفصيل ماخوذ من قول الصادق عليه السلام والكريم فاعل الكرم والجود العظيم والشرف
قال تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا والرزق الكريم العظيم الواسع
الاعراب قوله فعليكم النصر يجوز في العربية فعليكم النصر على قولك عليك زيدا ولم يقرا بها
المعنى ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اي بعضهم
انصار بعض عن ابن اسحق وقتادة وقيل معناه اولى ببعض في الميراث عن ابن عباس وابي مالك
الا تفعلوه وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به في الآية الاولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد
به وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به من التناصر والتعاون والتبرء من الكفار تكن فتنة في الارض
وفساد كبير على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل الى الضلال
وبالفساد الكبير ضعف الايمان وقيل ان الفتنة هو الكفر لان المسلمين اذا والوهم تجرؤوا على
المسلمين ودعوهم الى الكفر وهذا يوجب التبرء منهم والفساد الكبير وسفك الدماء عن الحسن و
قيل معناه وان لم تفعلوا التوارث بالهجرة تعدوها اوى الى فتنة في الارض باختلاف الكلمة و
فساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة عن ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه الى ذكر المهاجرين والانصار

مدحهم والثناء عليهم فقال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اي صدقوا الله ورسوله وهاجروا
من ديارهم واوطانهم يعني من مكة الى المدينة وجاهدوا مع ذلك دين الله والذين آووا ونصروا
اي ضموهم اليهم ونصروا النبي صلى الله عليه وآله اولئك هم المؤمنون حقا لهم اي اولئك الذين
حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق ايمانهم
بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في ان الهجرة هل انقطعت في
هذا الزمان ام لا فقيل انقطع لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا هجرة بعد الفتح ولان الهجرة
الانتقال من دار الكفر الى دار الاسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام
الا ان يكون نادرا لا يعتد به وقيل الهجرة الاعراب الى الامصار باقية الى يوم القيمة عن الحسن والاقوى
ان يكون حكم الهجرة باقيا لان من اسلم في دار الحرب ثم هاجر الى دار الاسلام كان مهاجرا وكان الحسن
يمنع ان ينتجع المهاجر الى اعرابيه وروي عن عمر بن الخطاب قال لا تنكحوا اهل مكة فانهم اعراب وانما
سبيل الله لانه الطريق الى ثواب الله في دار كرامته لهم مغفرة ورزق كريم لا يشوبه ما ينقصه وقيل الرزق
الكريم ههنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحا والذين آمنوا من بعد
اي من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه آمنوا من بعد ايمانكم وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم
ايها المؤمنون فاولئك منكم اي مؤمنون مثلكم ومن جملتكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم و
موارثتهم ونصرتهم وان تاخر ايمانهم وهجرتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وذووا الارحام
والقرابة بعضهم احق بميراث بعض من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة المفسرين وقالوا صار ذلك
نسخا لما فيه من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمواخاة
فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان آخى بين المهاجرين والانصار في كتاب الله اي في حكم الله
عن الزجاج وقيل في اللوح المحفوظ كما في قوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبراها وقيل في القرآن و في قوله اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض دلالة
على ان من كان اقرب الى الميت في النسب كان اولى بالميراث سواء كان ذا سهم او غير ذي سهم او عصبة
او غير عصبة ومن وافقنا في توريث ذوي الارحام تستثني اصحاب الفرائض والعصبة من الامة
وذلك خلاف الظاهر ان الله بكل شيء عليم ظاهر المعنى واكثر هذه السورة في غزوة بدر تم الجزء الرابع



من مجمع البيان لعلوم القرآن بيد عبد الضعيف النحيف الاقل المحتاج الى رحمة ربه الغني عبد الرسول

ابن شيخ عبد القادر ابن شيخ حسام الدين اللاهوري الجنابي في دار الخلافة حضرت شاه جهان آباد

سنة عشر ومائة بعد الالف من الهجرة النبوية عليه من الصلوات افضلها ومن التحيات اكملها

بعد معلومات الله تعالى حامدًا مصليًا مسلمًا مؤمنًا والحمد لله رب العالمين اولًا واخرًا ظاهرًا وباطنًا



سورة التوبة

هي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتحت مكة سنة ثمان وحج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة عدد آيها مائة وتسع وعشرون آية كوفي وثلاثون في الباقين اختلافها ثلاث آيات بريء من المشركين بصري عذابا اليما شامي وعاد وثمود حجازي اسماؤها سورة براءة سميت بذلك لانها مفتتحة باظهار البراءة من الكفار التوبة سميت بذلك لكثرة ما فيها من ذكر التوبة كقوله ويتوب الله على من يشاء فان يتوبوا يك خيرا لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا الفاضحة عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الفاضحة ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى خشينا ان لا يبقى منا احد الا ذكر وسميت بذلك لانها فضحت المنافقين باظهار نفاقهم المبعثرة عن ابن عباس ايضا سماها بذلك لانها تبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها المقشقشة عن ابن عمر سماها بذلك لانها تبرئ من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لانهما تبرئان من الشرك والنفاق يقال تقشقش اذا برئ وتقشقش المريض من علته اذا افاق منها وبرئ البحوث عن ابي ايوب الانصاري سماها بذلك لانها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم المدمدمة عن سفيان بن عيينة اي المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم الحافرة عن الحسن لانها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه المثيرة عن قتادة لانها اثارت مخازيهم ومقابحهم سورة العذاب عن حذيفة ابن اليمان لانها

نزلت

نزلت بعذاب الكفار وروى عن عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة قال يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب فهذه عشرة اسماء فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له الخبر بتمامه وقد مضى ذكره مع ما في معناه في اول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله انه قال الانفال وبراءة واحدة وروي ذلك عن سعيد ابن المسيب وروى الثعلبي باسناده عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة البراءة وقل هو الله احد فانهما نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة كل يقول يا محمد استوص بنسبة الله خيرا وانما ترك البسملة في اولها قراءة وكتابة للعلماء والمفسرين فيه اقوال احدها انها ضمت الى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة اذ الاولى في ذكر العهود والثانية في رفع العهود عن ابي بن كعب وثانيها انها لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لان بسم الله الرحمن الرحيم للامان والرحمة ونزلت براءة لرفع الامان بالسيف عن علي عليه السلام وسفيان بن عيينة واختاره ابو العباس المبرد وثالثها ما روي عن ابن عباس انه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على ان عمدتم الى براءة وهي من المئين والى الانفال وهي من المثاني فجعلتموهما في السبع الطول ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان النبي صلى الله عليه وآله تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اول ما نزل من القرآن بالمدينة وكانت براءة من آخرها نزولا من القرآن وكان قصتها شبيهة بقصتها فظننا انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبين انها منها فوضعناهما في السبع الطول ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكانتا تدعيان القرينتين تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بايجاب البراءة من الكفار افتتح هذه السورة بانه تعالى ورسوله بريئان منهم كما امر المسلمين بالبراءة منهم فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين آيتان اللغة معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برئ من براءة وتبرأ تبرؤا وابرأه ابراء والسيح السير على مهل

الربع

قال ساح يسيح سيحا وسياحة وسيوحا وسيحانا والاعجاز ايجاد العجز والعجز عند القدرة عدم من
معنى والآخر الاذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح **الاعراب** براءة يرتفع
بانه خبر مبتدا محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل ان يكون مبتدا وخبره في الظرف
وهو قوله الى الذين وجاز ان يكون المبتدا نكرة لانها موصوفة والاول اجود لانه يدل على حضور
المدرك كما يقول المبارك حاضر احسن والله اي هذا احسن **المعنى** براءة من الله اي هذه براءة من الله
ورسوله اي انقطاع للعصمة ورفع للامان وخروج من العهود الى الذين عاهدتم من المشركين
الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وللمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان بينكم وبينهم عهد من
المشركين فان الله ورسوله بريان منهم قال الزجاج معناه قد برئ الله ورسوله من اعطائهم
العهود والوفاء لهم بها اذا نكثوا واذا قيل كيف يجوز ان ينقض النبي صلى الله عليه وآله
ذلك العهد فالقول فيه انه يجوز ان ينقض ذلك على ثلاثة اوجه اما ان يكون العهد مشروطا
بان يبقى الى ان يرفعه الله تعالى بوحي واما ان يكون قد ظهر من المشركين خيانة ونقض فامر
الله سبحانه بان ينبذ اليهم عهدهم واما ان يكون مؤجلا الى مدة فينقضي المدة وينقض العهد
وقد وردت الرواية بان النبي صلى الله عليه وآله شرطه عليهم ما ذكرناه وروي ايضا ان
المشركين كانوا قد نقضوا العهد وهموا بذلك فامره الله سبحانه ان ينقض عهدهم ثم
خاطب الله سبحانه المشركين فقال فسيحوا في الارض اي فسيروا في الارض على وجه المهل
وتصرفوا في حوائجكم آمنين من السيف اربعة اشهر فاذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت
العصمة من دمائكم واموالكم واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين من الله كما يفوت ما يعجز
عنه لانكم حيث كنتم في سلطان الله وملكه وان الله مخزي الكافرين اي مذلهم ومهينهم
واختلف في هذه الاشهر الاربعة فقيل كان ابتداؤها يوم النحر الى العاشر من شهر ربيع
الآخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل انما اجلهم
الاشهر الاربعة من اول شوال الى آخر المحرم لان هذه الآية نزلت في شوال عن ابن عباس
والزهري قال الفراء كانت المدة الى آخر المحرم لانه كان منهم من كانت مدته خمسين ليلة وهو
من لم يكن له عهد من النبي صلى الله عليه وآله فجعل الله ذلك له وقيل ان من كان له عهد اكثر

من اربعة

من اربعة اشهر حط الى اربعة اشهر ومن كان له عهد اقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحق وقيل
كان ابتداء الاشهر الاربعة لعشرين من ذي القعدة الى عشرين من شهر ربيع الاول لان الحج
في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة
الوداع وكان سبب ذلك النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما يأتي بيانه ان شاء الله
عن الجبائي **القصة** اجمع المفسرون ونقلة الاخبار انه لما نزلت براءة دفعها رسول الله
صلى الله عليه وآله الى ابي بكر ثم اخذها منه ودفعها الى علي عليه السلام واختلفوا في تفصيل
ذلك فقيل انه بعثه وامره ان يقرأ عشر آيات من اول هذه السورة وان ينبذ الى كل ذي عهد
عهده ثم بعث عليا خلفه ليأخذها ويقرأها على الناس فخرج على ناقة رسول الله العضباء
حتى ادرك ابا بكر بذي الحليفة فاخذها منه وقيل ان ابا بكر رجع فقال هل نزل فيّ شيء
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا الا خيرا ولكن لا يؤدي عني الا انا او رجل مني وقيل
انه قرأ علي براءة على الناس وكان ابو بكر اميرا على الموسم عن الحسن وقتادة وقيل انه صلى الله
عليه وآله اخذها من ابي بكر قبل الخروج ودفعها الى علي وقال لا يبلغ عني الا انا او رجل
مني عن عروة بن الزبير وابي سعيد الخدري وابي هريرة وروى اصحابنا ان النبي صلى الله
عليه وآله ولاه ايضا الموسم وانه حين اخذ براءة من ابي بكر رجع ابو بكر وروى الحاكم ابو
القاسم الحسكاني باسناده عن سماك بن حرب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وآله بعث ببراءة مع ابي بكر الى اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه فرده وقال لا يذهب
بها الا رجل من اهل بيتي فبعث عليا وروى الشعبي عن محرز بن ابي هريرة عن ابي هريرة قال
كنت انادي مع علي حين اذن المشركين فكان اذا صحل صوته فيما ينادي دعوت مكانه
قال فقلت يا ابة اي شيء كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن
بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله
مدة فان اجله الى اربعة اشهر فاذا انقضت اربعة اشهر فان الله بريء من المشركين ورسوله
وروى عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال خطب علي الناس واخترط
سيفه فقال لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك ومن كانت له مدة فهو الى مدته

ومن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر وكانت عشرون من ذي الحجة ومحرم
وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وقال هو يوم النحر يوم الحج الاكبر وذكر
ابو عبد الله الحافظ باسناده عن زيد بن نفيع قال سألنا عليا عليه السلام بأي شي بعثت في
ذي الحجة قال بعثت باربع لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع
مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى
مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر وروى انه عليه السلام قام عند جمرة العقبة وقال
يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم بان لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده الى اربعة اشهر
ومن لا عهد له فله مدة بقية الاشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة وقيل قرأ عليهم ثلث
عشرة آية من اول براءة وروى انه عليه السلام لما نادى فيهم ان الله بريء من كل مشرك قال المشركون
نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج رسول
الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع وقفل الى المدينة ومكث بقية ذي الحجة ومحرم وصفر
وليالي من شهر ربيع الاول حتى لحق بالله عز وجل وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ
يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ايتان القراءة قرأ يعقوب برواية روح و
زيد ورسوله بالنصب وهو قراءة الحسن وابن ابي اسحق وعلي بن عمر وقرأ سائر القراء ورسوله
بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة وعطاء لم ينقضوكم بالضاد معجمة الحجة من قرأ ورسوله بالرفع
فانه على الابتداء وخبره محذوف يدل عليه ما تقدم وتقديره ورسوله ايضا بريء منهم
ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير في بريء وحسن العطف عليه وان كان غير مؤكد لان
قوله من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سيبويه وجها ثالثا وهو ان يكون معطوفا على
موضع ان وهذا وهم منه لان ان المفتوحة مع ما بعدها في تأويل المصدر فقد تغيرت

عن حكم المبتدا وصارت في حكم ليت ولعل وكان في احداثها معنى يفارق المبتدا فكما لا يجوز العطف
على مواضعهن فكذلك لا يجوز العطف على موضع ان وانما يجوز العطف على موضع ان المكسورة
كما قال الشاعر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب ولعل سيبويه توهم
انها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرئ في الشواذ ان الله بريء بالكسر فلعل تأول
على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفا
ايضا ومن قرأ لم ينقضوكم فمعناه لم ينقضوا اموركم وعهودكم اللغة الاذان الاعلام
يقال اذنته بكذا فاذن اي اعلمته فعلم وقيل ان اصله من النداء الذي يسمع بالاذان
ومعناه اوقعه في اذنه وتاذن بمعنى اذن كما يقال تيقن وايقن والمدة والزمان والحين
نظاير واصله من مددت الشي مدا فكانه زمان طويل الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم
للمعدود من حركات الفلك وهو محدث الاعراب واذان عطف على براءة عن الزجاج
وقيل ان تقديره عليكم اذان لان فيه معنى الامر فيكون مبتدا وخبره محذوف عن علي
ابن عيسى ويجوز ان يكون مبتدا والخبر قوله ان الله بريء على حذف الباء كانه قال بان الله
وعلى الوجهين الاولين يكون موضع ان نصبا على انه مفعول له والذين عاهدتم في موضع
نصب على الاستثناء وبشر معطوف على معنى الاذان اذن وبشر عن ابي مسلم المعنى
ثم بين سبحانه انه يجب اعلام المشركين براءة منهم لئلا ينسبوا المسلمين الى الغدر فقال
واذان من الله ورسوله الى الناس معناه واعلام وفيه معنى الامر اي اذنوا الناس يعني
اهل العهد وقيل اراد بالناس المؤمن والمشرك لان الكل داخلون في هذا الاعلام و
قوله الى الناس اي للناس يقال هذا اعلام لك واليك يوم الحج الاكبر فيه ثلثة اقوال
احدها انه يوم عرفة عن عمر وسعيد بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد وروي ذلك عن
علي عليه السلام ورواه المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه وآله قال عطا الحج الاكبر فيه
الوقوف والحج الاصغر الذي ليس فيه وقوف وهو العمرة وثانيها انه يوم النحر عن علي
وابن عباس وسعيد ابن جبير وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن
ابي عبد الله عليه السلام ورواه ابن ابي اوفى عن النبي صلى الله عليه وآله قال الحسن وسمي الحج الاكبر

لا يحج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك وثالثها انه جميع ايام الحج عن مجاهد ايضا وسفيان
فمعناه ايام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان
كل حرب من هذه الحروب دامت اياما ان الله بري من المشركين اي من عهد المشركين فحذف
المضاف ورسوله معناه ورسوله ايضا بري منه وقيل ان البراءة الاولى لنقض العهد
والبراءة الثانية لقطع الموالاة والاحسان وليس بتكرار فان تبتم فهو خير لكم معناه فان
تبتم في هذه المدة ايها المشركون ورجعتم عن الشرك الى توحيد الله فهو خير لكم من الاقامة
على الشرك لانكم تنجون به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وان توليتم عن الايمان واصررتم
على الكفر فاعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتونه بانفسكم
من ان يحل بكم عذابه في الدنيا وفي هذا اعلام بان الامهال ليس بعجز وانما هو لاظهار
الحجة والمصلحة ثم اوعدهم بعذاب الآخرة فقال وبشر الذين كفروا بعذاب اليم اي اجعل لهم
مكان البشارة بعذاب موجع وهو عذاب النار الا الذين عاهدتم من المشركين قال الفراء
استثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوما من بني كنانة وبني ضمرة كان قد
بقي من اجلهم تسعة اشهر امر باتمامها لهم لانهم لم يظاهروا على المؤمنين ولم ينقضوا
عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ابن عباس عني به كل من كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وآله عهد قبل براءة وينبغي ان يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه
عهد هدنة ولم يتعرض له بعداوة ولا ظاهر عليه عدوا لان النبي صلى الله عليه وآله صالح
اهل هجر واهل البحرين وايلة ودومة الجندل وله عهود بالصلح والجزية ولم ينبذ اليهم
بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله صلى الله عليه وآله ووفى
لهم بذلك من بعده ثم لم ينقصوكم شيئا معناه لم ينقصوكم من شروط العهد شيئا وقيل معناه
لم يضروكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعاونوا عليكم ايها المؤمنون احدا من اعدائكم
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى انقضاء مدتهم التي وقعت المعاهدة بينكم اليها
ان الله يحب المتقين لنقض العهود **فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث**
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة

واتوا

واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره
حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون **اللغة** الانسلاخ
خروج الشيء مما لابسه واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سلخا و
سلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحبس والاسر نظائر والمرصد الطريق
ومثله المرقب والمربا ورصده يرصده رصدا **الاعراب** قال ابو الحسن الاخفش قوله كل مرصد
المعنى على كل مرصد فحذف على واثبته تغالى اللحم للاضياف نيا ونرخصه اذا نضج القدور
المعنى تغالى باللحم فحذف الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت
طريقا وذهبت كل طريق قال ابو علي لا يحتاج في هذا الى تقدير على اذا كان المرصد اسما للمكان
كما انك اذا قلت ذهبت مذهبا ودخلت مدخلا اذا جعلت المدخل والمذهب اسمين للمكان
لم يحتج الى على ولا الى تقدير حرف جر الا ان ابا الحسن ذهب الى ان المرصد اسم للطريق و
اذا كان اسما للطريق كان مخصوصا واذا كان مخصوصا وجب ان لا يصل الفعل الذي لا
يتعدى اليه الا بحرف جر نحو قعدت على الطريق الا ان يجيء في ذلك اتساع نحو ما حكاه
سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط ابو اسحق الزجاج في قوله كل مرصد
ظرف كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا في ان جعل الطريق ظرفا كالمذهب وليس الطريق
بظرف لانه مكان مخصوص وقد نص سيبويه على اختصاصه الا ترى انه حمل قول ساعدة لدن
بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب على انه قد حذف منه الحرف اتساعا
كما حذف من ذهبت الشام فاذا ثبت ذلك فالمرصد مثله ايضا في الاختصاص وان لا يكون
ظرفا اذا كان اسما للطريق وقوله احد فاعرابه انه مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره
والمعنى وان استجارك قال الزجاج ومن زعم انه يرفع احدا بالابتداء فقد اخطا لان
الجزاء لا يتخطى ما يرتفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو ظهرت المستقبل لقلت ان احد يقم
اكرمه ولا يجوز ان احد يقم زيد يقم لا يجوز ان يرتفع زيد بفعل مضمر ظهر تفسيره ويجزم وانما
جاز في ان لان ان يلزمها الفعل وجواب الجزاء يكون الفعل وغيره ولا يجوز ان يضمر ويجزم
بعد المبتدا لانك تقول ههنا ان تاتني فزيد يقوم فالموضع موضع ابتداء قال ابو علي اعلم

ان جواب الجزاء وان كان بغير الفعل فالاصل فيه الفعل والفاء واذا واقعتان موقع الفعل بدلا لان
قوله على قراءة من قرأ بالجزم محمول على الموضع من قوله فلا هادي له واما قول ابي اسحق لا يجوز
ان يضمر ويجزم بعد المبتدا فلعمري انه لا يجوز ان يضمر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء
بالفعل المضمر في نحو قولك ان تاتني زيد يقوم لان الجزم لا يقع بعد المبتدا ولكن لا يمتنع
ان يقع الجزم بعد الفاء على انه الجزاء كما يقع في الشرط لان الجزاء موضع فعل كما ان الشرط موضع
فعل فالمسألة التي منع ابو اسحق اجازتها جائزة لا اشكال في جوازه وهي قوله ان يقم
احد زيد يقم وقد نص سيبويه على اجازة ذلك قال الزجاج وانما يجوز الفعل في باب ان
لان ام الجزاء ولا تزول عنه الى غيره فاما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا في الشعر
قال فمتى واغل ينبهم يحيوه ويعطف عليه كاس الساقي **المعنى** ثم بين سبحانه الحكم في المشركين
بعد انقضاء المدة فقال واذا انسلخ الاشهر الحرم قيل هي الاشهر الحرم المعروفة ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب ثلثة سرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هي الاشهر الاربعة
التي حرم القتال فيها وجعل الله للمشركين ان يسيحوا في الارض آمنين على ما ذكرنا من اختلاف
المفسرين فيها وعلى هذا فمنهم من قال معناه اذا انسلخ الاشهر بانسلاخ المحرم لان من
المشركين من كان منهم لهم عهد امهلوا اربعة اشهر من حين نزلت براءة ونزلت في شوال و
من لا عهد لهم فاجلهم من يوم نزل النداء وهو يوم عرفة او يوم النحر الى تمام الاشهر الحرم
وهو بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فاذا انقضت هذه الخمسون
يوما انقضى الاجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او عام ومنهم من قال معناه
اذا انسلخ الاشهر الاربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول
وعشر من شهر ربيع الآخر اذ حرمنا فيها دماء المشركين وجعلنا لهم ان يسيحوا فيها
آمنين فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اي ضعوا السيف فيهم حيث كانوا في الاشهر
الحرم او في غيرها في الحل او في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والاعراض
عنهم وخذوهم قيل فيه تقديم وتاخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم
واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم وتاخير وتقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم او

خذوهم

خذوهم واحصروهم على وجه التخيير في اعتبار الاصلح من الامرين وقوله واحصروهم معناه و
احبسوهم واسترقوهم وفادوهم بمال وقيل وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام
واقعدوا لهم كل مرصد اي بكل طريق وبكل مكان تظنون انهم يمرون فيه وضيقوا المسالك
عليهم لتتمكنوا من اخذهم وقوله لهم معناه لقتلهم واسرهم فان تابوا اي رجعوا من
الكفر وانقادوا للشرع واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي قبلوا اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
لان عصمة الدم لا يقف على اقامة الصلوة واداء الزكوة فثبت ان المراد به القبول فخلوا
سبيلهم اي دعوهم يتصرفون في بلاد الاسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه
فخلوا سبيلهم الى البيت اي دعوهم يحجوا معكم ان الله غفور رحيم واستدل بهذه الآية
على ان من ترك الصلوة متعمدا يجب قتله لان الله تعالى اوجب الامتناع من قتل
المشركين بشرط ان يتوبوا ويقيموا الصلوة فاذا لم يقيموها وجب قتلهم وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله معناه وان طلب احد من المشركين الذين امرتك
بقتالهم منك الامان من القتل بعد الاشهر الاربعة ليسمع دعوتك واحتجاجك عليه
بالقرآن فامنه وبين له ما تريد وامهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره وانما خص كلام
الله لان معظم الادلة فيه ثم ابلغه مامنه معناه فان دخل في الاسلام نال الخير في الدارين
وان لم يدخل في الاسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به ولكن اوصله الى ديار قومه التي
يامن فيها على نفسه وماله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي ذلك الامان لهم بانهم قوم
لا يعلمون الايمان والدلايل فامنهم حتى يسمعوا ويتدبروا فيعلموا وفي هذا دلالة على
ان المتلو والمسموع كلام الله لان الشرع والعرف جعل الحكاية كعين المحكي قال هذا
كلام سيبويه وشعر امرء القيس ومن ظن ان الحكاية يفارق المحكي لاجل هذا الظاهر فقد غلط
لان المراد ما ذكرناه **قوله تعالى كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ**
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ
إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً
يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ آيتان **القراءة** في الشواذ قرا عكرمة

الايا بعد الهمزة **الحجة** يمكن ان يكون ادادا الا كقراءة الجماعة الا انه ابدل اللام الاولى يآء لثقل الاد
وكسر الهمزة كما قالوا دينار وقيراط والاصل دنّار وقرّاط لقولهم دنانير وقراريط وقد جآء مع
التضعيف وحده قال يا ليتما امنا سالت نعامتها ايما الى جنة ايما الى نار **اللغة** الظهور العلو
بالغلبة واصله خروج الشيء الى حيث يصح ان يدرك الرقبة الانتظار والمراقبة والمراعاة
والمحافظة نظاير والرقيب الحافظ والال العهد ماخوذ من الال وهو البريق
فقال ال يول الا اذا لمع والالة الحربة للمعانها واذن مؤللة مشبهة بالحربة في تحديدها
قال الشاعر وجدناهم كاذبا الهم وذو الال والعهد لا يكذب والال القرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام **المعنى** لما امر الله سبحانه بنبذ العهد
الى المشركين بين ان العلة في ذلك ما ظهر منهم من الغدر وامر باتمام العهد لمن استقام
على الامر فقال كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله اي كيف يكون لهولآء
عهد صحيح مع اظهارهم الغدر والنكث وهذا يكون على التعجب او على الجحد ويدل عليه
ما روي في قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولا ذمة فادخل الكلام لا لان معنى الاول
جحد اي لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يامر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين
ثم استثنى سبحانه فقال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فان لهم عند الله لانهم لم يضمروا
الغدر بك والخيانة لك واختلف في هولآء منهم فقيل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم
اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بان اعانوا
بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الفتح اربعة اشهر يختارون
امرهم اما ان يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاؤا فاسلموا قبل الاربعة اشهر عن قتادة
وابن زيد وقيل هم من قبايل بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا
قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبية الى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وآله
وبين قريش فلم يكن نقضها الا قريش وبنو الديل من بكر فامر باتمام العهد لمن لم يكن نقض الى
مدته وهذا القول اقرب الى الصواب لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد
فتح مكة فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم معناه فما استقاموا لكم على العهد اي ما داموا

باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك ان الله يحب المتقين النكث والغدر كيف
وان يظهروا عليكم ههنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وانما
حذف لان ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدل على ذلك ومثله قول الشاعر
يرلى اخاله قد مات خبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وها تا هضبة وقليب اي فكيف
مات وليس بقبر ومثله قول الحطيئة وكيف ولم اعلمهم خذلوكم على معظم ولا اديم قدوا
اي وكيف تلومونني على مدح قوم وتذمونهم واستغنى عن ذكر ذلك لانه جرى في القصيدة
ما يدل على ما اضمره ومعناه كيف يكون لهولآء عهد عند الله وعند رسوله وهم بحال
ان يظهروا عليكم ويظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة اي لا يحفظوا ولا يراعوا
فيكم قرابة ولا عهدا والال القرابة عن ابن عباس والضحاك والعهد عن مجاهد و
السدي والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليمين عن ابي عبيدة وقيل الال اسم الله
تعالى عن مجاهد وروي ان ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلمة فقال لم يخرج هذا من الٍّ فاين
يذهب بكم ومن قال ان الال هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وان كان بمعناه لاختلاف
اللفظين كما قال فالفى قولها كذبا ومينا وقال متى ادن منه ينا عني ويبعد يرضونكم بافواههم
وتابى قلوبهم معناه يتكلمون بكلام الموالين لكم ليرضوا عنهم وتابى قلوبهم الا العداوة
والغدر ونقض العهد واكثرهم فاسقون اي متمردون في الكفر والشرك عن ابن الاخشيد
وقال الجبائي اراد كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع العموم وقال القاضي معناه
اكثرهم خارجون عن طريق الوفاء واراد بذلك رؤساهم قوله تعالى اشتروا بايات الله

ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم
لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج
الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين

خمس آيات **القراءة** قرا اهل الكوفة والشام ائمة الكفر بهمزتين وقرا الباقون ايمة بهمزة واحدة وياء بعدها وقرا ابن عامر لا ايمان بكسر الهمزة ورواه ابن عقدة باسناده عن عريف بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد عليه السلم والباقون بفتحها **الحجة** قال ابو علي ايمة اصلها افعلة واحدها امام فاذا جمعته على افعلة فنيه ميمين في الفعل ويزيد عليها همزة افعلة الزايدة فيجتمع ميمان واجتماع الهمزتين في كلمة لا يستعمل تحقيقها قال الزجاج اصلها اممة ولكن الميمين لما اجتمعتا ادغمت الاولى في الثانية والقيت حركتها على الهمزة فصار ائمة فابدل النحويون من الهمزة المكسورة الياء قال ومن قال هذا ائم من هذا كان اصله اءم فجعلها واوا مفتوحة كما قالوا في جمع آدم اوادم قال ابو علي ومن جمع بين الهمزتين في ائمة فحجته ان سيبويه قال زعموا ان ابن ابي اسحق كان يحقق الهمزتين في اناس معه وقد تكلم بنقصه العرب وهو روى وجه من القياس ان يقول ان الهمزة حرف من حروف الحلق كالعين وقد جمع بينهما في نحو لعاعة ولع لع فكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى انما جاز اجتماع الهمزتين هنا لئلا يجتمع على الكلمة تغييران الادغام والقلب مع حذف التحقيق لاجل ما بعده من السكون وعلى هذا يقول هذا ادام من هذا بهمزتين قال وانما قلبت الهمزة من ايمة على حركتها دون حركة ما قبلها لان الحركة انما نقلت من الميم الى الهمزة لبيان زنة الكلمة فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكنت ناقضا للغرض فيها واما قوله لا ايمان لهم فمن فتح الهمزة قال هو اشبه بالموضع فقد قال نكثوا ايمانهم ومن كسرها جعله مصدرا من آمنه ايمانا خلاف خوفته ولا يريد به مصدر امن الذي هو صدق فيكون تكريرا للدلالة ما تقدم من قوله فقاتلوا ايمة الكفر على ان اهل الكفر لا ايمان لهم **اللغة** الايمان جمع يمين وهو القسم والطعن الاعتماد بالعيب واصل الطعن بالرمح والامام هو المتقدم للاتباع فالامام في الخير مهتد هاد وفي الشر ضال مضل والهم مقارنة الفعل بالعزم من غير ايقاع له وقد هموا بهذا الهم وفيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقارنة العزم والبدء وفعل الشيء من قبل غيره وهو فعل الشيء اولا والمرة فعل لم يتكرر وهي الفعلة من المر والمرة والدفعة والكرة نظائر **المعنى** ثم بين سبحانه خصال القوم فقال

اشتروا

اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله ومعناه اعرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه بشيء يسير نالوه من الدنيا واصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن ومعنى الفاء هنا ان اشتراءهم هذا ادّاهم الى الصد عن الاسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم ابو سفيان على طعامه ليستميلهم على عداوة النبي صلى الله عليه وآله عن مجاهد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا ياخذون الرشى من العوام على الحكم بالباطل عن الجبائي انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس العمل عملهم لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة سبق معناه والفائدة في الاعادة ان الاول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وقيل انما كرر تاكيدا واولئك هم المعتدون اي المجاوزون الحد في الكفر والطغيان فان تابوا اي ندموا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك العود اليه وقبلوا الاسلام واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي قبلوهما وادوهما عند لزومهما فاخوانكم في الدين اي فهم اخوانكم في الدين فعاملوهم معاملة اخوانكم من المومنين ونفصل الآيات اي نبينها ونميزها بخاصة لكل واحدة منها تتميز بها من غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون من الظهور فيها لقوم يعلمون ذلك ويتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون وان نكثوا اي نقضوا ايمانهم اي عهودهم وما حلفوا عليه من بعد ان عقدوه وطعنوا في دينكم اي عابوه وقدحوا فيه فقاتلوا ايمة الكفر اي رؤساء الكفر والضلالة وخصهم بالامر بقتالهم لانهم يضلون اتباعهم قال الحسن اراد جماعة الكفار وكل كافر امام لنفسه في الكفر ولغيره في الدعاء اليه وقال ابن عباس وقتادة اراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام وابي سفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وساير رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وكان حذيفة ابن اليمان يقول لم يات اهل هذه الاية بعد وقال مجاهد هم اهل فارس والروم وقرا علي عليه السلم هذه الاية يوم البصرة ثم قال اما والله لقد عهد الي رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لي يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة انهم لا ايمان لهم من قرا بفتح الهمزة فمعناه انهم لا يحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له اي لا وفاء له بالعهد

ومن قرا بالكسر فمعناه لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد ويحتمل ان يكون معناه انهم اذا امنوا الناس لا يفون به ويحتمل ان يكون معناه انهم كفروا فلا ايمان لهم لعلهم ينتهون معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فانهم لا ينتهون عنه بدون القتال وقيل معناه ليكن قصدكم في قتالهم انتهاؤهم عن الشرك فان قيل كيف نفى بقوله لا ايمان لهم ما اثبته بقوله فان نكثوا ايمانهم قيل له الايمان التي اثبتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها وانما نفاها من بعد لانهم لم يفوا بها ولم يتمسكوا بموجبها الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول الالف للاستفهام والمراد به التحضيض والايجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها واختلف في هؤلاء فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الاحزاب وهموا باخراج الرسول من المدينة كما اخرجه المشركون من مكة عن الجبائي والقاضي وقيل هم مشركوا قريش واهل مكة وهم بدؤكم اول مرة اى بدؤكم بنقض العهد عن ابن اسحق والجبائي وقيل بدؤكم بالقتال يوم بدر وقالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه وقيل بدؤكم بقتال خلفاء النبي صلى الله عليه وآله من خزاعة عن الزجاج اتخشونهم اى اتخافون ان ينالكم من قتالهم مكروه لفظه استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لانه جمع بين التقريع والتشجيع فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين المعنى لا تخشوهم ولا تتركوا قتالهم خوفا على انفسكم منهم فالله سبحانه احق ان تخافوا عقابه في ترك امره بقتالهم ان كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه اى ان كنتم مؤمنين فخشية الله احق بكم من خشية غيره قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم آيتان القراءة في الشواذ قراءة الاعرج وابن ابي اسحق وعيسى الثقفي وعمرو ابن عبيد ويتوب الله بالنصب ورويت عن ابي عمرو ايضا الحجة قال ابن جني اذا نصب فالتوبة داخلة في جواب الشرط واذا رفع فهو استيناف وتقديره في النصب ان تقاتلوهم يكن هذه الاشياء كلها التي اخرها التوبة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على الاستيناف لانه تم الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم

ثم استانف

ثم استانف فقال ويتوب الله على من يشاء لان التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسببة عن قتالهم المعنى ثم اكد سبحانه ما تقدم بان امر المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصر والظفر عليهم فقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا واسرا ويخزهم اى يذلهم وينصركم عليهم اى يعينكم ايها المؤمنون عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني صدور بني خزاعة الذين وثبت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لانهم كانوا حلفاء للنبي صلى الله عليه وآله ويذهب غيظ قلوبهم معناه ويكون ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلات غيظا لكثرة ما نالهم الاذى من جهتهم ثم استانف سبحانه فقال ويتوب الله على من يشاء اى ويقبل توبة من تاب منهم مع فرط تعديهم رحمة منه وفضلا والله عليم حكيم عليم بتوبتهم اذا تابوا حكيم في امركم بقتالهم اذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا لان افعاله كلها صواب وحكمة وفي هذا دلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله لانه وافق خبره المخبر النظم والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيئان احدهما البشارة بان فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الايمان والآخر بانه ليس في قتالهم اقتطاع لاحد منهم عن التوبة قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون آية اللغة الحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب والترك ضد الاتيان بالفعل المبتدأ في محل القدرة عليه ويستعمل بمعنى ان لا يفعل كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون والوليجة الدخيلة في القوم من غيرهم والبطانة مثله ووليجة الرجل من يختص بدخلته امره دون الناس الواحد والجمع فيه سواء وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليجة قال طرفة فان القوافي يتلجن موالجا تضايق عنها ان تولجها الابر الاعراب ام حرف عطف يعطف به الاستفهام وام حسبتم معطوف على ما تقدم من قوله الا تقاتلون وهو من الاستفهام المعترض في وسط الكلام فجعل بام ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ لما يفعل على نفي للفعل مع تقريب لوقوعه ولم يفعل نفي بعد الحاح في وقوعه المعنى ثم نبه سبحانه جلاله موقع الجهاد فقال ام حسبتم ان تتركوا من دون ان تكلفوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص

ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم معناه ولما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفي العلم والمراد نفي المعلوم
تاكيدا للنفي والا فان الله عز اسمه عالم بما يكون قبل ان كان وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون و تقديره
اظننتم ان تتركوا ولم تجاهدوا ولم تتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة اي
ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله ورسوله والمومنين بطانة واولياء يوالونهم ويفشون
اليهم اسرارهم وقال الجبائي لهوا ان يكونوا منافقين وهو قول الحسن و في هذا دلالة على تحريم
موالاة الكفار والفساق والالف بهم والله خبير بما تعملون اي عليم باعمالكم فيجازيكم عليها
النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما تقدم الامر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو
الاخلاص في الجهاد على وجه قطع العصمة ليظهر الظفر ويحق الثواب قوله تعالى مَا كَانَ
لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَآتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ آيتان القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس
وسعيد بن جبير ومجاهد والباقون مساجد الله الحجة حجة من افرد انه عنى به المسجد الحرام و
حجة من جمع انه عنى به المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل ان يكون اراد المسجد الحرام وانما
جمع لان كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى اللغة الاصل في المسجد هو
موضع السجود وفي العرف يعبر به عن البيت المهيأ لصلوة الجماعة فيه والعمارة ان يجدد منه
ما استرم من الابنية ومنه اعتمر اذا زار لانه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال المعنى لما امر الله
سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والموالاة عنهم امر بنفيهم عن المساجد فقال ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله معناه لا ينبغي للمشركين ان يكونوا قواما على عمارة مساجد الله
ومتولين لامرها وينبغي ان يعمرها المسلمون وقيل ان المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل
هي عامة في جميع المساجد شاهدين على انفسهم بالكفر اي في حال شهادتهم على انفسهم بالكفر
اوضح شهادتهم واختلف في العمارة للمسجد فقيل هي بدخوله ولزومه كما يقال فلان يعمر
مجلس فلان اذا اكثر غشيانه لان المسجد يكون عمارته بطاعة الله وعبادته وقيل هي باستصلاحه ورم

ما استرم

ما استرم منه لانه انما يعمر للعبادة عن الجبائي وقيل هي ان يكونوا من اهله اي لا ينبغي ان يترك المشركون
فيكونوا اهل المسجد الحرام عن الحسن واختلف في شهادتهم على انفسهم بالكفر كيف هي فقيل
هي ان النصراني يسال ما انت فيقول انا نصراني واليهودي يقول انا يهودي وكذلك المشرك
اذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقولها احد غير العرب عن السدي وقيل معناه ان كلامهم
يدل على كفرهم كما يقال الكلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم لبيك
لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل شهادتهم بسجودهم للاصنام
مع اقرارهم بانها مخلوقة عن ابن عباس ومعناه انهم يشهدون على انفسهم بافعالهم واحوالهم
ومن اظهر شيئا وبينه يقال قد شهد به اولئك حبطت اعمالهم التي هي من جنس الطاعة من
المومنين اي بطلت لانهم اوقعوها على الوجه الذي لا يستحق لاجله الثواب عليها عند الله
وفي النار هم خالدون اي مقيمون مويدون انما يعمر مساجد الله ولفظة انما لاثبات
المذكور ونفي ما عداه فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها واقامة العبادات فيها او بنائها
ورم المسترم منها الا من امن بالله واليوم الاخر اي من امن بوحدانية الله واعترف
بالقيامة واقام الصلوة بحدودها واتى الزكوة اي اعطاها ان وجبت عليه مستحقها ولم
يخش الا الله اي لم يخف سوى الله احدا من المخلوقين وهذا راجع الى قوله اتخشونهم فالله
احق ان تخشوه اي ان خشيتموه فقد بيا وتموهم في الاشتراك كما قال فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الاية فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
معناه فانهم من المهتدين الى الجنة ونيل ثوابها لان عسى من الله واجبة عن ابن
عباس والحسن وفي ذكر الصلوة والزكوة وغير ذلك بعد ذكر الايمان بالله دلالة
على ان الايمان لا يتناول افعال الجوارح اذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه
ومن قال ان المراد به التفضيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر قوله تعالى أَجَعَلْتُمْ
سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي
سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ

وجبت

هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ اربع ايات القراءة في الشواذ
قراءة محمد بن علي الباقر وابن الزبير وابي وجرة السعدي وابي جعفر القاري اجعلتم سقاة الحاج
وعمرة المسجد وقرا الضحاك سقاية الحاج وعمرة المسجد الحجة اما سقاه فهو جمع ساق وعمرة
جمع عامر واما سقاية فقال ابن جني فيه نظر ووجهه ان يكون جمعا جاء على فعال كعرق وعراق
ورخل ورخال وظير وظوار وتوام وتوام وبري وبراء وانسان واناس وتراث كما يونث من
الجموع اشياء نحو حجارة وعبودة ومن عدل من قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة الى هذا
انما هرب من ان يقابل الحدث بالجواهر وذلك ان من امن جوهر وسقاية وعمارة مصدران
فلا بد اذا من حذف المضاف اي جعلتم هذين الفعلين كفعل من امن بالله فلما رأى انه لا بد
من حذف المضاف قرا سقاه وعمرة وسقاية على المعنى اللغة السقاية التي يتخذ لسقي الماء
والسقاية مصدر كالسقي ايضا وقيل انهم كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب وبيت البير سقاية
ايضا والبشارة الدلالة على ما يظهر السرور في بشرة الوجه يقال بشرته ابشره بشرى والرضوان
هو معنى يستحق بالاحسان ويدعوا الى الحمد على ما كان وضده سخط العصيان والنعيم مشتق
من النعمة وهي اللين فاما النعمة بكسر النون فهي منفعة يستحق بها الشكر لانها كنعمة العيش
وابدا الزمان المستقبل من غير اخر كما ان قط للماضي يقال ما رايته قط ولا اراه ابدا وجمع
الابد اباد وابود يقال لا افعل ذلك ابد الابيد وابد الابدين وتابد المنزل اتى عليه الابد
والاوابد الوحش سميت بذلك لطول اعمارها وقيل لم يمت وحشي حتف انفه وانما
يموت بافة والابد الداهية النزول قيل انها نزلت في علي ابن ابي طالب والعباس ابن
عبد المطلب وطلحة ابن شيبة وذلك انهم افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت وبيدي
مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي
ما ادري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد عن
الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وقيل ان عليا عليه السلم قال للعباس يا عم الا تهاجر
والا تلحق برسول الله صلى الله عليه وآله فقال الست في افضل من الهجرة اعمر المسجد الحرام واسقي

حاج بيت الله فنزلت اجعلتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة الهمداني وروى الحاكم ابو القاسم
الحسكاني باسناده عن ابن بريدة عن ابيه قال بينا شيبة والعباس يتفاخران اذ مر بهما علي
ابن طالب ع فقال لهما ذا تتفاخران فقال العباس لقد اوتيت من الفضل ما لم يوت احد
سقاية الحاج وقال شيبة اوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي عليه السلام استحييت لكما
فقد اوتيت على صغري ما لم تؤتيا فقالا وما اوتيت يا علي قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى
آمنتما بالله وبرسوله فقام العباس مغضبا يجر ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه
وآله وقال اما ترى الى ما يستقبلني به علي فقال ادعوا عليا فدعي له فقال ما حملك على ما
استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض
فنزل جبرئيل وقال يا محمد ان ربك يقرا عليك السلام ويقول اتل عليهم اجعلتم سقاية
الحاج الايات فقال العباس انا قد رضينا ثلث مرات وفي تفسير ابي حمزة ان العباس
لما اسر يوم بدر اقبل عليه اناس من المهاجرين والانصار فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم
فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله
انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله سبحانه ما
كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى اخر الايات المعنى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن امن بالله هذا استفهام معناه الانكار اي لا تجعلوا وفيه حذف يدل
الكلام عليه وتقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج واهل عمارة المسجد كمن امن بالله حتى
يكون مقابلة الشخص بالشخص او يكون تقديره اجعلتم السقاية والعمارة كايمان من امن
بالله حتى يكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان
نبيذ زبيب يسقون الحاج في الموسم بين سبحانه انه لا تقابل هذه الاشياء بالايمان بالله و
اليوم الآخر والجهاد في سبيل الله فانه لا مساواة بين الفريقين لا يستوون عند الله
في الفضل والثواب والله لا يهديهم الى طريق ثواب القوم الظالمين كما يهدي الذين
كان عارفا به فاعلا للطاعة مجتنبا للمعصية ثم ابتدا سبحانه فقال الذين امنوا اي صدقوا
واعترفوا بوحدانية الله وهاجروا اوطانهم من دار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا في

سبيل الله اي يحملوا المشاق في ملاقاة اعداء الدين باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من غيرهم من
المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الاشياء واولئك هم الفائزون اي الظافرون بالتبعية يبشرهم
ربهم في الدنيا على السنة الرسل وبما يثبت في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد برحمة منه
ورضوان في الآخرة وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي دايم لا يزول ولا ينقطع خالدين فيها
ابدا اي دايمين فيها مع كون النعيم مقيما لهم ان الله عنده اجر اي جزاء على العمل عظيم اي كثير
متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي
القوم الفاسقين آيتان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم وعشيراتكم على الجمع والباقون و
عشيرتكم على التوحيد الحجة من افرد فلان العشيرة تقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع
العشيرة عشيرات وانما تقول عشاير ومن جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة اللغة
الاستحباب طلب المحبة ويجوز ان يكون استحب بمعنى احب كما ان استجاب بمعنى اجاب فيكون كانه طلب
محبته فوقع له والعشيرة الجماعة ترجع الى عقد واحد كالعشرة ومنه المعاشرة والاقتراف
اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره من قرف القرحة اذا قشرتها والقرف القشر والتربص
التثبت في الشيء حتى يجيء وقته والتربص والتثبت والتنظر والتوقف نظاير ونقيضه التعجيل
النزول روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم انها نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة
حيث كتب الى قريش يخبر النبي صلى الله عليه وآله لما اراد فتح مكة المعنى ثم نهى الله سبحانه
المؤمنين عن موالاة الكفار وان كانوا في النسب الاقربين فقال يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء وهذا في امر الدين واما في امر الدنيا فلا باس بمجالستهم
ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبهما في الدنيا معروفا قال ابن عباس لما امر الله المؤمنين
بالهجرة وارادوا الهجرة فمنهم من تعلقت به زوجته ومنهم من تعلق به ابواه واولاده فكانوا

يمنعونهم

يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لاجلهم فبين سبحانه ان امر الدين مقدم على النسب واذا وجب قطع قرابة
الابوين فالاجنبي اولى ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروا الكفر وآثروه على الايمان قال
الحسن من تولى المشرك فهو مشرك وهذا اذا كان راضيا بشركه ومن يتولهم منكم فيترك طاعة
الله لاجلهم واطلعهم على اسرار المسلمين فاولئك هم الظالمون نفوسهم والباخسون حقها
من الثواب لانهم وضعوا الموالاة في غير مواضعها لان موضعها اهل الايمان قل يا محمد
لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام ان كان آباؤكم الذين ولدوكم وابناؤكم الذين
ولدتموهم وهم اولاد الذكور واخوانكم في النسب وازواجكم اللاتي عقدتم عليهن عقد
النكاح وعشيرتكم اي اقاربكم واموال اقترفتموها اي كسبتموها واقتطعتموها وجمعتموها
وتجارة تخشون كسادها اي تخشون انها تكسد اذا اشتغلتم بطاعة الله تعالى والجهاد ومساكن
ترضونها اي مساكن اخترتموها لانفسكم ويعجبكم المقام فيها احب اليكم اي آثر في نفوسكم
واقرب الى قلوبكم من الله ورسوله اي من طاعة الله وطاعة رسوله وجهاد في سبيله
اي ومن الجهاد في سبيل الله فتربصوا اي انتظروا حتى يأتي الله بامره اي بحكمه فيكم وقيل بعقوبته
على اختياركم هذه الاشياء على الجهاد وطاعة الله اما عاجلا واما آجلا وفيه وعيد
شديد عن الحسن والجبائي وقيل بفتح مكة عن مجاهد قال بعضهم وهذا لا يصح لان سورة
براءة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين مضى تفسيره قوله تعالى لقد نصركم
الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ثلث آيات اللغة
الموطن الموضع الذي يقيم فيه صاحبه وهو مفعل من الوطن واستوطن المكان اذا اتخذه
وطنا وحنين اسم واد بين مكة والطايف والاعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس
السعة في المكان وضده الضيق وقولهم مرحبا معناه اتيت سعة والسكينة الطمانينة والامنة
وهي فعيلة من السكون قال الشاعر لله قبر غالها ماذا اجن سكينة وقادوا والجنود الجموع التي تصلح للحروب

الاعراب مواطن لا ينصرف لانه جمع ليس على مثال الاحاد ويوم حنين اي و في يوم حنين عطفه
على مواطن اي ونصركم في يوم حنين وانما صرف حنينا لانه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك
صرفه على انه اسم البقعة لجاز قال الشاعر نصروا نبيهم وشدوا ازره بحنين يوم تواكل الابطال
وما في قوله بما رحبت مصدرية اي برحبها وسعتها المعنى لما تقدم امر المومنين بالقتال
ذكرهم بعده ما اتاهم من النصر حالا بعد حال فقال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة اللام
للقسم فكانه اقسم سبحانه بانه نصر المومنين اي اعانهم على اعدائهم في مواضع كثيرة
على ضعفهم وقلة عددهم حثا لهم على الانقطاع اليه ومفارقة الاهلين والاقربين
في طاعته وورد عن الصادقين عليهما السلم قالوا انها كانت ثمانين موطنا وروي
ان المتوكل اشتكى شكاة شديدة فنذر ان يتصدق بمال كثير ان شفاه الله فلما عوفي سال العلماء
عن حد المال الكثير واختلف اقوالهم فاشير عليه بان يسال ابا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى
صلوات الله وسلامه عليهم وقد كان حبسه في داره فامر ان يكتب اليه فكتب عليه السلم يتصدق
بثمانين درهما ثم سالوه عن العلة في ذلك فقرا هذه الاية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت
ثمانين موطنا ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم اي سرتكم وصرتم معجبين بكثرتكم قال قتادة كان
سبب انهزام المسلمين يوم حنين ان بعضهم قال حين راى كثرة المسلمين لن نغلب اليوم عن
قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثنا عشر الفا وقيل انهم كانوا عشرة الاف وقيل ثمانية
الاف والاول اصح واكثر في الرواية فلم تغن عنكم شيئا اي فلن تدفع عنكم كثرتكم سوءا
وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها والباء بمعنى مع المعنى ضاقت الارض عليكم
مع سعتها كما يقال اخرج بنا الى موضع كذا اي معنا والمراد لم تجدوا من الارض موضعا
للفرار اليه ثم وليتم مدبرين عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتم ادباركم وانهزمتم ثم
انزل الله سكينته اي رحمته التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف على رسوله وعلى
المومنين حتى رجعوا اليهم وقاتلوهم وقيل على المومنين الذين ثبتوا مع رسول الله علي
والعباس في نفر من بني هاشم عن الضحاك ومزاحم وروى الحسن ابن علي بن فضال عن ابي الحسن
الرضا عليه السلم انه قال السكينة ريح من الجنة تخرج طيبة لها صورة كصورة وجه الانسان فيكون

مع

مع الانبياء اورده العياشي مسندا وانزل جنودا لم تروها اراد جنودا من الملائكة وقيل ان الملائكة لم تنزل
يوم حنين بتقوية قلوب المومنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقاتلوا الا
يوم بدر خاصة عن الجبائي وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسلب الاموال والاولاد
وذلك جزاء الكافرين على كفرهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ذكر سبحانه ثم في ثلثة
مواضع مقابلة الاول ثم وليتم مدبرين عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله ضاقت عليكم
الارض والثاني ثم انزل الله سكينته عطف على قوله وليتم والثالث ثم يتوب عطف على
انزل وانما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه اشاكله فان الاول ذكر نعمته والثاني وعد
بنعمته والمعنى ثم يقبل الله توبة من تاب عن الشرك ورجع الى طاعة الله والاسلام وندم
على ما فعل من القبيح ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم من بعد هزيمته ويجوز ان
يريد يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وانما علقه بالمشية لان قبول التوبة تفضل من الله تعالى
ولو كان واجبا على ما قاله اهل الوعيد لم يجز تعليقه بالمشية كما لا يجوز تعليق الثواب على
الطاعة بالمشية ومن خالف في ذلك قال انما علقها بالمشية لان منهم من له لطف يصلح به
ويتوب ويهتدي عنده ومنهم من لا لطف له والله غفور اي ستار للذنوب رحيم بعباده
قصة غزاة حنين ذكر اهل التفسير واهل السير ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما
افتتح مكة خرج منها متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان او في
شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع روساء هوازن الى مالك بن عوف النصري وساقوا
معهم اموالهم ونساءهم وذراريهم ونزلوا باوطاس وكان دريد ابن الصمة في القوم وكان
رئيس جشم وكان شيخا كبيرا قد ذهب بصره من الكبر فقال باي واد انتم قالوا باوطاس قال
نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر
وثغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك ابن عوف ساق مع الناس اموالهم وابناءهم
ونساءهم ليقاتل كل منهم عن اهله فقال دريد راعي ضان ورب الكعبة ثم قال ايتوني بمالك
فلما جاء قال يا مالك انك اصبحت رئيس قوم وهذا يوم له ما بعده رد قومك الى عليا
بلادهم والق الرجال على متون الخيل فانه لا ينفعك الا رجل بسيفه وفرسه فان كانت لك لحق بك

من ورائك وان كانت عليك لا تكون فضحت في اهلك وعيالك فقال له مالك انك قد كبرت وذهب
علمك وعقد رسول الله صلى الله عليه وآله لواء الاكبر ودفعه الى علي ابن ابي طالب عليه السلام
وكان من دخل مكة براية امره ان يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوما وبعث الى صفوان
بن امية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان عارية ام غصب فقال صلى الله عليه وآله
مضمونة مؤداة فاعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح الفا رجل وكان
عليه الصلوة والسلام دخل مكة في عشرة الاف رجل وخرج منها في اثني عشر الفا وبعث رسول
الله صلى الله عليه وآله رجلا من اصحابه فانتهى الى مالك ابن عوف وهو يقول للقوم ليصير
كل رجل منكم اهله وماله خلف ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي
وفي الشجر فاذا كان في غلس الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فان محمدا لم يلق
احدا يحسن الحرب ولما صلى الله عليه وآله باصحابه الغداة انحدر في وادي حنين فخرجت
عليهم كتائب هوازن من كل ناحية فانهزمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم من وراءهم
وخلى الله تعالى بينهم وبين عدوهم لاعجابهم بكثرتهم وبقي علي عليه السلام ومعه الراية يقاتلهم
في نفر قليل ومر المنهزمون برسول الله صلى الله عليه وآله لا يلوون على شيء
وكان العباس ابن عبد المطلب اخذ لجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله والفضل
عن يمينه وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل ابن الحرث وربيعة
ابن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم ايمن ابن ام ايمن وقتل يومئذ وفي ذلك يقول
العباس نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا وقولي اذا
ما الفضل كر بسيفه على القوم اخرى يا بني ليرجعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله
في الله لا يتوجع ولما راى رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة القوم عنه قال للعباس
وكان جهوريا صيتا اصعد هذا الظرب فناد يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب
سورة البقرة يا اهل بيعة الشجرة الى اين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت
العباس تراجعوا وقالوا لبيك لبيك وبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وآله الان حمي الوطيس انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ونزل النصر

من عند الله تعالى وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة فمروا في كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم وفر
مالك ابن عوف فدخل حصن الطائف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغنم الله المسلمين اموالهم
ونساءهم وامر رسول الله صلى الله عليه وآله بالذراري والاموال ان يحدر الى الجعرانة وولي
على الغنائم بديل ابن ورقاء الخزاعي ومضى عليه السلام في اثر القوم فوافى الطائف في طلب مالك
ابن عوف وحاصر اهل الطائف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف واتى الجعرانة وقسم
بها غنائم حنين واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما
التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم
جعلنا نسوقهم اذ انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فتلقانا
رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا فكانوا اياها
يعني الملائكة قال الزهري وبلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله
عليه وآله يوم حنين وانا اريد ان اقتله بطلحة ابن عثمان وعثمان ابن طلحة وكانا قد قتلا
يوم احد واطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك
بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد
انك رسول الله وان الله اطلعك على ما في نفسي وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله الغنائم بالجعرانة
وكان معه من سبي هوازن ستة الاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاة ما لا
يدرى عدته قال ابو سعيد الخدري قسم رسول الله صلى الله عليه وآله للمؤلفين من قريش
ومن ساير العرب ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمشى سعد بن عبادة
الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا
عليك في قسمتك هذه الغنائم في قومك وفي ساير العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء فقال
عليه السلام فاين انت من ذلك يا سعد ما انا الا امرء من قومي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم
خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار الم اتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فاغناكم
واعداء فالف الله بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال الا تجيبوني يا معشر الانصار فقالوا

وما تقول وبماذا تجيبك المن لله ولرسوله فقال اما والله لو شئتم لقلتم وصدقتم جئتنا طريدا
فآويناك وعائلا فآسيناك وخائفا فآمناك ومخذولا فنصرناك فقالوا المن لله ولرسوله
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وجدتم في انفسكم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا
تالفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام افلا ترضون يا معشر الانصار
ان يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم فوالذي نفسي
بيده لو ان الناس سلكوا شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار ولولا
الهجرة لكنت امرءا من الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار فبكى
القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا بالله ورسوله قسما ثم تفرقوا وقال انس بن مالك
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله امر منادياً فنادى يوم اوطاس الا لا توطأ الحبالى
حتى يضعن ولا الحبالى حتى يستبرين بحيضة ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله
صلى الله عليه وآله بالجعرانة مسلمين وقام خطيبهم فقال يا رسول الله انما في الحظاير من
السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو انا ملكنا ابن شمر والنعمان ابن المنذر
اصابنا منهما مثل الذي اصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وانت خير المكفولين
ثم انشد ابياتا فقال عليه السلام اي الامرين احب اليكم السبي ام الاموال قالوا يا رسول الله خيرتنا
بين الحسب والاموال والحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله اما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف اكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا
اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي صلى
الله عليه وآله قد رددت الذي لبني هاشم والذي بيدي عليهم فمن احب منكم ان يعطي
غير مكره فليفعل ومن كره ان يعطي فليأخذ الفداء وعلي فداؤهم فاعطى الناس ما كان بايديهم
منهم الا قليلا من الناس سألوا الفداء وارسل رسول الله صلى الله عليه وآله الى مالك
ابن عوف فقال ان جئتني مسلما رددت اليك اهلك ومالك ولك عندي مائة ناقة
فخرج اليه من الطائف فرد عليه اهله وماله واعطاه مائة من الابل واستعمله على من اسلم
من قومه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام

بعد

بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم
حكيم آية القراءة قرأ ابن السميقع انجاس على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وان خفتم عائلة
الحجة قال ابن جني هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالعافية والعاقبة واللاعية اللغة
كل مستقذر نجس يقال رجل نجس وامرأة نجس وقوم نجس لانه مصدر واذا استعملت هذه
اللفظة مع الرجس قيل رجس نجس بكسر النون والعيلة الفقر يقال عال يعيل اذا افتقر قال
الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل المعنى لما تقدم النهي عن ولاية
المشركين ازال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال يا ايها الذين آمنوا
انما المشركون نجس معناه ان الكفار انجاس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
اي فامنعوهم عن المسجد الحرام قيل المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال والحرم كله مسجد
وقبلة والعام الذي اشار اليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي عليه السلام بالبراءة وقال
لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل المراد به منعهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية
للموسم والعمرة وقيل منعوا من الدخول اصلا في المسجد ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم
عن الجبائي واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء ان الكافر نجس العين و
ظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنعوا اليهود والنصارى
من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله انما المشركون نجس الآية وعن الحسن
قال لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ وهذا يوافق اليه اصحابنا من ان من صافح
الكافر ويده رطبة وجب ان يغسل يده وان كانت يداهما يابستين مسحهما بالحائط وقال
آخرون انما سماهم الله نجسا لخبث اعتقادهم وافعالهم واقوالهم واجازوا للذمي دخول
المساجد وقالوا انما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون
ولا يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤون فمنعوا من دخول المسجد لان الجنب لا يجوز له
دخول المسجد وان خفتم عيلة اي فقرا وحاجة وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين
من دخول الحرم فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء اي فسوف يغنيكم الله من جهة اخرى
ان شاء ان يغنيكم بان يرغب الناس من اهل الآفاق في حمل الميرة اليكم رحمة منه ونعمة عليكم

قال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعا وجرش من اليمن وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب
وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يغنيكم الله بالجزية المأخوذة من اهل الكتاب
وقيل بالمطر والنبات وقيل باباحة الغنائم واذا سئل عن معنى المشية في قوله ان شاء فالقول
فيه ان الله قد علم ان منهم من يبقى الى وقت فتح البلاد واغتنام اموال الاكاسرة فيستغني ومنهم
من لا يبقى الى ذلك الوقت فلهذا علقه بالمشية وقيل انما علقه بالمشية ليرغب الانسان
الى الله في طلب الغنى منه ومنه وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد وان الله عليم بالمصالح
وتدبير العباد وبكل شيء حكيم فيما يامر وينهى قوله تعالى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ آية
اللغة الدين في الاصل الطاعة قال زهير لئن حللت بجو في بني اسد في دين عمرو وحالت
بيننا فدك والجزية فعلة من جزى يجزي مثل القعدة والجلسة وهي عطية مخصوصة
جزاء لهم على تمسكهم بالكفر عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصغار الذل والنكال الذي يصغر
قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغارا فهو صاغر الاعراب عن يد في موضع نصب على الحال
اي نقدا كما يقال باعه يدا بيد النزول قيل نزلت هذه الآية حين امر رسول الله صلى الله عليه وآله
بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزاة تبوك عن مجاهد وقيل هي على العموم المعنى ثم بين سبحانه
ان من الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
يعني الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما
ذهب اصحابنا اليه من انه لا يجوز ان يكون في جملة الكفار من هو عارف بالله وان اقر باللسان
وانما يكونون معتقدين اعتقادا ليس بعلم لانه صرح في ان اهل الكتاب الذين يوخذ
منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال
ان الآية خرجت مخرج الذم لهم لانهم بمنزلة من لا يقر في عظم الجرم قال الجبائي لانهم يضيفون
اليه ما لا يليق به فكانهم لا يعرفونه وانما جمعت هذه الاوصاف لهم ولم يذكروا باسم الكفار
من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة

م

لهم ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله موسى وعيسى عليهما السلام من كتمان بعث محمد وقيل معناه يعني
ما حرم محمد صلى الله عليه وآله ولا يدينون دين الحق قيل الحق ههنا هو الله تعالى اي دين
الله والعمل بما في التوراة من اتباع نبينا صلى الله عليه وآله وقيل الحق هو الله ودينه الاسلام
عن قتادة وقيل معناه لا يطيعون الله طاعة اهل الاسلام عن ابي عبيدة وقيل معناه
لا يعترفون بالاسلام الذي هو الدين الحق من الذين اوتوا الكتاب وصف الذين
ذكرهم بانهم من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال اصحابنا ان المجوس حكمهم حكم
اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد اي نقدا من يده الى يد من يدفعه اليه من غير نايب
كما يقال كلمته فما بفم وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال اليد لفلان
وقيل عن يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم وهم صاغرون اي ذليلون
مقهورون يجرون الى الموضع الذي تقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها وقيل هو ان
يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمة قوله تعالى وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ
وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ آيتان القراءة قرا عاصم والكسائي ويعقوب وسهل عزير
منونا والباقون عزير ابن الله بغير تنوين وقرا عاصم وحده يضاهئون بالهمزة والباقون
يضاهون بغير همزة الحجة قال ابو علي من نون عزيرا جعله مبتدا وجعل ابنا خبره واذا كان
كذلك فلا بد من اثبات التنوين في حال السعة والاختيار لان عزيرا ونحوه ينصرف عجميا
كان او عربيا واما من حذف التنوين فان حذفه على وجهين احدهما انه جعل الصفة والموصوف
بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء
الساكنين كما يحرك في زيد العاقل لان الساكنين كانهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف
الاول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز اثبات التنوين في هذا الباب اذا كان صفة
وان كان الاصل لانهم جعلوه من الاصول المرفوضة كما ان اظهار الاقل من المثلين في نحو مستوا

لا يجوز في الكلام فاذا كان بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة في هذا النحو
فلا بد من اضمار جزء آخر بقصد انضمامه اليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما مبتدا واما خبر مبتدا فيكون
التقدير صاحبنا او نبينا عزير بن الله ان قدرت المضمر المبتدا وان قدرت بعكس ذلك جاز
فهذا احد الوجهين والوجه الآخر ان يجعلهما اسما واحدا ولكن يجعل الاول من الاسمين
المبتدا والآخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في اثبات التنوين فيكون القراءتان متفقين
الا انك حذفت التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما روي من قراءة بعضهم احد الله الصمد
فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيرا قال الشاعر حميد الذي امج
داره اخو الخمر ذو الشيبة الاصلع وقال وحاتم الطائي وهاب المائي واما يضاهئون فقد قال
الزجاج اصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امراة ضهيا وهي
التي لا ينبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض ومعناها انها قد اشبهت الرجال في انها لا يدري
لها وكذلك اذا لم تحض وضهيا فعلا الهمزة زايدة كما زيدت في شمال وغرقي البيض ولا نعلم
الهمزة زيدت غير اولا الا في هذه الاشياء ويجوز ان يكون فعيلا وان كانت بنية ليس لها في
الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله يضاهئون من امراة ضهيا لان هذه الهمزة زايدة غير اصلية
وليس بفعيل لانه لو كان اياه لكان مكسور المصدر وانما ادخله في هذا ما رآه من اشتقاق
يضاهئون وقد يجوز ان يجيء الكلمة غير مشتقة وذلك اكثر من ان يحصى اللغة الحبر العالم
الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها وهو الحبر والحبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان
جمع الراهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على متنسكي النصارى
المعنى ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال وقالت اليهود عزير
بن الله قال ابن عباس القايل لذلك جماعة منهم جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله
منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل
انما قال ذلك جماعة من قبل وقد انقرضوا وان عزيرا املى التورية من ظهر قلبه علمه جبرئيل
فقالوا انه ابن الله الا ان الله تعالى اضاف ذلك الى جميعهم وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم
كما يقال ان الخوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين وانما يقوله الازارقة منهم خاصة وبعد

ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول صلى
الله عليه وآله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم معناه انهم اخترعوا ذلك
القول بافواههم لم ياتهم به كتاب ولا رسول ولا حجة ولا برهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر
القول مقرونا بالافواه الا كان ذلك القول زورا كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يضاهئون يشابهون عن ابن عباس وقيل يوافقون عن الحسن قول الذين كفروا يعني عباد
الاوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى عن ابن عباس ومجاهد والفرا
وقيل في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله من قبل اي ضاهت النصارى قول اليهود
من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي و
قيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم الكافرة عن الحسن قاتلهم الله اي لعنهم عن ابن عباس
قال ابن الانباري المقاتلة اصلها من القتل فاذا اخبر عن الله تعالى بها كانت بمعنى اللعنة لان
من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن الحق الى الافك
الذي هو الكذب فكانه قال لاي داع مالوا الى ذلك القول اتخذوا احبارهم اي علماءهم
ورهبانهم اي عبادهم اربابا من دون الله وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم
انهما قالا اما والله ما صاموا لهم ولا صلوا ولكنهم احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا
فاتبعوهم فعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي باسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت
رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن
من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرا من سورة براة هذه الآية اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون
ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم
والمسيح ابن مريم اي واتخذوا المسيح الها من دون الله وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
اي معبودا واحدا هو الله تعالى لا اله الا هو اي لا يحق العبادة الا له ولا يستحق الالهية
سواه سبحانه تنزيها له عما يشركون اي عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يليق به قوله عز وعلا
يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

النصف

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ

البيان اللغة الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور والافواه جمع فم واصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لانه حرف صحيح من مخرج الواو ومشاكل لها والاباء الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر وان ارادوا ظلمنا ابينا اى منعنا من الظلم الاعراب قوله الا ان يتم نوره انما دخلت الا لان في ابيت طرفا من الجحد يقول ابيت ان افعل كذا فيكون معناه لا افعل قال الشاعر وهل لي ام غيرها ان تركتها ابى الله الا ان اكون لها ابنا وقال الزجاج في الاية حذف تقديره ويابى الله كل شيء الا ان يتم نوره قال ولا يكون الا يجاب جحدا ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت الا اخاك مثل ابيت الا ان الحذف مستعمل معها المعنى ثم اخبر سبحانه عن هولاء الكفار من اليهود والنصارى انهم يريدون ان يطفؤا نور الله وهو القرآن والاسلام عن اكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لانهما يهتدى بهما كما يهتدى بالانوار عن الجبائي قال ولما سمى الله سبحانه الحجج والبراهين نورا سمى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال بافواههم لان الاطفاء يكون بالافواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شانهم وتضعيف كيدهم لان النفخ يوثر في الانوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ويابى الله الا ان يتم نوره معناه ويمنع الله الا ان يظهر القرآن والاسلام وحجته على التمام واصل الاباء المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا يقول العرب فلان يابى الضيم وهو ابى الضيم ولا مدحة في كراهية الضيم لانه يستوي فيه القوي والضعيف وانما المدحة في الامتناع والمنع منه ولو كره الكافرون اي على كره من الكافرين هو الذي ارسل رسوله محمدا وحمله الرسالات التي يوديها الى امته بالهدى اى بالحجج والبينات والدلائل ودين الحق وهو الاسلام وما تضمنه من الشرايع التي يستحق عليها الجزاء بالثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب ليظهره على الدين كله معناه ليعلي دين الاسلام على جميع الاديان بالحجة والغلبة والقهر لها حتى لا يبقى على وجه الارض الا مغلوب ولا يغلب احد اهل الاسلام بالحجة وهم يغلبون اهل ساير الاديان بالحجة واما الظهور بالغلبة فهو ان كل طايفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية

من نواحي اهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل اراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى اهل دين الا اسلم او ادى الجزية عن الضحاك وقال ابو جعفر عليه السلام ان ذلك يكون عند خروج المهدي عليه السلام من آل محمد فلا يبقى احد الا اقر بمحمد صلى الله عليه وآله وهو قول السدي وقال الكلبي لا يبقى دين الا ظهر عليه الاسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك قال المقداد بن الاسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز واما بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم الله من اهله فيعزوا به واما يذلهم فيدينون له وقيل ان الهاء في ليظهره عايدة الى الرسول صلى الله عليه وآله اى ليعلمه الله الاديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس ولو كره المشركون اى وان كرهوا هذا الدين فان الله يظهره رغما لهم

قوله عز وعلا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ البيان اللغة الكنز في الاصل هو الشيء الذي جمع بعضه الى بعض ويقال للشيء المجتمع مكتنز وناقة كناز اللحم مجتمعه قال نفطويه سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لانها تنفض اى تتفرق فلا يبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما والاحماء جعل الشيء حارا في الاحساس وهو فوق الاسخان وضده التبريد يقال حمي يحمى حميا واحماه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن الاعراب الذين يكنزون موضعه نصب لانه معطوف على اسم ان ويكون المعنى ان الذين يكنزون الذهب والفضة يأكلونها ويجوز ان يكون رفعا على الاستيناف وذكر في قوله لا ينفقونها وجوه احدها انه اراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير الى ما دل عليه الكلام والثاني انه لما ذكر الذهب والفضة دل على الاموال فكانه قال ولا ينفقون الاموال والثالث ان الذهب مونث وهو جمع واحده ذهبة وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحده الا الهاء يذكر ويونث ثم لما اجتمعا في التانيث وكان

كل واحد منهما يوخذ عن صاحبه في الزكوة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد ورد
الضمير اليهما بلفظ التانيث والرابع انه اكتفى باحدهما عن الآخر للايجاز ورد الضمير الى الفضة
لانها اقرب اليه كما قال حسان ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا
وقد مر ذكر امثاله فيما مضى المعنى ثم بين سبحانه حال الاحبار والرهبان فقال يا ايها الذين
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل اي يتملكونه من الجهات
التي يحرم منها اخذه الا انه لما كان معظم التصرف والتملك للاكل وضع الاكل موضع
ذلك وقيل ان معناه ياكلون متاع اموال الناس من الطعام فكانهم ياكلون الاموال
لانها من ثمن الماكول كما قال الشاعر ذرا لآكلين الماء ظلما فما ارى ينالون خيرا بعد اكلهم
الماء اي ثمن الماء ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون غيرهم من اتباع الاسلام الذي هو سبيل
الله التي دعاهم الى سلوكها وعن اتباع محمد صلى الله عليه وآله والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يجمعون المال ولا يؤدون زكوتها فقد روي عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال كل ما لم تؤد زكوته فهو كنز وان كان ظاهرا وكل ما اديت
زكوته فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي
قال الجبائي وهو اجماع وروي عن علي عليه السلام ما زاد على اربعة الآف فهو كنز ادى زكوته
او لم تؤد وما دونها فهو نفقة وتقدير الآية والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه
في سبيل الله ويكنزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف الخبر من الاول لدلالة
الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الاول عليه من قوله والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات وتقديره والذاكرات الله واكثر المفسرين على ان قوله والذين يكنزون
على الاستيناف فان المراد مانعوا الزكوة من هذه الامة وقيل انه معطوف على ما قبله
والاولى ان يكون محمولا على العموم في الفريقين فبشرهم بعذاب اليم اي اخبرهم بعذاب موجع
وروى سالم بن ابي الجعد ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال تبا للذهب
تبا للفضة يكررها ثلثا فشق ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله اي المال نتخذ قال
لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه يوم يحمى عليها في نار جهنم

اي يوقد على الكنوز او على الذهب والفضة في نار جهنم حتى يصير نارا فتكوى بها تلك الكنوز الحماة
والاموال التي منعوا حق الله فيها باعيانها جباههم وجنوبهم وظهورهم وانما خص هذه
الاعضاء لانها معظم البدن وكان ابو ذر الغفاري يقول بشر الكانزين بكي في الجباه وكي
في الجنوب وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في اجوافهم ولهذا المعنى اشار اليه ابو ذر وخصت
هذه المواضع بالكي لان داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل انما خص هذه
المواضع بالعذاب لان الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الالم والظهر محل الحدود
وقيل لان الجبهة محل السجود فلم يقم فيه بحقه والجنب مقابل القلب الذي لم يخلص في
معتقده والظهر محل الاوزار قال يحملون اوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل
صاحب المال اذا راى فقيرا قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره
عن ابي بكر الوراق هذا ما كنزتم لانفسكم اي يقال لهم في حال الكي او بعده هذا جزاء ما جمعتم
وكنزتم من الاموال ولم تؤدوا حق الله عنها وجعلتموها ذخيرة لانفسكم فذوقوا ما
كنتم تكنزون اي فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكنزون اي تجمعون وتمنعون حق الله
منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من عبد له مال
لا يؤدي زكوته الا جمع يوم القيمة صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنباه
وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى
سبيله اما الى الجنة واما الى النار اورده مسلم ابن الحجاج في الصحيح وروى ثوبان عن النبي
صلى الله عليه وآله قال من ترك كنزا مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يتبعه و
يقول ويلك ما انت فيقول انا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها
ثم يتبعه سائر جسده وروى الثعلبي باسناده عن الاعمش عن المعرور ابن سويد عن ابي ذر
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في ظل الكعبة فلما رآني قد اقبلت قال
هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قال فدخلني غم وجعلت اتنفس
وقلت هذا شيء حدث في قال قلت من هم فداك ابي وامي قال الاكثرون الا من قال بالمال
في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم وروى ان ابا ذر قال من ترك

بيضا او حمرا كوي به يوم القيمة قوله عز وجل إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا
فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ اية القراءة قرا ابو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر
بسكون العين والباقون بفتحها الحجة الوجه في ذلك ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد
وبني الاول منهما كصدر الاسم والثاني منهما لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين اول
الثاني دليلا على انهما قد صارا كالاسم الواحد اللغة كافة بمعنى الاحاطة ماخوذة
من كفة الشي وهي حرفه واذا انتهى الشي الى ذلك كف عن الزيادة واصل الكف المنع ومنه
المكفوف وهو الممنوع البصر الاعراب وكافة نصب على المصدر ولا يدخل عليها الالف
واللام لانه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع معا وجميعا بمعنى المصدر الذي
في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة هذا قول الفرا
وقال الزجاج كافة منصوب على الحال وهو مصدر على فاعلة كالعافية والعاقبة وهو
في موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم ولا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم
كافات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا
مذهب النحويين المعنى لما ذكر الله سبحانه وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج
الزكوة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله وهو الظلم في
الاشهر الحرم الذي يودي الى مثل حاله او شر منها في المنقلب فقال ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا اي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهرا وانما تعبد الله
المسلمين ان يجعلوا سنتهم على اثني عشر شهرا ليوافق عدد الاهلة ومنازل القمر دون
ما دان به اهل الكتاب والشهر ماخوذ من شهرة الامر لحاجة الناس اليه في معاملاتهم
ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله في كتاب
الله معناه في كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه وقيل في القرآن
وقيل في حكمه وقضائه عن ابي مسلم وقوله يوم خلق السموات والارض متصل بقوله عند الله

والعامل فيه

والعامل فيها الاستقرار وانما قال ذلك لانه يوم خلق السموات والارض اجرى فيهما الشمس
القمر وبمسيرهما يكون الشهور والايام وبهما تعرف الشهور منها اربعة حرم اي من هذه
الاثني عشر شهرا اربعة اشهر حرم ثلثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد
فرد وهو رجب ومعنى حرم انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب
تعظمها حتى لو ان رجلا لقي قاتل ابيه فيها لم يهجه لحرمتها وانما جعل الله بعض هذه الشهور
اعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولانه ربما
ادى ذلك الى ترك الظلم اصلا لانطفاء النايرة وانكسار الحمية في تلك المدة فان الاشيا
تجر الى اشكالها وشهور السنة المحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه وصفر سمي بذلك لان
مكة تصفر من الناس فيه اي تخلو وقيل لانه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم وقال
ابو عبيدة سمي بذلك لانه صفرت فيه وطابهم من اللبن وشهر ربيع سميا بذلك لانبات
الارض ولمراعيها فيهما وقيل لارتباع القوم اي اقامتهم وجماديان سميتا بذلك لجمود
المياه فيهما ورجب سمي بذلك لانهم كانوا يرجبونه اي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف
والتشديد قال الكميت ولا غيرهم ابغي لنفسي جنة ولا غيرهم مما احل فارجب وقيل سمي
بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب اذا كان اقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال ان في الجنة نهرا يقال له رجب ماؤه اشد بياضا من الثلج
واحلى من العسل من صام يوما من رجب شرب منه وشعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه
عن ابي عمرو وروى زياد بن ميمون ان النبي صلى الله عليه واله قال انما سمي شعبان لانه
لتشعب فيه خير كثير الرمضان وشهر رمضان سمي بذلك لانه يرمض الذنوب وقيل سمي
بذلك لشدة الحر وقيل ان رمضان من اسماء الله تعالى وشوال سمي بذلك لان القبائل
كانت تشول فيه اي تبرح عن اماكنها وقيل لشولان النوق اذنابها فيه وذو القعدة
سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه ذلك الدين القيم اي الحساب
المستقيم الصحيح لا ما كانت العرب تفعله من النسي ومنه قوله الكيس من دان نفسه اي حاسبها
وسمي الحساب دينا لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعبادة وقيل معناه ذلك القضاء

المستقيم الحق عن الكلبي وقيل معناه ذلك الدين بعدته فهو اللازم فلا تظلموا فيهن اي في هذه الشهور
كلها عن ابن عباس وقيل في هذه الاشهر الحرم الاربعة عن قتادة واختاره الفراء قال
لانه لو اراد الاثنا عشر شهرا لقال فيها انفسكم بترك اوامر الله وارتكاب نواهيه واذا عاد
الضمير الى جميع الشهور يكون نهيا عن الظلم في جميع العمر واذا عاد الضمير الى الاشهر الحرم
ففائدة التخصيص ان الطاعة فيها اعظم ثوابا والمعصية اعظم عقابا وذلك حكم الله
في جميع الاوقات الشريفة والبقاع المقدسة وقاتلوا المشركين كافة اي قاتلوهم جميعا
مؤتلفين غير مختلفين كما يقاتلونكم كافة اي جميعا كذلك فيكون كافة حالا عن المسلمين
ويجوز ان يكون حالا عن المشركين اي قاتلوا المشركين جميعا ولا تتركوا منهم بعهد ولا ذمة
الا من كان من اهل الجزية واعطاها عن صغار والظاهر هو الاول وقيل قاتلوهم خلفا
بعد خلف كما انهم يخلف بعضهم بعضا في قتالكم عن الاصم واعلموا ان الله مع المتقين
بالنصرة والولاية وفي هذه الاية دلالة على ان الاعتبار في السنين بالشهور القمرية لا
بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة ولسهولة
معرفة ذلك على الخاص والعام قوله عز وجل إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
اية القراءة قرا ابو جعفر النسي بالتشديد من غير همز وقرا جعفر بن محمد عليهما السلام والزهري
النسي مخففا في وزن الهدى بغير همز وروي مثل ذلك ايضا عن شبل عن ابن كثير والباقون
النسيء بالمد والهمز وقرا يضل به بضم الياء وفتح الضاد اهل الكوفة غير ابي بكر وقرا يضل بضم
الياء وكسر الضاد اوقيه من طريق ابن مقسم عن ابي عمرو ورويس عن يعقوب والباقون
يضل بفتح الياء وكسر الضاد الحجة قال ابو علي النسيء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي
ولا يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كما قال بعض الناس لانه ان حمل على ذلك كان معناه انما
المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر بعينه بزيادة في الكفر وانما الزيادة في الكفر
تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فاما نفس الشهر فلا وانما ما روي من النسي

بالياء

بالياء فذلك يكون على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة في التاخير كما ان رجيت لغة في ارجأت وارجي
من النسي بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النبي بالياء لان
النبي بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسي كما ان مقروه في مقروء تخفيف قياسي
وليس النسي كذلك وذكر ابن جني فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون اراد النسي ثم خفف بان
ابدلت الهمزة ياء كما قال الشاعر اهبي التراب فوقه اهبايا اراد اهباء والثاني ان يكون
فعلا من نسيت لان النسي اذا اخر فكانه منسي والثالث وهو الصنعة ان يكون النسي على فعيل
ثم خفف وادغم فصار النسي ثم قصر فعيلا بحذف يائه فصار نسي ثم اسكن عين فعل فصار نسي
كما قال في سميع سمع وفي رطيب رطب وفي جديب جدب فاما قوله يضل فليس في يضل ان كان
ولا في يضل لان المضل لغيره ضال بفعله اضلال غيره فاما يضل فالمعنى فيه ان كبراءهم و
اشرافهم يضلونهم بحملهم على هذا التاخير في الشهور وقري في الشواذ يضل بفتح الياء والضاد
وهذه لغة اعني ضللت اضل اللغة قال ابو زيد نسات الابل اظماها يوما او يومين او اكثر
من ذلك والمصدر النسي ويقال نسات الابل عن الحوض انساها نسا اذا اخرتها عنه والمواطاة
الموافقة يقال واطأني فلان الشعر اذا قال بيتين على قافية واحدة وواطأته انا عليه المعنى لما قدم سبحانه
ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسي فقال انما النسي زيادة في الكفر يعني
تاخير الاشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الاربعة وذلك
مما تمسكت به من ملة ابراهيم واسمعيل وهم كانوا اصحاب حروب وغارات فربما كان يشق
عليهم ان يمكثوا ثلثة اشهر متوالية لا يغزون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر
فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يزول التحريم الى المحرم ولا يفعلون ذلك
الا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة في الكفر انهم احلوا ما حرم الله وحرموا ما
احل الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم
فيقول انا الذي لا اعاب ولا اجاب ولا يرد لي قضاء فيقولون نعم صدقت انسئنا شهرا واخر
عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر واحل المحرم فيفعل ذلك والذي كان ينساها حين جاء الاسلام
جناده ابن عوف بن امية الكناني قال ابن عباس واول من سن النسي عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف

وقال ابن اسلم بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان يقول ان انسات المحرم العام وهما العام صفران فاذا
كان العام القابل قضينا فجعلناهما محرمين قال شاعرهم ومنا ناسي الشهر القلمس وقال الكميت ونحن
الناسئون على معد شهور الحل نجعلها حراما وقال مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين
فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى
وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وآله في العام القابل
حجة الوداع فوافقت الحجة في ذي الحجة فذلك حين قال النبي صلى الله عليه وآله في خطبته الا ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة
حرم ثلثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان اراد عليه السلم
بذلك ان الاشهر الحرم رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء يضل به الذين
كفروا اي يضل بهذا النسيء الذين كفروا ومن قرأ بضم الياء فمعناه يضلون به غيرهم واضلالهم
انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الاشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها واوجب الحج في بعضها
فيستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه
وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم يحلونه عاما ويحرمونه عاما اي يجعلون الشهر الحرام
حلالا اذا احتاجوا الى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراما ويقولون شهر بشهر واذا
لم يحتاجوا الى القتال لم يفعلوا ذلك ليواطئوا عدة ما حرم الله معناه انهم لم يحلوا شهرا
من الحرم الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا
من الحرام ليكون موافقة في العدد وذلك المواطاة زين لهم سوء اعمالهم اي زينت لهم انفسهم
او زين لهم الشيطان سوء اعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك بهواهم والله لا يهدي
القوم الكافرين مر تفسيره قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَوةِ
الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيتان اللغة النفر الخروج الى الشيء
لامر هيج عليه ومنه نفور الدابة يقال نفرت الدابة نفورا ونفر الى الثغر نفرا ونفيرا والتثاقل

تعالى

تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطي وضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه
تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء التي لها اثمان متاع لشبهها به والاستبدال جعل
احد الشيئين بدل الآخر مع الطلب الاعراب اثاقلتم اصله تثاقلتم واصله تفاعلتم ادغمت التاء في الثاء
لمناسبتها لها ثم ادخلت الف الوصل ليمكن الابتداء بها ومثله اداركوا واتابع في قول الشاعر
تولي الضجيع اذا ما استافها خصرا عذب المذاق اذا ما اتابع القبل النزول قالوا لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وآله من الطائف امر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك الثمار
فاحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج الى القتال وكان عليه السلم قلما خرج
في غزوة الا كنى عنها وورى بغيرها الا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتاهب الناس
فاخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تثاقل الناس انزل الآية المعنى ثم عاتب سبحانه
المؤمنين في التثاقل عن الجهاد فقال يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم اي اذا دعاكم رسول
الله وقال لكم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى مجاهدة المشركين وهو ههنا غزوة تبوك
عن الحسن ومجاهد اثاقلتم الى الارض اي تثاقلتم وملتم الى الاقامة في الارض التي
انتم عليها قال الجبائي هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لان جميعهم لم يتثاقلوا
عن الجهاد فهو عموم اريد به الخصوص بدليل ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة هذا استفهام
يراد به الانكار ومعناه اثرتم الحيوة الدنيا الفانية على الحيوة في الآخرة الباقية في النعيم
الدائم فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل اي فما فوائد الدنيا ومقاصدها
في فوائد الآخرة ومقاصدها الا قليل لانقطاع هذه ودوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد
والوعيد الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ومعناه الا تخرجوا الى القتال الذي دعاكم اليه الرسول
وتقعدوا عنه يعذبكم الله عذابا موجعا في الآخرة وقيل في الدنيا ويستبدل بكم قوما غيركم
لا يتخلفون عن الجهاد وقيل هم ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم اهل اليمن عن ابي
روق وقيل هم الذين اسلموا بعد نزول هذه الآية عن الجبائي ولا تضروه شيئا اي ولا تضروا
الله بهذا القعود شيئا لانه غني لنفسه لا يحتاج الى شيء عن الحسن وابي علي وقيل معناه و
لا تضروا الرسول شيئا لان الله تعالى عصمه من جميع الناس وينصره بالملائكة وبقوم آخرين

من المومنين والله على كل شيء قدير فهو القادر على الاستبدال بكم وغير ذلك من الاشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد **قوله عز وجل إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** آية **القراءة** قرا يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع **الحجة** من نصب عطفه على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى اى وجعل كلمة الله هي العليا ومن رفع و استانف وهو ابلغ لانه يفيد ان كلمة الله هي العليا على كل حال **الاعراب** ثاني اثنين نصب على الحال وللعرب في هذا مذهبان احدهما قولهم هذا ثاني اثنين وثالث ثلثة ورابع اربعة و خامس خمسة اى احد اثنين واحد ثلثة واحد خمسة والآخر قولهم ثالث اثنين وخامس اربعة بمعنى انه ثلث اثنين وخمس اربعة فالاول اضافة حقيقة محضة والثاني اضافة غير محضة اذ هو في تقدير الانفصال اذ هما في الغار بدل من قوله اذ اخرجه الذين كفروا وضع احد الزمانين موضع الآخر لتقاربهما **المعنى** ثم اعلمهم الله سبحانه انهم ان تركوا نصرة رسوله لم يضره ذلك شيئا كما لم يضره قلة ناصره حين كان بمكة وهم به الكفار فتولى الله نصره فقال الا تنصروه فقد نصره الله معناه ان لم تنصروا النبي صلى الله عليه وآله على قتال العدو فقد فعل الله به النصر اذ اخرجه الذين كفروا من مكة فخرج يريد المدينة ثاني اثنين اذ هما في الغار يعني انه كان هو وابو بكر في الغار ليس معهما ثالث اى هو واحد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفردا الا من ابي بكر والغار الثقب العظيم في الجبل واراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة اذ يقول لصاحبه اى اذ يقول الرسول لابي بكر لا تحزن اى لا تخف ان الله معنا يريد انه مطلع علينا عالم بحالنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر الغار ارسل الله زوجا من حمام حتى باضا في اسفل الثقب والعنكبوت حتى نسجت بيتا فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما فراى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله احد لانكسر البيض ولنسج العنكبوت فانصرف وقال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اعم

ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وقال ابو بكر لو نظروا الى اقدامهم لراونا وروى علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له ابو كرز فما زال يقفوا اثر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف بهم على باب الغار فقال هذه قدم محمد هي والله اخت القدم التي في المقام وقال هذه قدم ابي قحافة او ابنه وقال ما جاوزوا هذا المكان اما ان يكونوا قد صعدوا في السماء او دخلوا في الارض وجاء فارس من الملائكة في صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه في هذه الشعاب فليس ههنا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال ابو بكر قد ابصرونا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله لو ابصرونا ما استقبلونا بعوراتهم فانزل الله سكينته عليه يعني على محمد صلى الله عليه وآله اى القى في قلبه ما سكن به وعلم انهم غير واصلين اليه عن الزجاج وايده اى قواه ونصره بجنود لم تروها يريد بملائكة يضربون وجوه الكفار وابصارهم عن ان يروه عن الزجاج وقيل قواه بالملائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه فاعانه بالملائكة يوم بدر اخبر الله سبحانه انه صرف كيد اعدائه وهو في الغار ثم اظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكلبي وقال بعضهم يجوز ان يكون الهاء راجعا الى ابي بكر وهذا بعيد لان الضماير قبل هذا وبعده تعود الى النبي صلى الله عليه وآله بلا خلاف وذلك في قوله الا تنصروه فقد نصره الله وفي قوله اذ اخرجه الذين وقوله لصاحبه وفي قوله فيما بعده وايده فكيف تتخللها ضمير يعود الى غيره وهذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وقال في سورة الفتح فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي صلى الله عليه وآله بالسكينة كلاما رأينا الاضراب عن ذكره احرى لئلا ينسبنا ناسب الى الرفض وجعل كلمة الذين كفروا السفلى معناه ان الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنية فاراد به انه سفل وعيدهم للنبي صلى الله عليه وآله وتخويفهم اياه وابطله بان نصره عليهم فعبر عن ذلك بان جعل كلمتهم السفلى لانه خلق كلمتهم وكلمة الله هي العليا اى هي المرتفعة

المنصورة بغير جعل جاعل لانها لا يجوز ان يدعوا الى خلاف الحكمة وقيل ان كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قول لا اله الا الله فمعناه جعل كلمة الكفار السفلى بان جعلهم اذلة اسفلين واعلى كلمة الله بان اعز الاسلام المسلمين والله عزيز في انتقامه من اهل الشرك حكيم في تدبيره قوله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ثلث ايات القراءة في الشواذ قراءة الاعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام في اوايل سورة البقرة اللغة القاصد السهل المقتصد من غير طول الا انما يقصد لسهولته وسمي العدل قصدا الا انما يقصد والشقة القطعة من الارض التي يشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل ان يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحتمل ان يكون من المشقة والشقة السفر والمسافة و قريش يضمون الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمون العين من بعدت وقيس يكسرونها المعنى ثم امر سبحانه بالجهاد وبين تاكد وجوبه على العباد فقال انفروا اي اخرجوا الى الغزو خفافا وثقالا اي شبابا وشيوخا عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطا وغير نشاط عن ابن عباس وقتادة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياء و فقراء عن ابي صالح وقيل اراد بالخفاف اهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال اهل الميسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركبانا ومشاة عن ابي عمرو وعطية العوفي وقيل ذا ضيعة وغير ذي ضيعة عن ابن زيد وقيل عزابا ومتاهلين عن يمان والوجه ان يحمل على الجميع فيقال معناه اخرجوا الى الجهاد خف عليكم او شق على اي حالة كنتم لان احوال الانسان لا تخلو من هذه الاشياء وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله وهذا يدل على ان الجهاد بالمال والنفس واجب على من استطاع بهما ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع ذلكم خير لكم معناه ان الخروج والجهاد بالنفس وبالمال خير لكم من التثاقل وترك الجهاد الى المباح ان كنتم تعلمون ان الله عز اسمه صادق في وعده ووعيده

عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين

١٣

وقيل

وقيل ان كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الاية اشتد شانها على الناس فنسخها بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية لو كان عرضا قريبا معناه لو كان ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا اي قريبا هينا وقيل قاصدا اي ذا قصد نحو تام وكلاهما عن المبرد وقيل سهلا متوسطا غير شاق لاتبعوك طمعا في المال ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة يعني غزوة تبوك امروا فيها بالخروج الى الشام وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم معناه ان هؤلاء سيعتذرون اليك في قعودهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وقدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم يهلكون انفسهم بما اتروه من الشرك وقيل باليمين الكاذبة والعذر الباطل لما يستحقون عليها من العقاب والله يعلم انهم لكاذبون في هذا الاعتذار والحلف وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله اذ اخبرهم انهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما اخبر به وفيه ايضا دلالة واضحة على ان القدرة قبل الفعل لان هؤلاء لا يخلوا اما ان يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا او لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا لو انهم قدروا في المستقبل لخرجوا فان كان الاول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان الثاني فقد كذبهم الله في ذلك وبين انه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك ايضا وجوب تقدم القدرة على المقدور فان حملوا الاستطاعة على وجود الآلة وعدم السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان عدم الآلة والعدة عذرا في التاخير فعدم القدرة اصلا احرى واولى ان يكون عذرا فيه ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله بما فيه بعض العتاب في اذنه لما استاذنه في التاخر عن الخروج معه الى تبوك فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم في التخلف عنك قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما النبي صلى الله عليه وآله لم يوحى بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون وهذا من لطيف المعاتبة بدا بالعفو قبل العتاب وهل كان هذا الاذن قبيحا ام لا قال الجبائي كان قبيحا ووقع صغيرا لانه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لانه يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته



كما يقول القائل لغيره اذا رآه يعاتب اخاه لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان يجوز له معاتبته
بما يشق عليه وكيف يكون اذنه لهم قبيحا وقد قال سبحانه في موضع آخر فاذا استاذنوك لبعض
شأنهم فاذن لمن شئت منهم وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهؤلاء في الخروج
لانهم استاذنوا فيه تملقا ولو خرجوا لازدادوا في الخبال والفساد ولم يعلم النبي صلى الله
عليه وآله ذلك من سريرتهم عن ابي مسلم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
اي حتى تعرف من له العذر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون اذنك لمن اذنت له على
علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يعرف المنافقين يومئذ
وقيل انه عليه السلام انما خيرهم بين الظعن والاقامة متوعدا لهم ولم يأذن لهم فاغتنم القوم
ذلك وفي هذا اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى ان يلزمهم الخروج معه حتى اذا لم يخرجوا
ظهر نفاقهم لانه متى اذن لهم ثم تأخروا لم يعلم النفاق كان تأخرهم ام لغيره وكان الذين استأذنوه
منافقين منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الانصار قوله عز وجل لا يستأذنك
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم و
الله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون آيتان المعنى ثم بين سبحانه حال
المؤمنين والمنافقين في الاستيذان فقال لا يستأذنك اي لا يطلب منك الاذن في القعود عن
الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقيل معناه لا يستأذنك في الخروج لانه مستغن عنه بدعائك
الى ذلك بل يتأهب له عن ابي مسلم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم المعنى في ان يجاهدوا فحذف في فاقتضى الفعل والله عليم بالمتقين قال ابن عباس
هذا تعيير للمنافقين حين استاذنوك في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في قوله لم يذهبوا
حتى يستأذنوه والمعنى انه لم يخرجهم من صفة المتقين الا لانه علم انه ليس في نيتهم انما يستأذن
في التأخر عن الجهاد والتخلف عن القتال معك وقيل في الخروج لان المنافق انما يستأذن
في الخروج تملقا ولا يتأهب كما يتأهب المؤمنون عن ابي مسلم الذين لا يؤمنون بالله اي
لا يصدقون به واليوم الآخر يعني بالبعث والنشور وارتابت قلوبهم اي اضطربت وشكت

فهم في

فهم في ريبهم يترددون فهم في شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب و
الرجوع مرة بعد اخرى مثل التحير واراد بهم المنافقين ان يتوقعون الاذن بشكهم في دين الله
ودينا وعد المجاهدين ولو انهم كانوا مخلصين لوثقوا بالنصر وبثواب الله فبادروا الى الجهاد
ولم يستأذنوك فيه قوله عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله
انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله
عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء
الحق وظهر امر الله وهم كارهون ثلث آيات اللغة العدة والاهبة والآلة نظائر
والانبعاث الانطلاق بسرعة في الامر وفلان لا ينبعث في الحاجة اي ليس له نفاذ فيها والتثبيط
التوقيف عن الامر بالتزهيد ومثله الترييث والخبال الفساد والخبال الموت والخبال
الاضطراب في الراي والخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والخبل فساد الاعضاء قال الشاعر
لستم بيد الا يدا مخبولة العضد والايضاع الاسراع في السير قال امرؤ القيس ارانا موضعين
لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وربما قالوا للراكب وضع بعيره وضعا ووضعت الناقة
تضع وضعا ووضوعا واوضعتها ايضا ايضاعا قال دريد بن الصمة يا ليتني فيها جذع اخب فيها
واضع خلالكم بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا بين الصفوف ولا يتخللكم الشياطين
كانها بنات حذف والتقليب تصريف الشيء بجعل اعلاه اسفله وتجول وقلب كل شيء عن
الآراء في الامور تحولها المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال ولو ارادوا الخروج
مع النبي صلى الله عليه وآله او رغبة في جهاد الكفار كما اراد المؤمنون ذلك لاعدوا له عدة اي
لاستعدوا للخروج عدة وهي ما يعد لامر يحدث قبل وقوعه والمراد لاخذوا اهبة الحرب
من الكراع والسلاح لان امارة من اراد امرا ان يتأهب له قبل حدوثه ولكن كره الله انبعاثهم
معناه ولكن كره الله خروجهم الى الغزو لعلمه انهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة بين
المسلمين وكانوا عيونا للمشركين وكان الضرر في خروجهم اكثر من الفائدة فثبطهم عن الخروج
الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي امرهم به لان الاول كفر والثاني طاعة فلا ينبغي ان يقال

كيف كره انبعاثهم بعدما امر به في الآية الاولى لانه انما امر بذلك على وجه الذب عن الدين ونية
الجهاد وكره ذلك على نية الضرب والفساد فقد كره غير ما امر به ومعنى ثبطهم بطاهم وخذلهم
لما يعلم منه الفساد وقيل اقعدوا مع القاعدين اي وقيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان ويحتمل
ان يكون القائلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله
للجهاد ويحتمل ان يكون ذلك من كلام النبي صلى الله عليه واله لهم على وجه التهديد والوعيد
لا على وجه الاذن ويجوز ان يكون ايضا على وجه الاذن لهم في القعود الذي عاتبه الله تعالى
عليه اذ كان الاولى ان لا ياذن لهم فيه ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم هذا يدل على
ان الاستيذان كان في الخروج وان الاذن من النبي صلى الله عليه وآله لهم كان في الخروج لانه
اذ كره الله سبحانه خروجهم اراد قعودهم واذن النبي صلى الله عليه وآله في قعودهم فلا عتب
عليه ولكنهم استاذنوا في الخروج تملقا وارادة للفساد فاذن النبي صلى الله عليه وآله
لهم فيه ولم يعلم ضمايرهم فاعلم الله تعالى ذلك من نياتهم ومنعهم من الخروج اذ كره خروجهم
ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهية انبعاثهم وتثبيطهم عن الخروج فقال لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم
الا شرا وفسادا وقيل غدرا ومكرا عن الضحاك وقيل يريد عجزا وجبنا عن ابن عباس اي
انهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو بتهويل الامر عليكم ولاوضعوا خلالكم اي ولاسرعوا
في الدخول بينكم بالضرب والافساد والنميمة يريد ولسعوا فيكم فيما بينكم بالتفريق
بين المسلمين ويكون تقديره لاوضعوا الابل وسطكم وقيل معناه لاوضعوا ابلهم خلالكم
يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي يبغونكم الفتنة يعدوا الابل وسطكم
ومعنى يبغونكم يبغون لكم او فيكم اي يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل
معناه يبغونكم ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو
ويخبرونكم انكم منهزمون وان عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك وفيكم سماعون لهم
اي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون اليهم ما يسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل
معناه وفيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفة المسلمين عن قتادة وابن اسحق وجماعة

والله عليم بالظالمين اي بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما اضمروا عليه من الفساد منهم
عبد الله بن ابي وجد بن قيس واوس بن قيظي ثم اقسم سبحانه فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل
الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم
وتشتت اهوائكم وافتراق آرائكم من قبل غزوة تبوك اي في يوم احد حين انصرف عبد الله
بن ابي باصحابه وخذل النبي صلى الله عليه وآله فصرف الله سبحانه عن المسلمين فتنتهم وقيل
اراد بالفتنة صرف الناس عن الايمان والقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل
اراد بالفتنة الفتك بالنبي صلى الله عليه في غزوة تبوك ليلة العقبة وكانوا اثني عشر رجلا
من المنافقين وقفوا على الثنية ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وآله عن سعيد بن جبير وابن
جريج وقلبوا لك الامور اي احتالوا في توهين امرك وايقاع الاختلاف بين المؤمنين
وفي قتلك بكل ما امكنهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون في كيدك وجها
من التدبير فاذا لم يتم ذلك فيه تركوه وطلبوا المكيدة في غيره فهذا تقليب الامور عن
ابي مسلم حتى جاء الحق معناه حتى جاء النصر والظفر الذي وعد الله به وظهر امر الله
اي دينه وهو الاسلام وظفر المسلمين على الكفار على رغمهم وهم كارهون اي في حال
كراهتهم لذلك فهي جملة في موضع الحال **قوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك
حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل
ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى
الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا
انا معكم متربصون** اربع آيات **القراءة** القراءة المشهورة لن يصيبنا وقرا طلحة بن مصرف
هل يصيبنا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود **النزول** قيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله
لما استنفر الناس الى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الاصفر فقام جد بن قيس اخو
بني سلمة من بني الخزرج فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله ائذن لي ولا تفتني ببنات الاصفر

فالى اخاف ان افتن بهن فقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى الآيات
عن ابن عباس ومجاهد فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبني سلمة من
سيدكم قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال عليه السلام واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى
الابيض الجعد بشر بن البراء بن معرور فقال في ذلك حسان بن ثابت وقال رسول الله
والقول لاحق بمن قال منا من تعدون سيدا فقلنا له جد بن قيس على الذي نبخله فيا
ان كان انكدا فقال واي داء ادوى من الذي رميتم به جدا وعالى بها ايدا وسود بشر بن
البراء لجوده وحق لبشر ذي الندا ان يسودا اذا ما اتاه الوفد انهب ماله وقال خذوه انه عائد
غدا **المعنى** ومنهم اى ومن المنافقين من يقول ائذن لى في القعود عن الجهاد ولا تفتني
ببنات الاصفر عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم اصفر لان حبشيا غلب على
ناحية الروم وكان له بنات قد اخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا
وقيل معناه لا تؤثمني اى لا توقعني في الاثم بالعصيان لمخالفة امرك في الخروج الى الجهاد
وذلك غير متيسر لي عن الحسن وقتادة والجبائي والزجاج الا في الفتنة سقطوا معناه
الا في العصيان والكفر وقعوا لمخالفتهم امرك في الخروج الى الجهاد وقيل معناه لا تفتني
بتكليف الخروج في شدة الحر الا قد سقطوا في حر اعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن ابي مسلم
ويدل عليه قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا وان جهنم لمحيطة
بالكافرين اى تحيط بهم فلا مخلص لهم منها ان تصبك حسنة تسؤهم هذا خطاب من الله
سبحانه للنبي صلى الله عليه واله ومعناه ان تنلك نعمة من الله وفتح وغنيمة تحزن المنافقين
وان تصبك مصيبة معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة في النفس والمال يقولوا
قد اخذنا امرنا من قبل اى اخذنا حذرنا واحترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد
ومعناه اخذنا امرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه ويتولوا وهم فرحون
اى رجعوا الى بيوتهم فرحين بما اصاب المؤمنين من الشدة قل يا محمد لهم لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا اى كلما يصيبنا من خير او شر فهو مما كتبه الله في اللوح المحفوظ من امرنا
وليس على ما تظنون وتتوهمون من اهمالنا من غير ان يرجع امرنا الى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا

في عاقبة امرنا الا ما كتبه الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وانا نظفر بالاعداء فيكون
النصرة حسنى لنا او نقتل فيكون الشهادة حسنى لنا ايضا اى فقد كتب الله لنا ما يصيبنا و
علينا ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبائي هو مولينا اى هو مالكنا ونحن عبيده وقيل هو
ولينا وناصرنا يحفظنا وينصرنا ويتولى حياطتنا ودفع الضرر عنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
هذا امر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عليه والرضا بتدبيره وتقديره وعلى الله فليتوكل
المؤمنون قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين معناه هل
ينتظرون لنا الا احدى الخصلتين الحميدتين والنعمتين العظيمتين اما الغلبة والغنيمة في
العاجل واما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم
وهل وان كان حرف الاستفهام فمعناه هنا التقريع بالتربص المودي صاحبه الى كل ما
يكره من خيبته وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه ونحن
نتربص بكم اى ونحن نتوقع بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا اى يوقع الله بكم
عذابا من عنده يهلككم به او بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بايدينا فتربصوا صورته صورة الامر والمراد
به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم لانه لو كان امرا لهم لكانوا في تربصهم بالمؤمنين القتل
مطيعين لله انا معكم متربصون اى منتظرون اما الشهادة والجنة واما الغنيمة والاجر
لنا واما البقاء في الذل والخزي واما الموت او القتل مع المصير الى النار لكم وهذه الآية
تفسير لقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقيل معناه فتربصوا هلاكنا فانا متربصون
هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في ابطال دين الله ونحن متربصون مواعيد
الله في اظهار دينه ونصرة نبيه واستيصال مخالفيه **قوله عز وجل قُلْ اَنْفِقُوا طَوْعًا
اَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ اِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ اَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ
نَفَقَاتُهُمْ اِلَّا اَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَاْتُونَ الصَّلٰوةَ اِلَّا وَهُمْ
كُسَالٰى وَلَا يُنْفِقُونَ اِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَلَا اَوْلَادُهُمْ
اِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**
ثلث آيات **القراءة** قرأ اهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون بالتاء **الحجة** وجه القراءة

بالتاء ان الفعل مسند الى مونث في اللفظ ووجه اليا ان التانيث ليس بحقيقي فجاز ان يذكر كما جاء
فمن جاءه موعظة اللغة الطوع الانقياد بارادة لم يحمل عليها والكره فعل الشي بكراهة
حمل عليها والمنع امر يضاد الفعل وينافيه وهو على وجهين منع ان يفعل ومنع ان يفعل
فهو لا منعوا ان يفعل بهم قبول نفقتهم والزهق الخروج بصعوبة واصله الهلاك وكل
هالك ناهق زهق يزهق زهوقا والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لانه
هالك بثقل بدنه في السير والكر والفر وزهق فلان بين ايدي القوم اذا ذهب سابقا
لهم حتى يهلك منهم والاعجاب السرور بما يتعجب منه يقال اعجبني حديثه اي سرني الاعراب
انفقوا طوعا او كرها لفظه امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طايعين
او مكرهين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا
ولا مقلية ان تقلت فلم يامرها بالاساءة ولكن اعلمها ان اساءت او احسنت فهو
على عهدها وكانه قال ان احسنت او اساءت لم تلامي قال الزجاج وان قال قايل كيف
يكون الامر في معنى الخبر قيل له اذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر في
معنى الامر والدعا كقولك غفر الله لزيد ورحمه معناه اللهم اغفر له وارحمه وقوله
ان يقبل في موضع نصب وتقديره من ان يقبل وانهم كفروا في موضع رفع المعنى ما منعهم
من قبول نفقاتهم الا كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منعهم الله منه الا انهم كفروا
المعنى ثم بين سبحانه ان هولاء المنافقين لا ينتفعون بما ينفقون مع اقامتهم على الكفر فقال
قل يا محمد لهولاء انفقوا طوعا او كرها اي طايعين او مكرهين لن يتقبل منكم انكم كنتم
قوما فاسقين معناه انما لم يتقبل منكم لانكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه
انما يتقبل من المومنين المخلصين وما منعهم ان يقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله ورسوله اي وما منع هولاء المنافقين ان يثابوا على نفقاتهم الا كفرهم بالله
ورسوله وذلك مما يحبط الاعمال ويمنع من استحقاق الثواب عليها ولا ياتون الصلوة
الا وهم كسالى اي متثاقلين والمعنى لم يودوها على الوجه الذي امروا ان يودوها على ذلك
الوجه ولا ينفقون الا وهم كارهون لذلك لانهم انما يصلون وينفقون للرياء والستر

بالاسلام لا لابتغاء مرضات الله تعالى وفي هذا دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرايع لانه سبحانه
ذمهم على ترك الصلوة والزكوة ولولا وجوبهما عليهم لم يذموا بتركهما فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم الخطاب للنبي صلى الله عليه واله والمراد جميع المومنين وقيل
يريد لا يعجبك ايها السامع اي لا تاخذ بقلبك ما تراه من كثرة اموال هولاء المنافقين
وكثرة اولادهم ولا تنظر اليهم بعين الاعجاب انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
قد ذكر في معناه وجوه احدها ان فيه تقديما وتاخيرا اي لا تسرك اموالهم واولادهم
في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة عن ابن عباس وقتادة فيكون
الظرف على هذا متعلقا باموالهم واولادهم ومثله قوله تعالى فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر
ماذا يرجعون والتقدير فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وثانيها ان معناه
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وامرهم بالانفاق في
الزكوة والغزو فيودونها على كره منهم ومشقة اذ لا يرجون به ثوابا في الاخرة فيكون
ذلك عذابا لهم عن الحسن والبلخي وثالثها ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بحفظها والمصايب
فيها مع حرمان المنفعة بها عن ابن زيد ورابعها ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بها
في الحيوة الدنيا اي بسبي الاولاد وغنيمة الاموال عند تمكن المومنين من اخذها وغنمها
فيتحسرون عليها ويكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائي وخامسها ان المراد يعذبهم بجمعها
وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت
لانهم يفارقونها ولا يدرون الى ما يصيرون واللام في قوله ليعذبهم يحتمل ان يكون بمعنى
ان ويحتمل ان يكون لام العاقبة والتقدير انما يريد الله ان يملي لهم فيها ليعذبهم وتزهق
انفسهم اي تهلك وتذهب بالموت وهم كافرون جملة في موضع الحال اي حال كونهم
كافرين والارادة تعلقت بزهوق انفسهم لا بالكفر وهذا كما يقول اريد ان اضربه وهو
عاص فالارادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان قوله عز وجل وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ
لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا
لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ايتان القراءة قرا يعقوب وسهل او مدخلا بفتح الميم وهو قراءة

ابن ابي اسحق والحسن والباقون مدخلا وفي الشواذ قراة سلمة ابن محارب او مدخلا بضم الميم
وسكون الدال وقراة الاعرج مدخلا بتشديد الدال والخاء وقراة انس وهم يجمزون رواه
الاعمش عنه الحجة اما قوله مدخلا في القراة المشهورة فاصله متدخلا لكن التاء تبدل بعد
الدال دالا لان التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان
الكلام من وجه واحد اخف ومن قرا مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرا مدخلا
فهو من ادخلته مدخلا قال الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا ومن قرا
مدخلا بتشديد الدال والخاء جعله متدخلا ثم ادغم التاء في الدال وفي رواية الاعمش انه
سمع انسا يقرا يجمزون فقال وما يجمزون فقال يجمزون ويجمحون ويشتدون واحد اللغة
الفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر واصله من مفارقة الامن الى حال الانزعاج والملجأ
الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل والمعتصم نظاير والمغارات جمع مغارة
مفعلة من غار الشيء في الشيء يغور اذا دخل منه في موضع يستره والغار النقب في الجبل
والمدخل المسلك الذي يندس بالدخول فيه وهو مفتعل والجماح مضي المار مسرعا على وجه
لا يرده شيء عنه وقيل هو المشي بين الشيين قال مهلهل لقد جمحت جماحا في دمائهم حتى رات
ذوي احسابهم خمدوا والجموح الراكب هواه قال خلعت عذاري جامحا ما يردني عن البيض امثال
الدمى زجر زاجر المعنى ثم اظهر سبحانه سرا من اسرار القوم فقال ويحلفون بالله انهم لمنكم
اي يقسم هولاء المنافقون انهم لمن جملتكم ايها المؤمنون اي مومنون امثالكم وما هم منكم
اي ليسوا مومنين بالله كما انتم كذلك ولكنهم قوم يفرقون اي يخافون القتل والاسر
ان لم يظهروا الايمان لو يجدون ملجأ اي لو يجد هولاء المنافقون حرزا عن ابن عباس
وقيل حصنا عن قتادة او مغارات اي غيرانا في الجبال عن ابن عباس وقيل سراديب عن عطا
او مدخلا اي موضع دخول ياوون اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد
وقيل اسرابا في الارض عن ابن عباس وابي جعفر عليهما السلم وقيل وجها يدخلونه على خلاف
رسول الله عن الحسن لولوا اليه اي لعدلوا اليه وقيل لاعرضوا عنكم اليه وهم يجمحون اي يسرعون
في الذهاب اليه ومعنى الاية انهم من خبث دخلتهم وسريرتهم وحرصهم على اظهار ما في نفوسهم

من النفاق والكفر لو اصابوا شيا من هذه الاشيا لاووا اليه اي لجاهروا بما يضمرونه وليردوه
اعرضوا عنك قوله عز وجل وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَ
إِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ
آيتان القراة قرا يعقوب يلمزك بضم الميم وهي قراة الحسن والاعرج والباقون بكسر الميم اللغة
يقال لمزت الرجل المزه والمزه اذا عبته وكذلك همزته قال الشاعر اذا لقيتك تبدي لي مكاشرة
وان تغيبت كنت الهامز اللمزه وقيل الهمز العيب بكسر العين وهمزها اي بكسر عينه والهمز العيب
على وجه المسارة وقيل لاعرابي اتهمز الفارة قال الهر يهمزها فاوقع الهمز على الاكل والهمز
كاللمز النزول عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه واله يقسم قسما
وقال ابن عباس كانت غنايم هوازن يوم حنين اذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص
ابن زهير اصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله صلى الله عليه واله فقال ويلك ومن
يعدل اذا لم اعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فاضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه
واله دعه فان له اصحابا يحتقر احدكم صلاته مع صلوتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد
فيه شيء قد سبق الفرث والدم ايتهم رجل اسود في احدى ثدييه او قال في احدى يديه مثل
ثدي المراة او مثل البضعة يدردر يخرجون على فترة من الناس وفي حديث آخر فاذا خرجوا
فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم فنزلت ومنهم من يلمزك في الصدقات
الاية قال ابو سعيد الخدري اشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه واله واشهد
ان عليا حين قتلهم وانا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته رسول الله صلى الله عليه واله
رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره وقال الكلبي نزلت في المولفة قلوبهم وهم المنافقون
قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسوية فانزل الله الاية وقال الحسن اتاه رجل وهو
يقسم قال الست تزعم ان الله امرك ان تضع الصدقات في الفقراء والمساكين قال بلى قال
فما لك تضعها في رعاة الغنم قال ان نبي الله موسى كان راعي غنم فلما ولى الرجل قال عليه

احد ولهذا وقال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه ثم
الآية المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم فقال ومنهم اي هؤلاء المنافقين من يلمزك في الصدقات اي
يعيبك ويطعن عليك في امر الصدقات فان اعطوا منها اي من تلك الصدقات رضوا
واقروا بالعدل وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اي يغضبون ويعيبون وقال ابو عبد الله
عليه السلام اهل هذه الآية اكثر من ثلثي الناس ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله معناه
ولو ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بها رضوا بما اعطاهم
الله ورسوله وقالوا مع ذلك حسبنا الله اي كفانا الله او كافينا الله سيؤتينا الله من
فضله ورسوله اي سيعطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا
انا الى الله راغبون في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن اموال الناس وقيل معناه راغبون
فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجواب لو محذوف وتقديره لكان
خيرا لهم واعود عليهم وحذف الجواب في مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم بيانه قوله عز وجل
انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم
وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله
عليم حكيم آية الاعراب قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لان قوله انما
الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء المعنى ثم بين سبحانه لمن الصدقات
فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين ومعناه ليست الصدقات التي هي زكوة الاموال
الا لهؤلاء واختلف في الفقراء والمساكين على قولين احدهما انهما صنف واحد وانما
ذكر الصنفان تأكيدا للامر وهو قول ابي علي الجبائي واليه ذهب ابو يوسف ومحمد رحمهما الله
فقالا فيمن قال ثلث مالي للفقراء والمساكين ولفلان ان لفلان نصف الثلث ونصفه الآخر
للفقراء والمساكين لانهما صنف واحد والآخر وهو قول الاكثرين انهما صنفان وهو
قول الشافعي وابي حنيفة رحمهما الله فانه قال في المسئلة المذكورة ان لفلان ثلث الثلث وثلثي
الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على اقوال فقيل ان الفقير هو المتعفف الذي
لا يسأل والمسكين الذي يسأل عن ابن عباس والحسن والزهري ومجاهد ذهبوا الى ان المسكين مشتق

من المسكنة

من المسكنة بالمسألة وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام وقيل ان الفقير الذي يسأل والمسكين الذي
لا يسأل وجاء في الحديث ما يدل على ذلك فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى
فيغنيه ولا يسأل الناس شيئا ولا يفطن به فيتصدق عليه وقيل ان الفقير هو الزمن المحتاج
والمسكين هو الصحيح المحتاج عن قتادة وقيل الفقراء المهاجرون والمساكين غير المهاجرين
عن الضحاك وابراهيم ثم اختلف من وجه آخر فقيل ان الفقير اسوأ حالا من المسكين فان
الفقير هو الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلغة من العيش لا يكفيه واليه ذهب الشافعي
وابن الانباري واحتجا بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وبان الفقير
مشتق من فقار الظهر فكأن الحاجة قد كسرت فقار ظهره وقيل ان المسكين اسوأ حالا
من الفقير فان الفقير الذي له بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول ابي حنيفة
والقتيبي وابن دريد وائمة اللغة وانشد يونس اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال
فلم يترك له سبد فسماه فقيرا وجعل له حلوبة واجابوا عن السفينة بانها كانت شركة
بين جماعة ولكل واحد منهم الشيء اليسير وايضا فانه يجوز ان يكون سماهم مساكين على
وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين اهل النار وقال الشاعر مساكين اهل الحب حتى
قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر وقيل انهم كانوا يعملون عليها اجارة فاضيفت اليهم
والعاملين عليها يعني سعاة الزكوة وجباتها والمؤلفة قلوبهم وكان هؤلاء قوما
من الاشراف في زمن النبي صلى الله عليه وآله وكان يعطيهم سهما من الزكوة ليتألفهم
به على الاسلام وليستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف في هذا السهم هل هو ثابت
بعد النبي صلى الله عليه وآله ام لا فقيل هو ثابت في كل زمان عن الشافعي واختاره الجبائي
وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام الا انه قال من شرطه ان يكون هناك امام عادل يتألفهم
على ذلك وقيل ان ذلك كان خاصا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم سقط بعده
لان الله سبحانه اعز الاسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعبي وهو قول ابي حنيفة واصحابه
وفي الرقاب يعني فك الرقاب من العتق واراد به من المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشترى منه

ثلث

عبد مؤمن اذا كان في شدة ويعتق ويكون ولاؤه لارباب الزكوة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك والغارمين وهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية ولا اسراف فيقضي عنهم ديونهم وفي سبيل الله وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطا وهو اختيار البلخي وجعفر ابن مبشر قال الواسطي بناء المساجد والقناطير وغير ذلك وابن السبيل وهو المسافر المنقطع به يعطى من الزكوة وان كان غنيا في بلده ذا يسار وانما سمي ابن السبيل للزومه الطريق فنسب اليه كما قال الشاعر انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكتهلت لداتي وقيل هو الضيف عن قتادة فريضة من الله اي مقدرة واجبة قدرها الله وحتمها والله عليم بحاجة خلقه حكيم فيما فرض عليهم واوجب من اخراج الصدقات وغير ذلك قوله عز وجل وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ثلث آيات القراءة قرا عاصم في رواية الاعشى والبرجمي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضم والتنوين فيهما وهو قراءة الحسن وقتادة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرا الباقون اذن خير لكم بالاضافة وقرا نافع اذن خير ساكنة الذال في كل القرآن وقرا حمزة وحده ورحمة للذين امنوا بالجر والباقون ورحمة بالرفع الحجة قال ابو علي الاذن في الآية اذا خففت او ثقلت فانه يجوز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة عن جارحة منها قال الخليل الناب من الابل سمي به لمكان الناب البازل فسميت الجملة كلها به وقالوا للربيئة هو عين القوم والربيئة هو عينهم ويجوز فيه شيء آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير تبدوا فتبدي جمالا زانه خفر اذا الزانيات السود العناكيب فاجرى العناكيب وصفا عليهن يريد انهن من الحقارة والدمامة كالعناكيب وقال آخر فلولا الله والمهر المفدى لابت وانت غربال الاهاب فجعله غربالا لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن وكذلك قد يقال هو اذن

اجرى

اجرى على الجملة اسم الجارحة لما اراد به من كثرة استعماله لها في الاصغاء بها ويجوز ان يكون فعلا من اذن ياذن اذنا اذا استمع ومنه قوله واذنت لربها اي سمعت وقوله اذنك لي اي استمع لي وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لمن يتغنى بالقرآن فعلى هذا يكون معناه كثير الاستماع مثل انف وسجح قال ابو زيد رجل اذن اذا كان يصدق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم بالاضافة وهو الاكثر في القرآن معناه انه اذن خير اي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ اليه لا مستمع شر ومن قرا اذن خير لكم قال الزجاج معناه يستمع منكم ويكون قريبا منكم قابلا للعذر خير لكم قال ابو علي ومن رفع ورحمة كان المعنى هو اذن خير ورحمة جعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر واما الجر في رحمة فعلى العطف على خير كانه اذن خير ورحمة فان قلت افيكون اذن رحمة فان هذا لا يمتنع لان الاذن في معنى مستمع في الاقوال الثلثة التي تقدمت فكانه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فان قلت فهلا استغنى بشمول الخير الرحمة وغيرها من تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمتنع كما لم يمتنع اقرا باسم ربك الذي خلق ثم خص فقال خلق الانسان وان كان قوله خلق يعم الانسان وغيره فكذلك الرحمة اذا كانت من الخير لم يمتنع ان يعطف فتخصيص الرحمة بالذكر من بين ضروب الخير لغلبة ذلك في وصفه وكثرته كما خص الانسان بالذكر وان الخلق قد عمه وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمتنع من العطف الا ترى ان من قرا وقيله يا رب انما يحمله وعنده علم الساعة وعلم قيله اللغة الفرق بين الاحق والاصلح ان الاحق قد يكون من غير صفات كقولك زيد احق بالمال ولا اصلح لا يقع هذا الموقع لانه من صفات ويقول الله احق بان يطاع ولا يقول اصلح والمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة وهي المخالفة والمجانبة والمعاداة نظاير واصله المنع والحد ما يعترض الانسان من النزق لانه يمنعه من الواجب والخزي الهوان وما يستحيا منه الاعراب اذن خير خبر مبتدا محذوف ومن لم يضف جعل خيرا صفة الاذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم او على المعنى لان معنى يؤمن يصدق فعدي باللام كما عدي

مصدقة في نحو قوله مصدقا لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين ايمان التصديق وايمان
الامان قوله فان له نار جهنم يحتمل ان يكون العامل في ان احد امرين اما ان يكون على تقدير
حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم او فبان له نار جهنم واما ان يكون اعادة ان الاولى
على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج واقول ان هذا على مذهب ابي
الحسن وابي علي الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بظرف مضمر محذوف من هذا
الموضع لطول الكلام وتقديره فله ان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز
ان يكون خبر مبتدا محذوف والتقدير فامره او شأنه ان له نار جهنم ولا يجوز ان يرتفع
بفعل مضمر لان الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما يدخل الفاء في جواب
الشرط اذا كان مبتدا وخبرا وجملة فعلية غير خبرية نحو قوله فقولي اني نذرت
هذا مذهب سيبويه قال الزجاج ولو قرئ فان له بكسر الهمزة على وجه الاستئناف
لكان جائزا فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقرا به احد النزول قيل نزلت في جماعة
من المنافقين منهم الجلاس بن سويد وشاس بن قيس ومخشي بن حمير ورفاعة بن
عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغ محمدا
ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول
فان محمدا اذن سامعة فانزل الله الاية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له
نبتل بن الحرث وكان رجلا ادلم احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وكان ينم
حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الى المنافقين فقيل لا تفعل فقال انما محمد
اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا وهو الذي قال
فيه النبي صلى الله عليه وآله من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث
عن محمد بن اسحق وغيره وقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الاية قيل انها نزلت في رهط
من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من
تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلفهم ويعتلون ويحلفون فنزلت الاية عن مقاتل
والكلبي وقيل نزلت في جلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد

حقا

حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فقال والله انما يقول
محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وآله فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا
كذاب فنزلت الاية عن قتادة والسدي المعنى ثم رجع سبحانه الى ذكر المنافقين فقال
ومنهم اي من هؤلاء المنافقين الذين يؤذون النبي والاذى قد يكون بالفعل وقد يكون
بالقول وهو هنا بالقول ويقولون هو اذن معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصغي اليه ويقبله
قل يا محمد اذن خير لكم اي هو اذن خير يسمع الى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يسمع
الخير ويعمل به ومن قرا اذن خير لكم فمعناه قل كونه اذنا اصلح لكم لانه يقبل عذركم ويستمع اليكم
ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تعيبونه بما هو خير لكم واصلح يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين معناه انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير فلا يقبل الا الخير الصادق من الله ويصدق
المؤمنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فاللام للمؤمنين تصديقه
لهم على هذا القول وقيل يؤمن للمؤمنين اي يؤمنهم فيما يلقي اليهم من الامان ولا يؤمن المنافقين
بل يكونون على خوف وان حلفوا ورحمة للذين امنوا منكم اي هو رحمة لهم لانهم انما نالوا
الايمان بهدايته ودعائه اياهم والذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله لهم عذاب
اليم في الاخرة يحلفون بالله لكم ليرضوكم اخبر سبحانه ان هؤلاء المنافقين يقسمون بالله
ان الذي بلغكم عنهم باطل اعتذارا اليكم وطلبا لمرضاتكم والله ورسوله احق ان يرضوه
اي والله ورسوله احق واولى بان يطلبوا مرضاتهم ان كانوا مؤمنين مصدقين بالله
مقرين بنبيه وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام
عليه كما هو في قول الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف والمعنى نحن
بما عندنا راضون وانت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقريع والتوبيخ لهؤلاء
المنافقين الم يعلموا اي اوما علموا انه من يحادد الله ورسوله اي من يجاوز حدود الله التي
امر المكلفين ان لا يتجاوزها وانما قال الم يعلموا لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن
علمه اي هلا علموا بعد ان مكثوا من علمه وقيل هو امر بالتعليم اي يجب ان يعلموا بهذا الخبر وبالدلائل
وقيل معناه الم يخبرهم النبي صلى الله عليه وآله بذلك عن الجبائي فان له نار جهنم خالدا فيها اي دائما

ذلك الخزي الهوان والذل العظيم قوله عز وجل يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ
لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ
كَانُوا مُجْرِمِينَ ثلث آيات القراءة قرأ عاصم ان نعف ونعذب بالنون طائفة بالنصب
وقرأ الباقون ان يعف بالياء وضمها وفتح الفاء وتعذب بالتاء وضمها طائفة بالرفع الحجة
قال ابو علي حجة من قال ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قال ان يعف فالمعنى معنى نعف
اما تعذب بالتاء فلان الفعل في اللفظ مسند الى مؤنث اللغة الحذر اعداد ما يتقي الضرر
ورجل حذر متيقظ متحرز ورجل حذريان كثير الحذر شديد الفزع والمنافق الذي يظهر من
الايمان خلاف ما يبطن من الكفر مشتق من نافقاء اليربوع لانه يخفي بابا ويظهر بابا ليكون
اذا اتي من احدهما خرج من الاخر والخوض دخول القدم فيما كان مائعا من الماء والطين ثم
كثر حتى استعمل في غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتعجيل اللذة كفعل الصبي الذي لا
يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والاجرام الانقطاع عن الحق الى
الباطل يقال جرم التمر اذا صرمه وتجرمت السنة اذا انصرمت النزول قيل نزلت في اثني عشر رجلا
وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وآله عند رجوعه من تبوك فاخبر جبرئيل
رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار
كان يقود دابة رسول الله صلى الله عليه وآله وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه
رواحلهم فضربهم حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم
احدا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انه فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة
الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم عن ابن كيسان
وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام مثل ذلك الا انه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان
فطن نقول انما كنا نخوض ونلعب وان لم يفطن نقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في
غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه

ع ١٥

صلى الله عليه

صلى الله عليه وآله على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله
انما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الآية ولئن سألتهم ليقولن عن الحسن وقتادة
وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك الى المدينة وكان بين يديه اربعة نفر او ثلثة نفر
يستهزؤن ويضحكون واحدهم يضحك ولا يتكلم فنزل جبرئيل واخبر رسول الله صلى الله عليه
وآله بذلك فدعا عليه الصلوة والسلم عمار بن ياسر وقال ان هؤلاء مستهزؤن بي وبالقرآن
اخبرني جبرئيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم
لم تضحكون قالوا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم احرقكم الله فاقبلوا
الى النبي صلى الله عليه وآله يعتذرون فانزل الله تعالى الآيات عن الكلبي وعلي بن ابرهيم
وابي حمزة وقيل ان رجلا قال في غزوة تبوك ما رايت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هؤلاء
يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولاخبرن
رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل معتذرا وقال
انما كنا نخوض ونلعب ففيه نزلت الآية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا
من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت
الآية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن ابي ورهطه عن الضحاك المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم
فقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فيه قولان احدهما انه اخبار
بانهم يخافون ان يفشوا سرائرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين
والمعنى انهم يحذرون عن ان تنزل عليهم اي على النبي والمؤمنين سورة يخبر عما في قلوبهم من
النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر انما اظهروه على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق
حين راوا ان رسول الله ينطق في كل شيء من الوحي وقال بعضهم لبعض احذروا لا ينزل وحي
فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن ابي مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون عليه السلم
صادقا فينزل عليه الوحي فيفتضحون عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم
ثم يقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا عن مجاهد والثاني ان هذا اللفظ لفظ الخبر ومعناه
الامر فهو كقولك ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم من النفاق

وحسن ذلك لان موضوع الكلام على التهديد قل استهزءوا معناه قل يا محمد للمنافقين استهزءوا
اي اطلبوا الهزء وهو وعيد بلفظ الامر ان الله مخرج ما تحذرون اي مظهر ما تحذرون
من ظهوره والمعنى ان الله مبين لنبيه باطن حالكم ونفاقكم ولئن سألتهم عن طعنهم في الدين
واستهزائهم بالنبي صلى الله عليه وآله وبالمسلمين ليقولن انما كنا نخوض ونلعب واللام للتاكيد
والقسم ومعناه لقالوا انما كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجد ولكن على طريق
اللعب واللهو فكان عذرهم اشد من جرمهم قل يا محمد ابالله وآياته اي حججه وبيناته وكتابه
ورسوله محمد صلى الله عليه وآله كنتم تستهزءون ثم امر الله سبحانه نبيه ان يقول لهؤلاء
المنافقين لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة قد كفرتم بعد ايمانكم اي فانكم بعد ما فعلتموه
قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين للايمان الذي يحكم لمن اظهره بانه مؤمن ولا يجوز ان يكونوا
مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون لما تقرر بالدليل وذكر في غير موضع
ان المؤمن لا يجوز ان يكفر ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين اي كانوا
مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا يعذب طائفة
اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطائفة اسم للجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يطيف
لغيره ويحيط به وقد يسمى الواحد طائفة بمعنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وقد ورد في الآثار عن ائمتنا عليهم السلام ان اقل
من يحضر عذابهما واحد من المؤمنين فصاعدا ويروى ان هاتين الطائفتين كانوا ثلثة
نفر فهزئ اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشي بن حمير فعفى الله
عنه قوله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين
هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من
قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي

خاضوا

خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون الم
يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب
مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون اربع آيات اللغة الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المأكل
والمشارب والمناكح والخلاق النصيب سواء كان عاجلا او آجلا وقال الزجاج النصيب
الذي هو عند صاحبه وافر الحظ والمؤتفكات جمع مؤتفكة قد ائتفكت بهم الارض اي
انقلبت الاعراب موضع الكاف من قوله كالذين من قبلكم نصب اي وعدكم الله على الكفر
به كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذي خاضوا نصب بانه صفة لمصدر
محذوف وتقديره واستمتعتم استمتاعا مثل استمتاعهم وخضتم خوضا مثل خوضهم قال
جامع العلوم النحوي البصير كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيبويه كالذي خاضوا
فيه فحذف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الهاء وعلى قول يونس والاخفش الذي مصدري
والتقدير كالخوض الذي خاضوه ومثل هذا اختلافهم في قوله ذلك الذي يبشر الله
به عباده على قول سيبويه تقديره يبشر الله به وعلى قول يونس والاخفش ذلك تبشير
الله عباده المعنى ثم ذكر سبحانه احوال اهل النفاق فقال المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض اي بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف الى بعض في الاجتماع على النفاق
والشرك كما يقال انا من فلان وفلان مني اي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه
بعضهم على دين بعض عن الكلبي وقيل بعضهم من بعض في لحوق مقت الله بهم جميعا عن
ابي مسلم يأمرون بالمنكر اي بالشرك والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الافعال الحسنة
التي امر الله بها وحث عليها ويقبضون ايديهم اي يمسكون اموالهم عن انفاقها في
طاعة الله ومرضاته عن قتادة والحسن وقيل معناه يمسكون ايديهم عن الجهاد في سبيل الله
عن الجبائي نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعة الله فتركهم في النار وترك رحمتهم واثابتهم
عن الاصم وقيل معناه جعلوا الله كالمنسي حيث لم يتفكروا في ان لهم صانعا فيثيبهم ويعاقبهم
لمنعهم ذلك عن الكفر والافعال القبيحة فجعلهم سبحانه في حكم المنسي عن الثواب وذكر ذلك

لازدواج الكلام لان النسيان لايجوز عليه تعالى ان المنافقين هم الفاسقون اى هم الخارجون
عن الايمان بالله ورسوله وعن طاعاته وقيل الفاسقون المتمردون فى الشرك وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم اخبر سبحانه بانه وعد الذين يظهرون الاسلام
ويبطنون الكفر النار وكذلك الكفار وانما فصل النفاق من الكفر وان كان النفاق
كفرا ليبين الوعيد على كل واحد من الصنفين خالدين فيها اى دايمين فيها هي حسبهم
معناه نار جهنم والعقاب فيها كفاية ذنوبهم كما يقول عذبتك حسب فعلك وحسب
فلان ما نزل به اى ذلك على قدر فعله ولعنهم الله اى ابعدهم من جنته وخيره ولهم
عذاب مقيم اى دايم لا يزول كالذين من قبلكم اى وعدكم على النفاق والاستهزاء كما
وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل
فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الامم الخالية كانوا اشد منكم قوة فى ابدانهم و
اكثر اموالا واولادا فلم ينفعهم ذلك شيئا وحل بهم عذاب الله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم
اى بنصيبهم وحظهم من الدنيا بان صرفوها فى شهواتهم المحرمة عليهم وفيما نهاهم الله
عنه ثم اهلكوا فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم اى فاستمتعتم
انتم ايضا بحظكم من الدنيا كما استمتعوا هم وخضتم كالذي خاضوا اى وخضتم بالكفر
والاستهزاء بالمومنين كما خاض الاولون اولئك حبطت اعمالهم التى تقع طاعة من
المؤمنين مثل الانفاق فى وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها اذ لم يستحقوا عليها ثوابا
فى الاخرة ولا تعظيما وتبجيلا فى الدنيا لكفرهم وشركهم واولئك هم الخاسرون خسروا
انفسهم واهلكوا بفعل المعاصى المودية الى الهلاك وورد فى الرواية عن ابن عباس انه
قال فى هذه الاية ما اشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم
لا اعلم الا انه قال والذي نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه
وروى مثل ذلك عن ابي هريرة وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله
قال لتاخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو ان
احدا من اولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم واهل

الكتاب

الكتاب قال فهل الناس الا هم قال عبد الله بن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرائيل سمتا وهديا تتبعون
عملهم حذو القذة بالقذة غير انى لا ادري اتعبدون العجل ام لا وقال حذيفة المنافقون الذين
فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه واله قلنا
كيف قال اولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء اعلنوه اورد جميعها الثعلبى فى تفسيره
ثم قال سبحانه الم ياتهم اى الم يات هؤلاء المنافقين الذين وصفهم نبا الذين من قبلهم اى
خبر من كان قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين ذكر سبحانه الامم
الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يامنوا
ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك فاهلك سبحانه قوم نوح بالغرق وعادا قوم هود بالريح
الصرصر وثمود قوم صالح بالرجفة وقوم ابراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود واصحاب
مدين وهي البلدة التى فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلدة
اليه وقد مر ذكره والمؤتفكات اى المنقلبات وهي ثلث قرى كان فيها قوم لوط و
لذلك جمعها بالالف والتاء عن الحسن وقتادة وقال فى موضع اخر والمؤتفكة اهوى جعلها
بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالخسف وقلب المدينة عليهم اتتهم رسلهم بالبينات اى
بالبراهين والحجج والمعجزات فما كان الله ليظلمهم اى ما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
اى ولكن عاقبهم باستحقاق اذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فاهلكهم بكفرهم وعصيانهم قوله
عز وجل وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ
يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ
أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ
رِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ
الْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ثم ايات اللغة العدن الاقامة
والخلود نظائر ومنه المعدن قال الاعشى فان تستضيفوا الى حلمه تضافوا الى راجح قد عدن
والرضوان مصدر رضي يرضى رضى ورضوانا والجهاد ممارسة الامر الشاق واصله من الجهد

ع
١٢

المعنى لما ذكر سبحانه المنافقين ووصفهم بقبيح خصالهم اقتضى الحكمة ان يذكر المومنين ويصفهم بضد
اوصافهم ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال والمومنون والمومنات
بعضهم اولياء بعض اي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته
حتى ان المراة تهيئ اسباب السفر لزوجها اذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على
من سواهم يامرون بالمعروف وهو ما اوجب الله تعالى فعله او رغب فيه عقلا او شرعا
وينهون عن المنكر وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلا او شرعا ويقيمون الصلوة
ويوتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اي يداومون على فعل الصلوة واخراج الزكوة
من اموالهم ووضعها حيث امر الله تعالى بوضعها فيه ويمتثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون
ارادتهما ورضاهما اولئك سيرحمهم الله اى الذين هذه صفتهم يرحمهم الله في الآخرة
ان الله عزيز حكيم اى قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الآية
دلالة على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الاعيان لانه جعلهما من
صفات جميع المومنين ولم يخص قوما منهم دون قوم وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها الانهار والماء فيها خالدين فيها
ومساكن طيبة لطيب العيش بها بناها الله من اللالى والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر
لا اذى فيها ولا وصب ولا نصب عن الحسن في جنات عدن اى في جنة اقامة وخلود وقيل
هي بطنان الجنة اى وسطها عن ابن مسعود وقيل هي مدينة الجنة وفيها الرسل والانبياء
والشهداء وائمة الهدى والناس حولهم والجنان حولها عن الضحاك وقيل ان عدنا اعلا
درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من يوم خلقها
الله عز وجل حتى ينزلها اهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن
شاء الله وفيها قصور الدر واليواقيت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش
فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض عن مقاتل والكلبي وروى عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال عدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيين و
الصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك ورضوان من الله اكبر دفع على الابتداء

اى

اى رضى الله تعالى عنهم اكبر من ذلك كله قال الجبائي لما صار الرضوان اكبر من الثواب لانه لا يوجد
شئ منه الا بالرضوان اذ هو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لان ما يصل الى القلب من
السرور برضوان الله اكبر من جميع ذلك وانما رفع رضوان لانه استانفه للتعظيم كما يقول
القائل اعطيتك ووصلتك وحسن رايي فيك رضاي عنك خير من جميع ذلك ذلك هو
الفوز العظيم اى ذلك النعيم الذي وصفت هو النجاح العظيم الذي لا شئ اعظم منه ثم
امر الله سبحانه بالجهاد فقال يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والقتال والمنافقين
اختلفوا في كيفية جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوعظ والتخويف
عن الجبائي وقيل جهادهم باقامة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود اكبر وقيل هو
بالانواع الثلثة بحسب الامكان يد باليد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب
فان لم يقدر فليكفهر في وجوههم عن ابن مسعود وروى في قراءة اهل البيت عليهم السلم
جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لان النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقاتل المنافقين
وانما كان يتالفهم ولان المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم اذا
كانوا يظهرون الايمان واغلظ عليهم ومعناه واسمعهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترفق
عليهم وماويهم جهنم اى منزلهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد ماوى الفريقين وبئس المصير
اى بئس المرجع والماوى قوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان
اغنيهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا
يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي
ولا نصير اللغة الهم مقاربة الفعل بتقلبه في النفس يقال هم بالشئ يهم هما وليس الهم من العزم
في شئ الان يبلغ نهاية القوة في النفس والنيل لحوق الامر يقال نال ما اشتهى او ما تمنى اى
ادركه ونقم منه شيا اى انكره قال ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا والفضل
الزيادة في الخير على مقدارها واما التفضيل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر على ان
يفعله وان لا يفعله النزول اختلف فيمن نزلت هذه الآية فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله

كان جالساً في ظل حجرة فقال انه سياتيكم انسان فينظر اليكم بعيني شيطان فما لبثوا ان طلع رجل ازرق
فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه الصلوة والسلام علام تشتمني انت واصحابك
فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله الآية عن ابن عباس وقيل
خرج المنافقون مع رسول الله الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله
واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة الى رسول الله فقال لهم عليه الصلوة والسلام
ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في
الجلاس بن سويد بن الصامت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله خطب ذات يوم
بتبوك وذكر المنافقين فسماهم رجساً وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقاً
فيما يقول لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل والله ان محمداً الصادق وانتم
شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره
بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه وآله
ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قاله ثم قام عامر فحلف بالله لقد
قاله ثم قال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله صلى الله
عليه وآله والمؤمنون آمين فنزل جبرئيل عليه السلم قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان
يتوبوا يك خيراً لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر
بن قيس فيما قال لك لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله ذلك منه
عن الكلبي ومحمد بن اسحق ومجاهد وقيل نزلت في عبد الله ابن ابي بن سلول حين قال لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت في اهل العقبة فانهم ائتمروا
في ان يغتالوا رسول الله صلى الله عليه وآله في عقبة عند مرجعهم من تبوك وارادوا ان
يقطعوا انساع راحلته ثم ينخسوا به فاطلعه الله تعالى على ذلك وكان من جملة معجزاته
لانه لا يمكن معرفة مثل ذلك الا بوحي من الله فسار رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة
وحده وعمار وحذيفة معه احدهما يقود ناقته والآخر يسوقها وامر الناس كلهم بسلوك
بطن الوادي وكان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلاً او خمسة عشر رجلاً على الخلاف فعرفهم رسول الله

صلى الله عليه وآله وسماهم باسمائهم واحداً واحداً عن الزجاج والواقدي والكلبي والقصة مشروحة في
كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلم كانت ثمانية منهم من قريش واربعة من العرب ثم اظهر
سبحانه اسرار المنافقين فقال يحلفون بالله ما قالوا يعني انهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكي
عنهم ثم حقق عليهم ذلك واقسم سبحانه بانهم قالوا ذلك لان اللام في لقد لام القسم
وكلمة الكفر كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى وكانوا يطعنون في الاسلام وكفروا بعد اسلامهم
اي بعد اظهار اسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد ان كان باطناً وهموا بما لم ينالوا قيل فيه ثلاثة اقوال
احدها انهم هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة والتنفير بناقته عن الكلبي و
مجاهد وغيرهما وثانيها انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن قتادة
والسدي وثالثها انهم هموا بالفساد والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجبائي
وما نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله معناه انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا
موضع شكر النعمة ان نقموها وبيانه انهم نقموا فيما ليس بموضع للنقمة فانه لم يكن للمسلمين
ذنب ينقمونه منهم بل الله تعالى اباح لهم الغنائم واغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران
وكان من حقهم ان يقابلوها بالشكر ونظير هذا المعنى قوله يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا الآية في سورة المائدة وانما لم يقل من فضلهما لانه لا يجمع بين اسم الله واسم
غيره في الكناية تعظيماً لله تعالى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لمن سمعه يقول
من اطاع الله ورسوله فقد هدي ومن عصاهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت فقال كيف
اقول يا رسول الله قال قل من يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه والله ورسوله
احق ان يرضوه وقيل انما لم يقل من فضلهما لان فضل الله سبحانه منه وفضل رسول الله
من فضل الله فان يتوبوا يك خيراً لهم اي فان يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا الى الحق
يكن ذلك خيراً لهم في الدنيا والآخرة فانهم ينالون بذلك رضا الله ورسوله والجنة
وان يتولوا اي يعرضوا عن الرجوع الى الحق وسلوك الطريق المستقيم يعذبهم الله عذاباً
اليماً مولماً في الدنيا مما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر وفي الآخرة بعذاب النار وما لهم
في الارض اي ليس لهم في الارض من ولي اي محب ولا نصير ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله

قوله عز وجل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب

اربع آيات اللغة المعاهد هو ان يقول على عهد الله لافعلن كذا فانه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكرناه لان الله تعالى حكم بذلك وقد وجوبه عليه في الشرع والبخل منع السائل لشدة الاعطاء ثم صار في الشرع لمنع الواجب لان من منع الزكوة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز ان يكون البخل منع الواجب لمشقة الاعطاء كما قال زهير ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم قال لانه يلزم على ذلك ان يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء وكان من قضى دينا عليه يكون جوادا لانه ادى الواجب من غير مشقة وانما قال زهير ما قال لان البخل صفة نقص قال ومن منع ما لا يضره بذله ولا ينفعه منعه مما يدعو اليه الحكمة فهو بخيل لانه لا يقع المنع على هذه الصفة الا لبذرة في النفس وان لم يرجع الى ضرر اذ الشدة من غير ضرر معقوله كما يصفون الجوزة بانها لئيمة لاجل الشدة واعقبه واورثه واذ نظاير وقد يكون اعقبه بمعنى جازاه قال النابغة فمن اطاع فاعقبه بطاعته كما اطاعك وادلله على الرشد ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد والنجوى الكلام الخفي تقول ناجيته وتناجوا وانتجوا وفلان نجي فلان والجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية واضطرب القوم اضطراب الارشية واصله من النجوة وهو البعد كان المتناجين قد بعدا من غيرهما وقيل هو من النجوة اي المكان المرتفع الذي لا يصل اليه السيل فكانهما رفعا حديثهما الى حيث لا يصل اليه غيرهما الاعراب معنى لما معنى اذ الا ان لما الغالب عليها الحرف وهي اسم تقع في جواب متى يقال متى كان ذلك فيقول السامع لما كان كذا ولما ولولا يكونان لما مضى بخلاف ان واذا فانهما للمستقبل الا ان لولا على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الاول ولما يدل على وقوع الثاني لوقوع الاول فلما آتيهم من فضله المفعول الثاني محذوف تقديره فلما آتيهم ما تمنوه من فضله لنصدقن اصله لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد النزول

قيل نزلت في ثعلبة ابن حاطب وكان من الانصار قال للنبي صلى الله عليه وآله ادع الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال عليه السلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها ثم كثرت حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله اليه المصدق ليأخذ الصدقة فابى وبخل وقال ما هذه الا اخت الجزية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله عز وجل الآيات عن ابي امامة الباهلي وروى ذلك مرفوعا وقيل ان ثعلبة اتى مجلسا من الانصار فاشهدهم وقال لئن آتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالا فلم يف بما قال فنزلت الآيات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقيل نزلت في ثعلبة ابن حاطب ومعتب ابن قشير وهما من بني عمرو ابن عوف قالا لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله المال بخلا به عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في رجال من المنافقين نبتل ابن الحرث وجد ابن قيس وثعلب بن حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا عليه وجهد لذلك جهدا شديدا فحلف ان آتاه الله ذلك المال ليصدقن فآتاه الله فلم يفعل عن الكلبي المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم فقال ومنهم اي ومن جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله اي اعطانا من رزقه لنصدقن على الفقراء ولنكونن من الصالحين بانفاقه في طاعة الله وصلة الرحم ومواساة اهل الحاجة فلما آتاهم من فضله اي اعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنوه من الاموال بخلوا به اي شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد ومنعوا حق الله منه وتولوا عن فعل ما امرهم الله وهم معرضون عن دين الله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فاورثهم بخلهم بما اوجب الله تعالى على انفسهم النفاق في قلوبهم وادامهم الى ذلك عن الحسن

كانهم وضلوا على النفاق بسبب البخل وهذا كما يقول لابنه اعقبك صحبة فلان ترك العلم وقيل معناه بل اعقبهم الله ذلك بحرمان التوبة كما حرم ابليس عن مجاهد واراد بذلك انه دلنا على انهم لا يتوب لانه سلب عنه قدرة التوبة الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء البخل وذكر واراد جزاه كقوله سبحانه اعمالهم كرماد اشتدت به الريح وعلى القول الثانى فمعناه الى يوم يلقون الله اى اليوم الذى لا يملك فيه النفع والضر الا الله تعالى وهذا اخبار من الله تعالى عن هولاء المنافقين انهم يموتون على النفاق وكان ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه وآله لانه خبر مخبره على وفق خبره بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بين سبحانه ان هذا انما عليهم بفعلهم وهو اخلافهم الوعد وكذبهم الم يعلموا اى الم يعلم هولاء المنافقون ان الله يعلم سرهم اى ما يخفون فى انفسهم ونجواهم اى ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام يراد به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك وان الله علام الغيوب جمع الغيب وهو كل ما غاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لان فعالا صفة مبالغة وقوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الاية دلالة على ان بعض المعاصى قد تدعوا الى بعض لانهم لما تهاونوا باداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات على النفاق الى الممات وكذلك يدعوا بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرايع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخيانة والكذب من اخلاق اهل النفاق وقد صح فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال المنافق بثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان قوله عز وجل الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ آيتان اللغة المطوع المتطوع ادغمت التاء فى الطاء لانها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجُهد بمعنى وهو الحمل على النفس بما يشق وقيل انهما

فرق

فرق فالجهد بالفتح فى العمل وبالضم فى القوت عن الشعبى وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاقة عن القتيبى الاعراب يجوز ان يكون موضع الذين يلمزون جرا بان يكون بدلا من الهاء والميم فى قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا اولى ومن قوله فى الصدقات من صلة يلمزون ولا يكون من صلة المطوعين لانه فصل بينهما قوله من المومنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلمزون المعنى ثم وصفهم بصفة اخرى فقال الذين يلمزون اى يعيبون المطوعين بالصدقة من المومنين ويطعنون عليهم فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم اى ويعيبون الذين لا يجدون الا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم تملأ الكف واتاه عليه ابن الحارث بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت فى النخل بصاعين فصاعا تركته لاهلى وصاعا اقرضته ربى وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل يحب الريا ويبتغى الذكر بذلك وان الله غنى عن الصاع من التمر فعابوا المكثر بالريا والمقل بالاقلال فيسخرون منهم اى فيستهزؤن منهم سخر الله منهم اى جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا الى النار ولهم عذاب اليم اى موجع مولم وروى عن النبى صلى الله عليه واله فقيل يا رسول الله اى الصدقة افضل قال جهد المقل استغفر لهم او لا تستغفر لهم صيغته صيغة الامر والمراد به المبالغة فى الاياس من المغفرة بانه لو طلبها طلب المامور بها او تركها ترك المنهى عنها لكان ذلك سواء فى ان الله تعالى لا يفعلها كما قال سبحانه فى موضع آخر سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم الوجه فى تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ويجرى ذلك مجرى قول القائل لو قلت لى الف مرة ما قبلت والمراد انى لا اقبل منك فكذلك الاية المراد بذلك فيها نفى الغفران جملة وقيل ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للاسد سبع لانهم تاولوا فيه لقوته انها ضوعفت له سبع مرات واما ما روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال والله لازيدن على السبعين فانه خبر واحد لا يعول عليه ولانه يتضمن ان النبى صلى الله عليه وآله يستغفر للكافر وذلك غير جائز بالاجماع وقد روى

انه قال لو علمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفعلت ويحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وآله
يرجوان يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلما بين عزاسمه انه ليس لهم لطف ترك
ذلك ويحتمل ان يكون عليه الصلوة والسلام قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويحتمل ان يكون
قد استغفر الله لهم قبل ان يخبر بان الكافر لا يغفر له او قبل ان ينهى منه ويجوز ان يكون استغفاره
لهم وانما بشرط التوبة من الكفر فمنعه الله منه واخبر بانهم لا يؤمنون ابدا فلا فائدة
في الاستغفار لهم والله اعلم بحقيقة الامر ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله معناه ان حرمان
المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين مر معناه قوله عز وجل
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ
أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا
لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا
مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْخَالِفِينَ ثمان آيات اللغة المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عمن مضى والفرح
ضد الغم وهو لذة في القلب بنيل المشتهى ومثله السرور وقال البصريون من المعتزلة
السرور والغم يرجعان الى الاعتقاد والسرور اعتقاد وصول منفعة اليه في المستقبل
او دفع ضرر مظنون عنه او معلوم والغم اعتقاد وصول ضرر اليه في المستقبل او فوت
منفعة عنه واليه ذهب المرتضى والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافا وزعم ابو عبيدة
ان معناه بعد وانشد عقب الربيع خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا والشواطب
النساء يقددن الاديم بعد ما يقددنه والخالف كل من تاخر عن الشاخص والمتخلف بعينا
والضحك حال بفرح وانبساط يظهر في وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال تقبض
يظهر عن غم في الوجه مع جرى الدموع على الخد الاعراب خلاف نصب على المصدر بمعنى
المفعول له اذا جعلته بمعنى المخالفة واذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا
انما سكنت لام الامر ولم يسكن لام الاضافة لانها تؤذن بعملها الجر المناسب لها فلذلك لزمت

الحركة

الحركة مع ان العوامل في الاسماء اقوى من العوامل في الافعال جزاء نصب على المصدر اي يجزون
جزاء على افعالهم التي اكتسبوها المعنى ثم اخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبي
صلى الله عليه وآله ولم يخرجهم الى تبوك لما استاذنوه في التاخر فاذن لهم فرحوا بقعودهم
فقال فرح المخلفون بمقعدهم اي بقعودهم عن الجهاد خلاف رسول الله اي بعده وقيل
معناه لمخالفتهم النبي صلى الله عليه وآله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله ظاهر المعنى وقالوا اي قالوا للمسلمين ليصدوهم عن الغزو لا تنفروا في الحر
اي لا تخرجوا الى الغزو سراعا في هذا الحر وقيل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلبا
للراحة والدعة وعدولا عن تحمل المشاق في مرضاة الله قل يا محمد لهم نار جهنم التي وجبت
لهم بالتخلف عن امر الله تعالى اشد حرا من هذا الحر فهي اولى بالاحتراز والحذر عنها
ولا تعتد بهذا الحر في جنب ذلك الحر لو كانوا يفقهون اوامر الله ووعده ووعيده
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا هذا تهديد لهم في صورة الامر اي فليضحك هؤلاء
المنافقون في الدنيا قليلا لان ذلك يفنى وان دام الى الموت ولان الضحك في
الدنيا قليل لكثرة احزانها وهمومها وليبكوا كثيرا في الآخرة لان ذلك يوم مقداره خمسون
الف سنة وهم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق
والتخلف بغير عذر من الجهاد قال ابن عباس ان اهل النفاق ليبكون في النار عمر الدنيا
فلا يرقى لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فان رجعك الله يا محمد اي فان
ردك الله من غزوتك هذه او سفرك هذا الى طائفة منهم اي من المنافقين الذين تخلفوا
عنك وعن الخروج معك فاستاذنوك للخروج معك الى غزاة اخرى فقل لهم لن تخرجوا
معي ابدا الى غزوة ولن تقاتلوا معي عدوا ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال انكم رضيتم
بالقعود اول مرة اي عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين في كل غزوة واختلف في
المراد بالخالفين فقيل معناه مع النساء والصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال
الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف



وصاحب خالف اذا كان مخالفا وقيل مع الخساس والادنيا يقال فلان خالفة اهله اذا كان دونهم
وقيل مع اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله يخلف خلوفا اذا فسد ونبيذ خالف
فاسد وخلف فم الصايم اذا تغيرت ريحه وقيل مع المرضى والزمنى وكل من تاخر لنقص
عن الجبائي قوله عز وجل وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ
إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ
وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ
هُمْ كَافِرُونَ آيتان الاعراب مات جملة في موضع جر صفة للاحد وتقديره على احد
ميت منهم وابدا منصوب لانه ظرف لقوله تصل وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان
في موضع التعليل لتحقيق الاخبار بانهم على الصفة التي ذكرها المعنى ثم بين سبحانه حكم الصلوة عليهم
الصلوة وسلم عن الصلوة عليهم فقال ولا تصل يا محمد على احد منهم اى من المنافقين
مات ابدا اى بعد موته فانه عليه الصلوة والسلم كان يصلى عليهم ويجريهم على احكام المسلمين
ولا تقم على قبره اى لا تقف على قبره للدعاء فانه عليه الصلوة والسلم كان اذا صلى على ميت يقف على
قبره ساعة ويدعو له فنهاه الله تعالى عن الصلوة على المنافقين والوقوف على قبورهم و
الدعاء لهم ثم بين سبحانه سبب الامرين فقال انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
فما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك على منافق حتى قبض وفي هذه الاية دلالة
على ان القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعة ولولا ذلك لم يخص بجاية بالنهي عنه
الكافرون وروي انه صلى الله عليه وآله صلى على عبد الله ابن ابي والبسه قميصه قبل ان نهي
عن الصلوة على المنافقين عن ابن عباس وجابر وقتادة وقيل انه عليه الصلوة والسلم اراد ان
يصلي فاخذ جبرئيل بثوبه وتلا عليه ولا تصل على احد منهم الاية عن انس والحسن وروي انه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله لم وجهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان
لن يغني عنه من الله شيئا واني اومل من الله تعالى ان يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير
فروي انه اسلم الف من الخزرج لما راوه يطلب الاستشفاع بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله
ذكره الزجاج قال والاكثر في الرواية انه لم يصل عليه ولا تعجبك اموالهم واولادهم الخطاب للنبي

صلى الله عليه وآله والمراد به الامة انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بالمصائب فيها من المصائب
والغموم وبما ياخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشق عليهم من اخراجها في الزكوة و
الانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشتد عليهم ويكون ذلك عذابا لهم
وتزهق انفسهم اي يهلكوا بالموت وهم كافرون اى في حال كفرهم وقد مضى تفسير مثل هذه
الاية وانما كرر التذكير في موطنين مع بعد احدهما عن الاخر ويجوز ان يكون الايتان في
فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القايل لا تعجبك حال زيد لا تعجبك حال عمرو عن الجبائي
قوله عز وجل وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
اربع آيات اللغة قال الزجاج الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد ويجوز ان يكون جمع خالفة
في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يات في فاعل فواعل صفة الا في
حرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع والختم بمعنى واحد والخيرات المنافع
التي تسكن النفس اليها وترتاح بها من النساء الحسان وغيرهن من نعيم الجنان واحدها خيرة
قال الشاعر ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات وقال المبرد الخيرات
الجواري الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز خيرة بالتشديد فخفف نحو هين وهين و
الاعداد جعل الشيء مهيئا لغيره واصله من العدد لانه قد عد الله جميع ما يحتاج الى التقدم
له من الامور ومثله الاعتاد الاعراب ان آمنوا في موضع نصب بحذف حرف الجر على
تقدير بان آمنوا اى بالايمان ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر المعنى ثم بين سبحانه
تمام اخبار المنافقين بقوله واذا انزلت سورة من القرآن على محمد ان آمنوا وهو خطاب
للمؤمنين وامر لهم بان يدوموا على الايمان ويتمسكوا به في مستقبل الاوقات ويدخل فيه
المنافق ويتناوله الامر بان يستانف الايمان ويترك النفاق وجاهدوا مع رسوله اى اخرجوا

الى الجهاد معه وكانه قال آمنوا انتم وادعوا الى الايمان غير كراسا ذلك اى طلب الاذن منك
القعود اولوا الطول اى اولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره منهم اى من المنافقين
وقالوا ذرنا اى دعنا نكن مع القاعدين المتخلفين عن الجهاد من النسآء والصبيان وانما
الحق هولاء الذم لانهم اقوى على الجهاد رضوا بان يكونوا مع الخوالف اى رضوا لنفوسهم
ان يقعدوا مع النسآء والصبيان والمرضى والمقعدين وطبع على قلوبهم ذكرنا معنى
الطبع فيما تقدم قال الحسن هولاء قوم قد بلغوا الحد الذى من بلغه مات قلبه فهم
لا يفقهون اوامر الله تعالى ونواهيه ولا يتدبرون الادلة ثم مدح النبى صلى الله عليه
وآله والمومنين فقال سبحانه لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم
ينفقونها فى سبيل الله ومرضاته وانفسهم يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه عما اعد لهم
من الجزآء على انقيادهم الله ورسوله فقال واولئك لهم الخيرات من الجنة ونعيمها
وقيل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم فى الدنيا والثواب والجنة فى الاخرة
واولئك هم المفلحون اى الظافرون بالوصول الى البغية اعد الله لهم اى هيا وخلق لهم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين مضى تفسيره ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره
الفوز العظيم الفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلا
بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لانه حاصل على وجه الدوام قوله عز وجل وجآء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم اية القراءة قرا يعقوب وقتيبة المعذرون بسكون العين
وتخفيف الذال وهى قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد والباقون بفتح العين وتشديد
الذال الحجة من قرا بالتخفيف اراد الذين ياتون بالعذر ومن قرا بالتشديد احتمل امرين
احدهما اراد المعتذرون كان لهم عذر او لم يكن وانما ادغم التاء فى الذال لقرب مخرجيهما
والثانى اراد المقصرون من التعذير والمعذر المقصر الذى يريك انه معذور ولا
عذر له والمعذر المبالغ الذى له عذر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له قال لبيد
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اى اتى بعذر المعنى لما تقدم حديث المخلفين صنف الله تعالى

الاعراب

الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه وجآء المعذرون من الاعراب اى المقصرون الذين يعتذرون
وليس لهم عذر عن اكثر المفسرين وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بنى غفار
عن ابن عباس قال ويدل عليه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فعطف الكاذبين
عليهم فدل ذلك على ان الاولين فى اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون
بصورة اهل العذر وليسوا كذلك ليؤذن لهم فى التخلف عن الجهاد وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله اى وقعدت طايفة من المنافقين من غير ان اعتذروا وهم الذين كذبوا
فيما كانوا يظهرونه من الايمان سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم قال ابو عمرو
بن العلا فى هذه الاية كلا الفريقين كان مسيئا جآء قوم فعذروا وتخلف آخرون فقعدوا
بريان قوما تكلفوا عذرا بالباطل وتخلف آخرون من غير تكلف عذر واظهار علة
جراة على الله ورسوله قوله عز وجل ليس على الضعفآء ولا على المرضى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد
ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون
انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنيآء رضوا بان يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ثمان ايات اللغة النصح اخلاص العمل من الغش
والحمل اعطآء المركوب من فرس او بعير او غير ذلك يقول حمله يحمله حملا اذا اعطاه ما يحمل
عليه الا فتى عنده خفان يحملنى عليهما انى شيخ على سفر والفيض الجرى عن امتلاء من قولهم
فاض الاناء بما فيه والحزن الم فى القلب بفوت امر ماخوذ من حزن الارض وهو الارض
الغليظة المسلك الاعراب حزنا نصب لانه مفعول له اى يكون للحزن ولا يجدوا موضعه نصب
بان وموضع ان لا يجدوا نصب تقديره لا لان يجدوا حذف الجار فوصل الفعل النزول
قيل ان الاية الاولى نزلت فى عبد الله ابن زايدة وهو ابن مكتوم وكان ضرير البصر جآء الى
رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله انى شيخ ضرير خفيف الحال نحيف الجسم
وليس لى قايد فهل لى رخصة فى التخلف عن الجهاد فسكت النبى صلى الله عليه وآله فانزل الله الاية

عن الضحاك وقيل نزلت في عايذ بن عمرو واصحابه عن قتاده، والآية الثانية نزلت في البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعلية ابن زيد وعمرو بن عنمة وهولاء من بني النجار وسالم ابن عمير وهرم ابن عبد الله وعبد الله ابن عمرو من بني عمرو ابن عوف وعبد الله ابن معقل من مزينة جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا رسول الله فانه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا اجد ما احملكم عليه عن ابي حمزة الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبايل شتى اتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا احملنا على الخفاف والنعال عن محمد بن كعب وابن اسحق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من فقراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس ابن عبد المطلب رجلين ويامين ابن كعب النضري من بني نضر ثلثة عن الواقدي قال وكان الناس بتبوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلثين الفا منهم عشرة الاف فارس المعنى ثم ذكر سبحانه اهل العذر فقال ليس على الضعفاء وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانة والعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على الخروج ولا على المرضى وهم اصحاب العلل المانعة من الخروج ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر حرج اي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله اذا نصحوا لله ورسوله بان يخلصوا العمل من الغش ثم قال سبحانه ما على المحسنين من سبيل اي ليس على من فعل الحسن الجميل في التخلف عن الجهاد طريق للتقريع في الدنيا والعذاب في الآخرة وقيل هو عام في كل محسن والاحسان هو ايصال النفع الى الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح ويصح ان يحسن الانسان الى نفسه ويحمد على ذلك وهو من افضل الافعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب والله غفور اي ستار على ذوي الاعذار بقبول العذر منهم رحيم بهم لا يكلفهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اي ولا على الذين اذا جاءوك يسالونك مركبا يركبونه فيخرجون معك الى الجهاد وليس معهم من الاموال والظهر ما يمكنهم الخروج به في سبيل الله قلت لا اجد ما احملكم عليه اي لا اجد مركبا تركبونه ولا ما سوى به امركم تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون اي رجعوا عنك واعينهم

تقریع بر زنشکاران و ... گناهکاران ... الله
تقویه بر ... گناهکاران ... الله

سيلا بالدمع لحزنهم على ان لا يجدوا اما مركوبا من الدواب ونفقة الطريق ليخرجوا معكم وصحبهم وحرصهم على الخروج المعنى وليس على هولاء ايضا حرج في التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل للاثم والعقاب انما السبيل والطريق بالعقاب والحرج على الذين يستاذنونك وهم اغنياء اي يطلبون الاذن منك يا محمد في المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد في سبيل الله رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء والصبيان ومن لا حراك به وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون فقد تقدم بيانه قوله عز وجل يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ثلث آيات النزول قيل نزلت الآيات في جد ابن قيس ومعتب ابن قشير واصحابهما من المنافقين وكانوا ثمانين رجلا ولما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة راجعا من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وآله ان لا يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبي ان يرضى عنه عن مقاتل المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن هولاء القوم الذين تاخروا عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله فقال يعتذرون اليكم من تاخرهم عنكم بالاباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم اي اذا انصرفتم الى المدينة عن غزوة تبوك قل يا محمد لا تعتذروا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم على ما تقولون قد نبانا الله من اخباركم اي قد اخبرنا الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة امركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه اراد به قوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وسيرى الله عملكم ورسوله اي سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل معناه سيعلم الله اعمالكم وعزايمكم في المستقبل ويظهر ذلك لرسوله فيعلمه الرسول باعلامه اياه فيصير كالشيء المرئي لانه اظهر ما يكون الشيء مرئيا كما علم ذلك في الماضي فاعلم به الرسول ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي ثم ترجعون من بعد الموت الى الله سبحانه الذي يعلم

الجزء الحادي عشر ربع

ما غاب وما حضر ولا يخفى عليه السر والعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون اي يخبركم باعمالكم كلها
حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع سيحلفون بالله لكم اي سيقسم هولاء المنافقون المتخلفون
فيما يعتذرون به اليكم ايها المؤمنون اذا انقلبتم اليهم انهم انما تخلفوا العذر لتعرضوا
عنهم اي لتصفحوا عن جرمهم ولا تؤنبوهم ولا تعنفوهم ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه
وآله والمؤمنين فقال فاعرضوا عنهم اعراض رد وانكار وتكذيب ومقت ثم بين سبب
الاعراض فقال انهم رجس اي نجس ومعناه انهم كالشيء المنتن الذي يجب الاجتناب عنه
فاجتنبوهم كما تجتنب الانجاس وماويهم جهنم اي مصيرهم وماويهم ومستقرهم جهنم
جزاء بما كانوا يكسبون اي مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي يحلفون لكم لترضوا عنهم
اي طلبا لمرضاتكم عنهم ايها المؤمنون فان ترضوا عنهم لجهلكم بحالهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين الخارجين من طاعته الى معصيته لعلمه بحالهم ومعناه انه لا ينفعهم
رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم وانما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم
انه اذا رضي المؤمنون فقد رضي الله والمراد انه اذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم ايضا
ان لا ترضوا عنهم وفي هذا دلالة على من طلب بفعله رضا الناس ولم يطلب رضا الله
سبحانه فان الله يسخط الناس عليه كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال
من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى الناس عنه ومن التمس رضا الناس
بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس قوله عز وجل الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا
وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ
قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بضم
السين وفي سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرا ورش واسمعيل عن نافع قربة بضم
الراء والباقون قربة بسكون الراء الحجة قال ابو علي الدائرة لا تخلوا اما ان يكون صفة او مصدرا

العاقبة

العاقبة والصفة اكثر في الكلام فينبغي ان تحمل عليها فالمعنى عليها انها حلقة تحيط بالانسان حتى
يكون منها مخلص واضيفت الى السوء والى السوء على وجه التاكيد والزيادة في التبيين ولو
لم يضف لعلم هذا المعنى منها كما ان قوله شمس النهار كذلك والسوء الرداءة والفساد وهو خلاف
الصدق الذي في قوله ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس
من سوء في المعنى وان كان اللفظ واحدا يدلك على ذلك انك اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق
والكذب في الاخبار واما دائرة السوء بالضم فكقولك دائرة الهزيمة ودائرة البلاء فاجتمعا
في جواز اضافة الدائرة اليهما من حيث اريد بكل واحد منهما الرداءة والفساد فمن قال
دائرة السوء فتقديره للاضافة الى الرداءة والفساد ومن قال دائرة السوء فتقديره دائرة
الضرر والمكروه من قولهم سوته مساءة ومسائية والمعنيان متقاربان قال ابو الحسن دائرة
السوء كما تقول رجل السوء وانشد وكنت كذيب السوء لما راى دما بصاحبه يوما احال
على الدم واما قوله قربة فالاصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والاذن
والطنب فاما قربات فينبغي ان يكون الا انه اذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والغرفات
فان تثقيل الحركة الثانية في الكلمة اجدر ومثله قولهم قربة وقربة وبسر وبسر وهذبة وهدبة
حكاه محمد بن يزيد اللغة رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعرابي اذا كان
ساكنا في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل للعدنانية برسول الله
صلى الله عليه وآله واجدر ماخوذ من جدر الحائط بسكون الدال وهو اصله واساسه
والمغرم الغرم وهو نزول نائبة بالمال من غير جناية واصله لزوم الامر ومنه قوله ان
عذابها كان غراما اي لازما وجب غرام اي لازم والغريم يقال لكل واحد من المتداينين للزوم
احدهما الآخر وغرمته كذا اي الزمته اياه في ماله والتربص الانتظار ومنه المتربص
بالطعام لزيادة الاسعار واصله التمسك بالشيء لعاقبة والدوائر جمع دائرة وهي الحادثة
من حوادث الدهر وقيل الحال المنقلبة عن النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقربة
طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة الاعراب اجدر ان لا يعلموا ان موضع
ان موضع نصب لان الباء محذوفة والمعنى اجدر بترك العلم تقول انت جدير بان تفعل وجدير ان

تفعل اي هذا الفعل ميسر لك واذا حذفت الباء لم يصلح الابان وان اثبت الباء صلح بان وغيرها ان تحدير بان تقوم وحدير بالقيام وانما صلح مع ان الحذف لان ان تدل على الاستقبال وكانها عوض عن المحذوف وصلوات الرسول عطف على ما ينفق وموضعه نصب وتقديره ويتخذ النفقة وصلوات الرسول قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالانفاق قربة الله وصلوات الرسول عن الجبائي **المعنى** لما تقدم ذكر المنافقين بين سبحانه ان الاعراب منهم اشد في ذلك واكثر جهلا فقال الاعراب اشد كفرا ونفاقا يريد الاعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لانهم اقسى واجفى من اهل المدن وهم ايضا ابعد من سماع التنزيل وانذار الرسول عن الزجاج ومعناه ان سكان البوادي اذا كانوا كفارا ومنافقين فهم اشد كفرا من اهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله اي وهم احرى واولى بان لا يعلموا حدود الله تعالى في الفرائض والسنن والحلال والحرام والله عليم باحوالكم حكيم فيما يحكم به ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي ومن منافقي الاعراب ما يعد ما ينفق في الجهاد وسبيل الخير مغرما الحقه لانه لا يرجوا به ثوابا ويتربص بكم الدوائر اي وينتظر بكم الدوائر اي صروف الزمان وحوادث الايام والعواقب المذمومة قال الزجاج والفراء كانوا يتربصون بهم الموت او القتل وكانوا ينتظرون موت النبي صلى الله عليه وآله ليرجعوا الى دين المشركين واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة الى الشدة والعافية الى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت الدائرة لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال عليهم دائرة السوء اي على هؤلاء المنافقين دائرة البلاء يعني ان ما ينتظرون بكم هو لاحق بهم وهم المغلوبون ابدا والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم لا يخفى عليه شيء من حالاتهم ثم بين سبحانه من الاعراب المومنين المخلصين فقال ومن الاعراب من يومن بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيامة والجنة والنار ويتخذ ما ينفق قربات عند الله اي ويريد بنفقته في الجهاد وغير ذلك

من اعمال

من اعمال البر قربات جمع قربة وهي الطاعة اي طاعات عند الله وتعظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرب الى الله بانفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه وصلوات الرسول اي دعائه بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومعناه انهم يرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وآله الا انها قربة لهم معناه الا ان صلوات الرسول قربة لهم الى الله سيدخلهم الله في رحمته هذا وعد منه سبحانه بان يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بان الرحمة عمتهم ووسعتهم ان الله غفور لذنوبهم رحيم باهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالمغفرة والرحمة **قوله عز وجل وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** آية **القراءة** قرا يعقوب والانصار بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرا ابن كثير وحده من تحتها بزيادة من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرا الباقون تحتها بغير من وعليه سائر المصاحف والمعنى واحد **الحجة** من قرا بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرا بالجر عطفه على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار في رفعه وجره ويجوز ان يكون معطوفا على السابقين وان يكون معطوفا على الانصار اولى لقربه منه **الاعراب** السابقون مبتدا والاولون صفته من المهاجرين تبيين لهم والذين اتبعوهم ان جملته على السابقين كان مرفوعا وان جملته على الانصار كان مجرورا وخبر الاسماء كلها رضي الله عنهم ورضوا عنه واعدلهم عطف على رضي فالوقف على قوله خالدين فيها ابدا **النزول** قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وقتادة وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية عن الشعبي قال من اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الاولين وقيل هم اهل بدر عن عطا بن رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي **المعنى** لما تقدم ذكر المنافقين والكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين الى الايمان فقال والسابقون الاولون اي السابقون الى الايمان والى الطاعات وانما مدحهم بالسبق لان السابق الى الشيء

يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابع له فهو امام فيه وداع له الى الخير لسبقه اليه وكذلك من سبق
الى الشر يكون اسوا حالا لهذه العلة من المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى
الحبشة والانصار اي ومن الانصار الذين سبقوا نظراءهم من المدينة الى الاسلام ومن
قرا والانصار بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة والذين
اتبعوهم باحسان اي بافعال الخير والدخول في الاسلام بعدهم وسلوك منهاجهم و
يدخل في ذلك من يجيء بعدهم الى يوم القيمة رضي الله عنهم ورضوا عنه اخبر سبحانه انه رضي
عنهم ورضي افعالهم ورضوا عنه سبحانه لما اجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وايمانهم
ويقينهم واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا يبقون فيها بابقاء
الله منعمين ذلك الفوز العظيم اي الفلاح العظيم الذي يصغر في جنبه كل نعيم وفي هذه الاية
دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة في نصرة الدين
فمنها مفارقة العشاير والاقربين ومنها مباينة المالوف من الدين ومنها نصرة الاسلام
مع قلة العدد وكثرة العدو ومنها السبق الى الايمان والدعاء اليه واختلف في اول
من اسلم من المهاجرين فقيل ان اول من آمن خديجة بنت خويلد ثم علي ابن ابي طالب عليه السلام
وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وانس وزيد بن ارقم ومجاهد وقتادة وابن اسحق
وغيرهم قال انس بعث النبي صلى الله عليه واله يوم الاثنين وصلى علي عليه السلام يوم
الثلثا وقال مجاهد وابن اسحق انه اسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله صلى الله عليه
واله اخذه عن ابي طالب وضمه الى نفسه يربيه في حجره وكان معه حتى بعث نبيا وقال الكلبي
انه اسلم وله تسع سنين وقيل اثنتا عشرة سنة عن ابي الاسود وقال السيد ابو طالب الهروي
وهو الصحيح وفي تفسير الثعلبي روى اسمعيل بن اياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف قال
كنت امرا تاجرا فقدمت مكة ايام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس
لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر فيبيعه ايام الموسم فبينا انا والعباس بمنى اذ جاء
رجل شاب حين حلقت الشمس في السماء يرمي ببصره الى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها
فلم حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امراة فقامت خلفها فركع الشاب فركع الغلام

والمراة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه فرفع الشاب فرفع الغلام والمراة فقلت يا عباس امر عظيم
فقال امر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن اخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم
ان الله بعثه رسولا وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذا الغلام علي بن ابي طالب وهذه
المراة خديجة بنت خويلد زوجة محمد تابعاه على دينه وايم الله ما على ظهر الارض كلها احد
على هذا الدين غير هؤلاء قال عفيف الكندي بعدما اسلم ورسخ الاسلام في قلبه يا ليتني
كنت رابعا وروى ان ابا طالب قال لعلي اي بني ما هذا الدين الذي انت عليه قال يا ابت
امنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال له اما ان محمدا لا يدعو
الا الى خير فالزمه وروى عبد الله ابن موسى عن العلا ابن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد
ابن عبد الله قال سمعت عليا يقول انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها
بعدي الا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد ابي طالب الهروي مرفوعا
الى ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه واله قال صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك
انه لم يصل فيها احد غيري وغيره وقيل ان اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر عن ابراهيم النخعي
وقيل ان اول من اسلم بعدها زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان ابن يسار وعروة ابن الزبير
وروى ابو القاسم الحسكاني مرفوعا الى عبد الرحمن ابن عوف في قوله سبحانه والسابقون
الاولون قال هم عشرة من قريش اولهم اسلاما علي ابن ابي طالب قوله عز وجل وَمِمَّنْ
حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا
تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وَ
آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آيتان اللغة حول الشيء المحيط به من حال يحول
اذا دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والحالة لانها تدور في الحود والمرود اصل الملاسة
ومنه صرح ممرد اي مملس والامرد الذي لا شعر على وجهه والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئا ذكره
علي بن عيسى وقيل اصله الظهور والمارد الذي ظهر شره وشجرة مرداء اذا تساقط ورقها
وظهرت عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا

وخرج من الطاعة واعيا خبيثا ومنه شيطان مارد ومريد وفي المثل تمرد مارد وعز الابلق وهما حصنان
الاعراب ومن اهل المدينة مردوا اي قوم مردوا فحذف الموصوف ويجوز ان يكون التقدير
ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف
آخرون اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب منافقون وكذا وآخرون مرجون وان شئت
قدرت ومنهم آخرون المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه وممن حولكم
اي ومن جملة من حولكم يعني حول مدينتكم من الاعراب وهم الذين يكونون البدو واذا
كانوا مطبوعين على العربية منافقون يظهرون الايمان ويبطنون الكفر وقيل انهم
جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكان منازلهم حول المدينة ومن اهل المدينة ايضا
منافقون وانما حذف لدلالة الاول عليه مردوا على النفاق اي مرنوا على النفاق
وتجروا عليه من الفرا وقيل معناه اقاموا عليه ولم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد
وابان بن تغلب وقيل معناه لجوا فيه وابوا غيره عن ابن اسحق وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره
وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن اهل المدينة ايضا امثال ذلك
عن الزجاج لا تعلمهم يا محمد لا تعرفهم نحن نعلمهم نعرفهم سنعذبهم مرتين فيه اقوال احدها
ان معناه نعذبهم في الدنيا بالفضيحة فان النبي صلى الله عليه وآله ذكر رجالا منهم و
اخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال اخرجوا انكم منافقون ونعذبهم في القبر عن
ابن عباس والسدي والكلبي وقيل مرة في الدنيا بالقتل والسبي ومرة بعذاب القبر عن مجاهد
وروي عنه عذبوا بالجوع مرتين وقيل احداهما اخذ الزكوة منهم والاخرى عذاب
القبر عن الحسن وقيل احدهما غيظهم من اهل الاسلام والآخر عذاب القبر عن ابن اسحق وقيل
ان الاولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل
ان الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر عن ابن عباس ايضا وكل ذلك
محتمل غير انا نعلم ان المرتين معا قبل ان يردوا الى عذاب ثم يردون الى عذاب عظيم يرجعون
يوم القيمة الى عذاب مؤبد في النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم يعني ومن اهل المدينة او
من الاعراب آخرون اقروا بذنوبهم وليس براجع الى المنافقين والاعتراف الاقرار بالشيء عن معرفة

خلطوا

خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا يعني انهم يفعلون افعالا جميلة ويفعلون افعالا سيئة قبيحة والتقدير
وعملا آخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم قال المفسرون عسى من الله واجبة وانما قال عسى حتى
يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة وفي هذا
دلالة على بطلان القول بالاحباط لانه لو صح الاحباط لكان احد العملين اذا طرأ على الآخر
احبطه وابطله فلم يجتمعا فلا يكون لقوله خلطوا معنى وقال التابعين ما في القرآن آية ارجى
لهذه الامة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الخلط في الجمع من غير امتزاج يقال خلطت الدراهم و
الدنانير وقيل انه يجري مجرى قولهم استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة وقيل ان خلط بالتخفيف
في الخير وخلط بالتشديد في الشر ان الله غفور رحيم هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة اي
لانه غفور رحيم القصة قال ابو حمزة الثمالي الذي بلغنا انهم ثلثة نفر من الانصار ابو لبابة
بن عبد المنذر وثعلبة بن وديعة واوس بن حرام تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله
في مخرجه الى تبوك فلما بلغهم ما انزل الله فيمن تخلف عن نبيه ايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم
بسواري المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وآله فسأل عنهم فذكر انهم
اقسموا لا يحلون انفسهم حتى يكون رسول الله يحلهم وقال رسول الله وانا اقسم لا اكون اول
من حلهم الا ان اومر فيهم بامر فلما نزل عسى الله ان يتوب عليهم عمد رسول الله صلى الله عليه
وآله اليهم فحلهم وانطلقوا فجاؤوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا هذه
اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا فقال عليه الصلوة والسلام ما امرت فيها
بامر فنزل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الآيات وقيل انهم كانوا عشرة رهط منهم ابو لبابة
عن علي بن طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم ابو لبابة وهلال وكردم وابو قيس
عن سعيد بن جبير وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروي عن ابي جعفر
الباقر عليه السلم انها نزلت في ابي لبابة لم يذكر معه غيره وسبب نزولها فيه ما جرى منه في
بني قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر
عن النبي صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري
قال ثم قال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان

التخلع من مالي كله فقال يجزيك يا ابا لبابة الثلث وفي جميع الاقوال اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله
ثلث مالهم وترك الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل اموالهم قوله عز وجل خذ
مِنْ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ اِنَّ صَلٰوتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ
وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ
وَاَنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ
الْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثلث آيات

القراءة قرا اهل الكوفة غير ابي بكر ان صلوتك على التوحيد وقرا الباقون ان صلواتك على الجمع

الحجة قال ابو علي الصلوة في اللغة الدعاء قال الاعشى في الخمر وقابلها الريح في دنها وصلى
على دنها وارتسم وكان معنى صل عليهم ادع لهم فان دعاك يسكن اليه نفوسهم وتطيب به
واما قولهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا يقال انه دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال في نحو
ويل للمطففين ونحوه انه دعاء عليهم ولكن المعنى ان هؤلاء ممن يستحق عندكم ان يقال فيهم
هذا النحو من الكلام وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم التاء وهذا مذهب سيبويه
فاذا كانت الصلوة مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فاذا اختلف
جاز ان يجمع لاختلاف ضروبه كما قال ان انكر الاصوات فاما من زعم ان الصلوة اولى لان
الصلوة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قول متجها لان الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما
يقع على القليل وهم في الغرفات آمنون وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله ان المصدقين
والمصدقات فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما وقع على القليل **الاعراب** قوله تطهرهم انما
ارتفع لاحد امرين اما ان يكون صفة لصدقة ويكون التاء للتانيث ويكون قوله بها للتبيين
ويكون التقدير صدقة مطهرة واما ان يكون التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وآله والتقدير
فانك تطهرهم بها فيكون صفة لصدقة ايضا ويكون الضمير في بها للصدقة الموصوفة
واما وتزكيهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم يجوز ان يكون على الاستيناف وحمله
على الاتصال اولى **المعنى** ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وامره باخذ الصدقة من اموالهم
تطهيرا لهم وتكفيرا لذنوبهم فقال خذ يا محمد من اموالهم ادخل من للتبعيض لانه لم يجب ان يتصدق بجميع

وانا

وانما قال من اموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الاخذ
من ساير اموال المسلمين لاستوائهم في احكام الدين الا ما خصه الدليل صدقة قيل اراد
بها الامر بان ياخذ الصدقة من اموال هؤلاء التائبين تشديدا للتكليف وليست بالصدقة
المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب اصابوها عن الحسن وغيره وقيل اراد بها
الزكوة المفروضة عن الجبائي واكثر اهل التفسير وهو الظاهر لان حمله على الخصوص بغير
دليل لا وجه له فيكون امرا بان ياخذ من المالكين نصاب الزكوة من الورق اذا بلغ مائتي
درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالا ومن الابل اذا بلغت خمسا ومن البقر اذا بلغت ثلثين
ومن الغنم اذا بلغت اربعين ومن الغلات والثمار اذا بلغت خمسة اوسق تطهرهم وتزكيهم
بها معناه تطهرهم تلك الصدقة عن دنس الذنوب وتزكيهم انت بها اي تنسبهم الى
الزكوة او تدعوهم بما يصيرون به ازكياء وقيل معناه تطهرهم انت وتزكيهم انت بها فيكون
كلا الفعلين مضافا الى النبي صلى الله عليه وآله وصل عليهم هذا امر من الله تعالى للنبي
صلى الله عليه وآله ان يدعو لمن ياخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم
كما يقول الداعي اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وروي عن النبي صلى الله
عليه وآله انه كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم وقال عبد الله ابن ابي
اوفى وكان من اصحاب الشجرة فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اورده
البخاري ومسلم في الصحيح ان صلواتك سكن لهم اي ان دعواتك مما يسكن نفوسهم اليه وقيل
رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطمانينة لهم ان الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبي
وقيل تثبيت لهم عن ابي عبيدة والله سميع عليم يسمع دعاءك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده استفهام يراد به التنبيه على ما يجب ان يعلم
فالمخاطب اذا رجع الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوبه وانما وجب ان يعلم ان الله
يقبل التوبة لانه اذا علم ذلك كان داعيا له الى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة
اليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل الفوز بالثواب والخلاص من العقاب والسبب فيه
انهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وآله ان ياخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من

ذلك وانتظر الاذن من الله سبحانه فيه فبين الله انه ليس قبول التوبة الى النبي صلى الله عليه وآله وان ذلك الى الله عز اسمه فانه الذي يقبلها ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله اخذ النبي والمؤمنين الصدقات اخذا من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بامره وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا المنزل ترغيبا للعباد في فعلها وذلك يرجع الى تضمن الجزاء عليها وان الله هو التواب الرحيم عطف على ما قبله ولذلك فتحان وقد مر تفسيره وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون هذا امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول للمكلفين اعملوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازى على فعله فان الله سيرى عملكم وانما ادخل سين الاستقبال لان ما يحدث لا يتعلق به الرؤية فكانه قال كما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اراد بالرؤية ههنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله اي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل اراد بالمؤمنين الشهداء وقيل اراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الاعمال وروى اصحابنا ان اعمال الامة تعرض على النبي صلى الله عليه وآله في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على ائمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمؤمنون وانما قال سيرى الله مع انه سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها لان المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالما بانها ستوجد هو كونه عالما بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي سترجعون الى الله الذي يعلم السر والعلانية فينبئكم اي يخبركم بما كنتم تعملون ويجازيكم عليه قوله عز وجل وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آية القراءة قرا اهل المدينة والكوفة غير ابي بكر مرجون بغير همز والباقون مرجؤن بالهمز الحجة قال الازهري الارجاء يهمز ولا يهمز التاخير ارجأت الامر وارجيته اخرته وارجأت الحامل دنت لان يخرج ولدها فهي مرج ومرجيه وارجت بغير همز ايضا النزول قال مجاهد وقتادة نزلت الآية في هلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك

وهم من الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وانما تخلف توانيا عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله فقال والله ما لي من عذر ولم يعتذر اليه بالكذب فقال عليه الصلوة والسلم صدقت قم حتى يقضي الله فيك وجاء الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن مكالمتهم وامر نساءهم باعتزالهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت فاقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال في ذلك ابعد دور بني القين الكرام وما شادوا على بيت البيت من شعف ثم نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل وهي قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا الآية فاصبح المسلمون يبتدرونهم يبشرونهم قال كعب فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد وكان اذا استبشر كان وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك امك قال كعب فقلت له امن عند الله ام من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلث ماله شكرا لله على توبته المعنى ثم عطف على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال وآخرون مرجون لامر الله اي موخرون موقفون لما يرد من الله تعالى فيهم اما يعذبهم او يتوب عليهم لفظة اما لوقوع احد الشيئين والله سبحانه عليم بما يصير اليه امرهم ولكنه خاطب العباد بما عندهم ومعناه لكن امرهم عندكم على هذا اي على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبنا في جواز العفو عن العصاة لانه بين سبحانه ان قوما من العصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم وعفا عنهم ويدل ايضا على ان قبول التوبة تفضل من الله تعالى لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشية والله عليم بما يؤول اليه حالهم حكيم فيما يفعله بهم قوله عز وجل وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ

فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم اربع آيات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بالواو وقرا نافع وابن عامر اسس بضم الالف بنيانه بالرفع في الموضعين وقرا الباقون اسس بنيانه فيهما وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم اسس على وزن فعل وقراءة نصر بن علي اساس واس بنيانه وقرا ابن عامر وحمزة وحماد ويحيى عن ابي بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقون جرف بالتثقيل وقرا يعقوب وسهل الى ان على انه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجحدري وجماعة ورواه البرقي عن ابي عبد الله عليه السلام وقرا الباقون الا ان مشددة اللام وقرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وسهل ورويس عن يعقوب تقطع بفتح التاء والتشديد وقرا روح تقطع بضم التاء مخففا وقرا الباقون تقطع بضم التاء مشددا الحجة من اثبت الواو في الذين عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ومن حذف الواو وابتدا الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر في قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الى قوله والباد والمعنى فيه ينتقم منهم او يعذبون ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالمبتدا وصلته ويجوز ان يكون على ان يضمر ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحروف مع الفعل في قوله واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اي فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم ولا يجوز ان يكون الذين بدلا من قوله واخرون مرجون لان المرجين لامر الله تعالى غير الذين اتخذوا مسجدا ضرارا فلا يجوز ان يبدلوا منهم ومن قرا اسس بنيانه بني الفعل للفاعل كما اضاف البنيان اليه في قوله بنيانه فالمصدر مضاف الى الفاعل والباني والمؤسس واحد ومن بني الفعل للمفعول به لم يبعد ان يكون في المعنى كالاول لانه اذا اسس بنيانه فتولى ذلك غيره بامره كان كبنائه هو له فاما من قرا اس بنيانه في الموضعين واساس بنيانه بالاضافة فانهما بمعنى واحد وجمع الاس اساس كقفل واقفال وجمع الاساس اسس واسس واما الجرف فالاصل فيه ضم العين والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل والطنب والطنب ومن قرا الا ان تقطع بضم التاء فهو في المعنى مثل الاول الا ان الفعل مضاف

قلوبهم فمعناه تبلى وتقطع بالبلى اي لا يخلج قلوبهم بالايمان ابدا ومن قرا تقطع صح

الى المقطع

الى المقطع المبلي للقلوب بالموت وفي الاول اسند الى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحايط ونحو ذلك مما اسند فيه الفعل الى من حدث فيه وان لم يكن منه ويقطع يسند الفعل فيه الى المقطع المبلي وان لم يذكر في اللفظ فاسند الفعل الذي هو لغير القلوب في الحقيقة الى القلوب ومن قرا الى ان يقطع فانه جعله على الغاية وزعموا ان في حرف ابي حتى الممات وهذا يدل على انهم يموتون على نفاقهم فاذا ما تواعدوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر اللغة الضرار هو طلب الضر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضرارا والارصاد الارتقاب يقول رصده يرصده رصدا وارصدت له ارصادا قال الكسائي رصدته ترقبته وارصدته اعددته والبنيان مصدر قال ابو علي وهو جمع على حد شعيرة وشعير لانهم قالوا بنيانة في الواحد قال اوس كبنيانة القرني موضع رحلها واثار نسعيها من الدف ابلق وجاء بنا المصادر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لان فعلانا اذا كان جمعا نحو كثبان وقضبان لم يلحقه تاء التانيث وقال ابو زيد يقال بنيت ابني بنيا وبناء وبناية وبنية وجاء جمعها البنى قال بنى السماء فسواها بنيهاكو لم تمد بالطنات ولا عمد والبنية والبناء مصدران ومن ثم قوبل به الفراش في قوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فالبناء لما كان رفعا للمبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والمتقي صفة مدح لا تطلق الا على مستحق الثواب والواو في تقوى مبدلة من الياء لانها من تقيت وانما ابدلت للفرق بين الاسم والصفة في الابنية والصفة مثل خزيا والشفا حرف الشيء وشفيره وحرف نهايته في المساحة وتثنيته شفوان وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر بالماء اصله وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشيء من اصله وهار الجرف يهور هورا فهو هاير وتهور وانهار ويقال ايضا هار يهار وهار اصله هاير وهو من المقلوب كما يقال لاث الشيء به اي دار فهو لاث والاصل لايث وكما قالوا شاكي السلاح اي شايك قال فتعرفوني انني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم وكما قال العجاج لاث به الاشا والعبري الاشا النخل والعبري السدر الذي على شاطي الانهار اي مطيف به قال ابو علي والهمزة من هاير منقلبة عن الواو لانهم قالوا تهور البناء اذا تساقط وتداعى

وفي الحديث سار ليلة حتى انهار الليل ثم سار حتى تهور فهذا في الليل كالمثل والتنبيه بالبناء والا
والانهيار يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ **الاعراب** قد ذكرنا اعراب قوله والذين
اتخذوا في الحجة ويجوز ان يكون مبتدا وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذي يدعوك الى النفع
فلا تسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير في الآية لا تقم في مسجدهم ابدا
فحذف للاختصار ويجوز ان يكون خبر الذين قوله افمن اسس بنيانه اي فمن اسس بنيانه
من هؤلاء امن اسس من الذين اتخذوا ضرارا منصوب على انه مفعول له وكذلك ما بعده
والمعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز
ان يكون مصدرا محمولا على المعنى لان اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارا
من اول يوم دخلت من في الزمان والاصل منذ ومذ وهذا هو الاكثر استعمالا في الزمان
ومن جايز دخولها ايضا لانها الاصل في ابتداء الغاية والتبعيض ومنه قول زهير لمن الديار
بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر ويروى من دهر وقد قيل ان المعنى من مر حجج ومن مر شهر وان تقوم
في موضع نصب اي احق بان تقوم فيه وفيه منصوب الموضع لقوله تقوم وفيه من قوله
فيه رجال في موضع رفع لانه خبر مبتدا مقدم عليه والمبتدا رجال ولا يجوز ان يكون مرفوع
الموضع بكونه وصفا لمسجد بل هو على الاستيناف والوقف التام على قوله احق ان تقوم فيه
ثم استونف الكلام فقيل فيه رجال وانما قلنا ذلك لانك لو جعلت الظرف الذي هو فيه
وصفا لمسجد لكنت فصلت بين النكرة وصفتها بالخبر الذي هو احق وقوله افمن اسس بنيانه
على تقوى من الله قال ابو علي الفارسي رحمه الله يجوز ان يكون المعادلة وقعت بين البانيين ويجوز
ان يكون بين البنائين فاذا عادلت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خير ام
المؤسس بنيانه غير متق لان قوله على شفا جرف يدل على ان بانيه غير متق لله تعالى ولا خاش
له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كانه ابناء من اسس بنيانه متقيا خير ام بناء من اسس بنيانه
على شفا جرف والبنيان مصدر وقع على المبني مثل الخلق اذا عنيت به المخلوق وضرب الامير
اذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمن يدل على ذلك انه لا يخلو من ان يراد به اسم الحدث او اسم
العين فلا يجوز ان يكون الحدث لانه انما يوسس المبني الذي هو عين ويبين ذلك ايضا قوله على شفا جرف

والحدث لا يعلو شفا جرف والجار في قوله على تقوى من الله وقوله على جرف هار في موضع نصب على
الحال تقديره افمن اسس بنيانه متقيا خير ام من اسس بنيانه غير متق او معاقبا على بنائه فانهار
بالبنيان اي انهار البنيان بالباني في نار جهنم لانه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار
والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما في الراء من التكرير فكانك لفظت براءين
مكسورتين وبحسب كثرة الكسر يحسن الامالة ومن لم يمل فلان ترك الامالة هو الاصل وقوله
الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب تقديره الا الى ان تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة
يحذف مع ان ولا يحذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لانه استثناء من الزمان المستقبل
والمستثنى منه منتهى اليه فاجتمعت مع حتى في هذا الموضع على هذا المعنى **النزول** قال المفسرون
ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قبا وبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يأتيهم
فاتاهم فصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا نبني مسجدا نصلي فيه
ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثني عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب
ابن قشير ونبتل بن الحرث فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا فلما فرغوا منه اتوا رسول الله صلى
الله عليه وآله وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة
والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلي لنا فيه وتدعو
بالبركة فقال عليه الصلوة والسلام اني على جناح سفر ولو قدمنا لاتيناكم ان شاء الله فصلينا
لكم فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك نزلت عليه الآية في شان المسجد
المعنى ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجدا للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل
للمؤمنين فقال والذين اتخذوا مسجدا والمسجد موضع السجود في الاصل وصار في العرف
اسما لبقعة مخصوصة بنيت للصلوة فالاسم عرفي فيه معنى اللغة ضرارا اي مضارة يعني للضرر
باهل مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ليقل الجمع فيه وكفرا اي ولاقامة الكفر
فيه وقيل اراد به كان اتخاذهم ذلك كفرا بالله وقيل ليكفروا فيه بالطعن على رسول الله صلى
الله عليه وآله والاسلام وتفريقا بين المؤمنين اي لاختلاف الكلمة وابطال الالفة وتفريق
الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل اي ارصدوا ذلك

المسجد واتخذوه واعدوه لابي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة حسده وحزب عليه الاحزاب ثم هرب بعد فتح مكة الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي صلى الله عليه وآله يوم احد وكان جنبا فغسلته الملائكة وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله ابا عامر الفاسق وكان قد ارسل الى المنافقين ان استعدوا وابنوا مسجدا فاني اذهب الى قيصر واتي من عنده بجنود واخرج محمدا من المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون ان ياتيهم ابو عامر فمات قبل ان يبلغ ملك الروم وليحلفن ان اردنا الا الحسنى معناه ان هؤلاء يحلفون كاذبين ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على اهل الضعف والعلة من المسلمين فاطلع الله نبيه على فساد طويتهم وخبث سريرتهم فقال والله يشهد انهم لكاذبون وكفى لمن شهد الله تعالى بكذبه خزيا فوجه رسول الله صلى الله عليه وآله عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لهما انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه وروي انه بعث عمار بن ياسر ووحشيا فحرقاه وامر بان يتخذ كناسة يلقى فيه الجيف ثم نهى الله سبحانه ان يقوم في هذا المسجد فقال لا تقم فيه ابدا اي لا تصل فيه ابدا يقال فلان يقوم بالليل اي يصلي ثم اقسم فقال لمسجد اي والله لمسجد اسس على التقوى اي بني اصله على تقوى وطاعته من اول يوم اي منذ اول يوم وضع اساسه عن المبرد احق ان تقوم فيه اي اولى بان تصلي فيه واختلف في هذا المسجد فقيل هو مسجد قبا عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله عن زيد بن ثابت وابن عمر وابي سعيد الخدري وروي هو عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال هو مسجدي هذا وقيل هو كل مسجد بني للاسلام واريد به وجه الله عن ابي مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال فيه اي في هذا المسجد الذي اسس على التقوى رجال يحبون ان يتطهروا اي يحبون ان يصلوا لله تعالى متطهرين بابلغ الطهارة وقيل يحبون ان يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل يحبون ان يتطهروا بالماء عن الغائط والبول وهو

المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لاهل قبا ماذا تفعلون في طهركم فان الله تعالى قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغائط فقال انزل الله فيكم والله يحب المطهرين اي المتطهرين ثم قرر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار قد مضى بيانه والمراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما ان من بنا على جانب هذا النهر فانه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بنا هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني انه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فان عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف في قوله افمن الف استفهام يراد به الانكار هاهنا وليس معنى خير في الآية افضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر وقال الشاعر والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور واما قوله وافعلوا الخير فان معناه وافعلوا الافضل وقوله فانهار به في نار جهنم اي اوقعه ذلك البناء في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين مر بيانه وروي عن جابر بن عبد الله انه قال رايت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي لا يزال بناء المبني الذي بنوه شكا في قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتا على النفاق وقيل معناه حزازة في قلوبهم وقيل حسرة في قلوبهم يترددون فيها الا ان تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا والمراد بالآية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم فاذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم حكيم اي عالم بنيتهم في بناء المسجد الضرار حكيم في امره بنقضه والمنع من الصلوة فيه

قوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون

الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين آيتان **القراءة** قرا اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الياء ويقتلون
ويقتلون بفتح الياء والباقون فيقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفي قراءة ابي وعبد الله
ابن مسعود والاعمش التائبين العابدين بالياء الى آخرها وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلم **الحجة** قال ابو علي من قرا فيقتلون ويقتلون فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلانهم
يقتلون اولا في سبيل الله ويقتلون ولا يهلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول
جاز ان يكون في المعنى مثل الاول لان المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم فان لم يقصد
فيه التقديم كان المعنى في قوله فيقتلون بعد قوله يقتلون يقتل من بقي منهم بعد قتل
من قتل واما الرفع في قوله التائبون العابدون فعلى القطع والاستيناف اي هم التائبون
ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتداء وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود
الله اي لهم الجنة ايضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير في يقاتلون اي يقاتل
التائبون واما التائبين العابدين فيحتمل ان يكون جرا وان يكون نصبا فاما الجر فعلى ان
يكون وصفا للمؤمنين اي من المؤمنين التائبين واما النصب فعلى اضمار فعل بمعنى
المدح كانه قال اعني وامدح التائبين **اللغة** السائح من ساح في الارض يسيح سيحا اذا
استمر في الذهاب ومنه السيح الماء الجاري ومن ذلك سمي الصائم سائحا لاستمراره على الطاعة
في ترك المشتهى **الاعراب** وعدا نصب على المصدر لان قوله اشترى يدل على انه وعد ومثله
صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها **المعنى** لما تقدم ذكر المؤمنين
والمنافقين عقب سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة حقيقة الاشتراء لا يجوز على الله تعالى لان المشتري انما يشتري
ما لا يملك وهو عز اسمه مالك للاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا في انه ذكر لفظ الشراء والقرض تلطفا لتاكيد الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب
على نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على ضرب من المجاز
واخبر انه اشترى من المؤمنين انفسهم يبذلونها في الجهاد في سبيل الله واموالهم ايضا ينفقونها

ابتغاء

ابتغاء مرضاة الله على ان يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الاعمش انه قرا بالجنة وهي قراءة عمر
ابن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان جهاد اللسان ابلغ
لان سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اولا باللسان والسيف تابع له ولان اقامة
الدليل على صحة المدلول اولى وايضاح الحق وبيانه احرى وذلك لا يكون الا باللسان وقد
قال النبي صلى الله عليه وآله لان يهدي الله على يديك نسمة خير مما طلعت عليه الشمس
وانما ذكر سبحانه شرى النفس والمال لان العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث
لهما ويروى ان الله تاجر المؤمنين فاغلى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق عليه السلام
يقول يا من ليست له همة انه ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها وانشد الاصمعي
للصادق عليه السلام اثامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن بها تشترى الجنات
ان انا بعتها بشيء سواها ان ذلكم غبن اذا ذهبت نفسي بشيء اصبتها فقد ذهب الدنيا
وقد ذهب الثمن يقاتلون في سبيل الله هذا بيان للغرض الذي لاجله اشتراهم فيقتلون
المشركين ويقتلون اي يقتلهم المشركون يعني ان الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا او
قتلوا ومن قرا فيقتلون ويقتلون فهو المختار عند الحسن لانه يكون تسليم النفس الى
المشتري اقرب والبائع انما يستحق الثمن بتسليم المبيع وعدا عليه حقا معناه ان ايجاب الجنة
لهم وعد على الله حق لا شك فيه وتقديره وعدهم الجنة على نفسه وعدا صدقا واجبا
لا خلف فيه في التوراة والانجيل والقرآن وهذا يدل على ان اهل كل ملة امروا بالقتال
ووعدوا عليه الجنة عن الزجاج ومن اوفى بعهده من الله معناه ولا احد اوفى بعهده
من الله لانه يفي ولا يخلف بحال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فافرحوا بهذه البيعة
حتى يرى آثار السرور في وجوهكم بسبب هذه المبايعة لانكم بعتم الفاني من ملككم واخذتم
ثمنه ولانكم بعتم فانيا بباق وزائلا بدائم وذلك هو الفوز العظيم اي ذلك الشراء و
البيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترى منهم
الانفس والاموال باوصاف فقال التائبون اي الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون
اليه النادمون على ما فعلوه من القبائح العابدون اي الذين يعبدون الله وحده ويتذللون له

بطاعته في اوامره ونواهيه وقيل هم الذين اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم فعبدوا الله في السراء والضراء عن الحسن وقتادة والحامدون الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله عليهم على وجه الاخلاص له السائحون اى الصايمون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وروى مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال سياحة امتي الصيام وقيل هم الذين يسيحون في الارض ليعتبرون بعجايب الله تعا وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض لطلبه عن عكرمة الراكعون الساجدون اي المودون للصلوات المفروضة التي فيها الركوع والسجود والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ادخل الواو وههنا لان الامر بالمعروف يقتضي النهي عن المنكر فكانهما شئ واحد ولانه قرن النهي عن المنكر بالامر بالمعروف في اكثر المواضع فادخل الواو ليدل على المقارنة والحافظون لحدود الله اي والقايمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يودون فرايض الله واوامره ويجتنبون نواهيه لان حدود الله اوامره ونواهيه وانما ادخل الواو لانه جاء وهو اقرب الى المعطوف وبشر المومنين هذا امر للنبي صلى الله عليه واله ان يبشر المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة اذا جمعوا هذه الاوصاف وقد روى اصحابنا ان هذه صفات الايمة المعصومين عليهم السلم لانه لا يكاد يجمع هذه الاوصاف بتمامها وكمالها غيرهم ولقي الزهري علي ابن الحسين عليهما السلم في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصعوبته واقبلت على الحج والله تعالى يقول ان الله اشترى من المومنين انفسهم الاية فقال عليه السلم اقرا الاية الاخرى التايبون العابدون الى آخرها ثم قال اذا رايناهولاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج قوله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ ايتان اللغة اصل الاواه من التاوه وهو التوجع والتحزن يقال تاوه تاوها واوه تاويها قال المثقب العبدي اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه اهة الرجل الحزين والوجا منه فعل متصرفا لكان اه يووه اوها مثل قال يقول قولا

والعرب يقول اوه من كذا مصرفا لكان اه يووه بكسر الواو وتسكين الهاء قال فاوه بذكرها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وسما والعامة يقول اوه وفيه خمس لغات اوه بسكون الواو وكسر الهاء واه واوه بالتنوين واه واوه المعنى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ومعناه ليس للنبي والمومنين ان يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يعبدون مع الله الها آخر والذين لا يوحدونه ولا يقرون بالاهيته ولو كانوا اولي قربى اي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة اقرب الناس اليهم من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي من بعد ان يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود في النار وفي تفسير الحسن ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله الا تستغفر لابائنا الذين ماتوا في الجاهلية فانزل سبحانه هذه الاية وبين انه لا ينبغي لنبي ولا مومن ان يدعوا لكافر ويستغفر له وقوله وما كان للنبي ابلغ من ان يقول لا ينبغي للنبي لانه يدل على قبحه وان الحكمة تمنع منه ولو قال لا ينبغي لم يدل على ان الحكمة تمنع منه وانما كان يدل على انه لا ينبغي له ان يختاره ومعناه لم يجعل الله في دينه ولا في حكمه ان يستغفروا للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة وشفقة الرحم الى الاستغفار لهم بعد ما ظهر لهم عنادا عظيما ثم بين سبحانه الوجه في استغفار ابراهيم لابيه مع كونه كافرا سواء كان اباه الذي ولده او جده لامه او عمه على ما رواه اصحابنا فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اي لم يكن استغفاره له الا صادرا عن موعدة وعدها اياه واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو ابراهيم او ابوه فقيل ان الموعدة كانت من الاب وعد ابراهيم انه يومن ان استغفر له فاستغفر له لذلك فلما تبين له انه عدو لله ولا يفي بما وعد تبرا منه وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة الا انهم قالوا انما تبين عداوته لما مات على كفره وقيل ان الموعدة كانت من ابراهيم قال لابيه اني استغفر لك ما دمت حيا وكان يستغفر له بشرط الايمان فلما ايس من ايمانه تبرا منه وهذا يوافق قراءة الحسن الا عن موعدة وعدها اباه ويقويه قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شئ ان ابراهيم لاواه اي دعاء كثير الدعاء والبكاء عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل الاواه الرحيم بعباد الله عن الحسن وقتادة وقيل الذي اذا ذكر النار قال اوه عن كعب

وقيل الأواه المؤمن بلغة الحبشة عن ابن عباس وقيل الأواه الموقن المستيقن عن مجاهد وعكرمة
وقيل الأواه العفيف عن النخعي وقيل هو الراجع عن كل ما يكره الله عز وجل عن عطا وقيل هو
الخاشع المتضرع رواه عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وآله وقيل هو المسبح الكثير
الذكر لله سبحانه عن عقبة بن عامر وقيل هو المتأوه شفقا وحرقا المتضرع يقينا بالإجابة ولزوما
للطاعة عن أبي عبيدة وقال الزجاج وقد انتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأواه حليم
فعال بلغ من حلم ابراهيم ان رجلا آذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحليم السيد عن
ابن عباس واصله انه الصبور على الاذى الصفوح عن الذنوب النظم لما تقدم ذكر
الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلوة عليهم والقيام على قبرهم للدعاء لهم
نهى عن دعائهم بعد موتهم ولما نهى الله النبي والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ذكر
قصة ابراهيم وعذره في الاستغفار لابيه واما قوله ان ابراهيم لاواه حليم فانما اتصل
بما قبله بانه اذا كان له صفة الرأفة والرحمة يكون في دعائه اخلص وعلى خلاص اقربائه
من العذاب احرص ومن ذلك تبرأه منه لما يأس من فلاحه قوله عز وجل وما كان الله
ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء
عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير آيتان النزول قيل مات قوم من المسلمين على الاسلام
قبل ان تنزل الفرايض فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرايض ما
منزلتهم فنزل وما كان الله ليضل قوما الآية عن الحسن المعنى وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هديهم اي ما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدايتهم حتى يبين لهم ما يتقون
من الامر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم وقيل وما كان
الله ليعذب قوما فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد اذ هديهم ودعاهم الى
الايمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما
نسخ بعض الشرايع وقد غاب اناس وهم يعملون بالامر الاول اذ لم يعلموا بالامر الثاني مثل تحويل
القبلة وغير ذلك وقد مات الاولون على الحكم الاول سئل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك

فانزل

فانزل الله الآية وبين انه لا يعذب هؤلاء على التوجه الى القبلة الاولى حتى يسمعوا النسخ ولا يعملوا
بالناسخ فحينئذ يعذبهم عن الكلبي ان الله بكل شيء عليم يعلم جميع المعلومات حتى لا يخفى
منها عنه لكونه عالما لنفسه ان الله له ملك السموات والارض الملك اتساع المقدور
لمن له السياسة والتدبير يحيي ويميت اي يحيي الجماد ويميت الحيوان وما لكم من دون الله
من دون الله من ولي ولا نصير اي ليس لكم حافظ سواه يحفظكم وولي يتولى امركم ولا ناصر
ينصركم ويدفع العذاب عنكم النظم وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم
على المؤمنين ان يستغفروا للمشركين بين انه سبحانه لا يأخذهم بذلك الا بعد ان يدلهم على تحريمه
عن مجاهد ووجه اتصال الآية الثانية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين كما هم
ملوكهم وغير ملوكهم لانهم عبيد من له ملك السموات والارض يأمر فيهم ما يشاء ويدبرهم
على ما يشاء عن علي بن عيسى قوله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين و
الانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم
ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله
الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم آيتان القراءة قرأ حمزة
وحفص عن عاصم يزيغ بالياء وهو قراءة الاعمش والباقون تزيغ بالتاء والقراءة المشهورة
الذين خلفوا وقرأ علي بن الحسين زين العابدين وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر
بن محمد الصادق عليهم السلام وابو عبد الرحمن السلمي خالفوا وقرأ عكرمة وزر بن حبيش
وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة الحجة قال ابو علي يجوز ان يكون فاعل كاد
احد ثلثة اشياء الاول ان يضمر فيها القصة والحديث ويكون يزيغ الخبر وجاز ذلك
فيها وان كان الاصل فيها في اضمار القصة انما هو في الابتداء لان الخبر لازم لكاد فاشبه
العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر قال ولا يجوز ذلك في عسى لان عسى قد يكون
فاعله المفرد في كثير من الامر فلا يلزمه الخبر كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فاذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد كما يحتمله ليس

الافعال التي يسند الى فاعلها مما لا يدخل على المبتدا والثاني ان يضمر في كاد ذكر مما تقدم لما كان
النبي صلى الله عليه واله والمهاجرون والانصار قبيلا واحدا وفريقا واحدا جاز ان يضمر
في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الاسماء
المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمله على المعنى مثل قوله امن بالله واليوم الاخر
ثم قال فلا خوف عليهم فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه والثالث ان يكون فاعل كاد القلوب
وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قد تزيغ كما تقدم خبر كان وجاز
تقديمه وان كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الاضمار قبل الذكر لما
كان النية به التاخير كما لا يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التاخير فاما من قرا
يزيغ بالياء فيجوز ان يكون قد ذهب الى ان في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب تزيغ فذكر
ان كان فاعله مونثا لتقدم الفعل ومن قرا تزيغ بالتاء جاز ان يكون ذهب الى ان القلوب
مرتفعة بكاد وجاز ان يكون الفعل المسند الى القصة او الحديث مونثا اذا كان في الجملة
بعدها مونث كقولك فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جاز تانيث هي التي ضمير القصة
لذكر الابصار المونثة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يونث الذي في كاد لذكر المونث
في الجملة المفسرة فيقول كادت وتدغم التاء التي هي علامة التانيث في تاء تزيغ وتزيغ على هذا
للقلوب وهي مرتفعة به ويجوز الحاق التاء بكاد من وجه آخر وهو ان يرفع قلوب فريق
بكاد فيلحقه علامة التانيث من حيث هو مسند الى مونث ومن قرا خلفوا فتاويله
اقاموا ولم يبرحوا ومن قرا خالفوا فمعناه عايد الى ذلك لانهم اذا خالفوهم فاقاموا
فقد خلفوا هناك اللغة الزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم وازاغت الشمس اذا مالت وزاغ عن الطريق جاز وعدل والتخليف تاخير الشي عن مضي
فاما تاخر الشي عنك في المكان فليس تخليف وهو من الخلف الذي هو مقابل الجهة الوجه
يقال خلفه اي جعل خلفه فهو مخلف ورحبت البلاد اذا اتسعت والرحب السعة ومنه مرحبا
واهلا اي رحبت بلادك واهلت والضيق ضد السعة والظن هنا بمعنى اليقين كما في قول
دريد ابن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد النزول نزلت الاية الاولى

في غزوة

في غزاة تبوك وبالحق المسلمين فيها من العسرة حتى هم قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه قال الحسن
كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك
وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والاهالة السنخة وكان النفر منهم يخرجون ما معهم
من التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه
فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى ياتي على اخرها ثم فلا يبقى من التمرة الا النوى
قالوا وكان ابو خيثمة عبد الله ابن خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول الله صلى الله عليه
واله عشرة ايام ثم دخل يوما على امراتين له في يوم حار في عريشين لهما قد رشتاهما وبردتا
الماء وهيا ماله الطعام فقام على العريشين فقال سبحان الله ورسول الله قد غفر الله ما تقدم
من ذنبه وما تاخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وابو خيثمة في ظلال
بارده وطعام مهيا وامراة حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا اكلم واحدة منكما
كلمة ولا ادخل عريشا حتى الحق بالنبي صلى الله عليه واله فاناخ ناضحه وشد عليه وتزود وارتحل
وامراتاه يكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى دنا من تبوك فقال الناس هذا راكب على الطريق فقال
النبي صلى الله عليه واله كن ابا خيثمة فلما دنا قال الناس هذا ابو خيثمة يا رسول الله فاناخ
راحلته وسلم على رسول الله صلى الله عليه واله فقال عليه الصلوة والسلام اولى لك فحدثه
الحديث فقال له خيرا ودعا له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله واما الاية الثانية
فانها نزلت في شان كعب بن مالك ومرارة ابن الربيع وهلال ابن اميه وذلك انهم تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه واله ولم يخرجوا معه لا عن نفاق لكن عن توان ثم ندموا فلما
قدم النبي صلى الله عليه واله المدينة جاؤا اليه فاعتذروا فلم يكلمهم النبي صلى الله عليه واله
وتقدم الى المسلمين بان لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نساؤهم
الى النبي صلى الله عليه واله فقلن له يا رسول الله نعتزلهم فقال لا ولكن لا يقربوكن فضاقت
عليهم المدينة فخرجوا الى رؤس الجبال وكان اهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال
بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد منهم فهلا نتهاجر نحن ايضا فتفرقوا ولم يجتمع
منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوما يتضرعون الى الله ويتوبون اليه فقبل الله تعالى توبتهم

وانزل فيهم هذه الآية المعنى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار اقسم الله تعالى في هذه الآية لان
لام لقد لام القسم بانه سبحانه قبل توبتهم وطاعتهم وانما ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله مفتاحا
للكلام وتحسينا له ولانه سبب توبتهم والا فلم يكن منه ما يوجب التوبة وقد روي عن الرضا
علي ابن موسى عليهما السلم انه قرا لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والانصار الذين
اتبعوه في الخروج معه الى تبوك في ساعة العسرة وهي صعوبة الامر قال جابر يعني عسرة الزاد
وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لان الساعة تقع على كل زمان
وقال عمر ابن الخطاب رض اصابنا حر شديد وعطش فامطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي صلى
الله عليه وآله فعشنا بذلك من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الجهاد فهموا بالانصراف
عن غزاتهم من غير امر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي صلى الله عليه وآله ثم تاب
عليهم من بعد ذلك الزيغ ولم يرد بالزيغ ههنا الزيغ عن الايمان انه بهم رءوف رحيم
تداركهم برحمته والرافة اعظم الرحمة وعلى الثلثة الذين خلفوا قال مجاهد معناه خلفوا
عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى وآخرون
مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وقال الحسن وقتادة معناه خلفوا عن غزاة
تبوك لما تخلفوا هم واما قراءة اهل البيت عليهم السلم خالفوا فانهم قالوا لو كانوا لما
توجه عليهم العتب ولكنهم خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها
وما ههنا مصدرية ومعناه ضاقت الارض مع اتساعها هذه صفة من بلغ غاية الندم حتى
انه لا يجد لنفسه مذهبا وذلك بان النبي صلى الله عليه وآله امر الناس بان لا يجالسوهم و
لا يكلموهم كما ذكره لانه كان نزل توبة الناس ولم تنزل توبتهم ولم يكن ذلك على معنى رد توبتهم
لانهم كانوا مامورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة لكن الله
سبحانه اراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تاخير انزال توبتهم واراد به استصلاحهم واستصلاح
غيرهم لئلا يعودوا الى مثله وضاقت عليهم انفسهم هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى
كانهم لم يجدوا لانفسهم موضعا يحفونها فيه وقيل معنى ضيق انفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي
حصل فيها وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي ايقنوا انه لا معتصم من الله الا به وان لا ينجيهم

ليعودوا

من عذاب الله الا التوبة ثم تاب عليهم ليتوبوا اي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا اي
الى حالتهم الاولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلثة وانزل توبتهم على نبيه صلى الله عليه
وآله ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بان الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن اما والله ما سفكوا
من دم ولا اخذوا من مال ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول
الله وتخلف هؤلاء وكان احدهم تخلف بسبب ضيعة له والآخر لاهله والآخر طلبا للراحة
ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم ان الله هو التواب اي الكثير القبول للتوبة الرحيم بعباده
النظم اتصلت الآية بقوله التائبون الآية التي اثنى الله سبحانه عليهم هناك وبين في هذه الآية
قبول توبتهم ورضاه عنهم باتباعهم النبي صلى الله عليه وآله في ساعة العسرة عن ابي مسلم
وقيل انه سبحانه لما ذكر ان له ملك السموات والارض ولا ناصر لاحد دونه بين عقيبه رحمته
بالمؤمنين ورافته بهم في قبول توبتهم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين القراءة في مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين
وروي ذلك ايضا عن ابي عبد الله عليه السلم اللغة الصادق هو القائل بالحق العامل به
لانها صفة مدح لا تطلق الا على من يستحق المدح على صدقه المعنى ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين
المصدقين بالله المقرين بنبوة نبيه فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي اتقوا معاصي الله
واجتنبوها وكونوا مع الصادقين الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ومعناه
كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وافعاله وصاحبوهم ورافقوهم كقولك
انا مع فلان في هذه المسئلة اي اقتدي به فيها وقد وصف الله سبحانه الصادقين في سورة
البقرة بقوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا و
اولئك هم المتقون فامر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم
الله في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة
بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن ابي طالب وروى الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي واصحابه وروى جابر عن ابي جعفر ع
في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد وقيل مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح

في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد واصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت نياتهم واستقامت
قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس
وقيل ان مع ههنا بمعنى من فكانه امر بالكون من جملة الصادقين ويعضده قراءة من قرأ من الصادقين
والمعنيان متقاربان هنا لان مع للمصاحبة ومن للتبعيض فاذا كان في جملتهم فهو معهم و
بعضهم وقال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرؤا
ان شئتم هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة قوله عز وجل مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ
مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا
يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا
يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيتان
اللغة الرغبة طلب المنفعة يقال رغب فيه اذا طلب المنفعة به ورغب عنه اذا طلب المنفعة
بتركه والظمأ شدة العطش والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة كليني لهم يا اميمة ناصب
وليل اقاسيه بطيء الكواكب والمخمصة المجاعة واصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن
وامرأة خمصانة ضامرة البطن والموطئ الارض والغيظ انتقاص الطبع بما يرى مما يسوءه يقال
غاظه يغيظه المعنى لما قص الله سبحانه قصة الذين تأخروا عن الخروج مع النبي صلى الله عليه
وآله الى تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته
بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والازراء على ما فعلوه فقال ما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ظاهره
خبر ومعناه نهي مثل قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اي ما كان يجوز وما كان يحل
لاهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي ان يتخلفوا عنه في غزاة وغيرها بغير عذر
وقيل انهم مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اي ما كان يجوز
لهم ولجميع المؤمنين ان يطلبوا نفع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها

لحق

لحق برسول الله صلى الله عليه وآله فيما دعاهم اليه من الهدى الذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر
الى نور الايمان وقيل معناه ولا يرضوا لانفسهم بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه
وآله في الحر والمشقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اي ترفعت عنه بل عليهم ان يجعلوا
انفسهم وقاية النبي صلى الله عليه وآله ذلك اي ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف بانهم لا يصيبهم
ظمأ اي عطش ولا نصب اي ولا تعب في ابدانهم ولا مخمصة في سبيل الله اي ولا مجاعة
وهي شدة الجوع في طاعة الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار اي لا يضعون اقدامهم
موضعا يغيظ الكفار وطؤهم اياه يعني دار الحرب فان الانسان يغيظه ويغضبه ان يطأ
غيره موضعه ولا ينالون من عدو نيلا اي ولا يصيبون من المشركين امرا من قتل او جراح
او مال او امر يغمهم ويغيظهم الا كتب لهم به عمل صالح وطاعة رفيعة ان الله لا يضيع اجر
المحسنين اي الذين يفعلون الافعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي
هذا التحريض على الجهاد واعمال الخير ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة اي ولا ينفقون
في الجهاد ولا في غيره من سبيل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك اعزاز دين
الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك الى الله تعالى ولا يقطعون واديا اي ولا يجاوزون واديا
الا كتب لهم ثواب ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اي يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها
بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير الثواب احسن واكثر من عملهم وقيل ان الاحسن
من صفة عملهم لان الاعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وانما يجازى على الواجب والمندوب دون
المباح فيقع الجزاء على احسن الاعمال وقيل معناه ليجزيهم الله احسن احسن ما كانوا يعملون
قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والآيتان تدلان على وجوب
الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك
فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي صلى الله عليه وآله الى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد
به اهل المدينة ومن حولها من الاعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل انه خاص في النبي صلى
الله عليه وآله ليس لاحد ان يتخلف عنه في الجهاد الا لعذر فاما غيره من الائمة فيجوز التخلف
عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لاول هذه الامة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الاوزاعي

وابن المبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الاسلام وفي اهله قلة فاما الآن وقد كثر الاسلام واهله
فانه منسوخ بقوله وماكان المومنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد وهذا هو الاقوى لانه
لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل احد لصار من فروض الاعيان

قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا
فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من
يقول ايكم زادته هذه ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اربع آيات

اللغة التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان انه قال لامراة فقهت اي علمت
وفهمت فاما فقهت بضم القاف فمعناه صارت فقيهة وقد اختص في العرف بعلم الاحكام
الشرعية فيقال لكل عالم بها فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال لله
سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء لما فيه من الضرر قال الزجاج غلظة وغُلظة وغَلظة ثلاث
لغات قال ابو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض في الآية الشك لانه فساد
في القلب يحتاج الى علاج كما ان الفساد في البدن يحتاج الى مداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه
اعسر ودواؤه اعز واطباؤه اقل

الاعراب لولا نفر معنى هلا نفر وهي للتحضيض اذا دخلت على
الفعل فاذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشيء لاجل وجود غيره ليتفقهوا اي ليتفقه
باقيهم لانه اذا تفقه طائفة منهم تفقه من بقي منهم وان شئت فمعناه ليتفقه كلهم لان
من نفر منهم اذا رجع استعلم من بقي فصار كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال
وكذلك قوله وهم كافرون

النزول قيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا خرج غازيا
لم يتخلف عنه الا المنافقون والمعذورون فلما انزل الله عيوب المنافقين وبين نفاقهم في
غزاة تبوك قال المومنون والله لا نتخلف عن غزاة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وآله
ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله صلى الله عليه وآله بالسرايا الى الغزو نفر المسلمون جميعا وتركوا رسول

ع الربع

فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا

الله

الله صلى الله عليه وآله وحده فانزل الله سبحانه وماكان المومنون لينفروا الآية عن ابن عباس في
رواية الكلبي وقيل انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خرجوا في البوادي
فاصابوا من الناس معروفا وخصبا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس
ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا واقبلوا كلهم من
البادية حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله فانزل الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد

المعنى لما تقدم الترغيب في الجهاد بابلغ اسباب الترغيب وتانيب من تخلف عنه بابلغ اسباب
التانيب بين في هذه الآية موضع الرخصة في تاخر من تاخر عنه فقال سبحانه وماكان المومنون
لينفروا كافة وهذا نفي معناه النهي اي ليس للمومنين ان ينفروا ويخرجوا الى الجهاد باجمعهم ويتركوا
النبي صلى الله عليه وآله فريدا وحيدا وقيل معناه ليس عليهم ان ينفروا كلهم من بلادهم الى النبي
صلى الله عليه وآله ليتعلموا الدين ويضيعوا من ورائهم ويخلوا ديارهم عن الحماية فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين اختلف في معناه على وجوه احدها ان معناه فهلا خرج
الى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي صلى الله عليه وآله جماعة ليتفقهوا في الدين يعني
الفرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والاحكام فاذا رجعت السرايا وقد نزل
بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم اذا رجعوا اليهم ان الله قد انزل بعدكم على نبيكم قرآنا
وقد تعلمناه فيتعلمه السرايا فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم اي وليعلموهم القرآن
ويخوفوهم به اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الوالبي
وقتادة والضحاك وقال الباقر عليه السلم كان هذا حين كثر الناس فامرهم الله سبحانه ان تنفر طائفة
وتقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوبا وثانيها ان التفقه والانذار يرجعان الى الفرقة
النافرة حثها الله على التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها ومعنى ليتفقهوا في الدين ليتبصروا
ويتيقنوا بما يريهم الله عز وجل من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم
من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبرونهم بنصر الله النبي والمومنين ويخبرونهم انهم
لا يدان لهم بقتال النبي صلى الله عليه وآله والمومنين لعلهم يحذرون ان يقاتلوا النبي صلى
الله عليه وآله فينزل بهم ما نزل باصحابهم من الكفار عن الحسن وابي مسلم قال ابو مسلم اجتمع

بعدكم على نبيكم صح

يعملون صح

اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين ولانذار قومهم وثانيهما ان التفقه راجع الى النافرة والتقدير ما كان لجميع المومنين ان ينفروا الى النبي صلى الله عليه وآله ويخلوا ديارهم
ولكن لينفر اليه من كل ناحية طائفة لتسمع كلامه وتتعلم الدين منه ثم ترجع الى قومها
فتبين لهم ذلك وتنذرهم عن الجبائي قال والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وانما سمي
ذلك نفرا لما فيه من مجاهدة اعداء الدين قال القاضي ابو عاصم وفي هذا دليل على اختصاص
الغربة بالتفقه فان الانسان يتفقه في الغربة ما لا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين
سبحانه ما يجب تقديمه فقال يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
اي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الاقرب منهم فالاقرب في النسب والدار قال
الحسن كان هذا قبل الامر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لانه لا ينبغي
لاهل كل بلد ان يخرجوا الى قتال الابعد ويدعوا الاقرب والادنى لان ذلك يؤدي
الى الضرر وربما يمنعهم ذلك عن المضي في وجهتهم الا ان يكون بينهم وبين الاقرب موادعة
فلا بأس حينئذ بمجاوزة الاقرب الى الابعد على ما يراه المتولي لامور المسلمين ولو قال
قاتلوا الابعد فالابعد لكان لا يصح لانه لا حد للابعد يبتدأ منه كما للاقرب وفي هذا دلالة
على انه يجب على اهل كل ثغر الدفاع عن انفسهم اذا خافوا على بيضة الاسلام وان لم يكن
هناك امام عادل وقال ابن عباس امروا ان يقاتلوا الادنى فالادنى من عدوهم مثل قريظة
والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر انهم الروم لانهم سكان الشام والشام اقرب الى
المدينة من العراق وكان الحسن اذا سئل عن قتال الروم والترك والديلم تلا هذه الآية
وليجدوا فيكم غلظة اي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبرا على
الجهاد عن الحسن والمعنى وليحسوا منكم بضد اللين وخلاف الرقة وهو العنف والشدة
ليكون ذلك زجرا لهم واعلموا ان الله مع المتقين عن الشرك اي معينهم وناصرهم ومن
كان الله ناصره لم يغلبه احد فاما اذا نصره سبحانه بالحجة فانه يجوز ان يغلب بالحرب
لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال سبحانه واذا
ما انزلت سورة من القرآن فمنهم اي من المنافقين من يقول على وجه الانكار اي يقول بعضهم

لبعض ايكم زادته هذه ايمانا وقيل معناه يقول المنافقون للمومنين الذين في ايمانهم ضعف ايكم
زاده هذه السورة ايمانا اي يقينا وبصيرة فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا معناه فاما المومنون
المخلصون فزادتهم تصديقا بالفرائض ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الايمان
انهم كانوا مومنين بما قد نزل من قبل فامنوا بما نزل الآن وهم يستبشرون اي يسرون و
يبشر بعضهم بعضا قد تهللت وجوههم وفرحوا بنزولها واما الذين في قلوبهم مرض
اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اي نفاقا وكفرا الى نفاقهم وكفرهم لانهم
يشكون في هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور فتلك هو الزيادة وسمى الكفر
رجسا على وجه الذم له وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الانجاس واضاف الزيادة الى السورة
لانهم يزدادون عندها رجسا ومثله كفى بالسلامة داء وقول الشاعر وحسبك داء ان تصح
وتسلما وماتوا وهم كافرون اي وادام شكهم فيما انزل الله تعالى من السور الى ان ماتوا
على كفرهم وآبوا شر مآب قوله عز وجل اَوَلَا يَرَوْنَ اَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مَرَّةً اَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ وَاِذَا مَا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ
بَعْضُهُمْ اِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ اَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ بِاَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ اربع آيات القراءة قرا اولا ترون بالتاء
حمزة ويعقوب وهي قراءة ابي بن كعب وقرا الباقون بالياء والقراءة المشهورة من انفسكم
بضم الفاء وقرا ابن عباس وابن علية وابن محيصن والزهري من انفسكم بفتح الفاء وقيل
انها قراءة فاطمة عليها السلم الحجة من قرا بالتاء فهو خطاب للمومنين ومن قرا بالياء
فهو تقريع للمنافقين بالاعراض عما يجب ان لا يعرضوا عنه من التوبة والاقلاع عما
هم عليه من النفاق ومن قرا من انفسكم فمعناه من اشرافكم ومن خياركم يقال هذا انفس
المتاع اي اجوده وخياره واشتقاقه من النفس وهي اشرف ما في الانسان اللغة العزيز
الشديد والعزيز في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريده والعزيز

امتناع الشي فيما تعذر معه ما يحاوله منه وهو على ثلثة اوجه امتناع الشي بالقدرة او بالقلة
او بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والاذى الذي يضيق به الصدر وعنت الدابة تعنت عنتا
اذا حدث في قوائمها كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري وكانه شق عليه الجري واكمة عنوت
شاقة المصعد وحسبي الله اي كافي الله وهو من الحساب لانه تعالى يعطي بحسب الكفاية التي
تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حد ونهاية اذ نعمه دائمة ومننه متواترة متظاهرة
والتوكل تفويض الامر الى الله على الثقة بحسن تدبيره وكفايته الاعراب اولا يرون الواو
للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الرؤية ان يكون المتعدية الى مفعولين وان
يكون من رؤية العين فاذا كانت المتعدية الى مفعولين سد ان مسدهما وان كانت من
رؤية العين يكون ابلغ ما عنتم ما مع الصلة وتقديره عزيز عليه عنتكم فهو في موضع
رفع بعزيز وقوله لا اله الا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقا للاخلاص
العبادة والاقرار بالوحدانية وجر القراء العظيم على انه صفة للعرش ولو قرئ بالرفع على
ان يكون صفة لرب العرش لجاز المعنى ثم نبه سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر
لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فيه فقال اولا يرون اي اولا يعلم هؤلاء المنافقون وقيل
معناه اولا يبصرون انهم يفتنون اي يمتحنون في كل عام مرة او مرتين اي دفعة او دفعتين
بالامراض والاوجاع وهي رائد الموت ثم لا يتوبون اي لا يرجعون عن كفرهم ولا هم
يذكرون اي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه
واله وما يرون ورسوله وما ينال اعداه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل
بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك استارهم وما يظهر من خبث سرائرهم عن مقاتل
وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القطر وذهاب الثمار عن الضحاك واذا ما انزلت سورة نظر
بعضهم الى بعض معناه واذا انزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي صلى الله
عليه واله كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم الى بعض نظرا يومئون به هل يراكم من احد
وانما يفعلون ذلك لانهم منافقون يحذرون ان يعلم بهم فكانهم يقول بعضهم لبعض هل
يراكم من احد ثم يقومون فينصرفون وانما يفعلون ذلك مخافة ان تنزل اية تفضحهم وكانوا

ذلك

ذلك بالسنتهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكانه يقول ذلك وقيل معناه ان المنافقين
كان ينظر بعضهم الى بعض نظر تعنت وطعن في القرآن ثم يقولون هل يرانا احد من المسلمين فاذا
تحقق لهم انه لا يراهم احد من المسلمين بالغوا فيه وان علموا انه يراهم احد منهم كفوا عنه ثم انصرفوا
اي انصرفوا عن المجلس وقيل انصرفوا عن الايمان به صرف الله قلوبهم عن الفوائد التي يستفيدها
المؤمنون والسرور بها وحرموا الاستبشار بتلك الحال وقيل معناه صرف الله قلوبهم
عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على انصرافهم عن الايمان بالقرآن وعن مجلس النبي صلى الله
عليه واله وقيل انه على وجه الدعاء عليه اي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ودعاء الله
على عباده وعيدهم واخبار بلحاق العذاب بهم عن ابي مسلم بانهم قوم لا يفقهون اي ذلك
بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لانهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق
واكد خطابه بالقسم فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم عنى بالرسول محمدا صلى الله عليه واله
اي جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني اسمعيل عن السدي وقيل
ان الخطاب للعرب وليس في العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي عليه الصلوة والسلم فيهم نسب
عن ابن عباس وقيل معناه انه من نكاح لم يصبه شي من ولادة الجاهلية عن الصادق عليه السلم
وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية
شي ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وامتن الله سبحانه عليهم بكونه منهم لانه اذا عرفوا
مولده ومنشاه وشاهدوه صغيرا وكبيرا وعرفوا حاله وصدقه وامانته ولم يعثروا على
شي يوجب نقصا فيه فبالحري ان يكونوا اقرب الى القبول منه والانقياد عزيز عليه ما عنتم
معناه شديد عليه ما عنتم اي ما يلحقكم من الضرر بترك الايمان وقيل معناه شديد عليه
ما اثمتم عن الكلبي والضحاك وقيل ما اعنتكم وضركم عن القتيبي وقيل ما هلكتم عليه عن ابن
الانباري حريص عليكم معناه حريص على من لم يؤمن ان يؤمن عن الحسن وقتادة بالمؤمنين
رؤف رحيم قيل هما واحد والرافة شدة الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين
وقيل رؤف باقربائه رحيم باوليائه رؤف بمن راه رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله
سبحانه لاحد من الانبياء من اسمائه الا للنبي صلى الله عليه واله فانه قال بالمؤمنين رؤف رحيم

وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم فان تولوا اي ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما امرتهم به ا
عن قبوله وقيل معناه فان تولوا عنك وعن الاقرار بنبوتك فقل حسبي الله اي كافي الله
فانه القادر على كل شيء لا اله الا هو عليه توكلت وبه وثقت وعليه اعتمدت والمودي
اليه فوضت وهو رب العرش العظيم خص العرش بالذكر تفخيما لشانه ولانه اذا كان رب
العرش مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان
فمعناه رب الملك العظيم في السموات والارض عن ابي مسلم وقيل ان هذه الآية
آخر آية نزلت من السماء وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة وقال قتادة آخر القرآن
عهدا بالسماء هاتان الآيتان خاتمة براءة وبالله التوفيق وعليه الاعتماد ه

سورة يونس عليه الصلوة والسلم

هي مكية في قول الاكثرين وروي عن ابن عباس وقتادة الا ثلث آيات نزلت بالمدينة
فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى آخرهن وقال ابن المبارك الا ومنهم من يؤمن
به الآية فانها نزلت في اليهود بالمدينة عدد آيها مائة وتسع آيات عند الجميع غير الشامي
فانه يقول وعشر آيات اختلافها ثلث آيات مخلصين له الدين وشفاء لما في الصدور لنكونن
من الشاكرين غير الشامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من قراها
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون
وروي عن ابي عبد الله عليه السلم من قرا سورة يونس في كل شهرين او ثلثة لم يخف عليه ان
يكون من الجاهلين وكان يوم القيامة من المقربين تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة براءة
بذكر الرسول افتتح هذه السورة بذكره عليه السلم وما انزل عليه من القرآن فقال عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم
ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون
ان هذا لساحر مبين آيتان القراءة قرا الر بامالة الراء ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم
الا يحيى وقرا الباقون بالتفخيم وقرا الساحر بالالف ابن كثير واهل الكوفة وقرا الباقون لسحر بغير

السين وبغير الف الحجة قال ابو علي من امال فقال ر فلانها اسماء لما يلفظ بها من الاصوات المتقطعة
في مخارج الحروف كما ان غاق اسم للصوت الذي يصوته الغراب فجازت الامالة فيها من حيث
كانت اسماء ولم تكن كالحروف التي تمتنع فيها الامالة نحو ما ولا وما اشبهها من الحروف
فان قلت ان الاسماء لا تكون على حرفين احدهما حرف لين وانما يكون على هذه الصفة
الحروف نحو ما ولا فالقول ان هذه الاسماء لا يمتنع ان تكون على حرفين احدهما حرف لين
لان التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق لها ان تبقى على حرف واحد فاذا
امن ذلك لم يمتنع ان يكون الاسم على حرفين احدهما حرف لين الا ترى انهم قد قالوا هذا
شاء فجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التانيث
وكذلك قولك رايت رجلا ذا مال لاتصال المضاف اليه وكذلك قولهم كرت فاز
قال ويدل على قول من قال السحر قوله سبحانه هذا سحر وانا به كافرون ويدل على ساحر قوله
قال الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا الى رجل منهم فمن قرا ساحر اراد
الرجل ومن قرا سحر اراد الذي اوحي سحر اللغة الآية العلامة التي تنبي عن مقطع الكلام من
جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات والحكيم ههنا
بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعل قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها
وقال ابو عبيدة لابي ذويب تواعد في عكاظ لترليه ولم اشعر اذا اني خليفها اي مخلف
من اخلفته الوعد وقيل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه قال الازهري القدم الشيء تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقيل
القدم المقدم كالنقض والقبض وقال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف قال
العجاج زلتوا العوام عن الحكم وتركوا الملك لملك ذي قدم الازهري فلان ذو
القدمية والتقدمة اذا تقدم في الشرف قال ابو عبيدة والكسائي كل سابق في خير
او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وهو مؤنث يقال قدم حسنة
قال حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع وقال ذو الرمة
لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر الاعراب اضيفت آيات الى الكتاب

لانها ابعاض من الكتاب كما ان سورة ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بانه اسم كان وعجبا خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لعجب فلما تقدم صار حالا كقوله لعزة موحشا طلل وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر في موضع نصب تقديره اوحينا بان انذر فحذف الجار فوصل الفعل وان لهم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرئ ان لهم بالكسر لكان جائزا لان البشارة في معنى القول الا انه لم يقرأ به واضيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع المعنى قد مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في اوايل السورة من قبل تلك ايات الكتاب الحكيم معناه ان الايات التي جرى ذكرها اعني الايات التي انزلت على محمد صلى الله عليه وآله هي آيات القرآن المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك اي هذه السورة آيات الكتاب اي اللوح المحفوظ وسماه حكيما لانه ناطق بالحكمة وقيل لانه جمع العلوم والحكم وقيل انما وصف الكتاب بالحكيم لانه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولانه يودي الى المعرفة التي تميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم هذه الف استفهام المراد به الانكار وقيل ان المراد بالناس هنا اهل مكة قالوا العجب ان الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب والتقدير اكان ايحاؤنا الى رجل من الناس بان ينذرهم عجبا ومعناه لما ذا تعجبوا ان اوحينا الى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي كان يجب فعله عند كل العقلاء فان الله تعالى انما اكمل لعباده عقولهم وكلفهم بمعرفته واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الابتداء بدعوتهم اليه وتنبيههم عليه وجب في الحكمة ان يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوحي الذي لاجله بعث وما الذي اوحى اليه فقال ان انذر الناس اي اخبرهم بالعذاب وخوفهم به وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي عرفهم ما فيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الاكرام والاجلال بصالح الاعمال وقيل ان لهم قدم صدق اي اجرا حسنا ومنزلة رفيعة بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان المعنى سبقت لهم السعادة في الذكر الاول ويؤيده قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقيل هو تقديم الله تعالى اياهم في البعث يوم القيمة بانه قوله عليه السلم نحن الآخرون

السابقون يوم القيامة وقيل ان القدم اسم للحسنى من العبد واليد اسم للحسنى من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعة محمد صلى الله عليه وآله لهم يوم القيمة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم قال الكافرون ان هذا الساحر مبين يعنون النبي صلى الله عليه وآله اي قالوا هذا ساحر مظهر للسحر او ما اتى به سحر بين على اختلاف القرائتين والسحر فعل يخفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا الى وصفه بالسحر قوله عز وجل إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ اثنتان القراءة قرا ابو جعفر المدني انه يبدا بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون بكسرها الحجة من قرا انه فتقديره وعد الله حقا لانه يبدا الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الامر العظيم فانه غني عن اخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله حقا انه يبدا الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جني ولا يجوز ان يكون انه منصوب الموضع بنفس وعد لانه قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بتمامه وانقضاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصفة من صلته فاما قول الحطيئة ازمعت ياسا مبينا من نوالكم ولن يرى طاردا للحر كالياس فان قوله من نوالكم ليس من صلته ياس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله ياسا مبينا فكانه قال فيما بعد ايست من نوالكم وقال الفراء من فتح جعله مفعول حقا كما في قول الشاعر احقا عباد الله ان لست زائرا بثينة او يلقى الثريا رقيبها اللغة القسط العدل ومنه القسط النصيب والقسط بفتح القاف الجور والقسط بفتح القاف والسين اعوجاج في الرجلين والحميم الماء الذي يسخن بالنار اشد اسخان قال المرقش الاصغر وكل يوم لها مقطرة فيها كباء معد وحميم الاعراب جميعا نصب على الحال ووعد الله منصوب على المصدر لان قوله اليه مرجعكم

معناه الوعد بالرجوع وحقا منصوب على احق ذلك حقا عن الزجاج واضيف المصدر في
قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما في قول كعب بن زهير تسعى الوشاة جنابيها
وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول اى ويقولون قيلهم المعنى ان ربكم اى خالقكم ومنشئكم
ومالك تدبيركم وتصريفكم بين امره ونهيه والذى يجب عليكم عبادته الله الذى خلق السموات
والارض اى اخترعهما وانشاهما على ما فيهما من عجايب الصنعة وبدايع الحكمة في ستة ايام
بلا زيادة ونقصان مع قدرته على انشائهما دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة
للملائكة وعبرة لهم ولغيرهم اذا اخبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالا بعد حال
واخراج الثمار والانهار شيا بعد شي مع قدرته على ذلك في اقل من لمح البصر لان ذلك
ابعد من توهم الاتفاق فيه ثم استوى على العرش مر تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش
المذكور هنا هو السموات والارض لانهن من بنايه والعرش البنا واما العرش العظيم الذى
تعبد الله سبحانه الملائكة بالحفوف به والاعظام له وعناه بقوله الذين يحملون العرش
ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم ههنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره
اى ثم استولى عليه بانشا التدبير من جهته كما يستوى الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على
تدبيره فان تدبير الامور كلها تنزل من عند العرش ولهذا ترفع الايدى في دعا الحوايج نحو
العرش يدبر الامر اى يقدره وينفذه على وجهه ويرتبه في مراتبه على احكام عواقبه وهو
ماخوذ من الدبور ما من شفيع الا من بعد اذنه انما قال هذا وان لم يجر ذكر الشفعا لان
الكفار كانوا يقولون الاصنام شفعاونا عند الله فبين تعالى ان الشفيع انما يشفع عنده
اذا اذن له في الشفاعة واذا كانت الاصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة مع انه لا يشفع
عنده احد من الملائكة والنبيين الا باذنه وامره ذلكم الله ربكم اى ان الموصوف بهذه
الصفات هو الحكم فاعبدوه وحده لانه لا اله لكم سواه ويستحق هذه الصفات غيره ولا
نفس والاصنام افلا تذكرون حثهم سبحانه على التذكر والتفكر فيما اخبرهم به وعلى تعرف
صحته اليه مرجعكم جميعا المرجع يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى المصدر الذى هو الرجوع
اى اليه موضع رجوعكم بكونه اذا شاء وعد الله حقا اى وعد الله تعالى ذلك عباده وعدا حقا

صدقا

صدقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده اى يبدء الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم ليجزي الذين امنوا
وعملوا الصالحات اى ليوفيهم جزاء اعمالهم بالقسط اى بالعدل لا ينقص من اجورهم شيا والذين
كفروا لهم شراب من حميم اى ماء حار حتى انتهى حره في النار وعذاب اليم وجيع بما كانوا يكفرون
اى جزاء على كفرهم النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما قال اكان للناس عجبا قالوا
وكيف لا نعجب ولا علم لنا بالمرسل فقال ان ربكم الله ويجوز ان يكون على انه لما قال اكان للناس عجبا
وكان هذا احتجاجا على الله سبحانه فكانه قال افتحكمون عليه وهو ربكم قال الاصم ويحتمل ان يكون هذا
ابتدا خطاب للخلق جميعا احتج الله بها على عباده بما بين من بدايع صنعه في السموات والارض وفي
انفسهم هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات لقوم يعلمون
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات
لقوم يتقون ايتان القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير وحفص والعجلي يفصل بالياء والباقون
نفصل بالنون الحجة من قرا بالياء فلانه تقدم ذكر الله سبحانه فاضمره في الفعل ومن قرا بالنون
فمثل قوله تلك ايات الله نتلوها اللغة الجعل ايجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضيا
يجوز ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر ضاء يضوء ضياء مثل
عاذ يعوذ عياذا وقام يقوم قياما وعلى اى الوجهين كان فالمضاف محذوف وتقديره جعل
الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور ويكون جعلا النور والضياء لكثرة ذلك فيهما والاختلاف ذهاب
كل واحد من الشيئين في غير جهة الاخر واختلاف الليل والنهار ذهاب احدهما في جهة الضياء
والاخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وليل وليلة
مثل تمر وتمرة والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس والنهار
واليوم بمعنى واحد الا ان في النهار فائدة اتساع الضياء المعنى ثم زاد سبحانه في الاحتجاج للتوحيد
فقال هو الذى جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات
من النور ففيه صفة زايدة على النور وقدره منازل معلومة لتعلموا به ومنازله عدد السنين
والحساب واول الشهر واخره وانقضا كل سنة وكميتها والشمس والقمر ايتان من ايات الله تعالى

وفيها اعظم الدلالات على وحدانية تعالى من وجوه كثيرة منها خلقهما وخلق الضيا والنور فيهما ودورا
وقربهما وبعدهما ومشارقهما ومغاربهما وكسوفهما وفى بث الشمس الشعاع فى العالم وتاثيرها فى
الحر والبرد واخراج النبات ونضج الثمار وفى تمام القمر وسط الشهر ونقصانه فى الطرفين ليتميز
اول الشهر وآخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه وكذلك قال
ما خلق الله ذلك الا بالحق لان فى ذلك منافع للخلق فى دينهم ودنياهم ودلايل على وحدانية
الله تعالى وقدرته وكونه عالما لم يزل ولا يزال نفصل الايات اى نشرحها ونبينها اية
اية لقوم يعلمون فيعطون كل اية حظها من التامل والتدبر وقيل ان المعنى فى قوله وقدره
منازل السنة اى قدر الشمس والقمر منازل غير انه وحد للايجاز اكتفا بالمعلوم كما مر ذكر
امثاله فيما تقدم وكما فى قول الشاعر رمانى بامر كنت منه ووالدى بريا ومن جول الطوى
رمانى فان الشمس يقطع المنازل فى كل سنة والقمر يقطعها فى كل شهر فانما يتم الحساب
ويعلم الشهور والسنون والشتا والصيف بمقاديرهما ومجاريهما فى تداويرهما ان فى اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض اى فعله فيهما على ما تقتضيه الحكمة فى
السموات من الافلاك والكواكب السيارة وغير السيارة وفى الارض من الحيوان والنبات
والجماد وانواع الارزاق والنعم لايات اى حججا ودلالات على وحدانية الله لقوم يتقون
معاصى الله ويخافون عقابه وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا
غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى
جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين اربع ايات القراءة فى الشواذ قراءة ابن محيصن
ويعقوب ان الحمد لله الحجة وهذه القراءة تدل على ان قراءة الجماعة ان الحمد لله انما
هو على ان ان مخففة من الثقيلة كما فى قوله فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل
من يحفى وينتعل فيكون على تقدير انه الحمد لله ولا يجوز ان يكون ان هنا زايدة كما زيدت

فى قوله ويوما توافينا بوجه مقسم كان ظبية الى ورق السلم اى كظبية اللغة الغفلة
والسهو من الظاير وهو ذهاب المعنى عن النفس بمقتضى اليقظة والدعوى قول يدعى به
الى امر والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية قال من كل ما نال
الفتى قد نلته الا التحية وهو ماخوذ من قولهم احياك الله حيوة طيبة المعنى ثم انه سبحانه
اوعد الغافلين عن العدلة المتقدمة المكذبين بالمعاد فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا
اى لقاء جزائنا ومعناه لا يطمعون فى ثوابنا واضافه الى نفسه تعظيما له ويحتمل ان يكون
المعنى لا يخافون عقابنا كما يكون الرجا بمعنى الخوف كما فى قول الهذلى اذا لسعته النحل
لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل جعل الله سبحانه ملاقاة ما لا يقدر عليه الا هو
ملاقاة له كما جعل اتيان ملائكته اتيانا له هل ينظرون الا ان ياتيهم الله تفخيما للامر
ورضوا بالحيوة الدنيا اى قنعوا بها واختاروها فلا يعملون الا لها ولا يجتهدون الا لاجلها
مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها واطمانوا بها اى وسكنوا الى الدنيا بانفسهم
وركنوا اليها بقلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون اى ذاهبون عن تاملها فلا يعتبرون بها
اولئك ماويهم النار اى مستقرهم النار بما كانوا يكسبون من المعاصى ثم وعد سبحانه
المومنين بعدما اوعد الكافرين فقال ان الذين امنوا اى صدقوا الله ورسله وعملوا
الصالحات اى واضافوا الى ذلك الاعمال الصالحة يهديهم ربهم بايمانهم الى الجنة عن
من تحتهم الانهار فى جنات النعيم اى تجرى بين ايديهم الانهار وهم يرونها من علو كما قال
سبحانه قد جعل ربك تحتك سريا ومعلوم انه لم يجعل السرى الذى هو الجدول تحتها
وهى قاعدة عليه وانما اراد جعله بين يديها وقيل معناه من تحت بساتينهم واسرتهم
وقصورهم عن الجبائى وقوله بايمانهم يعنى به جزاء على ايمانهم دعويهم فيها اى دعا المؤمنين
فى الجنة وذكرهم فيها ان يقولوا سبحانك اللهم يقولون ذلك لا على وجه العبادة لانه
ليس هناك تكليف بل يلتذون بالتسبيح وقيل انهم اذا مر بهم الطير فى الهوا يشتهونه قالوا
سبحانك اللهم فياتيهم الطير فيقع مشويا بين ايديهم واذا قضوا منه الشهوة قالوا الحمد
لله رب العالمين فطار الطير حيا كما كان فيكون مفتتح كلامهم فى كل شئ التسبيح ومختتم كلامهم

التحميد ويكون التسبيح في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج وتحيتهم فيها سلام اي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم لبعض فيها او تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليكم ان سلمتم من الآفات والمكاره التي ابتلي بها اهل النار وذكرنا معنى قوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وليس المراد ان ذلك يكون اخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده بشيء بل المراد انهم يجعلون هذا اخر ذكرهم في كل ما ذكروه عن الحسن والجبائي ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ايتان القراءة قرا ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف اجلهم منصوب والباقون لقضي على ما لم يسم فاعله اجلهم بالرفع الحجة قال ابو علي اللام في قوله لقضي اليهم اجلهم جواب لو في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي والمعنى والله اعلم ولو يعجل الله للناس دعاء الشر اي ما يدعون به من الشر على انفسهم في حال ضجر او بطر استعجاله اياهم بدعاء الخير فاضاف المصدر الى المفعول وحذف الفاعل كقوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير فحذف ضمير الفاعل والتقدير ولو يعجل للناس الشر استعجالا مثل استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم معناه لفرغ من اجلهم وانشد كانه دوس وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع ومثل ما انشد قول الاخر فصلت امورا ثم غادرت بعدها بوائق في اكمامها لم تفتق والمعنى لفرغ من اجلهم ومدتهم المضروبة للحياة واذا انتهت مدتهم المضروبة للحيوة هلكوا وهذا قريب من قوله ويدعوا الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقالوا الليث مقضي كانه قضي اذا مات وقضي فعل التقدير فيه استوفى اجله وفرغ منه قال ذو الرمة اذا الشخص فيها هزه الال اغمضت عليه كاغماض القضي عيونها المعنى اغمضت عيون هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم ير لغرقه في الال كاغماض القضي وهو الميت فاما ما يتعلق به الجار من قوله لقضي اليهم فانه لما كان معنى قضي فرغ وكان قولهم فرغ تعدى

بهذا الحرف في قوله الان فقد فرغت الى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا وفي التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل تعدى باللام كما تعدى بالى كما ان اوحى في قوله واوحينا اليه فقد تعدى بالى وباللام في قوله بان ربك اوحى لها فلما كان معنى قضي فرغ وفرغ تعلق بها الى كذلك تعلق بقضي ووجه قراءة ابن عامر لقضى اليهم اجلهم على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر فيه قد تقدم في قوله ولو يعجل الله للناس فقال لقضى على هذا ومن حجته في ذلك قوله ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فهذا الاجل الذي في هذه الاية هو الاجل المضروب للحيا كما ان الاجل في قوله لقضي اليهم اجلهم كذلك فكما اسند الفعل في الاجل المضروب للحيوة الى الفاعل في قوله ثم قضى اجلا عند الجميع كذلك اسنده ابن عامر في قوله لقضي اليهم اجلهم الى الفاعل ولم يسنده الى الفعل المبني للمفعول ويدل على ان الاجل في قوله ثم قضى اجلا اجل الحيا ان قوله واجل مسمى عنده اجل البعث بين ذلك قوله ثم انتم تمترون اي انتم ايها المشركون في البعث ومن قرا لقضي مبنيا الفعل للمفعول به فلانه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل الاعراب قوله لجنبه في موضع نصب على الحال تقديره ودعانا مضطجعا لجنبه او دعانا قائما ويجوز ان يكون تقديره اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما دعانا وموضع الكاف من كذلك نصب على مفعول ما لم يسم فاعله اي زين للمسرفين عملهم مثل ذلك المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر المائلين الى الدنيا المطمئنين اليها الغافلين عن الاخرة فقال ولو يعجل الله للناس الشر اي اجابة دعوتهم في الشر اذا دعوا به على انفسهم واهاليهم عند الغيظ والضجر واستعجلوا مثل قول الانسان رفعني الله من بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا تبارك فيه استعجالهم بالخير اي كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير اذا استعجلوها لقضي اليهم اجلهم اي لفرغ من اهلاكهم ولكن الله تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يعجل الله للناس العقاب الذي استحقوه بالمعاصي كما يستعجلون بهم خير الدنيا وربما اجلبوا الى ما سالوا اذا اقتضت المصلحة ذلك لفنوا لان بنية الانسان في الدنيا لا يحتمل عقاب الاخرة بل على ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمى العقاب شرا من جهة المشقة والاذى

استعجلوا

وفايدته انه لو عجلت بالعقاب لزال التكليف الا بالموت واذا عوجلوا بالموت لم يبق احد
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اي فندع الذين لا يخافون البعث و
الحساب يتحيرون في كفرهم وعدولهم عن الحق الى الباطل وتمردهم في الظلم والعمه شدة
الحيرة ثم اخبر سبحانه عن قلة صبر الانسان على الضر والشدايد فقال واذا مس الانسان
الضر اي المشقة والبلاء والمحنة من محن الدنيا دعانا لجنبه اي دعانا لكشفه مضطجعا او قاعدا
او قايما اي على اي حال كان عليها واجتهد في الدعاء وسوال العافية وليس غرضه بذلك
نيل ثواب الاخرة وانما غرضه زوال ما هو فيه من الالم والشدة وقيل ان تقديره واذا
مس الانسان الضر مضطجعا او قاعدا او قايما دعانا لكشفه وفيه تقديم وتاخير فلما
كشفنا عنه ضره اي فلما ازلنا عنه ذلك الضر ووهبنا له العافية مر اي استمر على طريقته
الاولى معرضا عن شكرنا كان لم يدعنا الى ضر مسه اي كانه لم يدعنا قط لكشف ضره ولم يسالنا
ازالة الالم عنه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون اي كما زين لهم الشيطان واقر
انهم الغواة ترك الدعاء عند الرخاء زين للمسرفين اي المشركين عملهم عن الحسن ويحتمل
ان يكون زين المسرفون بعضهم لبعض وان لم يضف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب
بنفسه وقد حث الله تعالى بهذه الاية الذين يمحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية
على ان يتذكروا احسن صنع الله اليهم وجزيل رحمته عليهم ويشكروه على ذلك ويسالوه
ادامة ذلك لديهم دينه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتسابا للاجر وابتغاء للثواب
والذخر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات
وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون ايتان اللغة القرون جمع قرن وهو اهل
كل عصر سموا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض ومنه قرن الشاة لمقارنته اخرى والقرن
بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة الاعراب موضع كيف نصب بقوله تعملون و
تقديره لننظر خيرا تعملون ام شرا ولا يجوز ان يكون معمول ننظر لان ما قبل الاستفهام
لا يعمل فيما بعده المعنى ثم اخبر الله سبحانه عما نزل بالامم الماضية من المثلات وحذر هذه

الامة

الامم عن مثل مصارعهم فقال ولقد اهلكنا القرون من قبلكم بانواع العذاب لما ظلموا
انفسهم بان اشركوا وعصوا وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة والدلالات
وما كانوا ليؤمنوا هذا اخبار بان هذه الامم انما اهلكوا لما كان في المعلوم انهم لو
بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسل الذين اتوهم والكتب التي جاؤوهم بها واستدل ابو علي
الجبائي بهذا على ان تبقية الكافر واجبة اذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد كذلك
نجزي القوم المجرمين اي كذلك نعذب القوم المشركين في المستقبل اذا لم يؤمنوا بعد قيام
الحجة عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون ثم جعلناكم يا امة محمد خلائف في الارض
من بعدهم اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومعناه اسكناكم الارض خلفهم لننظر
كيف تعملون اي لنرى كيف عملكم ابن يقع من عمل اولئك المتقدمين بهم فتستحقون
من العقاب مثل ما استحقوا ام تؤمنون فتستحقون الثواب وانما قال لننظر ليدل على انه
سبحانه يعامل العباد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازيهم على ما يظهر منه دون
ما قد علم انه يفعله مظاهرة في العدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لانه انما
يكون بالقلب وهو التفكر وبالعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته مع
سلامة الحاسة واحد هذين لا يجوز عليه سبحانه وانما يستعمل ذلك في صفاته على وجه
المجاز والاتساع فان النظر انما هو الطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من
يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال
الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله
من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله
افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه
لا يفلح المجرمون ثلث ايات القراءة في رواية ابي ربيعة عن البزي عن ابن كثير
ولادريكم جعلها لاما دخلت على ادريكم وامال ادريكم وادراك في جميع القران ابو عمرو
وحمزة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن ولا ادراتكم به الحجة

قال ابو علي حكى سيبويه دريته ودريت به والاكثر في الاستعمال بالباء ويبين ذلك قوله
ولا ادراكم به ولو جاء على اللغة الاخرى لكان ولا ادريكموه وقال الدرية كالفطنة والشعرة
وهي مصادر يراد بها ضروب من العلم واما الدراية فكالهداية والدلالة وكان الدراية
التاني والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف في هذه الكلمة انشد ابو زيد فان
غزالك الذي كنت تدري اذا شئت ليث خادر بين اشبل وتدري اي تختل ومنه الدرية
في قول اكثر الناس الجمل الذي يستتر به الصايد من الوحش كانه يختل به وداريت الرجل
لاينته وخاتلته واذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا تسوغ فاما
قول الراجز لاهم لا ادري وانت الداري فلا يكون حجة في جواز ذلك لانه استجاز ذلك
لما تقدم من قوله لا ادري كما جاز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فانا نسخر منكم
وايضا فان الاعراب يذكرون اشيا تمتنع جوازها كما قالوا لاهم ان كنت الذي بعهدي
ولم يغيرك الامور بعدي وقال الاخر لو خافك الله عليه حرمه فاما الهمزة على ما حكي عن
الحسن وغيره فلا وجه له لان الدرء الدفع قال ابن جني يجوز ان يكون لها وجه وان كانت
فيه ضعفة وهو ان يكون ارادوا ولا ادريكم به ثم قلب اليا الفا لانفتاح ما قبلها وان كانت
ساكنة كقولهم يياس ياءس وفي ييبس يابس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك اعطاتك ان يقولوا
اعطاتك ثم همز الالف على لغة من قال في الباز البأز وفي العالم والخاتم والنابل العالم والخاتم
والنابل ومن قرا ولا ادريكم به فمعناه ولا اعلمكم الله تعالى به فيكون نفيا للتلاوة واثباتا
للعلم وعلى قراة الجماعة يكون نفيا للامرين جميعا **اللغة** التلقا جهة مقابلة الشيء الا انه
قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاه كما يقال هو حذاه وقبالته وتجاهه وازاه والعمر بفتح العين
وسكون الميم والعمر بضمها البقا واذا استعمل في القسم بالفتح لا غير **النزول** قيل نزلت في خمسة
نفر عبد الله بن ابي امية المخزومي والوليد المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس
العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ائت بقران ليس فيه ترك
عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقا نفسك عن مقاتل
وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد ائت بقران غير هذا فيه ما نسألك عن الكلبي **المعنى** ثم اخبر سبحانه
عن مشركي قريش فقال واذا تتلى عليهم اياتنا المنزلة في القران بينات اي واضحات في الحلال
والحرام وساير الشرايع وهي نصب على الحال قال الذين لا يرجون لقانا اي لا يومنون بالبعث
والنشور اي لا يخشون عقابنا ولا يطمعون في ثوابنا ائت بقران غير هذا الذي تتلوه علينا
او بدله فاجعله على خلاف ما نقراه والفرق بينهما ان الاتيان لغيره قد يكون معه والتبديل
لا يكون الا برفعه وقيل معنى قوله بدله غير احكامه عن الحلال الى الحرام اراد بذلك زوال الحظر
عنهم وسقوط الامر منهم وان يخلي بينهم وبين ما يريدونه قل يا محمد ما يكون لي ان ابدله
من تلقا نفسي وناحية نفسي ولانه معجز فلا اقدر على الاتيان بمثله ان اتبع الا ما يوحى الي
اي ما اتبع الا الذي اوحي الي اني اخاف ان عصيت ربي في اتباع غيره عذاب يوم عظيم
اي يوم القيمة ومن استدل بهذه الاية على ان نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد ابعد لانه
اذا نسخ القران بالسنة وما يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانما يقوله بالوحي من الله
فلم ينسخ القران ولم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبديله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون
قرانا ويويد ذلك قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قل يا محمد لو شا الله
ما تلوته عليكم معناه ولو شا الله ما تلوت هذا القران عليكم بان كان لا ينزله علي ولا ادريكم
به اي ولا اعلمكم الله به بان لا ينزله علي فلا اقراه عليكم فلا تعلمونه فقد لبثت فيكم عمرا من قبله
اي وقد مكثت واقمت بينكم دهرا طويلا من قبل انزال القران لم اقراه عليكم ولا ادعيت نبوة
حتى اكرمني الله تعالى به افلا تعقلون اي افلا تتفكرون فيه بعقولكم فتعلموا ان المصلحة
فيما انزله الله تعالى دون ما تقترحونه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال
بالشاهد على الغايب والناس يتفاضلون فيه بالامر المتفاوت فبعضهم اعقل من بعض اذا كان
اقدر على الاستدلال من بعض فمن اظلم ممن افترى على الله اي لا احد اظلم ممن اخترع على الله
كذبا انه لا يفلح المجرمون اي المشركون عن الحسن فان قيل اليس من ادعى الربوبية اعظم
ظلما من المدعي للنبوة قلنا ان المراد بقوله من افترى على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل
فيه من ادعى الربوبية وغيره من انواع الكفار فكانه قال لا احد اظلم من الكافر **ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل**

اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون
وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل
انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثلث ايات القراة قرا تشركون بالتا
اهل الكوفة غير عاصم وكذلك فى النحل فى موضعين وفى الروم والباقون كل ذلك بالیا
الحجة من قرا بالتا فلقوله اتنبئون الله ومن قرا باليا احتمل وجهين احدهما على قل كانه قيل له
قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الاخر ان يكون هو سبحانه نزه نفسه عما افترى فقال
ذلك المعنى ثم اخبر سبحانه عن هولا الكفار فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم اى ويعبد هولا المشركون الاصنام التى لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا تنفعهم
ان عبدوها فان قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم الذى لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر
لكان لا يجوز ايضا عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على اصول النعم وان قدر على النفع والضر
اذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا من الجماد يكون عبادته اقبح واشنع فلذلك خصه
بالذكر ويقولون هولا شفعاونا عند الله اخبر سبحانه عن هولا الكفار انهم قالوا انا نعبد
هذه الاجسام ليشفع لنا عند الله وان الله تعالى اذن لنا فى عبادتها وانه سيشفع فينا
فى الاخرة وتوهموا ان عبادتها اشد فى تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فجمعوا
بين قبح القول وقبح الفعل وقبح التوهم وقيل معناه هولا شفعاونا فى الدنيا لاصلاح
معاشنا عن الحسن قال لانهم كانوا لا يقرون بالبعث بدلالة قوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض
امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله وسلم ان يقول لهم على وجه الالزام اتخبرون الله
بما لا يعلم من عبادة الاصنام وكونها شافعة لان ذلك لو كان صحيحا لكان تعالى به
عالما ففى نفى علمه بذلك نفى المعلوم ومعناه انه ليس فى السموات ولا فى الارض اله غير
الله ولا احد يشفع لكم يوم القيامة وقيل معناه اتخبرون الله بشريك او شفيع لا يعلم شيا
كما قال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا فكذلك

وصفهم بانهم لا يعلمون فى السموات والارض شيا سبحانه وتعالى عما يشركون اى
تنزه الله سبحانه عن ان يكون له شريك فى استحقاق العبادة وما كان الناس الا امة
واحدة فاختلفوا فيه اقوال احدها ان الناس كانوا جميعا على الحق وعلى دين واحد
فاختلفوا فى الدين الذى كانوا مجتمعين عليه ثم قيل انهم اختلفوا على عهد آدم
وولده عن ابن عباس والسدى ومجاهد والجبائى وابى مسلم ومتى اختلفوا قيل عند
قتل احد ابنيه اخاه وقيل اختلفوا بعد موت آدم عليه السلم لانهم كانوا على شرع
واحد ودين واحد الى امة نوح وكانوا عشر قرون ثم اختلفوا عن ابى روق وقيل
كانوا على ملة الاسلام من لدن ابراهيم الى ان غيره عمرو بن يحيى وهو اول من غير دين ابرهيم
وعبد الصنم فى العرب عن عطا ويدل على صحة هذه الاقوال قراة عبد الله وما كان الناس
الا امة واحدة على هدى فاختلفوا عنه وثانيها ان الناس كانوا امة واحدة مجتمعة
على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبى وجماعة ثم اختلف هولا فقيل كانت امة
كافرة على عهد ابرهيم ثم اختلفوا فتفرقوا فمنهم مومن ومنهم كافر على القبلى وقيل كانت
كذلك منذ وفاة آدم الى مبعث نوح عن الحسن وقيل اراد به العرب الذين كانوا قبل مبعث
النبى صلى الله عليه واله وسلم فانهم كانوا مشركين الى ان بعث النبى صلى الله عليه واله وسلم
فامن به قوم وبقى آخرون على الشرك وسئل على هذا فقيل كيف يجوز ان يطبق اهل عصر
على الكفر حتى لا يوجد مومن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
واجيبوا عن ذلك بانه يجوز ان يكون اهل كل عصر وان لم يخلوا عن مومنين يشهدون
عليهم فربما يقلون فى عصر وانما يتبع الاسم الاعم وعلى هذا يقال دار الاسلام ودار الكفر
وفى تفسير الحسن ما كان الناس الى مبعث نوح الا مله كافرة الا الخاص فان الارض لا تخلو
من ان يكون لله تعالى فيها حجة وثالثها ان الناس كانوا خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا فى
الاديان ولولا كلمة سبقت من ربك من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاما عليهم فى
التانى بهم لقضى بينهم اى فصل بينهم فيما فيه يختلفون بان يهلك العصاة وينجى المومنين
لكنه اخرهم الى يوم القيمة تفضلا منه اليهم وزيادة فى الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هولا

لا الكفار فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي هلا انزل على محمد اية من ربه
تضطر الخلق الى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معها الى النظر والاستدلال ولا يطلبوا
معجزة تدل على صدقه لانه صدقنا اتاهم بالمعجزات الدالة على نبوته واعلم عنهم الله الى ما
التمسوه لان التكليف يمنع من الاضطرار الى المعرفة فان الغرض بالتكليف التعريض للثواب
ولو كانت المعرفة ضرورية لما استحقوا ثوابا فكان يكون ذلك ناقضا للغرض فقل
انما الغيب لله معناه فقل يا محمد ان الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الامور قبل كونها
هو الله العالم لنفسه يعلم الاشيا قبل كونها وبعد كونها لا يخفى عليه خافية فيعلم ما في
انزال الصلاح فينزله ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا ينزله ولذلك لا يفعل الاية
التي اقترحتموها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن التدبير فانتظروا اي فانتظروا
عقاب الله بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الاخرة اني معكم من المنتظرين لان الله
تعالى وعدني النصر عليكم وقيل معناه فانتظروا اذلال الكافرين فاني منتظر اعزاز المؤمنين
واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله
اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها
ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم
دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
فلما انجيهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم
متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون
ثلث ايات القراءة قرا روح وزيد عن يعقوب وسهل يمكرون باليا والباقون
بالتا وقرا ابو جعفر وابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر والباقون يسيركم
بالسين والياء من التسيير وقرا حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع الحجة
من قرا يمكرون باليا فلقوله اذا لهم مكر في اياتنا ومن قرا بالتا فللخطاب اي قل لهم
يا محمد ان رسل الله يكتبون ما تمكرون ومن قرا يسيركم فيقويه قوله فامشوا في مناكبها

وكلوا

وكلوا من رزقه وقوله قل سيروا في الارض ويقال سار الدابة وسيرته وسيرته قال فلا تجزعن
من سنة انت سرتها وقال لبيد نسيان حرب ان يبوء بعزه وقد يقبل الضيم الذليل
المسير ومن قرا ينشركم فحجته قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله وما بث فيهما من دابة
والبث التفريق والنشر في المعنى واما متاع الحيوة الدنيا فقد قال الزجاج من رفع فعلى
وجهين احدهما ان يكون متاع الحيوة الدنيا خبر لقوله بغيكم والاخر ان يكون خبر المبتدا
على انفسكم ومتاع الحيوة على اضمار هو ومن نصب فعلى المصدر اي تمتعون متاع الحيوة الدنيا
وقال ابو علي قوله على انفسكم يحتمل تاويلين احدهما ان يكون متعلقا بالمصدر لان فعله
يتعدى بهذا الحرف الا ترى الا قوله بغى بعضنا على بعض وثم بغي عليه وان كان الجار من صلة
المصدر كان الخبر متاع الحيوة الدنيا فيكون معناه بغي بعضكم على بعض متاع في الدنيا وليس
مما يقرب الى الله ويجوز ان يكون على متعلقا بمحذوف فيكون خبر المصدر وفيه ذكر يعود
اليه فيكون كقولك الصلاة في المسجد ويكون المصدر مضافا الى الفاعل ومفعوله محذوفا
والمعنى انما بغي بعضكم على بعض عائد على انفسكم ويكون كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومن نصب
احتمل النصب وجهين احدهما ان يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر
الذي هو البغي ويكون خبر المبتدا محذوفا وحسن حذفه لطول الكلام لان بغيكم يدل على تبغون
فحسن الحذف لذلك وهذا الخبر لو اظهرته لكان يكون مكروه او مذموم او منهي عنه ونحو
ذلك والاخر ان يكون على انفسكم خبر المبتدا فيكون متاع منصوبا على وجهين احدهما
يتمتعون متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه والاخر ان يضمن يبغون لان ما يجري مجرى
المكروه ذكره قد تقدم كانه لو اظهره لكان يبغون متاع الحيوة الدنيا فيكون مفعولا
له ولا يجوز ان يتعلق المصدر بالمصدر في قوله انما بغيكم وقد جعلت على خبر القول انما
بغيكم لفصلك عن الصلة والموصول اللغة التسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود
والبر الارض الواسعة التي يقطع من بلد الى بلد ومنه البر لاتساع الخير به والبحر مستقر الماء
الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه والفلك السفن وسميت فلكا لدورانها في الماء واصله
الدور ومنه فلكة المغزل وتفلك ثدي الجارية اذا استدار والفلك يكون جمعا وواحدا

او هو ههنا جمع والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال الجرمي
اذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار ورعد صوته زجل **الاعراب** جواب اذا الاولى في اذا
الثانية وانما جعل اذا جوابا لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجاة وهي ظرف مكان
وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ومعناه ان تصبهم يقنطوا
واذا اذقنا الناس رحمة مكروا وجرين بهم ابتدا الكلام خطاب ويعد ذلك اخبار عن غائب
لان كل من اقام مخاطبه جاز له ان يرده الى الغائب قال الشاعر اسيئي بنا او احسني لا ملومة
لدينا ولا مقلية ان تقلت وقال عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم
وقوله فلما انجاهم اذا هم يبغون المعنى فلما انجاهم بغوا **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن ذميم فعالهم
فقال واذا اذقنا الناس رحمة يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص من بعد ضراء مستهم
اي راحة ورخاء بعد شدة وبلاء وحقيقة الذوق انما يكون فيما له طعم يوجد طعمه بالفم
وانما قال اذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة اياها اذا لهم
مكر في اياتنا اي فهم يحتالون لدفع اياتنا بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة
او تخليط في مناظرة او غير ذلك من الامور الفاسدة وقال مجاهد مكرهم استهزاؤهم
وتكذيبهم قل يا محمد لهم الله اسرع مكرا اي اقدر جزاء على المكر ومعناه انما ياتيهم من
العقاب اسرع مما اتوه من المكر اي اوقع في حقه وقيل ان مكره سبحانه انزاله العقوبة
بهم من حيث لا يشعرون ان رسلنا يعني الملائكة الحفظة يكتبون ما تمكرون اي ما
تدبرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين احدهما انه يحفظ مكرهم
والاخر انه مقتدر على جزائهم واسرع فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بان عدد نعمه التي يفعلها
بهم في كل حال فقال هو الذي يسيركم في البر والبحر اي يمكنكم من السير في البر والبحر بما هيا لكم من
الات السير وهي خلق الدواب وتسخيرها لكم لتركبوها في البر وتحملوا عليها اثقالكم وتهيئة السفن في
البحر وارسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة حتى اذا كنتم في الفلك خص الخطاب
براكب البحر اي اذا كنتم راكبي السفن في البحر وجرين بهم اي وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الخطاب
الى الاخبار عن الغائبين تصرفا في الكلام على انه يجوز ان يكون خطابا لمن كان في تلك الحال واخبارا

لغيرهم من الناس بريح طيبة اي بريح لينة يستطيبونها وفرحوا بها اي سروا بتلك الريح
لانها تبلغهم مقصودهم عن ابي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وامتعتهم جاءتها ريح عاصف اي جاءت
السفينة ريح عاصف شديد الهبوب هائلة وجاءهم الموج من كل مكان من البحر والموج اضطراب البحر
ومعناه وجاء راكبي البحر الامواج العظيمة من جميع الوجوه وظنوا انهم احيط بهم اي وايقنوا انهم دنوا
من الهلاك وقيل غلب على ظنهم انهم سيهلكون لما احاط بهم من الامواج دعوا الله عند هذه الشدائد
والاهوال والتجاوا اليه ليكشف ذلك عنهم مخلصين له الدين اي على وجه الاخلاص في الاعتقاد
ولم يذكروا الاوثان والاصنام لعلمهم بانها لا تنفعهم ههنا شيئا وقالوا لئن انجيتنا يا رب من هذه
الشدائد لنكونن من الشاكرين اي من جملة الشاكرين من يشكرك على نعمك وقوله جاءتها ريح عاصف
جواب قوله اذا كنتم في الفلك وقوله دعوا الله جواب قوله وظنوا انهم احيط بهم فلما انجاهم اي
اخلصهم الله من تلك المحن اذا هم يبغون في الارض بغير الحق اي يعملون فيها بالمعاصي والفساد
ويشتغلون بالظلم على الانبيا وعلى المسلمين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا
اي بغي بعضكم على بعض وما انتم الوثير متاع في الدنيا وانما انتم تؤثرون لحكم العاجلة وايثارها على ما يقرب
الى الله تعالى من الطاعات وقد مر بيانه قبل ثم الينا مرجعكم في الاخرة فننبئكم بما كنتم تعملون اي نخبركم
باعمالكم لانا اثبتناها عليكم وهي كلمة تهديد ووعيد **النظم** قيل انه اتصل قوله هو الذي يسيركم
الاية بما قبله لان تفسير لبعض ما اجمل في الاية المتقدمة التي هي قوله واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء
مستهم عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بما تقدم في السورة من دلائل التوحيد فكانه قال الحكم الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا هو الذي يسيركم **انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط**
به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم
تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ايتان **القراءة** في شواذ قراءة الاعرج والشعبي وابي العالية
وعصر بن عاصم والحسن بخلاف وازينت وقراءة ابي عثمان النهدي وازيانت **الحجة** اما ازينت فاصله
تزينت فادغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها الف الوصل واما ازينت على افعلت اي جاءت بالزينة

وازينت اجود في العربية لان ازينت الاجود فيه اذا ثبت مثل اقال واباع واما ازيانت فوزنه
افعالت واصله ازيانت مثل ادهامت واسوادت الا انه كره التقا الساكنين فحرك الالف
فانقلبت همزة كقول كثير وللارض اما سودها فجللت بياضا واما بيضها فادهامت اللغه
الزخرف كمال حسن الشي ويقال زخرفته اي حسنته ومنه زخرفة الجنة لاهلها اي زينت
بحسن الالوان وغني بالمكان اقام به والمغاني المنازل قال النابغة غنيت بذلك
اذهم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد والدعا طلب الفعل مما يقع لاجله والداعي
الى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعا والامر ان في الامر ترغيبا في الفعل
وزجرا عن تركه وله صيغة تنبئ عنه وليس كذلك الدعا وكلاهما طلب وايضا فان
الامر يقتضي ان يكون المامور دون الامر في الرتبة والدعا يقتضي ان يكون فوقه
المعنى لما تقدم ما يوجب الترغيب في الاخرة والتزهيد في الدنيا اعقبه سبحانه صفة
الدارين فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي صفة الحيوة الدنيا او شبه الحيوة الدنيا في سرعة
فنايها وزوالها كما انزلناه من السماء وهو المطر فاختلط به اي بذلك المطر نبات الارض
لان المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات ببعض
فاختلط ما ياكل الناس مما ياكل الانعام وما يقتات بما يتفكه ثم فصل ذلك فقال مما ياكل
الناس كالحبوب والثمار والبقول والانعام كالحشيش وساير انواع المراعي وقد قيل
في المشبه والمشبه به في الاية اقوال احدها انه تعالى شبه الحيوة الدنيا بالماء فيما يكون
به من الانتفاع ثم الانقطاع وثانيها انه شبهها بالنبات ما وصفه من الاغترار به ثم
المصير الى الزوال عن الجبائي وابي مسلم وثالثها انه تعالى شبه الحيوة الدنيا بحيوة مقدرة
على هذه الاوصاف حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي حسنها وبهجتها بانواع الالوان
واجناس النبات وغير ذلك وازينت في عين رائيها وظن اهلها اي ملاكها انهم قادرون
عليها اي على الانتفاع بها ومعناه بلغت المبلغ الذي ظن اهلها انهم يحصدونها
ويقدرون على غلتها اوادامتها اتاها امرنا ليلا او نهارا اي اتاها عذابنا من برد او غيره
وقيل معناه اتاها حكمنا وقضاؤنا باهلاكها واتلافها فجعلناها حصيدا اي محصوده

ومعناها

ومعناها مقطوعة مقلوعة ذاهبة يابسة كان لم تغن بالامس اي كان لم يقم على تلك الصفة
بالامس معناه كان لم تكن ولم توجد من قبل كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون اي مثل ذلك
نميز الايات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بين سبحانه ان الدنيا ينقطع ويفنى بالموت
كانقطاع هذا النبات يفنون الفنات ونبه على التوقع لزوالها والتحذر عن الاغترار باحوالها
رغب عقيبه في الاخرة فقال والله يدعوا الى دار السلام قيل ان السلام هو الله عز وجل
والله يدعوا الى داره ودار الجنة عن الحسن وقيل دار السلام الدار التي يسلم فيها من الافات
عن الجبائي والسلام والسلامة واحد مثل الرضا والرضاعة قال تحيا بالسلامة ام
وهل لك بعد رهطك من سلام وقيل سميت الجنة دار السلام لان اهلها يسلم بعضهم
على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليهم فلا يسمعون الا سلاما ولا يرون
الا سلامة وبعضده قوله وتحيتهم فيها سلام وما اشبهه ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم قيل يهدي من يشاء الى الايمان والدين الحق بالتوفيق والتيسير والالطاف
وقال الجبائي يريد بنصب الادلة لجميع المكلفين دون الاطفال والمجانين وقيل
معناه يهدي من يشاء في الاخرة الى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه
الكافرون الى النار للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر
ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين
كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ايات القراة
قرا ابن كثير والكساي ويعقوب وسهل قطعا ساكنة الطا والباقون قطعا بفتحها الحجة
القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة اللغه الرهق لحاق الامر
ومنه راهق الغلام اذا لحق بالرجال ورهقه في الحرب ادركه قال الازهري الرهق اسم من
الارهاق وهو ان يحمل الانسان على ما لا يطيقه ومنه ساء رهقه صعودا والكسب اجتلاب
النفع والجزا المكافاة والقتر الغبار والقتر العبرة والقتار الدخان ومنه الاقتار في المعيشة
الاعراب جزاء سيئة في ارتفاعه وجهان احدهما ان يكون مبتدا وخبره بمثلها على زيادة الباء

قول ابي الحسن لانه وجد في مكان اخر وجزاء سيئة بمثلها ويجوز ان يكون البا متعلقه بمحذوف
تقديره سيئة كاين بمثلها كما يقول انما انا لك وامري بيدك واما اشبه ذلك والاخر ان يكون
فاعلا باضمار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف
لهم لدلالة الكلام على ان هذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزاء سيئة مبتدا والخبر محذوف تقديره
لهم جزاء سيئة بمثلها كان هذا قد اجازه ابو الفتح وقوله وترهقهم عطف على كسبوا وجاز ان يفصل
بينهما بقوله جزاء سيئة بمثلها لانه من الاعتراض الذي يسدد الاول ويؤكده ويثبته وقوله مظلما
قال ابو علي ان اجريته على قطع ساكنة الطا فيحتمل نصبه وجهين احدهما ان يكون صفة لقطع على
قياس قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك وصفت الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة و
اجريته على الكرم والاخر ان يكون حالا من الذكر الذي في الظرف يعني قوله من الليل
وان اجريته على قطع مفتوحة الطا لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذي في قوله من الليل
ولكن يكون حالا من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المختزل
ومن ذلك في اجراء الوصف بالسواد قول الشاعر ودوية مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ
الليل الحصى سوادا اي سودتها الظلمة وقال حمزة يجوز ان يكون مظلما صفة لقطع على قول
الشاعر لو ان مدحة حي منشر احدا احيا اباكن يا ليلى الاماديح **المعنى** ثم بين سبحانه اهل دار
السلام فقال للذين احسنوا الحسنى ومعناه للذين احسنوا العمل واطاعوا الله تعالى في
الدنيا جزاهم على ذلك الحالة الحسنى او المنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة للذات والنعم
على اكمل ما يكون وافضل ما يمكن وهي تانيث الاحسن وزيادة ذكر في ذلك وجوه احدها
ان الحسنى الثواب المستحق والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعتهم من الثواب
وهي المضاعفة المذكورة في قوله فله عشر امثالها عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده
وثانيها الزيادة هي ما اعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم به في الاخرة عن ابي
جعفر الباقر عليه السلام وثالثها ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب
عن علي عليه السلام وقيل الزيادة ما ياتيهم في كل وقت من فضل الله مجددا ورابعها
ان الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى روى ذلك عن ابي بكر وابي موسى الاشعري

وغيرهما

وغيرهما وقد بين الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله
ولا يرهق وجوههم قتر اي لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس وقتاده وقيل غبار ولا ذلة
اي هوان وقيل كآبة وكسوف عن قتاده وروى الفضل ابن يسار عن ابي جعفر الباقر عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما من عين ترقرقت بمائها الا حرم الله ذلك الجسد
على النار فان فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون ظاهر معناه والذين كسبوا السيئات اي اكتسبوها وارتكبوها جزاء سيئة بمثلها يعنى غرون
مثل اعمالهم اي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لان الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم
وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لان ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء فالمثل ههنا قدر
المستحق من غير زيادة ولا نقصان وترهقهم ذلة اي يلحقهم هوان وذل لان العقاب
مقارن الاهانة والاذلال ما لهم من الله من عاصم اي ما لهم من حافظ ومانع يدفع عقاب
الله عنهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اي كانما البست وجوههم ظلمة
الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد وكقوله سبحانه ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر المراد **ويوم نحشرهم**
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم
ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين
هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون
ثلث ايات **القراءة** تتلوا بالتا اهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون تبلوا بالبا
الحجة قال ابو علي من قرا تتلوا فمعناه تتبع من قولهم البلايم التالي اي الاخبار التي عليه ينبغي ان يكون
قبل التالي من علم يعقد ما يوجبه ومعنى اختبارها ما اسلفت انه نعم خيرا امر وشرا جوزي عليه كما قال
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل صالحا فلنفسه وغير ذلك من الاي ومن قرا تتلوا فانه من التلاوة
التي هي القراءة دليله قوله فاولئك يقرؤن كتابهم وقوله اقرا كتابك ويكون تتلوا تتبع من قولهم
تلا الفريضة النفل اذا اتبعها النفل قال على ظهر عادى كان ازويه رجال يتلون الصلاة قيام فيكون المعنى
مع كل نفس ما اسلفت من حسنة او سيئة قال فقد جعلت دلوي تستتلي ولا احب تبع القرين اي تستتبع

النصف ع

من قولها اللغة التزييل التفريق ماخوذ في قولهم زلت الشيء عن مكانه ازيله وزيلته للكثرة
من هذا اذا نحيته عن مكانه وزايلت فلانا اذا فارقته هنالك اي في ذلك المكان وهو ظرف
هنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال زهير هنالك ان يستخبلوا المال
يخبلوا وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا والاسلاف تقديم امر لما بعده فمن اسلف
الطاعة لله جوزي بالثواب ومن اسلف المعصية جزي بالعقاب الاعراب جميعا نصب
على الحال ومكانكم قال الزجاج هو منصوب على الامر والمعنى انتظروا مكانكم حتى يفصل
بينكم والعرب تتوعد فتقول مكانك وانتظر فهي كلمة جرت على الوعيد واقول ان الصحيح عند
المحققين ان مكانك ودونك من اسماء الافعال فيكون مكانكم ههنا اسما لالزموا مبنيا على
الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكم لا محل له من الاعراب اذ هو حرف الخطاب وانتم رفع
تاكيد للضمير في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وهذا كما تقول في قولهم عليك زيدا ان الكاف
حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وعلى ههنا اسم للفعل ليس بحرف وكفى بالله شهيدا قال
الزجاج شهيدا منصوب على التمييز ان شئت وان شئت على الحال ان كنا ان بمنزلة ما النافية اي ما كنا
عن عبادتكم الا غافلين قال الزجاج واقول الصحيح ان هذه هي المخففة من الثقيلة واذا كانت مخففة
من الثقيلة يلزمها اللام للفرق بينها وبين النافية والتقدير انا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك
منصوب بتبلوا الا انه غير متمكن واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين المعنى ولما تقدم ذكر الجزاء بين
سبحانه وقت الجزاء فقال ويوم نحشرهم جميعا اي نجمع الخلائق اجمعين اي يجمعهم من كل اوب الى الموقف
ثم نقول للذين اشركوا في عبادتهم مع الله غيره وفي اموالهم فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا مكانكم
انتم وشركاؤكم اي اثبتوا والزموا مكانكم انتم مع شركائكم يعني الاوثان فقد صحبتموهم في الدنيا
فاصحبوهم في المحشر وقيل معناه اثبتوا حتى تسالوا كقوله وقفوهم انهم مسؤولون فزيلنا بينهم
اي فرقنا وفرقنا بينهم في المسألة فسالنا المشركين على حدة لم عبدتم الاصنام وسالنا الاصنام
على حدة لم عبدتم وباي سبب عبدتم وهذا سؤال تقريع وتبكيت عن الحسن ومثله واذا الموؤدة
سئلت باي ذنب قتلت وقيل معناه فرقنا بينهم وبين الاوثان فتبرأ منهم الشركاء وانقطعت
اسبابهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون اي يبعثهم الله وينطقهم فقالوا ما كنا نشعر

ماكنتم ايانا تعبدون عن مجاهد وقيل ان شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين
وقيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفي كيفية جحدهم لعبادتهم
اياهم قولان احدهما انهم يقولون ذلك على وجه الاهانة لهم بالرد عليهم اي ما اعتددنا
بذلك لكم والاخر ان المراد انكم لم تعبدونا ودعانا ولم نرد انهم لم يعبدوهم
اصلا لان ذلك كذب لا يجوز ان يقع في الاخرة لكونهم ملجئين الى ترك القبيح
عن الجبائي وهذه الاية نظير قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الاية
فكفى بالله شهيدا اي فاصلا للحكم بيننا وبينكم ايها المشركون ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ومعناه وهذا اذا كان المراد به الملائكة فانهم عما ادعوه غافلون لانهم
لم يشعروا بذلك ولا امروا به وان كان المراد الاصنام فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية
في الزام الحجة حيث اختاروا للعبادة من لم يدعهم اليها ولم يشعر بها هنالك تبلوا كل نفس
ما اسلفت اي في ذلك المكان وفي تلك الحال وفي ذلك الوقت تختبر وتعلم كل نفس
ما قدمت من خير او شر وترى جزاءه وعلى القراءة بالتاء معناه تقرا كل نفس كتاب عملها او
تتبع كل نفس جزاء ما قدمته وردوا الى الله مولاهم الحق اي ردوا الى جزاء الله والى
الموضع الذي لا يملك احد فيه الحكم الا الله الذي هو مالكهم وسيدهم وخالقهم والحق
صفة الله تعالى فهو القديم الدائم الذي لا يفنى وما سواه يبطل وقيل الحق هو الذي
يكون معنى اللفظ حاصلا له على الحقيقة فالله جل جلاله هو الحق لان معنى الالهية حاصل له
على الحقيقة وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعونه
فاقرارهم من الشركاء مع الله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك
السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر
الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين
فسقوا انهم لا يؤمنون ثلث ايات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر كلمات
ههنا وفي اخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقون على التوحيد الحجة

قال ابو علي من قرا على التوحيد احتمل وجهين احدهما ان يكون جعل ما اوعد به
الفاسقون كلمة وان كانت في الحقيقة كلمات لانهم قد يسمون القصيدة كلمة والخطبة
كلمة والاخر ان يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس فذا وقع على بعض الجنس كما اوقع اسم
الجنس على بعضه في قوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقول الشاعر ببطن
شريان يعوي عنده الذيب فاما من جمع فانه جعل الكلم التي توعدوا بها كل واحدة
منها كلمة ثم جمع فقال كلمات وكلاهما وجه الاعراب كذلك حقت الكاف في موضع
نصب اي مثل افعالهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك اي حق
عليهم انهم لا يؤمنون ويجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لانهم لا يؤمنون
ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب المعنى ثم قرر سبحانه ادلة التوحيد والبعث
عليهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار من يرزقكم اي من يخلق لكم الارزاق من السماء
بانزال المطر والغيث ومن الارض باخراج النبات وانواع الثمار والرزق في
اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند الا ان كل رزق فان الله
هو الرزاق به لانه لو لم يطلقه على يد ذلك الانسان لم يجئ منه شيء فلا يطلق اسم
الرزاق الا على الله سبحانه في غيره كما لا يطلق اسم الرب الا عليه سبحانه ويقيد في غيره
فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز ان يخلق الله حيوانا يريد تبقيته الا ويرزقه
لانه اذا اراد بقاءه فلا بد له من الغذاء ام من يملك السمع والابصار معناه ام من يملك ان يعطيكم
الاسماع والابصار فيقويها وينورها او لو شاء لسلب نورها وحسها ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي قيل معناه ومن يخرج الانسان من النطفة والنطفة من الانسان وقيل
معناه ومن يخرج الحيوان من بطن امه اذا ماتت امه ويخرج غير التام ولا البالغ حد الكمال
من الحي وقيل معناه ومن يخرج المؤمن ومن يدبر الامر اي ومن الذي يدبر جميع الامور في
السماء والارض على ما توجبه الحكمة فسيقولون الله اي فسيعترفون بان الله تعالى يفعل هذه
الاشياء وان الاصنام لا تقدر عليها فقل افلا تتقون اي فقل لهم عند اعترافهم بذلك افلا
تتقون عقابه في عبادة الاصنام وفي الاية دلالة على التوحيد وعلى حسن المحاجة في الدين لانه

سبحانه

سبحانه حاج بها المشركين وفيها دلالة على انهم كانوا يقرون بالخالق وان كانوا مشركين
فان جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن اقر بالصانع
على هذا صنفان موحد يعتقد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم ضربان
فضرب جعلوا لله شريكا في ملكه يضاده ويناديه وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فمنهم من يثبت
لله شريكا قديما كالمانوية ومنهم من يثبت شريكا محدثا كالمجوس وضرب اخر لا يجعل لله تعالى
شريكا في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكا في العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم
اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسائط من الاجسام العلوية كالنجوم والشمس
والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الاجسام السفلية كالاصنام ونحوها تعالى الله عما يقول
الزائغون عن سبيله علوا كبيرا فذلكم الله ذلك اشارة الى اسم الله ووصفه في الاية الاولى
بانه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكاف والميم للمخاطبين
وهم جميع الخلق اخبر سبحانه ان الذي يفعل هذه الاشياء ربكم الحق الذي خلقكم ومعبودكم
الذي له معنى الالهية ويحق له العبادة دون غيره من الاصنام والاوثان فماذا بعد
الحق الا الضلال استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة اذ لا يجد المجيب محيدا عن الاقرار
به الا بذكر ما لا يلتفت اليه والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق الا الوقوع في الضلال
لانه ليس بينهما واسطة فاذا ثبت ان عبادة الله هو الحق ثبت ان عبادة ما سواه باطل وضلال
فانى تصرفون اي فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على انه لا معبود سواه
كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون معناه ان الوعيد من الله تعالى
للكفار بالنار في الصحة كالقول بانه ليس بعد الحق الا الضلال وقيل ان معناه مثل
انصرافهم عن الايمان وجبت العقوبة لهم اي جازاهم ربهم مثل ما فعلوا لاجل الانصراف وهذا
في قوم علم الله سبحانه انهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء انهم لا يؤمنون
وقيل معنى قوله انهم لا يؤمنون بانهم لا يؤمنون او لانهم لا يؤمنون وجبت العقوبة
عليهم لذلك قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون
قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق

احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع
اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ثلث ايات
القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم ام من لا يهدي ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرا اهل
المدينة غير ورش يهدي ساكنة الهاء مشددة الدال وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن عامر
وروح وزيد عن يعقوب يهدّي بفتح الهاء والياء وتشديد الدال الا ان ابا عمرو
اشار الى فتحة الهاء من غير اشباع وقرا عاصم عن حماد ويحيى ورويس عن يعقوب يهدّي
بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرا حماد ويحيى عن ابي بكر عن عاصم يهدي بكسر
الهاء والياء والتشديد قوله يهدي ويهدي ويهدي ويهدي اصل
جميعها يهتدي يفتعل وان اختلف الفاظها ادغموا التاء في الدال لمقاربتها فانهما
من حيز واحد ثم اختلفوا في تحريك الهاء فمن قرى يهدي القى حركة الحرف المدغم وهو
التاء على الهاء فانه حرك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين
ومن اشم هذا ولم يسكن فالاشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء ما بعدها من الكسرة
وهو ردي لثقل الكسر في الياء قوله فما لكم كيف تحكمون ما مبتدا ولكم
خبره وكيف منصوب بقوله تحكمون لا يغني عن الحق شيئا يجوز ان يكون قوله شيئا
مفعول يغني ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي لا يغني عن الحق غناء وكذا قيل
في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا قالوا هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر اي جزاء
وكذا قوله ولا تشركوا به شيئا قالوا هو مفعول تشركوا وقالوا هو مصدر اي لا تشركوا
به اشراكا وكذا قوله يعبدونني لا يشركون بي شيئا المعنى ثم احتج سبحانه عليهم في
التوحيد باحتجاج اخر فقال قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم من يبدوا
الخلق ثم يعيده اي هل من هذه الاصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل
الذين جعلتموهم شركاء في اموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدو الخلق اي ينشئه
بعد ان لم يكن وهو النشأة الاولى ثم يعيده في النشأة الثانية قل الله يبدو الخلق
ثم يعيده معناه فان قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه او سكتوا فقل انت الله

هو الذي

هو الذي يبدأ الخلق بان ينشئه على غير مثال ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيمة فانى تؤفكون
اي كيف تصرفون عن الحق وتقلبون على الايمان ثم استانف الحجاج فقال سبحانه قل يا محمد
هل من شركائكم من يهدي الى الحق اي من هذه الاصنام من يهدي الناس الى الرشد
وما فيه الصلاح والنجاة والخير بدلالة ينصبها وحجة يظهرها فلا بد ان يجيبوا بلا
فقل انت الله هو الذي يهدي للحق الى طريق الرشاد يقال هديت الى الحق وهديت
للحق بمعنى واحد افمن يهدي الى الحق معناه افمن يهدي غيره الى طريق التوحيد والرشاد احق
ان يتبع امره ونهيه ام من لا يهدي احدا الا ان يهدى ولا يهدي هو الا ان يهدى واما
لا يهتدي ولا يهدي احدا وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام نزل على
انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها الهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت بصفة
من يعقل وان لم يكن في الحقيقة كذلك الا ترى الى قوله سبحانه ويعبدون من دون
الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقوله ان
الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وانما هم موات الا ترى انه قال فادعوهم
فليستجيبوا لكم الهم ارجل يمشون بها الاية وكذلك قوله ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فاجرى عليه اللفظ كما يجري
على من يعلم وعلى هذا فقوله الا ان يهدى لا بمنزلة حتى فكانه قال ام من لا يهدي
حتى يهدى ام لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وان كان لو دل
اذا علم لم يستدل ولم يعلم ولو هدي لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة
تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر العالم وقال البلخي لا يهدي
ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هديته فهدى اي اهتدى وقيل ان المراد بذلك الملائكة
والجن لانهم يهتدون اذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء المضلون الذين يدعون
الى الكفر وقيل ان المعنى في قوله لا يهدي الا ان يهدى لا يتحرك الا ان تحرك ولا
ينتقل كقول الشاعر حيث يهدي ساقه قدمه اي تحمل وقيل معناه الا ان يركب الله
فيه الة التمييز والهداية ويرزقه فهما وعقلا فان هدي حينئذ اهتدى فما لكم قال

الزجاج هذا كلام تام كانه قال اى شئ لكم فى عبادة من لا يضر ولا ينفع كيف تحكمون
هذا التعجب من حالهم اى كيف تقضون بان هذه الاصنام الهة وانها تستحق العبادة
وقيل كيف تحكمون لانفسكم بما لا توجبه الحجه ولا يشهد بصحته الادله وما يتبع اكثرهم
الا ظنا اى ليس يتبع اكثر هؤلاء الكفار الا الظن الذى لا يجرى شيئا من تقليد ابائهم
ورؤسائهم ان الظن لا يغنى من الحق شيئا لان الحق انما ينتفع به علمه حقا وعرفه
معرفة صحيحه والظن يكون فيه تجويز ان يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون
مثل العلم ان الله عليم بما يفعلون من عبادة غير الله سبحانه فيجازيهم عليه وفيه ضرب
من التهديد وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن
تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين
ام يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين
اربع ايات اللغه القران عبارة عن هذا الكلام الذى هو فى اعلى طبقات البلاغه
مع حسن النظام والجزاله والتفصيل والتقسيم والتمييز نظائر وضد التلبيس و
التخليط والسوره جمله بايات الله كاحاطة سور البنا بالبنا والاستطاعة حالة للحى
تطاع بها الجوارح للفعل وهى ماخوذة من الطوع والقدرة ماخوذة من القدر
فهى معنى يمكن ان يوجد بها الفعل وان لا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى
الاعراب ماكان هذا القران اى يفترى اى لان يفترى ويجوز ان يكون
ان يفترى اى لان يفترى ويجوز ان يكون المعنى ما كان هذا القران افتراء فيكون
مصدرا فى موضع نصب بانه خبر كان وتصديق عطف عليه اى ولكن كان تصديق
الذى بين يديه ام يقولون ام هذه هى المنقطعه وتقديره بل ايقولون فكيف فى
موضع نصب على انه خبر كان المعنى ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم ائت بقرآن

غير هذا

غير هذا او بدله وقولهم ان النبى صلى الله عليه واله وسلم افترى هذا القران فقال وما كان
هذا القران ان يفترى اى افترى من دون الله فاقام ان مع الفعل مقام المصدر بل هو وحى
من الله ومتلقى منه ولكن تصديق الذى بين يديه من الكتب كما قال فى موضع اخر مصدقا
لما بين يديه وهذه شهادة من الله تعالى بان القران صدق وشاهد لما تقدم من التورية
والانجيل والزبور بانها حق ومن وجه اخر هو شاهد لها من حيث انه مصداق لما فى
تقدمة البشارة به فيها وقيل معناه تصديق الذى بين يديه فى المستقبل من البعث والنشور
والحساب والجزا وتفصيل الكتاب اى تبيين المعنى المجمل فى القرآن من الحلال والحرام والاحكام
الشرعيه وقيل معناه وبيان الادله التى يحتاجون اليها فى امور دينكم لا ريب فيه من رب
العالمين اى لا شك فيه انه نازل من عند الله وانه معجز لا يقدر احد على مثله وهذا غاية
فى التحدى ام يقولون افتراه هذا تقدير على موضع الحجه بعد مضى حجه اخرى وتقديره بل
ايقولون افتراه فالزمهم على هذا الفصل الفاسد امكان ان يأتوا بمثله وقل لهم فأتوا بسورة
مثله اى مثله من البلاغه لانكم من اهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم انتم ايضا عليه فاذا عجزتم
عن ذلك فاعلموا انه ليس من كلام البشر وانه منزل من عند الله عز اسمه وقيل بسورة مثله اى سورة
منه وقال مثله لان ما التمس من هذا اشبه الجنس وادعوا من استطعتم من دون الله اى
وادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا بهم للمعاضدة على المعارضة بسورة
مثله ان كنتم صادقين فى ان هذا القران مفترى من دون الله وهذا ايضا غاية
فى التحدى والتعجيز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى كذبوا بما لم يعلموه من جميع وجوهه
لان فى القران ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج الى التفكر فيه او الى الرجوع الى الرسول
فى معرفة مراده وذلك مثل المتشابه فالكفار لما لم يعلموا المراد بظاهره كذبوا به وقيل
معناه بل كذبوا بما لم يحيطوا علما بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون
الفاظ الشعر والخطب ومعانيها ولا يمكنهم ابداع مثلها بنظمها وترتيبها وقال الحسن
معناه بل كذبوا بالقران من غير علم ببطلانه وقيل معناه بل كذبوا بما فى القران من الجنة
والنار والبعث والثواب والعقاب ولما يأتهم تاويله اى لم ياتهم بعد حقيقة ما وعد

في الكتاب مما يؤول اليه امرهم من العقوبة وقيل معناه ان في القران اشياء لم يعلموا
مضاها ولا يمكنهم معرفتها الا بالرجوع الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فلم يرجعوا
اليه وكذبوا به فلم يأتهم تفسيره وتأويله فيكون المعنى لم يكذبوا بما لم يدركوا علمه من
القران ولم يأتهم تفسيره ولو راجعوا فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لعلموه
وروي عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال ان الله تعالى خص هذه الامة بآيتين من كتابه
ان لا يقولوا الا ما يعلمون وان لا يردوا ما لا يعلمون ثم قرأ الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الاية وقرأ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الاية وقيل
ان من هنا اخذ امير المؤمنين علي عليه السلام قوله الناس اعداء ما جهلوا واخذ
قوله قيمة كل امرء ما يحسنه من قوله عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم واخذ قوله تكلموا تعرفوا من قوله ولتعرفنهم
في لحن القول كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الامم السالفة
رسلها فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين اي كما كان عاقبة اولئك الهلاك
كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم اخبر سبحانه ان من جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن
ونسبوه الى الافتراء من سيؤمن به في المستقبل ويصدق بانه من عند الله ومنهم
من يموت على كفره فقال ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به اراد سبحانه انما
لا يهلكهم في الحال لما يعلم في تبقيتهم من الصلاح وقيل معناه ومنهم من يؤمن بالقرآن
في نفسه ويعلم صحته الا انه يعاند ويظهر من نفسه خلاف ما يعلمه ومنهم من هو شاك
فيه فكانه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون وربك اعلم بالمفسدين اي بمن يدوم
على الفساد ويعلم من يتوب وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم
بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك افانت
تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي
ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون اربع ايات المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه واله وسلم وان كذبوك

يا محمد

يا محمد ولم يصدقوك وردوا عليك قولك فقل لهم لي عملي وان كنت كاذبا فوباله
علي ولكم عملكم اي ولكم جزاء عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون نظيره قوله
قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة وهذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اعملوا على
مكانتكم ونحوه وقيل ان هذه الاية منسوخة باية القتال وقيل انه لا تنافي بين هذه الاية
واية القتال لانها براءة ووعيد وذلك لا ينافي الجهاد ومنهم من يستمعون اليك
معناه ومن جملة هؤلاء الكفار من يستمع اليك يا محمد والاستماع طلب السمع فهم كانوا
يطلبون السمع للرد لا للفهم فكذلك لزمهم الذم وانهم اذا سمعوه على هذا الوجه
كانهم صم لم يسمعوه حيث لم ينتفعوا به افانت تسمع الصم هذا خطاب للنبي صلى الله
بانه لا يقدر على اسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون قال الزجاج معناه ولو كانوا
جهالا وهذا مثل قول الشاعر اصم عما ساءه سميع ومنهم من ينظر اليك اي ومن جملتهم
من ينظر اليك يا محمد فلم عبر بلفظ الجمع هنا لانه حمله على اللفظ وقال من يستمعون
فاجرى بلفظ الجمع حملا على المعنى اي ينظر الى افعالك واقوالك لا نظر الحقيقة
والعبرة بل نظر العادة فلا ينتفع بنظره افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون
اي فكما انك لا تقدر ان تبصر العمي فتنفعهم به كذلك لا تقدر ان تنفع بما تاتي به
من الادلة من ينظر اليها ولا يطلب الانتفاع بها وقوله افانت استفهام والمراد به النفي
وقيل ان معنى الايتين ومنهم من يستمع الى كلامك استماع الطعن والتعنت وينظر الى
ادلتك نظر الطاعن القادح فيها المكذب بها الراد عليها فلا تقدر ان تنفعهم بمثل
هذا الاستماع والنظر ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
تمدح سبحانه في هذه الاية بانه لا يظلم احدا من الناس شيئا بان ينقص من حسناتهم
وجزاء طاعاتهم ولكنهم ينقصون انفسهم ويظلمونها بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح
والمعنى هنا ان الله تعالى لا يمنع احدا الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن والادلة
ولكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به ويفوتون انفسهم الثواب
ويدخلون عليها العقاب ففي الاية دلالة على انه سبحانه لا يفعل الظلم فبطل قول المجبرة

ع

في اضافة كل ظلم الى خلقه وارادته **النظم** قيل في اتصال الاية الاولى بما قبلها انه سبحانه
لما بين دلايل التوحيد والنبوات فعاندوا وكذبوا اخبر فيما بعد بقطع العصمة عنهم
والوعيد لهم واما الاية الاخرة وهي قوله ان الله لا يظلم الناس شيئا فالوجه في
اتصالها بما قبلها انها يتصل بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني انهم
استحقوا ذلك الاهلاك والعذاب بافعالهم وما ظلمناهم وقيل انها اتصلت
بقوله ومنهم من يستمعون ومنهم من ينظر فكانه قال ان الله لا يمنعهم الانتفاع
بما كلفهم بل مكنهم وبين لهم وهداهم وازاح علتهم ولكن ظلموا انفسهم بترك
الانتفاع به عن الجبائي وابي مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الوعد والوعيد بين سبحانه
انه لا يظلمهم اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في سياتهم **ويوم يحشرهم كان لم
يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ثلث ايات **القراءة** قرا حفص عن عاصم ويوم
يحشرهم بالياء والباقون بالنون **الحجة** قال ابو علي يحتمل قوله كان لم يلبثوا الا ساعة
من النهار ثلثة اوجه احدها ان يكون صفة ليوم والاخر ان يكون صفة للمصدر
المحذوف والثالث ان يكون حالا من الضمير في يحشرهم فاذا جعلته صفة لليوم
احتمل ضربين من التاويل احدهما ان يكون التقدير كان لم يلبثوا قبله الا ساعة
فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل ذلك في حذف هذا النحو منه قوله فاذا
بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اي امسكوهن قبله وكذلك قوله يتربصن
بانفسهن اي يتربصن بعدهم ويجوز ان يكون المعنى كان لم يلبثوا قبل فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من الصفة كقولك الناس رجلان رجل
اهنت ورجل اكرمت ومثل هذا في حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قوله
ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم التقدير وجزاؤه واقع بهم فحذف

المضاف

المضاف وان جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الذي وصفنا وعليه وان
جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شيء من اللفظ لان الذكر من الحال قد
عاد الى ذي الحال والمعنى نحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث الا ساعة واما يوم نحشرهم
فانه يصلح ان يكون معمولا لاحد شيئين احدهما ان يكون معمولا يتعارفون والاخر
ان يكون لما دل عليه قوله كان لم يلبثوا فاذا جعلته معمولا لقوله يتعارفون انتصب
يوم على وجهين احدهما ان يكون ظرفا معناه يتعارفون في هذا اليوم والاخر ان يكون
مفعولا على السعة على ما سارق الليلة اهل الدار ومعنى يتعارفون يحتمل امرين احدهما
ان يكون المعنى مدة اماتتهم التي وقع حشرهم بعدها وحذف المفعول للدلالة عليه
كما حذف في مواضع كثيرة وعدى تفاعل كما يعدى في قوله تخاطأت النبل احشاءه و
يكون اعمل الفعل الذي دل عليه يتعارفون الا ترى انه قد دل على يتعالمون ..
ويتعرفون ويعرفوا مدة الميت ههنا كما يعرفونها في قوله قال قائل منهم كم لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والاخر في التعارف ما جاء من قوله واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فتعارفهم يكون على احد هذين
الوجهين فعلى هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول يتعارفون والاخر ان يكون
يوم نحشرهم معمولا لما دل عليه قوله كان لم يلبثوا الا ترى ان المعنى تشابه احوالهم من لم
تلبث فتعمل في الظرف هذا المعنى ولا يمتنع المعنى من ان يعمل في الظرف وان تقدم الظرف
عليه كقولهم اكل يوم لك ثوب واذا حملته على هذا لم يجز ان يكون صفة للمصدر لان
الموصول الذي هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره يوم نحشرهم حشرا كان لم
يلبثوا او لم يلبثوا قبله والصفة لا يتقدم عليها ما يعمل فيه ولا يجوز ايضا ان يجعله
صفة ليوم هذا لان الصفة لا تعمل في الموصوف الا ترى ان الصفة شرح للموصوف
كما ان الصلة لا تعمل في الموصول لذلك فان قلت فاذا قدرت كان لم يلبثوا على تقدير
الحال من الضمير هل يجوز ان يكون يوم معمولا له فان ذلك لا يجوز لان العامل
في الحال يحشر او نحشر وقد اضيف يوم اليه ولا يجوز ان يعمل في المضاف اليه

ولاما يتعلق بالمضاف اليه لان ذلك يوجب تقديمه على المضاف الا ترى انه لم يجز
القتال زيدا حين ياتى واجعلت يتعارفون العامل فى يوم يحشرهم لم يجز ان يكون
صفة ليوم على انك كانك وصفت اليوم بقوله كان لم يلبثوا ويتعارفون فوصفت
يوم يحشرهم بجملتين لم يجز ان يكون معمولا لقوله يتعارفون لان الصفة لا تعمل فى
الموصوف وجاز وصف اليوم بالجمل وان اضيف لان الاضافة ليست بمحضة ولم يعرفه
ويدل على النون فى يحشرهم قوله سبحانه وحشرناهم وقوله فجمعناهم جمعا ويحشرهم
يوم القيمة اعمى ويدل على اليا قوله ليجمعكم الى يوم القيمة وكل واحد منهما يجرى
مجرى الاخر المعنى ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال ويوم يحشرهم اى يجمعهم
من كل مكان الى الموقف كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار اى كانهم لم يلبثوا فى
الدنيا الا ساعة ومعناه انهم استقلوا ايام الدنيا فان فى الدنيا وان طال كان
بمنزلة مكث ساعة فى جنب الاخرة عن الضحاك وقيل استقلوا ايام مقامهم فى الدنيا
لقلة انتفاعهم باعمارهم فيها فكانهم لم يلبثوا الا يوما فيها لقلة فايدتها وقيل
استقلوا مدة لبثهم فى القبور عن ابن عباس وقد دل الله سبحانه بذلك على انه
لا ينبغى لاحد ان يغتر بطول ما يامله من البقا فى الدنيا اذا كان عاقبته الى الزوال
يتعارفون بينهم معناه ان الخلق يعرف بعضهم بعضا فى ذلك الوقت كما كانوا فى
الدنيا كذلك وقيل معناه يعرف بعضهم بعضا فى ذلك الوقت كما كانوا فى الدنيا كذلك
وقيل معناه يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطا والكفر قال الكلبى يتعارفون اذا
خرجوا من قبورهم ثم ينقطع المعرفة اذا عاينوا العذاب ويتبرا بعضهم من بعض قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله خز الله وما كانوا مهتدين للحق وقال الحسن معناه
خسروا انفسهم لانهم لم يكونوا مهتدين فى الدنيا ولو كانوا مهتدين فى الدنيا
لم يخسروا انفسهم ومعناه انهم خسروا الدنيا حين صرفوها الى المعاصى وخسروا
نعيم الاخرة حين فوتوها على انفسهم بمعاصيهم واما نرينك يا محمد فى حيوتك بعض
الذى نعدهم اى نعد هولاء الكفار من العقاب فى الدنيا قالوا ومنها وقعة بدر او

ويتوفينك

ويتوفينك اى نميتنك قبل ان ينزل ذلك بهم وينزل ذلك بهم بعد موتك فالينا مرجعهم
اى الى حكمنا مصيرهم فى الاخرة فلا يفوتوننا وقيل ان الله سبحانه وعد نبيه صلى الله
عليه واله وسلم ان ينتقم له منهم اما فى حيوته او بعد وفاته ولم يحد بوقت فقال
ان ما وعدناه حق لا محالة ثم الله شهيد على ما يفعلون اى عليم بافعالهم حافظ لها
فهو يوفيهم عقاب معاصيهم ولكل امة رسول اى لكل جماعة على طريق واحد ودين
واحد كامة محمد وامة موسى وعيسى عليهم السلام رسول بعثه الله اليهم وحمله الرسالة
التى يوديها اليه فاذا جاء رسولهم ههنا حذف واضمار التقدير فاذا جاء رسولهم وبلغ
الرسالة فكذبه قوم وصدقه اخرون قضى بينهم فيهلك المكذبون وينجى المومنون
وقيل معناه فاذا جاء رسولهم ليشهد عليهم يوم القيمة عن مجاهد وقيل فى الدنيا
بما اذن الله له من الدعا عليهم قضى بينهم اى فصل بينهم الامر على الحتم بالقسط اى
بالعدل وهم لا يظلمون اى لا ينقصون عن ثواب طاعاتهم ولا يزدادون فى
عقاب سياتهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين . قل لا
املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون . قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا
او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم
به تستعجلون . ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون
الا بما كنتم تكسبون . خمس ايات اللغة الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد
خبر بما يعطى من الشر هذا اذا فصل فاذا اجمل وقع الوعد على الجميع والنفع هو
اللذة والسرور وما ادى اليهما او الى واحد منهما والضر الالم والغم او ما ادى
اليهما او الى واحد منهما والاجل هو الوقت المضروب لوقوع امر كاجل الدنيا واجل
الانسان الاعراب متى سوال عن الزمان واين سوال عن المكان بيانا منصوب
على الظرف وقوله ماذا يستعجل يجوز ان يكون فى موضع رفع وذلك اذا كان
ذا بمعنى الذى والمعنى ما الذى يستعجلون منه المجرمون فيكون ما مبتدا

والذي خبره ويجوز ان يكون في موضع نصب وذلك اذا جعلت ماوذا اسما
واحدا والمعنى اي شي لا تستعجل المجرمون من العذاب او من الله فيكون مفعول
تستعجل وجواب ان اتاكم محذوف وتقدير الكلام ارايتم ماذا يستعجل من
العذاب المجرمون ان اتاكم محذوف وتقدير الكلام عذابه بياتا او نهارا
او وقع الاعراض ومعنى ماذا تستعجل ههنا الانكار اي ليس في العذاب شي
تستعجل به وجا على صنعه الاستفهام لانه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله اثم
دخلت الف الاستفهام على ثم التي للعطف ليدل على ان الجملة الثانية بعد الاول
مع ان الالف صدر الكلام والعامل في اذا قوله امنتم به وقوله الان وقد كنتم
به تستعجلون تقديره الان به يؤمنون المعنى لما اوعد الله سبحانه المكذبين
بين عقيبه انهم استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد فقال ويقولون اي ويقول
هؤلاء المشركون متى هذا الوعد الذي يعدنا به من البعث وقيام الساعة وقيل
من العذاب ان كنتم صادقين في ذلك قل يا محمد جوابا لهم لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا اي لا اقدر لنفسي على ضر ولا نفع الا ما شاء الله ان يملكني او يقدرني عليه
فكيف اقدر لكم لاني اذا لم اقدر على ذلك كنت عن انزال العذاب وعن معرفة وقته
اعجز ويكون معناه اذا لم املك لنفسي شيا من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف
املك تقديم القيمة وتعجيل العقوبة قبل الوقت المقدر له لكل امة اجل اي لكل
امر في عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم فلا يستاخرون عنه ساعة ولا
يستقدمون فلا يتاخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم
في ذلك الوقت بعينه قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب ارايتم
اي علمتم ان اتاكم عذابه اي عذاب الله بياتا اي ليلا او نهارا ماذا يستعجل منه
المجرمون وهذا استفهام معناه التقطيع والتهويل كما يقول الانسان لمن هو
في امر يستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد و قال
ابو جعفر الباقر عليه السلم يريد بذلك عذابا ينزل من السماء على فسقه اهل القبلة

في اخر الزمان نعوذ بالله منه اثم اذا ما وقع بكم العذاب المقدر الموقت امنتم به
اي بالله في وقت الباس وقيل بالقران وقيل بالعذاب الذي كنتم تنكرونه فيقال
لكم الان تؤمنون وقد اضطررتم وقد كنتم به اي بالعذاب تستعجلون من قبل
مكذبين مستهزئين وقال الحسن معناه ثم انكم ستؤمنون به عند وقوع العذاب
فلا ينفعكم ايمانكم ونظيره الان وقد عصيت قبل ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب
الخلد اي ثم يقال يوم القيمة للذين ظلموا انفسهم ذوقوا عذاب الدوام في الاخرة بعد
عذاب الدنيا هل تجزون الا بما كنتم تكسبون معناه انكم قد زعمتم وهديتم وبين
لكم الادلة وازيحت عنكم العلة فابيتم الا التمادي في الكفر والانهماك في الغي فذوقوا
جزاء اعمالكم وانما شبهوا بالذايق وهو الذي يطلب الطعم بالفم لانه اشد احساسا وقيل
لانهم يتجرعون العذاب بدخوله اجوافهم ويستنبئونك احق هو قل اي وربي
انه لحق وما انتم بمعجزين . ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا
الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون . الا ان لله ما في
السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون . هو يحيي
ويميت واليه ترجعون . اربع ايات اللغة الاستنبا طلب النبا الذي هو الخبر
والافتدا ايقاع الشي بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداه يفديه فدية وفدا و
افتداه افتداء وفاداه مفاداة الاعراب الا كلمة تستعمل في التنبيه واصلها لا دخل
عليها حرف الاستفهام تقريرا وتذكيرا فصارت تنبيها وكسرت ان بعد الا لان الا
يستانف ما بعدها للتنبيه بها على معنى الابتدا ولذلك وقع بعدها الامر والدعا كقول
امرء القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي المعنى ويستنبئونك يا محمد اي يطلبون
منك ان تخبرهم احق هو اي احق به من القران والنبوة والشريعة وقيل احق ما تعدنا
من البعث والقيمة والعذاب عن الجبائي قل يا محمد اي وربي اي نعم وحق الله انه لحق
لا شك فيه وما انتم بمعجزين اي سابقين فائتين وهذا الاستخبار يحتمل ان يكون انما
وقع منهم على وجه التعرف والاستفهام ويحتمل ان يكون وقع على وجه الاستهزاء ولو

ان لكل نفس ظلمت اى اشركت بالله عن ابن عباس وقيل ظلمت بكل ما يسمى ظلما ما فى
الارض من الاموال لافتدت به من هول ما يلحقه من العذاب واسروا الندامة لما راوا العذاب
اى اخفوا الندامة اى اسر الندامة رؤسا الضلالة من الاتباع والسفلة وقيل اسروا الندامة
اى اخلصوها والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وقيل اسروا اى اظهروا عن ابى
عبيده والجبائى قال الازهرى وهذا غلط لان ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالشين
المنقطة من فوق وقضى بينهم بالقسط اى فصل بينهم بالعدل وهم لا يظلمون فيما يفعل
بهم من العقاب لانهم جنوه على انفسهم وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال انما
اسروا الندامة وهم فى النار كراهية لشماتة الاعداء الا ان لله ما فى السموات والارض
اى له ملك السموات والارض وما فيهما فلا يقدر احد على منعه من احلال العقاب
بمملوكه المستحق له الا ان وعد الله حق باحلال العقاب بالمجرمين ولكن اكثرهم
لا يعلمون صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبصحة ما اتى به النبى صلى الله عليه واله وسلم
هو يحيى ويميت اى يحيى الخلق بعد كونهم امواتا ويميتهم بعد ان كانوا
احياء ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيجازيهم على اعمالهم قال الجبائى وفى هذه الاية
دلالة على انه لا يقدر على الحيوة الا الله تعالى لانه تعالى تمدح بكونه قادرا على
الاحياء والاماتة النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها ان قوله ويستنبئونك
عطف على ويستعجلونك المعنى انهم يستعجلونك ويقولون متى يكون القيمة
والعذاب ويستخبرونك احق ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله الا ان لله
ما فى السموات والارض بما قبله اتصال الاثبات بالنفى وتقديره ليس للظالم
ما يفتدى به بل جميع الملك لله وقيل انه يتصل بما قبله بمعنى ان من يملك
السموات والارض يقدر على ايقاع ما يوعد به ووجه اتصال قوله الا ان وعد
الله حق بما قبله انه اذا خلق السموات والارض لا للعبث بل لمنافع الخلق فلا يجوز
عليه خلف الوعد وايضا فان من صفة الخالق ان يكون عالما لذاته غنيا غير
محتاج والخلف كذب قبيح به ولا بد للفعل من داع والداعى الى القبيح اما الجهل

يقبحه

يقبحه او الحاجة اليه فاذا لا يجوز الخلف عليه اذ لا داعى له اليه يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ايتان القراءة
قرا ابو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرا يعقوب برواية
رويس فلتفرحوا تجمعون بالتاء فيهما جميعا وروى ذلك عن النبى صلى الله
عليه واله وسلم وابى بن كعب وفى رواية زيد عن يعقوب فلتفرحوا
بالتاء يجمعون بالياء وروى ذلك عن ابن عباس وقتاده وجماعه والباقون
بالياء فيهما جميعا الحجه قال ابو على قوله بفضل الله وبرحمته الجار فيه متعلق
بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله الآن وقد عصيت قبل
يتعلق الظرف فيه بمضمر يدل عليه ما تقدم من الفعل وكذلك قوله الآن
وقد كنتم به تستعجلون فاما قوله فبذلك فليفرحوا فان الجار فى قوله فبذلك
يتعلق بليفرحوا الا ان هذا الفعل يصل بالباء قال فرحت بما قد كان من سيديكما
فاما الفاء فى قوله فليفرحوا فزيادة يدلك على ذلك ان المعنى قل فرحوا بذلك
ومثل هذه الاية قول الشاعر واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى والفاء فى قوله
فاجزعى زيادة كما كانت الفاء فى قوله فليفرحوا زيادة ولا يكون الزيادة الاولى
لان الظرف انما يتعلق باجزعى فاما من قرا فلتفرحوا بالتاء فانه اعتبر الخطاب
الذى قبل وهو قوله قد جاءتكم موعظة وزعموا انها من حرف ابى فافرحوا
قال ابو الحسن فزعموا انها لغة وهى قليلة نحو لتضرب وانت تخاطب فاما من
قرا هو خير مما تجمعون بالتاء فعلى انه عنى المخاطبين والغيب جميعا الا انه غلبت
المخاطبة على الغيبة ومن قرا بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون
اى افرحوا بفضل الله ورحمته فانما اتاكم من الموعظة وشفاء الصدور وثلج
اليقين بالايمان وسكون النفس اليه خير مما يجمعونه يجمعه غيركم من اعراض
الدنيا اعرض عن هذه الحال التى حرضوا عليها المعنى لما تقدم ذكر القران وما فيه

من الوعد والوعيد عقبه سبحانه بذكر جلالة موقع القران وعظم محله
في باب الادلة فقال يا ايها الناس خطاب لجميع الخلق وتنبيه لهم وقيل انه
خطاب لقريش قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القران والموعظة بيان ما يجب
ان يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هو ما يدعو الى الصلاح ويزجر عن الفساد
وشفاء لما في الصدور والشفاء معنى كالدواء لازالة الداء فداء الجهل اضر من داء
البدن وعلاجه اعسر واطباؤه اقل والشفاء منه اجل والصدور موضع القلب وهو
اجل موضع في البدن لشرف القلب وهدى اي ودلالة تؤدي الى معرفة الحق ورحمة
للمؤمنين اي ونعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه وخص المؤمنين بالذكر وان كان القران
عظة ورحمة لجميع الخلق لانهم الذين انتفعوا به ووصف الله سبحانه القران في هذه
الاية باربع صفات بالموعظة والشفاء لما في الصدور وبالهدى والرحمة قل بفضل الله
وبرحمته معناه قل يا محمد بافضال الله وبنعمته فانه لا يجوز اطلاق الفاضل على الله
فوضع الفضل في موضع الافضال كما وضع النبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا
في موضع الانبات وقيل ان اضافة الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى
انه مالك له فبذلك فليفرحوا قال الزجاج قوله بذلك بدل من قوله بفضل الله وبرحمته
وهو يدل على انه يعني به القران اي فبذلك فليفرح الناس لانه خير لكم يا اصحاب محمد
مما يجمعه هؤلاء الكفار من الاموال ومعنى الاية قل لهؤلاء الفرحين بالدنيا المعتدين
بها الجامعين لها اذا فرحتم بشيء فافرحوا بفضل الله عليكم ورحمته لكم بانزال هذا القران
وارسال محمد اليكم فانكم تحصلون بهما نعيما دائما مقيما هو خير لكم من هذه الدنيا الفانية وقيل
فضل الله هو القران ورحمته هو الاسلام عن ابي سعيد الخدري والحسن وروي انس
عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكى
الفاقة كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه الى يوم القيمة ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته الاية
وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القران عن قتادة ومجاهد وغيرهما وقال ابو جعفر
الباقر عليه السلام فضل الله رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ورحمته علي بن ابي طالب ع

ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم
منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون
وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم
شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في
السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ثلث ايات القراءة
قرا الكسائي وما يعزب بكسر الزاء هنا وفي سبا وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب
وقرا الباقون بضم الزاء وقرا حمزة وخلف ويعقوب وسهل ولا اصغر ولا اكبر
بالرفع والباقون بفتحهما الحجة يعزب ويعزب لغتان صحيحتان ومن فتح الراء
من اصغر واكبر فلان افعل في الموضعين في موضع جر على تقدير ما يعزب عن ربك
من مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر وانما فتح لانه غير منصرف وانما
منع الصرف لان افعل اذا اتصل به من كان صفة فاذا كان صفة لم ينصرف في
النكرة ومن رفع حمله على موضع الجار والمجرور الذي هو من مثقال ذرة فانه في
موضع رفع كما كانا في قوله كفى بالله ويجوز رفعه من جهة اخرى على الابتداء ويكون
الخبر قوله الا في كتاب مبين الاعراب الشان اسم يقع على الامر والحال يقول ما شانك
وما حالك وما بالك والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه ماخوذ
من فيض الاناء اذا انصب الماء من جوانبه ومنه قوله افضتم من عرفات اي تفرقتم
كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء والعزوب الذهاب عن المعلوم وضده
حضور المعنى للنفس وتعزب اذا انفرد عن اهله الاعراب ما في قوله ما انزل
الله في موضع نصب بانزل ويكون بمعنى اي في الاستفهام ويحتمل ان يكون
ما بمعنى الذي فيكون نصبا بارايتم المعنى ثم امر نبيه صلى الله عليه واله وسلم
ان يخاطب كفار مكة فقال قل يا محمد لهم ارايتم ما انزل الله لكم من رزق وجعله
حلالا فجعلتم منه حراما وحلالا اي جعلتم بعضه حلالا يعني ما حرموا من السائبة

والبحيرة والوصيلة ونحوها اوحرموا من ذروعهم وانما قال انزل لان ارزاق
العباد من المطر الذي ينزله الله قل يا محمد لهم الله اذن لكم ام على الله تفترون
معناه انه لم ياذن لكم في شي من ذلك بل انتم تكذبون في ذلك على
الله سبحانه وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة معناه اي شيء
يظن الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيمة على افترائهم على الله
اي لا ينبغي ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب الشديد والعقاب
الاكبر ان الله لذو فضل على الناس بما فعل بهم من ضروب الانعام ولكن
اكثرهم لا يشكرون نعمه ويجحدونها وهذا الكلام خرج مخرج
التقريع على افترا الكذب وان كان في صورة الاستفهام وتقديره ايود بهم
افتراوهم الكذب الى خير ام شر وقيل ان معنى قوله لذو فضل على الناس
انه لم يضيق عليهم بالتحريم كما ادعيتم ذلك عليه وقيل معناه انه لذو
فضل على خلقه بترك معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا
وامهاله اياهم الى يوم القيمة ثم بين سبحانه ان امهاله اياهم ليس بجهل
بحالهم فقال وما يكون في شان اي ما تكون انت يا محمد في حال من الاحوال
وفي امر من امور الدين من تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة وغير ذلك وما تتلوا
منه من قران اي وما تقرا من الله من قران وقيل من الكتاب من القران
والقران يقع على القليل والكثير منه وقيل انها تعود الى الشان اي وما
تتلوا من الشان من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
اي ولا تعمل انت وامتك من عمل الا كنا عالمين به شاهدين عليكم
اذ تفيضون فيه اي تدخلون فيه وما يعزب عن ربك اي وما يبعد وما
يغيب من علم ربك ورؤيته ومقدرته من مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة في
الارض ولا في السماء ولا اصغر من وزن نملة ولا اكبر من ذلك الا في كتاب
مبين اي في كتاب بينه الله فيه قبل ان خلقه وهو في اللوح المحفوظ

وقيل اراد به كتاب الحفظة الذي كتبه الملائكة السفرة وحفظوه قال
الصادق عليه السلم كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا قرء هذه
الاية بكى بكاء شديدا النظم قيل في اتصال الاية الاولى بما قبلها انها اتصلت
بقوله قل من يرزقكم من السماء والارض واذا اقروا انه الرازق قيل لهم
اجعلتم ما رزقكم بعضه حراما وبعضه حلالا عن ابي مسلم وقيل لما وصف
القران بانه هدى ورحمة وامرهم بالتمسك بما فيه عقبه بذكر مخالفتهم
لما جا في القران وتحريمهم ما احل الله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات ذلك هو الفوز العظيم
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم اربع ايات
اللغة الخوف والفزع والجزع نظاير وهو انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه
والامن ضده والحزن غلظ الهم ماخوذ من الحزن وهي الارض الغليظة والسرور
ضده والبشرى الخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجوه والبشارة مثلها والعزة
شدة الغلبة من عزه يعزه اذا غلبه ومنه قولهم اذا عز اخوك فهن يعني اذا غلبك
ولم تقاوم فلن له وعز الشي يعز بفتح العين اذا اشتد ويعز بكسرها اذا صار
عزيزا لا يوجد فكانه اشتد وجوده الاعراب الذين امنوا يحتمل موضعه ثلثة
اوجه من الاعراب النصب على انه صفة اولياء الله والثاني الرفع على المدح و
الثالث الرفع على الابتدا وخبره لهم البشرى فان جعلت الذين امنوا صفة
لم يقف على يتقون وان جعلته مبتدا وقفت على يحزنون دون يتقون لهم البشرى
خبر عنهم والبشرى ترتفع بالظرف على الاقوال الثلثة ولا يحزنك قولهم ان العزة
لله كسرت ان للاستيناف بالتذكير لما ينفي الحزن ولا يجوز ان يكون كسرت لانها
وقعت بعد القول لانه يصير حكاية عنهم فان النبي صلى الله عليه واله وسلم
يحزن لذلك وهذا كفر ويجوز فتحها على تقدير اللام كانه قال ولا يحزنك قولهم

لان العزة لله جميعا وقد غلط الصبي في هذا فزعم ان فتحها يكون كفرا وليس
الامر كما ظنه فانها اذا كانت معمولة القول لم يجز واذا انعلقت بغير القول جاز
سوا فتحت او كسرت ومثل الفتح قول ذى الرمة فما هجرتك النفس يا مي انها قلتك
ولكن قل منك نصيبها ولكنهم يا املح الناس اولعوا بقول اذا ما جئت هذا
حبيبها وقال القتيبي عند ذكر هذه المسئلة اذا قلت هذا قاتل اخي بالتنوين
دل على انه لم يقتل واذا قلت هذا قاتل اخي بحذف التنوين دل على انه قتل وهذا غلط
باجماع من النحويين لان التنوين قد يحذف وانت تريد الحال والاستقبال قال
قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغا الكعبة وكل نفس ذائقة الموت اي
ستذوق المعنى الا اولياء الله لا خوف عليهم بين الله سبحانه ان المطيعين لله الذين
تولوا القيام بامره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيمه
من العقاب ولا هم يحزنون اي لا يخافون واختلف في اولياء الله فقيل هم قوم
ذكرهم الله بما هم عليه من سيما الخير والاخبار عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل
هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع وقيل هم الذين امنوا وكانوا يتقون
قد بينهم في الاية بعدها عن ابن زيد وقيل انهم الذين ادوا فرايض الله واخذوا
بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل هذه الدنيا ورغبوا
فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله بمعايشهم لا يريدون به التفاخر
والتكاثر ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فاولئك الذين يبارك الله
لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا منه لاخرتهم وهو المروي عن علي بن
الحسين عليهما السلام وقيل هم الذين توالت افعالهم على موافقة الحق الذين امنوا
اي صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته وكانوا يتقون مع ذلك معاصيه لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فيه اقوال احدها ان البشرى في الحيوة الدنيا هي ما
بشرهم الله تعالى به في القران على الاعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الاية عن الزجاج و

الفرا

والفرا وثانيها ان البشارة في الحيوة الدنيا بشارة الملائكة عليهم السلم للمومنين
عند موتهم بان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة عن قتاده والزهري والضحاك
والجبائي وثالثها انها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المومن لنفسه او ترى له
وفي الاخرة بالجنة وهي ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيمة
الى ان يدخل الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام
وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه واله وسلم وروى عقبة بن خالد
عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيمة الا هذا الدين
الذي انتم عليه وما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه الا ان تبلغ نفسه الى هذه
واومى بيده الى الوريد الخبر بطوله ثم قال ان هذا في كتاب الله وقرا الذين
امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الاية وقيل ان
المومن يفتح له باب الى الجنة في قبره فيشاهد ما اعد له في الجنة قبل دخولها
لا تبديل لكلمات الله اي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف فيه
يوضع كلمة اخرى مكانها بدلا منها لانها حق والحق لا خلف فيه بوجه ذلك هو الفوز
العظيم اي ذلك الذي سبق ذكره بالبشارة في الحيوة الدنيا والاخرة هي النجاة العظيمة
التي يصغر في جنبها كل شيء ولا يحزنك قولهم ظاهره النهي والمراد به التسلية للنبي صلى
الله عليه واله وسلم عن اقوالهم الموذية وهو مثل قولهم لا اراينك ههنا اي لا تكن ههنا
فمن كان ههنا رايته وكذلك المراد بالاية لا تغتم باذاهم فمن عابهم اذاه ان العزة
لله جميعا فيمنعهم منك بعزته ويدفع اذاهم عنك وقيل معناه لا يحزنك قولهم
انك ساحر ومجنون فسينصرك الله عليهم ويذلهم وينتقم منهم لك فانه عزيز
قادر عليه هو السميع العليم يسمع اقوالهم ويعلم ضمايرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك
شرهم ويرد كيدهم وضرهم النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها انه لما تقدم ذكر
المومن والكافر بين عقيبه ان اولياءه لا خوف عليهم وقيل انه لما ذكر انه يحصي اعمال
خلقه بشر من تولاه وذكر ما اعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم

انه يتصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لي عملي ولكم عملكم
وقيل انه يتصل بما قبله فكانه قال اذا كنت من اولياء الله ومن اهل الثواب فلا ينبغي
ان يحزنك طعن من يطعن عليك ووجه اتصال قوله هو السميع العليم بما قبله انه
يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك الا ان لله من في السموات ومن في
الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا
الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اللغة الفرق بين الجعل
والفعل ان جعل الشيء قد يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفا ولا يكون
فعله الا باحداثه والفرق بين الجعل والتغيير ان تغيير الشيء لا يكون الا بتصييره
على خلاف ما كان وجعله يكون بتصييره على مثل ما كان كجعل الانسان نفسه ساكنا
على استدامة الحال وانما قال والنهار مبصرا وانما يبصر فيه تشبيها ومجازا واستعارة
في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة كما يقال سر كاتم وليل نائم ومثله قول جرير
لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم وقال روبة فنام
ليلي وتجلى همي المعنى لما سلى الله سبحانه نبيه بقوله ولا يحزنك قولهم فانهم لا
يفوتونني بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال الا ان لله من في السموات ومن
في الارض يعني العقلاء واذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم وانما خص العقلاء
تفخيما وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يحتمل ما ههنا وجهين احدهما
ان يكون بمعنى اي فكانه قال واي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
تقبيحا لفعلهم والاخر ان يكون نافية اي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ويحتمل
وجها ثالثا وهو ان يكون بمعنى الذي ويكون منصوبا بالعطف على من ويكون
التقدير والذي يتبع الاصنام اي يدعونهم من دون الله شركاء فحذف العايد
من الصلة وشركاء حال في ذلك المحذوف وان جعلت ما نفيا فقوله شركاء ينتصب
بيدعون والعايد الى الذين الواو في يدعون يكون قوله ان يتبعون

مكرر

مكررا لطول الكلام ويتعلق في هذا القول على قوله ومن في الارض وفي ذلك القول
على قوله شركاء وان يتبعون الا الظن اي ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء الا
الظن لتقليدهم اسلافهم في ذلك او لشبهة دخلت عليهم بانهم يتقربون بذلك الى الله تعالى
وان هم الا يخرصون اي ليسوا الا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه معناه ان الذي يملك من في السموات ومن في الارض هو الذي
خلق الليل لسكونكم ولان يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه والنهار
مبصرا اي جعل النهار مضيئا تبصرون فيه وتهتدون به في حوائجكم بالابصار
ان في ذلك لايات لحججا ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر
على ذلك غيره لقوم يسمعون الحجج سماع تدبر وتفهم قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه
هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا
اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون ثلث ايات الاعراب متاع خبر مبتدا محذوف وتقديره
ذلك او هو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتدا
محذوف الخبر وتقديره لهم متاع المعنى ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار
انهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طايفتان احدهما كفار قريش والعرب
فانهم قالوا الملائكة بنات الله والاخرى النصارى الذين قالوا المسيح ابن
الله فقال سبحانه قالوا اتخذ الله ولدا وانما قال قالوا وان لم يجر سبق
ذكرهم لانهم كانوا بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يعرفهم
ويصح الكناية عن المعلوم كما يصح عن المذكور سبحانه اي تنزيها له عما قالوا هو
الغني عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال له ما في السموات وما
في الارض ملكا وملكا وخلقا فهو غني عن اتخاذ الولد لان الانسان انما يتخذ
الولد ليتقوى به من ضعف وليستغني به من فقر والله سبحانه منزه عن ذلك

فاذا استحال حقيقة اتخاذ الولد عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبني
ان عندكم من سلطان بهذا اى ما عندكم من حجة وبرهان بهذا اتقولون على الله ما لا
تعلمون هذا توبيخ منه سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم عن ذلك
فقال قل يا محمد ان الذين يفترون اى يكذبون على الله باتخاذ الولد وغير ذلك لا يفلحون
اى لا يفوزون بشيء من الثواب واصل الافتراء من القطع من فريت الاديم اى قطعته
فمعناه يقطعون الكذب الذى يكذبونه على الله تعالى وقوله متاع فى الدنيا معناه لهم
متاع فى الدنيا يتمتعون به اياما قلايل ثم ينقضى وقوله ثم الينا مرجعهم اى ثم الى
حكمنا مصيرهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وهو عذاب النار بما كانوا يكفرون
**واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى
بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجرى
الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك
وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين** ثلث ايات **القراءة** قرا يعقوب وحده وشركاؤهم بالرفع وهو قراءة
الحسن وابن ابى اسحاق وابى عبد الرحمن السلمى وعيسى الثقفى وقرا الباقون وشركاءكم
بالنصب وفى الشواذ قراءة الاعرج وعاصم الجحدرى والزهرى فاجمعوا امركم مفتوحة
الميم موصولة الهمزة من جمع **الحجة** من قرا فاجمعوا امركم وشركاؤكم بالرفع رفعه
على العطف على الضمير فاجمعوا وساغ عطفه على الضمير من غير توكيد من اجل طول الكلام
بقوله امركم واذا جاء فى قوله سبحانه ما اشركنا ولا اباؤنا ان يكتفى من طول الكلام
بلا وان كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو اطول من لا وهو ايضا
قبل الواو وكان التوكيد لو ظهر لكان قبلها احرى فلو قال القايل قم وزيد لكان اقبح من ان
يقول قمت وزيد وذلك لان المعطوف عليه فى قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو اضعف
من ضمير المخاطب والمتكلم فى قمت لان لها لفظا وهو التاء وقمت وزيد اضعف من قمنا

وزيد

وزيد لان نا من قمنا اتم لفظا من التاء فى قمت واما شركاكم بالنصب فقد قيل فيه انه منصوب
على اضمار فعل كانه قال وادعوا شركاكم قالوا وكذا هو فى مصحف ابى وقيل تقديره فاجمعوا
امركم واجمعوا شركاكم لان اجمعوا يدل عليه وذهب المحققون الى انه مفعول معه وتقديره
مع شركائكم كما انشد سيبويه فكونوا انتم وبنى ابيكم مكان الكليتين من الطحال ويقال اجمعت
الامر وجمعت الامر واجمعت على الامر اى عزمت عليه قال مورج اجمعت الامر افصح من اجمعت
عليه قال ابو الهيثم اجمع امره اذا جعله جميعا بعد ما كان متفرقا قال هل اغدون يوما
وامرى مجمع **اللغة** الغمة ضيق الامر الذى يوجب الحزن والغمه والكربه والضغطه والشده
نظاير ونقيضه الفرجة وقيل غمة مغطى بغطيه خبره ماخوذ من غم الهلال اذا حال دون
رويته غيم **المعنى** ثم امر الله سبحانه نبيه ان يقرا عليهم اخبار نوح عليه السلم فقال
واتل عليهم نبا نوح اى خبره اذ قال لقومه الذين بعث اليهم يا قوم ان كان كبر عليكم
مقامى اى شق وعظم عليكم اقامتى بين اظهركم وتذكيرى اى وعظى وتنبيهى اياكم
بايات الله اى بحججه وبيناته على صحة التوحيد والعدل وبطلان ما تدينون به
وفى الكلام حذف هو قوله وعزمتم على قتلى وطردى من بين اظهركم فعلى الله توكلت
جعل جواب الشرط مع انه متوكل عليه فى جميع احواله ليبين لهم انه متوكل فى هذا
التفصيل لما فى اعلامه ذلك من زجرهم عنه لان الله تعالى يكفيه امرهم ومعناه فالى
الله فوضت امرى وبه وثقت ان يكفينى امركم فاجمعوا امركم وشركاكم معناه فاعزموا
على امركم مع شركائكم واتفقوا على امر واحد من قتلى وطردى ولا تنظروا فيه
مختلفا احوالكم فيما تلقوننى به وهذا تهديد فى صورة الامر وقيل معناه اعزموا
على امركم وادعوا شركاكم فبين عليه السلم انه لا يرتدع عن دعايهم وعيبه الهتهم
مستعينا بالله عليهم واثقا به سبحانه ان يعصمه منهم وقيل اراد بالشركا الاوثان
التى كانوا يعبدونها من دون الله وقيل اراد من شاركهم فى دينهم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة اى لا يكن امركم عليكم غما وحزنا بان ترددوا فيه وقيل معناه ليكن امركم
ظاهرا مكشوفا ولا يكون مغطى مبهما مستورا من غممت الشيء اذا سترته وقيل معناه

لانا نوم من غيران يتشاوروا ومن غيران يجمع رايكم عليه لان من حاول امرا من غير
ان يجمع رايكم عليه لان من حاول امرا من غيران يعلم كيف يتاتى كان امره غمة عليه
ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى امضوا الى فاقتلوني ان وجدتم اليه سبيلا ولا تؤخروني
ولا تمهلوني عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا افعلوا ما تريدون وادخل الى لانه
بمعنى فرغوا من جميع حيلكم كما يقال خرجت اليك من العهدة وقيل معناه توجهوا الى
وروى عن بعضهم انه قرا ثم افضوا الى اى اسرعوا الى من الفضا لانه اذا صار الى الفضا
لانه اذا صار الى الفضا يمكن من الاسراع وهذا كان من معجزات نوح عليه السلم لانه
كان وحيدا مع نفر يسير وقد اخبرانهم لا يقدرون على قتله وعلى ان ينزلوا به سوءا لان
الله تعالى ناصره وحافظه عنهم فان توليتم اى ذهبتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه
ولم تنظروا فيه فما سالتكم من اجر اى لا اطلب منكم اجرا على ما اوديه اليكم من الله تعالى فتثقل
ذلك اليكم وقيل معناه ان اعرضتم عن قبول قولى لم يضرني لانى لم اطمع فى مالكم فيفوتنى ذلك
بتوليكم عنى وانما يعود الضرر عليكم ان اجرى الا على الله اى ما اجرى الا على الله فى القيام باداء
الرسالة وامرت ان اكون من المسلمين اى امرني الله بان اكون من المستسلمين لامر الله بطاعته
ثقة بانها خير ما يكسبه العباد فكذبوه يعنى انهم كذبوا نوحا اى نسبوه الى الكذب
فيما يذكره من انه نبى الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم الى طاعته فنجيناه ومن معه
فى الفلك اى فى السفينة وجعلناهم خلايف اى جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفا لمن هلك
بالغرق وقيل انهم كانوا ثمانين نفسا وقال البلخى يجوز ان يكون اراد جعلناهم رؤساء
فى الارض واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى اهلكنا باقى اهل الارض اجمع لتكذيبهم لنوح
عليه السلم فانظر ايها السامع كيف كان عاقبة المنذرين اى المخوفين بالله وعذابه كيف
اهلكهم الله ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى
وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون

للحق

للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما
وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين
خمس ايات القراءة روى حماد ويحيى عن ابى بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما
الكبرياء بالياء والباقون بالتاء الحجة الوجه فى الياء ان تانيث الكبرياء غير حقيقى وقد
فصل ايضا بينه وبين الفعل ومن قرا بالتاء فلان لفظه لفظ التانيث اللغة
الاجرام اكتساب السيئة واصله القطع واللفت الصرف عن الامر يقال لفته يلفته
لفتا وامراة لفوت ذات زوج ولها ولد من غيره لانها تلتفت الى ولدها عنها
المعنى ثم بين سبحانه قصة من بعثه بعد نوح عليه السلام فقال ثم بعثنا من بعده
اى من بعد نوح واهلاك قومه رسلا يريد ابراهيم وهودا وصالحا ولوطا
وشعيبا الى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا وكثروا فجاؤهم بالبينات
اى فاتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل اى لم يكونوا ليصدقوا يعنى اولئك الاقوام الذين بعث اليهم الرسل
بما كذبت به اوايلهم الذين هم قوم نوح اى كانوا امثالهم فى الكفر والعتو وقيل
معناه لم يكن منهم فى الكفر والعتو وقيل معناه لم يكن منهم ان يؤمن من بعد
هذه الايات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات
وبعدها عن ابى مسلم والبلخى كذلك نطبع على قلوب المعتدين اى نجعل على
قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم
الذم بها ويعرفهم بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد قدم
معانى الطبع والختم فيما تقدم ثم بعثنا من بعدهم اى من بعد الرسل ومن بعد
الامم موسى وهرون عليه السلم نبيين مرسلين الى فرعون وملائه اى ورؤسا
قومه باياتنا اى بادلتنا ومعجزاتنا فاستكبروا واعرضوا عن الانقياد لها والايمان بها وكانوا
قوما مجرمين عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدايم فلما جاءهم اى جاء قوم فرعون
الحق من عندنا يعنى ما اتى به موسى من المعجزات والبراهين قالوا ان هذا لسحر مبين اى

ظاهر قال موسى لهم اتقولون للحق لما جاكم اسحر هذا اى تقولون للمعجز انه سحر و
السحر باطل والمعجز حق وهما مضادان لا يفلح الساحرون اى لا يظفرون بحجة
ولا ياتون على ما يدعونه بينة وانما هو تمويه على الضعفة قالوا يعنى قال فرعون
وقومه لموسى اجيتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا اى لتصرفنا عن ذلك وتكون
لكما الكبريا اى الملك عن مجاهد وقيل العظمة والسلطان والاصل ان الكبريا
استحقاق صفة الكبر فى اعلى المراتب فى الارض مصر وقيل اراد اسم الجنس والمراد
به الانكار وان كان لفظه الاستفهام تعلقوا بالشبهه فى انهم على راى اباءهم
وان كان من دعاهم الى خلافه فظاهرهم انه يريد التامر عليهم وما نحن لكما
بمؤمنين اى بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة وقال فرعون ائتونى بكل
ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا
قال موسى ما جيتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين
ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون اربع ايات القرائة قرا اهل
الكوفة غير عاصم بكل سحار بالتشديد والباقون ساحر على وزن فاعل وقرا ابو جعفر
وابو عمرو السحر بقطع الالف ومدها على الاستفهام والباقون السحر موصوله على
الحجه قد بينا الوجه فى سحار فى سورة الاعراف واما قوله السحر فان ما فى قوله
فى موضع رفع بالابتدا وجيتم فى موضع رفع بانه خبر المبتدا والكلام استفهام والسحر
بدل من ما المبتدا ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوى المبدل منه فى انه استفهام
الا ترى انه ليس فى قولك السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون ام ثلثون
فجعلت العشرون والثلثون بدلا من كم والحقت لم لانك فى قولك كم درهما مالك تدعى
ان له مالا كما انك فى قولك اعشرون ام ثلثون مالك تدعى انه احد الشيئين ولا تلزم
ان يضمر للسحر خبرا على هذا لانك اذا ابدلته من المبتدا صار فى موضعه وصار ما كان خبرا
لما ابدلت منه فى موضع خبر البدل ومن قرا ما جيتم به السحر كان ما فى قوله موصولا وجيتم
به الصله والها المجرورة عايد على الموصول وخبر المبتدا الذى هو الموصول السحر ومما

هذا

هذا الوجه ما زعموا انه فى حرف عبد الله ما جيتم به سحر فعلى هذا يكون تقديره الذى جيتم
به السحر وعلى الوجه الاول وهو ان يكون ما استفهاما فتقديره اى شى جيتم به السحر وانما
وجه الاستفهام مع علم موسى انه سحر فانه مثل قوله انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين
من دون الله فى انه للتقرير المعنى وقال فرعون حكى الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه
المعجزات التى ظهرت لموسى عليه السلم ولم يكن فى دفعها حيله قال لقومه ايتونى بكل ساحر
عليم بالسحر بليغ فى علمه وانما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما اتى به موسى عليه السلم
وحتى لا يفوته شى من السحر بتاخر بعضهم وانما فعل ذلك الجهل بان ما اتى به موسى من عند الله
ليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فعانده كما قال سبحانه لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصاير وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر يقاومه مقاربة تشبيه
فلما جاء السحرة الذين طلبهم فرعون وامر باحضارهم وموسى حاضر قال لهم موسى القوا
ما انتم ملقون وفى الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما اتوه بالسحرة والحبال
والعصى قال لهم موسى القوا اى اطرحوا ما جيتم به وقيل معناه افعلوا ما انتم فاعلون
ليس بامر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدى والالزام اى من كان عنده ما يقاوم
فليلقه وقيل انه امر على الحقيقه بالالقا ليظهر بطلانه وانما لم يقتصر على قوله القوا لانه اراد
القوا جميع ما انتم ملقون فى المستانف فلو اقتصر على قوله القوا ما افاد هذا المعنى والالقا
اخراج الشى عن اليد الى جهة الارض ويشبه بذلك قولهم القى مسالة والقى عليه رداه فلما
القوا اى فلما القت السحرة سحرهم قال موسى عليه السلام لهم ما جيتم به السحر اى الذى جيتم به
من الحبال والعصى السحر ادخل عليه الالف واللام للعهد لانهم لما قالوا لما اتى به موسى
انه سحر قال عليه السلم ما جيتم به هو السحر عن الفرا ان الله سيبطله اى سيبطل هذا السحر الذى
فعلتموه ان الله لا يصلح عمل المفسدين معناه ان الله لا يهيى عمل من قصد افساد الدين ولا
يمضيه حتى يظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل ويحق الله الحق اى يظهر الله الحق ويحققه
ويثبته وينصر اهله بكلماته قيل فى معناه اقوال احدها ان معناه بوعده موسى عليه السلم
وكان وعده النصر فانجز وعده عن الحسن وثانيها ان معناه بكلامه الذى يتبين به معانى

الايات التي اتاها نبيه عن الجبائي وفتالتها بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ فان ذلك
يكون ولو كره المجرمون ظهور الحق وابطال الباطل وفي هذه الاية دلالة على انه تعالى
ينصر المحقين كلهم في حججهم وذلك على وجهين احدهما بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال
والثاني بالغلبة والقهر وهذا يختلف بحسب المصلحة لان المصلحة قد يكون بالتخلية تارة و
بالحيلولة اخرى فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان
يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم
امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة
للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اربع ايات اللغة الذرية الجماعة من نسل القبيلة
وقد تقدم القول في اصلها ووزنها والفتنة اصلها البلية وهي معاملة تظهر الامور الباطنة
يقال فتنت الذهب اذا احرقته بالنار ليظهر الخلاص وقوله يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون
بما فيه من اظهار حالهم في الضلال وقوله والفتنة اشد من القتل معناه التعذيب المرتد على
الدين لما فيه من اظهار النصر اشد الاعراب يا قوم حذفت منه يا الاضافة اجتزا بالكسرة
منها وهو في النداء احسن من اثباتها لقوة النداء على التغيير والفاء في قوله فقالوا فاء العطف
وجواب الامر كما تقول قال السائل كذا فقال المجيب كذا وانما جازت الفاء في جواب ولم يجز
الواو لان الفاء تنبئ عن ترتيب من غير مهلة فهي موافقة للمعنى وجوب الثاني بالاول وليس كذلك
الواو المعنى ثم بين سبحانه من امن من قوم موسى عليه السلام فقال فما امن لموسى اي لم يصدق
موسى فيما ادعى من النبوة مع ما ظهره من المعجزات لظاهره الا ذرية من قومه اي اولاد من قوم
فرعون وقيل انه اراد من قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر واختلف من قال
بالاول فقيل انهم قوم كانت امهاتهم من بني اسرائيل واباؤهم من القبط فاتبعوا امهاتهم
واخوالهم عن ابن عباس وقيل من قوم فرعون منهم امراة فرعون ومؤمن ال فرعون وخازنه
وامراة هي ماشطة امراة فرعون عن عطية عن ابن عباس وقيل انهم بعض اولاد القبط لم يجب
اباهم موسى واختلف من قال بالثاني فقيل هم جماعة من بني اسرائيل اخذهم فرعون بتعلم
السحر وجعلهم من اصحابه فامنوا بموسى عن الجبائي وقيل اراد مومني بني اسرائيل وكانوا

ستمائة

ستمائة الف وكان يعقوب دخل مصر فيهم باثنين وسبعين انسانا فتوالدوا حتى بلغوا
ستمائة الف وانما سماهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقال
مجاهد اراد بهم اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل لطول الزمان هلك
الاباء وبقي الابناء على خوف من فرعون يعني امنوا وهم خائفون من معرة فرعون وملائهم
ومن اشرافهم ورؤسائهم قال الزجاج وانما جاز ان يقال وملائهم لان فرعون
ذو اصحاب يأتمرون له وقيل ان الضمير في ملائهم راجع الى الذرية لان اباءهم
كانوا من القبط فكانوا يخافون قومهم من القبط ان يصرفوهم عن دينهم ويعذبوهم
ان يفتنهم اي يصرفهم عن الدين يعني ان يمتحنهم بمحنة لا يمكنهم الصبر عليها
فيصرفون عن الدين وكانوا جنود فرعون يعذبون بني اسرائيل فكان خوفهم منه
ومنهم وان فرعون لعال في الارض اي مستكبر باغ طاغ في ارض مصر ونواحيها
وانه لمن المسرفين اي المجاوزين الحد في العصيان لانه ادعى الربوبية واسرف في
القتل والظلم والاسراف التجاوز عن الحد في كل شيء وقال موسى لقومه الذين امنوا
به يا قوم ان كنتم امنتم بالله كما تظهرون فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين اي
فاسندوا اموركم اليه ان كنتم مسلمين على الحقيقة وانما اعاد قوله ان كنتم
مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله ليبين المعنى باجتماع الصفتين التصديق
والانقياد اي ان كنتم امنتم به فاستسلموا لامره وفائدة الاية بيان وجوب
التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لامره ثقة بحسن تدبيره وانقطاعا اليه
فقالوا على الله توكلنا اخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وانهم قالوا اسندنا
امورنا الى الله ووثقنا به ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اي لا تمكن الظالمين
من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر
علينا فرعون وقومه فيفتتن بها الكفار ويقولون لو كانوا على الحق لما ظهرنا
عليهم عن الحسن وابي مجلز وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلام ان معناه لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا ونجنا اي وخلصنا برحمتك

من القوم الكافرين اى من قوم فرعون واستعبادهم ايانا واخذهم جماعتنا بالاعمال
الشاقة والمهن الخبيثة واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا
واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك
اتيت فرعون وملاه زينة واموالا فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ثلث ايات
القراءة قرا ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالتشديد الحجة من قرا
بالنون الشديدة كسرها لوقوعها بعد الف التثنية فاشبهت نون الاثنين
فى رجلان ولم تحذف بالنون الساكنة قبلها لسكونها وخفتها فصارت المكسورة كانها
ليست الا الف ومن قرا بالتخفيف فانه يمكن ان يكون خفف الثقيلة للتضعيف كما خفف
رب واى ونحوهما الا انه حذف الاولى من المثلين كما ابدلوا الاولى من المثلين فى نحو
قيراط ودينار ولزم ذلك فى هذا الموضع لان الحذف لو لحق الثانية لزم التقاء الساكنين
والتقاء الساكنين على هذا الحد غير ماخوذ به عند العامة وان شئت كان على لفظ
الخبر والمعنى الامر كقوله يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا تضار والدة بولدها
اى لا ينبغى ذلك وان شئت جعلته حالا من استقيما والتقدير استقيما غير متبعين
ويدل على ذلك قول الشاعر فلا اسقى ولا يسقى شربى ويرويه اذا اوردت مائى
وكقول الفرزدق بايدى رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثر القتلى بهم حين سلت
اللغة بوء اى اتخذ يقال تبوء لنفسه بيتا اى اتخذه وبوات له بيتا اى اتخذته
له ويقال ان تبوء او بوا بمعنى اى اتخذ بيتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص
قال ابو على تبوء افعل يتعدى الى مفعولين واللام فى لقومكما كالتى فى قوله
ردف لكم ويقوى ذلك قوله واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فدخل اللام
على غير المطاوع كما دخل على المطاوع قوله ان تبوا لقومكما والطمس محو الاثر يقال طمست
عنه اطمسها طمسا وطموسا وطمست الريح اثار الديار والطمس يعبر الى الدثور والدروس

قال كعب بن زهير من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول الاعراب
مصر غير منصرف لانه مؤنث معرفة ولو صرف لخفته كما تصرف هند لكان جائزا وترك الصرف
اقيس وقوله بيوتا مفعول به وليس بظرف مكان لاختصاصه والبيوت هنا كالغرف فى
قوله لنبوئنهم من الجنة غرفا فلا يؤمنوا يحتمل وجهين من الاعراب النصب والجزم فاما النصب
ففيه وجهان احدهما انه على جواب صيغة الامر بالفاء والاخر ان يكون عطفا على ليضلوا
فلا يؤمنوا وهذا قول المبرد وعلى هذا فيكون قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على
اموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا واما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم وتقديره
فلا امنوا ومثله قول الاعشى فلا تنبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقنى الا وانفك
راغم واوحينا الى موسى واخيه اى امرناهما ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا اى اتخذا
لمن امن بكما بمصر يعنى البلدة المعروفة بيوتا تسكنونها وتاوون اليها واجعلوا بيوتكم
قبلة اختلف فى ذلك فقيل لما دخل موسى مصر بعدما اهلك الله فرعون امروا
باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وان يجعلوا مساجدهم نحو القبلة اى الكعبة
وكانت قبلتهم الى الكعبة عن الحسن ونظيره فى بيوت اذن الله ان ترفع الاية وقيل
ان فرعون امر بتخريب مساجد بنى اسرائيل ومنعهم من الصلوة فامروا ان يتخذوا
مساجد فى بيوتهم يصلون فيها خوفا من فرعون وذلك قوله واجعلوا بيوتكم
قبلة اى صلوا فى بيوتكم لتامنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدى
وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم تقابل بعضها بعضا عن سعيد بن جبير واقيموا
الصلاة اى ادوها وواظبوا على فعلها وبشر المؤمنين بالجنة وما وعد الله تعالى
من الثواب وانواع النعيم والخطاب لموسى عليه السلم عن ابى مسلم وقيل الخطاب
لمحمد صلى الله عليه واله وسلم وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه اى
اعطيت فرعون وقومه زينة يتزينون بها من الحلى والثياب وقيل الزينة
الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة واموالا يتعظمون بها فى
الحيوة الدنيا وانما اعطاهم الله ذلك للانعام عليهم مع تعريضهم من وجوه الاستفساد

ربنا ليضلوا عن سبيلك اللام للعاقبة والمعنى وعاقبة امرهم انهم يضلون عن
سبيلك ولا يجوز ان يكون لام الغرض لانا قد علمنا بالادلة الواضحة ان الله
سبحانه لا يبعث الرسول ليامر الخلق بالضلال ولا يريد ايضا منهم الضلال وكذلك
لا يؤتيهم المال ليضلوا وقيل ان معناه لئلا يضلوا عن سبيلك فحذف لا كقوله
شهدنا ان يقولوا يوم القيامة اي لئلا يقولوا وحذف ذلك لدلالة العقل
عليه وقيل انه لام الدعا والمعنى ابتلهم بالبقا على ما هم عليه من الضلال وانما
قال ذلك لعلمه بانهم لا يؤمنون من طريق الوحي فغايته اظهار التبرؤ منهم
كما يلعن ابليس ويدل عليه انه اعاد قوله ربنا اطمس على اموالهم فدل ذلك
على انه اراد به الدعا عليهم والمراد بالطمس على الاموال تغييرها عن جهتها الى جهة
لا ينتفع بها قال مجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير صارت جميع اموالهم حجارة
حتى السكر والفانيد واشدد على قلوبهم ومعناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد
اهلاك اموالهم فيكون ذلك اشد عليهم وقيل معناه امتهم بعد سلب اموالهم
واهلكهم وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
قد ذكرنا وجهه وقيل معناه انهم لا يؤمنون ايمان الجاء حتى يروا العذاب وهم
مع ذلك لا يؤمنون ايمان اختيار اصلا ثم اخبر سبحانه انه اجابهما فقال قال الله تعالى
لموسى وهرون قد اجيبت دعوتكما انما قال دعوتكما والداعي كان موسى عليه السلم
لانه كان يدعو وكان هرون يؤمن على دعايه فسماهما داعيين عن عكرمة
والربيع وابي العاليه واكثر المفسرين ولان معنى التامين اللهم استجب هذا الدعا
فاستقيما اي فاثبتا على ما امرتما من دعا الناس الى الايمان بالله تعالى والانذار
والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعا اربعين سنة وروي ذلك
عن ابي عبد الله عليه السلم ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون نهاهما سبحانه عن ان
يتبعا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه ولا يعرف انبياءه عليهم السلم وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق

قال

قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد
عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية
وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ثلث ايات القراءة قرا اهل الكوفة
غير عاصم امنت انه بكسر الالف والباقون انه بالفتح وروي عن ابي جعفر ونافع
الان بالقا حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة وقرا ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب
وسهل والباقون ننجيك بالتشديد وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب ومحمد بن سميقع
ننحيك بالحا الحجة قال ابو علي من قرا امنت انه بالفتح فلان هذا الفعل اتصل
بحرف الجر في نحو يؤمنون بالغيب فلما حذف الحرف وصل الفعل الى ان فصار
في موضع نصب وجر على الخلاف في ذلك ومن قال امنت انه حمله على القول المضمر
كانه امنت وقلت انه واضمار القول في هذا النحو كثير وقال علي بن عيسى من كسر ان
جعله بدلا من امنت ومن فتح جعله معمول امنت واما الان فلان لام المعرفة
اذا دخلت على كلمة اولها الهمزة فخففت الهمزة كان في تحقيقها وجهان احدهما
ان يلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر وقد حكى ذلك عن سيبويه
وحكى ابو الحسن ان ناسا يقولون لحمر فيحذفون الهمزة التي للوصل قال فقد كتب
عفي جبس خفيه فنح لان منها بالذي انت هالج فاسكن الحا لما كانت اللام متحركة
ولو لم يعتد بالحركة كما لا لم يعتد بها في الوجه الاول لحركة بالحا بالكسر كما يحرك
في نحو اليوم ونجيك وننجيك في معنى واحد اي نلقيك على نجوة من الارض قال
اوس بن حجر فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح والقرواح حيث
لا ما ولا شجر ومن قرا ننحيك بالحا فانه نفعلك من الناحية اي نجعلك في ناحية
ومنه تحيت الشي فتنحى اي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال الحطية تنحى فاجلس
مني بعيدا اراح الله منك العالمينا اللغة المجاوزة الخروج من الحد من احدى
الجهات الاربع الاتباع طلب اللحاق بالاول اتبعه اتباعا وتبعه بمعنى وحكى
ابو عبيدة عن الكسائي انه قال اذا اريد انه اتبعهم خيرا او شرا قالوا بقطع الهمزة

واذا اريد انه اقتدى بهم واتبع اثرهم قالوا تبشـد بدالتا ووصل الهمزة والبغي
طلب الاستعلا بغير حق والعدو والعدوان الظلم والنحوم الارض لا تعلوها
السّبيل واصلها من الارتفاع الاعراب الان فصل بين الزمان الماضي و
المستقبل مع انه اشارة الى الحاضر ولهذا بني كما بني ثم وعرف الان بالالف و
اللام وامس يتضمن حرف التعريف لان ما مضى عبر له المضمر في المعنى في انّه
ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في صحة الصورة والعامل في قوله الان
محذوف وتقديره الان امنت بغيا وعدوا مفعول له وقيل انهما مصدران
في موضع الحال اى في حال البغي والعدوان المعنى ثم بين سبحانه مال امر فرعون
وقومه فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر حتى جاوزوه سالمين بان يبسنا لهم
البحر وفرقنا لهم الما اثنى عشر فرقا فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا اى
ليبغوا عليهم ويظلموهم وذلك ان الله سبحانه لما اجاب دعا موسى امره باخراج
بني اسرائيل في مصر ليلا فخرج وتبعهم فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا الى
البحر وامر الله سبحانه موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا وصار لكل
سبط طريق يابس وارتفع بين كل طريقين الما كالجبل وصار في الماشبه الخروق
فجعل بعضهم ينظر الى بعض فلما وصل فرعون بجنوده الى البحر ودو البحر تلك الهيبة
فهابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان ادهم فجا جبرئيل على فرس وديق
وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شم حصان فرعون ريح فرس جبرئيل انسل
خلفه في الما واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل اخرهم البحر وهم اولهم ان يخرج الطبق
الما عليهم حتى اذا ادركه الغرق اى وصل اليه الغرق وايقن بالهلاك قال امنت
به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وكان ذلك ايمان الالجاء لا يستحق به الثواب فلم
ينفعه ايمانه الآن وقد عصيت قبل فيه اضمار اى قيل له الان امنت حين لا ينفعك
الايمان ولا يقبل لانه حال الالجا وقد عصيت بترك الايمان في الحال ما ينفعك
الايمان فهلا امنت قبل ذلك وكنت من المفسدين في الارض بقتل المؤمنين وادعا

الالهية

الالهية وانواع الكفر واختلف في قايل هذا القول فقيل قاله جبرئيل عليه السلم
وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله له على وجه الاهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزا
لموسى عليه السلم وروى على بن ابراهيم ابن هاشم واسناده عن الصادق عليه السلم
قال ما اوتي جبرئيل عليه السلم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الا كئيبا حزينا
ولم يزل كذلك منذ اهلك الله فرعون فلما امره الله سبحانه بنزول هذه الاية
نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له حبيبي جبرئيل ما اتيتني الا وتبينت الحزن في
وجهك حتى الساعه قال نعم يا محمد لما اغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله الا الذى
امنت به بنوا اسرائيل فاخذت حماة فوضعتها فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل
وكنت من المفسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من عند الله ويعذبني على ما فعلت فلما كان
الآن وامرني الله ان اودي اليك ما قلته لفرعون امنت وعلمت ان ذلك كان لله رضا
فاليوم ننجيك ببدنك اختلف في معناه فقال اكثر المفسرين معناه لما اغرق الله فرعون
وقومه انكر بعض بني اسرائيل غرق فرعون وقالوا هو اعظم شانا من ان يغرق فاخرجه الله
حتى راوه فذلك قوله فاليوم ننجيك اى نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان
المرتفع بجسدك من غير روح وذلك انه طفا عريانا وقيل معناه نخلصك من البحر
وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كان عليه درع من ذهب يعرف بها فالمعنى
نرفعك فوق الما بدرعك المشهورة ليعرفوك بها لتكون لمن خلفك اية اى لتكون
نكالا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقالتك عن الكلبي وقيل انه كان يدعى انه رب
فبين الله امره وانه عبد وفيه من الاية انه غرق مع القوم واخرج هو من بينهم
وكان ذلك اية عن الزجاج وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون يعني
ان كثيرا من الناس عن التفكر في دلالاتنا والتدبر لحججنا وبيناتنا غافلون اى
ذاهبون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون اية اللغة المبوا يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون مكانا

ويكون المفعول الثاني من بوات على هذا محذوفا كما حذف من قوله ويوا لكم في
الارض ويجوز ان ينصب لبوا نصب المفعول به على اتساع وان كان مصدرا وقد
اجاز ذلك سيبويه في قوله اما الضرب فانت ضارب المعنى ثم بين سبحانه حال
بني اسرائيل بعد اهلاك فرعون فقال ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق
اخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد ان انجاهم واهلك عدوهم يقول مكناهم مكانا محمودا
وهو بيت المقدس في الشام وانما قال مبوا صدق لان فضل ذلك المنزل على
غيره في المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم في موضع
خصب وامن يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمه وقال الحسن يريد به مصر
وذلك ان موسى عبر بني اسرائيل البحر ثانيا ورجع الى مصر وتبوا مساكن ال فرعون
وقال الضحاك هو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات اي مكناهم الاشيا
اللذيذه وهذا يدل على سعه ارزاق بني اسرائيل فما اختلفوا حتى جاهم العلم
معناه فما اختلفوا في تصديق محمد صلى الله عليه واله وسلم يعني اليهود كانوا
مقرين به قبل مبعثه حتى جاهم العلم وهو القران الذي جا به محمد صلى الله عليه
واله وسلم عن ابن عباس وقال الفرا العلم محمد صلى الله عليه واله وسلم لانه كان
معلوما عندهم بنعته فلما جاهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه
فما اختلف بنو اسرائيل الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهرون
فانهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجي موسى فلما جاهم امن به بعضهم وثبت على الكفر
بعضهم فصاروا مختلفين ان ربك يقضي بينهم يوم القيمه في الامور التي يختلفون
فيها لان مع بقا التكليف لا يرتفع الخلاف وان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل اية حتى يروا العذاب الاليم ثلث ايات القراءة قد تقدم اختلاف القرا

في كلمه وكلمات والوجه في ذلك اللغه الامتراء طلب الشك مع ظهور الدليل وهو
من مري الضرع وهو مسحه ليدر فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحلب الاعراب النون
في قوله لا تكونن نون التاكيد ومتى تدخل في غير الواجب لانك لا تقول
انت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لانه يطلب بالقسم التصديق وانما
بني الفعل مع نون التاكيد لانها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحده
مركبه مع الاخرى مع ان الاولى ساكنه واقتضت حركة بنا لالتقا الساكنين
ولو جاتهم كل ايه قال الاخفش انث كل لانها مضافه الى مونث ولفظه كل للمذكر
والمونث سوا والرويه في الايه رويه العين لانها تعدت الى مفعول واحد
والعذاب وان كان لا يرى وهو لا يصح ان يرى فانه يرى اسبابه فهو بمنزله
ما يرى المعنى ثم بين سبحانه صحه نبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم فقال
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
اختلف المفسرون في معناه على اقوال ولها قال الزجاج ان هذه الايه
قد كثر سوال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السوره ما يدل على بيانها فان الله
سبحانه يخاطب النبي صلى الله عليه واله وسلم وذلك الخطاب شامل للخلق
فالمعنى فان كنتم في شك فسالوا والدليل عليه قوله في اخر السوره يا ايها
الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن
اعبد الله الذي يتوفاكم فاعلم الله سبحانه ان نبيه عليه السلام ليس في شك
ومثل هذا قوله يا ايها النبي اذا طلقتم فقال طلقتم والخطاب للنبي وحده
وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التاويل وروي عن الحسن وقتاده
وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبي صلى الله عليه واله وسلم لم يشك ولم يسال
وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام ايضا وثانيها ان الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه واله وسلم وان لم يشك علم الله سبحانه انه غير شاك ولكن الكلام
خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القايل لعبده ان كنت عبدي فاطعني ولاسه

ان كنت والدي فتعطف على والولد ان كنت ولدي فبر بي يريد بذلك المبالغه الى ما يستحيل كقولهم بكت السما الموت فلان اي لو كان يبكي سما على ميت لبكت عليه وكذلك هاهنا يكون في المعنى لو كنت ممن يشك فشككت فسال الذين يقراون الكتاب من قبلك عن القول وغيره وثالثها ان المعنى فان كنت ايها المخاطب وايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم فيكون الخطاب لغيره ورابعها ما ذكره الزجاج انه يجوز ان يكون ان في معنى ما فيكون المعنى ما كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرون الكتاب اي لسنا نريد بامرك ان يسال لانك شاك ولكن يزداد ايمانا كما قال ابرهيم حين قيل له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالزياده في التعريف ليست مما يبطل العقيده ولم امر سبحانه بسوال اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته فيه قولان احدهما انه امره بان يسال مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والاخر ان المراد سلهم عن صفه النبي المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفه وهذا القول اقوى لان هذه السوره مكيه وابن سلام وغيره انما اسلموا بالمدينه وقال الزهري ان هذه الايه نزلت في السما فان صح ذلك فقد كفى المووبر ورواه اصحابنا ايضا عن ابي عبد الله وقيل ايضا ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعانيه من تعنتهم واذاهم اي ان ضقت ذرعا بما تلقى من اذى قومك فاسال الذين يقراون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبيا على اذى قومهم فاصبر كذلك لقد جاك الحق من ربك يعني بالحق القران والاسلام فلا تكونن من الممترين اي الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي من جمله من يجحد ايات الله ولا يصدق بها فيكون من الخاسرين اي فانك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يقل من الكافرين لان الانسان قد علم شده بحسره وتاسفه على خسران ماله فكيف اذا خسر دينه ونفسه ان الذين حقت عليهم كلمه ربك لا يؤمنون معناه ان الذين اخبر الله عنهم بغير شرط انهم

لا يؤمنون

لا يؤمنون فنفى الايمان عنهم ولم ينف عنهم القدره عليه فان نفي الفعل لا يكون نفيا للقدره عليه كما ان الله سبحانه نفى عن نفسه مغفره المشركين ولم يكن ذلك نفيا لقدرته على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجب سخط ربك عن قتاده وقيل معناه وجبت عليهم وعيد ربك ولو جاتهم كل ايه معجزه ودلاله مما يقترحونها حتى يروا العذاب الاليم الموجع فصاروا ملجاين الى الايمان وفي هذا اعلام بان هؤلاء الكفار لا لطف لهم في المعلوم يؤمنون عنده ايمان **فلولا كانت قريه امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوه الدنيا ومتعناهم الى حين ايه الاعراب** لولا بمعنى هلا وهي يستعمل على وجهين احدهما التحضيض والاخر التانيب كقولك في التحضيض هلا تاتي زيد الحاجه وفي التانيب هلا امتنعت من الفساد الذي دعيت اليه قال الشاعر تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا اي هلا يعقرون الكمي وكانت قريه كان هذه هي التامه لا يحتاج الى خبر وامنت فنفعها ايمانها صفه لقريه فان الجمل قد يقوم مقام الصفه للنكره الا قوم يونس استثنا متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكانه قال هلا امن اهل قريه والجميع مشركون في هذا العتاب وقوم يونس مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثنا في قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقيه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس استثنا منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما امنوا ومثله قول النابغه وقفت فيها اصيلا لا اسايلها اعيت جوابا وما بالربع من احد الا اواري لايا ما ابينها والنوى كالحوض بالمظلومه الجلد وحكى الفرا في البيت لا ان ما ابينها وقال جمع الشاعر بين ثلثه احرف في النفي لا وان وما وقرا بعضهم يونس ويوسف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من اسف وانس وهو شاذ **المعنى** لما ذكر سبحانه ان ايمان فرعون لم يقبل عند معاينه العذاب وصل ذلك بذكر ايمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال فلولا كانت قريه امنت فنفعها ايمانها اعلم الله سبحانه ان الايمان لا ينفع عند وقوع العذاب

ولا عند حضور الموت الذی لا یبث فیه لکن قوم یونس لما امنوا کشفنا عنهم
العذاب عن الزجاج قال و قوم یونس ان یقع بهم العذاب عاد و الاثار التی
تدل علی العذاب فمثلهم مثل العلیل الذی یتوب فی مرضه وهو یرجوا العافیه
ویخاف الموت وقیل ان معناه لم یکن فیما خلا ان یؤمن اهل قریه باجمعهم حتی
لا یشذ منهم احد الا قوم یونس فهلا کانت القری کلها هکذا عن الحسن وقیل
معناه فما کانت قریه امنت فنفعها ایمانها برید لم یکن هذا معروفا لامر من
الامم کفرت ثم امنت عند نزول العذاب کشف عنهم ای لم افعل هذا بامه قط
الا قوم یونس لما امنوا عند نزول العذاب کشف عنهم العذاب بعد ما تدلی
علیهم وهو قوله کشفنا عنهم عذاب الخزی فی الحیوة الدنیا عن قتاده وابن عباس
فی روایه عطا وقیل ان اراد بقوله فلولا کانت قریه امنت قوم ثمود فانه قد جاهم
العذاب یوما فیوما کما جا قوم یونس الا ان قوم یونس استدرکوا ذلک
بالتوبه واولئک لم یستدرکوا فوصف اهل القریه بانهم سوی قوم یونس
لیعرفهم به بعض التعریف اذ کان اخبر عنهم علی سبیل الاخبار عن النکره عن
الجبای وهذا الذی ذکره انما کان یصح لو کان الا قوم یونس مرفوعا وکان
یکون صفه لقریه او بدلا منه علی معنی هلا کان قوم قریه امنوا الا قوم یونس
ولم یقرا احد من القرا بالرفع ومتعناهم الی حین وهو وقت انقضا اجالهم القصه
وکان من قصه یونس علی ما ذکر سعید بن جبیر والسدی ووهب وغیرهم
ان قوم یونس کانوا بنینوی من ارض الموصل وکان یدعوهم الی الاسلام
فابوا فاخبرهم ان العذاب مصبحهم الی ثلث ان لم یتوبوا فقالوا انا لم نجرب
علیه کذبا فانظروا فان بات فیکم تلک اللیله فلیس بشی وان لم یبت فاعلموا
ان العذاب مصبحکم فلما کان فی جوف اللیل خرج یونس من بین اظهرهم فلما
اصبحوا تغشاهم العذاب قال وهب اغامت السما غیما اسودها یلا یدخن دخانا
شدیدا فهبط حتی غشی مدینتهم واسودت سطوحهم وقال ابن عباس کان العذاب

فوق

فوق روسهم قدر ثلثی میل فلما راوا ذلک ایقنوا بالهلاک وطلبوا نبیهم
فلم یجدوه فخرجوا الی الصعید بانفسهم ونساهم وصبیانهم وذوابهم ولبسوا
المسوح واظهروا الایمان والتوبه واخلصوا النیه وفرقوا بین کل والده
وولدها من الناس والانعام فحن بعضهم الی بعض وعلت اصواتها واختلطت
الاصوات بعضها ببعض وتضرعوا الی الله عز وجل وقالوا امنا بما جاء به یونس
فرحمهم ربهم واستجاب دعاهم وکشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم قال عبد الله
ابن مسعود وبلغ من توبه اهل نینوی ان ترادوا المظالم بینهم حتی ان کان الرجل لیاتی
الحجر وقد وضع علیه اساس بنایه فیقلعه ویرده وروی عن ابی الجلد انه قال لما غشی
قوم یونس العذاب مشوا الی شیخ من بقیه علمائهم فقالوا لقد نزل بنا العذاب
فما تری قال قولوا یا حی حین لا حی ویا حی محیی الموتی ویا حی لا اله الا انت
فقالوا فکشف عنهم العذاب وروی عن ابن ابراهیم بن هاشم عن ابیه عن ابن
ابی عمیر عن جمیل قال قال ابو عبد الله علیه السلم کان فیهم رجل اسمه ملیخا
عابد واخر اسمه روبیل عالم فکان العابد یشیر علی یونس بالدعا علیهم وکان
العالم ینهاه ویقول له لا تدع علیهم فان الله یستجیب لک ولا یحب هلاک عباده
فقبل یونس قول العابد فدعا علیهم فاوحی الله تعالی الیه انه یاتیهم العذاب
فی شهر کذا فی یوم کذا فلما قرب الوقت خرج یونس من بینهم مع العابد وبقی
العالم فیهم فلما کان الیوم الذی نزل بهم العذاب قال لهم العالم افزعوا الی الله
فلعله یرحمکم ویرد العذاب عنکم واخرجوا الی المفازه وفرقوا بین النسا والاولاد
وبین سایر الحیوان واولادها ثم ابکوا وادعوا ففعلوا فصرف الله عنهم العذاب
وکان قد نزل وقرب منهم ومر یونس علی وجهه مغاضبا کما حکی الله تعالی عنه حتی
انتهی الی ساحل البحر فاذا سفینه قد شحنت وارادوا ان یدفعوها فسالهم یونس
ان یحملوه فحملوه فلما توسط البحر بعث الله حوتا عظیما فحبس علیهم السفینه فتساهموا
فوقع سهم یونس فاخرجوه فالقوه فی البحر فالتقمه الحوت ومر به فی الما وقیل ان

الملاحين قالوا نقترع فمن اصابته القرعة القيناه فى الما فان ههنا عبدا عاصيا ابقا
فوقعت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا العبد الابق والقى نفسه فى الما
فابتلعه الحوت فاوحى الله تعالى الى ذلك الحوت لا تؤذ شعرة منه فانى جعلت بطنك
سجنه لم اجعله طعامك فلبث فى بطنه ثلثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين
يوما وقد سال بعض اليهود امير المؤمنين على عليه السلم عن سجن طاف اقطار
الارض بصاحبه فقال له يا يهودى هو الحوت الذى حبس يونس فى بطنه فدخل فى
بحر قلزم ثم خرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج فى دجلة قال
عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوت اخر فاهوى به الى قرار الارض وكان فى بطنه
اربعين ليلة فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
فاستجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمعط فانبت
الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكل الله به وعلا يشرب من لبنها
فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه تبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف
او يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من انت
فقال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام
ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وامنوا به وقيل انه عليه السلم ارسل الى قوم
غير قومه الاولين ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون ايتان القراءة قرا نجعل بالنون حماد ويحيى عن ابى بكر
والباقون بالياء الحجة من قرا بالنون فانه ابتدا باخبار عن الله ومن قرا بالياء فلانه
تقدم ذكر الله تعالى فكنى عنه اللغة المشية والارادة والايثار والاختيار نظاير
وانما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين فى موضعه قال ابن عيسى النفس
خاصة الشئ التى لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشئ ونفسه وذاته واحد الا انه
قد يؤكد بالنفس ولا يؤكد بالذات والنفس ماخوذة من النفاسة الاعراب كلهم

تاكيد

تاكيد لمن وجميعا نصب على الحال المعنى لما تقدم ان ايمان الملجا غير نافع بين
سبحانه ان ذلك لو كان ينفع لاكره اهل الارض عليه فقال ولو شاء ربك يا محمد
لامن اهل الارض كلهم جميعا ومعناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر
على ان يكره الخلق على الايمان كما قال ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم
لها خاضعين ولذلك بعد ذلك افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ومعناه
انه لا ينبغى ان تريد اكراههم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لان الله تعالى
يقدر عليه ولا يريده لانه ينافى التكليف واراد بذلك تسلية النبى صلى الله عليه
واله وسلم وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم عنه وفى هذا
ايضا دلالة على بطلان قول المجبرة انه تعالى لم يزل كان شائيا وانه لا يوصف
بالقدرة على ان لا يشاء لانه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر ولكنه لم يشاء فمن ذلك لم يؤمنوا
ولو كان مشيته ازلية لم يصح تعليقها بالشرط فصح ان مشيته فعله الا ترى انه
لا يصح ان يقال لو علم الله سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد وما
كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله معناه انه لا يمكن احدا الا ان يؤمن الا باطلاق
الله تعالى له فى الايمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب
وذلك وقيل ان اذنه ههنا امره كما قال يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
فامنوا خيرا لكم عن الحسن والجبائى وحقيقة الاذن اطلاق فى الفعل بالامر وقد يكون
الاذن باطلاق فى الفعل برفع التبعة وقيل ان اذنه ههنا علمه اى لا تؤمن نفس
الا بعلم الله من قولهم اذنت بكذا اذا سمعته وعلمته فيكون خبرا عن علم الله سبحانه
بجميع الكائنات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعوهم
الى فعله ويحثهم على فعله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون معناه ويجعل
العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكانهم لا عقول لهم عن قتادة وابن
زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم اى يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه عن الحسن
وقيل الرجس الغضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائى الرجس النتن والرجز

والرجس والرجز واحد قال ابو علي فكان الرجس على ضربين احدهما ان يكون في معنى العذاب والآخر
ان يكون بمعنى القذر والنجس اي حكم بانهم رجس كما قال انما المشركون نجس قل انظروا ماذا في
السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا
مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا
والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ثلث ايات القراءة قرا الكسائي برواية
نصر ويعقوب برواية روح وزيد ثم ننجي بالتشديد وقرا الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب
وسهل ننجي المؤمنين خفيفة والباقون ننجي بالتشديد الحجة حجة من قال ننجي قوله فانجاه
الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين امنوا وكلاهما حسن قال الشاعر ونجى
ابن هند سابح ذو علالة اجش هزيم والرماح دواني اللغة النظر طلب الشيء من جهة الفكر
كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع
ما يكون من الحال يقول انتظرني حتى الحقك ولو قلت توقعني لم يكن فيه امر بالثبات
والمثل في الجنس ما سد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان
على معنى تقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة ماخوذة من النجوة
وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة ماخوذة من اعطاء الشيء من غير نقيصة اسلمته
اليه اذا اعطيته سالما من غير افة الاعراب وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين
كنجاة من مضى في انه حق على الله واجب لهم ويحتمل ان يكون العامل في كذلك ننجي الاول و
تقديره ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقا
نصب على المصدر اي يحق حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه عن مصدر عن ابي مسلم
قال النحوي الضرير ويجوز ان ينصب حقا بكل من ذلك او وصفا ولا يجوز ان ينصب كذلك
وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لان الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في
استثنائين ولا في مفعولين معهما وقد بين في موضعه فان جعلت كذلك من صلة ننجي وجعلت
حقا من صلة قوله ننجي المؤمنين اي ننجي المؤمنين حقا كان الوقف على كذلك المعنى
ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال قل يا محمد لمن سالك الايات

انظروا

انظروا ماذا في السموات والعبر والدلالات من اختلاف الليل والنهار ومجاري
النجوم والافلاك وما خلق من الجبال والبحار وانبت من الاشجار والثمار واخرج من
انواع الحيوانات فان النظر في افرادها وجملتها يدعوا الى الايمان والى معرفة
الصانع ووحدانية وعلمه وقدرته وحكمته وما تغني الايات والنذر عن قوم
لا يؤمنون معناه ولا تغني هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها
وظهورها والرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الادلة تفكرا وتدبرا ولا يريدون
الايمان وقيل ما تغني معناه اي شيء يغني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضر اذا لم يستدلوا
بها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن اذا قرا هذه الاية هتف بها وقال ما تغني
الحجج عن قوم لا يقبلونها وقال ابو عبد الله عليه السلم لما اسري برسول الله صلى الله
عليه واله وسلم اتاه جبرئيل بالبراق فركبها فاتى بيت المقدس ولقي من لقي
من الانبياء ثم رجع واصبح يحدث اصحابه اني اتيت بيت المقدس ولقيت اخواني
من الانبياء فقالوا يا رسول الله فكيف اتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرئيل
بالبراق فركبتها واية ذلك اني مررت بعير لابي سفيان على ماء لبني فلان وقد اضلوا
جملا لهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاء راكب سريع ولكنكم
قد اتيتم الشام وعرفتموها فسلوه عن اسواقها وابوابها وتجارها فسالوه عن ذلك
وكان عليه السلم اذا سئل عن الشيء لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه
قال فبينا هو كذلك اذ اتاه جبرئيل فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك
فالتفت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاذا هو بالشام فقال له اين بيت
فلان ومكانه كذا فاجابهم في كل ما سالوه عنه فلم يؤمن منهم الا قليل وهو قول الله تعالى
وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال ابو عبد الله فنعوذ بالله ان لا
نؤمن بالله امنا بالله ورسوله امنا بالله ورسوله فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين امروا بالايمان فلم يؤمنوا
وبالنظر في الادلة فلم ينظروا الا العذاب والهلاك وفي مثل الايام التي هلك

من قبلهم من الكفار فيها قال قتاده اراد به وقايع الله في عاد وثمود وقوم نوح
وعبر عن الهلاك بالايام كما قال ايام فلان يراد به ايام دولته وايام محنته
واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به النفي وتقديره ليس ينتظرون الا ذلك
قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعد الله
من العذاب فاني منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله ثم ننجي رسلنا والذين
امنوا من بينهم ونخلصهم من العذاب وقت نزوله وقيل من شرور اعدائهم
ومكرهم كذلك حقا علينا ننج المومنين قال الحسن معناه كذا اذا اهلكنا امه
من الامم الماضيه نجينا نبيهم ونجينا الذين امنوا ايضا كذلك اذا اهلكنا
هولاء المشركين نجيناك يا محمد والذين امنوا بك وقيل معناه كذلك حقا
علينا اي واجبا علينا من طريق الحكمه ننجي المومنين من عذاب الاخرة كما ننجيهم
من عذاب الدنيا وقال ابو عبد الله عليه السلام لاصحابه ما يمنعكم من ان
تشهدوا على من مات منكم على هذا الامر انه من اهل النجاه ان الله يقول كذلك
حقا علينا ننج المومنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وامرت ان
اكون من المومنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من
الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم آيتان
اللغه الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد في الدار بانه
لا يكون لاحدى الصفتين عنده مزيه على الاخرى فيقف فهو معنى غير الاعتقاد
عند ابي علي الجبائي وابي هاشم ثم رجع عنه ابو هاشم وقال ليس بمعنى وهو اختيار
القاضي والتوفي قبض الشي على التمام والاقامه نصب الشي ونقيضه الاضجاع
واقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والمماسه والمطابقه

والمجامعه

والمجامعه نظاير وضدها المباينه والكشف رفع الساتر المانع من الادراك فكان الضر
ههنا ساتر يمنع من ادراك الانسان الاعراب ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد
وانما صح ذلك لان معناه ان كنتم في شك فلا تطمعوا في تشكيكي حتى اعبد غير الله كعبادتكم
المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله وسلم بالبراءة عن كل معبود سواه فقال
قل يا محمد لهولاء الكفار يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني احق هو ام لا فلا
اعبد الذين تعبدون من دون الله لشككم في ديني ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم
اي يقدر على اماتتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لان وفاة المشركين ميعاد عذابهم
ومتى قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه
من وجوه احدها ان يكون التقدير من كان شاكا في امري فهذا حكمه والثاني
انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدونه في نفسهم عند ورود الايات
والثالث ان فيهم من كان شاكا فغلب ذكرهم وامرت ان اكون من المومنين اي
وامرني ربي ان اكون من المصدقين بالتوحيد واخلاص العباده له وان اقم
وجهك هذا عطف على ما قبله فكانه قال وقيل لي اقم وجهك للدين اي استقم
في الدين باقبالك على ما امرت به من القيام باعباء النبوه وتحمل امر الشريعه بوجهك
وقيل معناه اقم وجهك في الصلوه بالتوجه نحو الكعبه اي مستقيما في الدين ولا
تكونن من المشركين هذا نهي عن الاشراك مع الله سبحانه غيره في العباده ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته ولا يضرك ان عصيته وتركته اي لا تدعه
الها كما تدعوا المشركون الاوثان الهه وانما قال ما لا ينفعك ولا يضرك مع
انه ما ينفع ويضر لم يحسن ايضا عبادته لامرين احدهما ان معناه ما لا ينفعك نفع
الاله ولا يضرك ضره والثاني انه اذا كان عبادة غير الله ممن يضر وينفع قبيحه فعبادة
من لا يضر ولا ينفع اقبح فان فعلت فانك اذا من الظالمين معناه فان خالفت ما امرت
به من ترك عبادة غير الله كنت ظالما لنفسك بادخالك الضرر الذي هو العقاب عليها
وهذا الخطاب وان كان متوجها الى النبي صلى الله عليه واله وسلم في الظاهر فالمراد به

امته وان يمسسك الله بضر معناه وان احل الله بك ضرا من بلا او شدة او مرض فلا كاشف له الا هو اى لا يقدر احد على كشفه غيره كانه سبحانه لما بين ان غيره لا ينفع ولا يضر عقبه ببيان كونه قادرا على النفع والضر وان يردك بخير من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها فلا راد لفضله اى لا يقدر على منعه احد وتقديره وان يرد بك خيرا ويجوز فيه التقديم والتاخير يقال فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير يصيب به اى بالخير من يشاء من عباده فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة ويعلمه من المصلحة وهو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين اثنان المعنى ثم ختم سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية لنبيه صلى الله عليه واله وسلم والوعيد للكافرين فقال عز اسمه قل يا محمد مخاطبا للمكلفين يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القران ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبى صلى الله عليه واله وسلم ومعجزاته الظاهرة فمن اهتدى بذلك بان نظر فيه وعرفه حقا وصوابا فانما يهتدى لنفسه ومعناه فان منافع ذلك من الثواب وغيره يعود عليه دون غيره ومن ضل عنه وعدل على تامله والاستدلال به فانما يضل عليها اى على نفسه يجنى عليها واما انا عليكم بوكيل اى ما انا بحفيظ لكم عن الهلاك اذا لم تنظروا انتم لانفسكم ولم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمعنى انه ليس على الا البلاغ ولا يلزمنى ان اجعلكم مهتدين وان انجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع ان يحفظه من الضرر واتبع ما يوحى اليك واصبر على اذى الكافرين وتكذيبهم حتى يحكم الله بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء امره وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالعدل والصواب سورة هود عليه السلم مكية كلها فى قول الاكثرين وقال قتادة الا اية وهى قوله واقم الصلوة طرفى النهار فانها نزلت بالمدينة عدد

آيها مائة واثنتان وعشرون آية كوفى واثنان شامى والمدنى الاول وآية فى الباقين اختلافها سبع ايات برئ مما تشركون كوفى فى قوم لوط غير البصرى من سجيل مكى شامى والمدنى الاخير كنتم مؤمنين حجازى منضود وانا عاملون عراقى شامى والمدنى الاول مختلفين عراقى شامى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه واله وسلم قال من قراها اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء وروى الثعلبى باسناده عن ابى اسحق عن ابى جحيفة قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قد اسرع اليك الشيب قال شيبتنى هود واخواتها وفى رواية اخرى عن انس بن مالك عن ابى بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتنى هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتيك حديث الغاشية وروى العياشى عن الحسن بن على الوشا عن ابن سنان عن ابى جعفر عليه السلم قال من قرا سورة هود فى كل جمعة بعثه الله تعالى يوم القيمة فى زمرة النبيين وحوسب حسابا يسيرا ولم يعرف له خطيئة عملها يوم القيمة تفسيرها لما ختم سبحانه سورة يونس بذكر الوحى فى قوله واتبع ما يوحى اليك افتتح هذه السورة ببيان ذلك الوحى فقال بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شىء قدير اربع ايات اللغة الاحكام منع الفعل من الفساد والنقص والحكمة المعرفة بما يمنع من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن والفاسد من الصحيح والحكيم فى صفات الله تعالى يحتمل وجهين احدهما ان يكون بمعنى محكم فهو فعيل بمعنى مفعل اى محكم افعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل والثانى ان يكون

بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فوصف بانه حكيم فيما لم يزل الاعراب قال الزجاج
كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم خبر الر وهذا غلط لان كتاب احكمت اياته
ليس هو الر وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت اياته لان لا تعبدوا
وبان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون على تقدير امركم بان لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل
الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف عليه ومعنى الا في قوله الا الله ايجاب المذكور
بعدها لما نفى عن كل ما سواه من العباد وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يمتعكم
جزم جواب لقوله وان استغفروا ربكم وان تولوا اي يتولوا فحذف احدى التائين
تخفيفا وابن كثير يدغم التاء الثانية في الاولى فيشدد المعنى قد سبق تفسير الر والاقاويل
فيها في اول البقرة فلا معنى لاعادته كتاب يعني القران اي هو كتاب احكمت اياته ثم فصلت
ذكر فيه وجوه احدها ان معناه احكمت اياته فلم ينسخ منها شي كما نسخت الكتب والشرايع
ثم فصلت ببيان الحلال والحرام وساير الاحكام عن ابن عباس وثانيها ان معناه احكمت
اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن وابي
العاليه وثالثها احكمت اياته جملة ثم فرقت في الانزال اية بعد اية ليكون المكلف امكن
والنظر والتدبر عن مجاهد ورابعها احكمت في نظمها بان جعل على ابلغ وجوه الفصاحة
حتى صار معجزا ثم فصلت بالشرع والبيان المفروض فكانه قيل محكم النظم مفصل الايات
عن ابي مسلم وخامسها اتقنت اياته فليس فيها خلل ولا باطل لان الفعل المحكم
ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بان جعلت متتابعة بعضها
على اثر بعض من لدن حكيم اي هذا الكتاب اتاكم من عند حكيم في افعاله وتدابيره
خبير اي عليم باحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الاية دلالة على ان كلام الله سبحانه
محدث لانه وصفه بانه احكمت اياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال
وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاضافة لا تصح الا في المحدث لان
القديم يستحيل ان يكون صادرا عن غيره وقوله الا تعبدوا الا الله معناه انزل
هذا الكتاب ليامركم ان لا تعبدوا الا الله او لكي لا تعبدوا الا الله كما يقال

كتبت

كتبت اليك ان لا تخرج من الدار وان لا تخرج بالنصب والجزم انني لكم منه نذير وبشير
هذا اخبار من النبي صلى الله عليه واله وسلم انه مخوف من مخالفة الله سبحانه وعصيانه
باليم العقاب مبشر على طاعة الله بجزيل الثواب وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ومعناه
اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم
من ذنوبكم ثم توبوا اليه من المستانف متى وقعت منكم المعصية عن الجبائي وقيل ان
ثم هنا بمعنى الواو عن الفراء وهذا لان الاستغفار والتوبة واحد فيكون التوبة توكيدا
للاستغفار يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى يعني انكم متى استغفرتموه وتبتم اليه يمتعكم
في الدنيا بالنعم السابغة في الخفض والدعة والامن والسعة الى الوقت الذي قدر لكم
اجل الموت فيه وقال الزجاج يريد يبقيكم ولا يستاصلكم بالعذاب كما استاصل اهل
القرى الذين كفروا ويؤت كل ذي فضل فضله قيل ان الفضل والافضال اي ويعط
كل ذي افضال على غيره بمال وكلام او عمل بيد او رجل جزاء افضاله فيكون الهاء في فضله
عايدا الى ذي الفضل وقيل ان معناه يعطي كل ذي عمل صالح فضله اي ثوابه على قدر عمله
فان من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالاولى ان يكون الهاء
في فضله عايدا الى اسم الله تعالى وان تولوا اي اعرضوا عما امروا به وقيل معناه وان تتولوا
اي تعرضوا فحذف احدى التائين ولذلك شدده ابن كثير في رواية البزي عنه فاني اخاف
عليكم عذاب يوم كبير اي كبير شانه وهو يوم القيمة وهذا الخوف ليس في معنى الشك بل هو في
معنى اليقين اي قل لهم يا محمد اني اعلم ان لكم عذابا عظيما وانما وصف اليوم بالكبير لعظم
ما فيه من الاهوال الى الله مرجعكم اي في ذلك اليوم الى حكم الله مصيركم لان حكم غيره يزول
فيه وقيل معناه اليه مصيركم بان يعيدكم للجزاء وهو على كل شيء قدير يقدر على الاعادة والبعث
والجزاء فاحذروا مخالفته الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور اية القراءة روي
عن ابن عباس بخلاف ومجاهد ويحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وزيد بن
علي وجعفر بن محمد عليهم السلم تثنوني صدورهم على تفعوعل وعن ابن عباس ايضا لتثنوني

للجزاء

وعن مجاهد ليثنين ورويَ ذلك في عروم الاصل **الحجة** اما يثنوني على مثال تفعوعل
فهو من امثله المبالغه يقول اعشب البلد فاذا كثر ذلك قيل اعشوشب وكذلك احلولى واخشوشب
واخشوشن واما يثنون ويثنين فقد قال ابن جني انهما من لفظ الس وهو ما هش وضعف
من الكلا انشد ابو زيد يكوى اللقوح من ثن وثنين بالهمز واصله يثنان تحركت الالف لسكو نها
وسكون النون الاولى فانقلبت همزة واما يثنون فاصله يثنونن فلزم الادغام لتكرير العين
اذ كانت غير ملحق فاسكنت النون الاولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون
فصار يثنون **اللغه** اصل الثني العطف يقول ثنيته عن كذا اى عطفته ومنه الاثنان
لعطف احدهما على الاخر في المعنى ومنه الثنا العطف المناقب في المدح ومنه الاستثنا لانه
عطف عليه بالاخراج منه والاستخفا طلب خفا الشي يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك
استغشى وتغشى قالت الخنسا ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري
الاعراب الا معناه التنبيه ولا حظ لها في الاعراب وما بعدها مبتدا **النزول** قيل
نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقى رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم كما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي باسناده عن
ابي جعفر عليه السلم قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين اذا مروا برسول الله
صلى الله عليه واله وسلم طاطا احدهم راسه وظهره هكذا وغطا راسه بثوبه حتى
لا يراه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فانزل الله هذه الاية **المعنى** لما تقدم
ذكر القران بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال الا انهم يعني الكفار والمنافقين
يثنون صدورهم اى يطوونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يحنون
صدورهم لكي لا يسمعوا كتاب الله سبحانه وذكر عن قتاده وقيل يثنونها على عداوة
النبي صلى الله عليه واله وسلم عن الفرا والزجاج وقيل انهم كانوا اذا عقدوا مجلسا
مجلسا معاداة النبي صلى الله عليه واله وسلم والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم
الى بعض وثنى بعضهم صدره الى بعض يتناجون ليستخفوا منه اى ليخفوا ذلك من الله تعالى
على القول الاخير فانهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله ان ظنوا انهم اذا ثنوا

صدورهم

صدورهم على سبيل الاخفا لم يعرف الله اسرارهم وعلى الاقوال الاخر معناه ليستروا
ذلك عن النبي صلى الله عليه واله وسلم الا حين يستغشون ثيابهم معناه انهم كانوا
يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبرونه على النبي صلى الله عليه واله
وسلم وعلى المومنين وكانوا يكتمونه عن الناس فبين الله سبحانه انه يعلم ما يسرون
وما يعلنون وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشا فوقهم لا بمعنى انه يتجدد
له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الازال انه عليم بذات
الصدور يريد بما في النفوس عن ابن عباس وتحقيقه بما في القلوب من المضمرات
وقيل انه كنى باستغشاء ثيابهم عن الليل لانهم يغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم
ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم
عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا
عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن **اللغة** الدابة الحي الذي
من شانه ان يدب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القران
بها على الاصل في قوله ومامن دابة والله خلق كل دابة **الاعراب** اللام في
قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتدا لانها دخلت على ان التي للجزا
ولام الابتدا انما هي للاسم او ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزا مستغنى عنه
بجواب القسم لانه اذا جا في صدر الكلام غلب عليه كما انه اذا تاخر وتوسط الغي
ويوم ياتيهم نصب على الظرف من مصروف اى ليس يصرف العذاب عنهم يوم
ياتيهم **المعنى** ومامن دابة في الارض اى ليس من دابة تدب على وجه الارض ويدخل
فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الارض من الجن والانس والطير والانعام
والوحوش والهوام الا على الله رزقها اى الا والله سبحانه يتكفل برزقها وايصاله

اليها على ما يقتضيه المصلحة ويوجبه الحكمة ويعلم مستقرها ومستودعها اى يعلم
موضع قرارها والموضع الذى اودعها فيه وهو اصلاب الاباء وارحام الامهات عن
مجاهد وقيل مستقرها حيث تأوى اليه من الارض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن
ابن عباس والربيع وقيل مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما تصير اليه كل فى
كتاب مبين هذا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب فى كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ
وانما اثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يعزب عنه شىء من مخلوقاته لما فيه من
اللطف للملائكة او لمن يخبر بذلك وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام هذا
اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه انشأهما فى هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقهما
فى مقدار لمح البصر والوجه فى ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية فى
التدبير على منهاج الحكمة ومنشأة على ترتيب لما فى ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام
لانه لم يكن هناك ايام بعد فان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها وكان عرشه
على الماء فى هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والارض وكان
الماء قائما بقدرة الله على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته وفى ذلك اعظم الاعتبار
لاهل الافكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناءه يدل عليه قوله ومما يعرشون اى يبنون
فالمعنى وكان بناؤه على الماء فان البناء على الماء ابدع واعجب عن ابى مسلم ليبلوكم ايكم احسن عملا
معناه انه خلق الخلق ودبر الامور ليظهر احسان المحسن فانه الغرض فى ذلك اى يعاملكم معاملة
المبتلى المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه يجازى العباد على حسب ما فى معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه
وفى قوله احسن عملا دلالة على انه قد يكون فعل حسن احسن من حسن آخر لان حقيقة لفظة
افعل يقتضى ذلك ولئن قلت يا محمد لهم انكم مبعوثون من بعد الموت للحساب ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اى ليس هذا القول الا تمويه ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ ساحر فالمراد
ليس هذا يعنون النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا ساحر قال الجبائى وفى الاية دلالة على انه
كان قبل خلق السموات والارض والملائكة خلق لان خلق العرش على الماء لا وجه له
الا ان يكون لطفا لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حى مكلف وقال على بن عيسى

لا يمتنع

لا يمتنع ان يكون فى الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائى وهو
الذى اختاره المرتضى قدس الله روحه ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة معناه
ولئن اخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الحين
كما قال سبحانه وادكر بعد امة وهو قوله ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اى الى جماعة
يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن على بن عيسى
وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء نكلفهم فيعصون فيقتضى الحكمة اهلاكهم واقامة القيمة عن
الجبائى وقيل ان الامة المعدودة هم اصحاب المهدى عليه السلام فى آخر الزمان ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلا كعدة اهل بدر يجتمعون فى ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف وهو المروى عن
ابى جعفر وابى عبد الله عليه السلام ليقولن على وجه الاستهزاء ما يحبسه اى اى شىء يؤخر
هذا العذاب عنا ان كان حقا الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم اى ان هذا العذاب الذى
يستبطئونه اذا نزل بهم فى الوقت المقدور لا يقدر احد على صرفه عنهم ولا يتمكن من اذهابه
عنهم اذا اراد الله ان يأتيهم به وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اى وينزل بهم الذى
كانوا يسخرون به من نزول العذاب ويحقق النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها
انه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيبه كيف يخفى على الله سر هؤلاء وهو
يرزقهم واذا اوصل الى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم انه يعلم سره وهو قوله ويعلم مستقرها
ومستودعها يدل على ما ذكرناه ثم زاده بيانا بقوله وهو الذى خلق السموات الاية فان اصل
الخلق التقدير الذى لا يخل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم الا من العالم لذاته ولئن اذقنا
الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة واجر كبير ثلث آيات اللغة الذوق تناول الشىء بالفم لادراك الطعم
وسمى الله سبحانه احلال اللذات بالانسان اذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول
كما قيل احلام نوم او كظل زائل والنزع قلع الشىء عن مكانه واليؤوس فعول من يأس القطع
فان الشىء المتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة يظهر

الحال بها لانهما اخرجا مخرج الاحوال الظاهرة مثل حمرا وعيناء مع ما فيهما من المبالغه
والفرح والسرور من النظاير وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان
الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليس بجنس من الاعراض ومن الناس من قال هما
جنسان والفخور الذى يكثر فخره وهو التطاول بتعديد المناقب وهى صفه ذم اذا
اطلقت لما فيهما من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه الاعراب اللام فى لئن لتوطيه القسم
وليست للقسم والتقدير والله لئن اذقنا الانسان منا رحمه انه ليووس فانه جواب القسم
هيانه اللام الا انه مغنى عن جواب الشرط وواقع موقعه ومثل قول الشاعر ع لئن
عادلى عبد العزيز بمثله واكمنى منها اذا لا اقبلها اى والله لا اقبلها ولو كانت جواب
ان لكان لا اقبلها الذين صبروا فى موضع نصب على الاستثنا من الانسان لانه اسم
الجنس فهو كقوله ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وقال الزجاج والاخفش انه
استثنا ليس من الاول والمعنى لكن الذين صبروا والاول قول الفرا المعنى ثم بين سبحانه
حال الانسان فيما قابل به نعمه من الكفران فقال ولئن اذقنا الانسان منا رحمه اى
احللنا به نعمه من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد ونحو ذلك من نعم الدنيا ثم
نزعناها منه اى سلبنا تلك النعمه عنه اذا راينا المصلحه فيه انه ليووس اى قنوط وهو
الذى سنته وعادته الياس كفور وهو الذى عادته كفران النعمه ومعنى الاية مصروف
الى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذى لا يعطى ولا يمنع الا لما يقتضى
الحكمه فى وجوه المصالح ولئن اذقنا اى احللنا به واعطيناه نعما بعد ضر اسنه اى بعد بلا
اصابة ليقولن عند نزول النعمايه ذهب السيات عنى اى ذهبت الخصال التى تسوء صاحبها
من جهة نفور طبعه عنه وهو هنا بمعنى الشدايد والالام والامراض يعنى فلا تعود
الى ولا يودى شكر الله تعالى عليها انه لفرح فخور يفرح به ويفخر به على الناس فلا يصبر
فى المحنه ولا يشكر عند النعمه الا الذين صبروا معناه الا الذين قابلوا الشده بالصبر
والنعمه بالشكر وعملوا الصالحات اى واظبوا على الاعمال الصالحه اولئك لهم مغفرة
واجر كبير وهو الجنه فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به صدرك ان يقولوا

لولا

لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شئ وكيل ام يقولون
افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل
انتم مسلمون ثلث ايات اللغه ضايق وضيق بمعنى واحد الا ان ضايق ههنا احسن لوجهين
احدهما انه عارض والاخر انه اشكل لقوله تارك والكنز المال المدفون سمى بذلك
لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكتنز وصار فى الشرع اسم ذم لكل مال لا يخرج منه حق الله
تعالى من الزكوة وغيرها وان لم يكن مدفونا وافترى واختلق واخترق وخلق وخرص وخرق
اذا كذب والاستجابه فى الامر طلب الاجابه بالقصد الى فعلها ويقال استجاب بمعنى واجب
والفرق بين الاجابه والطاعه ان الطاعه موافقه الاراده الجاذبه الى الفعل برغبه او رهبه
والاجابه موافقه الداعى الى الفعل من اجل انه دعا به الاعراب ان يقولوا فى موضع نصب
بانه مفعول له وتقديره كراهه ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا
فى موضع جر بدل من الهاء فى قوله ضايق به صدرك ام يقولون افتراه ام هذه
منقطعه ليست بالمعادله وتقديره بل يقولون افتراه وهو تقرير بصورة
الاستفهام النزول روى عن ابن عباس عن رؤساء مكه من قريش اتوا رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم فقالوا يا محمد ان كنت صادقا فحول لنا جبال مكه ذهبا
او ائتنا بملائكه يشهدون لك بالنبوه فانزل الله تعالى فلعلك تارك الايه
وروى العياشى باسناده عن ابى عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قال لعلى عليه السلم انى سالت ربى ان يواخى بينى وبينك ففعل وسالت الله
ان يجعلك وصى ففعل فقال بعض القوم والله لصاع من تمر فى شن بال احب الينا
مما سال محمد ربه فهلا ساله ملكا يعضده على عدوه او كنزا يستعين به على فاقته
فنزلت الايه المعنى ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الامر وحثه على حجاج القوم
بما يقطع العذر فقال فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لعلك تارك بعض
القران وهو ما فيه سب الهتهم فلا تبلغكم اياه دفعا لشرهم وخوفا منهم وضايق

صدرك اى لعلك يضيق صدرك بما يقولون وبما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم
وقيل باقتراحاتهم ان يقولوا اى كراهة ان يقولوا او مخافة ان يقولوا لولا انزل
عليه كنز من المال او جاء معه ملك يشهد له وليس قوله فلعلك على وجه الشك
بل المراد به النهى عن ترك اداء الرساله والحث على ادائها كما يقول احدنا لغيره وقد علم
من حاله انه يطيعه ولا يعصيه ويدعوه غيره الى عصيانه لعلك تترك بعض ما امرتك
به بقول فلان وانما يقول ذلك ليؤيس من يدعوه الى ترك امره فمعناه لا تترك
بعض ما يوحى اليك ولا يضيق صدرك بسبب مقالتهم هذه انما انت نذير
اى منذر والله على كل شىء وكيل اى حفيظ يجلب النفع اليه ويدفع الضرر
عنه ام يقولون افتراه معناه بل ايقولون اختلق القران واخترعه واتى به
من عند نفسه وقيل ان ههنا محذوفا وتقديره ايكذبونك فيما اتيتهم به من
القران ام يقولون افتريته على ربك وحذف لدلالة ما ابقى على ما القى وعلى
هذا فيكون ام هذه هى المتصله قل يا محمد لهم فاتوا انتم بعشر سور مثله مفتريات
اى ان كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فاتوا انتم بعشر سور مثله فى النظم و
الفصاحه مفتريات على زعمكم فان القران نزل بلغتكم وقد نشات انا بين اظهركم
فان لم يمكنكم ذلك فاعلموا انه من عند الله تعالى وهذا صريح فى التحدى وفيه
دلاله على جهة اعجاز القران وانها هى البلاغه والفصاحه فى هذا النظم المخصوص
لانه لو كان جهة الاعجاز غير ذلك لما قنع فى المعارضه بالافترى والاختلاق
ولان البلاغه ثلث طبقات فاعلى طبقاتها معجز وادناها واوسطها ممكن فالتحدى
فى الايه انما وقع فى الطبقه العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفه لكان الركيك
من الكلام ابلغ فى باب الاعجاز والمثل المذكور فى الايه لا يجوز ان يراد به مثله
فى الجنس لان مثله فى الجنس يكون حكايته فلا يقع بها التحدى وانما يرجع ذلك
الى ما هو متعارف بين العرب فى تحدى بعضهم بعضا كما اشتهر من مناقضات
امرء القيس وعلقمه وعمرو ابن كلثوم والحرث ابن حلزه وجرير والفرزدق وغيرهم

وقوله

وقوله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين معناه وادعوا
ليعينكم على معارضه القران ان كنتم صادقين فى قولكم انى افتريته ويريد بقوله من استطعتم
من خالف نبينا صلى الله عليه واله وسلم من جميع الامم وهذا غايه ما يمكن فى التحدى والمحاجه
وفيه الدلاله الواضحه على اعجاز القران لانه اذا ثبت ان النبى صلى الله عليه واله وسلم تحداهم به
واوعدهم بالقتل والاسر بعد ان عاب دينهم والهتهم وثبت انهم كانوا احرص الناس على
ابطال امره حتى بذلوا مهجهم واموالهم فى ذلك فاذا قيل لهم افتروا انتم مثل هذا القران
وادحضوا حجته فان ذلك ايسر واهون عليكم من كل ما كلفتموه فعدلوا عن ذلك وعادوا
الى الحرب والقتل وتكلف الامور الشاقه فذلك من ادل الدلائل على عجزهم اذ لو قدروا
على معارضته مع سهوله ذلك عليهم لفعلوه لان العاقل لا يعدل عن الامر السهل الى الصعب
الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منهما فكيف ولو بلغوا غايه اماناتهم فى الامر الشاق
وهو قتله عليه السلم لكان لا يحصل غرضهم من ابطال امره فان المحق قد يقتل فان قيل لم ذكر
التحدى مره بعشر سور ومره بسوره ومره بحديث مثله فالجواب ان التحدى انما يقع بما يظهر
فيه الاعجاز من منظوم الكلام فيجوز ان يتحدى مره بالاقل ومره بالاكثر فان لم يستجيبوا لكم
قيل انه خطاب للمسلمين والمراد فان لم يجبكم هؤلاء الكفار الى الاتيان بعشر سور مثله معارضه
لهذا القران فاعلموا ايها المسلمون انما انزل القران بعلم الله عن مجاهد واختاره الجبائى
وقيل هو خطاب للكفار وتقديره فان لم يستجب لكم من تدعوهم الى المعاونه ولا تهيا لكم
المعارضه فقد قامت عليكم الحجه وقيل ان الخطاب للرسول اى فان لم يجيبوك وذكره
بلفظ الجمع تفخيما والغرض التنبيه على اعجاز القران وانه المنزل من عند الله سبحانه على
نبيه وذكر فى قوله بعلم الله وجوه احدها ان معناه ان الله عالم به وبانه احق منزل من عنده
وثانيها ان معناه بعلم الله مواقع تاليفه فى علو طبقته وانه لا يقدر احد على معارضته
وثالثها انه انزله الله على علم من ترتيبه ونظمه ولا يعلم ذلك غيره وان لا اله الا هو اى
واعلموا ان لا اله الا هو لان مثل هذا المعجز لا يقدر عليه الا الله الواحد الذى لا اله الا هو
فهل انتم مسلمون اى هل انتم بعد قيام الحجه عليكم بما ذكرناه من كلام الله مسلمون منقادون

السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون ست ايات اللغة البينة الحجة الفاصلة
بين الحق والباطل والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقف على حاله يقال عرضت الكتاب
على فلان وعرضت الجند ومعنى العرض على الله انهم يقومون في المقام الذي يراه العباد
للمطالبة بالاعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب وقيل
جمع شهيد كشريف واشراف والعوج العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عوج
وفي العود عوج بالفتح فرقوا بين ما يرى وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب
اعني الكسر والفتح والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه ايقاعه وحقيقته الاستطاعة
التي تطاع بها الحاجة للفعل ولذلك لا يقال في الله تعالى انه مستطيع واصل الجرم القطع
ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا الا انه كثف حتى صار كالمثل وهو من قول الشاعر
ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اي قطعتهم الى الغضب
ورواية الفراء النصب في فزارة والمعنى كسبتهم ان يغضبوا وروى غيره برفعها بمعنى ان
الفعل لها الاعراب من كان على بينة من ربه خبره محذوف وتقديره افمن كان على بينة
من ربه وعلى هذه الاوصاف التي ذكرتها كمن لا بينة له ومثله حذف جواب لو في قوله
واقسم لو شيء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا وكتاب موسى عطف على قوله
ويتلوه شاهد منه اي وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب اماما ورحمة على الحال
لان كتاب موسى معرفة وقوله وهم في الاخرة هم كافرون كرر قوله هم مرتين كما قال ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون كرر انكم مرتين ووجهه انه لما طال الكلام
كرره مرة اخرى للتوكيد لا جرم قال سيبويه جرم فعل ماض ولا رد لقولهم كقوله وتصف
السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار قال لا اي ليس لهم الجنة ثم قال جرم
اي كسبهم قولهم ان لهم الحسنى ان لهم النار وقيل جرم بمعنى وجب اي وجب ان لهم النار
المعنى افمن كان على بينة من ربه استفهام يراد به التقرير وتقديره هل الذي كان على
برهان وحجة من الله تعالى والمراد بالبينة هنا القران والمعنى بقوله افمن كان على بينة النبي

صلى الله

صلى الله عليه واله وسلم وقيل المعني به كل محق يدين بحجة وبينة لان من بينا ول العقلا
وقيل هم المؤمنون من اصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم عن الجبائي ويتلوه شاهد منه
اي ويتبعه من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرئيل يتلو القران على
النبي صلى الله عليه واله وسلم من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد
من الله تعالى محمد صلى الله عليه واله وسلم روي ذلك عن الحسين بن علي عليه السلم وابن
زيد واختاره الجبائي وقيل شاهد منه لسانه عليه السلم اي يتلو القران بلسانه عن محمد بن
علي اعني ابن الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه علي بن ابي طالب عليه السلم يشهد
للنبي وهو منه وهو المروي عن ابي جعفر وعلي بن موسى الرضا عليهما السلم ورواه الطبري
باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلم وقيل الشاهد ملك يسدده ويحفظه عن
مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واضاف البينة اليه تعالى لانه ينصب الادلة العقلية
والشرعية ويتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القران عن ابي مسلم ومن قبله اي ومن قبل
القران لانه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد ص كتاب موسى يتلوه
ايضا في التصديق لان النبي ص بشر به موسى في التورية اماما يؤتم به في امور الدين ورحمة
اي نعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة اي سبب الرحمة لمن امن به اولئك يؤمنون
به معناه اولئك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقران وقيل بمحمد صلى الله عليه واله و
تقدير الاية افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد فامن بهذا كله كمن اراد الحيوة الدنيا
وزينتها ولم يؤمن ثم اخبر عنهم فقال اولئك يؤمنون به وقوله ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده معناه ومن يكفر بالقران او محمد صلى الله عليه واله وسلم من مشركي العرب
وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقره وفي الحديث
ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال لا يسمع بي احد من الامة لا يهودي ولا نصراني ثم لم
يؤمن بي الا كان من اصحاب النار فلا تك في مرية اي في شك منه الخطاب للنبي والمراد جميع
المكلفين وقيل ان تقديره لا تك ايها الانسان او ايها السامع في مرية من امره او انه الذي
من ربك الهاء راجع الى القران وقيل الى محمد صلى الله عليه واله وسلم وقيل معناه ان الخبر

اخبرتك به حق من عند الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحته وصدقه لجهلهم بالله
تعالى وجحدهم نبوة نبيه صلى الله عليه واله وسلم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
اى لا احد اظلم منه الا انه خرج مخرج الاستفهام ليكون ابلغ اولئك يعرضون على ربهم
يوم القيمة اى يوقفون موقفا يراهم الخلايق للمطالبة بما عملوا ويسالون عن اعمالهم
ويجازون عليها ويقول الاشهاد يعنى الملائكة يشهدون على العباد وهم الحفظة عن مجاهد
وقيل هم الانبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من الائمة المؤمنين هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم اى كذبوا على رسل ربهم اضافوا الى الله ما لم ينزله الا لعنة الله على الظالمين هذا
ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الاشهاد ومعناه الا لعنة الله على الذين ظلموا
بانفسهم بادخال الضرر عليها وغيرهم بادخال الالام عليهم ولعنة الله ابعاده من رحمته
ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله اى يمنعون
الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بالقاء الشبه اليهم وقد يكون
ايضا بالترغيب والترهيب والاطماع والتهديد وغير ذلك وانما جاز تمكين الصاد
عن سبيل الله من هذا الفساد لانه مكلف للامتناع منه وليس فى منعه لطف
بان ينصرف عن الفساد الى صلاح فهو كنوم القبيح الذى به يصح التكليف ويبغونها
عوجا اى ويطلبون لسبيل الله زيغا عن الاستقامة وعدولا عن الصواب وقيل ان
بغيتهم العوج هى زيادتهم ونقصانهم فى الكتاب لتغير الادلة ولا تستقيم صفة
النبى صلى الله عليه واله وسلم كما كان يفعلها اليهود وقيل هى ايرادهم الشبه وكتمانهم
المراد وتحريفهم التاويل وهم بالاخرة اى بالقيمة والبعث والنشور والثواب والعقاب
هم كافرون اى جاحدون غير مقرين اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اخبر سبحانه عن
هؤلاء الكفار الذين وصفهم بان عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله
بانهم لم يكونوا فائتين فى الارض هربا فيها من الله تعالى اذا اراد اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو
قد جد فى طلبه وانما خص الارض بالذكر وان كانوا لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته
على كل حال لان معاقل الارض هى التى يهرب اليها البشر ويعتصمون بها عن المخاوف

فكأنه

فكأنه سبحانه نفى ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وما كان لهم
من دون الله اولياء معناه انه ليس لهم ولى ولا ناصر ينصرونهم ويمنعونهم من الله
سبحانه مما يريد ايقاعه بهم فى الدنيا من المكاره وفى الاخرة من انواع العذاب يضاعف
لهم العذاب قيل فى معناه وجوه احدها انه لا يقتصر بهم على عقاب الكفر بل يعاقبون
عليه وعلى سائر المعاصى كما قال فى موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وثانيها ان معناه انه كلما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر
من العذاب مثله او فوقه كذلك دائما مؤبدا وكل ذلك على قدر الاستحقاق
ثالثها انه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم انفسهم ولدعائهم الاتباع اليه
وهو عذاب الضلال وعذاب الصد عن الدين ما كانوا يستطيعون السمع و
ما كانوا يبصرون فيه وجوه احدها يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون
السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا وذهابا
عن الحق فاسقطت الباء من الكلام كما فى قول الشاعر نغالى اللحم للاضياف نيا ونبذله
اذا نضج القدور اراد نغالى باللحم عن الفراء والبلخى وهذا وجه رابع فى معنى قوله يضاعف
لهم العذاب وثانيها انهم لاستثقالهم استماع ايات الله تعالى وكراهتهم تذكرها وتفهمها جروا
مجرى من لا يستطيع السمع وان ابصارهم لم تنفعهم مع اعراضهم عن تدبر الايات فكأنهم لم يبصروا
ومما يجرى هذا المجرى قول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا
ايها الرجل وقد علمنا ان الاعشى كان يقدر على الوداع وانما نفى الطاقة عن نفسه
من حيث الكراهية والاستثقال وثالثها انه انما عنى بذلك الهتهم واوثانهم و
تقدير الكلام اولئك الكفار والهتهم لم يكونوا معجزين فى الارض يضاعف لهم
العذاب ثم قال مخبرا عن الالهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
روى ذلك عن ابن عباس وفيه ادنى بعد ورابعها ان ما هنا ليست للنفى بل يجرى
مجرى قولهم لاواصلنك ما لاح نجم والمعنى انهم معذبون ما داموا احياء اولئك
الذين خسروا انفسهم من حيث فعلوا ما استحقوا به العذاب فهلكوا فذلك خسران

انفسهم وخسران النفس اعظم الخسران لانه ليس عنها عوض وضل عنهم ما كانوا
يفترون مضى بيانه م ارا لا جرم قال الزجاج لا نفى لما ظنوا انه ينفعهم كان
المعنى لا ينفعهم ذلك لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون اى كسب ذلك الفعل
لهم الخسران وقال غيره معناه لابد ولا محاله انهم وقيل معناه حقا ويستعمل
فى امر يقطع عليه ولا يرتاب فيه اى ولا شك ان هؤلاء الكفار هم اخسرون
فى الاخرة النظم تصلت الايه الاولى بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله والمراد انهم
اذا لم يأتوا بذلك فقل لهم افمن كان على بينة كمن لا يكون معه بينة وقيل اتصلت
بقوله من كان يريد الحيوة الدنيا اى من كان مجتهدا فى الدين كمن كان همه الحيوة
الدنيا وزينتها ووجه اتصال الايه الثانى وهى قوله ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا انه سبحانه اراد ان يبين حال العاقل والغافل فكانه قالوا وما نظن
الا نعرف ذلك واجيبوا بان من لا يعرف الله لا يامن ان يكذب على الله ومن اظلم
ممن كذب على الله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم
والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون اللغه
الاخبات الطمانيه واصله الاستوا من الخبت وهو الارض المستويه الواسعه
فكان الاخبات خشوع مستمر على استوافيه والمثل قوله ساير تشبه فيه حال
الثانى بحال الاول والعمى عبارة عن فساد اله الرويه وليس بمعنى تضاد الابصار
وكذلك الصم عبارة عن فساد اله السمع لان الصحيح ان الادراك ايضا ليس بمعنى
لما تقدم ذكر الكفار وما اعد الله لهم من العذاب عقبه سبحانه بذكر المؤمنين
فقال ان الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته وعملوا الصالحات
التى امرهم الله تعالى بها ورغبهم فيها واخبتوا الى ربهم اى انابوا وتضرعوا اليه
عن ابن عباس وقيل معناه اطمانوا الى ذكره عن مجاهد وقيل خضعوا لله وخشعوا
اليه عن قتاده والكل متقارب وقيل وان معناه اخبتوا لربهم فوضعوا الى

موضع

موضع اللام كما قال سبحانه اوحى لها بمعنى اوحى اليها وقال ينادى للايمان
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه مثلا
للمؤمنين والكافرين فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
اى مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالاعمى والاصم
لان المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله اياها فى الدين والكافر لا ينتفع بها فصارت
حواسه بمنزله المعدوم وانما ادخل الواو ليبين ان حال الكافر كحال الاعمى
على حده وكحال الاصم على حده وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعا هل
يستويان مثلا اى هل يستوى حال الاعمى الاصم وحال البصير السميع عند عاقل
فكما لا يستوى هاتان الحالتان عند العقلا كذلك لا يستوى حال الكافر والمؤمن
افلا تذكرون اى افلا تتفكرون فى ذلك فتعلموا صحه ما ذكرناه ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم
عذاب يوم اليم فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا
مثلنا وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى وما نرى لكم
علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى
واتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون اربع ايات
القراءة قرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزه انى لكم بكسر الهمزه والباقون انى بفتحها
وقرا ابو عمرو ونصير عن الكسايى بادى الراى بالهمزه وقرا الباقون بادى بالياء
غير مهموز وقرا اهل الكوفه غير ابى بكر فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون
فعميت بفتح العين مخففا الحجة قال ابو على من فتح انى فانه يحملها على ارسلنا اى
ارسلناه بانى لكم نذير مبين فان قيل لو كان محمولا عليه لكان انه لان نوحا
اسم للغيبه قيل هذا لا يمتنع لان الخطاب بعد الغيبه فى نحو هذا سايغ الا ترى
قوله وكتبنا له فى الالواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه فيه انه حمله
على القول المضمر لانه مما قد اضمر كثيرا فى القران قال سبحانه والملائكة يدخلون

عليهم من كل باب سلام عليكم اى يقولون سلام وقال والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اى قالوا ما نعبدهم فان قلت فهلا رجحت
قراءة من قرا ان على قراءة من كسر لان قوله ان لا تعبدوا محمول على الارسال واذا فتح
ان كان اشكل عما بعدها حملها جميعا على الارسال يقال لك ان من كسر قال يجوز
ان يكون قوله انى لكم وما بعده محمولا على الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده كما كان
قوله قل ان الهدى هدى الله اعتراضا بينهما فى قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فكذلك
قوله انى لكم نذير مبين لان التقدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الا تعبدوا الا الله
واما قوله بادى الراى فقد حكى ابو على عن الجبائى انه قال انت بادى الراى تريد ظاهر
الراى مهموز لمن لم يهمز اراد انت فيما بدا من الراى اى انت ظاهر الراى ومن همز اراد انت
اول الراى ومبتداه قال ابو على المعنى فيمن قال بادى الراى بلا همز فجعله من بدا الشئ
اذا ظهر ما اتبعك الا الاراذل فيما ظهر لهم من الراى اى ان لم يتعقبوه نظر فيه ولا تبين له
ومن همز اراد اتبعوك فى اول الامر من غير ان يتبعوا الراى بفكر وروية وهاتان الكلمتان
يتقاربان فى المعنى لان الهمز فى اللام معناه ابتداء الشئ يكون ظهورا وان كان الظهور
قد يكون ابتداء وغير ابتداء فلذلك يستعمل كل واحد مكان الاخر وجاز فى اسم الفاعل
ان يكون ظرفا كما جاز فى فعيل نحو قريب وملى لان فاعلا وفعيلا يتعاقبان على المعنى نحو عالم
وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك ايضا اضافته الى الراى وقد اجروا المصدر ايضا
فى اضافته اليه فى قولهم اما جهد راى فانى منطلق فهذا لا يكون الا ظرفا وفعل اذا كان
مصدرا وفاعل قد يتفقان فى اشيا وقد يجوز فى قول من همز فقال بادئ الراى اذا خفف
الهمزة ان يقول بادى الراى فتقلب الهمزة بالانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير فى جمع
ميرة وديب فى جمع ذيبة والعامل فى هذا الظرف هو قولك اتبعك فى اول رايهم او فيما
ظهر من رايهم الا اراذلنا فاخر الظرف واوقع بعد الا الظرف ولو كان بدل الظرف
غيره لم يجز الا ترى انك لو قلت ما اعطيت احدا الا زيدا درهما فاوقعت بعد الا اسمين
لم يجز لان الفعل ومعنى الفعل فى الاستثناء يصل الى ما انتصب به بتوسط الحرف ولا يصل

الفعل

الفعل بتوسط الحرف الى اكثر من مفعول الا ترى انك اذا قلت استوى الماء والخشبة فنصبت
الخشبة لم يجز ان يتبعه اسما اخر فتنصبه فكذلك المستثنى اذا لحقه الا واوقعت بعدها
اسما مفردا لم يجز ان تتبعه اخر ولو قلت ما ضرب القوم الا بعضهم بعضا لم يجز ويصح ما ضرب
القوم احد الا بعضهم بعضا بدل الاسمين بعد الا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم
الضرير النحوى ان ابا على حمل بادى الراى هنا على انه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله فى قوله
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب حمله فحمله على فعل اخر دل عليه يكلمه
على تقدير او يكلمهم من وراء حجاب قال والظرف فى الاثنين عندنا محمول على الفعل قبل الا
لان الظرف يكتفى فيه برائحة الفعل انتهى كلامه واقول ان ما قاله فيه نظر لان ابا على
قال فى تلك الاية لا يعمل ما قبل الاستثنا اذا كان كلاما تاما فيما بعده وليس ما قبل
الا فى هذه الاية كلاما تاما فان قوله الذين هم اراذلنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق
بين الموضعين رجع كلام ابى على واما تحقيق الهمزة وتخفيفها فى الراى فاهل تحقيق الهمز
يحققونها واهل التخفيف يبدلون منها الالف وكذلك ما اشبهه من نحو الباس والراس
والفاس ومن قرا فعميت بالتخفيف يقوى قوله اجماعهم على التخفيف فى قوله فعميت عليهم الانباء
وهذه مثلها فيجوز فى قوله فعميت امران احدهما ان يكون عموا هم عنها لان الرحمة لا تعمى
وانما يعمى عنها فيكون كقولهم ادخلت القلنسوة فى راسى ونحو ذلك مما تقلب اذ لم يكن فيه اشكال
وفى التنزيل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وقال الشاعر ترى الثور فيها مدخل الظل راسه
وسايره باد الى الشمس اجمع والاخر ان يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر ومهمه اطرافه فى مهمه
اعمى الهدى بالجاهلين العمه اى خفى الهدى لان الهدى ليس بذى جارحة تلحقها هذه الافة
ومن هذا يقال للسحاب العما لاخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هذا قول الشاعر ولكننى
عن علم ما فى غد عمى قال وقولهم اتانى صكة عمى اذا اتانى الهاجرة وشدة الحر يحتمل عندى
تاويلين احدهما ان يكون المصدر اضيف الى العمى كما قالوا ضرب التلف اى الضرب الذى عنده
هذه التلف والاخر ان عمى تصغير اعمى على وجه الترخيم واضيف المصدر الى المفعول به كقوله
من دعاء الخير وتقدير صكه الحر الاعمى والمعنى ان الحر من شدته كانه يعمى من اصابه والمصدر فى

الوجهين طرف نحو مقدم الحاج وحقوق النجم ومن قرا عميت اعتبره قراءة ابي والاعمش فعماها
عليكم واسناد الفعل الى المفعول به في عميت قريب من عماها في المعنى اللغة الرذل الخسيس الحقير
من كل شيء والجمع ارذل ثم يجمع على اراذل كقولك كلب واكلب واكالب ويجوز ان يكون
جمع الارذل فيكون مثل اكابر جمع الاكبر والراى الرويه من قوله يرونهم مثليهم راى
العين اي رويه العين والراى ايضا ما يراه الانسان في الامر وجمعه ارآء الاعراب ان لا تعبدوا
الا الله يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصبا بان ويحتمل ان يكون جزما بالنهي
وقوله عذاب يوم اليم يجوز ان يكون تقديره يوم اليم عذابه فحذف المضاف الذي هو
عذاب واقيم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في اليم ويجوز ان يكون وصف
اليوم بالالم لان الالم فيه يقع ويجوز في غير القراءة اليما فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك
وفاعله الذي هو الذين هم اراذلنا في موضع نصب بانه مفعول ثان لذلك ان كان بمعنى
لعلمك وفي موضع الحال ان كان من رويه العين وقوله انلزمكموها فيه ثلث ضماير ضمير
المتكلم وضمير الغايب فجات على حسن ترتيبه بدى بالمتكلم لانه اخص بالفعل ثم بالمخاطب
ثم الغايب ولو اتى بالمنفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرق بينه وبينه فاشبه ماضربت
الا اياك وما ضربني الا انت واجاز الفرا انلزمكموها بتسكين الميم جعله بمنزله عضد وعضد
وكبد وكبد ويجوز ذلك عند البصريين وانما يجيزون ذلك في ضروره الشعر كقول امرء
القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وكقول الاخر وباع بيعا غير نا عهدك
سيف يقطع من وجد عليه الاناملا وكقول الاخر اذا اعوججن قلت صاحب قوم يريد يا صاحب
قوم المعنى لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر
اخبار الانبيا تاكيدا لذلك وتخويفا للخلق وتسليه للنبي صلى الله عليه واله وسلم وبدا
بقصه نوح فقال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين وقدم بيانه الا تعبدوا
الا الله اي انذركم الا تعبدوا الا الله عن الزجاج يريد لان يوحدوا الله ويتركوا عباده
غيره بدا بالدعا الى الاخلاص في العباده وقيل انه دعاهم الى التوحيد لان التوحيد من اهم
الامور اذ لا يصح شيء من العبادات الا بعد التوحيد اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم انما قال

اخاف مع ان عقاب الكفار مقطوع عليه لانه لم يعلم ما يوول اليه عاقبه امرهم من
ايمان او كفر وهذا الطف في الاستدعا واقرب الى الاجابه في الغالب فقال الملاء الذين
كفروا من قومه اي من قوم نوح لنوح عليه السلم ما نراك الا بشرا مثلنا ظنا منهم ان الرسول
انما يكون من غير جنس المرسل اليه ولم يعلموا ان البعثه من الجنس قد يكون اصلح ومن الشبهه
ابعد وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اي لم يتبعك الملاء الاشراف الروسا منا
وانما اتبعك اخساونا الذين لا مال لهم ولا جاه بادي الراى اي في ظاهر الامر والراى لم يتدبروا
ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزجاج معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك
ومن قرا بالهمز فالمعنى انهم اتبعوك ابتدا الراى حين ابتدوا ينظروا ولو فكروا لم يتبعوك
وقيل معناه ان هذا ابتدا وقوع الرويه عليهم يعلم انهم اراذلنا واسافلنا وما نرى لكم علينا
من فضل اي وما نرى لك ولقومك علينا من فضل فان الفضل انما يكون في كثره المال
والمنزله في الدنيا والشرف في النسب وانما قالوا ذلك لانهم جهلوا طريقه الاستدلال
ولو استدلوا بالمعجزات الداله على نبوته لعلموا انه نبي فان من امن به مومن ومن خالفه
كافر وعرفوا حقيقه الفضل وهكذا عاده ارباب الدنيا يستحقرون ارباب الدين اذا كانوا
فقرا ويستر ذلونهم وان كانوا هم الاكرمين الافضلين عند الله سبحانه بل نظنكم
كاذبين هذا تمام الحكايه عن كفار قوم نوح قالوا لنوح ومن امن به قال نوح لقومه
ارايتم ان كنت على بينة من ربه اي على برهان وحجه تشهد بصحه النبوه وهي المعجزه وقال
ابن عباس على بينة اي على يقين وبصيره ومعرفه من ربوبيه ربي وعظمته واختلف في
نوح عليه السلم هذا انه جواب عماذا فقيل جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكانه قال ان
تظنوني كاذبا فما تقولون لو كنت على خلاف ظنكم وعلى حجة من الله واضحه الا تصدقونني
وقيل بل هو جواب عن قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي وان كنت بشرا فما تقولون ان معي حجه
داله على صدقي الا تصدقونني وفيه بيان ان الرساله انما تظهر بالمعجز فلا معنى لاعتبار
البشريه وقيل هو جواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا فكانه قال
انهم اعتصموا بالله وبما اتاهم من البينة والرحمه فنالوا بذلك الرفعه والفضل

وانتم قنعتم بالدنيا الدنية الفانية فانتم في الحقيقة الاراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكانه قال لا تبتغون المال والجاه فان الواجب اتباع الحجة والدلالة ويجوز ان يكون جوابا عن جميع ذلك واتاني رحمة من عنده رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه والرحمة النعمة ومن ههنا النبوة اي واعطاني النبوة من عنده فعميت عليكم اي خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها انلزمكموها وانتم لها كارهون اي اتريدون مني ان اكرهكم على المعرفة والجئكم اليها على كره منكم هذا اضمر مقدور لي والهاء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وساير النعم وقيل معناه انلزمكم قبولها فحذف المضاف ويجوز ان يكون الهاء كناية عن البينة ويكون المراد اني علي ان ادل بالبينة وليس علي ان اضطركم الى معرفتها ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ثلث ايات

اللغة الطرد الابعاد على جهة الهوان وتطارد القران حمل بعضهم على بعض الازدراء الاحتقار افتعال من الزراية يقال زريت عليه اذا عبته وازريت به اذا قصرت به قال الشاعر راوه فازدروه وهو خرق وينفع اهل الرجل القبيح ولم يخشوا مصالته عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح المعنى ثم انكر نوح على قومه استثقالهم التكليف والعاقل انما يستثقل الامر اذا لزمته مؤنة ثقله فقطع عليه هذا العذر بقوله ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا اي لا اطلب منكم على دعائكم الى الله اجرا فيمتنعون من اجابتي خوفا من اخذ المال ان اجري الا على الله اي ما ثوابي واجري في ذلك الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا اي لست اطرد المؤمنين من عندي ولا ابعدهم على وجه الاهانة وقيل انهم كانوا سالوه طردهم ليؤمنوا له انفة من ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج انهم ملاقوا ربهم وهذا يدل على انهم سالوه طردهم فاعلمهم انه لا يطردهم لانهم ملاقوا ربهم فيجازي

من ظلمهم

من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل معناه انهم ملاقوا ثواب ربهم فكيف يكونون اراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن الجبائي ولكني اريكم قوما تجهلون الحق واهله وقيل معناه تجهلون بان الناس انما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا وقيل تجهلون فيما تسالون من طرد المؤمنين ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم معناه من يمنعني من عذاب الله ان انا طردت المؤمنين فكانوا خصمائي عند الله في الاخرة افلا تذكرون اي افلا تتفكرون فيعلمون ان الامر على ما قلته وفرق علي بن عيسى بين التفكر والتذكر بان التذكر طلب معنى قد كان حاضر النفس والتفكر طلب معرفة الشيء بالقلب وان لم يكن حاضر النفس وليست النصرة المذكورة في الاية من الشفاعة في شيء لان النصرة هي المنع على وجه الخضوع فلا دلالة في الاية على نفي الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم ولا اقول لكم عندي خزائن الله هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه ومعناه اني لا ارفع نفسي فوق قدرها فادعي ان عندي مقدورات الله تعالى فافعل ما اشاء واعطي من اشاء وامنع من اشاء عن الجبائي وابي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي قولهم وما نرى لكم علينا من فضل ولا اعلم الغيب اي ولا ادعي علم الغيب حتى ادلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فاعلم ما تسرونه في نفوسكم فيكون جوابا لقولهم ان هؤلاء الذين اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم اي فسبيلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضمرونه الا الله تعالى ولا اقول اني ملك فاخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وانما انا بشر لا اعلم الاشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا اقول اني روحاني غير مخلوق من ذكر وانثى بل انا بشر مثلكم خصني الله بالرسالة ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي لا اقول لهؤلاء المؤمنين الذين يستقلونهم ويستخسونهم ويحقرهم اعينكم لما ترون عليهم من زي الفقر لن يؤتيهم الله خيرا اي لا يعطيهم الله في المستقبل خيرا على اعمالهم ولا يثيبهم بل اعطاهم الله في الدنيا كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الاخرة من الثواب الله اعلم بما في انفسهم اي بما في قلوبهم من الاخلاص وضرع اني اذا لمن

الظالمين اذ طردتهم تكذيبا لظاهر ايمانهم او قلت فيهم غير ما اعلم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اربع ايات اللغة الجدال والمجادلة المقابلة بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة او شبهة وهو من الجدل شدة الفتل ويقال للصقر اجدل لانه من اشد الجوارح والجدال والمراء بمعنى غير ان المراء مذموم لانه مخاصمة في الحق بعد ظهوره كمري الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو الفوت بالهرب والفرق بين افترا الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الانسان فيه لغيره واما افترا الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني المعنى ثم حكى سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا وحاججتنا فاكثرت جدالنا اي زدت في جدالنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس فاكثرت جدلنا والمعنى واحد فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في ان الله يعذبنا على الكفر اي فلسنا نؤمن بك ولا نقبل منك قال نوح انما ياتيكم به الله ان شاء اي لا ياتي بالعذاب الا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فان شاء عجل وان شاء اخر وما انتم بمعجزين اي لا تفوتونه بالهرب ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم ذكر في تاويله وجوه احدها ان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بان يحرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم فلا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم وقد سمى الله سبحانه العقاب غيا بقوله فسوف يلقون غيا ويشهد لصحة ما قلناه قول الشاعر ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته واعلم نوحا عليه السلام بذلك في قوله لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال لهم لا ينفعكم نصحي مع ايئاسكم ما يوجب خيبتكم

والعذاب

والعذاب الذي جره اليكم فجعلكم واذا اطرا شرط على شرط كان الثاني مقدما على الاول في المعنى وان كان موخرا في اللفظ والتقدير ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم وثانيها ان المعنى ان الله يريد عقوبة اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم او يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب ان تسمي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك وثالثها ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم في قولي وامنتم لان الله تعالى حكم بان لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن الحسن وقد حكي عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقول غوى الفصيل اذا فسد من كثرة شرب اللبن ورابعها ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يضل عباده عن الدين وان ما هم عليه اراده الله ولولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن حرب وانما شرط النصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهارا في الحجة عليهم لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء في الاية فعل الكفر والدعاء اليه والحمل عليه على ما يعتقده المجبرة لقيام الادلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كالامر به وكما لم يجز ان يامر به فلذلك لا يجوز ان يفعله ويريده لانه لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث من يدعوا الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفي هذا ما فيه هو ربكم واليه ترجعون اي هو خالقكم ورازقكم والى حكمه وتدبيره تصيرون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قيل انه يعني بذلك محمدا صلى الله عليه واله وسلم والمراد بل يقول كفار مكة اخترعه محمد صلى الله عليه واله وسلم من نبا قوم نوح ام يقولون افتراه محمد صلى الله عليه واله وسلم من تلقاء نفسه فقل لهم يا محمد ان افتريته واختلقته كما تزعمون فعلي اجرامي اي عقوبة جرمي ولا تؤخذون به وانا بريء مما تجرمون اي لا اواخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوحا عليه السلام انه يقول على الله الكذ

عن ابن عباس النظم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها على القول الاول انها تتصل
بقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله واوحي الى نوح انه لن يؤمن
من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك
باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما
مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم اربع ايات اللغة الابتئاس
في الاستكانة انشد ابو عبيدة ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال
وهو افتعال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر ايضا والصنع جعل الشيء موجودا
بعد ان كان معدوما ومثله الفعل ويتفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة
يقتضي صانعا والفعل يقتضي فاعلا من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لانه
يفيد تجدد الوجود كلا غير والصناعة الحرفة التي يكسب بها والفلك السفينة يكون
واحدا وجمعا والسخرية اظهار خلاف الابطان على جهة تفهم منها استضعاف العقل
ومنه التسخير التذليل يكون استضعافا بالقهر والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية
خديعة واستنقاصا ولا يكون الا عن حيوان وقد يكون اللعب عن جماد والحلول النزول
للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل
الاعراب سوف تنقل الفعل من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى
التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من ياتيه قيل من جزم قولان احدهما
ان يكون بمعنى اي فكانه قال اينا ياتيه عذاب يخزيه والاخر ان يكون بمعنى الذي والمعنى
واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا
كانت بمعنى الذي فلا بد لها من الصلة لان البيان مطلوب من المسؤول دون السائل المعنى
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن اعلم الله سبحانه نوحا انه لا يؤمن احد
من قومه في المستقبل فلا تبتئس اي لا تغتم ولا تحزن بما كانوا يفعلون والعقل لا يدل
على ان قوما لا يؤمنون في المستقبل وانما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا لا يؤمن منهم

بعد

بعد ولا من قبلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك
ان تذرهم يضلوا عبادك الاية ولما اراد سبحانه اهلاكهم امره باتخاذ السفينة له ولقومه
فقال واصنع الفلك اي اعمل السفينة لتركبها انت ومن امن بك باعيننا اي بامرنا عن ابن
عباس والتاويل بحفظنا اياك حفظ الرائي لغيره اذا كان يدفع الضرر عنه وذكر الاعين
لتاكيد الحفظ وقيل اراد باعين الملائكة الموكلين بك وبحضرهم وهم ينظرون
باعينهم اليك وانما اضاف ذلك الى نفسه اكراما وتعظيما لهم وقوله ووحينا له
معناه على ما اوحينا اليك من صفتها وحالها عن ابي مسلم وقيل المراد بوحينا
اليك ان اصنعها وذلك انه لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله تعالى عن ابن عباس
اي فانا نوحي اليك بما يحتاج اليه من طوله وعرضه وهيأته ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون اي لا تسالني العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا
تشفع لهم فانهم مغرقون عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره
لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى بذلك امراته وابنه وانما نهاه
عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليصرف عنه ماثم الممالاة للطغاة ويصنع
اي وجعل نوح يصنع الفلك كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح في صنعة السفينة
بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قومه وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
اي كلما اجتاز جماعة من اشراف قومه ورؤسائهم وهو يعمل السفينة هزؤا من فعله
وقيل انهم كانوا يقولون يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل
انما كانوا يسخرون من عمل السفينة لانه كان يعملها في البر على صفة من الطول
ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله فكان ع
يقول لهم ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون والمراد ان تستجهلوا في هذا
الفعل فانا نستجهلكم عند نزول بكم كما تستجهلون عن الزجاج وقيل معناه فانا
نجازيكم على سخريتكم عند الغرق والهلاك واراد به تعذيب الله اياهم فسمى الجزاء
باسم المجرى به ويحتمل ان يريد فانا نسخر منكم بعد الغرق على وجه الشماتة لا على

وجه السفينة فسوف تعلمون انا احق بالسخرية او تعلمون عاقبة سخريتكم من ياتيه
عذاب يخزيه هذا ابتدا كلام نوح عليه السلم والاظهر ان يكون متصلا بما قبله
اى فسوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه ويفضحه العذاب ويحل عليه عذاب مقيم
اى وينزل عليه عذاب دايم فى الاخرة القصة قال الحسن كان طول السفينة الف
ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتاده كان طولها ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين ذراعا وبابها فى عرضها وقال ابن عباس
كانت ثلث طبقات طبقة للانعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل
اسفلها للوحوش والسباع والهوام واوسطها للدواب والانعام وركب هو
ومن معه فى الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وكانت خشب الساج وروت عايشة
عن النبى صلى الله عليه واله وسلم انه قال مكث نوح فى قومه الف سنة الا خمسين
عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان اخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت
كل مذهب فقطعها وجعل يعمل سفينة ويمرون فيسالونه فيقول اعمل سفينة
فيسخرون منه ويقولون يعمل سفينة على البر فكيف تجرى فيقول سوف تعلمون
فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الما فى السكك خشيت ام صبى عليه وكانت تحبه
حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الما خرجت به حتى بلغت
ثلثه فلما بلغها الما خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الما رقبتها رفعته
بيديها حتى ذهب بها الما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبى وروى على ابن
ابرهيم عن صفوان عن ابى بصير عن ابى عبد الله عليه السلم قال لما اراد الله هلاك
قوم نوح عقم ارحام النسا اربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ
السفينة امره الله تعالى بان ينادى بالسريانية ان يجتمع اليه جميع الحيوان
فلم يبق حيوان الا وقد حضروا فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين
ما خلا الفار والسنور وانه لما شكوا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير
فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج فار فتناسل فلما كثروا وشكوا اليه منهم دعا

بالاسد

بالاسد فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج سنور وكان الذين امنوا به من جميع الدنيا
ثمانين رجلا وفى حديث اخر انهم شكوا اليه القذر فامر الله الفيل فعطس فسقط الخنزير
وروى الشيخ ابو جعفر فى كتاب النبوة باسناده عن جابر بن اسعد عن ابى عبد الله عليه السلم
قال امن مع نوح من قومه ثمانية نفر حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها
من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما امن معه
الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربى لغفور رحيم
وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب
معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوى الى جبل يعصمنى من الما قال لا عاصم
اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين اربع ايات
القراءة قرا حفص عن عاصم من كل زوجين منونا وفى المؤمنين كذلك وقرا الباقون من كل
زوجين مضافا وقرا اهل الكوفة غير ابى بكر مجراها بفتح الميم والباقون مجريها بالضم
واتفقوا على ضم الميم فى مرسيها الا ما روى فى الشواذ عن ابى محيصن انه فتح الميم فيهما وقرا
عاصم يا بنى اركب بفتح اليا والباقون بالكسر وروى عن على بن ابى طالب عليه السلام
وابى جعفر بن محمد صلى الله عليهم اجمعين وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه وروى عن
عكرمة ابنها وعن السدى ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف الحجة الوجه فى قراءة حفص
ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شى خلقنا زوجين والمراة زوج
الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد من كل محفوف يظل عصيه
زوج عليه كلة وقرامها قال ابو على من قرا من كل زوجين كان قوله اثنين مفعول احمل
والمعنى احمل من الازواج اذا كانت اثنين زوجين فالزوجان فى قوله من كل زوجين
يراد بهما الشياع وليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قوله فاعمل لما تفعلوا
فانك بالذى لا تستطيع من الامور يريد انما يريد تشديدا تفاقم عنه وتكثره ومن
هذا المعنى قول الفرزدق وكان رفيقى كل رحل وانهما تعاطى القنا قوماهما اخوان ويقال
اثنان لا يكون رفيقى كل رحل وانما يريد الرفقا اذا كانوا رفيقين ومن نون فقال من كل

زوجين اثنين فحذف المضاف اليه من كل ونون فالمعنى من كل شئ ومن كل زوج
زوجين فيكون انتصاب اثنين على انه صفة الزوجين فان قلت فالزوجان قد فهم
انهما اثنان فكيف جاز وصفهما بقوله اثنين وانما جاز ذلك للتاكيد والتشديد
كما قال لا تتخذوا الهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما يصير الى التاكيد
كقولهم امس الدابر ونفخة واحدة ونعجة انثى قال ومناة الثالثة الاخرى قال
ابو علي ويجوز في بسم الله مجريها ومرسيها ان يكون حالا من الشيئين من الضمير
الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي فيها فان جعلت قوله بسم الله خبر
مبتدا مقدما في قول من لم يرفع بالظرف وجعلت قوله مجريها مرتفعا بالظرف
لم يكن قوله بسم الله مجريها الا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في فيها
ولا يجوز ان يكون من الضمير في قوله اركبوا لانه لا ذكر فيها يرجع الضمير الا ترى
ان الظرف في قول من رفع بالظرف قد ارتفع به الظاهر وفي قال من رفع
في هذا النحو بالابتداء قد حصل في الظرف ضمير المبتدا فان كان كذلك خلت الجملة
من ذكر يعود الى ذي الحال من الحال واذ خلا من ذلك لم يكن الا حالا من الضمير
الذي في فيها ويجوز ان يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في اركبوا على ان لا
يكون الظرف جزءا من الاسم الذي هو مجريها على ما كان في الوجه الاول ويكون
حالا من الضمير على حد قولك خرج بثيابه وركب في سلاحه والمعنى ركب مستعدا
بسلاحه ومتلبسا بثيابه وفي التنزيل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
وكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر الله فيكون في بسم الله
ذكر يعود الى المامورين فان قلت فكيف اتصال المصدر الذي هو مجراها بالكلام
على هذا فانه يكون متعلقا بما في بسم الله من معنى الفعل وجاز تعليقه به لانه
يكون ظرفا على نحو مقدم الحاج وخفوق النجم كانه متبركين بهذا الاسم ومتمسكين
به في وقت الجري او الاجراء والرسو او الارساء على حسب الخلاف بين من ضم ولا يكون
الظرف متعلقا باركبوا لان المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها

في وقت الجري والثبات ان المعنى اركبوا الان متبركين باسم الله في الوقتين
الذين لا ينفك الراكبون فيها من الاجراء والارساء وليس يراد اركبوا وقت الجري
والرسو فموضع مجراها نصب على هذا الوجه بانه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه
الاول يرفع بالابتداء او بالظرف ويدل على انه في الوجه الاول يرفع وان كان ذلك الفعل
الذي كان متعلق به لا يعتبر به الان قول الشاعر انشده الاصمعي وانا ابن
وفوك الاشنب كانما ذر عليه زرنب وجه من فتح مجراها قوله وهي تجري بهم ولو كان
مجراها لكان وهي تجريهم وجه من ضم ان جرت بهم واجرتهم يتقاربان في المعنى يقال
جرى الشئ واجريته وجريت به واما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسر في الياء الوجه في
يا بني وذلك ان اللام من ابن ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم واثنين فان حقرت
الحقت بالتحقير فلزم ان يراد اللام التي حذفت لانك لو لم تردها لوجب ان تحرك ياء
التحقير بحركات الاعراب وتعاقبها عليها وهي لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها
الا ترى ان من حذف الهمزة الساكن ما قبلها في نحو الخب لم يفعل ذلك في الهمزة نحو فيما
انما ابدل من الهمزة ياء وتدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطيئة وواو مقروءة ونحو ذلك
من حروف المد التي لا تحرك فاذا ثبت ان ياء التحقير اجريت هذا المجرى علمت انها
لا تحرك كما لا تحرك حروف المد التي اجريت ياء التحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع
ياء التحقير وجعلتها محذوفة في التحقير كما حذفتها التكسير لانه الياء التي للتحقير مجراها
الانقلاب كما لزم ساير حروف الاعراب فبطل دلالتها على التحقير كما ان الالف في
التكسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكسير فلذلك رددت اللام فان رددتها
واضفت الى نفسك اجتمعت ثلث ياءات الاولى منها التي للتحقير والثانية لام
الفعل والثالثة التي للاضافة يقول هذا بنيي فاذا ناديت جاز فيها وجهان اثبات
الياء وحذفها فمن قال يا عبادي فاثبت فقياس قوله ان يقول بنيي ومن قال
يا عباد قال يا بني فحذف التي للاضافة وابقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه
هو الجيد عندهم ومن قرا يا بني بالفتح فالقول فيه انه اراد به الاضافة كما ارادها

في قوله يا بني اذا كسر اليا التي هي لام الفعل كانه قال يا بنيي ثم ابدل من الكسرة الفتحة ومن
اليا الالف فصار يا بنيا قال الشاعر يا بنت عما لا تلومي واهجعي ثم حذف الالف
كما كان يحذف اليا في يا بني وقد حذف اليا التي للاضافه ثم ابدلت الالف منها
انشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو اني انما هو
انما هو يا لهفا قال ابو عثمان ووضع الالف مكان اليا في الاضافه مطرد واجاز
يا زيدا قبل اذا اردت الاضافه قال وعلى هذا قراة من قرا يا ابت لم تعبد ويا قوم
لا اسئلكم وانشد وهل جزع ان قلت وا بابا هما واما من قرا ونادى نوح ابنه
فانه اراد ابنها كما روى عن عكرمه والمعنى ابن مراته لانه قد جرى ذكرها في قوله
سبحانه واهلك فحذف الالف تخفيفا كما قلنا يا بني بالفتح ويا ابت واما قراه
السدى اباه فانه يريد به الندبه وهو على الحكاية اى قال له يا اباه اووا
اباه فاما ابنه بالسكون فعلى ما جا في قوله ومطواى مشتاقان له ارقان
الفور الغليان واصله الارتفاع فار القدر يفور فورا وفورانا .
وفورانا اذا ارتفع ما فيه بالغليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره اى قبل
ان يسكن والارسا امساك السفينه بما يقف عليه قال ارساها الله فرست قال
عنتره فصبرت نفسا عند ذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع والموج جمع موجه
وما هي قطعه عظيمه ترتفع عن جمله الما الكثير والعصمه المنع حتى متعلقه بقوله
واصنع الفلك باعيننا لا عاصم ركب عاصم مع لا فبنى لانهما بالتركيب صار كالاسم
واحد وقيل انه بني لتضمنه معنى من لان هذا جواب هل من عاصم الا ان من حذف ونقص
الكلام معناه فبنى الاسم لذلك وهذا وجه حسن واليوم جر والعامل فيه
المحذوف لا قوله عاصم لانه لو عمل فيه عاصم لصار من صلته فكان يجب ثبوته
لانه يشبه المضاف كما يقال لا ضاربا زيدا في دارك ولم يقرا احد لا عاصما اليوم
وقيل ان خبره قوله من امر الله والتقدير لا ذا عصمه كاين من امر الله في يوم
واليوم معمول الظرف وان تقدم عليه كما جاز اكل يوم لك ثوب ولا يجوز

ان يتعلق اليوم بنفس امر لان امر امصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن رحم
فيه ثلثه اقوال احدها ان يكون استثنا منقطعا لان التقدير لكن من رحمه الله
معصوم والثاني ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمنا فكانه قال لا عاصم الا
الله والثالث ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا المعصوم من امر الله
الا من رحمه الله وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله في عيشه راضيه اى مرضيه
وماء دافق اى مدفوق وقال الحطيه دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم
الكاسي وعلى القولين الاخرين يكون الاستثنا متصلا وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم
كان معناه لا معصوم لان في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال الا من رحم واستثناه على
المعنى ويكون متصلا   ثم اخبر الله سبحانه عن اهلاك قوم نوح فقال حتى اذا جا
امرنا والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى اذا جا قضاونا بنزول العذاب وفار التنور
بالما بشده اندفاع وفي التنور اقوال اولها انه تنور الخابز وانه تنور كان
لادم عليه السلم فار الما منه علامه لنوح عليه السلم اذ نبع الما من موضع غير
معهود خروجه منه عن ابن عباس ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم ان التنور
كان في دار نوح عليه السلم بعين وردة من ارض الشام وقال قوم بل كان
في ناحيه الكوفه وهو المروى عن ائمتنا عليهم الله روى المفضل بن عمر وعن
ابي عبد الله عليه السلم في حديث طويل قال كان التنور في بيت عجوز مومنه
من دبر قبله ميمنه مسجد الكوفه قال قلت فكيف كان بدو خروج الما من
ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يرى قوم نوح ايه ثم ان الله سبحانه ارسل
عليهم المطر يفيض فيضا وفاض الفرات فيضا وفاضت العيون كلها فيضا فغرقهم
الله وانجا نوحا ومن معه في السفينه فقلت فكم لبث نوح في السفينه حتى نضب الما
فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعه ايام بلياليها فقلت له ان مسجد الكوفه لقديم
فقال نعم وهو مصلى الانبيا ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
حين اسري به الى السما قال له جبريل يا محمد هذا مسجد ابيك ادم ومصلى الانبيا

فانزل فصل فيه ثم ان جبرئيل عرج به الى السماء وفى روايه اخرى ان السفينه
استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائه وخمسين يوما بلياليها وروى ابو عبيده
الحذاء عن ابى جعفر عليه السلم قال مسجد كوفان وسطه روضه من رياض الجنه
الصلوة فيه بسبعين صلوة صلى فيه الف نبى وسبعون نبيا فيه فار التنور وتجرت
السفينه وهو سره بابل ومجمع الانبيا عليه السلم وثانيها ان التنور وجه الارض
عن ابن عباس وعكرمه والزهرى واختاره الزجاج ويويده قوله وفجرنا الارض
عيونا وثالثها ان معنى قوله وفار التنور طلع الفجر وظهرت امارات دخول
النهار وتقضى الليل من قولهم نور الصبح تنويرا روى ذلك عن على عليه السلم
ورابعها ان التنور اعلى الارض واشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنه المرتفعه
فشبهت بالتنانير لعلوها عن قتاده وخامسها ان فار التنور اشتد غضب الله
عليهم ووقعت نقمته بهم كما تقول العرب حمى الوطيس اذا اشتدت الحرب وفار
قدر القوم اذا اشتد حربهم قال الشاعر تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثا
عنا اذا حميها غلا يريد بالقدر الحرب ونديمها نسكنها وهذا ابعد الاقوال من
الاثر وحمل الكلام على الحقيقه التى تشهد بها الروايه اولى قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين اى قلنا لنوح عليه السلم لما فار الماء من التنور احمل فى السفينه من كل جنس
من الحيوان زوجين اى ذكرا وانثى وقد ذكرنا المعنى فى جهه القراتين واهلك اى
واحمل اهلك وولدك الا من سبق عليه القول اى من سبق الوعد باهلاكه
والاخبار بانه لا يومن وهى امراته الخائنه واسمها واعله ابنه كنعان ومن امن اى
واحمل فيها من امن بك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه وما امن معه الا قليل اى الا نفر قليل
وهم ثمانون انسانا فى قول المكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلا وامراه وبنوه
الثلاثه ونساوهم فهم ثمانيه وسبعون نفسا وحمل معه جسد ادم عم عن مقاتل
وقيل عشره انفس عن ابن اسحق وقيل ثمانيه انفس عن ابن جريج وقتاده وقد
روى ذلك عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل سبعه انفس عن الاعمش وكان

فيهم

فيهم بنوح الثلثه سام وحام ويافث وثلث كناين له فالعرب والروم وفارس
واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين
والصقالبه وياجوج وماجوج ولد يافث وقال اركبوا فيها اى وقال نوح معه
اركبوا فى السفينه وفى الكلام حذف تقديره فلما فار التنور ووقف نوح على
ما دل الله عليه من هلاك الكفار قال لاهله وقومه اركبوا فيها بسم الله مجريها
ومرسيها اى متبركين بسم الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت
ارسائها اى اثباتها وحبسها وقيل معناه بسم الله اجراوها وارساوها وقد
ذكرنا تفسيره فى الحجه قال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان يجرى السفينه
قالوا بسم الله مجريها فجرت واذا ارادوا ان يقف السفينه قالوا بسم الله
مرسيها فوقفت ان ربى لغفور رحيم هذا حكايه عما قاله نوح لقومه ووجه
اتصاله بما قبله انه لما ذكرت النجاه بالركوب فى السفينه ذكرت النعمه بالمغفره
والرحمه لتجتلبا بالطاعه كما اجتلبت النجاه بركوب السفينه وهى تجرى بهم
فى موج كالجبال معناه ان السفينه كانت تجرى بنوح ومن معه على الماء فى
امواج كالجبال فى عظمها وارتفاعها ودلت تشبيهها بالجبال على ان ذلك
لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروى عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شئ
وفوق كل جبل ثلثين ذراعا وقال غيره خمسه عشر ذراعا وقيل ان سفينه
نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت سته اشهر حتى طافت الارض
كلها لا تستقر فى موضع حتى اتت الحرم وطافت بموضع الكعبه اسبوعا وكان الله
تعالى رفع البيت الى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل بارض الموصل
فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروى اصحابنا عن ابى عبد الله عم
ان نوحا ركب فى السفينه فى اول يوم من رجب فصام وامر من معه ان يصوموا
ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنه ونادى
نوح ابنه كنعان وقيل ان اسمه يام وكان فى معزل اى فى قطعه من الارض غير

القطعه التي كان فيها نوح حين ناداه وقيل معناه كان في ناحيه من دين ابيه
اي قد اعزل دينه وكان نوح يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في معزل
في السفينه يابني اركب معناه ولاتكن مع الكافرين دعا ابنه الى ان يركب معه
في السفينه ليسلم من الغرق قال الحسن كان سافق اباه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم
دعاه بشرط الايمان ومعناه يابني امن بالله ثم اركب معنا ولاتكن على دين الكافرين
وعلى القول الاول يكون معناه ولاتتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فاجابه ابنه
قال ساوي الى جبل اي سارجع الى ماوي من جبل يعصمني من الما اي يمنعني من افات
الما قال نوح لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم اي لامانع ولادافع اليوم
من عذاب الله الا من رحمه الله بايمانه فامن بالله يرحمك الله وحال بينهما الموج
فكان اي فصار من المغرقين وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي
وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ايه اللغه البلع اجراء الشي في الحلق الى الجوف والاقلاع ازالة
الشي من اصله حتى يرى له اثر يقال قلعت السما اذا ذهب مطرها حتى لايبقى
شي منه واقلع من الامر اذا تركه راسا المعنى ثم بين سبحانه الحال بعد انتها
الطوفان فقال وقيل يا ارض ابلعي ماءك اي قال الله سبحانه للارض انشفي
ماءك الذي نبعت به العيون وتشربي ماءك حتى لايبقى على وجهك شي منه
وهذا اخبار عن اذهاب الما عن وجه الارض باسرع مدة تجري مجرى ان قيل
لها ابلعي فبلعت ويا سما اقلعي اي وقال للسما يا سما امسكي عن المطر وهذا اخبار
على اقشاع السحاب وانقطاع المطر في اسرع زمان فكانه قال لها اقلعي فاقلعت
وغيض الماء اي ذهب به عن وجه الارض الى باطنها والمعنى ونشفت الارض
ماءها ويقال ان الارض ابتلعت ماءها وما السما لقوله وغيض الما ويقال
لم تبتلع ما السماء لقوله ابلعي ماءك وان ما السما صار بحارا وانهارا وهو المروي
عن ائمتنا عليهم السلام وقضي الامر اي وقع اهلاك الكفار على التمام وفرغ

الربع

من الامر وقيل وقضي الامر بنجاة نوح ومن معه واستوت على الجودي اي استقرت
السفينه على الجبل المعروف وقيل الزجاج هو بناحية امل وقال غيره بقرب
جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو ابن نفيل سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبل
سبح الجودي والجمد وقال ابو مسلم الجودي اسم لكل جبل وارض صلب وفي
كتاب النبوة مسندا الى ابي بصير عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال
كان نوح لبث في السفينه ماشاء الله وكانت مامورة فخلى سبيلها فاوحى الله
الى الجبال اني واضع سفينة نوح على جبل منكم فتطاولت الجبال وشمخت وتواضع
الجودي وهو جبل الموصل فضرب جوجو السفينه الجبل فقال نوح عند ذلك
يا ماريا اتقن وهو بالعربيه يارب اصلح وفي روايه اخرى اهمان اتقن وتاويله
يارب احسن وقيل ارست السفينه على الجودي شهرا وقيل بعدا للقوم الظالمين
اي قال الله تعالى ذلك ومعناه ابعد الله الظالمين من رحمته لايرادهم
انفسهم مورد الهلاك وانما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعا ويجوز ان يكون
هذا من قول الملائكة ومن قال نوح والمومنين وفي هذه الايه من بدايع
الفصاحه وعجايب البلاغه ما لايقاربه كلام البشر ولايدانيه منها انه
خرج الامر وان كانت الارض والسما من الجماد لكون ادل على الاقتدار ومنها
حسن تقابل المعنى وايتلاف الالفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها
الايجاز من غير اخلال الى غير ذلك مما يعلمه من تدبره وله معرفه بكلام
العرب ومحاوراتهم ويروى ان كفار قريش ارادوا ان يتعاطوا معارضه
القران فعكفوا على لباب البر ولحوم الضان وسلاف الخمر اربعين يوما
ليصفوا اذهانهم فلما اخذوا فيما ارادوا واستمعوا هذه الايه فقال بعضهم
لبعض هذا كلام لايشبه كلام المخلوقين وتركوا ما اخذوا فيه وافترقوا
وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ
وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ

عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان
تكون من الجاهلين قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس
لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين قيل يا نوح
اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب
نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر
ان العاقبة للمتقين خمس ايات **القراءة** قرا الكسائى ويعقوب وسهل
انه عمل غير صالح على الفعل ونصب غيره والباقون عمل اسم مرفوع منون غير
بالرفع وقرا ابن كثير فلا تسالن مشدده النون مفتوحه وقرا ابو عمرو و يعقوب
وسهل فلا تسالنى خفيفه النون مثبته اليا وقرا اهل الكوفه خفيفه النون
بغير يا وقرا اهل المدينه غير قالون فلا تسالنى مشدده النون مثبته اليا وقرا
ابن عامر وقالون مشدده النون مكسوره بغير يا **الحجه** قال ابو على من قرا انه
عمل منون فالمراد ان سوالك ما ليس لك به علم عمل غير صالح ويحتمل ان يكون
الضمير فى انه لما دل عليه قوله اركب معناه ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره
ان ركوبك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول فى
جملتنا عمل غير صالح ويجوز ان يكون الضمير لابن نوح كانه جعل عملا غير صالح
كما يجعل الشى لكثره ذلك منه كقولهم الشعر زهير او يكون المراد انه ذو عمل غير
صالح فحذف المضاف من قرا انه عمل غير صالح فيكون فى المعنى كقراءه من قرا انه عمل
غير صالح وهو يجعل الضمير لابن نوح ويكون القراءتان متفقتين فى المعنى وان
اختلفتا فى اللفظ ومن ضعف هذه القراءه بان العرب لا يقول هو يعمل بعمل
غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفه مقام الموصوف
عند ظهور المعنى فيقول القايل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا
صوابا وقلت قولا حسنا قال عمر بن ابى ربيعه ايها القايل غير الصواب اخر النصح

واقل

واقلل عتابى وقال ايضا وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهن اذا الفه منى
ما لى جنيه من شى غيره اذا راح نحو الجمره البيض كالدمى اداكم من انسان قتيل
ونظاير كثيره ومن قرا فلا تسالن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السوال الى مفعول
واحد فى اللفظ والمعنى على التعدى الى مفعول ثان ومن كسر النون ههنا فانه
يدل على تعديه السوال الى مفعولين احدهما اسم المتكلم والاخر الاسم الموصول
وحذف النون المتصله بيا المتكلم لاجتماع النونات كما حذف النون من قولهم
انى كذلك وكما حذف من قوله يسوء الفاليات اذا فليني واما اثبات اليا فى الوصل
فهو الاصل وحذفها اخف والكسره يدل عليها وقوله ما ليس لك به علم يحتمل
قوله به فى الايه وجهين احدهما ان يكون كقوله كان جزاى بالعصا ان اجلدا
اذا قدمت بالعصا وقوله وكانوا فيه من الزاهدين وانى لكما لمن الناصحين وانا
على ذلكم من الشاهدين وزعم ابو الحسن ان ذلك مما يجوز فى حروف الجر والتقدير
فيه التعلق بمضمر تفسيره هذا الذى ظهر بعد ان كان لا يجوز تسلطه عليه ومثل
ذلك قوله يوم يرون الملائكه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانتصب يوم يرون
بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه ان يتسلط على يوم يرون
وكذلك انى لكما لمن الناصحين يتعلق بما دل عليه النصح المظهر والتقدير انى ناصح
لكما من الناصحين وكذلك به فى قوله ما ليس لك به علم يتعلق بما دل عليه علم
الظاهر وان لم يجز ان يعمل فيه والوجه الاخر ان يكون متعلقا بالمستقر وهو
العامل فيه كتعلق الظرف بالمعانى كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به فى
الايه بمنزله فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذى يعلم به الشى على حقيقته ليس
العلم الذى يعلم به الشى على ظاهره كالذى فى قوله فان علمتموهن مؤمنات
ونحو ما يعلمه الحاكم بشهاده الشاهدين واقرار المقر باليمين ونحو ذلك مما يعلم به
العلم الظاهر الذى يسع الحاكم الحكم بالشى معه تلك من انباء الغيب تلك
مبتداه ومن انباء الغيب الخبر ونوحيها اليك خبر ثان وان شئت كان فى موضع الحال

اى تلك كائنة من انباء الغيب موحاة اليك خبر ثالث وان شئت كان مبتدأه و
نوحيها الخبر والجار من صلة نوحيها اى تلك نوحيها اليك من انباء الغيب ولا يجوز
ان يكون من زيادة على تقدير تلك انباء الغيب لانها لا تزاد فى الواجب ويجوز
على قول الاخفش ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح فقال ونادى نوح ربه
نداء تعظيم ودعا فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق معناه يا مالكى
وخالقى ورازقى وعدتنى بتنجيه اهلى وان ابنى من اهلى وان وعدك الحق
لا خلف فيه ان كان ممن وعدتنى بنجاته وانت احكم الحاكمين فى قوله وفعلك
قال الله سبحانه يا نوح انه ليس من اهلك وقد قيل فى معناه اقوال احدها
انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك
لان الله قد استثنى من اهله الذين وعد ان ينجيهم من اراد اهلاكهم بالغرق
فقال الا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة
واختاره الجبائى وثانيها ان المراد بقوله ليس من اهلك انه ليس على دينك
فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما
قال النبى صلى الله عليه واله وسلم سلمان منا اهل البيت وانما اراد على ديننا
وروى على بن مهزيار عن الحسن بن على الوشاء عن الرضا عليه السلام قال قال ابو
عبد الله عليه السلام ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من اهلك لانه كان مخالفا له
وجعل من اتبعه من اهله ويؤيد هذا التاويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل
انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج عن احكام اهله بكفره وسوء عمله وروى عن
عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا له فى العمل والنية فمن ثم قيل انه ليس
من اهلك وثالثها انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام
انه ابنى على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة
امراته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه يبعد من حيث ان فيه منافاة القرآن لانه تعالى
قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعيير

وتشين

وتشين وقد نزه الله تعالى انبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم وتعظيما عما ينفر من القبول منهم
وروى عن ابن عباس انه قال ما زنت امراة نبى قط وكانت الخيانة من امراة نوح انها كانت
تنسبه الى الجنون والخيانة من امراة لوط انها كانت تدل على اضيافه ورابعها انه كان
ابن امرأته وكان ربيبه ويعضده قراءة من قرأ ابنه بفتح الهاء او ابنها والمعتمد المعول عليه
فى تاويل الاية القولان الاولان انه عمل غير صالح قد ذكرنا الوجه فى القراءتين
واختار المرتضى قدس الله روحه فى تاويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح
وصاحب عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الخنساء ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدها
على التحنان الخاد ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار ارادت فانما هى
ذات اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى ان سؤالك اياى ما ليس لك به علم عمل
غير صالح فان من امتنع من ان يقع على الانبياء شئ من القبائح يدفع ذلك فاذا قيل له فلم قال
فلا تسألن ما ليس لك به علم وكيف قال نوح رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس
لى به علم قال لا يمتنع ان يكون نهى عن سؤال ما ليس له به علم فان لم يقع منه وان تكون
من ذلك وان لم يوقعه كما نهى الله سبحانه نبينا صلى الله عليه واله وسلم عن الشرك
فى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان لم يجز وقوع ذلك منه وانما سأل نوح عليه السلام
نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين له تعالى ان المصلحة فى غير نجاته لم يكن ذلك
خارجا عما تضمنه السؤال وقوله انى اعظك اى احذرك والوعظ الدعاء الى الحسن
والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين معناه لا تكن منهم
قال الجبائى يعنى اعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرف
عن الجهل وينزه عن القبيح قال نوح عند ذلك رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى
به علم اى اعتصم بك من ان اسألك ما ليس لى به علم مما لا اعلم انه صواب وانك تفعله
ومعنى العياذ بالله الاعتصام به طلبا للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله
سبحانه ليوفقه ولا يكله الى نفسه وانما حذف يا من قوله رب وابتدأه فى قوله
لا نوح لان ذلك نداء تعظيم وهذا هذا تنبيه فوجب ان يأتى بحرف التنبيه والا تغفر لى

وترحمني اكن من الخاسرين انما قال على سبيل التخشع والاستكانه لله تعالى
وان لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما امر به نوحا حين استقر السفينة على
الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال قيل يا نوح اهبط اى انزل اهبط اى
انزل من الجبل او من السفينة بسلام منا اى بسلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسليم
منا عليك وبركات عليك اى ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالا بعد حال
عليك وعلى امم ممن معك يعني الامم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين
والامم الجماعة الكبيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى امم من ذرية
من معك وقيل يعني بالامم ساير الحيوان الذين كانوا معه لان الله تعالى جعل
فيها البركة وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم معناه ان يكون من نسلهم
امم سنمتعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون فيهلكهم ثم يمسهم بعد
الهلاك عذاب موجع وانما ارتفع امم لانه استانف الاخبار عنهم وروى
عن الحسن انه قال هلك المتمتعون في الدنيا لان الجهل يغلب عليهم والغفلة
فلا يتفكرون الا في الدنيا وعمارتها وملاذها ثم اشار سبحانه الى ما تقدم ذكره
من اخبار نوح وقومه فقال تلك اى تلك الانبا من انباء الغيب اى من اخبار
ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جايزا لان المصادر قد يكنى عنها بالتذكير
كما يكنى بالتانيث يقولون قدم فلان ففرحت بها اى تقدمته وفرحت به اى
بقدومه نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اى ان هذه
الاخبار التي اعلمناكها لم تكن تعلمها انت ولا قومك من العرب تعرفونها من قبل
ايحائنا اليك لانهم لم يكونوا اهل كتاب وسير وقيل من قبل هذا القران وبيان
القصص فيه فاصبر اى فاصبر على القيام بامر الله وعلى اذى قومك يا محمد كما
صبر نوح على اذى قومه وهذا هو احد الوجوه التي لاجلها كرر الله قصص الانبيا
عليهم السلام ليصبر النبي صلى الله عليه واله وسلم على ما كان يقاسيه من امور الكفار
الجهال حالا بعد حال ان العاقبة للمتقين اى ان العاقبة المحمودة وخاتمة الخير

والنصر

والنصر للمتقين كما كانت لنوح عليه السلام وإلى عادٍ أخاهم هودًا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم
عليه أجرًا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارًا ويزدكم قوةً إلى قوتكم
ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينةٍ وما نحن بتاركي آلهتنا
عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا
بسوءٍ قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريءٌ مما تشركون من دونه
فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابةٍ
إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم فإن تولوا فقد أبلغتكم
ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قومًا غيركم ولا تضرونه شيئًا
إن ربي على كل شيءٍ حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودًا والذين آمنوا معه
برحمةٍ منا ونجيناهم من عذابٍ غليظ وتلك عادٌ جحدوا بآيات ربهم
وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبارٍ عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا
لعنةً ويوم القيامة ألا إن عادًا كفروا ربهم ألا بعدًا لعادٍ قوم هود
احدى عشر ايه كوفي وعشر في الباقين عد الكوفي مما تشركون ايه اللغة الفطر
الشق عن امر الله كما ينفطر الورق عن الشجر ومنه فطر الله الخلق لانه بمنزلة ما شق
عنه فظهر المدرار الدار الكثير التتابع على قدر الحاجة اليه دون الزايد المفسد
المضر ومفعال للمبالغة كقولهم معطار ومقدام واعتراك من قولهم عراه يعروه
اذا اصابه قال الشاعر من القوم يعروه اجتراء ومأثم والفرق بين الانظار و
التاخير ان الانظار امهال لينظر صاحبه في امره والتاخير خلاف التقديم والناصية
قصاص الشعر واصله الاتصال من قولهم مفازة تناصي مفازة اذا كانت الاخرى
متصلة بالاولى قال في تناصيها بلاد فيّ وقال ابو النجم ان يمس راسي اشمط العناصي
كانما فرقه مناصي اى مجاذب ليصل به في مره العيد العاني الطاغي عند نصد عنق

اذا تجبر وعند عن الامر اذا حاد عنه فهو عاند وعنود الاعراب اخاهم نصب
بتقدير ارسلنا كانه قال وارسلنا الى عاد اخاهم وهودا عطف بيان وعاد
مصروف لان المراد به الحى وقد يقصد به القبيله فلا يصرف قال لو شهد عاد
فى زمان عاد لابتزها مبارك الجلاد ضرب فى ضم الراحل الصفه على الموضع ومن
حمله على اللفظ قوله ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال صاحب كتاب
الكشف الجامع النحوى ان حرف نفى لحقه نقول فنفت القول الا قولا واحدا
وهو قولهم اعتراك بعض الهتنا بسوء فالتقدير ما نقول قولا الا هذه المقاله
والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف وعلى الحال فيجوز ان يذكر الفعل ثم يستثنا
من مدلوله ما دل عليه من المصادر والظروف والاحوال فيقول اعتراك
مستثنى من المصدر الذى دل عليه نقول كقوله تعالى انما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى موتتنا على الاستثنا لانه مستثنى من ضروب الموت الذى دل عليه
قوله بميتين ومما جاء من ذلك فى الظرف قوله ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعه
من النهار ساعه استثنا مما دل عليه يلبثوا من الاوقات ومما جاء من ذلك فى
الحال قوله ضربت عليهم الذله اينما ثقفوا الا بحبل من الله التقدير ضربت عليهم
الذله فى جميع الاحوال اينما ثقفوا الا متمسكين بحبل من الله اى بعهد من الله
انتهى كلامه وقوله فان تولوا تقديره فان تتولوا فحذف احدى التائين لدلالة
الكلام عليه وقوله بعدا لعاد منصوب على المصدر اى بعدهم الله بعدا
او وقع بعدا موقع ابعاد كما وقع نبات موقع انبات فى قوله والله انبتكم من الارض
نباتا المعنى ثم عطف سبحانه قصه هود على قصه نوح فقال والى عاد اخاهم هودا
اراد اخاهم فى النسب دون الدين قال يا قوم اعبدوا الله وحده واطيعوه دون
الاصنام ما لكم من اله غيره دخول من يفيد التعميم نفى ان يكون لهم معبود يستحق
العباده غير الله عز اسمه ان انتم الا مفترون اى ما انتم الا كاذبون فى قولكم
ان الاصنام الهه يا قوم لا اسالكم عليه اجرا اى لست اطلب منكم على دعائى لكم الى عبادة

الله جزا ان اجرى الا على الذى فطرنى اى ليس جزائى الا على الله الذى خلقنى
افلا تعقلون على ما اقول لكم فتعلمون ان الامر على ما اقوله ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبه
فى اول هذه السورة يرسل السماء عليكم مدرارا اى يرسل المطر عليكم متتابعا
متواترا دارا وقيل انهم كانوا قد اجدبوا فوعدهم هود انهم ان تابوا اخصبت
بلادهم وامرعت وهادهم واثمرت اشجارهم وزكت ثمارهم بنزول الغيث الذى
يعيشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب ويزدكم قوة الى قوتكم فسر القوه هنا بالمال والولد والشده
وكل ذلك مما يتقوى به الانسان قال على ابن عيسى يريد عزا الى عزكم بكثرة
عددكم واموالكم قوه فى ايمانكم الى قوه فى ابدانكم ولا تتولوا عما ادعوكم
اليه مجرمين اى مشركين كافرين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اى بحجه ومعجزه
تبين صدقك وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك اى لسنا بتاركى عبادة الاصنام
لاجل قولك فقيل ان عن جعلت مكان البا فمعناه بقولك وما نحن لك
بمؤمنين اى مصدقين وانما حملهم على دفع البينه مع ظهورها اشيا منها
تقليد الابا وتقليد الرؤسا ومنها اتهامهم من جاء بها حيث لم ينظروا فيها
ومنها انه دخلت عليهم الشبهه فى صحتها ومنها اعتقادهم لاصول فاسده دعتهم
الى جحدها وانما حملهم على عباده الاوثان اشيا منها اعتقادهم ان عبادتها
تقربهم الى الله زلفى ومنها ان الشيطان ربما القى اليهم ان عبادتها تحظيهم
فى الدنيا ومنها انهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهه فاتخذوا الاوثان على
صورته عندهم فعبدوها ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء هذا تمام
الحكاية عن هود جوابا لهود والمعنى لسنا نقول فيك الا انه اصابك بعض الهتنا
بسوء فخبل عقلك لشتمك لها وسبك اياها ذهب اليه ابن عباس ومجاهد قال
اى قال هود لقومه انى اشهد الله واشهدوا اى واشهدكم ايضا بعد اشهاد الله

انى برئ مما تشركون من دونه اى ان كنتم تزعمون ان الهتكم عاقبتني
لطعني عليها فانى على بصيرة فى البراءة مما تشركون مع الله من الهتكم التى تزعمون
انها اصابتني بسوء وانما اشهدهم على ذلك وان لم يكونوا اهل شهادة من حيث
كانوا كفارا فساقا اقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول
اعذارا وانذارا وقيل انه اراد بقوله اشهدوا اعلموا كما قال شهد الله اى علم الله
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اى فاحتالوا واجهدوا انتم والهتكم فى انزال
مكروه بى ثم لا تمهلوني قال الزجاج وهذا من اعظم ايات الانبيا عليهم السلم
ان يكون الرسول وحده وامته متعاونة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع
واحد منهم ضره وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الاية
وقال نبينا صلى الله عليه واله وسلم فان كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا
القول لا يصدر الا عمن هو واثق بنصر الله وبانه يحفظه عنهم ويعصمه منهم ثم
ذكر هود ع هذا المعنى فقال انى توكلت على الله ربى وربكم اى فوضت امري
الى الله سبحانه متمسكا بطاعته تاركا لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله
سبحانه ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى ما من حيوان يدب على وجه الارض
الا هو مالك لها يصرفها كيف يشا ويقهرها وجعل الاخذ بالناصية كناية
عن القهر والقدرة لان من اخذ بناصيته غيره فقد قهره واذله ان ربى على
صراط مستقيم اى انه سبحانه مع كونه قاهرا على عدل فيما يعامل عباده والمعنى
انه يعدل ولا يجوز وقيل معناه ان ربى فى تدبير عباده على طريق مستقيم
لا عوج فيه ولا اضطراب هو يجرى على سبيل الصواب يفعل ما يقتضيه الحكمة فان
تولوا هذا حكاية عما قاله هود لقومه والمعنى فان تتولوا ويجوز ان يكون حكاية
عما قال الله سبحانه لهود والمعنى فان تولوا هم فقل لهم قد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم اى ليس ذلك لتقصير منى فى ابلاغكم وانما هو لسوء اختياركم فى اعراضكم عن نصحى
فقد ابلغتكم جميع ما اوحى الى ويستخلف ربى قوما غيركم اى ويهلككم ربى

بكفركم

بكفركم ويستبدل بكم قوما غيركم يوحدونه ويعبدونه ولا تضرونه شيئا يعنى اذا
استخلف غيركم فجعلهم بدلا منكم لا تقدرون له على ضر وقيل معناه لا تضرونه
بتوليكم واعراضكم شيئا ولا ضرر عليه فى اهلاككم لانه لم يخلقكم لحاجة منه اليكم
ان ربى على كل شى حفيظ يحفظه من الهلاك ان شاء ويهلكه اذا شاء وقيل معناه
انى ربى يحفظنى عنكم وعن اذاكم وقيل معناه ان ربى على كل شى من اعمال عباده
حفيظ حتى يجازيهم عليها ولما جاء امرنا اهلاك عاد نجينا هودا والذين امنوا معه
من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة الاف برحمة منا اى بما اريناهم من الهدى
والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا اى بنعمة منا وهى النجاة اى انجيناهم
برحمتنا ليعلم انه عذاب اريد به الكفار لا اتفاق وقع ونجيناهم من عذاب غليظ
اى كما نجيناهم من عذاب الدنيا نجيناهم من عذاب الاخرة والغليظ الثقيل العظيم
ويحتمل ان يكون هذا صفة للعذاب الذى عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه
كفر عاد فقال وتلك عاد اى وتلك القبيلة عاد جحدوا بايات ربهم يعنى معجزات
هود الدالة على صحة نبوته وعصوا رسله انما جمع الرسل وكان قد بعث اليهم
هودا لان من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل ولان هودا كان
يدعوهم الى الايمان به وبمن تقدمه من الرسل وبما انزل عليهم من الكتب
فكذبوهم جميعا فلذلك عصوهم واتبعوا امر كل جبار عنيد اى واتبع السفلة
والسقاط الرؤسا وقيل ان الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير
العناد الذى لا يقبل الحق واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة اى واتبع عاد بعد اهلاكهم
فى الدنيا بالابعاد عن الرحمة فان الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المؤمنين
بالدعا عليهم باللعن ويوم القيمة اى وفى يوم القيمة يبعدون من رحمة الله كما
بعدوا فى الدنيا منها ويلعنون بان يدخلوا النار فان اللعنة الدعا بالابعاد
من قولك لعنه اذا قال عليه لعنة الله واصله الابعاد من الخير الا ابتدا وتنبيه
ان عادا كفروا ربهم اراد بربهم فحذف الباء كما قال امرتك الخير اى بالخير الا بعدا

لعاد قوم هود اى ابعدهم الله من رحمته فبعد وابعدا والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود اكفروا ربهم الا بعدا لثمود ثمانى ايات القراءة اهل المدينة غير اسمعيل والكسائى والرجمى والسموني عن ابى بكر عن عاصم من خزى يومئذ بفتح الميم ههنا وعذاب يومئذ فى المعارج والباقون بكسر الميم على الاضافة وقرا حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب الا ان ثمود غير منون فى جميع القران وقرا الباقون ثمودا بالتنوين ههنا وفى القران والعنكبوت والنجم لانه مكتوب بالالف فى هذه المواضع وابو بكر عن عاصم يقرا وثمود فى والنجم بغير تنوين ونون الباقى وروى عنه الرجمى ومحمد بن غالب عن الاعشى عنه فى والنجم بالتنوين ايضا وقرا الكسائى وحده الا بعدا لثمود بالجر والتنوين والباقون لثمود بفتح الدال الحجة قال ابو على قوله ومن خزى يومئذ يوم فى قوله يومئذ ظرف فتحت او كسرت فى المعنى الا انه اتسع فيه فجعل اسما كما اتسع فى قوله بل مكر الليل والنهار فاضيف المكر اليهما وانما هو فيهما فكذلك العذاب والخزى والفزع فى قوله من فزع يومئذ اضيف الى اليوم والمعنى على ان ذلك كله فى اليوم كما ان المكر فى الليل والنهار يدلك على ذلك قوله

ولعذاب

ولعذاب الاخرة اخزى وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فاما من كسر الميم يومئذ فلان يوما اسم معرب فاضيف اليه ما اضيف من العذاب والخزى والفزع وانجر بالاضافة ولم يفتح اليوم فيبنيه لاضافته الى المبنى لان المضاف منفصل من المضاف اليه ولا يلزم الاضافة فلما لم يلزم الاضافة الاضافة لم يلزم فيه البناء يدلك على ذلك انك تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه الاعراب وان كان الاسمان جعلا بمعنى الحرف فلم يلزمهما البناء كما يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو اين وكيف ومتى فلما لم يبن المضاف وان كان قد عمل عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبن يوم للاضافة الى اذ لان اضافته لا يلزم كما لم يبن المضاف وان كان قد عمل فى المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم يلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن خزى يومئذ ففتح مع انه فى موضع جر فان المضاف يكتسى من المضاف اليه التعريف والتنكير ومعنى الاستفهام والجزاء فى نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضربه والنفى فى نحو قولهم ما اخذت باب دار احد فلما كان يكتسى من المضاف اليه هذه الاشيا اكتسى منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الاسما الشايعة نحو يوم وحين ومثل يشبه بهذا الشياع الاسما الشايعة المبنية نحو اين وكيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو رجل وغلام لم يكتسى منه البناء كما اكتسى منه الاسما الشايعة فمما جاء من ذلك قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب وازع ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل فى موضع رفع فى قول سيبويه وقد جرى وصفا على النكرة الا انه فتح للاضافة الى ان ومن ذلك قول الشاعر وتداعى منخراه بدم مثل ما اثمر حماض الجبل لما اضاف مثل الى المبنى وكان اسما شايعا بناه ولم يعربه وذهب ابو عثمان الى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم واحد فبنى مثلا على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول فى هذا البيت وان كان ما ذهب اليه مستقيما

فاما الكسر في اذٍ فلالتقا الساكنين وذلك ان اذ من حكمها ان تضاف الى الجمله
من الابتدا والخبر فلما اقتطعت عنها الاضافه نونت ليدل التنوين على ان المضاف
اليه قد حذف فكسرت الذال لسكونها وسكون التنوين وقال في صرف ثمود وترك
صرفه ان هذه الاسما التي تجري على القبايل والاحيا على ضروب احدها ان يكون اسما
للحي والاب والآخر ان يكون اسما للقبيله والثالث ان يكون الغالب عليه الاب
والحي والقبيله والرابع ان يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون
لاحد الوجهين مزيه على الاخرى في الكثره فمما جا على انه اسم للحي قولهم ثقيف وقريش
وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جا اسما للقبيله فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال
سيبويه وسمعناهم يقولون قيس ابنة غيلان وتميم صاحبة ذلك وقال تغلب
ابنة وايل قال لولا فوارس تغلب ابنة وايل نزل العدو عليك كل مكان واما ما غلب
عليه اسم الحي والقبيله فقد قالوا باهله ابن اعصر وقالوا اعصر وباهله اسم امراه
قالوا سيبويه ولكنه جعل اسم الحي ومجوس لم يجعل الا اسم القبيله وتميم اكثرهم
يجعله اسم القبيله ومنهم من يجعل اسم الاب فاما ما استوى ان يكون اسما للقبيل
وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود وسبا فهما مرة للقبيلتين ومرة للحيين
وكثرتهما سوا قال وعادا وثمودا وقال الا ان ثمودا كفروا ربهم وقال وآتينا
ثمود الناقه فاذا استوى في ثمود ان يكون مرة للقبيله ومرة للحي فلم يكن لحمله
على احد الوجهين مزيه في الكثره فمن صرف في جميع المواضع كان حسنا ومن لم يصرف
في جميع المواضع كان حسنا وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر
الا انه لا ينبغي ان يخرج عما قرات به القرا فان القراه سنة متبعه ومن ذلك قول
الشاعر كسا الله حي تغلب ابنة وايل من اللوم اظفارا بطيا نصولها فقال حي ثم قال
ابنة وايل فجمع بين الحي والقبيله واما قوله اولئك اولى من يهود بمدحة اذا انت
يوما قلتها لم تونب فقد قامت الداله على ان يهود استعملت على انها للقبيله للحي في
قوله اولئك اولى من يهود لان يهود لو كان للحي لصرف وانشد ابو الحسن قول

يهود

يهود واسلمت جوانها صمي لما فعلت يهود صمام وكذلك جا في الحديث يقسم يهود
ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر كنار مجوس تستعر استعارا الا ترى انه لو كان
للحي دون القبيله لا يصرف   الانشا الايجاد ابتدا من غير استعانه بشي من
الاسباب والنشا فلان حديثا او شعرا والاستعمار جعل القادر يعمر الارض
كعمارة الدار ومنه العمرى في الفقه وهو ان يقول اعطيتك هذه الدار عمرى
او عمرك والمس واللمس بمعنى وفرق علي بن عيسى بينهما بان المس قد يكون بين
جمادين واللمس لا يكون الا بين حيين لما فيه من الادراك والجثوم السقوط على
الوجه وقيل هو القعود على الركبه وغنى بالمكان اذا اقام به والمغنى المنزل
قال النابغة غنيت بذلك اذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد واصل
الغنى الاكتفا فمنه الغنى بالمال والغنا الصوت الذي يكتفى به والغنا الاكتفا
بحال الشي ومنه غني بالمكان لاكتفايه بالاقامه فيه   ارايتم لا مفعول
له ههنا لانه معلق كما تعلق اذا دخل الجمله لام الابتدا في مثل قوله قد رايت
لزيد خير منك فكذلك الجزا وجواب ان الاولى الفا وجواب ان الثانيه محذوف
وتقديره ان عصيته فمن ينصرني الا انه استغنى بالاول فلم يظهر ومن ينصرني
صورته صورة الاستفهام ومعناه النفي فكانه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته
وانما جاز العارات هنا لانها دخلت على جمله قايمه بنفسها من جهة انها تفيد
لو انفردت عن غيرها وهي تتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها وقوله فياخذكم
جواب النهي بالالفا ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسو فان ياخذكم
عذاب قريب اي واخذ عذاب عاجل اياكم وايام اصله ايوام قلبت الواو يا
وادغمت اليا الاولى فيها   ثم عطف على ذلك قصه صالح فقال والى
ثمود اخاهم صالحا وكانت ثمود بوادي القرى بين المدينه والشام وكان عاد
باليمن عن الجباي فقال لهم صالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مضى
تفسيره هو انشاكم من الارض لانه خلق آدم اي ابتدا خلقكم من الارض لانه خلق آدم

من الارض ومرجع نسبكم اليه واستعمركم فيها اى جعلكم عمار الارض بان مكنكم
من عمارتها واحوجكم الى السكنى فيها وقيل معناه واعمرها لكم مدة اعماركم من العمرى
عن مجاهد وقيل معناه واطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من الف سنة
الى ثلثمائة سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من المساكن والزراعات
وغرس الاشجار وفى هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لانه سبحانه امتن على عباده
بان مكنهم من عمارة الارض فلو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه فاستغفروه ثم
توبوا اليه اى فاستغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة ان ربى
قريب برحمته لمن رجع مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى كنا
نرجوا منك الخير لما كنت عليه من الاحوال الجميلة قبل هذا القول فالان يئسنا منك ومن خيرك
بابداعك ما ابدعت وقيل معناه كنا نرجوك ونظنك عونا لنا على ديننا اتنهانا ان نعبد
ما يعبد اباؤنا استفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان ينهى الانسان عن عبادة ما عبد
اباؤه واننا لفى شك مما تدعونا اليه من الدين مريب موجب للريبة والتهمة اذ لم يكن اباؤنا
فى جهالة وضلالة قال صالح لهم يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى حجة وبرهان فيما قلت وآتانى
منه رحمة اى واعطانى الله منه نعمة وهى النبوة فمن ينصرنى من الله ان عصيته اى فمن يمنع
عذاب الله عنى ان عصيته مع نعمته فما تزيدوننى غير تخسير اى ما تزيدوننى بقولكم
اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير نسبتى اياكم الى الخسارة والتخسير التفسيق والتفجير
قال ابن الاعرابى يريد غير تخسير لكم لا لى وقال ابن عباس ما تزيدوننى الا بصيرة فى خسارتكم
وقيل معناه ان اجبتكم الى ما تدعوننى اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران ويا قوم هذه ناقة
الله لكم آية اشار الى ناقة التى جعلها الله معجزة لانه سبحانه اخرجها لهم من جوف صخرة يشاهدونها
وهى على تلك الصفة وخرجت كما طلبوا وهى حامل وكانت تشرب يوما جميع الماء فتنفرد به
ولا ترد معها دابة فاذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا اعظم آية ومعجزة
وانتصب آية على الحال من ناقة الله فكانه قال انتبهوا لها فى هذه الحال والمعنى ان شككتم فى
نبوتى فهذه الناقة معجزة لى واضافها الى الله تشريفا لها كما يقال بيت الله فذروها تاكل فى

ارض الله

ارض الله اى فاتركوها فى حال اكلها فتكون تاكل فى ارض الله جملة منصوبة
الموضع على الحال ويجوز ان يكون مرفوعا على الاستيناف والمعنى فانها تاكل
فى ارض الله من العشب والنبات ولا تمسوها اى لا تصيبوها بسوء قتل او جرح او غيره
فياخذكم ان فعلتم ذلك عذاب قريب اى عاجل فيهلككم فعقروها اى عقرها
بعضهم ورضى به البعض وانما عقرها احمر ثمود وضربت به العرب المثل فى
الشوم فقال صالح تمتعوا فى داركم ثلثة ايام اى تلذذوا بما تريدون من
المدركات الحسنة من المناظر والاصوات وغيرها مما تدرك الحواس فى مدة ملاذكم
ثلثة ايام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال للبلاد دار لانها تجمع اهلها
كما يجمع الدار اهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل فى داركم
يعنى دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا فى داركم عيشوا فى بلدكم وعبر عن الحيوة
بالتمتع لان الحى يكون متمتعا بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صعد فصيلها
الجبل ورغا ثلث مرات فقال صالح لكل رغوة اجل يوم فاصفرت وجوههم
اول يوم ثم احمرت من الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله ذلك وعد غير
مكذوب اى انما وعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلثة ايام وعد صدق لا كذب
فيه وروى جابر بن عبد الله الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لما نزل الحجر فى غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا ايها الناس لا تسالوا نبيكم
الآيات هؤلاء قوم صالح سالوا نبيهم ان يبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا
الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون من لبنها مثل الذى كانوا يشربون
من مائها يوم غبها فعتوا عن امر ربهم فقال تمتعوا فى داركم ثلثة ايام وكان وعدا
من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فاهلك الله من كان فى مشارق الارض
ومغاربها منهم الا رجلا كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله يقال له
ابو رغال قال له يا رسول الله من ابو رغال قال ابو ثقيف ولما جاء امرنا نجينا صالحا
والذين آمنوا معه برحمة منا مر تفسيره فى قصة عاد ومن خزى يومئذ قال

ابن الانباری هذا معطوف علی محذوف تقدیره نجیناهم من العذاب ومن
خزی یومئذ ای من الخزی الذی لزمهم ذلک الیوم والخزی العیب الذی تظهر
فضیحته ویستحیا من مثله ان ربک هو القوی ای القادر علی ما یشا العزیز
الذی لا یمتنع علیه شیء ولا یمنع عما اراده واخذ الذین ظلموا الصیحة قیل
ان الله سبحانه امر جبریل فصاح بهم صیحة ماتوا عندها ویجوز ان یکون
الله تعالی خلق تلک الصیحة ماتوا عندها فاصبحوا فی دیارهم جاثمین ای میتین
واقعین علی وجوههم ویقال قاعدین علی رکبهم وانما قال فاصبحوا لان
العذاب اخذهم عند الصباح وقیل اتتهم الصیحة لیلا فاصبحوا علی هذه الصفة
والعرب یقول عند الامر العظیم واسوء صباحاه کان لم یغنوا فیها ای کان
لم یکونوا فی منازلهم قط لانقطاع اثارهم بالهلاک الا ما بقی من اجسادهم
الداله علی الخزی الذی نزل بهم الا ان ثمود اکفروا ربهم الا بعدا لثمود
قد سبق تفسیره ولقد جاءت رسلنا ابراهیم بالبشری قالوا سلاما
قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنیذ فلما رای ایدیهم لا تصل الیه
نکرهم واوجس منهم خیفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الی قوم لوط و
امراته قائمة فضحکت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق یعقوب
قالت یا ویلتی ءالد وانا عجوز وهذا بعلی شیخا ان هذا لشیء عجیب
قالوا اتعجبین من امر الله رحمة الله وبرکاته علیکم اهل البیت انه حمید
مجید فلما ذهب عن ابراهیم الروع وجاءته البشری یجادلنا فی قوم
لوط ان ابراهیم لحلیم اواه منیب یا ابراهیم اعرض عن هذا انه
قد جاء امر ربک وانهم اتیهم عذاب غیر مردود سبع ایات عند البصری
بین عشان عند غیرهم لم یعد البصری قوم لوط آیه القراءة قرا حمزة والکسائی
قال سلم بکسر السین وسکون اللام هنا وفی الذاریات وقرا الباقون قال
سلام وقرا یعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرا الباقی

یعقوب بالرفع وفی الشواذ قراه الاعمش وهذا بعلی شیخ بالرفع الحجه قال ابو علی
اخبرنا اسحق عن محمد بن یزید قال السلام اربعة اشیاء منها مصدر سلمت والسلم
شجر قال الاسلام وحبل والسلام جمع سلامة والسلم اسم من اسماء الله تعالی
وقوله دار السلام یحتمل ان یکون مضافا الی الله تعالی تعظیما لها ویحتمل ان یکون
دار السلامة من العقاب فمن حصل فیها کان علی خلاف من وصف بقوله یاتیه
الموت من کل مکان واما انتصاب قوله سلاما فلانه لم یحک شیئا تکلموا به
فیحکی کما یحکی الجمل ولکن هو معنی ما تکلمت به الرسل کما ان القایل اذا قال
لا اله الا الله فقلت حقا او قلت اخلاصا اعملت القول فی المصدرین لانک
ذکرت معنی ما قال ولم یحک نفس الکلام الذی هو جملة یحکی فکذلک نصب سلاما
فی قوله قالوا سلاما لما کان معنی ما قیل ولم یکن نفس المقول بعینه فاما قوله
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سیبویه زعم ابو الخطاب ان مثله
یرید مثل قولک سبحان الله ای تفسیره براءة الله من السوء قولک للرجل سلاما ترید
مسلما منک لا ابتلی بشیء من امرک فعلی هذا المعنی وجه ما فی الایة قال وزعم
ان قول امیه سلامک ربنا فی کل فجر بریا ما تعنتک الذموم علی قوله
براءتک ربنا من کل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لانه من جملة الجملة
المحکیة والتقدیر فیه سلام علیک فحذف الخبر کما حذف من قوله فصبر جمیل
ای صبر جمیل امثل او یکون المعنی امری سلام وشانی سلام کما ان قوله فصبر جمیل
یصلح ان یکون المحذوف منه المبتدا ومثل ذلک قوله فاصفح عنهم وقل سلام
علی حذف المبتدا الذی سلام خبره واکثر ما یستعمل بغیر الف ولام لانه فی معنی
الدعاء فهو مثل قولهم خیر بین یدیک ولما کان فی معنی المنصوب استجیز فیه الابتداء
بالنکرة فمن ذلک قوله قال سلام علیک ساستغفر لک ربی وقال والملائکة
یدخلون علیهم من کل باب سلام علیکم وقال سلام علی نوح فی العالمین سلام
علی ابراهیم وسلام علی عباده الذین اصطفی وقد جاء بالالف واللام قال سبحانه

والسلام على من اتبع الهدى والسلام على يوم ولد فزعم ابو الحسن ان فى العرب
من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين الحقوا الالف حملوه
على المعهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود وزعم ان منهم من يقول
سلام عليكم فلا ينون وحمل ذلك على وجهين احدهما انه حذف الزيادة
من الكلمة كما يحذف الاصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم يات والاخر
انه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيه الالف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال
كما حذف من اللهم فقالوا لاهم ان عامر العجوز قد حبس الخيل على العمور
واما من قرا قال سلم فان سلما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى سلام
فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم فى آية بمعنى سلام كقولهم
حل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذا قراءه من قرا سلام وسلم بمعنى
واحد وان اختلف اللفظان والاخر ان يكون سلم خلاف العدو والحرب
كان بهم لما كفوا عن تناول ما قدم اليهم فنكرهم واوجس خيفة منهم قال
انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا تمتنعون من تناول طعامى كما يمتنع من
تناول طعام العدو ومن قرا من وراء اسحق يعقوب بالرفع كان رفعه
بالابتدا او بالظرف فى قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوب احتمل ثلثة
اضرب احدها ان يكون يعقوب فى موضع جر اى فبشرناها باسحق ويعقوب
قال ابو الحسن وهذا اقوى لانها بشرت بهما قال وفى اعمالها ضعف لانك
فصلت بين الجار والمجرور بالظرف والاخر ان تحمله على موضع الجار والمجرور
كقوله اذا ما تلاقينا من اليوم او غدا وكقراءة من قرا وحورا عينا بعد يطاف
عليهم بكذا ومثله فلسنا بالجبال ولا الحديدا والثالث ان تحمل على فعل مضمر
كانه فبشرناها باسحق ووهبنا له يعقوب فاما الاول فقد نص سيبويه
على قبح مثله نحو مررت بزيد اول من امس وامس عمرو وكذلك قال ابو الحسن
لو قلت مررت بزيد اليوم وامس عمرو لم يحسن واما الحمل على حد مررت بزيد وعمرا

فالفصل

فالفصل فيه ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان الفعل حصل بحرف العطف
وحرف العطف هو الذى يشرك فى الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول
به كما يصل بحرف الجر ولو قال مررت بزيد قائما لجعل الحال من المجرور لم يجز
التقديم عند سيبويه لان الجار هو الموصل فكما قبح التقديم عنده بضعف الجار
العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار فى انه يشرك فى الفعل كما يوصل
الجار الفعل العامل فى الموضعين جميعا واذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف
فى العطف على الموضع وقبح ايضا الفصل فى الرفع والنصب كما قبح فى الجر لان
العاطف فيهما مثله فى الجار وليس العامل نفس الرافع والناصب كما ان العامل
فيما بعد حرف العطف ليس الجار انما يشركه فيه العاطف وقد جاء ذلك فى الشعر
قال الاعشى يوم تراها كشبه اردية الخمس ويوما اديمها نغلا ففصل بالظرف
بين المشرك فى النصب وما اشركه فيه فاذا قبح الفصل فى الحمل على الموضع كما
قبح الفصل فى الحمل على الجار فينبغى ان تحمل قراءه من قرا يعقوب بالنصب على فعل
اخر مضمر يدل عليه بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجهين الاخرين واما الرفع
فى قوله شيخ ففيه وجوه احدها ان يكون بعلى خبر المبتدا وشيخ بدل من بعلى
فيكون كانه قال هذا شيخ والاخر ان يكون شيخ خبر مبتدا محذوف ويكون
هذا بعلى كلاما تاما يحسن الوقف عليه والثالث ان يكون بعلى بدلا من هذا
وشيخ هو الخبر فيكون تقديره بعلى شيخ والرابع ان يكون بعلى وشيخ جميعا
خبرا عن هذا كقولك هذا حلو حامض اى قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك
ههنا تقديره هذا جمع البعولة والشيخوخة قال ابن جنى وهنا وجه خامس
لكنه على قياس مذهب الكسائى وذلك انه يعتقد فى خبر المبتدا ابدا ان فيه
ضميرا وان لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد اخوك وهو يريد النسب فاذا كان
كذلك فقياس مذهبه ان يكون شيخ بدلا من الضمير فى بعلى لانه خبر عن هذا
العجل ولد البقرة والعجول لغة فيه وجمعه العجاجيل وسمى بذلك

لتجيل امره بقرب ميلاده والحنيذ المشوى وهو المحنوذ فعيل بمعنى مفعول يقال
حنذه يحنذه حنذا قال العجاج ورهبا من حنذه ان يهرجا يعنى الحمر الوحشيه قال الزجاج
الحنيذ المشوى بالحجاره وقيل الحنيذ المشوى حتى يقطر عرقا وقيل الحنيذ المشوى فقط
وقيل هو السميط ويقال نكرته وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغه وهو لغه
هذيل والحجاز وانكرته لغه تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين وانكرتنى وما كان
الذى نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا ابو ذويب فنكرته فنفرت فامترست له
هوجاء هادية وهاد جرشع والايجاس الاحساس وجس وتوجس اى احس قال ذو الرمه
وقد توجس ركزا مقفر ندس بنبات الصوت ما فى سمعه كذب ويقال اوجس خوفا اى اضمر
والبعل الزوج واصله القايم بالامر يقولون للنخل الذى يستغنى بما السما عن سقى
الانهار والعيون بعل لانه قايم بالامر فى استغنا عن تكلف السقى له ومنه قيل للرب
والصاحب بعل والتعجب يجرى على المصدر وعلى المتعجب منه تقول هذا امر عجيب ولا يجوز
التعجب من امر الله تعالى لانه يجب ان يعلم انه قادر على كل شى من الاجناس لا يعجزه
شى وما عرف سببه لا يتعجب منه والمجيد الكريم يقال مجد الرجل يمجد مجاده اذا كرم
قال الشاعر رفعت مجد تميم باهلال لها رفع الطراف على العليا بالعمد والروع
الافزاع يقال راعه يروعه اذا فزعه قال عنتره ما راعنى الا حموله اهلها وسط
الديار تسف حب الخمخم وارتاع ارتياعا اذا خاف والروع بضم الرا النفس يقال
القى فى روعى اى فى نفسى وسميت بذلك لانها موضع الروع والرد والدفع
واحد ونقيضه الاخذ والفرق بين الرد والدفع ان الدفع قد يكون الى جهة
القدام والخلف والرد لا يكون الا الى جهة الخلف فما لبث ان جا اى ما
اقام حتى جا بعجل وان جا فى موضع نصب بوقوع لبث عليه كانه قال فما ابطا عن
مجيه بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفرا ويحتمل ان يكون موضعه
رفعا بان يجعل ان جا فاعل لبث فكانه قلت فما لبث مجيه بعجل والف يا ويلتا
يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل ان يكون يا الاضافه فانقلبت الفا ومعناه

الايذان

الايذان بورود الامر العظيم كما يقول العرب يا للدواهى اى تعالى فانه
من احيانك بحضور ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بها والاختيار فى
الكلام ان يوقف عليه بالها يا ويلتاه قال الزجاج فلا يخالف ولا يوقف عليه
فان اضطر واقف الى ان يقف وقف عليها بغيرها واما الهمزتان فى قوله االد
ففيها ثلثه اوجه ان شيت خففت الاولى وحققت الثانيه فقلت يا ويلتا االد
وان شيت حققت الاولى وخففت الثانيه وهو الاختيار فقلت الد وان شيت
خففتهما جميعا فقلت الد وله شيخا منصوب على الحال قال الزجاج الحال ههنا
نصبها من لطيف النحو وذلك انك اذا قلت هذا زيد قايما فان كنت تقصد ان تخبر
من لا يعرف زيدا انه زيد لم يجز ان يقول هذا زيد قايما لانه يكون زيدا ما دام
قايما واذا زال عن القيام ليس بزيد وانما يقول للذى يعرف زيدا هذا
زيد قايما فيعمل فى الحال التنبيه المعنى انبه لزيد فى حال قيامه او اشير لك الى
زيد فى حال قيامه لان هذا اشاره الى ما حضر وقال غيره ان شيت جعلت العامل
فيه معنى التنبيه وان شيت جعلت العامل معنى الاشاره وان شيت اعملت فيه
مجموعهما وكذى ما يجرى مجراه يقول هذا زيد مقبلا ولا يجوز مقبلا هذا زيد لان
العامل ليس بفعل محض فان قلت ها مقبلا زيد وجعلت العامل معنى الاشاره
لم يجز وان جعلت العامل معنى التنبيه جاز يجادلنا فى موضع نصب لانه حكاية حال
قد مضت والا فالجيد ان يقول لما قام قمت ويضعف ان يقول لما قام اقوم
وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفا لدلاله الكلام عليه ويكون تقديره قلنا
ان ابرهيم او ناديناه يا ابرهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره اخذ
يجادلنا واقبل يجادلنا ويجوز ان يكون لما كان شرطا للماضى وقع المستقبل
فيه فى معنى الماضى كما ان ان لما كانت شرطا للمستقبل وقع الماضى فيه فى معنى
المستقبل ثم ذكر سبحانه ولقد جاءت رسلنا يعنى الملايكة وانما دخلت
اللام لتاكيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصص الانبيا يتوقع قصه بعد قصه

وقد للتوقع فجاءت لتوذن ان السمع في حال توقع واختلف في عدد الرسل
فقيل كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا
اربعة عن ابي عبد الله ع والرابع اسمه كروبيل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك
وقيل احد عشر عن السدي وكانوا على صور الغلمان اتوا ابرهيم الخليل عليه السلم
بالبشرى اي بالبشارة باسحق ونبوته وانه يولد يعقوب عن الحسن والجبائي
وروي عن ابي جعفر ع ان هذه البشارة كانت باسمعيل من هاجر وقيل البشارة بهلاك
قوم لوط قالوا سلاما هذه حكاية ما قالت رسل الله تعالى لابراهيم ع اي سلمنا سلاما
بمعنى الدعاء له وقيل معناه اصبت سلاما اذا اعطاك الله سلاما اي سلامة كما يقال اهلا
ومرحبا وكان تحية من الملائكة لابرهيم ع السلم فقال ابرهيم مجيبا لهم سلام وقدم
تفسيره فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ان لم يتوقف حتى جاءهم جريا على عادته في اكرام الاضياف
وتقديم الطعام اليهم بعجل مشوي لانه توهم انهم اضياف لكونهم على صور البشر وكان
ابراهيم يحب الضيفان فجاء على احسن الوجوه اليه وصار لذلك من السنة ان يعجل
للضيفان الطعام وقيل ان معنى حنيذ نضيج بالحجارة المحماة في خد من الارض عن ابن عباس
ومجاهد وقتاده وقيل ان الحنيذ ما حفرت له في الارض ثم غممته وهو فعل اهل البادية
عن الفراء وقيل حنيذ مشوي يقطر ماء عن ابن عطيه فلما راى ابراهيم ايديهم اي ايدي
الملائكة لا تصل اليه الى العجل نكرهم اي انكرهم واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم خوفا
واختلف في سبب الخوف فقيل انه لما راهم شبانا اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا
يمتنعون من تناول طعامه لم يامن ان يكون ذلك لبلاء وذلك ان اهل ذلك
الزمان اذا اكل بعضهم طعاما بعض امنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال
تحرم فلان بطعامنا اي اثبت الحرمة بيننا باكله الطعام وقيل انه ظنهم لصوصا يريدون
به سوءا وقيل ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاءوا لامر عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف
ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى قالوا له لا تخف يا ابرهيم انا ارسلنا الى قوم
لوط بالعذاب والاهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فاحيا العجل الذي كان

ذبحه ابرهيم وشواه فطفر ودعى فعلم حينئذ انهم رسل الله وامراته سارة بنت
هاران ابن ناحور ابن ساروع بن قالع وهي ابنة عم ابرهيم قائمة في وراء الستر
تسمع كلام الرسل وكلام ابرهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خالته وقيل
كانت قائمة تخدم الرسل وابرهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة
تصلي وكان ابرهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامراته قائمة وهو جالس فضحكت
قيل هو الضحك المعروف الذي يعتري الانسان للفرح وقد يكون عند التعجب فضحكت
تعجبا من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قتاده وقيل تعجبا
من امتناعهم عن الاكل وخدمتها اياهم بنفسها ولهذا يقال وشر الشدائد ما يضحك
وقالت عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون من طعامنا
وقيل ضحكت لانها قالت لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه
سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت عن الزجاج
وقيل تعجبا وسرورا من البشارة باسحق لانها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان
وتسعين او تسع وتسعين سنه وكان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين
او مائة سنه وقيل مائة وعشرين سنه ولم يرزقهما ولدا في حال شبابهما وعلى
هذا فيكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره فبشرناها باسحق فضحكت بعد
البشارة وروي ذلك عن ابي جعفر ع فبشرناها باسحق اي بابن يسمى اسحق نبيا
ومن وراء اسحق يعقوب يعني من بعد اسحق يعقوب وقيل الوراء ولد الولد عن
ابن عباس اي فبشرناها بنبي بين نبيين وهو اسحق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت
بمعنى حاضت عن مجاهد وروي ذلك عن الصادق ع يقال ضحكت الارنب اي
حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض وفي لغة الحارث بن كعب ضحكت النخل اذا اخرجت
الطلع او البسر والضحك الطلع وانشد بعضهم والضحاك بمعنى الحيض قول الشاعر
وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا قال الفراء ولم اسمعه
من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكناية قال الكميت فاضحكه السباع سوى

سعد لقبلي ما دفن وما درينا قالت سارة يا ويلتى أألد وانا عجوز اي هذا شيء عجيب
ان الدوقد تعجب من تزوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى وانما قالت ذلك
لكونه خارقا للعادة كما ولى موسى ع مدبرا حين انقلبت العصا حية حتى قيل له اقبل
ولا تخف والا فهي كانت عارفة بان الله تعالى يقدر على ذلك ولم ترد بقولها يا
ويلتا الدعا على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على افواه النسا اذا طرى عليهن
ما يتعجبن منه وقيل انها لم تتعجب من قدرة الله ولكنها ارادت ان تعرف هل
تحول شابة ام تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب وهذا بعلي شيخا اي هذا الذي
بشرت به لشيء عجيب قالوا اي قالت الملائكة لها حين تعجبت من ان تلد بعد الكبر
اتعجبين من امر الله ومعنى الاستفهام ههنا التنبيه والتوقيف اي اتعجبين من ان
يفعل الله تعالى ذلك بك وبزوجك رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي ليس هذا
موضع تعجب لان التعجب ان يكون من الامر الذي لا يعرف سببه ونعمه الله تعالى وكثرة خيراته
النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخبارا عن ثبوت ذلك لهم وتذكيرا بنعمة
الله وبركاته عليكم ويحتمل ان يكون دعا لهم بالرحمة والبركة والملائكة فقالوا رحمة الله
وبركاته عليكم يا اهل البيت كما يقال اتعجب من كذا بارك الله فيك ويرحمك الله ويعني
اهل البيت اهل بيت ابرهيم ع وانما جعلت سارة من اهل بيته عليه السلم لانها كانت ابنة
عمه فلا دلالة في الاية على ان زوجة الرجل من اهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير
المؤمنين عليه السلام مر بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
ومغفرته ورضوانه فقال عليه السلم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لابينا ابرهيم
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه تعالى حميد اي محمود على افعاله وقيل الحميد الذي
يحمد عباده على الطاعات مجيد اي كريم وهو المبتدي بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه
واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت لجبرئيل ما آية ذلك فاخذ بيده
عودا يابسا فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر عن السدي فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي الخوف
والفزع الذي دخله من الرسل وجاءته البشرى بالولد يجادلنا في قوم لوط اي يجادل رسلنا

ويجادلهم

ويجادلهم في قوم لوط وتلك المجادلة انه قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين
اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد
قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله عن قتادة
وقيل انه جادلهم وقال باي شيء استحقوا عذاب الاستيصال وهل ذلك واقع لا محالة ام هو
تخويف ليرجعوا الى الطاعة وباي شيء يهلكون وكيف ينجي الله المؤمنين عن الجبائي وسمى
سوال مستقصي لذلك السوال جدالا لانه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض ان ابرهيم
لحليم اواه منيب معناه في سورة براءة منيب راجع الى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا
اشارة الى ان تلك المجادلة من ابرهيم عليه السلم لم تكن من باب ما يكره لانه مدحه بالحليم
وبان ذلك في من كان يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرافة وذلك انه راى الخلق الكثير
في النار فتأوه لهم يا ابرهيم اعرض عن هذا هو حكاية ما قالت الملائكة لابرهيم ع
فانها نادته بان قالت يا ابرهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدال في قوم لوط
والصرف عنه بالذكر والفكر انه قد جاء امر ربك بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة وانهم
آتيهم عذاب غير مردود يعني غير مدفوع اي لا يقدر احد على رده عنهم ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه
يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي
هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم
قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا
عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك
وما هي من الظالمين ببعيد سبع ايات بلا خلاف وتمام الاية السادسة
عند المدني الاخير قوله سجيل وعند الباقين قوله منضود القراءة في الشواذ

سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهر لكم
بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبة اواوي بالنصب والقراءة
العامة بالرفع وقرا اهل الحجاز فاسر باهلك وان اسر موصولة الهمزة والباقون
فاسر وان اسر بقطع الهمزة حيث كان وقرا ابن كثير وابو عمرو الا امراتك بالرفع والباقون
بالنصب الحجة اما قوله هن اطهر لكم فان سيبويه ضعف هذه القراءة وقال فيها احتبى
ابن مروان في لحنه قال ابن جني وانما قبح ذلك عنده لانه ذهب الى ان جعل هن فصلا
وليست بين احد الجزئين اللذين اما مبتدا وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا هو خيرا منك
وكان زيد هو العالم ويجوز ان يكون بناتي هن جملة من مبتدا وخبر في موضع الخبر
هؤلاء كقولهم زيد اخوك هو ويكون اطهر حالا من هن او من بناتي والعامل فيه معنى
الاشارة كقولك هذا زيد هو قائما ومن قرا اواوي بالنصب فيكون تقديره لو ان لي بكم
قوة او اويا الى ركن شديد ويكون منتصبا باضمار ان وعليه بيت الكتاب فلولا رجال
من رزام اعزة وال سبيع او اسوءك علقما والتقدير او ان اسوءك فكانه قال ومساءتي
اياك ومن قرا فاسر باهلك باثبات الهمزة فان سرى واسرى معناهما سار ليلا قال النابغة
اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد ويروى سرت وقال امرؤ القيس
سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان وقال سبحانه سبحان الذي اسرى
بعبده ومن قرا الا امراتك نصبا فانه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه فنصب مع النفي كما
ينصب مع الايجاب والوجه الاقيس الرفع على البدل من احد لان معنى ما اتاني احد الا زيد
واما اتاني الا زيد واحد فكما اتفقوا فيما اتاني الا زيد على الرفع وكان ما اتاني احد
الا زيد بمنزلته ومعناه اختاروا الرفع مع ذكر احد ومما يقوي ذلك انهم في الكلام واكثر
الاستعمال يقولون ما جاءني الا امراة فيذكرون حملا على المعنى ولا يكادون يؤنثون ذلك
الا في الشعر كما في قول الشاعر فما بقيت الا الضلوع الجراشع وكقول ذي الرمة وما بقيت الا
النحز والالواح والعصب وزعموا ان في حرف عبد الله اولى فاسر باهلك بقطع من الليل
الا امراتك وليس فيه ولا يلتفت منكم احد وهذا يقوي قول من نصب اصل نبي ٤٧

سوى بهم من السوء فاسكنت الواو وانقلبت كسرتها الى السين ويقال سوته فسيء كما يقال
شغلته فشغل وسررته فسر والفرق بين السوء والقبيح ان السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه
والقبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله ويقال ضاق فلان بامر ذرعا اذا لم يجد
من المكروه في ذلك الامر مخلصا والعصيب الشديد في الشر خاصة واصله من الشد
يقال عصبت الشيء اي شددته وعصبت فخذ الناقة لتدر وناقة عصوب ويوم
عصبصب كانه التف على الناس بالشر او يكون التف شره بعضه ببعض قال الشاعر
فانك ان لا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم في العراق عصيب قال عدي بن زيد
وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب قال الراجز يوم عصيب
يعصب الابطالا عصب القوي السلم الطوالا والاهراع الاسراع في المشي قال
مهلهل فجاؤا يهرعون وهم اسارى نقودهم على رغم الانوف وقال صاحب العين
الاهراع السوق الحثيث قال ابو مسلم والقرآن بالسوق اشبه والركن معتمد البناء
بعد الاساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز ياوي الى ركن من الاركان في صد
طس ومجد بان والشد مجمع يصعب معه التفكك وقد يكون الشد نقيضا
يعسر معه التحلل والقطع القطعة العظيمة تمضي من الليل وقيل نصف الليل كانه
قطع نصفين والالتفات افتعال من اللفت وهو اللي يقال لفت فلان عن رايه اي صرفه
وامراة لفوت لها ولد من غير زوجها فكانه تلتفت الى ولدها ومنه الحديث صفة النبي ص
انه كان اذا التفت التفت معا كان لا يلوي عنقه يمنة ويسرة السجيل فارسي معرب
اي سنك وكل حجارة وطين وقال ابو عبيدة هو الحجارة الشديدة وانشد لابن مقبل
ورجلة يضربون البيض عن عرض ضربا تواصى به الابطال سجينا وسجين وسجيل بمعنى
العرب تعاقب بين النون واللام فقلبت ههنا النون لاما وقيل انه مشتق من
اسجلته اي اعطيته فتقديره انها من مثل العطية في الادرار وقيل انه من السجل
وهو الدلو العظيم فتقديره انها من مثل السجيل في الارسال وقيل انه من اسجلته اذا
ارسلته فكانها مرسلة عليهم وقيل انه من السجل وهو الكتاب فكانها سجلت لهم والمراد

كتب الله عليهم ان يعذبهم بها والمنضود من نضدت الشيء بعضه على بعض
والتسويم من السيما وهي العلامة ومنه السائمة وهي المرسلة في المرعى وذلك
ان الابل السائمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السيما لتميزها
يهرعون اليه في موضع نصب على الحال من قبل ومن بعد مبنيان على الضم
فاذا اضيفا اعربا لو ان لي بكم قوة جواب لو محذوف يدل الكلام عليه
وتقديره لحلت بينكم وبينهم انه مصيبها ما اصابهم الها في انه ضمير الشان
والحديث مصيبها مبتدا وما اصابهم موصول وصله في موضع الرفع بكون
فاعل مصيبها وقد سد مسد خبر المبتدا من سجيل في موضع نصب بكونه صفه
اخرى لحجارة ويجوز ان يكون نصبا على الحال من الضمير المستكن في منضود
ثم اخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطا بعد خروجهم من عند ابرهيم
وما جرى بينهم وبين قوم لوط فقال ولما جاءت رسلنا لوطا اي لما جاءه
في صفة الادميين سيء بهم اي ساءه مجيئهم لانه خاف عليهم من قومه وضاق بهم
ذرعا يعني ضاق بمجيئهم ذرعه اي قلبه لما راى لهم من جمال الصورة وحسن البناء
وقد دعوه الى الضيافة وقومه كانوا يسارعون الى امثالهم بالفاحشة وقيل
معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلا الى حفظهم وكان
قد علم عادة قومه من الميل الى الذكور وقد اتوه في صورة الغلمان المرد
واصله ان الشيء اذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعير ضيق الذرع
عند تعذر الامكان كما استعير الاتساع وقال هذا يوم عصيب اي هائل
كثير الشر الملتف الشر بالشر وانما قال ذلك لانه لم يعلم انهم رسل الله وخاف
عليهم من قومه ان يفضحوهم وقال الصادق عليه السلام جاءت الملائكة
لوطا وهو في زراعة قرب القرية فسلموا عليه وراى هيئة حسنة عليهم ثياب
بيض وعمايم بيض فقال لهم المنزل فتقدمهم ومشوا خلفه فقال في نفسه اي
شيء صنعت اتي بهم قومي وانا اعرفهم فالتفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا

من خلق الله وكان قد قال الله لجبريل لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلث مرات
فقال جبريل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا
فقال جبريل ان هذه ثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال
انكم لتاتون شرارا من خلق الله فقال جبريل هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه
حتى دخل منزله فلما راتهم امراته رات هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت
لم يسمعوا فدخنت لما راوا الدخان اقبلوا يهرعون فذلك قوله وجاءه قومه
يهرعون اليه اي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة عن قتادة ومجاهد والسدي
وقيل معناه يساقون وليس هناك سائق غيرهم فكان بعضهم يسوق بعضا عن
ابي مسلم والها في اليه كناية عن لوط ومن قبل اي ومن قبل اتيان الملائكة
وقيل من قبل مجيء قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم الى داره عن الجبائي
وقيل من قبل بعثة لوط اليهم كانوا يعملون السيئات اي يعملون الفواحش مع
الذكور قال لوط يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم معناه ان لوطا لما هموا باضيافه
وجاهروا بذلك والقوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم نكاح بناته وقال هن احل لكم
من الرجال فدعاهم الى الحلال واختلف في ذلك فقيل اراد بناته لصلبه عن قتادة
وقيل اراد النساء من امته لانهن كالبنات له فان كل نبي ابو امته وازواجه امهاتهم عن
مجاهد وسعيد بن جبير واختلفوا ايضا في كيفية عرضهن فقيل بالتزويج وكان
يجوز في شرعه تزويج المؤمنة من الكافر وكذا كان ايضا في مبدا الاسلام وقد
زوج النبي ص بنته من ابي العاص ابن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل اراد
التزويج بشرط الايمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم
لكفرهم وقيل انه كان لهم سيدان مطاعان فيهم فاراد ان يزوجهما بنتيه زعورا
وريثا فاتقوا الله اي فاتقوا عقاب الله في مواقعة الذكور ولا تخزون في ضيفي
اي ولا تلزموني عارا ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تخجلوني بالهجوم على اضيافي فان
الضيف اذا نزل به معرة لحق عارها المضيف اليس منكم رجل رشيد اي اليس في جملتكم

رجل قد اصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم
ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اى يرشدكم الى الحق قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك
من حق هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم الى النكاح المباح اى ما لنا
فى بناتك من حاجه لان ما لا يكون للانسان فيه حاجه فانه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له
فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لانا لم نتزوجهن وكانوا يقولون
بان من لم يتزوج بامراه انه لا حق له فيها عن الجبائى وابن اسحق فالقول الاول محمول
على المعنى والقول الثانى على ظاهر اللفظ وانك لتعلم ما نريد اى تعلم ميلنا الى الغلمان
دون النسا فلما لم يقبلوا الموعظه تاسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بان قال
لو ان لى بكم قوة اى منعه وقدره وجماعه اتقوى بهم عليكم فادفعكم عن اضيافى او اوى
الى ركن شديد اى انضم الى عشيره تنصرنى وشيعه يمنعنى لمنعتكم ولكن لا يمكننى ان افعل
ذلك قال الصادق عليه السلم فقال جبريل لو يعلم اى قوه له قال فكابروه حتى دخلوا
البيت فصاح به جبريل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبريل باصبعه نحوهم
فذهبت اعينهم وهو قوله فطمسنا اعينهم قال قتاده ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا
بعد لوط الا فى عز من عشيرته ومنعه من قومه وروى عن النبى صلى الله عليه واله وسلم
انه قال رحم الله اخى لوطا كان ياوى الى ركن شديد وهو معونه الله تعالى ولما رات
الملئكة ما لقيه لوط انا رسل ربك ارسلنا لاهلاكهم فلا تغتم لن يصلوا اليك اى لن
ينالوك بسوء ابدا فاسر باهلك اى سر باهلك ليلا قال السدى لن يؤمن بلوط الا ابنتاه
بقطع من الليل اى فى ظلمه الليل عن ابن عباس وقيل بعد طايفه من الليل عن قتاده وقيل
فى نصف الليل عن الجبائى ولا يلتفت منكم احد قيل فى معناه وجوه احدها لا ينظر احد منكم
وراءه عن مجاهد كانهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعه فى هذه العباده والثانى لا يلتفت
احد منكم الى ماله ولا متاعه بالمدينه وليس يعنى يلتفت من الرويه عن الجبائى كانه
اراد ان فى النظر اليهم عبره فلم ينهوا عنها والثالث ان معناه ولا يتخلف منكم احد عن ابن عباس
والرابع انه امرهم ان لا يلتفتوا اذا سمعوا الوجبه والهده الا امراتك وقيل انها التفتت

حين سمعت الوجبه وقالت يا قوماه فاصابها حجر فقتلها وقيل معناه الا امراتك
لا تسر بها انه مصيبها ما اصابهم اى يصيبها من العذاب ما اصابهم امروا ان يخلفوها
فى المدينه ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب لما اخبر الملائكة لوطا بانهم
يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعه لضيق صدره بهم وشده غيظه
عليهم فقالوا ان موعد اهلاكهم الصبح لم يجعل الصبح ظرفا فجعله خبر ان لان
الموعد هو الصبح وانما قالوا له اليس الصبح بقريب تسليه له وقيل انه قال
اهلكوهم الساعة فقالوا ذلك وفى هذا دلاله على ان الله سبحانه انما يهلك من
يهلكه عند انقضا مدته وان ضاق صدر الغير ويجوز ان يكون قد جعل
الصبح ميقات اهلاكهم لان النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع فلما جا امرنا
فيه اقوال احدها جا امرنا الملئكه باهلاك قوم لوط الثانى جا العذاب كانه
قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر فقالت له العينان سمعا
وطاعه وحدرتا كالدر لما يثقب وعلى هذا فالامر هو نفس العذاب والثالث
جا امرنا بالعذاب وجعلنا عاليها سافلها اى قلبنا القريه اسفلها اعلاها
فان الله تعالى امر جبريل فادخل جناحه تحت الارض فرفعها حتى سمع اهل السما
صياح الديكه ونباح الكلاب قلبها ثم خسف بهم الارض فهم يتخلخلون فيها
الى يوم القيمه فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بامرنا وانما اضافه الى نفسه
لانه امر به وامطرنا عليها حجارة اى وامطرنا على القريه اى على الغايبين من اهلها
حجاره عن الجبائى وقيل امطرت الحجاره على تلك القريه حين رفعها جبريل وقيل
انما امطر عليهم الحجاره بعد ان قلبت قريتهم لتغليظ العقوبه وقيل كانت
اربع مداين وهى المؤتفكات سدوم وعامورا ودادوما وصبوايم واعظمها
سدوم وكان لوط يسكنها قال ابو عبيده يقال مطر فى الرحمه وامطر فى العذاب
من سجيل اى سنك وكل عن ابن عباس وسعيد بن جبير بين ذلك صلابتها
ومباينتها للبرد وانها ليست من جنس ما جرت به عادتهم فى سقوط البرد من الغيوم

وقيل ان السجيل الطين عن قتاده وعكرمه ويوبده قوله لنرسل عليهم حجارة
من طين وروى عن عكرمه ايضا انه بحر معلق في الهوا بين الارض والسما
منه انزلت منه الحجارة وقال الضحاك هو الاجر وقال الفرا هو طين وقد طبخ
حتى صار بمنزله الارحا وقال كان اصل الحجارة طينا فشددت عن الحسن وقيل
ان السجيل اسم للسماء الدنيا عن ابن زيد وكانت تلك الحجارة بمنزله من السماء
الدنيا منضود هو من صفه سجيل اي نضد بعضه على بعض حتى صار حجرا عن الربيع
وقيل مصفوف في تتابع اي كان بعضها في جنب بعض عن قتاده وقيل يتبع
بعضها بعضا عن ابن عباس مسومه هي من صفه الحجارة اي معلمه جعل منها
علامات تدل على انها معده للعذاب وقيل مطوقة بها نضح من حمرة عن قتاده
وعكرمه وقيل كان مكتوبا على كل حجر منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سيما
لا تشاكل حجارة الارض عن ابن جريج وقيل مختومه عن الحسن وقيل مشهورة عند
ربك اي في علم ربك وقيل في خزاين ربك التي لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها
احد الا بامره وما هي من الظالمين ببعيد اي وما تلك الحجارة من الظالمين من
امتك يا محمد ببعيد اراد بذلك ارهاب قريش وقال قتاده ما اجار الله منها
ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم
لوط يريد انها لم تكن تخطيهم وذكر ان حجرا بقي معلقا بين السما والارض اربعين
يوما يتوقف به رجل من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فاصابه قال
قتاده وكانوا اربعة الاف الف والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اريكم بخير
واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك

لانت

النصف

لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم
شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما
قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم
ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا
رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على
مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب
وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه
برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم
يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود اثنتا عشرة اية القراءة قرا اهل
الكوفة غير ابي بكر اصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون اصلواتك
بالواو على الجمع وفي الشواذ قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين الحجة اما بعد
فيكون في الخير والشر ومصدره البعد وبعد في الشر خاصه ومصدره البعد
ومنه ابعده الله فانه منقول من بعد لانه دعا عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل
مع مصدره وانما السوال عن قراءة الجماعة الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وطريق
ذلك ان يكون البعد بمعنى اللعنه ويكون ابعده الله بمعنى لعنه الله ومن قوله
دعز به القطا ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين اي المبعد فالابعاد
للشيء بفصله فقد التقى معنى بعد مع معنى بعد من هنا اللغة الوزن تعديل الشيء
بغيره في الخفة والثقل باله التعديل واذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض
والتوفيق من الصواب الا انه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده
وليس ذلك حسنا بعينه وانما هو بحسب ما يعلم الله تعالى وانما لم يكن الموفق للطا عة

في ان من قوله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ويجوز ان يكون ان التي
ينصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر المعنى ثم عطف سبحانه قصة شعيب
على ما تقدمها من قصص الانبياء عليه السلام فقال والى مدين اى وارسلنا الى اهل
مدين اخاهم شعيبا فحذف اهل واقام مدين مقامه ومدين اسم القبيلة او المدينة
التي كانوا فيها فلذلك لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدين ابن ابرهيم نسبوا اليه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق ذكر تفسيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان اى لا تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن اني اريكم
بخير اى برخص السعر والخصب عن ابن عباس والحسن والمعنى انه حذرهم الغلاء وهو زيادة
السعر وزوال النعمة وحلول النقمة ان لم يتوبوا وقيل اراد بالخير المال وزينة الدنيا
عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى اني اريكم في كثرة الاموال وسعة الارزاق
فلا حاجة لكم الى نقصان الكيل والوزن واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط وصف
اليوم بالاحاطة بمعنى ان يحيطه عذابه بجميع الكفار ولا يفلت منه احد منهم واراد بيوم
القيمة عن الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لان اليوم محيط بعذابه بدلا
من احاطته بنعيمه وذلك اظهر في الوصف واهول في النفس ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان بالقسط اى اوفوا حقوق الناس في المكيلات والموزونات بالمكيال
والميزان بالعدل ولا تبخسوا اى لا تنقصوا الناس اشياءهم اى اموالهم في معاملاتهم
ولا تعثوا في الارض مفسدين اى لا تعثوا بالفساد ولا تضطربوا به في الارض بقية الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين البقية بمعنى الباقي اى ما ابقى الله لكم من الحلال بعد اتمام الكيل
والوزن خير من البخس والتطفيف وشرط الايمان في كونه خيرا لهم لانهم ان كانوا مؤمنين
بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس وقيل معناه ابقاء الله النعيم عليكم خير لكم
مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جرير وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا
لانها يبقى ثوابها ابدا والدنيا تفنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات الصالحات
خير عند ربك الاية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري وما انا عليكم بحفيظ اى ما انا

الا الله تعالى لان احدا لا يعلم ما يتفق عند الطاعة من غير تعليم سواه سبحانه و
الشقاق والمشاقة المباعدة بالعداوة الى جانب المباينة وشقها والفقه فهم
الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علما لضرب من علوم الدين وهو علم
مدلول الدلايل السمعية واصول الدين علم مدلول الدلايل العقلية والرهط
عشيرة الرجل وقومه واصله الشدة والترهيط شدة الاكل ومنه الراهطاء
جحر اليربوع لشدته وتوسعه ليخبى فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والاعز
الاقوى الامنع والاعز نقيض الاذل والظهري جعل الشيء وراء الظهر حتى ينساه
ويقال لكل من لا يعبأ بامر قد جعل فلان هذا الامر بظهر قال تميم ابن قيس
لا يكون حاجته بظهر فلا يعبأ على جوابها الاعراب وان يفعل موضع ان نصب
على معنى او نامرك ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما
نعبد اباونا والتقدير اصلوتك تأمرك ان نترك عبادة ابائنا وفعل ما نشاء
في اموالنا ولا يجوز ان يكون قوله ان نفعل معطوفا على قوله ان نترك
لان المعنى يصير فاسدا واو هنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن او ابن سيرين
وقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ولم يقل به وموضع من في قوله
من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له وجهان من الاعراب احدهما ان يكون
معلقا بقوله تعلمون فيكون استفهاما وتقديره فسوف تعلمون من
المخزي ومن الكاذب ويجوز ان يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي
هو كاذب ويكون معطوفا على الهاء من يخزيه اى ويخزي الذي هو كاذب
والثاني ان يكون من في قوله من ياتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب
عطفا عليه وادخلوا هو في قوله من هو كاذب لانهم لا يقولون من قايم
ولا من قاعد وانما يقولون من قام ومن يقوم ومن القايم وقد ورد ذلك
في الشعر قال الشاعر من شارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار
كان لم يغنوا فيها يحتمل ان يكون كان مخففة من الثقيلة على ان تضمر فيها كما يضمر

بحافظ نعم الله عليكم ان يزيلها عنكم وانما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته
وقيل معناه ما انا بحافظ لاعمالكم وانما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه
ما انا بحافظ عليكم كيلكم ووزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي
ان انهاكم عنه قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا انما
قالوا ذلك لان شعيبا عم كان كثير الصلوة وكان يقول ان الصلوة رادعة عن
الشر ناهيه عن الفحشا والمنكر فقالوا اصلوتك التى تزعم انها تامر بالخير وتنهى عن
الشر امرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه ادينك يامرك بترك دين السلف عن الحسن
وعطا وابى مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلوة لانها من اجل امور الدين وانما قالوا
ذلك على وجه الاستهزا او ان نفعل فى اموالنا ما نشا معناه اصلوتك تامرك
بترك عبادة ما يعبد اباونا او بترك فعل ما نشا فى اموالنا من البخس والتطفيف
انك لانت الحليم الرشيد قيل انهم قالوا ذلك على وجه التهزؤ والتهكم وارادوا به
ضد ذلك اى السفيه الغاوى عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اى انك
الحليم فى قومك فلا يليق بك ان تخالفهم والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة
مستحقها والرشيد المرشد قال شعيب يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى
سبق تفسيره ورزقنى منه رزقا حسنا قيل ان الرزق الحسن ههنا النبوة وقيل
معناه هدانى لدينه ووسع على رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة
من الله سبحانه فهو رزق حسن وفى الكلام حذف اى فاعدل مع ذلك عما انا
عليه من عبادته وانما حذف لدلالة ما ابقاه على ما القاه وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه اى لست انهاكم عن شئ وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختار
لنفسى ومعنى ما اخالفكم اليه اى ما اقصد بخلافكم اى ارتكابه عن الزجاج
وهذا فى معنى قول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
وقيل معناه وما اريد احراز منفعة الى نفسى بما انهاكم عنه اى لا امركم بترك التطفيف
فى الكيل والوزن لتكون منفعة ما يحصل بالتطفيف لى ان اريد الا الاصلاح اى لست

اريد بما امركم به وانهاكم عنه الا اصلاح اموركم فى دينكم ودنياكم ما استطعت
اى ما قدرت عليه ويمكن منه وما توفيقى الا بالله ومعناه وليس توفيقى
فى امتثال ما امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه الا بالله فلا يوفق غيره اى ليس
ما افعله بحولى وقوتى بل بمعونة الله ولطفه وتيسيره عليه توكلت والتوكل
على الله الرضا بتدبيره مع تفويض الامور اليه والتمسك بطاعته واليه انيب
اى اليه ارجع فى المعاد عن مجاهد وقيل اليه ارجع بعملى ونيتى عن الحسن ومعناه
اى اعمل اعمالى كلها لوجه الله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى اى لا يكسبنكم خلافى
ومعاداتى ان يصيبكم عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا تحملنكم
عداوتى على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما اصاب من قبلكم عن الحسن
وكان سبب هذه العداوة دعاوة لهم الى مخالفة الاباء والاجداد فى عبادة
الاوثان وما يثقل عليهم من الايفا فى الكيل والوزن مثل ما اصاب قوم
نوح من الهلاك بالغرق او قوم هود بالريح العقيم او قوم صالح بالرجفة
وما قوم لوط منكم ببعيد اى هم قريب منكم فى الزمان الذى بينه وبينكم
عن قتاده وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب ان تتعظوا بهم
فاستغفروا ربكم ثم توبوا اليه اى اطلبوا المغفرة من الله ثم توصلوا اليها
بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضى واعزموا للمستقبل وقيل استغفروا
ثم دوموا على التوبة وقيل استغفروا فى العلانية ثم اضمروا الندام فى القلب
عن الماضى ان ربى رحيم بعباده فيقبل توبتهم ويعفوا عن معاصيهم ودود
اى محب لهم ومعناه مريد لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة انعامه
عليهم وقيل ودود بمعنى الواد اى يودهم اذا اطاعوه وروى عن النبى صم
انه قال كان شعيب خطيب الانبيا قالوا اى قال قوم شعيب له حين سمعوا
منه الوعظ والتخويف يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اى ما نفهم عنك معنى
كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك اذا امرك

انا ان شيء اي تريد ان تفعله لا اعلم بالقول وانت تعلم ذلك اي لا افعله وانما
قالوا ذلك بعد ما الزمهم الحجه وانا لنريك فينا ضعيفا اي ضعيف البدن عن الجبائي
وقيل ضعيف البصر عن سفين وقيل اعمى وكان شعيب اعمى عن قتاده وسعيد بن جبير
قال الزجاج وحمير تسمي المكفوف ضعيفا وهذا كما قيل ضرير اي قد ضر بذهاب بصره
وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لان قوله فينا يرده الا ترى انه لو قيل
انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى يكون اعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفا
اي مهينا عن الحسن واختلف في ان النبي هل يجوز ان يكون اعمى فقيل لا يجوز لان ذلك
ينفر وقيل يجوز ان يكون فيه ينفر ويكون بمنزله ساير العلل والامراض ولولا رهطك
عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجاره وقيل معناه لشتمناك وسببناك وما انت علينا
بعزيز اي لم نترك قتلك لعزتك علينا ولكن لاجل قومك قال الحسن وكان شعيب في
عز من قومه وكان من اشرافهم وما بعث نبي بعد لوط الا في قومه قال شعيب يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله اي عشيرتي وقومي اعظم حرمه عندكم من الله فتركون اذاي
لاجل عشيرتي ولا تكونه لله الذي بعثني اليكم واتخذتموه وراءكم ظهريا اي واتخذتم
الله وراء ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عايده على الله عن ابن عباس والحسن وقيل الهاء
عايده الى ما جاء به شعيب عن مجاهد والمعنى ونبذتم ما ارسلت به اليكم وراء ظهوركم
وقيل الهاء عايده الى امر الله عن الزجاج اي نبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه ان ربي
بما تعملون محيط اي محص لاعمالكم لا يفوته شيء منها وقيل معناه خبير باعمالكم فيجازيكم بها
عن الحسن ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي اعملوا على حالكم هذه والمكانه الحال التي يتمكن
بها صاحبها من عمل وهذا تهديد في صوره الامر وتقديره كانكم امرتكم بان تكونوا
على هذه الحال من الكفر والطغيان وفيه هذا نهاية الخزي والهوان وقيل معناه اعملوا
على ما يمكنكم اي اعملوا انتم ما تقولون واعمل انا على ما اقول وقيل معناه اعملوا على ما انتم
عليه من دينكم ونحوه قوله لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلاله على انه ايس من قومه اني عامل
على ما امرني ربي وقيل اي عامل على ما انا عليه من الانذار سوف تعلمون اينا المخطئ الجاني

على نفسه وقيل معناه فسوف يبين لكم وتعلمون في عاقبه الامر من ياتيه عذاب
يخزيه اي يهينه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره ومن هو كاذب يجزى
بعذاب الله فيخزى وارتقبوا اني معكم رقيب اي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب
اني معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللعنه
وانا انتظر الرحمه والثواب والنصر عن ابن عباس وقيل معنى انتظروا مواعد
الشيطان وانا انتظر مواعد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام
انه قال ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت قول العبد الصالح وارتقبوا
اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا مضى
تفسيره واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل صيحه فماتوا فاصبحوا
في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها مضى تفسيره فقيل الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود اي بعدا وامن رحمة الله بعدا كما بعدت ثمود وقيل الا هلاكا لهم كما هلكت
ثمود وتقديره الا اهلكهم الله فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز ان يكون ضربا
من العذاب اهلكهم واصطلمهم بقول العرب صاح الزمان بهم اذا هلكوا
وقال امرؤ القيس فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديث ما حديث الرواحل
ومعنى صيح في حجراته ذهب واهلك قالوا وانما شبه حالهم بحال ثمود خاصة
لانهم اهلكوا بالصيحه كما اهلكت ثمود مثل ذلك مع الرجفه ولقد ارسلنا
موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون
وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمه فاوردهم النار وبئس
الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود
ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد وما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء
لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة

ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ثم الى ايات اللغه
يقال قدمت القوم اقدمهم قدما اذا مشيت امامهم واتبعوك الازهري قد يقدم
ويقدمه وقدم واقدم واستقدم بمعنى والورد وورود الما والماء الذي يورد
والابل الوارده والجمع اوراد والايراد ايجاب الورد الى الما وما يقوم مقامه قال
الشاعر يرد المياه حظيره ونفيظه ورد القطا اذا اسمال التبع وقال لبيد فوردنا
قبل فراط القطا ان من وردي لعليس النهل واصل الورد الاشراف على الدخول
وليس بالدخول قال عنتره فلما وردنا الما زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم والرفد
العون على الامر يقال رفده يرفده رفدا ورفدا بفتح الرا وكسرها قال الزجاج
كل شي واسندت به شيا فقد رفدته به يقال عمدت الحايط واسندته وارفدته
ورفدته بمعنى واحد ويقال رفده وارفده اذا اعطاه والاسم الرفد لان العطي
عون المعطى والحصيد بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الماصل وهذا زمن
الحصاد بفتح الحا وكسرها ويقال حصدهم بالسيف اذا قتلهم وتتبيب من تبت يداه
اي خسرت قال جرير عرابه من بقيه قوم لوط الا تبا لما فعلوا تبابا والفرق بين
العذاب والالم ان العذاب استمرار الالم قال عبيد والمرء ما عاش في تكذيب طول
الحيوة له تعذيب ثم عطف سبحانه بقصه موسى عليه السلم على ما تقدم
من قصص الانبياء فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي بحججنا ومعجزاتنا الداله
على نبوته وسلطان مبين اي وحجه ظاهره مخلصه من تلبيس وتمويه على اتم ما يكون
فيه والسلطان وان كان في معنى الايات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها
والسلطان حجه من جهه القوه العظيمه على المبطل وكل عالم له حجه يقهر بها شبهه
من نازعه من اهل الباطل فله سلطان وقد قيل ان سلطان الحجه انفذ من سلطان
المملكه والسلطان متى كان محقا حجه وجب اتباعه واذا كان بخلافه لا يجب
اتباعه قال الزجاج السلطان انما سمي سلطانا لانه حجه الله في ارضه واشتقاقه
من السليط الذي يستضاء به الى فرعون وملائه اي قومه وقيل اشراف قومه

الذين تملا الصدور هيبتهم فاتبعوا امر فرعون وتركوا امر الله تعالى وما امر
فرعون برشيد اي مرشد ومعناه ما هو بهاد لهم الى رشد ولا قايد الى خير فامر
فرعون كان على ضد هذه الحال لانه داع الى الشر وصاد عن الخير وفي هذا دلاله
على ان لفظه الامر مشترك بين القول والفعل فان المراد هنا وما فعل فرعون
برشيد يقدم قومه يوم القيمه يعني ان فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيمه
على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما يقدمهم في الدنيا يدعوهم الى طريق النار وانما
قال فاوردهم على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لان ما عطفه عليه من قوله يقدم
قومه يوم القيمه يدل عليه عن الجبائي وقيل انه معطوف على قوله فاتبعوا
امر فرعون وبئس الورد المورود اي بئس الما الذي يردونه عطاشا لاحيا
نفوسهم النار وانما اطلق سبحانه على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد
عليه اهل الجنة من الانهار والعيون وقيل معناه بئس المدخل المدخول فيه النار
وقيل بئس الشي الذي يرده النار وقيل بئس النصيب المقسوم لهم النار وانما اطلق
لفظ بئس وان كان مدركا حسنا لما فيه من البوس والشر واتبعوا في هذه الدنيا
لعنه وهي الغرق ويوم القيمه يعني ولعنه يوم القيمه وهي عذاب الاخره وقيل
معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنه بابعادهم عن الرحمة واتبعهم الانبيا والمومنون
بالدعا عليهم باللعنه ويتبعهم الله اللعنه في القيمة حتى لا تفارقهم اللعنه حيث
كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم بئس الرفد المرفود اي بئس العطا المعطى النار
واللعنه وانما سماه رفدا لانه في مقابله ما يعطى اهل الجنة من انواع النعيم وقال قتاده
ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنه الدنيا ولعنه الاخره وسال نافع ابن ازرق
ابن عباس عن قوله بئس الرفد المرفود فقال هو اللعنه بعد اللعنه وقال الضحاك
اللعنتان اللتان اصابتهم رفدت احدهما الاخرى ذلك اي ذلك النبا من انبا القرى
اي من اخبار البلاد نقصه عليك اي نذكره لك ونخبرك به تذكرة وتسليه لك يا محمد
منها قايم وحصيد اي من تلك الديار معمور وخراب قد اتى عليه الاهلاك ولم يعمر

فيما بعد وقيل منها قايم على بنائه لم يذهب اصلا وان كان خاليا من اهله وحصيد
قد خرب وذهب واندرس اثره كالشئ المحصود عن قتاده وابي مسلم وقيل منها قايم
ينظرون اليها وحصيد قد هلك وباد اهله عن ابن عباس وما ظلمناهم باهلاكهم
ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم اي اوثانهم التي يدعون من دون الله
من شئ لما جاء امر ربك اي عذاب ربك وقيل امر ربك باهلاكهم وما زادوهم
غير تتبيب اي غير تخسير عن مجاهد وقتاده والمعنى لم يزيدوهم غير الهلاك والخسران
وانما اضاف الهلاك الى الاصنام لانها السبب في ذلك ولولم يعبدوها لم يهلكوا
وانما قال يدعون من دون الله لانهم كانوا يسمونها الهه ويطلبون الحوايج منها
كما يطلبها الموحدون من الله وكذلك اخذ ربك اي وكما ذكر من اهلاك الامم واخذهم
بالعذاب اخذ ربك اذا اخذ القرى اي اخذ اهلها وهو ان ينقلهم الى العقوبة والهلاك
وهي ظالمه من صفة القرى وهو في حقيقة لاهلها وسكانها ونحو وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله يمهل الظالم حتى
اذا اخذه لم يفلته ثم قرا هذه الايه ان اخذه اليم شديد معناه وان اخذ الله سبحانه
الظالم مولم ان في ذلك لايه اي ان فيما قصصنا عليك من هلاك من ذكرناه
على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبره وتبصره وعلامه عظيمه لمن خاف عذاب
الاخره اي لمن خشي عقوبة الله يوم القيمه وخص الخايف بذلك لانه هو الذي
ينتفع به بالتدبر والتفكر فيه ذلك يوم مجموع له الناس اي يجمع فيه الناس كلهم
الاولون والاخرون منهم للجزاء والحساب والهاء في له راجعه الى اليوم وذلك يوم
مشهود اي يشهده الخلايق كلهم من الجن والانس واهل السما واهل الارض اي يحضره
ولا يوصف بهذه الصفه يوم سواه وفي هذا دلاله على اثبات المعاد وحشر الخلق وما
نوخره الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي
وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها
مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد

واما

واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ خمس ايات القراءة قرا يعقوب ويا بو خزيمه
بالياء والباقون بالنون وقرا يوم يات بغير ياء ابن عامر واهل الكوفه غير
الكسائي والباقون ياتي باثبات الياء وقرا اهل الكوفه غير ابي بكر سعدوا
بضم السين والباقون سعدوا بالفتح الحجه من قرا يوخره بالياء فانه رده الى قوله
اخذ ربك ومن قرا بالنون فانه ابتدا والياء في المعنى كالنون وقوله يوم يات
قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم ياتي وهذيل تحذف هذه الياات
كثيرا وقد حكى سيبويه والخليل ان العرب يقول لا ادر فيحذف الياء ويجزي
بالكسرة الا انهم يزعمون ان ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي من اثبت الياء
في الوصل والوقف فهو القياس البين واما من حذفها في الوقف اذا قال يوم
يات فانها وان لم يكن في فاصله امكن ان يشبهها بالفاصله لان هذه الياء
تشبه الحركات المحذوفه في الوصل بدلاله انهم حذفوها كما حذفوا الحركه فكما
ان الحركه تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان في حكمها
فاما من حذفها في الوصل والوقف فلانه جعلها في الوصل والوقف بمنزله
ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يك ولا ادر
ومثله قول الشاعر كفاك كف لا يليق درهما جودا واخرى يعط بالسيف الدما
حذف الياء من يعطي وليس ههنا ما يوجب حذفها واما قوله سعدوا فقد قال
ابو علي حكى سيبويه سعد يسعد سعاده فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متعد كما
ان خلافه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان ضم السين مشكلا الا
ان يكون سمع فيه لغه خارجه عن القياس او يكون من باب فعل وفعلته نحو
غاض الماء وغضته وحزن وحزنته ولعلهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود
واستدل على سعد ولا دلاله قاطعه في ذلك لانه يجوز ان يكون مثل اجنه الله
فهو مجنون واحبه فهو محبوب فالمفعول جاء في هذا على انه حذفت الزياده منه

كما حذف من اسم الفاعل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقح يعني ملاقح فحاطي
حذف الزياده فعلى هذا يكون اصله اسعد فحذف الزايد ومن الحذف قول
الشاعر تخرج من جوار ليل غاض بريد معوض اللغه الشقا والشقاوه بمعنى
واليا في شقي منقلبه عن واو والسعاده ضد الشقاوه والزفير اول نهاق الحمار
والشهيق اخر نهاقه قال روبه حشرج في الجوف صهيلا او شهق حتى يقال ناهق
وما نهق والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى الضلوع واصل الزفير
الشده من قولهم للشديد الخلق مزفور والزفر الحمل على الظهر خاصه لشدته
والزفر السيد لانه يطيق حمل الشدايد وزفرت النار اذا سمع لها صوت من شده
توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس واصله الطول
المفرط من قولهم جبل شاهق والخلود الكون في الامر ابدا والدوام البقا ابدا
ولهذا يوصف سبحانه بانه دايم ولا يوصف بانه خالد والجذ القطع يقال جذه
يجذه وجذ الله دابرهم قال النابغة تجذ السلوقي المضاعف نسجه وتوقدن
بالصفاح نار الحباحب ويقال جذها جذ العير الصليانه وهي بيت الاعراب
يوم ياتي لا يخلو ان يكون فاعل ياتي ضمير اليوم المضاف الى ياتي واليوم
المتقدم ذكره فلا يجوز ان يكون فاعله ضمير اليوم الذي اضيف الى ياتي لانك
لا تقول جيتك يوم يسرك بمعنى يوم سرورك اياك ويكون الها عايدا الى يوم
فيصير اليوم مضافا الى الفعل المسند الى ضميره وانما يعرف الفعل فيه بالفاعل
فيكون كانك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قولك هذا يوم حرم ويوم
برده والها لليوم وهذا غير جايز وكذلك لا يجوز ان يضف الظرف الى جملة
معرفه بضمير وان كانت من مبتدا او خبر مثل ان يقول اتيتك يوم صحوته
بارده او ليله او لها مطير فان نونت فقلت اتيتك يوما صحوته باردة او ليله
او لها مطير جاز لانه خرج بالتنوين عن حد الاضافه وهذا قول ابي عثمان المازني
واذ قد بينت ذلك فقد ثبت ان في ياتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ذلك

يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود اي يوم ياتي هذا اليوم الذي تقدم
ذكره لا تكلم نفس فاليوم في قوله يوم ياتي يراد به الحين والبرهه وليس على وضح النهار
وقوله لا تكلم نفس الا باذنه يجوز ان يكون هذه الجمله حالا من الضمير في ياتي ويجوز
ان يكون صفه ليوم المضاف الى ياتي لان يوم مضاف الى ياتي والفعل نكره فلا يتعرف
يوم بالاضافه فجاز ان يوصف بالجمله كما توصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس
فحذف فيه او حذف الحرف واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذي
هو صفه كما تحذف من الصله ومثل ذلك قولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت واذا
جعلته حالا من الضمير في ياتي وجب ان يقدر فيه ايضا ضميرا يعود الى ذي
الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول ابي علي واقول ان الاظهر ان قوله يوم
ياتي ظرف لقوله لا تكلم نفس الا باذنه ومعمول له وهذا الوجه لا يحتاج فيه الى
تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرهما فيكون اولى وانما يضاف يوم
الى الفعل لانه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث انه لا يخلو منه وانما
يتصرف بتصرفه وانه لا يكون حادثا الا وقتا كما ان الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم
اي لا يتكلم فحذف احدى التايين كما في قول الشاعر والعين ساكنه على اطلايها
عوذا تاجل بالفضا بهامها اي تتاجل وعطا منصوب بما دل الكلام عليه فكانه
قال اعطاهم النعيم عطا المعنى ثم اخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيمه
فقال وما نوخره اي ما نوخر هذا اليوم الا لاجل معدود وهو اجل قد عده الله
تعالى لعلمه بان صلاح الخلق في ادامه التكليف عليهم الى ذلك الوقت وفيه انه م
الى قدر لان ما يدخل تحت العد فكان قد نفد وانما قال لاجل لان اللام تدل
على الغرض وان الحكمه اقتضت تاخيره والى لا تدل على ذلك يوم ياتي اي حين
ياتي القيمه والجزا لا تكلم نفس الا باذنه اي لا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى وامره
ومعناه الا يتكلم فيه الا بالكلام الحسن الماذون فيه لان الخلق ملجون هناك
الى ترك القبايح فلا يقع منهم فعل القبيح واما ما هو غير قبيح فانه ماذون فيه عن

الجباى والاظهر ان يقال معناه الا يتكلم احد فى الاخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة
الا باذنه فان قيل كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن
لهم فيعتذرون وقوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان على ان سبحانه
قال فى موضع اخر وقفوهم انهم مسئولون وهل هذا الا ظاهر التناقض فالجواب
ان يوم القيمة يشتمل على مواقف قد اذن لهم فى الكلام فى بعض تلك المواقف
ولم يوذن لهم فى الكلام فى بعضها عن الحسن وقيل ان معنا قوله لا ينطقون
بحجة وانما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم
الذنوب على بعض وهذا كما يقول القايل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة
ما تكلمت بشئ ولا نطقت بشئ فسمى من يتكلم بما لا حجة له فيه غير متكلم كما قال
سبحانه صم بكم عمى وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويبصرون الا انهم فى انهم
لا يقبلون الحق ولا يتاملون بمنزلة الصم البكم العمى وكلا الوجهين واما قوله
فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فمعناه انهم لا يسالون عن ذنوبهم
للتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وانما يسالون سوال توبيخ وتقريع
وتقرير لايجاب الحجة عليهم كما فى قوله وقفوهم انهم مسئولون فاثبت سبحانه
سوال التقريع فى اية ونفى سوال التعرف والاستعلام فى اخرى فلا تناقض
وقوله فمنهم شقى وسعيد اخبار منه سبحانه بانهم قسمان اشقيا وهم المستحقون
للعقاب وسعدا وهم المستحقون للثواب والشقاوة اسباب البلاء والسعادة قوة اسباب
النعمة والشقى من شقى بسوء عمله فى معصية الله والسعيد من سعد بحسن عمله فى طاعة الله
والضمير فى قوله فمنهم يعود الى الناس فى قوله ذلك يوم مجموع له الناس وقيل
انه يعود الى نفس فى قوله لا تكلم نفس الا باذنه لان النفس اسم الجنس وقيل فاما
الذين شقوا ففى النار يعنى ان الذين شقوا باستحقاقهم العقاب جزاء على اعمالهم
القبيحة داخلون فى النار وانما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لانهم
على حال يوديهم الى دخولها واما ما روى عن النبى صلى الله عليه واله وسلم

انه قال الشقى من شقى فى بطن امه فان المراد بذلك ان المعلوم من حاله انه
سيشقى بارتكاب القبايح التى يوديه الى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم انه يتيم
بمعنى انه سيتيم لهم فيها زفير وشهيق قال الزجاج الزفير والشهيق فى اصوات المكروبين
المحزونين والزفير من شديد الانين وقبيحه بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق
الانين الشديد المرتفع جدا بمنزلة اخر صوت الحمار وعن ابن عباس قال يريد ندما
ويقينا عاليا وبكاء لا ينقطع خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
اختلف العلما فى تاويل هذا فى الاثنين وهما من المواضع المشكلة فى القران و
الاشكال فيه من وجهين احدهما تحديد الخلود بدوام السموات والارض والاخر معنى
الاستثنا بقوله الا ما شاء ربك فالاول فيه اقوال احدها ان المراد ما دامت السموات
والارض مبدلتين اى ما دامت سما الاخرة وارضها وهما لا يفنيان اذا اعيدا بعد
الافنا عن الضحاك والجباى وثانيها ان المراد ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما
وكل ما علاك فاظلك فهو سما وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض وهذا
مثل الاول او قريب منه وثالثها ان المراد ما دامت الاخرة وهى دايمة ابدا
كما ان دوام السما والارض فى الدنيا قدر مدة بقائها عن الحسن ورابعها انه
لا يراد بالسما والارض بعينها بل المراد التبعيد فان للعرب الفاظا للتبعيد
فى معنى التابيد يقولون لا افعل كذا ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء
والارض وما اخضر النبت وما اطت الابل وما اختلف الجرة والدرة وما ذر شارق
وفى اشباه ذلك كثرة ظنا منهم ان هذه الاشيا لا تتغير ويريدون بذلك التابيد
لا التقريب فخاطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون
قال عمرو بن معدى كرب وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان وقال
زهير الا لا ارى على الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا والا السماء والنجوم
وربنا وايامنا معدوده واللياليا لانه توهم ان هذه الاشيا لا تفنى وتخلد
واما الكلام فى الاستثنا فقد اختلف فيه اقوال العلما على وجوه احدها انه

استثنا في الزيادة من العذاب لاهل النار والزيادة من النعيم لاهل الجنة و
التقدير الا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي
عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكهما وقت كذا فالالفان زيادة
على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعن
ابن عيسى وجماعة وعلى هذا فيكون الا بمعنى سوى اي سوى ما شاء ربك كما يقال
ما كان معنا رجل الا زيد اي سوى زيد وثانيها ان الاستثنا وقع على مقامهم
في الحشر والحساب لانهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي
هو ما بين الموت والحيوة لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن يظن
ظان انهم يكونون في النار والجنة من لدن نزول الاية او من بعد انقطاع
التكليف فحصل للاستثنا فايدة عن المازني وغيره واختاره البلخي فان قيل
كيف يستثنى من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز
اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها وثالثها ان الاستثنا الاول يتصل بقوله
لهم فيها زفير وشهيق وتقديره الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن
هذين الضربين ولا يتعلق الاستثنا بالخلود وفي اهل الجنة يتصل بما دل عليه
الكلام فكانه قال لهم فيها نعيم الا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما دل عليه
قوله عطاء غير مجذوذ عن الزجاج ورابعها ان يكون الا بمعنى الواو اي وما شاء
ربك من الزيادة عن الفرا واستشهد على ذلك بقول الشاعر وارى لها دارا باغدرة
السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم قال والمراد
بالا الواو ههنا والا كان الكلام متناقضا وهذا القول قد ضعفه محققوا النحويين
وخامسها ان المراد بالذين شقوا من دخل النار من اهل التوحيد الذين ظلموا
الى ايمانهم ارتكاب المعاصي فقال سبحانه انهم معاقبون في النار الا ما شاء
ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ان يريد بالذين
شقوا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات

منهم

منهم ممن قد استحق الثواب ولا بد ان يوصل اليه وتقديره الا ما شاء ربك ان
يخرجه بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما بمعنى من قال سبحانه سبح
لله ما في السموات والارض وقالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبحت له
واما في اهل الجنة فهو استثنا من خلودهم ايضا لما ذكرناه لان من ينقل الى الجنة
من النار وخلد فيها لا بد في الاخبار عنه بتأبيد خلوده ايضا من استثنا ما تقدم
فكانه قال خالدين فيها الا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم في النار
قبل ان ينقلهم الى الجنة فما في قوله ما شاء ربك ههنا على زمان والاستثنا
من الزمان والاستثنا في الاول من الاعيان والذين شقوا على هذا القول هم
الذين سعدوا باعيانهم وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق به فاذا
ادخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من اهل الشقا واذا انقلوا منها الى الجنة فهم من اهل
السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وابي سعيد الخدري وقتادة
والسدي والضحاك جماعة من المفسرين روى ابو روق عن الضحاك عن ابن
عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون
النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقيا
في حال سعدا في حال اخرى وقال قتادة الله اعلم بثنياه ذكر لنا ان ناسا يصيبهم
سفع من النار بذنوبهم ثم دخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجهنميين وهم
الذين انفذ فيهم الوعيد ثم اخرجوا بالشفاعة قال وحدثنا انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال يخرج قوم من النار قال ولا
نقول ما يقوله اهل حروراء وهذا القول هو المختار المعول عليه وسادسها
ان تعليق ذلك بالمشية على سبيل التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى
لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به فكانه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لانه
لا يشاء ان يخرجهم منها وسابعها ما قاله الحسن ان الله سبحانه استثنى
ثم عزم بقوله ان ربك فعال لما يريد انه اراد ان يخلدهم وقريب منه

ماقاله الزجاج وغيره انه استثنا يستثنيه العرب وتفعله كما تقول والله لاضربن زيدا الا ان ارى غير ذلك وانت عازم على ضربه والمعنى في الاستثنا على هذا لو اشئت ان لا اضربه لفعلت وثامنها ماقاله يحيى بن سلام البصري انه يعني بقوله الا ما شاء ربك ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قال ان الزمر تدخل بعد الزمر فلا بد ان يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثنا ان على هذا من الزمان وتاسعها ان المعنى انهم خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم في القبور ما دامت السموات والارض في الدنيا واذا فنيتا وعدمتا انقطع عقابهم الى ان يبعثهم الله للحساب وقوله الا ما شاء ربك استثنا وقع على ما يكون في الاخرة اورده الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من اصحابنا في التفسير وعاشرها ان المراد الا ما شاء ربك ان يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثنا لاهل التوحيد عن ابي مجلز قال هي جزاؤهم وان شا سبحانه تجاوز عنهم والاستثنا على هذا يكون من الاعيان واما الذين سعدوا اي سعدوا بطاعات الله وانتهائهم عن المعاصي ففي الجنة اي يكونون في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة دوام السماوات والارض الا ما شاء ربك يأتي فيه جميع ما ذكرناه في الاستثنا من الخلود في النار الا ما مضى ذكره من جواز اخراج بعض الاشقيا من النار والوعيد لهم واخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فان ذلك لا يأتي هاهنا لاجماع الامة على ان من استحق الثواب فلا بد ان يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم

انه بما يعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير اربع ايات القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وان كلا لما بتشديد النون والميم وقرا اهل البصرة والكسائي وخلف وان كلا بتشديد النون لما بتخفيف الميم وقرا نافع وابن كثير وان كلا خفيفة النون لما خفيفة الميم وقرا ابو بكر عن عاصم وان كلا خفيفة النون لما مشددة الميم وفي الشواذ قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لما بالتنوين وقراءة ابن مسعود وان كل بالرفع الا ليوفينهم الحجة قال ابو علي من قرا وان كلا لما بتشديد ان وتخفيف لما فوجهه بين وهو انه نصب كلا بان وان يقتضي ان يدخل على خبرها واسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الابتدا على الخبر في قوله لما وقد دخلت في الخبر لام اخرى وهي التي يتلقى بها القسم وتختص بالدخول على الفعل ويلزمها في اكثر الامر احدى النونين فلما اجتمعت اللامان واتفقتا في تلقي القسم واتفقتا في اللفظ فصل بينهما بما كما فصلوا بين ان واللام فدخلت ما لهذا المعنى وان كانت زائدة للفصل كما جلبت النون وان كانت زائدة في نحو فاما ترين من البشر احدا وكما صارت عوضا من الفعل في قولهم اما لا بالامالة وفي قوله ابا خراشة اما انت ذا نفر فان قومي لم ياكلهم الضبع ويلي هذا الوجه في البيان قول من خفف ان ونصب كلا وخفف لما قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول ان عمرا لمنطلق قال واهل المدينة يقراون وان كلا لما جميع لدينا محضرون يخففون وينصبون كما قالوا كان ثديه حقان ووجه النصب بها مع التخفيف من القياس ان ان مشبهة في نصبها بالفعل والفعل يعمل محذوفا كما يعمل غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد منطلقا فلا تك في مرية وكذلك لا ادر فاما من خفف ان ونصب كلا وثقل لما فقراءته مشكلة وذلك ان ان اذا نصب بها وان كانت مخففة كانت بمنزلتها مثقلة ولما اذا شددت كانت بمنزلة الا وكذلك قراه

من شدد لما ونقل ان مشكله وذلك ان اذا ثقلت واذا خففت ونصب
بها فهي في معنى الثقيله فكما لا يحسن تثقيل ان زيدا لا منطلق كذلك لا يحسن تثقيل
ان وتثقيل لما فاما مجي لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت والا فعلت فقال
الخليل الوجه لتفعلن كما يقول اقسمت عليك لتفعلن واما دخول الا ولما فلان
المعنى الطلب فكانه اراد ما اسالك الا فعل كذا فلم يذكر حرف المنفى في اللفظ
وان كان مرادا كما جا في قولهم شر اهر ذا ناب اى ما اهره الا شر وليس في الايه
معنى نفي ولا طلب فان قال قايل لمن ما فادغم النون في الميم بعد ما قلبها ميما
فان ذلك لا يسوغ الا ترى ان الحرف المدغم اذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك
لم يقوا الادغام فيه على ان تحرك الساكن الذى قبل الحرف المدغم فاذا لم يجز ذلك
فيه وكان تغيرا اسهل من الحذف فان لا يجوز الحذف الذى هو اذهب التغير
من تحريك الساكن اجدر على ان في هذه السورة ميمات اجتمعت في الادغام اكثر
مما كان يجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شي وذلك قوله وعلى امم ممن معك
فاذا لم يحذف شي من هذا فان لا يحذف ثم اجدر وقد روى انه قد
قرى وان كلا لما منونا كما قال وياكلون التراث اكلا لما فوصف بالمصدر
فان قال ان لما حمن في الوصل فيمن نقل انما هو لما هذه وقف عليها بالالف
ثم اجرى في الوصل مجرى الوقف فذلك مما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه
ابين من هذا الوجه وقد حكى عن الكساى انه قال لا اعرف وجه التثقيل في لما
ولم يبعد فيما قال ولو خفف مخففا ان ورفع كلا بعدها لجاز تثقيل لما مع ذلك
على ان يكون المعنى ما كل الا ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وان كل ذلك
لما متاع الحيوة الدنيا ولكان ذلك ابين من النصب في كل والتثقيل للما وينبغي
ان يقدر المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته الى
معرفة فيمتنع ان يكون لما وصفا له ولا يجوز ان يكون حالا لانه لا شي في الكلام
عاملا في الحال هذا كله كلام ابي على وقال غيره في معنى لما بالتشديد اربعة اوجه

احدها

احدها قول الفرا انها بمعنى لمن ما فحذفت احدى الميمات الثلاثه على ما تقدم
ذكره وانشد الفرا فاني لما اصدر الامر وجهه اذا هو اعيا بالسبيل مصادره والثاني
انما بمعنى الا كقولهم سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت عن الزجاج وقال الفرا هذا
لا يجوز الا في اليمين كما قاله ابو على والثالث انها مخففه شددت للتاكيد
عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لانه انما يجوز تخفيف المشدد عند الضروره
فاما تشديد المخفف فلا يجوز بحال والرابع انها من لممت الشي اى جمعته الا
انها بنيت على فعلى فلم تصرف مثل تترى فكانه قال وان كلا جميعا ليوفينهم
ويدل عليه قراه الزهرى لما بالتنوين وقال ابن جني تقديره هذا وان كلا جميعا
ليوفينهم ربك اعمالهم لما اى توفيه جامعة لاعمالهم جميعا ومحصلة لاعمالهم تحصيلا
فهو كقوله قياما لا قومن وذكر الشيخ على ابن ابى الطيب رحمه الله عليه فيه وجها
اخر فقال ههنا محذوف وتقديره وان كلا لما عملوا ليوفينهم ربك اعمالهم
والحذف في الكلام كثير قال الشاعر اذا قلت سيروا ان ليلى لعلها جرى دون
ليلى مايل القران اعصب والمراد لعلها تلقاني او يصلني او نحو هذا فهذا وجه
خامس فاما اذا خففت ان فانتصاب كلا مع حمل ان على النفي مشكل وقد ذكر فيه
ان يكون التقدير وانهم الا ليوفينهم كلا او انهم اعنى كلا الا ليوفينهم وهذان
الوجهان مرغوب عنهما وعلى الجملة فان تشديد الميم من لما مع تشديد ان
وتخفيفه مشكل عند المحققين اذ لا يتاتى في لما هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى
الا ولا يعرف لها معنى سوى هذه ومن قرا وان كل الا ليوفينهم فمعناه ما كل
الا والله ليوفينهم كقولك ما زيد الا لاضربنه اى ما زيد الا مستحق لان يقال
فيه هذا ويجوز ان يكون ان مخففه من الثقيله والا زايده كما في قول الشاعر ارى
الدهر الا منجنونا باهله وما طالب الحاجات الا معللا اى ارى الدهر منجنونا
باهله وعلى ذلك تاول بيت ذى الرمه حراجيج ما تنفك الا مناخه على الخسف
او نرمي بها بلدا قفرا اى ما تنفك مناخه والا زايده اللغه المريه بكسر الميم وضمها

الشك مع ظهور الدلالة للتهمة وهو ماخوذ من مرى ضرع الناقة ليدر بعد
دروره والنصيب الحظ وهو القسم المجعول له ومنه انصباء الورثة والاختلاف
ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الآخر وهو على وجهين اختلاف النقيضين
فهذا لا يجوز ان يصحا معا فان احدهما مبطل لصاحبه والاخر اختلاف الجنسين
كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة فهذا يجوز ان يصحا والاستقامة الاستمرار
في جهة واحدة وان لا يعدل يمينا ولا شمالا والطغيان تجاوز المقدار في الفساد
الاعراب ومن تاب موصول وصلته في موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن
في استقم ويجوز ان يكون معطوفا على من امرت ويكون التقدير في الاول استقم
انت ومن تاب معك وفي الثاني كما امرت انت ومن تاب معك يجوز ان يكون
من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولا معه المعنى فلا تك في مرية اي في شك
مما يعبد هؤلاء من دون الله تعالى انه باطل وانهم يصيرون بعبادتهم الى عذاب
النار ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل يعني ما يعبدون غير الله تعالى
الا على جهة التقليد كما كان اباؤهم كذلك وانا لموفوهم نصيبهم اي انا
لمعطوهم جزاء اعمالهم وعقاب اعمالهم وافيا غير منقوص عن مقدار ما استحقوه
ابهم سبحانه بهذا القول عن العفو وقيل معناه انا نعطيهم ما يستحقونه
من العقاب بعد ان نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد ولقد
اتينا اعطينا موسى الكتاب يعني التورية فاختلف فيه يريد ان قوما اختلفوا
فيه اي في صحة الكتاب الذي انزل عليه فاراد بذلك تسلية النبي صلى الله
عليه واله عن تكذيب قومه اياه وجحدهم للقران المنزل عليه فبين ان قوم
موسى كذلك فعلوا بموسى فلا تحزن لذلك ولا تغتم له ولولا كلمة سبقت
من ربك اي لولا اخبار الله السابق بانه يوخر الجزاء الى يوم القيامة لما علم
في ذلك من المصلحة لقضي بينهم اي لعجل الثواب والعقاب لاهله وقيل
معناه الفصل الامر على التمام بين المؤمنين والكافرين بنجاة هؤلاء وهلاك

اولئك

اولئك وانهم لفي شك منه مريب يعني ان الكافرين بنجاة هؤلاء وهلاك
لفي شك من وعد الله ووعيده مريب والريب اقوى الشك وقيل معناه ان قوم
موسى لفي شك من نبوته وان كلا من الجاحدين والمخالفين وقيل ان كلا من الفريقين
المصدق والمكذب جميعا ليوفينهم ربك اعمالهم اي يعطيهم ربك جزاء اعمالهم
وافيا تاما ان خيرا فخير وان شرا فشر انه بما يعملون خبير يعني انه عليم باعمالكم
وبما استحققتم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شيء من ذلك فاستقم يا محمد كما امرت اي
استقم على الوعظ والانذار والتمسك بالطاعة والامر بها والدعاء اليها والاستقامة هو
هو اداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه كما امرت في القران ومن تاب معك
اي وليستقم من تاب معك من الشرك كما امروا عن ابن عباس وقيل معناه ومن رجع
الى الله والى نبيه فليستقم ايضا اي وليستقم المؤمنون وقيل استقم انت على الاداء
وليستقيموا على القبول ولا تطغوا اي لا تجاوزوا امر الله بالزيادة او النقصان فتخرجوا
عن حد الاستقامة وقيل معناه لا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة وقيل
معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه انه بما تعملون بصير اي عليم باعمالكم لا يخفى
عليه منها خافية وروى الواحدي باسناده عن ابرهيم ابن ادهم عن مالك بن
دينار عن ابي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ثم
كان الاثنان احب اليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن عباس
ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله اية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الاية ولذلك
قال لاصحابه حين قالوا اسرع اليك الشيب يا رسول الله قال شيبتني سورة هود
والواقعة النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما قص علينا الامم واهلاكهم
بكفرهم اخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وانه يوفيهم جزاء اعمالهم وقيل
انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الامم على انبيائهم تكذيبا لهم بين في هذه الاية ان خلاف
هؤلاء كخلاف اولئك خلاف كفر لا خلاف اجتهاد عن ابي مسلم وكذلك اتصال الاية

الثانيه فانه بين فيها ان تكذيب هؤلاء الكفار بالذى اتيناك تكذيب اولئك
بالكتاب الذى اتيناه موسى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة طرفى النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيأت ذلك ذكرى
للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون
من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا
منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون خمس ايات القراءة قرا ابو جعفر
وزلفا بضم اللام والباقون بفتح اللام الحجة من قرا زلفا بفتح اللام فانه
جمع زلفة وهى المنزلة قال العجاج ناج طواه الاين مما وجفا طى الليالى زلفا فزلفا
ومن قرا بضم اللام فانه واحد مثل الحلم وجائز ان يكون جمعا على زليف من الليل فيكون
مثل قريب وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح اجود فى الجمع وما علمت ان زليفا
يستعمل فى الليل وهو منصوب على الظرف اللغة الركون الى الشىء هو السكون
اليه بالمحبة له والانصات اليه ونقيضه النفور عنه والصبر حبس النفس
عن الخروج الى ما لا يجوز من ترك الحق وضده الجزع قال فان تصبرا فالصبر خير
مغبة وان تجزعا فالامر ما ترياب وهو ماخوذ من الصبر المر لانه مرارة الحق
بحبس النفس عن الخروج الى المشتهى ومما يعين على الصبر شيئان احدهما العلم
بما يعقب من الخير فى كل وجه وعادة النفس له والثانى استشعار ما فى لزوم
الحق من العز والاخر بطاعة الله والبقيه ما يبقى من الشىء بعد ذهاب غيره وهو اسم
من الابقاء ويقال فى فلان بقية اى فضل مما يمدح به وخير كانه قيل بقية
خير من الخير الماضى واترفوا اى عودوا الترفه بالنعيم واللذة وذلك ان الترف
عادة النعمة قال الهذلى رؤس المترفين الصداد الى امير المؤمنين الممتاد اى المتوسع
وانما قيل للمتنعم مترف لانه مطلق له لا يمنع من تنعمه الاعراب فتمسكم نصب لانه

جواب النهى بالفا وتقديره لا يكن منكم ركون الى الظالمين فمس النار اياكم
ثم لا تنصرون اى ارتفع تنصرون على الاستيناف طرفى النهار منصوب على
الظرف وزلفا معطوف عليه الا قليلا استثنا منقطع بمعنى لكن عن الزجاج
تقديره لكن قليلا ممن انجيناهم نهوا عن الفساد المعنى ثم نهى الله سبحانه عن
المداهنة فى الدين والميل الى الظالمين فقال ولا تركنوا الى الذين ظلموا اى لا
تميلوا الى المشركين من شىء من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تداهنوا الظلمة عن
السدى وابن زيد وقيل ان الركون الى الظالمين المنهى عنه هو الدخول معهم
فى ظلمهم واظهار الرضا بفعلهم واظهار موالاتهم فاما الدخول عليهم او مخالطتهم
ومعاشرتهم دفعا لشرهم فجائز عن القاضى وقريب منه ما روى عنهم عليهم السلم
ان الركون المودة والنصيحة والطاعة فتمسكم النار اى فتصيبكم عذاب النار
وما لكم من دون الله من اوليا اى ما لكم سواه من انصار يدفعون عنكم عذاب
الله وفى هذا بيان انهم متى خالفوا هذا النهى وسكنوا الى الظالمين نالتهم النار
ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبتهم على ذلك ثم لا تنصرون اى لا
تنصرون فى الدنيا على اعدائكم لان نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين
واقم الصلاة اى ادها واتى باعمالها على وجه التمام فى ركوعها وسجودها
وساير فروضها وقيل معناه اعملها على استوا وقيل ادم على فعلها طرفى النهار
وزلفا من الليل قيل اراد بطرفى النهار صلوة الفجر والمغرب وبزلف من الليل
صلوة العشا الاخرة والزلف اول ساعات الليل عن ابن عباس وابن زيد قالوا
وترك ذكر الظهر والعصر لاحد امرين اما لظهورهما فى انهما صلوة النهار فكانه
قال اقم الصلوة طرفى النهار مع المعروف من صلوة النهار واما لانهما مذكورات
على التبع للطرف الاخير لانهما بعد الزوال فهما اقرب اليه وقد قال سبحانه اقم
الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها وهذا القول
هو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وقيل صلوة طرفى النهار الغداة والظهر

والعصر وصلوة زلفا لليل المغرب والعشا الاخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد
والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحرف قالوا لان طرف الشي من الشي وصلوة
المغرب ليست من النهار قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
المغرب والعشا زلفا الليل وقيل اراد بطرفي النهار صلوة الفجر وصلوة العصر
ان الحسنات يذهبن السيات وقيل معناه ان الصلوات الخمس يكفر ما بينها
من الذنوب لانه عرف الحسنات بالالف واللام وقد تقدم ذكره الصلوة
عن ابن عباس واكثر المفسرين وروى الواحدي باسناده عن حماد بن سلمه
عن علي ابن زيد عن ابي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فاخذ غصنا يابسا
منها فهزه حتى تحات ورقه ثم قال يا ابا عثمان الا تسئلني لم افعل هذا قلت ولم تفعله
قال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وانا معه تحت شجرة فاخذ منها غصنا يابسا
فهزه حتى تحات ورقه ثم قال الا تسئلني يا سلمان لم افعل هذا قلت ولم تفعله قال ان المسلم اذا توضا
فاحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطاياه كما تحات هذا الورق ثم قرا هذه الآية
واقم الصلوة طرفي النهار الى اخرها وباسناده عن ابي امامه قال بينا رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم في المسجد ونحن قعود معه اذ جاء رجل فقال يا رسول الله اني اصبت
حدا فاقمه علي فقال هل شهدت الصلوة معنا قال نعم يا رسول الله قال فان الله قد غفر لك
حدك او قال ذنبك وباسناده عن الحرث عن علي ابن ابي طالب عليه السلم قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في المسجد ننتظر الصلوة فقام رجل فقال
يا رسول الله اني اصبت ذنبا فاعرض عنه فلما قضى النبي صلى الله عليه واله وسلم
الصلوة قام الرجل فاعاد القول فقال النبي صلى الله عليه وآله اليس قد صليت معنا هذه الصلوة
واحسنت لها الطهور قال بلى قال فانها كفارة ذنبك وروى اصحابنا عن ابن
محبوب عن ابرهيم الكرخي قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلم اذ دخل عليه
رجل من اهل المدينه فقال له من اين جيت ثم قال ليقول جيتك من هيهنا وهيهنا
لغير معاش بطلبه ولا لعمل آخرة انظر بما ذا تقطع يومك وليلتك واعلم ان معك

ملكا كريما موكلا بك يحفظ عليك ما تصنع ويطلع على سرك الذي تخفيه
من الناس فاستحيي ولا تحقرن سيئة فانها ستسوءك يوما ولا تحقرن حسنه
وان صغرت عندك وقلت في عينك فانها ستسرك يوما واعلم انه ليس
شي اضر عاقبه ولا اسرع ندامة من الخطيئة وانه ليس شي اشد ولا اسرع دركا
للخطيئة من الحسنة اما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله
فتجذبه وتسقط وتذهب به بعد ثباته وذلك قوله سبحانه ان الحسنات
يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين ورووا عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت
احدهما ع يقول ان عليا ع اقبل على الناس فقال اي آية في كتاب الله ارجا
عندكم فقال بعضهم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك الآية
فقال حسنه وليست اياها وقال بعضهم ومن يعمل سوء او يظلم نفسه الآية فقال
حسنه وليست اياها وقال بعضهم يا عبادي الذين اسرفوا الآية قال حسنه وليست اياها قال وقال
بعضهم الذين اذا فعلوا فاحشة الآية قال حسنه وليست اياها قال ثم احجم الناس
فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شي قال سمعت حبيبي
رسول الله ص يقول ارجى آية في كتاب الله اقم الصلوة طرفي النهار وقرا الآية كلها
يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا ان احدكم ليقوم في وضوءه فتساقط عن جوارحه
الذنوب فاذا استقبل الله بوجهه وقلبه ثم ينفتل وعليه من ذنوبه شي كما ولدته
امه فان اصاب شيا بين الصلوتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس
ثم قال يا علي انما منزلة الصلوات الخمس لامتي كنهر جار على باب احدكم فما يظن احدكم
لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات اكان يبقى في جسده درن
فكذلك والله الصلوات الخمس لامتي وقيل ان الحسنات يذهبن السيات معناه ان الدوام
على فعل الحسنات تدعوا الى ترك السيات فكانها يذهب بها وقيل ان المراد بالحسنات
التوبه فانها تذهب السيات بان تسقط عقابها لانه لا خلاف في ان العقاب يسقط
عند التوبه ذلك ذكرى للذاكرين يعني ما ذكره من ان الحسنات تذهب السيات فيه تذكار

وموعظه لمن يذكر به ويفكر فيه واصبر قيل معناه واصبر على الصلوة كما قال وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين اى المصلين عن ابن عباس وقيل
معناه اصبر يا محمد على اذى قومك وتكذيبهم اياك وعلى القيام بما افترضه عليك وعلى
اداء الواجبات والامتناع عن المقبحات فان الله لا يهمل جزاء المحسنين على احسانهم
ولا يبطله بل يكافيهم عليه اكمل الثواب فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية
اى هلا كان والا كان ومعناه النفى وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم
قوم باقون ينهون عن الفساد فى الارض اى كان يجب ان يكون منكم بهذه
الصفه مع انعام الله تعالى عليهم بكمال العقل وبعثه الرسل اليهم واقامه الحجج
لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم فى الفساد نحو عاد
وثمود والقرون التى عددها القرآن واخبر بهلاكها اى ان العجب منهم كيف لم يكن من جملتهم
بقيه فى الارض يامرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر وكيف اجتمعوا على الكفر حتى
استاصلهم الله بالعذاب وانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم او قيل اولوا بقيه
معناه ذووا دين وخير وقيل معناه ذوو بركة وقيل ذوو تميز وطاعة الا قليلا ممن
انجينا منهم المعنى ان قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الانبياء والصالحون
الذين امنوا مع الرسل فانجيناهم من العذاب الذى نزل بقومهم وانما جعلوا هذا
الاستثنا منقطعا لانه ايجاب لم يتقدم فيه صيغه النفى وانما تقدم تحضيض خرج
مخرج السوال ولو رفع لجاز فى الكلام واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اى
واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم وايثار اللذات على امور الاخرة واشتغلوا
بذلك عن الطاعات وكانوا اى وكان هؤلاء المتمتعون البطرون مجرمين
مصرين على الجرم وفى الايه دلاله على وجوب النهى عن المنكر لانه سبحانه ذمهم
بترك النهى عن الفساد واخبر بانه انجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك ونبه على انه
لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم اخبر سبحانه انه لا يهلك بلادا بالكفر والفساد
فقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وذكر فى تاويله وجوه

احدها

احدها ان المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن انما يهلكهم
بظلمهم لانفسهم كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئا وثانيها ان معناه لا يواخذهم
بظلم واحد مع ان اكثرهم مصلحون ولكن اذا عم الفساد وظلم الاكثرون عذبهم
وثالثها انه لا يهلكهم بشركهم وظلمهم لانفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اى
ليس من سبيل الكفار اذا قصدوا الحق فى المعامله ان يهلكهم الله بالعذاب
عن ابن عباس فى روايه عطا والواو فى قوله واهلها واو الحال وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال واهلها مصلحون ينصف بعضهم بعضا النظم وجه اتصال قوله فلولا
كان من القرون من قبلكم الايه بما قبلها انه تعالى لما ذكر اهلاك الامم الماضيه
والقرون الخاليه عقب ذلك بانهم اتوا فى اهلاكهم من قبل نفوسهم ولو كان
فيهم مؤمنون يامرون بالصلاح وينهون عن الفساد لما استاصلناهم رحمه
منا ولكنهم لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستيصال ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم
وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص
عليك من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون
وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر
كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون . اربع ايات فى كوفى
بصرى ست ايات عند غيرهم والخلاف فى لا يزالون مختلفين وانا عاملون القرائة
قرا يرجع الامر بضم اليا وفتح الجيم نافع وحفص والباقون يرجع بفتح اليا وكسر الجيم
وقرا عما تعملون بالتا ههنا وفى اخر النمل اهل المدينه والشام ويعقوب وحفص
الباقون باليا الحجه من ضم اليا من يرجع فلقوله ثم ردوا الى الله موليهم الحق
والمعنى رد امرهم الى الله ومن فتح اليا فلقوله والامر يومئذ لله والمعنيان
يتقاربان ومن قرا بالتا فى تعملون جعل الخطاب للنبى وامته وهو اعم فاين

ومن قرا بالتا وجهه الى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد
اللغه القصص الخبر عن الامور بما يتلو بعضه بعضا لانه من قصه يقصه اذا اتبع
اثره لانه يتبع اثر من يخبر عنه النبا الخبر بما فيه عظيم الشان يقولون لهذا الامر
نبا والتثبيت تمكين اقامة الشي من الثبوت يقال ثبته بتمكينه وثبته بتمكينه
وثبته بالدلالة على ثبوته وثبته بالخبر عن وجوده والفواد القلب ماخوذ من
المفتاد وهو المشتوى قال كان خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه
عند مفتاد والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها وله مكانة عند السلطان
اي جاه وقدر والانتظار طلب الادراك لما ياتي من الامر لانه من النظر والفرق
بين الانتظار والترجي للخير خاصة والانتظار في الخير والشر **الاعراب** الا من رحم
ربك قال الزجاج هو استثنا على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك
فانه غير مختلف وقوله لاملان جواب القسم وتقديره يمينا لاملان كما تقول
حلفي لاضربنك وبدا لي لاضربنك وكل فعل كان تاويله كتاويل بلغني او قيل
لي او انتهى الي فان اللام وان يصلحان فيه فتقول بدا لي لاضربنك وبدا لي ان
اضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك ان يملا جهنم كان صوابا وكلا نقص عليك
نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل انه نصب على الحال
فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويجوز ان يكون نصبا على
انه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج اليه نقص عليك ويكون ما نثبت
به فوادك بدلا منه قاله الزجاج وقوله انا عاملون انه منتظرون لو دخلت
الفا فقال فانا لافادان الثاني لاجل الاول وحيث لم يدخل لم يفد ذلك **المعنى**
ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي على
ملة واحدة ودين واحد فيكونوا مسلمين صالحين عن قتاده وذلك بان يلجيهم
الى الاسلام بان يخلق في قلوبهم العلم بانهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه لكن
ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لان الغرض به استحقاق الثواب

والالجاء

والالجاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشاء الله ذلك ولكنه شاء ان يؤمنوا
باختيارهم ليستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة
على سبيل التفضل لكنه اختار لهم اعلى الدرجتين فكلفهم ليستحقوا الثواب عن ابي مسلم
وقيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم ولا يزالون مختلفين في الاديان
من يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وقتاده وعطا والاعمش
والحسن في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى عنه انهم مختلفون
في الارزاق والاحوال وتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضا
في الكفر تقليدا من غير نظر فان قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا
سواء كما ان قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا سواء عن ابي مسلم
الا من رحم ربك من المومنين فانهم لا يختلفون ويجتمعون على الحق عن ابن
عباس والمعنى ولا يزالون مختلفين بالباطل الا من رحمهم الله بفعل اللطف
لهم الذين يومنون عنده ويستحقون به الثواب فان من هذه صورته
ناج من الاختلاف بالباطل ولذلك خلقهم اختلف في معناه فقيل يريد وللرحمة
خلقهم عن ابن عباس وقتاده والضحاك وهذا هو الصحيح وعرض على ذلك
بان قيل لو اراد ذلك لقال ولتلك خلقهم لان الرحمة مونثة وهذا باطل لان
تانيث الرحمة غير حقيقي واذا ذكر فعلى معنى الفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا
رحمة من ربي وان رحمة الله قريب ومثله قول امرء القيس برهرهة رودة رخصة
كخرعوبة البانة المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال قامت تبكيه
على قبره من لي من بعدك يا عامر تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر
ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقالت الخنسا فذلك يا هند الرزية
فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها ارادت الرزء وفي امثال ذلك كثرة على
ان قوله الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان يرحم فلا يمتنع
ان يكون المراد ولان يرحم خلقهم وقيل ان المعنى وللاختلاف خلقهم واللام

لام العاقبة يريد ان الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تؤول الى الاختلاف المذموم كما قال
ولقد ذرانا لجهنم عن الحسن وعطا ومالك ولا يجوز على هذا ان يكون اللام للغرض
لانه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم اذ لو اراد ذلك منهم لكانوا
مطيعين له في ذلك الاختلاف لان الطاعة حقيقتها موافقة الارادة والامر
ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا واما اذا حملت معنى الاختلاف على ما قال
ابو مسلم فيجوز ان يكون اللام للغرض وقيل ان ذلك اشارة الى اجتماعهم على
الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد
هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال المرتضى قدس الله روحه
قد قال قوم ان معنى الآية ولو شاء ربك ان يدخل الناس باجمعهم الجنة
فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة لفعل واجرى هذه الآية مجرى
قوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها في انه اراد هدايتها الى طريق الجنة فعلى هذا
التاويل يمكن ان يكون لفظة ذلك اشارة الى ادخالهم اجمعين الجنة لانه تعالى انما
خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها وتمت كلمة ربك اي وصل وعيده ووعده
الذي لا خلف به بتمامه الى عباده وقيل تمت كلمة ربك صدقا بان وقع مخبرها
على ما اخبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى
حكم ربك عن الحسن لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين بكفرهم وكلا اي
وكل القصص نقص عليك من انباء الرسل اي من اخبارهم ما نثبت به فوادك
اي ما نقوي به قلبك ونطيب به نفسك ونزيدك به ثباتا على ما انت عليه
من الانذار والصبر على اذى قومك الكفار وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتاده وقيل في هذه الانباء
عن الجبائي والحق الصدق من الانبا والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك
في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في ان الخلق يجازون
بانصبائهم في قوله وانا لموفوهم نصيبهم وان كلا لما ليوفينهم وقد جاء في القرآن

كلم

كله الحق ولكنه ذكر هنا توكيدا وليس اذا قيل قد جاءك في هذا الحق وجب ان يكون لم يأتك
الحق اوكد من بعض عن الزجاج وموعظة اي وجاءك موعظة بها تعظ الجاهلين بالله
وتزجر الناس عن المعاصي وذكرى للمؤمنين تذكرهم الآخرة وقل يا محمد للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم هذا مثل قوله اعملوا ما شئتم انا عاملون على ما امرنا الله تعالى
به وقد مر تفسير هذه الآية فيما مضى وانتظروا اي توقعوا ما يعدكم ربكم على الكفر من
العقاب انا منتظرون ما يعدنا على الايمان من الثواب وقيل انتظروا ما يعدكم
الشيطان من الغرور انا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج ولله
غيب السموات والارض معناه والله علم ما غاب في السموات والارض لا يخفى عليه شيء
منه عن الضحاك وقيل معناه والله مالك ما غاب في السموات والارض وقيل معناه
ولله خزائن السموات والارض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدل
قد ظلم الشيعة الامامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على ان الله سبحانه
يختص بعلم الغيب خلافا لما يقول الرافضة ان الائمة يعلمون الغيب ولا شك انه عنى
بذلك من يقول بامامة الاثني عشر ويدين بانهم افضل الانام بعد النبي ص فان هذا
دابه وديدنه فيهم يشنع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب الفضايح والقبايح اليهم
ولا نعلم ان احدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لاحد من الخلق فانما يستحق الوصف بذلك
من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا
يشركه فيه احد من المخلوقين ومن اعتقد ان غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج
عن ملة الاسلام فاما ما نقل عن امير المؤمنين ع ورواه عنه الخاص والعام من الاخبار
بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومي به الى صاحب الزنج كاني به يا احنف
وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا صهيل خيل يثيرون الارض
باقدامهم كانها اقدام النعام في قوله يشير الى مروان ابي الحكم اما ان له امرة كلعقة الكلب
انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده موتا احمر وما نقل من هذا
الفن عن ائمة الهدى ع مثل ما قاله ابو عبد الله ع لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة

من العلويه والعباسيه ليبايعوا ابنه محمد والله ما هي اليك ولا الى ابنيك ولكنها
لهم واشار الى العباسيه وان ابنيك مقتولان ثم نهض وتوكا على يد عبد العزيز بن
عمران الزهري فقال له ارايت صاحب الردا الاصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم
فقال انا والله نجده يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا ع بورك قبر بطوس
وقبران ببغداد فقيل له قد عرفنا واحدا فما الاخر فقال ستعرفونه ثم قال قبري
وقبر هرون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة لابي حبيب الباجي
وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله ص لزدناك وقوله في حديث
علي بن احمد الوشا حين قدم مرو من الكوفة معك حله في السفط الفلاني دفعتها
اليك ابنتك وقالت اشتر بثمنها فيروزجا والحديث مشهور الى غير ذلك مما
روي عنهم ع فان جميع ذلك متلقى عن النبي ص مما اطلعه الله تعالى عليه فلا معنى
لنسبة من روى عنهم هذه الاخبار المشهورة الى انه يعتقد كونهم عالمين للغيب
وهل هذا الا سب قبيح وتضليل لهم بل تكفير ولا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير والله
يحكم بينه وبينهم واليه يرجع الامر كله اي الى حكمه يرجع في المعاد كل الامور لان
في الدنيا قد يملك غيره بعض الامر والنهي والنفع والضر فاعبده وتوكل عليه
يريد ان له ملك السموات والارض وملك جميع الامور فحقيق ان يعبد ويتذلل
له ويتوكل عليه ويوثق به وما ربك بغافل اي بساه عما يعملون اي عن اعمال
عباده بل هو عالم بها ومجاز كلا منهم عليها بما يستحقه من ثواب او عقاب فلا
يحزنك يا محمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الاحبار انه
قال خاتمة التورية خاتمة هود سورة يوسف عليه السلم
مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلث من اولها
والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين عدد آيها مائة واحدى
عشر آية بالاجماع فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال علموا
ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون

الا لانه في العرف انما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما انه سبحانه
لا يسمى معلما ولا مفتيا وان وصف نفسه بانه علم القران وبانه يفتيكم في النسا
وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين معناه وما كنت من قبل ان اوحينا
اليك هذا القران او من قبل نزول القران عليك الا من الغافلين عن الحكم التي
في القران لا تعلم شيئا منها وقيل من الغافلين في قصة يوسف وعن الحكم التي فيها
اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك
ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما
اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ثلث ايات القراءة
قرا ابو جعفر وابن عامر يا ابت بفتح التا وقرا الباقون بكسرها وابن كثير يقف
على الها يا ابه والباقون بالتا وروي في الشواذ عن ابي جعفر ونافع وطلحه
ابن سليمان احد عشر بسكون العين وقراه بفتحها وقرا الكسائي الا ابا الحرث
وقتيبه بامالة رؤياك في جميع القران وروى ابو الحرث عنه فتح رؤياك
وامالة الباقي وقتيبه امال للرؤيا تعبرون فقط وقرا خلف في اختياره بامالة
ما فيه الف ولام والباقون بالتفخيم وخفف الهمزة في جميع ذلك ابو جعفر وورش
وشجاع واليزيدي الا ان ابا جعفر يدغم الواو في اليا فيجعلها يا مشدده الحجه
قال الزجاج من قرا يا ابت بكسر التا فعلى الاضافه الى نفسه وحذف اليا
لان يا الاضافه تحذف في الندا خاصه واما ادخال تا التانيث في الاب فانما
دخلت في الندا خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التانيث ويوصف بما فيه
علامة التانيث فالاسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام نفعه ورجل ربعه
فلزمت التا في الاب عوضا من يا الاضافه والوقف عليها يا ابه بالها وان كانت
في المصحف بالتا وزعم الفرا انك اذا كسرت وقفت بالتا لا غير واذا فتحت وقفت

بالتا والها ولا فرق بين الكسر والفتح واما ابت بالفتح فعلى انه ابدل من يا الاضافه
الفا ثم حذف الالف كما تحذف يا الاضافه وبقيت الفتحه قال ابو علي من فتح فله
وجهان احدهما ان يكون مثل يا طلحه اقبل ووجه قول من قال يا طلحه از هذا
النحو من الاسما التي فيها التانيث اكثرها يدعى مرخما فلما كان كذلك رد التا المحذوفه
في الترخيم اليه وترك الاخر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم اليه من الفتح فلم
يعتد بالها وفتحها والوجه الاخر ان يكون اراد يا ابتا فحذف الالف كما يحذف
التا فتبقى الفتحه داله على الالف كما ان الكسره تبقى داله على اليا والدليل على قوه
هذا الوجه كثره ما جاء هذه الكلمه على هذا الوجه كقول الشاعر وهل جزع
ان قلت وا اماماهما وقول الاعشى ويا ابتا لا تزل عندنا فانا نخاف بان تخترم
وقال رويه يا ابتا علك او عساكا فلما كثرت هذه الكلمه في كلامهم الزموها
القلب والحذف على ان ابا عثمان قد راى ذلك مطردا في جميع هذا الباب
واما ما وقف ابن كثير على الها فلان التا التي للتانيث تبدل منها الها في الوقف
كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بان ابدل منه الالف ومن قرا احد عشر بسكون
العين قال ابن جني سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد بني
الاول منهما لانه صدر الاسم من عجزه جعل تسكين اول الثاني دليلا على انهما
قد صارا كالاسم الواحد وكذلك بقيه العدد الى تسعه عشر الا اثنا عشر واثني عشر
فانه لا يسكن العين لسكون الالف واليا قبلهما قال الزجاج الرويا فيها اربع لغات
رويا بالهمز ورويا بالواو من غير همز وريا على الادغام وريا بكسر الرا قال ابو علي
الرويا مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى الا انه لما صار اسما لهذا
التخيل في المنام جرى مجرى الاسما وخرج من حكم الاعمال ولا يعمل واحد منهما
اعمال المصادر ومما يقوي خروجه عن احكام المصادر تكسيرهم لها رؤى فصار
بمنزله ظلم والمصادر في الاكثر لا تكسر والرويا على تحقيق الهمز فاخففت قلبتها
في اللفظ واوا ولم يدغم الواو في اليا وان كانت قد تقدمتها ساكنه كما تقلب في

الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوه ان لا يحسد مسلما وروى ابو بصير
عن ابي عبد الله عليه السلام قال من قرا سوره يوسف في كل يوم او في كل ليله بعثه الله
يوم القيمه وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيمه وكان من خيار عباد
الله الصالحين وقال انها كانت من التوريه مكتوبه وروى اسمعيل بن زياد
عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابيه عن ابائه ع انه قال قال رسول الله ص
لا تنزلوا نساكم الغرف ولا تعلموهن الكتابه ولا تعلموهن سوره يوسف وعلموهن
المغزل وسوره النور تفسيرها لما ختم سبحانه سوره هود بذكر قصص انبيائه
افتتح هذه السوره بان من تلك القصص قصه يوسف واخوته وانها من احسن
القصص فقال بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت
من قبله لمن الغافلين ثلث ايات الاعراب قرانا عربيا فيه وجهان احدهما
ان قرانا انتصب بانه بدل من الها في انزلناه فكانه قال انا انزلنا قرانا والثاني انه توطئه
للحال لان عربيا حال وهذا كما يقول مررت بزيد رجلا صالحا على الحال ويجعل رجلا توطئه
للحال وقوله بما اوحينا اليك هذا القران نصب لانه وصف لمعمول اوحينا وهذا هو
او بدل وعطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام وان لم
يقرا بهما اما الجر فعلى البدل مما اوحينا اليك اي بهذا القران واما الرفع فعلى
ترجمه ما اوحينا اليك كان قائلا قال ما هو فقيل هذا القران المعنى الر قد
سبق الكلام فيه في اول البقره وانما لم يعد ايه لانه على حرفين ولا يشاكل
روس الاي وعد طه ايه لانه يشبه روس الاي تلك ايات الكتاب قيل في معنى
الاشاره بتلك وجوه احدها انه اشاره الى ما ياتي من ذكرها على وجه التوقع
لها والثاني انه اشاره الى السوره اي سوره يوسف ايات الكتاب المبين والثالث
ان معنى هذه الايات تلك الايات التي قد وعدتم بها في التوريه كما قال

الم ذلك الكتاب عن الزجاج والمبين المظهر لحلال الله وحرامه والمعانی المراده
فيه عن مجاهد والقتاده والمبين واحد والبيان هو الدلاله انا انزلناه يعنی
القران ای انا انزلنا هذا الكتاب وقيل انا انزلنا خبر يوسف وقصته عن
الزجاج قال لان علما اليهود قالوا لكبرا من المشركين سلوا محمدا لم انتقل
ال يعقوب من الشام الی مصر وعن قصه يوسف فقال انا انزلناه قرانا عربيا
علی مجاری كلام العرب فی محاوراتهم وروی عن ابن عباس عن النبی صلعم انه قال
احبوا العرب لثلث لانی عربی والقران عربی وكلام اهل الجنه عربی لعلكم
تعقلون ای لتعلموا جميع معانيه وتفهموا ما فيه وقيل معناه لتعلموا انه من
عند الله اذا كان عربيا وعجزتم عن الاتيان بمثله وفی هذه الايه دلاله علی
ان كلام الله سبحانه محدث وانه غير الله لانه وصفه بالانزال وبانه عربی ولا
يوصف بذلك القديم سبحانه نحن نقص عليك احسن القصص ای نبين لك
احسن البيان عن الزجاج وهذا كقولهم صمت احسن الصيام وقمت احسن القيام
ممايكون انتصابه علی انه قايم مقام المصدر فالمعنی نبين لك احسن تبيين وحسن
ايضا بما اوحينا اليك هذا القرآن ودخلت الباسين القصص اذ القصص يكون
قرانا وغير قران والقصص ههنا يوحی القران وقيل انما سمی القران احسن
القصص لانه بلغ النهايه فی الفصاحه وحسن المعانی وعذوبه الالفاظ مع التلاوم
المنافی للتنافر والتشاكل بين المقاطع والفواصل وقيل لانه ذكر فيه اخبار الامم
الماضيه واخبار الكاينات الاتيه وجميع ما يحتاج اليه العباد الی يوم القيمه
باعذب لفظ وتهذيب فی احسن نظم وترتيب وقيل اراد باحسن القصص قصه
يوسف وحدها لانها يتضمن من الفوايد والنكت والغرايب ما لا يتضمنها غيرها
ولانها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها مثلها وقوله احسن القصص يدل علی ان الحسن
يتفاضل ويتعاظم لان لفظه افعل حقيقتها ذلك وانما يتعاظم بكثره استحقاق
المدح عليه ويسال علی هذا فيقال هل يجوز ان يسمی الله سبحانه قاصا فيقال

الاصل هو المنتهی الذی يوول اليه المعنی وتاويل الاحاديث فقهه الذی هو
حكمه لانه اظهار ما يوول اليه امره مما يعتمد عليه وفايدته ويتم نعمته عليك
بالنبوه لانها منتهی نعيم الدنيا وقيل اتمام النعمه هو ان يحكم بدوامها علی تخليصها
من شايب بها هذه النعمه التامه لخلوصها مما ينقصها ولا يطلب ذلك الا من الله
تعالی لانه لا يقدر عليها سواه وقيل معناه ويتم نعمته عليك بان يحوج اخوتك
اليك حتی ينعم عليهم بعد اساتهم اليك وعلی ال يعقوب ای وعلی اخوتك بان
نبيهم علی الاسلام ويشرفهم بمكانك ويجعل فيهم النبوه وقيل يتم نعمتك
عليهم بان قاذهم من المحن علی يديك كما اتمها علی ابويك من قبل ابرهيم واسحق
ای كما اتم النعمه علی ابرهيم بالخله والنبوه والنجاه من النار وعلی اسحق بان فدا
عن الذبح بذبح عظيم عن عكرمه وقال انه الذبيح وقيل باخراج يعقوب واولاده
من صلبه عن اكثر المفسرين قالوا وليس هذا هو الذبيح وانما الذبيح اسمعيل ان
ربك عليم بمن يصلح للرساله حكيم فی اختيار الرسل وقيل عليم باحوال خلقه حكيم
فی قضاياه لقد كان فی يوسف واخوته ايات للسايلين اذ قالوا ليوسف
واخوه احب الی ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفی ضلال مبين اقتلوا
يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين
قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فی غيابت الجب يلتقطه بعض
السيارة ان كنتم فاعلين اربع ايات القراءة قرا ابن كثير الايه للسايلين والباقون
ايات وقرا اهل المدينه غيابات الجب والباقون غيابه والشواذ قراه الاعرج
غيابات مشدده وقرا الحسن غيبه الجب وقرا اهل المدينه والكساي مبين اقتلوا
بضم التنوين والباقون بالكسر الحجه قال ابو علی من قرا ايه علی الافراد جعل شانه
كله ايه ويقويه قوله وجعلنا ابن مريم وامه ايه وكل واحد منهما علی انفراده يجوز
ان يقال فيه ايه فافرد تعالی ذلك ومن جمع جعل كل حال من احواله ايه علی ان
المفرد المنكر فی الايجاب يقع دالا علی الكثره كما يقع كذلك فی غير الايجاب قال الشاعر

نحوني ولو كان الواو في تقدير الهمزة فهي كذلك غير لازمة فلا يقع الاعتداد
بها وقد كسر اولها قوم فقالوا ارؤيا فهو كما قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف
ومن ثم كثروا في قولهم قرن الوري وقرون لي اللغه الرويا تصور المعنى في
المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فاذا تصور الانسان
المعنى توهم انه يراه والكيد طلب الحيله واللام في فكيدوا لك لام التعدية كما
يقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك
يقال كاده يكيده كيدا وكاد له والاجتبا اختيار معالي الامور للمجتبى واصله
من جبيت الما في الحوض الاعراب تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذكر كانه
قال اذكر اذ قال يوسف قال الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال
وقد غلط في هذا لان الله تعالى لم نقصص على نبيه ع هذا القصص في وقت قول
ابيه يوسف وكوكبا منصوب على التمييز وقوله رايتهم كرر الرويه توكيدا ولان
الكلام قد طال والمعنى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر لي ساجدين
ولم يقل ساجدات لانه لما وصف هذه الاشيا بالسجود كما يوصف الادميون
بذلك اجرى فعلها مجرى فعل العقلا كما قال يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى ومثل ما رايت يجتبيك ربك
ويعلمك المعنى ثم ابتدا سبحانه بقصه يوسف ع فقال اذ قال يوسف لابيه
يعقوب عليه السلام وهو اسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص ابن اسحق
نبي الله ابن ابرهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي ص قال الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق ابن ابرهيم يا ابت اني رايت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اي رايت في منامي قال
ابن عباس ان يوسف ع راى في المنام ليله الجمعه ليلة القدر احد عشر كوكبا نزلن
من السما فسجدن له وراى الشمس والقمر نزلا من السما فسجدا له قال فالشمس والقمر
ابواه والكواكب اخوته الاحد عشر وقال السدي الشمس ابوه والقمر خالته وذلك

فقتلا بتقتيل وضربا نضربكم جر العطاس كانام من ناه واما الغيابه فكل شي
غيب شيا عن ابي عبيده وانشد فان انا يوما غيبتني غيابة فسيروا بسيري في العشيرة
والاهل والجب الركيه التي لم تطو فان طويت فهي بير والوجه فيه ان الجب لا يخلو من ان يكون له
غيابة واحده او غيابات وغيابه المفرد يجوز ان يعنى به الجمع كما يعنى به الواحد
ومن جمع فانه يجوز ان يكون له غيابه واحده فجعل كل جزء منها غيابه لقولهم
شابت مفارقه وبرد ذو غيابين ويجوز ان يكون للبير عده غيابات فجمع لذلك
واما غيابه بالتشديد فيكون اسما جا على فعاله كما جا البيار للموج والفياد للبوم
الذكر والفخار للخزف وضرب ذلك واما غيبه فيجوز ان يكون حدثا على فعله من غاب
فيكون بمعنى الظلمه ويجوز ان يكون موضعا على فعله واما من ضم التنوين
فلانه التقى ساكنان التنوين والقاف في اقتلوا ولزم تحريك الاول منهما فحركه
بالضم ليتبع الضم الضم كما قيل مد ومن كسر التنوين فانه لم يتبع الضم كما ان
من قال مد لم يتبع وكسر الساكن على ما يجري عليه امر تحريك الساكن في الامر الشايع
اللغه الاثره والعلامه والعبرة نظاير والعصبه الجماعه التي يتعصب بعضها لبعض
ويقع على جماعه من عشره الى خمسه عشر وقيل ما بين العشره الى الاربعين ولا واحد
له من لفظه كالقوم والرهط والنفر والفرق بين المحبه والشهوه ان الانسان
يحب ولده ولا يشتهيه بان يميل طبعه اليه ويرق عليه ويريد له الخير والشهوه
منازعه النفس الى ما فيه اللذه واغماسي البير جبا لانه قطع عنها ترابها حتى بلغ الما
من غير طي ومنه المجبوب قال الاعشى لان كنت في جب ثمانين قامه ورقيت اسباب
السما بسلم وكلما غيب شيا عن الحس بكونه فيه فهو غيابه وغيابه البير شبه لحف
او طاق فوق ما البير والسياره الجماعه المسافرون لانهم يسيرون في البلاد و
مارة الطريق والالتقاط تناول الشي من الطريق ومنه اللقط واللقطه ومعنا
ان تجده من غير ان تحسبه يقال وردت الما التقاطا اذا وردته من غير ان تحسبه
الاعراب العامل في قوله اذ قالوا اذكر وتقديره اذكر اذ قالوا ليوسف ويحتمل

ان يكون العامل فيه ما في الآية التي قبله من قوله لقد كان في يوسف واخوته
آيات للسائلين اذ قالوا واللام في قوله ليوسف جواب القسم تقديره والله ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا يخل لكم جواب الامر وتكونوا جزم لانه معطوف عليه
وروى الحسن تلتقطه بعض السيارة بالتاء وهذا كما يقول ذهبت بعض اصابعه
وقال الشاعر طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي فقال اسرعت وطوين
التانيث لليالي ولم يحمله على طول وهو يذكر المعنى ثم انشا سبحانه في ذكر قصه
يوسف فقال لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ومعناه لقد كان
في حديث يوسف واخوته عبرة للسائلين عنهم واعاجيب منها انهم نالوه بالاذى
ودبروا في قتله واجتمعوا على القائه في البئر للحسد مع انهم اولاد الانبياء فصفح
عنهم لما مكنه الله منهم واحسن اليهم ولم يعيرهم بما كان منهم وهذا خارج عن
العادة وفيه عبرة لمن اعتبر في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد
المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا صلعم لانه ص لم يقرا كتابا ولا تعلم اثرا لم ياته
ذلك الا من جهة الوحي فهو بصيرة للذين سالوه ان يخبرهم بذلك ومعجزة داله
على صدقه واخوته هم اولاد يعقوب وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه
وكانوا اولاد علة عن الجبائي وقيل اسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوي
ويهودا وريالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت
ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين
وولد له من سريتين له اسم احديهما زلفه والاخرى بلهه اربعة بنين دان
ونفتالي وجاد واشر وكانوا اثني عشر ثم اخبر سبحانه عما قالت اخوة يوسف حين سمعوا
منام يوسف وتاويل يعقوب اياه فقال اذ قالوا اي قال بعضهم لبعض ليوسف
واخوه لابيه وامه بنيامين احب الى ابينا يعقوب منا وذلك ان يعقوب
كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف من احسن الناس وجها وكان يعقوب
يؤثره على اولاده فحسدوه ثم رأى الرؤيا فصار حسدهم له اشد وقيل انه عليه السلم

ان امه راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس امه والقمر ابوه وقال وهب كان يوسف
راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة
واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف لابيه فقال له اياك ان تذكر
هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثني عشر سنة ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له
فقصها على ابيه فقال له لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية وقيل انه كان بين رؤياه
وبين مصير ابيه واخوته الى مصر اربعون سنه عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون
سنه عن الحسن ولما طال الكلام كرر رأيتهم واعاده للتاكيد وقيل اراد بالرؤية الاولى
رؤية الاعيان والاشخاص وبالرؤية الثانية رؤية سجودهم واختلف في معنى هذا السجود
فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لكن منه لا للعبادة وقيل معناه الخضوع له عن الجبائي
كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم
رؤياه قالوا ما رضي ان تسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه قال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك اي لا تخبرهم بذلك فيكيدوا لك كيدا اي فيحسدوك ويقابلوك
بما فيه هلاكك وذلك ان رؤيا الانبياء وحي وعرف يعقوب ان اخوة يوسف
يعرفون تاويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه ويبغونه الغوائل ان
الشيطان للانسان عدو مبين اي ظاهر العداوة فيلقي بينكم العداوة ويحملهم
على انزال المكروه بك وكذلك اي وكما اراك هذه الرؤيا تكرمة لك وبين ان اخوتك
يخضعون لك ويسجدون لك يجتبيك ربك اي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة عن
الحسن وقيل الحسن الخلق والخلق ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل معناه ويعلمك من تعبير
الرؤيا لان فيه احاديث الناس عن رؤياهم وسماه تاويلا لانه يؤول امره الى ما راى
في المنام عن قتاده قال ابن زيد كان اعبر الناس للرؤيا وقيل معناه ويعلمك عواقب
الامور بالنبوة والوحي اليك فتعلم الاشيا قبل كونها معجزة لك لانه اضاف التعليم الى الله
وذلك لا يكون الا بالوحي عن ابي مسلم وقيل تاويل احاديث الانبياء والامم يعني كتب الله
ودلائله على توحيده والمشروع من شرايعه وامور دينه عن الحسن والجبائي والتاويل في

الاصل

كان يرحمه واخاه ويقربهما فاستثقلوا وروى ابو حمزة الثمالي عن زين العابدين ع
ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق به ويأكل هو وعياله منه وان سائلا
مؤمنا صواما اعتر بباب يعقوب عشية جمعة عند اوان افطاره وكان مجتازا
غريبا فهتف على بابه فاستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يئس
ان يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وبكا جوعه الى الله تعالى وبات
طاويا واصبح صايما صابرا حامدا لله وبات يعقوب وال يعقوب بطانا
واصبحوا وعندهم فضله من طعامهم فابتلاه الله سبحانه بيوسف ع واوحى
اليه ان استعد لبلائي وارض بقضائي واصبر لمصايب فراى يوسف الرويا
في تلك الليله والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجه وروى ذلك عن
ابن عباس وقريب منه ونحن عصبه معناه ونحن جماعه يتعصب بعضنا لبعض
ويعين بعضنا بعضا اى فنحن انفع لابينا وقيل معنى ونحن عصبه لا يعجزنا الاحتيال
عليه ان ابانا لفي ضلال مبين اى في ذهاب عن طريق الصواب الذي هو التعديل
بيننا في المحبه وقيل انه في خطا من الراى في امور الاولاد والتدبير الدنيوى
اذ نحن اقوم بامور مواشيه وامواله وساير اعماله ولم يريدوا به الضلال عن
الدين لانهم لو ارادوا ذلك لكانوا كفارا وذلك خلاف الاجماع ولانهم بالاتفاق
كانوا على دينه وكانوا يعظمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته واصل الضلال
العدول وكل من ذهب عن شيء وعدل عنه فقد ضل واكثر المفسرين على ان اخوة
يوسف كانوا انبيا وقال بعضهم لم يكونوا انبيا لان الانبيا لا يقع منهم القبايح
وقال المرتضى قدس الله روحه لم يقم لنا الحجه بان اخوة يوسف الذين فعلوا
ما فعلوه كانوا انبيا ولا يمتنع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبيا غير هؤلاء
الاخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم وليس في ظاهر الكتاب
ان جميع اخوة يوسف وساير الاسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد
ويجوز ان يكون هؤلاء الاخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه اليهم

التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الافعال ويعاتب على ذلك
ويلام ويضرب وهذا الوجه قول البلخي والجبائي ويدل عليه قوله نرتع ونلعب وروى
ابو جعفر ابن بابويه رحمة الله عليه في كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسمعيل ابن بزيع
عن حنان بن سدير قال قلت لابي جعفر ع اكان اولاد يعقوب انبيا فقال لا ولكنهم
كانوا اسباطا اولاد الانبيا ولم يفارقوا الدنيا الا سعدا تابوا وتذكروا ما
صنعوا قال الحسن كانوا رجالا بالغين ووقعت ذلك منهم صغيرة ثم اخبر سبحانه
عنهم انهم قال بعضهم لبعض اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا اى اطرحوه في ارض
تاكله السباع او يهلك بغير ذلك يخل لكم وجه ابيكم عن يوسف ويخلص لكم محبته
والمعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه في ارض اخرى خلا لكم ابوه وحن عليكم
وتكونوا من بعده قوما صالحين اى وتكونوا من بعد قتل يوسف وغيبته [illegible]
تايبين والمعنى انكم اذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم تبتم مما فعلتموه وكنتم
من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم راوا ذلك
ذنبا يصح التوبة منه عن جماعه من المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوما صالحين
في امر دنياكم اى يعود حالكم مع ابيكم الى الصلاح عن الحسن ومتى يسال ههنا على قول
من جعلهم غير بالغين فيقال اليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم
بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز ان يعلم ذلك خاصه اذ كان مربي
حجر الانبيا ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من اخوته فقال وهب قاله
شمعون وقال مقاتل قوله روبيل ثم اخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم
بقوله قال قايل منهم اى من اخوة يوسف لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت
الجب تلتقطه بعض السياره اى القوه في قعر البير يتناوله بعض مارة الطريق
والمسافرين فيذهب به الى ناحيه اخرى والقايل لذلك روبيل وهو ابن
خاله يوسف عن قتاده وابن اسحق وكان احسنهم رايا فيه فنهاهم عن قتله وقيل
هو يهودا وكان اقدمهم في الراى والفضل واسنهم عن الاصم والزجاج وقيل

هولاوی رواه عن ابن برهیم فی تفسیره واختلفوا فی ذلک الجب فقیل هو بیت المقدس عن قتاده وقیل بارض الاردن عن ذهب وقیل بین مدین ومصر عن کعب وقیل علی ثلث فراسخ من منزل یعقوب عن مقاتل ان کنتم فاعلین معنا ان کنتم فاعلین شیا مما یقولون فی یوسف فلیکن هذا فعلکم فانه دون القتل الصریح وقال ابن عباس یرید ان اضمرتم ما تریدون وقیل للحسن ایحسد المؤمن فقال ما انساک حدیث بنی یعقوب قالوا یا ابانا ما لک لا تامنا علی یوسف وانا له لناصحون . ارسله معنا غدا یرتع ویلعب وانا له لحافظون .

ایات القراءة قرا ابو جعفر والحلوانی عن قالون لا تامنا مشدده النون بلا شمه وقرا الباقون بالاشمام وهو الاشارة ان النون المدغمه بالضم وهو اختیار ابی عبید وقرا ابو جعفر ونافع یرتع ویلعب بالیا فیهما وکسر العین من یرتع وقرا ابن کثیر نرتع ونلعب بالنون فیهما وکسر العین وقرا ابو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون فیهما وجزم العین وقرا اهل الکوفه ورویس عن یعقوب یرتع ویلعب بالیا فیهما وجزم العین وقرا روح وزید عن یعقوب نرتع بالنون وجزم العین وقال روح وزید ویلعب بالیا وقد روی ذلک عن ابی عمرو وهو قراه الاعرج وابراهیم النخعی وفی الشواذ قراه العلا بن سیابه یرتع بالیا وکسر العین ونلعب بالنون فیها وقراه ابن رجا نُرتع ویلعب الحجه قال الزجاج یجوز فی تامنا اربعه اوجه اشمام النون الضم مع الادغام وهو الذی حکاه ابن مجاهد عن القرا للاشعار بالضم والادغام من غیر اشمام لان الحرفین من جنس واحد وتامننا بالاظهار ورفع النون الاولی لان النونین من کلمتین وتیمنا بکسر التا لان ماضیه علی فعل کما قالوا تعلم ونعلم وهی قراه یحیی بن وثاب وهذه القراه مخالفه للمصحف وان کانت فی العربیه جایزة واما قوله یرتع ونلعب فقد قال ابو علی قراه من قرا بالنون وکسر العین ویلعب بالیا حسن لانه جعل الارتعاء والقیام علی المال لمن بلغ وجاوز الصغر واسند اللعب الی یوسف لصغره ولا لوم علی الصغیر فی اللعب والدلیل علی صغر یوسف قول اخوته وانا له لحافظون ولو کان

ثلث

کبیرا لم یحتج الی حفظهم ویدل علی ذلک ایضا قول یعقوب واخاف ان یاکله الذئب وانما یخاف الذئب علی من لا دفاع له من شیخ کبیر او صبی صغیر قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املک راس البعیر ان نفرا والذئب اخشاه ان مررت به وحدی واخشی الریاح والمطرا واما الارتعا فهو افتعال من رعیت مثل شویت واشتوی وکل واحد منهما متعد الی مفعول به قال الاعشی ترتع النبع فالکثیب فذا قار فروض القطا فذات الرمال وقال اخر رعی بارض البهمی جمیعا وبسره وصمعا حتی انفته نصالها وقد یستقیم ان یقال نرتع وانما نرتع ابلنا فیما قال ابو عبیده ووجه ذلک انه کان الاصل نرتع ابلنا ثم حذف المضاف واسند الفعل الی المتکلمین فصار نرتع وکذلک نرتع علی نرتع ابلنا ثم یحذف المضاف فیکون نرتع وقال ابو عبیده نرتع نلهو وقد یکون هذه الکلمه علی غیر معنی اللهو ولکن علی معنی النیل من الشی کقولهم فی المثل القید والرتعه وکان هذا علی النیل والتناول مما یحتاج الیه الحیوان وقد قال الاعشی صدر النهار یراعی ثیره رتعا وعلی هذا قالوا رایت یرتع ابلک لمرادها الذی فیه فهذا لا یکون علی اللهو لانه جمع ثور راتع او وقع فاما من قرا نرتع ونلعب بالنون فیکون نرتع علی نرتع ابلنا او علی اننا سالا لما یحتاج الیه وینال معنا فاما نلعب فحکی ان ابا عمرو قیل له کیف یقولون نلعب وهم انبیا فقال لم یکونوا یومئذ انبیا فلو صحت هذه الحکایه عنه وصح عنه هذا التاریخ والا فقد قال الشاعر حدث جداد تلاعب وتشعث عمرات قالب لبسه حیران فکان اللاعب ههنا الذی لم یتشمس فی اهله فدخله بعض الهوینا فهذا اسهل من الوجه الذی قوبل به الحق وقد روی عن النبی صلی الله علیه قال لجابر فهلا بکرا تلاعبها وتلاعبک فهذا کانه تشاغل مباح وتنفس وجمام من الجد وقد روی عن بعض السلف انه اذا اکثر النظر فی مسایل الفقه قال احمضوا فلیس هذا اللعب کاللعب فی قوله ولئن سالتهم لیقولن انما کنا نخوض ونلعب واما من قرا بالیا فیهما فان کان یرتع من اللهو کما فسره ابو عبیده فلا یمتنع ان یخبر به عن یوسف لصغره کما لا یمتنع ان ینسب الیه اللعب لذلک وان کان یرتع من النیل من الشی فذلک لا یمتنع علیه

ايضا فوجههما بين وهذا ابين من قول من قال ونلعب بالنون لانهم سالوا ارساله
ليتنفس نلعبه ولم يسالوا ارساله ليعلبوا هم واما من قرا ونلعب بالرفع فان جعله
استينافا اى هو مما يلعب كقولك ذرنى احسن اليك اى انا ممن احسن اليك واما
من قرا يرتع فمعناه يرتع ابله فحذف المفعول كما قال الحطيه بنعمه يصون اليك منها
كصونك من رداء شرعبى اى يصون الحديث وقال الشنفرى كان لها فى الارض
نسيا تقصه على امها وان تكلمك تبلت اى يقطع حديثها خفرا وحيا **المعنى** ثم بين سبحانه
انهم عند اتفاق ارايهم فيما تواموا فيه من امر يوسف كيف سالوا اباهم فقال قالوا يا ابانا
مالك لا تامنا على يوسف اى مالك لا تثق بنا ولا تعتمدنا فى امر يوسف وانا له لناصحون
اى مخلصون فى اراده الخير به وفى هذا دلاله على انه عم كان يابى عليهم ان يرسله معهم
ارسله معنا غدا اى الى الصحرا نرتع ونلعب الجزم على جواب الامر والمعنى ان ترسله معنا
نرتع اى يذهب ويجى وننبسط ونلهوا عن الكلبى والضحاك وقيل نحافظ فيحفظ بعضنا
بعضا ونلهوا عن مجاهد وقيل نرعى وننصرف والرتع هو التردد يمينا وشمالا عن
ابن زيد واراد وابه اللعب المباح مثل الرمى والاستباق بالاقدام وقد روى
ان كل لعب حرام الا ثلث لعب الرجل بقوسه وفرسه واهله وانا له اى ليوسف
لحافظون اى نحفظه لنرده اليك وقيل نحفظه فى حال لعبه وقال مقاتل
ههنا تقديم وتاخير وذلك ان اخوه يوسف قالوا له ارسله فقال ابوهم
انى ليحزننى ان تذهبوا به الايه فحينئذ قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف
وانا له لناصحون واذا صح الكلام من غير تقديم وتاخير فلا معنى لحمله عليه
قال الحسن جعل يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشر سنه وكان فى البلا الى
ان وصل اليه ابوه ثمانين سنه ولبث بعد الاجتماع ثلثا وعشرين سنه ومات
وهو ابن مائه وعشرين سنه وقيل كان ليوسف يوم القى فى الجب عشر سنين
وقيل كان له اثنا عشر سنه وقيل كان ابن سبع او تسع سنين وجمع بينه وبين
ابيه وهو ابن اربعين سنه عن ابن عباس وغيره وفى الايات دلاله على ظهور

حسدهم ليوسف لانه كان تحرسه منهم ويمنعه عن الخروج معهم ولا يامنهم عليه ..
**قال انى ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
فى غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاوا اباهم
عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله
الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاوا على قميصه بدم كذب قال
بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ست ايات
اللغه الذئب اصله الهمز وان خفف جاز وقراه الكسائى وخلف وابو جعفر وورش
والاعشى والبزيدى الا سجاده بتخفيف الهمزه فى المواضع الثلث والباقون بالهمز وجمع
الذئب اذوب وذياب وذوبان وتذائب الريح اتت من كل جهه وحزنت واحزنت
لغتان والحزن الم القلب لفراق المحبوب والشعور ادراك الشى بمثل الشعر فى الدقه
ومنه المشاعر فى البدن والمجى والمصير الى الشى واحد وقد يكون المصير بالانقلاب
كمصير الطين خزفا وقد يكون بمعنى الانتقال والعشا اخر النهار ومنه اشتق الاعشى
لانه يستضئ ببصر ضعيف ويقال العشا اول ظلام الليل ويقال العشى من زوال الشمس
الى الصباح والعشا من صلوة المغرب الى العتمه والاستباق افتعال من السبق واستبقا
تبادرا حتى يظهر الاقوى ومنه المسابقه وهو على ثلثه اوجه سباق بالرمى وذلك جائز
بالاتفاق وسباق على الخيل والابل وذلك جائز عندنا وسباق على الاقدام وذلك غير جائز
بعوض وبه قال الشافعى وعند ابى حنيفة يجوز بعوض وبلا عوض وبه قال قوم من
اصحابنا وكذلك القول فى الصراع ودم كذب اى مكذوب فيه وهو مصدر
وصف به وقيل ان تقديره بدم ذى كذب قال الفرا يجوز ان يقع المصدر موقع
المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر فى مثل قول الشاعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه
لحما ولا لفواده معقولا ولا لم يجز سيبويه وقال المعقول لا يكون مصدرا وشبه
قولهم خذ ميسوره ودع معسوره قال يعنى خذ ما تيسر له ودع ما عسر عليه وكذلك

ليس لفواده معقول ما يعقل به وروى عن عائشة انها قرات بدم كدب بالدال اى
دم طرى والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى فى النفس على الطمع
فى تمامه **الاعراب** اللام فى قوله لئن هى اللام التى يتلقى بها القسم وانا اذن لخاسرون
وجواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما محذوف وتقديره عظمت فتنتهم اى كبر ما قصدوا له
والكوفيون يقولون الواو فى اجمعوا مقحمة تقديره اجمعوا ولا يجيز البصريون اقحام
الواو وقالوا لم يثبت ذلك بحجة ولا قياس ومما انشده الكوفيون فى ذلك قول الشاعر
اذ قلت بطونكم ورايتم ابناكم سبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب وقول
امرء القيس فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل قالوا اراد انتحى
والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب وقوله يبكون فى موضع نصب على
الحال وعشاء منصوب على الظرف وجائز ان يكون وهم لا يشعرون من صلة
قوله لتنبئنهم وجائز ان يكون من صلة واوحينا اى نبأناه بالوحى وهم لا يشعرون
انه نبى قدا وحاليه ونستبق فى موضع نصب على الحال وصبر جميل مرفوع على احد وجهين
على انه خبر مبتدا محذوف وتقديره فشانى فصبر جميل او صبرى صبر جميل وهو قول قطرب
او على انه مبتدا محذوف الخبر والتقدير فصبر جميل امثل وانشد يشكى الى جملى ليس
الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى ويجوز فى غير القران وصبرا جميلا وروى ذلك
عن ابى ويكون معناه فاصبرى يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة الا انما مى فصبرا
بلية وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر وقال الاخر الى الله ان سقى لحرثاشه فصبرا على ما
شاء الله لى صبرا ثم اخبر سبحانه انهم لما اظهروا النصح والشفقة على يوسف
هم يعقوب ان يبعثه معهم وحثهم على حفظه قال انى ليحزننى اى يغمنى ان تذهبوا به
وتغيبوه عنى وقيل معناه تحزننى مفارقته اياى واخاف عليه اذا ذهبتم به الى
الصحراء ان ياكله الذئب فى حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشغالكم قالوا
وكانت ارضهم مذابة وكانت الذياب ضارية فى ذلك الوقت وقيل ان يعقوب
راى فى منامه كان يوسف قد شد عليه عشرة اذوب ليقتلوه واذا ذيب منها

يحمى

يحمى عنه فكان الارض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد
ثلثة ايام فمن ثم قال هذا فلقنهم العلة وكانوا لا يدرون وروى عن النبى
ص قال لا تلقنوا الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب ياكل
الانسان حتى لقنهم ابوهم وهذا يدل على ان الخصم لا ينبغى ان يلقن حجة وقيل
انه خافهم عليه فكنى عنهم بالذئب مساترة لهم قال ابن عباس سماهم ذيابا قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة اى جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب
قد قصده ولا نمنعه منه انا اذا لخاسرون اى نكون كالذين تذهب عنهم
رؤس اموالهم على نعم منهم وقيل معناه انا اذن عجزة ضعفة قال الحسن
وايم الله لقد كانوا اخوف عليه من الذئب وقيل معناه انا اذن لمضيعون
بلغه قيس عيلان عن المورخ وههنا حذف والتقدير انه ارسله معهم
اجابة لما سالوه ليودى ذلك الى الالفة والمحبة فلما ذهبوا به واجمعوا اى
عزموا جميعا ان يجعلوه فى غيابت الجب اى قعر البير واتفقت دواعيهم اليه
فان من دعاه داع واحد الى الشى لا يقال فيه انه اجمع عليه فانه ماخوذ من
اجتماع الدواعى ويد الالف واللام على انه كان بيرا معروفا معهودة عندهم
يجيها السيارة وقيل انهم طلبوا بيرا قليلة الماء تغيبه ولا تغرقه فجعلوه فيها وقيل
بل جعلوه فى جانب منها وقيل ان يعقوب ارسله معهم فاخرجوه مكرما فلما وصلوا
الى الصحراء اظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد
منهم فلا يغيثه وكان يقول يا ابتاه فهموا بقتله فمنعهم يهودا منه وقيل
منعهم لاوى رواه بعض اصحابنا عنهم ع فانطلقوا به الى الجب فجعلوا يدلونه
فى البير وهو يتعلق بشفير البير ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول لا تفعلوا
ردوا على القميص اتوارى به فيقولون ادع الشمس والقمر والاحد عشر
كوكبا تونسك فدلوه فى البير حتى اذا بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان
فى البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فيها فقام عليها وكان يهودا ياتيه

بالطعام عن السدي وقيل ان الجب رضاله وصار ماوه حتى اغناه عن الطعام والشراب
وقيل كان الماء كدرا فاصفا وعذب ووكل الله به ملكا يحرسه ويطعمه عن مقاتل وقيل
ان جبرئيل كان يونسه وقيل ان الله تعالى امر صخره حتى ارتفعت من اسفل البير فوقع عليها
يوسف وهو عريان وكان ابرهيم الخليل ع حين القى في النار جرد من ثيابه وقذف في
النار عريانا فاتاه جبرئيل ع بقميص من حرير الجنه فلبسه اياه فكان ذلك عند ابرهيم ع
فلما مات ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب
ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما القى في البير عريانا جاءه
جبرئيل عليه السلم وكان عليه ذلك التعويذ فاخرج منه القميص فالبسه اياه وروى
ذلك مفضل ابن عمر عن الصادق ع قال وهو القميص الذي وجد يعقوب ريحه لما فصلت
العير من مصر وكان يعقوب بفلسطين فقال اني لاجد ريح يوسف وفي كتاب النبوه
عن الحسن ابن محبوب عن الحسن بن عمارة عن مسمع ابي سيار عن الصادق عليه السلم قال لما
القى اخوة يوسف يوسف في الجب نزل عليه جبرئيل وقال له يا غلام من طرحك فقال اخوتي
لمنزلتي من ابي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني فقال اتحب ان تخرج من هذا الجب فقال
ذلك الى اله ابرهيم واسحق ويعقوب فقال له جبرئيل فان اله ابراهيم واسحق ويعقوب
يقول لك قل اللهم اني اسئلك بان لك الحمد لا اله الا انت بديع السموات والارض
ياذا الجلال والاكرام ان تصلي على محمد وال محمد وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا
وترزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من ذلك الجب يومئذ فرجا
ومخرجا ومن كيد المراه مخرجا واتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى عن ابن ابرهيم
ان يوسف عليه السلم قال في الجب يا اله ابرهيم واسحق ويعقوب ارحم ضعفي وقلة حيلتي
وصغري قوله واوحينا اليه يعني الى يوسف قال الحسن اعطاه الله النبوه وهو في الجب
والبشاره والنجاة والملك لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتخبرنهم بقبيح فعلهم بعد هذا الوقت
يريد ما ذكره سبحانه في اخر السوره من قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهم لا يشعرون
انك يوسف وكان الوحي اليه الى سابل الانبيا وقال مجاهد وقتاده اوحى الله اليه و ناه

وهو في الجب وكان اوحي اليه ان اكتم حالك واصبر على ما اصابك فانك ستخبر اخوتك
بما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك وقيل يريد وهم لا يشعرون بان اوحي اليه وقيل
ان معنى قوله لتنبئنهم لتجازينهم على فعلهم يقول العرب للرجل يتوعده بمجازات
سوء فعله لانبئنك ولاعرفنك اي لاجازينك وقيل اراد بذلك انهم لما دخلوا مصر
عرفهم يوسف وهم له منكرون فاخذ الصاع ونقره فطن فقال ان هذا الجام ليخبرني
انه كان لكم اخ فالقيتموه في الجب وبعتموه بثمن بخس فهذا معنى قوله لتنبئنهم
بامرهم هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا الى ابيهم فقال وجاوا اباهم يعني
وانقلب اخوة يوسف الى ابيهم عشاء اي ليلا او في اخر النهار ليلبسوا على ابيهم وليكونوا
اجرا على الاعتذار يبكون وانما اظهروا البكوا ليوهموا انهم صادقون وفي هذا دلالة على
ان البكا لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي ولما سمع بكاهم فزع
فقال ما بالكم فقالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نشتد ونعدوا على الاقدام لننظر اينا
اعدى واسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل معناه ننتضل ونترامى فننظر اي
السهام اسبق الى الغرض عن الزجاج وفي قراه عبد الله ننتضل وتركنا يوسف عند
متاعنا اي تركناه عند الرحل ليحفظه فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا
اي ما انت بمصدق لنا ولو كنا صادقين جواب لو محذوف اي ولو كنا صادقين
ما صدقتنا لاتهامك لنا في امر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصفوه بانه لا يصدق
الصادق لان المعنى انه لا يصدقهم لاتهامه لهم وسوء ظنه بهم لما ظهر له من امارات
حسدهم ليوسف وشده محبته ليوسف وجاوا على قميصه بدم كذب معناه ان اخوة
يوسف جاوا اباهم ومعهم قميص يوسف ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين
اكله الذئب وقيل انهم ذبحوا سخله وجعلوا دمها على قميصه عن ابن عباس ومجاهد
وقيل ظبيا ولم يمزقوا ثوبه لم يخطر ببالهم ان الذئب اذا اكل انسانا فانه يمزق ثوبه وقيل
ان يعقوب قال اروني القميص فاروه اياه فقال لما راى القميص صحيحا يا بني والله ما رايت
كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يخرق قميصه عن الحسن وروي انه القى ثوبه على وجهه

قال يا يوسف لقد اكلك ذيب بهيم اكل لحمك ولم يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب
مكذوب عليه كما يقال ماء سكب اى مسكوب وشراب صب اى مصبوب قال الشاعر
تظل جادهم نوحا عليهم مغلبة اعنتها صفوفا اراد نايحة عليهم وقيل انه كان في قميص
يوسف ثلث ايات حين قد من دبر وحين القى على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاوا
عليه بدم كذب فنبه يعقوب على ان الذيب لو اكله لخرق قميصه على الشعبي وقيل
انه لما قال لهم يعقوب ذلك قالوا انه بل قتله اللصوص فقال عليه السلم فكيف
قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه احوج منهم الى قتله قال بل سولت لكم انفسكم
امرا اى قال يعقوب لهم اذا اتهمهم في يوسف لم ياكله الذيب ولم يقتله اللصوص
ولكن زينت لكم انفسكم امرا عملتموه عن قتاده وقيل سهل بعضكم لبعض امرا في
يوسف غير الذى قلتموه حتى سهل عليكم ففعلتموه عن ابي مسلم والجبائى وانما
رد يعقوب عليهم بوحى من الله عز اسمه وقيل كان ذلك بحدس ابصايب رايه
وصادق ذهنه فصبر جميل اى فصبرى صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى الى
الناس وقيل فصبر جميل احسن واولى من الجزع الذى لا يغنى شيا وقيل انما
يكون الصبر جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذى وجب فلما
كان الصبر في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك ذكره
المرتضى قدس روحه وقيل ان البلا نزل بيعقوب على كبره وبيوسف على
صغره بلا ذنب كان منهما فاكب يعقوب على حزنه وانطلق يوسف في رقه
وكان ذلك بعين الله يرى ويسمع حتى اتى بالمخرج وكل ذلك امتحان والله
المستعان على ما تصفون اى بالله استعين على دفع ما تصفون او به استعين
على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف في الجب ثلثة ايام وجاءت سيارة
فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة
والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا
فيه من الزاهدين ايان القراة قرا اهل الكوفه يا بشرى بالف بغير ياء

الا ان حمزه والكسائى وخلف يميلون الرا وعاصم لا يميل والباقون يا بشراى
بفتح اليا واثبات الالف وفي الشواذ قراه الجحدرى وابن اسحق والحسن يا بشرى
الحجه قال ابو على من قرا يا بشراى فاضاف الى اليا التى للمتكلم كان للالف التى
هي حرف الاعراب عنده موضعان من وجهين احدهما ان الالف في موضع
نصب من حيث كان ندا مضافا والاخر ان يكون في موضع كسر من حيث كانت
بمنزله حرف الاعراب في غلامى والدليل على استحقاقها لهذا الموضع قولهم كسرت
في فلولا ان حرف الاعراب الذى يلى يا الاضافه في موضع كسر يا كسرت الفا
من في فلما كسرت من قولهم بفيك وكما فتحت من قولهم رايت فاك لما كانت
في موضع الفتحه التى في قولك رايت غلامك وانضمت في قولك هذا فوك
لاتباعه الضم المقدره فيها كالتى في قولك هذا غلامك كذلك كسرت في
قولهم كسرت في وهذا يدلك على انه ليس يعرب من مكانين الا ترى انها تبعت
حركه غير الاعراب في قولك كسرت في يا هذا كما تبعت حركه الاعراب في رايت فاك
ومن قال يا بشرى احتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه
بالندا والاخر ان يكون في موضع نصب وذلك لانك اشعت الندا ولم تخص
كما فعلت في الوجه الاول فصار كقوله يا حسرة على العباد الا ان التنوين لم يلحق
بشرى لانها لا تنصرف فاما من قرا يا بشرى فان تلك لغه هذيل قال ابو
ذويب سبقوا هوى واعنقوا لسبيلهم فتخرموا ولكل جنب مضجع وقال اخر
يطوف الى عكب في معد ويطعن بالصمله في قفيا فان لم تثار الى من عكب فلا
رويتما ابدا صديا وامثاله كثيره اللغه الوارد الذى يتقدم الرفقه الى الما
ليستقى ويقول ادليت الدلو اذا ارسلتها في البير لتملاها ودلوتها اذا اخرجتها
ملا والبضاعه قطعه من المال تجعل للتجارة في بضعت الشي اذا قطعته ومنه
المبضع بر العروق والشرى البيع قال الشاعر وشريت بردا ليتنى من بعد برد
كنت هامه والثمن بدل الشي من العين او الورق ويقال في غيرهما ايضا مجازا

والبخس النقص من الحق يقال بخسه في الكيل او الوزن اذا نقصه من حقه فيهما
الاعراب قال الزجاج معنى النداء في يا بشرى وما في معناها مما لا يجيب ولا
يعقل انما على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه فكانك قلت
اعجبوا ويا ايها العجب هذا من حينك وكذلك اذا قلت يا بشرى فكانك
قلت ابشروا ويا ايها البشرى هذا من اوانك وبضاعة منصوب على الحال
وتقديره واسروه جاعلوه بضاعة ودراهم في موضع جر مانه بدل من ثمن
معدودة صفة للدراهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين
والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بين في اي شيء زهدوا فقال فيه فكانه
قال زهدوا فيه وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت
كنت زيدا من الضاربين لم يجز لان زيدا من صلة الضاربين ولا يتقدم الصلة
على الموصول المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد القائه في الجب فقال
وجاءت سيارة اي جماعة مارة قالوا وانما جاءت من قبل مدين يريدون
مصر فاخطاوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق نزلوا قريبا من الجب
وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وانما هو للرعاة والمجتاز وكان ماؤه
ملحا فعذب وقيل كان الجب بظهر الطريق فارسلوا واردهم اي فبعثوا من يطلب
لهم الماء يقال بعثوا رجلا يقال له مالك بن ذعر ليطلب لهم الماء فادلى دلوه
اي ارسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون
من الغلمان قال النبي صلى الله عليه وآله اعطي يوسف شطر الحسن والنصف الآخر
لساير الناس وقال كعب الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين
مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير السرة
وكان اذا تبسم رايت النور في ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور يلتهب
عن ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عن الليل وكان
يشبه آدم عم يوم خلقه الله عز وجل وصوره ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب

المعصية

المعصية ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت
سدس الحسن فلما راه المدلي قال يا بشرى هذا غلام عن قتادة والسدي وقيل
انه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فراى يوسف فقال هذا غلام فاخرجوه
عن الجباء وقيل ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدي واسروه بضاعة
اي واسر يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم
الشركة معهم في يوسف فقالوا هذا بضاعة لاهل الماء دفعوه الينا ليبيعه لهم
عن مجاهد والسدي وقيل معناه واسروه اخوته يكتمون انه اخوهم فقالوا
هو عبد لنا قد ابق واختفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت
انا اخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس والله عليم بما
يعملون اي بما يعمل اخوة يوسف وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن ناقص قليل
عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لان ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي
وسمي الحرام بخسا لانه لا بركة فيه فهو منقوص البركة دراهم معدودة اي قليلة
وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل انهم كانوا لا يزنون من الدراهم دون الاوقية
وكانوا يزنون الاوقية وهي الاربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين
درهما عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهو المروي عن ابن الحسين عليه السلم
قال وكانوا عشرة فاقتسموها درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهما
عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن ابي عبد الله عم
قال وكانوا عشرة واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكان يهودا
منتبذا ينظر على يوسف فلما اخرجوه من البئر اخبر اخوته فاتوا مالكا وباعوه منه
عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقيل باعه الواجدون بمصر عن قتادة
وقيل ان الذين اخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الاصم والاصح الاول وذكر
ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن ذعر واصحابه يتعرفون من الله الخير
في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك قال وتحرك قلب مالك ليوسف فاتاه

فقال اخبرني من انت فانتسب له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال انا يوسف
ابن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم فالتزمه مالك وبكى وكان مالك رجلا عاقرا
لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك ان يهب لي ولدا فدعا يوسف ربه
ان يهب له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا في كل بطن غلامان
وكانوا فيه من الزاهدين قيل يعني به ان الذين اشتروه كانوا من الزاهدين
في شرائه لانهم وجدوا عليه علامة الاحرار واخلاق اهل الفضل فلم يرغبوا فيه وخافوا
ان يلحقهم تبعة من استعباده وقيل معناه وكانوا من الزاهدين من نفس يوسف
لم يشتروه للتجرد وانما اشتروه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته كانوا
غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان
قصدهم تبعيده وقيل كانوا من الزاهدين في يوسف لانهم لم يعرفوا موضعه
من الله سبحانه وكرامته عليه ولا تنافي بين هذه الاقوال فيجوز حمل الاية على جميعها
وقيل ان الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين من ثمنه لانهم علموا انه
لقطة وليست ببضاعة **وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى
ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل
الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده
آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين** **اللغة** المثوى الاقامة و
موضع الاقامة والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتعاظم فاعله
بمنزلة ما يستحق بالنبوة وادناه ما يستحق بحصوله من الطاعة والاشد جمع لا واحد
له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الآنك وهو الرصاص
وقيل انه جمع واحده شد كما ان واحد الاشر شر قال الشاعر هل غير ان كثر
الاشر واهلكت حرب الملوك اكاثر الاموال **الاعراب** مصر لا ينصرف لانه
مونث معرفة وان ينفعنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة
لانها تمت بفاعلها واللام في قوله ولنعلمه محمول على تقدير وبنا ذلك

لتمكنه

لتمكنه ولنعلمه **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف بعد ان بيع فقال وقال
الذي اشتراه اي اشترى يوسف من مصر اي من اهل مصر لامرأته اكرمي مثواه
اي مقام يوسف وموضع نزوله اي هيئ له موضعا كريما شريفا وتقدير الآية
فحملوه الى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن
فرعون مصر وخليفته وصاحب جنوده واسمه قطفير وكان لا ياتي النساء
وقيل ان اسمه اطفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى العزيز
ومن يسمى بالعزيز ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه فلما عبر يوسف رؤيا الملك
سمي العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن ذعر منه باربعين
دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على البيع
في سوق مصر فتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا وحريرا عن وهب فاشتراه
العزيز بهذا الثمن وقال لامرأته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا
اي عسى ان نبيعه فنربح على ثمنه او نتخذه ولدا فانه كان لا ولد لهما وانما قال ذلك
لما راى على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الامور وعلى هذا فالعزيز
هو خازن الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق
وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى امن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف
على دينه ثم مات ويوسف بعده حي فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه
يوسف الى الاسلام فابى ان يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك
هو في حديث علي بن الحسين ع وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي كما انعمنا
على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكناه في الارض بان عطفنا عليه قلب
الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الامر والنهي في الارض التي كان
يستولي عليها الملك وهي ارض مصر ولنعلمه من تأويل الاحاديث قد مضى
معناه والله غالب على امره اي على امر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدر
له من الملك والنبوة ولا يكله الى غيره وقيل معناه والله غالب على نفسه

لا يعجزه شيء من تدابيره وافعاله فهو الفاعل لما يشا كيف يشا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الله غالب على امر نفسه او امر يوسف وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع
الله بيوسف وما يؤل اليه حاله ولما بلغ يوسف اشده اي منتهى شبابه وقوته
وكمال عقله وقيل الاشد من ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة عن ابن عباس وقيل
ان اقصى الاشد اربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الاكثرين ويؤيد
الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه وقيل ان ابتدا الاشد من ثلث
وثلثين سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك اتيناه
حكما اي اعطيناه القول الفصل الذي يدعو الى الحكمة وعلما وهو تبيين الشيء
على ما هو به مما يحل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة
عن ابن عباس وقيل الحكم الدعا الى دين الله والعلم علم الشرع وقيل اراد الحكم
على الناس والعلم بوجوه المصالح فان الناس كانوا اذا تحاكموا الى العزيز امره
ان يحكم بينهم لما راى من عقله واصابته في الراي وقيل هو العلم والعمل وهو
الحكم وكذلك نجزي المحسنين اي مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل محسن اي
فعل الافعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على النوائب
عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل اراد به محمدا ص اي كما فعلنا
بيوسف واعطينا الملك بعد مقاساته البلا والشر كذلك نفعل بك يا محمد عن
ابن جريج وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون
ايه القراءة قرا اهل المدينة والشام هيت لك بكسر الها وفتح التا وقرا
ابن كثير هيت بفتح الها وضم التا وقرا الباقون هيت لك بفتح الها والتا
وروي عن علي عليه السلم وابي رجا وابي وايل ويحيى بن وثاب هئت لك
بالهمز وضم التا وروي ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد
وقتادة وروي عن ابن عباس ايضا هيت لك بفتح الها وكسر التا وروي ذلك

عن ابي

عن ابي الاسود وابن ابي اسحق وابن محيصن وعيسى الثقفي وروي ايضا عن ابن
عباس هئت لك الحجة قال الزجاج في هيت لك لغات واجودها هيت لك
بفتح الها والتا قال الشاعر ابلغ امير المؤمنين اخا العراق اذا اتينا ان
العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا اي فاقبل وتعالى وحكى قطرب انشدني
بعض اهل الحجاز لطرفة ليس قومي بالابعدين اذا ما قال داع من العشيرة هيت هم
يجيبون ذا هلم سراعا كالابابيل لا تغادر بيتا فهذا شاهد لابن كثير وكلها
اسما سمي بها الفعل بمنزلة صه ومه وايه والحركات في اواخرها لالتقاء الساكنين
فاما الفتح فلان قبل التا يا فهو كما قيل اين وكيف والكسر لان الاصل في التقا
الساكنين حركة الكسر واما الضم فلانها في معنى الغايات كانها قالت دعائي لك
فلما حذفت الاضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما
هئت بالهمز وضم التا ففعل يقول هاء يهيء هيئة اي تهيات وقالوا ايضا هئت اهاء
كخفت اخاف واما هئت لك ففعل صريح كقولك اصلحت لك واللام يتعلق
بنفس هيت وهيت كما يتعلق بنفس هلم في قولهم هلم لك اللغة المراودة
المطالبة بامر بالرفق واللين ومنه المرود لانه يعمل به ولا يقال في المطالبة بدين
راوده واصله من راد يرود اذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب اهله وهو
في الاية كناية عما يريده النسا من الرجال والتغليق اطباق الباب بما يعسر فتحه
وانما شدد لتكثير الاغلاق وللمبالغة في الايثاق الاعراب معاذ الله نصب
على المصدر وعلى تقدير اعوذ بالله معاذا يقول عذت عوذا وعياذا ومعاذا المعنى
ثم اخبر سبحانه عن امراة العزيز وما همت به فقال وراودته التي هو في بيتها عن
نفسه اي وطالبت يوسف المراة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا و
المعنى طلبت منه ان يواقعها وغلقت الابواب على نفسها وعليه بابا بعد باب
قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل اراد باب الدار وباب البيت وقالت هيت لك
اي هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه اقبل وبادر الى ما هو مهيا لك قال

يوسف معاذ الله اي اعتصم به واستجير به مما دعوتني اليه وتقديره عياذا بالله
ان اجيب الى هذا فكانه عليه السلم اظهر الاباء وسال الله سبحانه ان يعيذه ويعصمه من فعل
ما دعته اليه انه ربي احسن مثواي الهاء عايد الى زوجها عند اكثر المفسرين ومعناه
ان العزيز زوجك مالكي احسن تربيتي واكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي فلا
اخونه وانما سماه ربا لما ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الهاء عايد
الى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي رفع محلي واحسن الي وجعلني نبيا فلا اعصيه
انه ابدا انه لا يفلح الظالمون دل هذا على انه لو فعل ما دعته اليه نفسه لكان
ظالما وفي هذه الاية دلالة على ان يوسف لم يهم بالفاحشة ولم يردها لان من يقبح
منهم بالقبيح لا يقول مثل ذلك ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
آية القراءة قرا اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام
في جميع القرآن الحجة قال ابو علي حجة من كسر اللام قوله اخلصوا دينهم
لله ومن فتح اللام فيكون بني الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام
واحدا فاذا اخلصوا دينهم فهم مخلصون واذا اخلصوا فهم مخلصون
اللغة الهم في اللغة على وجوه منها العزم على الفعل كقوله اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم اي ارادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضابي البرجمي هممت ولم
افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله وقوله حاتم طي ولله صعلوك
ساور همه ويمضي على الايام والدهر مقدما وقول الخنساء وفضل مرداسا
على الناس حلمه وان كل هم همه فهو فاعله ومنها حضور الشيء بالبال وان لم
يقع العزم عليه كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما يعني
ان الفشل خطر ببالهم ولو كان الهم ههنا عزما لما كان الله وليهما لان العزم
على المعصية معصية ولا يجوز ان يكون الله ولي من عزم على الفرار عن نصرة
نبيه ع ويقوي ذلك قول كعب بن زهير فكم فيهم من فارس متوسع ومن فاعل

للخير ان هم او عزم ففرق بين الهم والعزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة
قالوا هم فلان ان يفعل كذا اي كاد ان يفعله قال ذو الرمة اقول لمسعود
بجرعاء مالك وقد هم دمعي ان تلج اوايله والدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه
كاد وقارب وقال ابو الاسود الدؤلي وكنت متى تهمم يمينك مرة لتفعل خيرا
تقفها شمالكا وعلى هذا جاء قوله جدارا يريد ان ينقض اي يكاد وقال الحارثي
يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل ومنها الشهوة وميل الطباع
يقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه اليه هذا اهم الاشياء الي وضد ليس
هذا من همي واذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يجب ان ننفي عن نبي الله
يوسف عليه السلم ما لا يليق به وهو العزم على القبيح لان الدليل قد دل على
ان الانبياء عليهم لا يجوز عليهم المعاصي والقبايح واجزنا عليه ما سواه من المعاني
الهم لان كل واحد يليق بحاله المعنى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه اختلف العلماء فيه على قولين احدهما انه لم يوجد من يوسف ذنب
كبير ولا صغير والاخر انه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه فاما الاول
فانهم اختلفوا في تاويل الاية على وجوه احدها ان الهم في ظاهر الاية قد تعلق
بما لا يجوز العزم به على الحقيقة لانه قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما انهما لا
يجوز ان يراد ويعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ان يراد ويعزم عليه فاذا
حملنا الهم في الاية على العزم فلا بد من تقدير امر محذوف يتعلق العزم به وقد
امكن ان يعلق عزمه ع بغير القبيح ويجعله متنا ولا لضربها او دفعها عن نفسه
فكانه قال ولقد همت بالفاحشة منه وارادت ذلك وهم يوسف بضربها
ودفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان اي بضربه او ايقاع مكروه به وعلى
هذا فيكون معنى رؤية البرهان ان الله سبحانه اراه برهانا على انه ان اقدم على
ما هم به اهلكه اهلها او قتلوه او ادعت عليه المراودة على القبيح وقرفته بانه
دعاها اليه وضربها لامتناعها منه فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء والفحشاء

اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشه به ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه
لفعل ذلك ويكون جواب لولا محذوفا كما حذف في قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته وان الله غفور رحيم وقوله تعالى لو تعلمون علم اليقين اى لولا
فضل الله لهلكتم ولو يعلمون علم اليقين لم يلهكم التكاثر ومثله قول امرء القيس
فلو انها نفس تموت سويه ولكنها نفس تساقط انفسا يريد لو انها نفس تموت سويه
سوية لنقضت وفنيت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون
جواب لولا محذوفا يدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها
جوابا للولا لان جواب لولا لا يتقدم عليه وثانيها ان يحمل الكلام على التقديم و
التاخير ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها
ولما راى برهان ربه لم يهم بها ويجرى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت
لولا انى تداركتك وقد كنت قتلت لولا انى خلصتك والمعنى لولا تداركى
لهلكت ولولا تخليصى اياك لقتلت وان كان لم يقع هلاك وقتل ومثله
قول الشاعر فلا تدعنى قومى ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل وقال الاخر
فلا تدعنى قومى صريخا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر وفي القران ان كادت
لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب
من الاولى وثالثها ان معنى قوله بهم بها اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته
اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة هما على سبيل التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لانها
من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبح بالمشتهى وقد روى هذا التاويل عن الحسن قال
قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النسا وروى
الضحاك عن ابن عباس انه قال همها القصد وهمه انه تمناها ان يكون زوجة له وعلى
هذا الوجه يجب ان يكون قوله لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف ايضا كانه
قال لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل سوال قالوا ان قوله ولقد همت به وهم
بها خرجا مخرجا واحدا فلم جعلتم همها به مطلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بغير القبيح وجوا

ان الظاهر

ان الظاهر لا يدل على ما تعلق به الهم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح
لشهادة القران والاثار بذلك ولانها ممن يجوز عليه فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب
قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله وقال نسوة في المدينة امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه الى قوله الا لنريها في ضلال مبين وقوله حكاية عنها
الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم والشاهد من الاثار اجماع المفسرين على انها همت بالمعصية
والفاحشه واما يوسف عليه السلام فقد دلت الادلة العقلية التي لا يتطرق
اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فاما
الشاهد من القران على انه ما هم بالفاحشه قوله سبحانه كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله
قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعظم على الفاحشه من اكبر السوء واما الفرق
الاخرى فانهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبته الى الانبيا فقال بعضهم انه قعد بين
رجليها وحل تكة سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ الثنن وجلس
منها مجلس الرجل من امراته وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك بما عددناه فاما
البرهان الذى راه فقد اختلف فيه على وجوه احدها انه حجة الله سبحانه
في تحريم الزنا والعلم بالعقاب الذى يستحقه الزانى عن محمد بن كعب والجبائي
وثانيها انه ما اتاه الله سبحانه من اداب الانبيا واخلاق الاصفيا في العفاف
وصيانة النفس عن الادناس عن ابى مسلم وثالثها انه النبوة المانعة من ارتكاب
الفواحش والحكمة الصارفة عن القبائح وروى ذلك عن الصادق عليه السلم
اذا كنت تستحيين من الصنم فانى احق ان استحيى من الواحد القهار عن على بن الحسين
زين العابدين وخامسها انه اللطف الذى لطف الله تعالى به في تلك الحال او قبلها
فاختار عنده الامتناع من المعاصى وهو ما يقتضى كونه معصوما لان العصمة
هو اللطف الذى يختار عنده التنزه عن القبائح والامتناع من فعلها ويجوز

ان يكون الرويه ههنا بمعنى العلم كما يجوز ان يكون بمعنى الادراك فاما ذكر
في البرهان من الاشيا البعيده بان قيل انه سمع قايلا يقول يا بن يعقوب
لا تكونن كالطير له ريش فاذا زنى ذهب ريشه وقيل انه راى صورة يعقوب عاضا
على انامله وقيل انه راى كفا بدت فيما بينهما مكتوبا عليها النهى عن ذلك فلم
ينته فارسل الله سبحانه جبريل وقال ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيه
فراه عاضا على اصبعه فكل هذا سوء ثنا على الانبيا مع ان ذلك ينافى التكليف
ويقتضى ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا ولا ثوابا وهذا من اقبح القول
فيه عليه السلم كذلك لنصرف عنه السوء اى كذلك اريناه البرهان لنصرف
عنه السوء اى الخيانه والفحشا اى ركوب الفاحشه وقيل السوء الاثم والفاحشه
الزنا انه من عبادنا المخلصين اى المصطفين المختارين للنبوه ويكسر اللام المخلصين
فى العباده والتوحيد اى من عبادنا الذين خلصوا الطاعه لله واخلصوا انفسهم
لله وهذا يدل على تنزيه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه

واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدا الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هى راودتنى
عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت
وهو الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف
اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين خمس ايات

القراة فى السوء قراه ابن يعمر وابن ابى اسحق ونوح القارى من قبل ومن دبر
بثلث ضمات من غير تنوين الحجة قال ابن جنى ينبغى ان يكونا غايتين كقوله
تعالى لله الامر من قبل ومن بعد كانه يريد وقدت قميصه من دبره وان كان
قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف اليه اعنى الها وهى مراده صار المضاف
غايه نفسه بعد ما كان المضاف اليه غايه له اللغة القد شق الشى طولا مثل

قد الاديم يقال قده قدا فهو مقدود اذا كان ذاهبا فى الطول على استوى
وفى الحديث وكانت ضربات على ابن ابى طالب ع ابكارا كان اذا اعلى واذا
اعترض قط والقد بكسر القاف السير المقطوع طولا الا الفا المصادفه قال ذو
الرمه ومطعم الصيد هبال لبغيته الفى اباه بذاك الكسب يكتسب اى وجد
اباه والكيد طلب الشى بما يكرهه كما طلبت المراه يوسف بما يكرهه ويا باه العقل
عما يدعوا اليه الحكمه الى ما يزجر عنه ويقال لصاحبه خطى يخطى خاطا فهو خاطى اذا وقع
ذلك منه عن قصد فاذا وقع عن غير قصد قيل اخطا المقصد فهو مخطى فاصل الخطى العدول
عن الغرض الحكمى بقصدا وغير قصد قال اميه عبادك يخطيون وانت رب بكفيك المنايا
والحيوم الاعراب ثم عطف قوله عذاب اليم على الفعل لان تقديره الا السجن وعذاب
ومن فى قوله قد من دبر ومن قبل الابتدا الغايه لان ابتدا القد كان منها ومن فى
قوله من الكاذبين للتبعيض لانه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد انه ان كان
لانه ذهب مذهب القول فى الحكايه كما ان قوله يوصيكم الله فى اولادكم كذلك ويقدر
يوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ الانثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو
العباس المبرد معناه ان يكن وجاز ذلك فى كان لانها ام الباب كما جاز فى التعجب
ما كان احسن زيدا ولم يجز ما اصبح احسنه وقال ابو بكر السراج ان يكن يعنى ان
يصح قد قميصه من دبر وقوله فلما راى الرويه هنا يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى
رويه العين فلا يكون رويه للقد ويكون قوله قد من دبر فى موضع الحال وانما يكون
رويه للقميص والاخر ان يكون بمعنى العلم فيكون رويه للقد وانما قال من الخاطين
ومن يقل من الخاطيات لتغليب المذكر على المونث المعنى واستبقا الباب يعنى بادرا
الباب اى طلب كل واحد من يوسف وامراة العزيز السبق الى الباب اما يوسف فانما كان
يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشه واما هى فانما كانت تطلب يوسف ليقضى
حاجتها منه وتقصد ان يغلق الباب ويمنعه من الخروج وتراوده ثانيا عن نفسه
وقدت قميصه من دبر اى لحقت يوسف فجذبت قميصه وشقته طولا من خلفه لان يوسف

كان هاربا وهي تعدوا من خلفه وقيل ان يوسف راى الابواب
قد انفتحت فعلم ان الصواب هو الخروج هاربا وقيل بل اخذ بفتح الابواب
فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فشقته والفيا سيدها لدى الباب
اى فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لانه مالك امرها
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم يعني ان المراة
سبقت بالكلام لتورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء
من اراد باهلك خيانة الا ان يحبس وان يضرب بالسياط ضربا وجيعا
عن ابن عباس قالوا ولو صدق حبها لم تقل ذلك ولا تؤثر على نفسها
ولكن حبها اياه كان شهوة قال هي راودتني عن نفسي لما ذكرت المراة
ذلك لم يجد يوسف بدا من تبرية نفسه بالصدق ولو كف عن الكذب
عليه لكف عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي
نسبتني اليه وشهد شاهد من اهلها قال ابن عباس وسعيد بن
جبير انه صبي في المهد وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلث
اشهر وروى ابن عباس ايضا في رواية اخرى وعن الحسن وقتاده
وعكرمة انه شهد رجل حكيم من اهلها بتبرية يوسف واختاره الجبائي
قال لو كان طفلا لكان قوله معجزا لا يحتاج معه الى التباس وقيل كان
الرجل ابن عم زليخا وكان جالسا مع زوجها عند الباب عن السدي
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت المراة وهو من الكاذبين فيما
قال يعني يوسف لانه كان هو القاصد وهي الدافعة وان كان قميصه
قد من دبر اى من خلف فكذبت المراة وهو اى يوسف من الصادقين
لانه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح فلما راى
قميصه قد من دبر اى فلما راى زوجها قميص يوسف شق من خلف
عرف خيانة المراة فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل هو من قول

الشاهد

الشاهد وانما وصف كيدهن بالعظم لانها حين فاجات زوجها
عند الباب لم يداخلها دهش ولم تتحير في امرها وركبت الذنب على يوسف
ولان قليل حيل النساء اسبق الى قلوب الرجال من كثير من حيل الرجال
يوسف اعرض عن هذا يعني ان الشاهد قال يوسف امسك عن هذا
الحديث اى عن ذكرها حتى لا يشيعوا في البلد عن ابن عباس وقيل انما
قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف الى هذا الحديث ولا تذكره
على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن ابي مسلم والجبائي ثم اقبل
على زليخا فقال واستغفري لذنبك اى سلي زوجك ان لا يعاقبك
على ذنبك انك كنت من الخاطئين اى من المذنبين وقيل انه لم يكن
غيورا فسلبه الله الغيرة لطفا منه بيوسف حتى كفي شره ولذلك قال
ليوسف اعرض عن هذا واقتصر على هذا القدر وقيل معناه استغفري
الله من ذنبك وتوبي اليه فان الذنب كان منك لا من يوسف
فانهم كانوا يعبدون الله مع عبادتهم الاصنام وقال نسوة في
المدينة امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا انا
لنريها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن
واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج
عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي
لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل
ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي
مما تدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن واكن من الجاهلين
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين ست ايات القراءة

ع ١٢

روى عن علي ع وعن علي ابن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد
ع وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتاده بخلاف ومجاهد
بخلاف وابن محيصن قد شعفها بالعين روى عن ابي جعفر متكا بغير
همز مشدده التا والباقون متكا بالهمز والتشديد وروى في
الشواذ قراه مجاهد متكا بالهمز والتشديد وروى في الشواذ قراه
مجاهد متكا خفيفه ساكنه التا وروى ذلك عن ابن عباس وقرء
ابوعمرو وحاش لله وعن الحسن حاش الاله وفي روايه اخرى حاش لله
بسكون الشين وقرا يعقوب وحده السجن احب الي بفتح السين والباقون
بكسرها **الحجة** قال الزجاج معنى شعفها بالعين ذهب بها كل مذهب
مشتق من شعاف الجبال اي رووس الجبال ويقال فلان مشعوف
بكذا اي قد ذهب به الحب اقصى المذاهب قال ابن جني معناه وصل حبه
الى قلبها فكاد يحرقه لحدته واصله من البعير يهنا بالقطران فيصل حرارة
ذلك الى قلبه قال امرء القيس ليقتلني وقد شعفت فوادها كما شعف
المهنوءة الرجل الطالي واما القراه المشهوره شغفها بالعين فمعناه انه
خرق شغاف قلبها وهو علاقه توصل الى قلبها واما المتكا فهو
ما يتكا عليه لطعام او شراب او حديث واصله موتكا مفتعل من وكا
مثل موتزن من الوزن واما من قرا متكا فيجوز ان يكون مفتعلا من قوله
اذا شب المرضه قال اوكي على ما في شقايك قد رويناه يقال اوكيت
السقا اذا شددته واما متكا فانهم قالوا المتك الاترج واحدته متكه
وقيل ايضا هو الزماورد واما حجه ابي عمرو في قوله حاش لله فقول
الشاعر حاشى ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاه والشتم وقال ابو علي
لا يخلوا قولهم حاش لله من ان يكون الحرف الجار في الاستثنا كما ذكرنا
في البيت او فاعل من قولهم حاشي يحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر

لان حرف الجر لا يدخل على مثله ولان الحروف لا تحذف اذا لم يكن فيها تضعيف
فاذا بطل ذلك ثبت انها فاعل ماخوذ من الحشا الذي هو الناحية والمعنى
انه صار في حشا اي ناحيه مما قرف به وفاعله يوسف والمعنى بعد هذا الذي
رمي به لله اي لخوفه من الله ومراقبه امره ومن حذف الالف فكما حذف لم يك و
لم ادر واذا اريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلث لغات قال الشاعر
حشا رهط النبي فان فيهم يجوز الا بقطعها الدلا واما من قرا حاشى الله فعلى
اصل اللغه يكون حرف جر كما جا في البيت حاشى ابي ثوبان واما حاش الاله
فمحذوف من حاشا الاله فمحذوف من حاشا تخفيفا وهو كقولك حاشى العدو
ومنه قول الشاعر لعن الاله وزوجها معها هند الهنو وطويله الفعل واما
حاش لله فضعيف لالتقا الساكنين فيه ولاسكان الشين بعد حذف الالف
ولا موجب لذلك واما من فتح السين من السجن فجعله مصدرا ومعناه
ان السجن احب الي ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول السجن احب الي
اللغه العزيز المنيع بقدرته عن ان يضام في امره وسمي بذلك لانه كان
ملكا ممتنعا بملكه واتساع مقدرته قال ابو داود درهم عاص عليها
تاجر حليت عند عزيز يوم ظل والفتى الغلام الشاب والمراه فتاه قال
ابو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبد فتى والمكر الفتل بالحيله الى ما
يراد من الطلبه وجاريه ممكورة الساقين واعتدت ماخوذ من العتاد
مثله اعددت والمتكا الوساده وهو النمرق الذي يتكا عليه وقيل
هو الاترج وانكر ذلك ابو عبيده قال ولا يمتنع ان يكون في ذلك
المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من هذا القول فلا واكبرنه
الاعظام والاجلال وقال قوم معنى انهن حضن حين رأينه وانشدوا
قول الشاعر ياتي النسا على اطهارهن ولا ياتي النسا اذا اكبرن اكبارا
انكر ذلك ابو عبيده وقال لا نعرف ذلك في اللغه ولكنه يجوز ان يكون

من شدة اعظامهن اياه والبيت مصنوع لا تعرفه العلما بالشعر و
السجن المنع عن التصرف بالحبس سجن يسجن سجنا والاستعصام طلب العصمة
من الله تعالى والصاغر من الصغار صغر يصغر صغارا وهو الذل والهوان
والصبى رقة الهوى يقال صبا يصبو اصبى فهو صاب قال الى هند صبا
قلبى وهند مثلها تصبى وقال صبا صبوة بلج وهو لجوج وزالت له
بالانعمين حدوج الاعراب وقال نسوة انما حذف منه حرف التانيث
لانه تانيث جمع وتانيث الجمع تانيث لفظ يبطل تانيث المعنى لانه لا يجمع
فى الاسم الواحد تانيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى فى رجال واذا
صار كذلك جاز فيه الحمل على اللفظ والحمل على المعنى فيونث ويذكر وقوله
ما هذا بشرى نصب بشرا على مذهب اهل الحجاز فى اعمال ما عمل ليس فى
رفع الاسم ونصب الخبر واما بنو تميم فلا يعملونها قال الشاعر ما النوى
وبنوى بنوا ابى جميعا فما هذان مستويان تمنوا الى الموت الذى يشعب
الفتى الفتى وكل فتى والموت يلتقيان وروى عن الحسن انه قرا ما هذا
بشرى اى ليس بمملوك وهو شاذ فذلكن كن للخطاب لا الضمير فلا موضع له
من الاعراب والاسم ذا وهو فى موضع رفع على الابتدا والذى لمتننى فيه
موصول وصلته فى موضع جر وليكونن من الصاغرين هذه النون الخفيفة
التى يتلقى بها القسم واذا وقفت عليها وقفت عليها بالالف يقول وليكونا
وهى بمنزلة التنوين الذى يوقف عليه بالالف نحو قولك رايت رجلا
قال الاعشى وصل على حين العشيان والضحى ولا تعبد الشيطان والله
فاعبدا اى فاعبدن فابدل فى الوقف من النون الالف ثم بدا لهم فاعله
المصدر مضمر على تقدير بدا وقد اظهره الشاعر فى قوله لعلك والموعود
حق لقاوه بدا لك من تلك القلوص بداه لا يجوز ان يكون ليسجننه فى موضع
الفاعل لان الجملة لا تكون فاعلة المعنى ثم ذكر سبحانه شان هذه القصه

فقال

فقال وقال نسوة فى المدينه اى جماعه من النسا فى المصر الذى كان فيه
الملك وزوجته ويوسف امراه العزيز تراود فتاها عن نفسه اى امراه
الملك تدعو مملوكها الى نفسها ليجزها قد شغفها حبا اى احبه حبا دخل
شغاف قلبها انا لنراها فى ضلال مبين اى فى خطا بين وذهاب عن
طريق الرشد بدعايها مملوكها الى الفجور بها قال الكلبى هن اربع نسوة
امراه ساقى الملك وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب
السجن وقال مقاتل كن خمسا وزاد امراة الحاجب فلما سمعت بمكرهن
اى لما سمعت المراه بغيبتهن اياها وقصدهن اشاعه امرها وسماه مكرا
لان قصدهن من هذا القول قال ان تريهن يوسف لما وصفت لهن
من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمى ذلك مكرا وقيل لانها اظهرت
لهن حبها اياه فاستكتمهن ذلك فاظهرنه فسمى ذلك مكرا ارسلت
اليهن فاستضافتهن قال وهب اتخذت مايده ودعت اربعين امراه
منهن واعتدت لهن متكا اى واعدت لهن وسايد يتكين عليها عن ابن
عباس والارتكا الميل الى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكا الطعام
من قول العرب اتكانا عند فلان اى طعمنا عنده واصله من دعى الى
الطعام يعد له المتكا فسمى الطعام متكا على الاستعارة وقال الضحاك
كان ذلك الطعام الزماورد وقال عكرمه هو كل ما يحز بالسكين لانه يوكل
فى الغالب على متكا وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه
قال الحسن واما المتك فقد قيل انه الاترج على ما تقدم بيانه وقال السدى
بل هو المجلس وكل شى يحز بالسكين يقال له متك واتت كل واحدة منهن سكينا
اى واعطت كل واحده من تلك النسوه سكينا لتقطع به الفواكه والاترج
على ما هو العاده بين الناس وقالت اخرج عليهن اى قالت امراه الملك ليوسف
عليه السلم وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فامرته بالخروج عليهن فى هيئته اما لخدمه

اوللسلام اولترتيه ولم يكن تهماله ان لايخرج لانه بمرله العبد لها عن الزجاج فلما
راينه اكبرنه اى اعظمنه وتحيرن فى جماله اذ كان كالقمر ليلة البدر و قطعن
الفواكه فما احسسن الا بالدم لم يجدن الم القطع لاشتغال قلوبهن بيوسف
عن مجاهد والمعنى جرحن ايديهن حتى دميت وليس معناه ابن ايديهن وهذا
مستعمل فى الكلام يقول للرجل قد قطعت يدى يريد و قد خدشها وقيل انهن
ابن ايديهن حتى القينها عن قتاده وقلن حاش لله اى صار يوسف فى حشا
اى فى ناحيه مما قرف به اى لم يلابسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذى
رمى به لله اى لخوفه ومراقبة امر الله هذا قول اكثر المفسرين. قالوا هذا تنزيه
ليوسف عما رمته به امراه العزيز و قال الاخرون هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط
جماله فيدل على هذا سياق الآيه ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم اى دفع
الله منزلته عن منزله البشر فنعوذ بالله ان نقول انه بشر ومعناه انه منزه
ان يكون بشرا فليس صورته صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك
كريم بحسنه ولطافته وروى عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه سلم وهو يصف يوسف حين راه فى السما الثانيه رايت رجلا
صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبرئيل من هذا اخوك يوسف
وقيل معناه ليس هذا الا ملك كريم فى عفته قال الجبائى وهذا يدل على ان
الملك افضل من بنى آدم لانهن ذكرن من هو فى نهايه الفضل ولم ينكر الله
تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لانه سبحانه انما حكى عن النسا
اعظامهن ليوسف حين راين جماله وبعده عن السو فشبهنه بالملك و لم
يقصدن كثرة الثواب الذى هو حقيقه الفضل وانما لم ينكر سبحانه عليهن
لانه علم انهن لم يقصدن فى كلامهن ما حمله عليه الجبائى على ان الظاهر
يقتضى انهن نفين ان يكون يوسف من البشر و قطعن على انه ملك وهذا
كذب ولم ينكر الله سبحانه عليهن لما علم من انهن يقصدن بذلك.

تشبيه

تشبيه حاله بحال الملايكة قالت امراه العزيز للنسوه اللاتى عذلنها على محبتها
ليوسف فذلكن الذى لمتننى فيه اى هذا هو ذلك الذى لمتننى فى امره و فى
حبه وشغفى به جعلت اعظامهن اياه عذرا لها والمعنى هذا الذى اصابكن
فى رويته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عذلتننى فى حبى
اياه وانا انظر اليه آناء الليل و نهارى ثم اعترفت براءة يوسف واقرت على
نفسها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اى امتنع عنه وقيل امتنع
بالله وساله العصمه من فعل القبيح وفى هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح
ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه اليه ولين لم يفعل ما امره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين اى وان لم يطعنى بجئنى الى ما ادعوه اليه ليحبس فى
السجن وليكونن من الاذلا فلما راى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له
اختار السجن على المعصيه فقال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه معناه يا رب
ان السجن احب الى واسهل على مما يدعوننى اليه من الفاحشه وفى هذا دلاله
على ان النسوه دعونه الى مثل ما دعته اليه امراة العزيز وفى حديث ابى حمزة الثمالى
عن على ابن الحسين ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحده منهن
الى يوسف سرا من صاحبته تساله الزيارة وقيل انهن قلن انهن قلن له اطع
مولاتك واقض حاجتها فانها المظلومه وانت الظالم وقيل انهن لما راين يوسف
استاذن امراه العزيز بان يخلو كل واحده منهن به وتدعوه الى ما ارادته منه
الى طاعتها فلما خلون به دعت كل واحده منهن الى نفسها فلذلك قال مما يدعوننى
اليه ويسال فيقال كيف قال يوسف السجن احب الى مما يدعوننى اليه ولا يجوز
ان يراد السجن الذى هو المكان وان عنى به السجن الذى هو المصدر فان السجن
معصيه كما ان ما دعوه اليه معصيه فلا يجوز ان يريده فالجواب انه لم يرد المحبه
الى ان لا اراده وانما اراد ان ذلك اخف على واسهل ووجه اخر ان المعنى لو كان
[illegible]يه لكان ارادتى له اشد وقيل ان معناه توطين النفس على السجن احب الى من

توطين النفس على الزنا عن ابي علي الجبائي وان لا تصرف عني كيدهن يعني ضرر كيدهن
قد وقع وحصل اصب اليهن امل اليهن والى قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى
واكن من الجاهلين اي من المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزله
الجاهلين في فعلي فاستجاب له ربه فصرف عنه اي فاجاب له ربه فيما دعاه
فعصمه من مكرهن فان قيل ما معنى سوال يوسف اللطف من الله وهو عالم
بان الله يفعله لا محاله فالجواب يجوز ان يتعلق المصلحه بالالطاف عند الدعا
المجدد حتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشه واذا وجد اللطف امتنع
قلنا لما وجد في نفسه من الشهوه وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبح وعلم ان الله
سبحانه يعصم ابنياه بالالطاف وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبيا
قال الجبائي في الاية دلاله على جوار الدعا بما يعلم من الله سبحانه انه يكون لان يوسف
كان عالما بانه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا ساله
ذلك ولا تدل الاية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون ساله لتجويزه ان يكون
لطف عند الدعا ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفا فما سال الا ما جوز ان لا يكون لو لم
يدع انه هو السميع اي السميع لدعا الداعي العليم بالخلاصه في دعايه وبما يصلحه من
الاجابه او يفسده ثم بدا لهم اي ظهر لهم من بعد ما راوا الايات وانما لم يقل لهن مع تقدم
ذكر النسوه لانه اراد به الملك وقيل اراد زليخا واعوانها فغلب المذكر واراد بالايات
العلامات الداله على برا يوسف وهي قد القميص من دبره وحز الايدي عن قتاده
وغيره وقيل يريد بالايات العلامات الداله على الاياس منه وقوله بدا فاعله
مضمر وتقديره ثم بدا لهم بدا ليسجننه حتى حين ودخل ودل ليسجننه عليه فان السجن هو
الذي بدا لهم قال السدي وذلك ان المراه قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحني في
الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري
فاما ان تاذن لي فاخرج واعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببرائه
وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لانه انما يحبس المجرم وقيل
كان الحبس قريبا منها فارادت ان يكون يقربها حتى اذا اشرفت عليه راته وقوله
حتى حين قيل الى سبع سنين عن عكرمه وقيل الى خمس سنين عن الكلبي وقيل
الى وقت ينسى حديث المراه معه وينقطع فيه عن الجبائي ودخل معه السجن
فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك
من المحسنين قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما
بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني
تركت ملة قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون
واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ثلث ايات اللغة قال الزجاج كانوا
يسمعون المملوك فتى فجايز ان يكون الفتيان حدثين او شيخين
وقال غيره يقال للعبد فتى وللامة فتاه وفي الحديث لا يقولن احدكم
عبدي وامتي ولكن فتاي وفتاتي والتاويل الخبر عما حضر عما يوول
اليه امر فيما غاب ولذلك قال قبل ان ياتيكما وتاويل القران مما
يوول اليه من المعنى اي يرجع اليه والتعليم تفهيم الدلاله المودية
الى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى
في القلب والاتباع اقتفا الاثر وهو طلب اللحاق بالاول الاعراب
هم الثانيه دخلت للتوكيد لانه لما دخل بينهما قوله بالاخرة صارت
الاولى كالملغاه وصار الاعتماد على الثانيه كما قال وهم بالاخرة هم
يوقنون وكما قال ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم
مخرجون المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف في السجن فقال ودخل
معه السجن فتيان والتقدير فحبس ودخل معه السجن فتيان شابان حدثان وقيل انهما مملوكان

لملك مصر الاكبر واسمه الوليد بن ريان وكان احدهما صاحب شرابه والاخر
صاحب طعامه فنمي اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وظن ان الاخر
ساعده على ذلك وما لا عليه عن قتاده والسدى قال احدهما اني اراني
اعصر خمرا هو من رويا المنام كان يوسف عليه السلم لما دخل السجن قال
لاهله اني اعبر الرويا فقال احد العبدين لصاحبه هلم فلنجربه فسالاه
من غير ان يكونا رايا شيئا عن ابن مسعود وقيل بل راياه على صحة وحقيقه
ولكنهما كذبا في الانكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان المصلوب منهما كان
كاذبا والاخر صادقا عن ابي مجلز ورواه علي بن ابرهيم ايضا في تفسيره
عنهم عليهم السلام والمعنى قال احدهما وهو الساقي رايت اصل حبله عليها
ثلثه عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته اياها وتقديره
عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمرا فحذف المضاف قال الزجاج وابن
الانباري العرب تسمي الشي باسم ما يوول اليه اذا وضح المعنى ولم يلتبس يقولون
فلان يطبخ الاجر ويطبخ الدبس وانما يطبخ اللبن والعصير وقال قوم ان بعض
العرب يسمون العنب خمرا حكى الاصمعي عن المعتمر ابن سليمان انه لقي اعرابيا
معه عنب فقال ما معك قال خمرا وهو قول الضحاك فيكون معناه اني
اعصر عنبا وروى في قراه عبدالله وابي جميعا اني راني اعصر عنبا
وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه معناه وقال
صاحب الطعام اني رايت كان فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز و
والوان الاطعمه وسباع الطير تنهش منه نبئنا بتاويله اي اخبرنا
بتعبيره وما يوول اليه امره انا نراك من المحسنين اي توثر الاحسان والافعال
الجميله قال الضحاك كان اذا ضاق على رجل مكانه وسع له وان احتاج جمع
له وان مرض قام عليه وهو المروي عن ابي عبدالله عليه السلم وقال الزجاج
جاء في التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل [illegible]

من المحسنين

من المحسنين اي ممن يحسن تاويل الرويا قال وهذا دليل على ان امر الرويا صحيح
وانها لم تزل في الامم السابقه وفي الحديث ان الرويا جزء من سته واربعين
جزا من النبوه وتاويله ان الانبيا يخبرون بما سيكون والرويا تدل على ما سيكون
فيكون المعنى في الايه انا نعلمك ونظنك ممن يعرف تعبير الرويا ومن ذلك قول
امير المومنين عليه السلم قيمه كل امرء ما يحسنه وقال ابو مسلم نراك من المحسنين
الينا ان فسرت لنا الرويا هذا قول ابن اسحق ثم ذكر لهما يوسف عليه السلم ما يدل
على انه عالم بتفسير الرويا قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما الا نباتكما
بتاويله في اليقظه قبل ان ياتيكما التاويل وذلك انه كره ان يخبرهما بالتاويل
لما على احدهما فيه من البلاء فاعرض عن سوالهما واخذ في غيره عن السدى
وابن اسحق وقيل انه انما قدم هذا ليعلما ما خصه الله تع به من النبوه وليقبلا عنه
فقال لا ياتيكما طعام من منزلكما الا اخبرتكما بصفه ذلك الطعام و
كيفيه قبل ان ياتيكما كما قال عيسى ابن مريم وانبئكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم عن الحسن والجبائي ذلكما مما علمني ربي كانهما قالا له
كيف عرفت تاويل الرويا ولست بكاهن ولا عراف فاخبرهما انه رسول الله تع
علمه ذلك وتعليمه تعالى قد يكون بان يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي و
قد يكون بنصب الادله التي يدرك بها العلم اني تركت مله قوم لا يومنون
بالله وهم بالاخره هم كافرون معناه انه لا يستحق هذه الرتبه الخطيره
الا المومنون المخلصون واني تركت طريقه قوم لا يومنون فلذلك خصني
الله بهذه الكرامه واتبعت مله اباءي اي شريعه اباءي ابرهيم واسحق
ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شي اي لا ينبغي لنا ونحن معدن
النبوه واهل بيت الرساله ان ندين بغير التوحيد ذلك اي التمسك بالتوحيد
وال[illegible] من الشرك وقيل النبوه والعلم من فضل الله علينا بان خصنا بها
من ايضا بارسالنا اليهم واتباعهم ايانا واهتداهم بنا ولكن اكثر

الناس لا يشكرون نعم الله تعالى وقد كان يوسف عليه السلم اقام فيما بينهم
زمانا ولم يحك الله سبحانه عنه انه دعا الى الله الدين وكانوا يعبدون
الاصنام لانه لم يطمع منهم فى الاستماع والقبول فلما راهم عارفين
باحسانه مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم الى التوحيد على ما
امر الله سبحانه فى قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظة الحسنه وقد
روى ان صاحبى السجن قالا له قد احببناك حين رايناك فقال لا تحبانى
فوالله ما احبنى احد الا دخل على حبه بلا احبتنى عمتى فنسبتنى الى السرقه واحبنى
ابى فالقيت فى الجب واحبتنى امراة العزيز فالقيت فى السجن **ياصاحبى السجن ءارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا
اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان
الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه
خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضى الامر الذى
فيه تستفتيان وقال للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى
عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن
بضع سنين** اربع ايات **اللغة** الصاحب الملازم لغيره على وجه الا
الاختصاص وهو خلاف ملازمه الاتصال ومنه اصحاب الشافعى واصحاب
ابى حنيفه واصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لملازمتهم له وكونهم معه فى حروبه
وصاحبا السجن هما الملازمان له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام
يقوم والاستفتا طلب الفتيا والبضع القطعه من الدهر واصله من القطع
والبضعه القطعه من اللحم ومنه الحديث فاطمه بضعه منى يوذينى من اذاها
المعنى ياصاحبى السجن هذا حكايه نداء يوسف للمستفتيين له عن تاويل رويا هما
اى ياملازمى السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اى امعبودات

متباينون من حجر وخشب لا تضر ولا تنفع خير لمن عبدها ام الله الواحد
القهار الذى اليه الحشر والنشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد
به التقرير والزام الحجه والقهار هو القادر الذى لا يمتنع منه شىء ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباوكم ما انزل الله بها من سلطان
ابتدا الخطاب لاثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لانه قصد جميع من هو فى مثل
حالهما وقيل انه خطاب لجميع من فى الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التى
تعبدونها من دون الله وسميتوها باسما يعنى الارباب والالهه هى اسما
فارغه عن المعنى لا حقيقه لها ما انزل الله من حجه بعبادتها ان الحكم الا لله اى
ما الحكم والامر الا لله فلا يجوز العباده والخضوع والتذلل الا لله امر الا تعبدوا
الا اياه اى وقد امركم ان لا تعبدوا غيره ذلك اى ذلك الذى بينت لكم من توحيده
وعبادته وترك عباده غيره الدين القيم اى الدين المستقيم الذى لا عوج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب وللعاصين
من العقاب وقيل لا يعلمون صحه ما اقول لعدولهم عن النظر والاستدلال
ثم عبر رؤياهما فقال ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا بدا بما هو الاهم وهو
الدعا الى توحيد الله وعبادته واظهار معجزته ثم بتعبير رويا الساقى فروى انه قال اما
العناقيد الثلثه فانها ثلثه ايام تبقى فى السجن ثم يخرجك اليوم الرابع وتعود الى
ما كنت عليه واجرى على مالكه صفه الرب لانه عبده واضافه اليه كما يقال رب
الدار ورب الضيعه واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه يريد بالاخر صاحب
الطعام روى انه قال له بيس ما رايت اما السلال الثلاث فانها ثلثه ايام تبقى
فى السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتاكل الطير من راسك فقال عند ذلك
ما رايت شيا وكنت العب فقال يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى
فرغ من الامر الذى تسالان وتطلبان معرفته وما قلته لكما فانه نازل بكما
وهو كاين لا محاله وفى هذا دلاله على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار

عن الغيب بما يوحي اليه لا كما يعبر احدنا الرويه على جهة التاويل وقال يوسف للذى
ظن انه ناج منهما معناه للذي علم من طريق الوحي انه ناج متخلص كما في قوله ظننت
انى ملاق حسابيه هذا قول الاكثرين واختاره الجبائى وقال قتاده للذى ظن
انه ناج لانه لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرويا والاول اصح اذكرنى عند ربك
عند سيدك بانى محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه يعنى انسى الشيطان يوسف
ذكر الله تعالى فى تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجى منهما ان يذكره
عند سيده وكان من حقه ان يتوكل فى ذلك على الله سبحانه فلبث فى السجن سبع
سنين عن ابن عباس وروى ذلك عن على ابن الحسين وابى عبد الله عليه السلم
وقيل معناه فانسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث
فى السجن عن الحسن ومحمد بن اسحق والجبائى وابى مسلم وعلى هذا فتقديره فانساه
الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
عجبت من اخى يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروى انه عليه السلم
قال لولا كلمته مالبث فى السجن طول مالبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى
الحسن وقال انا اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وروى عن ابى عبد الله ع قال
جاء جبرئيل عليه السلم فقال يا يوسف من جعلك احسن الناس قال ربى قال فمن
حببك الى ابيك دون اخوتك قال ربى قال فمن انقذك من الجب قال ربى قال
قال فمن صرف عنك كيد النسوه قال ربى قال فان ربك يقول ما دعاك ان تنزل
حاجتك بمخلوق دونى البث فى السجن بما قلت بضع سنين وعنه فى روايه
اخرى قال فبكا يوسف عند ذلك حتى بكا لبكائه الحيطان فتاذى ببكايه
اهل السجن فصالحهم على ان يبكى يوما ويسكت يوما فكان فى اليوم الذى
يسكت اسوء حالا والقول فى ذلك ان الاستعانه بالعباد فى رفع المضار
والتخلص من المكاره جايز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا
يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله

فلو صحت هذه الروايات فانما عوتب يوسف عليه السلم فى ترك عادته
الجميله فى الصبر والتوكل على الله سبحانه فى كل اموره دون غيره وقتا ما
ابتلاء وتشديدا للمحنته وانما كان يكون قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه
واقتصر على غيره وفى هذا ترغيب فى الاعتصام بالله تعالى والاستعانه به دون
غيره عند نزول الشدايد وان جاز ايضا ان يستعان بغيره واختلف فى البضع
فقال بعضهم ما بين الثلث الى الخمس عن ابى عبيده وقيل الى السبع عن قطرب وقيل
الى التسع عن الاصمعى ذكره الزجاج وقول قطرب مروى عن مجاهد وقول الاصمعى
مروى عن قتاده وقال ابن عباس هو مادون العشره واكثر المفسرين على ان البضع
فى الايه سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمسة التى كانت قبل ذلك وروى
عن ابى عبد الله عليه السلم قال علم جبرئيل يوسف فى محبسه فقال قل فى دبر كل
صلوه فريضه اللهم اجعل لى فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث احتسب ومن حيث
لا احتسب وروى شعيب العقرقوفى عنه عليه السلم قال لما انقضت المده واذن
الله له فى دعا الفرج وضع خده على الارض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبى قد
اخلقت وجهى عندك فانى اتوجه اليك بوجه اباى الصالحين ابرهيم واسمعيل
ويعقوب ففرج الله عنه قال فقلت له جعلت فداك اندعو لنحن بهذا الدعا
فقال ادعوا بمثله اللهم ان كانت ذنوبى قد اخلقت عندك وجهى فانى اتوجه
اليك بنبيك نبى الرحمه وعلى وفاطمه والحسن والحسين والايمه عليهم الصلوة
والسلام وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
يا ايها الملاء افتونى فى رؤياى ان كنتم للرويا
تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام
بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة انا
انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا

في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون

سبع ايات **القراة** قرا حفص دابا بفتح الهمزة والباقون بسكونها وقرا يعصرون بالتا اهل الكوفة غير عاصم والباقون باليا وفي الشواذ قراه ابن عباس وابن عمر بخلاف والضحاك وقتاده وزيد ابن علي عليه السلم واذكر بعد امه بالها وقراه الاشهب العقيلي بعد امه بكسر الهمزة وقرا جعفر ابن محمد عليه السلم وسبع سنابل وقرا ايضا قربتم لهن وقراه ود الاعرج وعيسى ابن عمر وفيه يعصرون بيا مضمومه وصاد مفتوحه **الحجة** قال ابو علي انتصب دابا بما دل عليه تزرعون وفيه علاج دووب فكانه قال يدابون فانتصب دابا به لا بالمضمر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كسمع وسمع ونهر ونهر ويعصرون يحتمل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن او ما يخرج الزيتون والسمسم والعنب ليخرج ذلك منه وهكذا وهذا يمكن ان يكون تاويل الايه عليه لان من المتاولين من يحكي انهم لم يعصروا اربع عشره سنه زيتا ولا عنبا فيكون المعنى يعصرون للخصب الذي اتاكم كما كنتم تعصرون ايام الخصب من قبل الجدب الذي دفعتم اليه ويكون يعصرون من العصر الذي هو الا لتجا الى ما يقدر به النجاه قال ابن مقبل وصاحبي قهوه مستوهل رعل يحول بين حمار الوحش والعصر اي يحول بلنه وبين الملجا الذي يقدر به النجاه وقال ابو زيد الطائي صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود قالا يعصرون ينجون وانشد للبيد فبات واسرى القوم اخر ليلهم وما كان وقّ

قال يعصرون باليا فارجع الفاعلين الناس لان ذكرهم قد تقدم ومن قرا بالتا وجه الخطاب الى المستفتين والذين قالوا افتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب على الغيبه كما يغلب التذكير على التانيث واما الامه فهو النسيان يقال امه يامه اذا نسي انشد ابو عبيده امهت وكنت لا انسى حديثا كذاك الدهر يودي بالعقول والامه النعمه فيكون المراد بعد ان انعم عليه بالنجاه واما يعصرون بضم اليا فيجوز ان يكون من العصره والعصر للنجاه ويجوز ان يكون من عصرت السحاب ماءها عليهم وفي كتاب علي ابن ابرهيم عن ابي عبد الله ع قال قرا رجل على امير المؤمنين علي ع هذه الايه فقال تعصرون بالتا وكسر الصاد فقال ويحك اي شي تعصرون ايعصرون الخمر فقال الرجل يا امير المؤمنين فكيف اقراها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يُعصَرون مضموم اليا مفتوحه الصاد اي يمطرون بعد سني المجاعه ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا **اللغه** الملك القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسه والتدبير والرويا ما يراه النايم ويرجع الى الاعتقاد ثم يكون على وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تعبير وتاويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تاويل له ومنها ما يكون من جهة النايم واعتقاد اثرا ويكون بقيه اعتقاد كان اعتقده والعجف ذهاب السمن والذكر اعجف والانثى عجفا وجمعهما عجاف ولا يجمع افعل على فعال الا هذا والعبر والتعبير تفسير الرويا وهو من عبور النهر ونحوه والاضغاث الاحلام الملتبسه والضغث الحزمه من كل شي قال الزبيدي اضغث ملاء اليد من الحشيش وخذ بيدك ضغثا اي قبضه والفعل منه اضغث وقيل الضغث خلط قش الحد وهو غير متشاكل ولا متلايم فشبهوا به تخليط المنام والاحلام جمع حلم وهو الرويا في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحتلم فهو حالم والحلم بكسر الحا ضد الطيش وهو الاناءة وكان اصل حلم النوم من هذا لانه حال اناة وسكون ودعة

الرويا تفسيرها يوول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر واصله
اذتكار لكن التا ابدلت منها الدال وادغمت الذال في الدال ويجوز اذكر بالذال
ايضا الا ان الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستذكار والتذكر
والامة الجماعة توم امة او الامة المدة وهي الجملة والحين والصديق الكثير
التصديق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفعيل بناء المبالغة والكثرة و
الفتيا جواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا
والزرع القا البذر في الارض للنبات ومنه المضارعة بالثلث او الربع
وتسمى المخابرة ايضا وهي ماخوذة من فعل اهل خيبر والداب العادة يقال
داب يداب دابا ويقال داب في عمله يداب دووبا اجتهد وادابته انا
ادابا وذر ودع بمعنى لم يجي منهما لفظة الماضي استغني عن ذلك بترك
والشدة والصلابة والصعوبة نظاير وقيل الشدة يكون في سبعة اصناف
في العقد والمد والزمان والغضب والالم والشراب والبدن والاحصان
مثل الاحراز احصنه احصانا جعله في حرز والغوث هو نفع باتي على شدة
حاجة تنفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي ياتي في وقت الحاجة قال الازهري
غاث الله البلاد يغيثها وقد غيثت الارض فهي مغيثة ومغوثة والغيث
الكلا ينبت من ماء السماء وجمعه غيوث والغياث اصله الواو ومنه
الغوث وغوث تغويثا اذا قال واغوثاه وامر يغيثني ويغاث يحتمل ان يكون
من الواو ويحتمل ان يكون من اليا الاعراب ان كنتم للرويا تعبرون هذه
اللام دخلت للتبيين ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرويا عن الزجاج
وهذه اللام تزاد في المفعول به اذا تقدم على الفعل يقول عبرت الرويا و
للرويا عبرت وقد جاء مثله في قوله للذين هم لربهم يرهبون وقد جاء فيما
ليس بمقدم من المفعول نحو قوله ردف لكم واخر لا ينصرف لانه صرف عن
جهة صواحبها التي جات بالالف واللام وهذه جات خاصة بغير الف ولام

فكانها

فكانها عدلت على وجهها يقول هذه النسوة الوسط والكبر ولا يقول وسط و
وكبر ويقول نسوة آخر فلما خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعه في الاية
الرابعة جر تقديره وفي اخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام يوسف
المراد به يا يوسف ويجوز حذف حرف الندا في المنادى المفرد العلم يقول
يا زيد اقبل وزيد اقبل قال محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر
تبالا اراد يا محمد المعنى ثم اخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف من السجن وهو انه
لما قرب الفرج راى الملك رويا هالته واشكل تعبيرها على قومه حتى عبرها يوسف
فقال سبحانه وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يعني وقال ملك مصر
وهو الوليد ابن الريان والعزيز وزيره فيما رواه الاكثرون اني ارى
في منامي سبع بقرات سمان ياكلهن سبع اي سبع بقرات اخر عجاف اي
مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ار منهن شيا وسبع سنبلات
خضر اي وارى في منامي سبع سنبلات انعقد حبها واخر اي وسبعا اخر
يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها
يا ايها الملا اي جمع الاشراف وقيل جمع النجوم والكهنة وقص روياه
عليهم وقال يا ايها الاشراف والجماعة افتوني في روياي اي عبروا ما
رايت في منامي وبينوا الي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة ان كنتم للرويا
تعبرون معناه ان كنتم عابرين للرويا وقيل ان اللام تفيد معنى الى اي
ان كنتم توجهون العبارة الى الرويا قالوا اضغاث احلام اي هذه
اباطيل احلام اي هذه اباطيل عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة
والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تاويلها وما نحن بتاويل الاحلام التي
هذه صفتها بعالمين وانما نعلم تاويل ما يصح وكان جهل الملا بتاويل
رويا الملك سبب نجاة يوسف لان الساقي تذكر حديث يوسف فجثا بين
يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام على رجل في السجن

سبع

منامين فخبرنا تاويلها في جميع ما وصف فان اذنت مضيت اليه واتيتك
من قبله بتفسير هذه فذلك قوله وقال الذي نجا منهما واذكر بعد امه معنا
تذكر شان يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن
عباس والحسن ومجاهد وقتاده وههنا حذف حذف يدل الكلام عليه
وهو فارسلون الى يوسف فارسل فاتى يوسف في السجن وقال له يوسف
اى ما يوسف ايها الصديق اى الكثير الصدق فيما يخبر به افتنا في سبع بقرات
سمان الى قوله يابسات فان الملك راى هذه الرؤيا واشتبه تاويلها لعلي
ارجع الى الناس يعني الملك واصحابه والعلما الذين جمعهم ليعبر رؤياه لعلهم
يعلمون فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تاويل
رويا الملك قال يوسف في جوابه معبرا ومعلما اما البقرات السبع العجاف
والسنابل السبع اليابسات فالسنون الجدبه واما السبع السمان والسنابل
السبع الخضر فانهن سبع سنين مخصبات ذوات نعم وانتم تزرعون فيها
فذلك قوله تزرعون سبع سنين دابا اى فازرعوا سبع سنين متواليه
عن ابن عباس اى زراعه متواليه في هذه السنين على عادتكم في الزراعه
ساير السنين فذروه وقيل دابا اى بجد واجتهاد في الزراعه ويجوز ان يكون
حالا فيكون معناه تزرعون دائبين فما حصدتم من الزرع فذروه فاتركوه
في سنبله لا تذروه ولا تدوسوه الا قليلا مما تاكلون وانما امرهم بذلك
ليكون ابقى وابعد من الفساد يعني انما اردتم اكله فدوسوه واتركوا الباقي
في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لان السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي
مده من الزمان واذا صفى اسرع اليه الهلاك ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
اى سبع سنين مجدبات صعاب تشتد على الناس تاكلن ما قدمتم لهن معناه
تاكلون فيها ما قدمتم في السنين المخصبه لتلك السنين واما اضاف الاكل
الى السنين لانه يقع فيها كما قال الشاعر نهارك يا مغرور سهو وغفله وليلك

دوس
خرمن كوفتن وپايمال كردن
چيزی را
١٢

نوم والردى لك لازم وسعيك فيما سوف تدرك عنه كذلك في الدنيا
تعيش البهايم وقيل اراد بالاكل الفنا والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقه
اى ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقربه الى رجل
فياكل نصفه حتى كان ذات يوم قربه اليه فاكله كله فقال هذا اول يوم من
السبع الشداد الا قليلا مما تحصنون معناه الا شيا قليلا مما تحرزون ثم ياتي
بعد ذلك عام فيه يغاث الناس معناه ثم ياتي بعد هذه السنين الشداد عام فيه
يمطر الناس من الغيث وقيل يغاثون من الغوث والغياث اى ينقذون
وينجون من القحط وفيه يعصرون الثمار التي تعتصر في الخصب كالعنب والزيت
والسمسم عن ابن عباس ومجاهد وقتاده وقيل معناه ينجون من الجدب من
العصر والاعتصار والالتجا قال عدي بن زيد لو بغير الما حلقي شرق كنت
كالغصان بالما اعتصاري وهذا القول من يوسف اخبار عما لم يسالوه منه
ولم يكن في رويا الملك بل هو اطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكون من
آيات نبوته عليه السلم قال البلخي وهذا التاويل من يوسف يدل على بطلان
قول من يقول ان الرؤيا على ما عبرت ولولا انهم كانوا قالوا هي اضغاث
احلام فلو كان ما قالوا صحيحا لكان يوسف لا يتاولها وقال الملك ائتوني به
فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم اربع ايات القراة قرا ما بال
النسوة بضم النون الاعشى والرجمي عن ابي بكر عن عاصم والباقون بكسر
النون وهما لغتان وقد تقدم ذكر قراة ابي عمرو حاشى لله بالالف ومن بيان



اللغة الخطب الامر الذي يعظم شانه فيخاطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا
خطب جليل قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق
وجهته من حصة الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره اذا استاصل
قطعه وازاله عن الراس فيكون معناه القطع بالحق عن الباطل بظهوره
وبيانه ومثله كبوا وكبكبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زياده تضعيف
دل على الاشتقاق قال قد حصت البيضه راسي فما اطعم نوما غير تهجاع وحصحص
البعير بثفناته في الارض اذا حرك حتى يستبين آثارها فيه قال حميد وحصحص
في صم الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما والكيد الاحتيال بسر لايصال
الضر الى الغير الاعراب ذلك مرفوع بالابتدا وان شئت على خبر الابتدا كانه
قال امري ذلك وموضع ما رحم ربي نصب على الاستثنا المعنى ثم اخبر سبحانه
عن اخراج يوسف من السجن فقال الملك ائتوني به وفي الكلام حذف يدل ظاهره
عليه وهو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك بجواب يوسف
وتعبيره رؤياه قال الملك ائتوني به اي بيوسف الذي عبر رؤياي فلما جاءه
الرسول اي فلما جاء يوسف رسول الملك فقال له اجب الملك ابى يوسف
ان يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قرف به وقال للرسول ارجع الى ربك
اي سيدك وهو الملك فاساله ما بال النسوة اي ما حالهن وشانهن والمعنى
فسل الملك ان يتعرف حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ليعلم صحة براءتي ولم
يصرح بامراة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك
او زوجة خليفة الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه ارادهن دونها لانهن الشاهدات
له عليها الا ترى انها قالت الآن حصحص الحق وهذا يدل على ان النسوة كن ادعين
عليه نحو ما ادعته امراة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل
ان يعلم الملك بشانه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة يقول هذا الذي راود
امراتي وقيل اشفق يوسف من ان يراه الملك بعين مشكوك في امره متهم

بفاحشة

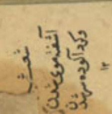
بفاحشة فاحب ان يراه بعد ان يزول من قلبه ما كان فيه وروي عن
النبي ص انه قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين
سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط
ان يخرجوني ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين اتاه
الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة ان ربي
بكيدهن عليم اي ان الله عالم بكيدهن قادر على اظهار براءتي وقيل ان سيدي
الذي هو العزيز عليم بكيدهن استشهده فيما علم من حاله عن ابن مسلم والاول
هو الوجه قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه معناه ان الرسول
رجع الى الملك واخبره بما قال يوسف فارسل الى النسوة ودعاهن وقال لهن
ما شانكن وما امركن اذ طلبتن يوسف عن نفسه ودعوتنه الى انفسكن قلن
حاش لله ما علمنا عليه من سوء هذه كلمة تنزيه نزهن يوسف مما اتهم به فقلن
معاذ الله وعياذا بالله من هذا الامر وما علمنا عليه من سوء وخيانة وما فعل
شيئا مما نسب اليه واعترفن ببراءته وبانه حبس مظلوما قالت امراة العزيز الآن
حصحص الحق اي ظهر وتبين وحصل على ما امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد
وقتاده وكان معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب
على نفسها فيما اتهم يوسف به وانما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه
فجمع الله ليوسف في اظهار براءته ونزاهته عما قرف به بين الشهادة والاقرار
حتى لا تبقى موضع شك ذلك ليعلم هذا من كلام يوسف ع اي ذلك الذي فعلت
من ردي رسول الملك اليه في شان النسوة ليعلم الملك او العزيز اني
لم اخنه بالغيب في زوجته اي في حال غيبته عني عن الحسن ومجاهد وقتاده
والضحاك وابي مسلم واتصل كلام يوسف بكلام امراة العزيز لظهور الدلالة

على المعنى ونظره قوله تعالى وجعلوا اعزه اهلها اذله وكذلك يفعلون وقوله
يريدان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو من كلام الملا ثم قال فماذا تامرون وهو حكاية
قول فرعون قال الفرا وهذا من اغمض ما ياتى فى الكلام ان يحكى عن واحد ثم يعدل
الى شى اخر من قول اخر لم يجر له ذكر وقيل بل هو من كلام امراة العزيز اى ذلك الاقرار
ليعلم يوسف انى لم اخنه فى غيبه بتوريك الذنب عليه وانى خنته بحضرته وعند مشاهدته
عن الجباى وان الله لا يهدى كيد الخائنين اى لا يهديهم فى كيدهم ومكرهم وما ابرئ نفسى
هذا من كلام يوسف عند اكثر المفسرين وقيل هو من كلام المراه عن الجباى اى ما ابرئ
نفسى عن السوء والخيانة فى امر يوسف ان النفس لامارة بالسوء اى كثيرة الامر بالسوء
الشهوة قد تدعوا الانسان الى المعصية والالف واللام للجنس فيكون المعنى
ان كل النفوس كذلك ويجوز ان يكون للعهد فيكون المعنى ان نفسى بهذه الصفه
الا ما رحم ربى اى الا من رحمه الله تعالى فعصمه بان لطف له فيكون ما بمعنى
من قوله ما طاب لكم ويجوز ان يكون معناه الا مدة ما عصم ربى ومن قال
انه من كلام يوسف قال انه اراد الدعا والمنازعه والشهوه ولم يرد العزم على
المعصية اى لا ابرئ نفسى مما لا يعرى منه طباع البشر وانما امتنعت عن الفاحشة
بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسى قال الحسن انما قال وما ابرئ نفسى لانه كره
ان يكون قد زكى نفسه ان ربى غفور لعباده رحيم بهم وقال الملك ائتونى به
استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلنى على
خزائن الارض انى حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء
منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر
الآخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون اربع آيات القراه قرا ابن كثير
حيث نشاء بالنون والباقون باليا الحجه قال ابو على من قرا باليا فيشا
مسند الى الغايب كما كان يتبوا كذلك ويقوى ذلك قوله واورثنا الجنه
يتبوا منها حيث يشا فكما ان قوله نشا وفق لفعل المتبوئين كذلك قوله حيث

يشا فكما ان قوله يشا وفق لفعل المتبوئين كذلك قوله حيث يشا وفق
لقوله يتبوا ومن قرا بالنون فانه على احد وجهين اما ان يكون اسند المشيه
اليه وهو ليوسف فى المعنى لان مشيته لما كانت بقوته واقداره عليها
جاز ان ينسب الى الله تعالى وان كانت ليوسف فى المعنى كما قال سبحانه وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمى الى الله لما كان بقوته وان كان
الرمى للنبى صلى الله عليه واله والاخر ان يكون الموضع المتبوا موضع نسك
وقرب فالمكث فيه قربة الى الله تعالى فهو يشاوه ويريده فاما اللام فى قوله
مكنا ليوسف وقوله انا مكنا فى الارض فيجوز ان يكون على حد التى فى قوله
ردف لكم وللرويا تعبرون يدل على ذلك قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه وقوله يتبوا فى موضع نصب على الحال تقديره مكناه متبوا حيث يشا
واما قوله حيث يشا فيحتمل موضعه امرين احدهما ان يكون فى موضع نصب
بانه ظرف والاخر ان يكون فى موضع نصب بانه مفعول به ويدل على جواز
هذا الوجه قول الشماخ وحلاها عن ذى الاراكة عامر اخو الخضر يرمى حيث
يكوى النواجدا اللغه الاستخلاص طلب خلوص الشى من شايب الاشتراك كانه
يريد ان يكون خالصا له وفى حديث سلمان الفارسى انه كاتبه اهله على
اربعين اوقية خلاص اى مما اخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصه
والمكين من المكانه واصله التمكن فى الامر يقال مكن مكانه فهو مكين اذا كان
له قدر وجاه يتمكن بهما مما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع اليه واصله من
بتوء اذا رجع المعنى وقال الملك ائتونى به معناه ان الملك لما تبين له امانة
يوسف وبرائته وعلمه امر باحضاره فقال ائتونى به استخلصه لنفسى اى اجعله
خالصا لنفسى ارجع اليه فى تدبير مملكتى واعمل على اشارته فى مهمات امورى فلما
كلمه ههنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف ودعاه وخرج من السجن
ودخل على الملك وكلمه وعرف فضله وامانته وحسنه وعقله لانه استدل

بكلامه على عقله وبعفته على امانته قال انك اليوم لدينا مكين امين اى انك
عندنا ذو مكانة متمكن فى المنزلة والقدر نافذ القول والامر ظاهر الامانة
مامون ثقة قال ابن عباس يريد مكنتك من ملكى وجعلت سلطانك مثل
سلطانى وائتمنتك فيه قال الكلبى ان رسول الملك جاءه فقال له قم فان
الملك يدعوك والق ثياب السجن عنك والبس ثيابا جددا فاقبل يوسف
وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه واتى الملك وهو يومئذ ابن ثلثين سنة
فلما راه الملك شابا حدث السن قال يا غلام اهذا تاويل رؤياى ولم يعلمه
السحرة ولا الكهنة قال نعم فاقدمه قدامه وقص عليه رؤياه وروى ان يوسف
لما خرج من السجن دعا لهم وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعم
عليهم الاخبار فلذلك يكون اصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار فى كل بلدة
وكتب على باب السجن هذا قبور الاحيا وبيت الاحزان وتجربة الاصدقا وشماتة
الاعدا قال وهب ولما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من دنياى وحسبى
ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ولما دخل على الملك قال
اللهم انى اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه
الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمى
اسمعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان ابائى
قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان اجابه
بذلك اللسان فاعجب الملك ما راى منه فقال له انى احب ان اسمع رؤياى منك
شفاها فقال يوسف نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان
كشف لك عنهن النيل وطلعن عليك من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينا تنظر
اليهن وتعجبك حسنهن اذا نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حماته ووحله
سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف
ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن

بالسمان



فاتقدم لاهله

نصوب دور شدن و آب زمين فرو رفتن ١٣

بالسمان فافترسنهن افتراس السبع واكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن
عظامهن وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع اخر
سود فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والما فبينا انت تقول فى نفسك انى
هذا وهولا خضر مثمرات وهولاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن
فى الما اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود الى المثمرات الخضر
فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا اخر ما رايت
من الرويا ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه
الرويا ان كانت عجبا ما عجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى ايها الصديق
فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة
وتبنى الاهرا والخزاين فتجمع الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون قصبه وعلفه
علفا للدواب وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام
الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها وياتيك الخلق من النواحى فيمتارون
منك بحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد ذلك فقال الملك ومن لى
بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفى الشغل فيه فعند ذلك قال يوسف اجعلنى على
خزاين الارض الالف واللام فى الارض للعهد دون الجنس يعنى اجعلنى على خزاين
ارضك حافظا وواليا واجعل تدبيرها الى فانى حفيظ اى حافظ لما استودع
احفظه عن ان يجرى فيه خيانة عليم بمن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق فاضعها
مواضعها عن قتاده وابن اسحق والجباى وقيل حفيظ عليم اى كاتب حاسب عن
وهب وقيل حفيظ لتقديره فى هذه السنين الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع
عن الكلبى وقيل حفيظ للحساب عالم بالالسن وذلك ان الناس يفدون من كل
ناحية يتكلمون بلغات مختلفة عن السدى وفى هذا دلالة على انه يجوز للانسان
ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فانه عرف الملك حاله ليقيمه فى الامور
التى فى اناطتها صلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه ولا تزكوا

علی

منى

انفسكم قالوا فقال الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك
الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل
ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف براعيل امراه قطفير العزيز
فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال اوليس هذا خيرا مما كنت
تريدين وولدت له افرائيم وميشا واستوثق ليوسف ملك مصر وقيل انه
لم يتزوجها يوسف وانها لما رأته في موكبه بكت وقالت الحمد لله الذي جعل
الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فضمها اليه فكانت في
عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن ابرهيم ابن هاشم قال
لما مات العزيز وذلك في السنين الجدبة افتقرت امراة العزيز واحتاجت حتى
سالت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى
العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت استحي منه فلم يزالوا بها
حتى قعدت له فاقبل يوسف في موكبه فقامت اليه زليخا وقالت سبحان من
جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف انت
تيك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال هل لك في قالت دعني بعد ما عشت
اتهزا بي قال لا قالت نعم قال فامر بها فحولت الى منزله وكانت هرمة فقال لها
يوسف الست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلمني فاني بليت ببلاء لم يبل
احد قال وما هو قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك في الدنيا نظيرا وبليت
بانه لم يك بمصر امراة اجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزوج عنين فقال لها
يوسف فما حاجتك قالت تسال الله ان يرد علي شبابي فسال الله فرد عليها
فتزوجها وهي بكر وروى عن ابن عباس عن رسول الله صلعم انه قال رحم الله اخي
يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لولاه من ساعته ولكنه اخر ذلك
سنة قال ابن عباس فاقام في بيت الملك سنة فلما انصرمت السنة من يوم
سال الامارة دعاه الامير فتوجه ورداه بسيفه وامر بان يوضع له سرير من ذهب

مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم امره ان يخرج متوجا
لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق
حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل فيما بين الناس فاحبه الرجال
والنساء فذلك قوله عز اسمه وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ومثل ذلك
الانعام الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف على ما يريد في الارض يريد ارض
مصر يتبوا منها حيث يشاء اي يتصرف فيها حيث تشاء وينزل منها حيث يشاء نصيب
برحمتنا من نشاء اي نخص بنعيم الدين والدنيا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين
اي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام
فاسلم عن مجاهد وغيره قالوا واسلم ايضا كثير من الناس فهذا في الدنيا ولاجر
الاخرة اي ثواب الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون لخلوصه عن الشوائب
والاقذاء وفي هذا اشارة الى انه سبحانه يوتي يوسف في الاخرة من الثواب
والدرجات مما هو خير مما اتاه في الدنيا من الملك والنعيم سوال قالوا كيف
جاز ليوسف ان يطلب الولاية من قبل الكفرة والظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن
بذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد
جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا اماما وكان يفعل ذلك من قبل
الله تعالى فانما سال الولاية ليتمكن من الامور التي له ان يفعلها وايضا فانه علم
انه سبب يتوصل به الى الدعا الى الخير والى دويرا خوته ووالديه وفي الاية دلالة
على ان ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها
دلالة ايضا على جواز تولي القضا من جهة الباغي والظالم اذا كان يتمكن بذلك
من اقامة احكام الدين وفي قوله يتبوا منها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه
كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا امر عليه وفي كتاب
النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن ابن بنت الياس قال سمعت
الرضا عم يقول واقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة

فكبسه فى الخزاين فلما مضت تلك السنون واقبلت السنون المجدبه اقبل
يوسف على بيع الطعام فباعهم فى السنه الاولى بالدراهم والدنانير حتى لم
يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار فى مملكته يوسف وباعهم
فى السنه الثانيه بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلى ولا جواهر الا صار
فى ملكته وباعهم السنه الثالثه بالدواب والمواشى حتى لم يبق بمصر وما حولها
دابه ولا ماشيه الا صار فى مملكته وباعهم فى السنه الرابعه بالعبيد والاما حتى
لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا امه الا صار فى مملكته وباعهم فى السنه الخامسه
بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار فى مملكته
وباعهم فى السنه السادسه بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر
ولا مزرعه الا صار فى مملكته وباعهم فى السنه السابعه برقابهم حتى لم يبق
بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبد يوسف فملك احرارهم وعبيدهم
واموالهم وقال الناس ما راينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى
هذا الملك حكما وعلما وتدبيرا ثم قال يوسف للملك ايها الملك ما ترى فيما
خولنى ربى من ملك مصر واهلها اشر علينا برايك فانى لم اصلحهم لافسدهم
ولم انجهم من البلا لكون بلا عليهم ولكن الله انجاهم على يدى قال له الملك
الراى رايك قال يوسف انى اشهد الله واشهدك ايها الملك انى قد اعتقت
اهل مصر كلهم ورددت عليهم اموالهم وعبيدهم ورددت عليك ايها الملك
خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتى ولا تحكم الا بحكمى قال
له الملك ان ذلك زينى وفخرى ان لا اسير الا بسيرتك ولا احكم الا بحكمك
ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطانى عزيزا ما يرام
وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك رسوله فاقم على ما
وليتك فانك لدينا مكين امين وقيل ان يوسف كان لا يمتلى شبعا من الطعام
فى تلك الايام الجدبه فقيل له تجوع وبيدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع

فالسنين الجياع وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
ولما جهزهم بجهازهم قالوا ائتونى باخ لكم من ابيكم الا ترون انى
اوفى الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى
ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
لعلهم يرجعون خمس ايات القراة قرا اهل الكوفه غير ابى بكر لفتيانه ولفتيان
لفتيته الحجه قال ابو على الفتيه جمع فتى فى العدد القليل والفتيان فى الكثير
ومثل فتيه اخوة وولدة فى جمع اخ وولد وبزه وقيعه فى جمع بازو قاع
ومثل فتيان برقان وخربان فى جمع برق وخرب وخران وتيجان فى جمع
جار وتاج وقد يقوم البنا الذى للقليل مقام الذى للكثير وكذلك يقوم
الكثير مقام القليل حيث لا قلب ولا اعلال وذلك نحو ارجل واقدام وارسان
وفى الكثير قولهم ثلثه شسوع فاذا جاز ذلك فيما لا اعلال فيه فان يرفض
فيما يودى الى الاعلال والقلب اولى اللغه جهاز البيت متاعه وجهزت
فلانا هيات جهاز سفره ومنه جهاز المراه الرحال اراد بها الاوعية واحدها
رحل وجمعه القليل ارحل قال ابن الانبارى يقال للوعا رحل وللمسكين
رحل واصله الشى المعد للرحيل من وعا المتاع ومركب البعير وحلس ورسن
المعنى ثم اخبر سبحانه انه لما تمكن يوسف بمصر واصاب الناس ما اصابهم من
القحط وقصد و امصر نزل بال يعقوب ما نزل بالناس فجمع يعقوب بنيه
فقال لهم بلغنى انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه
فانه سيحسن اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى اتوا مصر فدخلوا على
يوسف فذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
اى جاوا ليمتاروا من مصر كما امتار غيرهم ودخلوا عليه وهم عشره وامسك
ابن يامين اخا يوسف لامه فعرفهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان

بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنه فلذلك انكروه
ولانهم راوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك ولم يخطر ببالهم انه يصير
الى مثل تلك الحاله وكان يوسف ينتظر قدومهم عليه فكان اثبت لهم فلما
نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانيه قال لهم من انتم وما امركم فانا انكرت شانكم
وفي تفسير علي بن ابرهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن اليهم في الكيل قال لهم
من انتم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار فقال لعلكم
عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما
نحن اخوة من اب واحد وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن ولو
تعلم بابينا لكرمنا عليك فانه نبي الله وابن انبيائه وانه لمحزون قال وما
الذي اخزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا يا ايها الملك
لسنا بسفهاء ولا جهال ولا اتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن اصغرنا
سنا وانه خرج يوما معنا الى الصيد فاكله الذيب فلم يزل بعده حزينا كيبا
باكيا فقال لهم يوسف كلكم من اب واحد قالوا ابونا واحد وامهاتنا شتى قال
فما حمل اباكم على ان سرحكم كلكم الا حبس واحدا منكم ليستانس به قالوا قد فعل
حبس منا واحدا وهو اصغرنا سنا لانه اخ الذي هلك من امه فابونا يتسلى به
قال فمن يعلم ان الذي تقولونه حق قالوا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا احد فقال
يوسف فاتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك
قالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى
تاتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعه شمعون وقيل ان يوسف
اختار شمعون وقيل ان يوسف اختار شمعون لانه كان احسنهم رايا فيه
فخلفوه عنده فذلك قوله ولما جهزهم بجهازهم يعني حمل لكل رجل منهم
بعيرا بعدتهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم يعني ابن يامين الا ترون اني
اوفي الكيل اي لا ابخس الناس شيئا واتم لهم كيلهم وانا خير المنزلين اي

المضيفين

المضيفين ماخوذ من النزل وهو الطعام وقيل خير المنزلين للامور منازلها
فدخل فيه الضيافه وغيرها ماخوذ من المنزل وهو الدار فان لم تاتوني به
فلا كيل لكم عندي طعام اكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل ولا تقربون اي
لا تقربوا داري وبلادي خلط الوعد بالوعيد قالوا سنراود عنه اباه
اي نطلبه ونساله ان يرسله معنا قال ابن عباس معناه نستخدعه حتى نخرجه
معنا وانا لفاعلون ما امرتنا به قالوا وكان يوسف امر ترجمانا يعرف العبرانيه
ان يكلمهم بنفسه ليشبه عليهم فانهم لو عرفوه ربما كانوا اهيمون في الارض
حياء من ابيهم فيتركون خدمته فكان من معرفتهم اياه مفسده وقال لفتيه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اي قال يوسف لعبيده وغلمانه الذين يكيلون
الطعام عن قتاده وغيره وقيل لاعوانه اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاوا به
في اوعيتهم وقيل كانت بضاعتهم النعال والادم وقيل كانت الورق عن قتادة
لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يعرفون متاعهم اذا رجعوا الى
اهلهم لعلهم يرجعون بعد ذلك لطلب الميرة مره اخرى وانما فعل ذلك
ليعرفوا ان يوسف انما فعل ذلك اكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل انه خاف
ان لا يكون عندهم من الورق ما يرجعون به مره اخرى عن الكلبي وقيل انه
راى لوما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث
لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم
يحملهم على رد البضاعه اذا وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك امر بذلك
فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف نفسه مع علمه
بشدة حزن ابيه وقلقه واحتراقه على الم فراقه فالجواب انه لم يوذن له في
التعريف استتماما للمحنة عليه وعلى يعقوب ولما علم الله تعالى من الحكمه و
الصلاح في تشديد البليه تعريضا للمنزله السنيه وقيل انما لم يعرفهم نفسه
لانهم لو عرفوه ربما رجعوا اليه ولم يحملوا اخاه اليه والاول هو الوجه الصحيح

فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل
وانا له لحافظون قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم
حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم
قال الله على ما نقول وكيل اربع ايات القراة قرا نكيل بالياء اهل الكوفه
غير عاصم والباقون بالنون وقرا خير حافظا بالالف اهل الكوفه غير ابي بكر
والباقون حفظا بغير الف وفي الشواذ قراه علقمه ويحيى ردت الينا
بكسر الرا الحجه قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا ونزداد كيل بعير الا ترى انهم يميرون اهلهم بما يكتالون فيكون نكيل
مثل نمير وايضا فاذا قالوا نكتل جاز ان يكون اخوهم داخلا معهم واذا كان
بالياء لم يدخلوا هم فيه وزعموا ان في قراه عبد الله نكتل بالنون وكان بالنون
لقولهم منع منا الكيل لغيبه اخينا فارسله نكتل ما معناه لغيبته ووجه الياء
انه يكتل حمله كما نكتل نحن احمالنا ووجه من قرا خير حافظا انه قد ثبت من قوله
ونحفظ اخانا وقوله وانا له لحافظون انهم قد اضافوا الى انفسهم حفظا
فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفريط في حفظهم
ليوسف كما ان قوله اين شركاي لم يثبت لله شريكا وان المعنى على الشركا الذين
نسبتموهم الي فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان
منهم تفريط فيه فاذا كان كذلك كان المعنى فالله خير حافظا من حفظكم الذي
نسبتموه الى انفسكم وان كان منكم فيه تفريط واضافه خير الى حفظ محال
ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرا حافظا فيكون حافظا منتصب
على التميز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا يستحيل الاضافه فالله خير

حافظا

حافظا وخير الحافظين كما يستحيل في خير حفظا فان قلت فهل كان ثم حافظ
كما ثبت انه كان حفظ بما قدمته فالقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ لقوله وانا
له لحافظون ولقوله يحفظونه من امر الله فيقول حافظ الله خير من حافظكم
كما كان حفظه خير من حفظكم ويقول هو احفظ حافظ كما يقول هو ارحم راحم
لانه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحمين واما قوله ردت فان فعل من
المضاعف والمعتل العين يجي على ثلثه اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها
وثالثها قليله فاقوى اللغات في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه
الاشمام وهو بين ضم الاول وكسره ثم قولهم شد ورد باخلاص الكسر وهو
الاقل واقوى اللغات في المعتل العين كسر اوله نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام
بين الضم والكسره والثالثه اخلاص الضم نحو قوله وبوع وانشد لذي الرمه
دنا البين من مي فردت جمالها وباج الهوى يقوضها واحتمالها اللغه يقال
كلت فلانا اي اعطيته الشي كيلا واكتلت عليه اخذت منه والامن اطمينان
القلب الى سلامه الامر يقال امنه يامنه امنا والميره الاطعمه التي يحمل من بلد الى بلد
ويقال مرتهم امير هم ميرا اذا اتيتهم بالميره ومثله امرتهم امتيارا قال بعثتك
مايرا فمكثت حولا متى ياتي غياثك من تغيث الاعراب قال الزجاج حفظا منصوب
على التميز وحافظا على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التميز وما في قوله
لا نبغي استفهام موضعه نصب والمعنى اي شي نريد ويكون المراد به الجحد
ويجوز ان يكون ما ايضا نفيا كانهم قالوا ما نبغي شيا وموضع ان يحاط بكم
نصب المعنى الا الاحاطه بكم اي لا يمتنعوا من الاتيان به الا لهذا وهذا يسمى مفعول
له قال الزجاج والا هذه بمعنى تحقيق الجزا يقول ما تاتيني الا لاخذ الدراهم
والا ان تاخذ الدراهم المعنى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل قيل
انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا قال لهم يا بني ما لكم
تسلمون سلاما ضعيفا ومالي لا اسمع فيكم صوت شمعون قالوا يا ابانا جئناك

من عند اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينه ووقارا
ولين كان له شبيه انه ليشبهك ولكنا اهل بيت خلقنا للبلاء انه اتهمنا وزعم
انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بابن يامين برساله منك يخبره عن حزنك واما
الذى احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل
معناه منع منا فيما يستقبل ان لم نات باخينا لقوله فلا كيل لكم عندى فارسل
معنا اخانا ابن يامين نكتل اى ناخذ الطعام بالكيل اى ان ارسلته اكتلنا
والا منعنا الكيل ومن قرا يكتل بالياء فالمعنى ياخذ اخانا ابن يامين وقر بعيره كيالة
وانا له لحافظون من ان يصيبه سوء او مكروه قال يعقوب هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل اى لا امنكم على ابن يامين فى الذهاب به الا كامنى
على يوسف ضمنتم لى حفظه ثم ضيعتموه او اهلكتموه او غيبتموه عنى وانما
قرعهم بحديث يوسف والا فقد كان يعلم انهم فى هذه الحال لا يفعلون
ما لا يجوز فالله خير حفظا اى حفظ الله خير من حفظكم وهو ارحم الراحمين
يرحم ضعفى وكبر سنى ويرده على وورد فى الخبر ان الله سبحانه قال فبعزتى
لاردنهما اليك بعد ما توكلت على ولما فتحوا متاعهم يعنى اوعية الطعام وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغى اى ما نطلب فى منع اخينا عنه وقيل
معناه ما نطلب بما اخبرناك عن ملك مصر الكذب وقيل معناه اى شى نطلب
وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتاده ارادوا ان تطيب نفس يعقوب
فيبعث ابنه معهم وتم الكلام ثم قالوا ابتداء هذه بضاعتنا ردت الينا اى فلا
ينبغى ان نخاف على اخينا ممن قد احسن الينا هذا الاحسان وقيل المراد ما نريد منك
دراهم تعطيناها نرجع بها اليه بل يكفينا فى الرجوع اليه بضاعتنا هذه فان الملك
اذا فعلنا ما امرنا به فى اخينا يفى بما وعدنا وارسله معنا ونمير اهلنا اى نجلب
اليهم الطعام ونحفظ اخانا فى السفر حتى نرده اليك ونزداد كيل بعير لاجله لانه
كان يكال لكل رجل وقر بعير ذلك كيل يسير اى ذلك كيل سهل اى يسهل على

بكيال

الذى

الذى يمضى اليه عن الزجاج فالمعنى انه هين على الملك لا يصعب عليه ولا يظهر
فى ماله وقيل معناه ان الذى جئناك به كيل قليل لا يقنعنا فنحتاج ان نضيف اليه
كيل بعير اخينا عن الجبائى وقيل يسير على من يكتاله لا مؤونة فيه ولا مشقة عن
الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب فى ارساله معهم فلما راى يعقوب
رده البضاعه وتحقق عنده اكرام الملك اياهم عزم على ارسال ابن يامين معهم
قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اى تعطونى ما يوثق به من يمين
او عهد من الله لتاتننى به اى لتردنه الى قال ابن عباس يعنى حتى تحلفوا الى بحق محمد
خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تغدروا باخيكم ولتاتننى به اللام فيه
لجواب القسم الا ان يحاط بكم اى الا ان تهلكوا جميعا عن مجاهد وقيل الا ان
تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك عن قتاده والمعنى الا ان يحال بينكم وبينه حتى لا تقدروا
على الاتيان عنه الزجاج فلما اتوه موثقهم اى اعطوه عهودهم وحلفوا له
بحق محمد ومنزلته من ربه عن ابن عباس قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اى
شاهد حافظ ان احلفتم انتصف لى منكم وفى هذا دلالة على وجوب التوكل على
الله فى جميع المهمات والتفويض اليه فى كل الامور وفيها دلالة ايضا على ان يعقوب
انما ارسل ابن يامين معهم لانه علم انهم لما كبروا وندموا على ما فرطوا منهم فى امر يوسف
ولم يصروا على ذلك ولهذا وثق بهم واغاعرهم بحديث يوسف خاطبهم على
حفظ اخيهم وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شىء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغنى عنهم
من الله من شىء الا حاجة فى نفس يعقوب قضيها وانه لذو علم لما علمناه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اللغة الغنى اصله الكفايه ومنه الغنى فى
المال لانه اكتفى به وربما مد بعض وراه الشعر والغنا بكسر الغين والمد من الصوت
يقال منه غنى يغنى غنا والغنا بالفتح والمد الكفايه وغنى عن كذا فهو غان وغنى

القوم في دارهم اقاموا والمعاني المنازل لانهم اكتفوا بها والغانيه المراة تكتفي
بزوجها او بجمالها عن التزين المعنى ولما تجهزوا للسير قال يعقوب يا بني لا تدخلوا
مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقه خاف عليهم العين لانهم
كانوا ذوي جمال وهيئة وكمال وهم اخوة اولاد رجل واحد عن ابن عباس
والحسن وقتاده والضحاك والسدي وابي مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس
اياهم وان يبلغ الملك قوتهم بطشهم فيحبسهم او يقتلهم خوفا على مملكته عن
الجبائي وانكر العين وذكر انه لم يثبت بحجة وجوزه كثير من المحققين ورووا فيه
الخبر عن النبي ص ان العين حق والعين تنزل الحالق والحالق المكان المرتفع
من الجبل وغيره فجعل ع العين كانها تحط ذروة الجبل من قوة اخذها وشده
بطشها وورد في الخبر انه ع كان يعوذ الحسن والحسين بان يقول اعيذكما
بكلمات الله التامه من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه وروي ان ابرهيم
عوذ ابنيه وان موسى عوذ ابني هرون بهذه العوذه وروي ان بني جعفر
ابن ابي طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت اسما بنت عميس يا رسول الله ان العين
اليهم سريعه افاسترقي لهم من العين فقال ص نعم وروي ان جبرئيل ع رقى رسول
الله وعلمه الرقيه بسم الله ارقيك من كل عين حاسد الله يشفيك وروي عن
النبي ص قال لو كان شي يسبق القدر لسبقته العين ثم اختلفوا في وجه
الاصابه بالعين فروي عن عمرو بن بحر الجاحظ انه قال لا ينكر ان ينفصل من
العين الصائبة الى الشي المستحسن اجزا لطيفه فتتصل به وتوثر فيه ويكون هذا
المعنى خاصه في بعض الاعين كالخواص في الاشيا وقد اعترض على ذلك بانه
لو كان كذلك لما اختص ذلك ببعض الاشيا دون بعض ولان الاجزا تكون جواهر
والجواهر متماثله ولا يوثر بعضها في بعض وقال ابو هاشم انه فعل الله تعالى
بالعاده لضرب من المصلحه وهو قول القاضي ورايت في شرح هذا للشريف
الاجل الرضي الموسوي قدس الله روحه كلاما احببت ايراده في هذا الموضع قال

ان الله

ان الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك
الافعال التي يفعلها فغير ممتنع ان يكون تغيير نعمة زيد مصلحه لعمرو واذا كا
يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيد نعمته اقبل على الدنيا بوجهه وناى عن
الآخرة بعطفه واذا سلب نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه عنها واعطاه
بدلا منها عاجلا وآجلا فيمكن ان يتاول قوله ع العين حق على هذا الوجه على انه
قد روي عنه ع ما يدل على ان الشي اذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره
وصغر امره واذا كان الامر على هذا فلا ينكر تغير حال بعض الاشيا عند نظر بعض
الناظرين اليه واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روي انه
قال لما سبقت ناقته العضبا وكانت اذا سوبق بها لم تسبق ما رفع العباد
من شي الا وضع الله منه ويجوز ان يكون ما امر به المستحسن للشي عند رويته من
تعويذه بالله والصلوة على رسول الله قايما في المصلحه مقام تغيير حاله الشي
المستحسن فلا تغير عند ذلك لان الرائي لذلك قد اظهر الرجوع الى الله تعالى
والاعاذه به فكانه غير راكن الى الدنيا ولا مغتر بها انتهى كلامه رضي الله عنه وما
اغني عنكم من الله من شي اي وما ادفع من قضا الله من شي ان كان قد قضى
عليكم الاصابه بالعين او غير ذلك ان الحكم الا لله اي ما الحكم الا لله عليه توكلت
فهو القادر على ان يحفظكم من العين او من الحسد ويردكم علي سالمين وعليه فليتوكل
المتوكلون وليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ولما دخلوا مصر من حيث امرهم
ابوهم اي من ابواب متفرقه كما امرهم يعقوب وقيل كان لمصر اربعه ابواب
فدخلوها من ابوابها الاربعه متفرقين ما كان يغني عنهم من الله من شي الا حاجة
في نفس يعقوب قضاها اي لم يكن دخولهم مصر كذلك يغني عنهم او يدفع
عنهم شيا اراد الله تعالى ايقاعه بهم من حسد او اصابه عين وهو ع كان عالما
انه لا ينفع حذر من قدر لكن كان ما قاله لبنيه حاجه في قلبه فقضى يعقوب تلك
الحاجه اي ازال به اضطراب قلبه لان لا يحال على العين مكروه يصيبهم وقيل معناه

ان العين لو قدر ان يصيبهم لاصابتهم وهم متفرقون كما يصيبهم وهم
متفرقون كما يصيبهم مجتمعين عن الزجاج قال حاجة استثنا ليس من الاول
بمعنى لكن حاجة وانه لذو علم اى انه لذو يقين ومعرفة بالله لما علمناه اى من
اجل تعليمنا اياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل العلم
بتعليمنا اياه وقيل انه لذو علم لما علمناه اى يعلم ما علمناه فيعمل به لان من علم
شيا ولا يعمل به كان كمن لا يعلم فعلى هذا يكون اللام فى قوله لما علمناه كاللام
فى قوله للرويا تعبرون ولكن اكثر الناس لا يعلمون مرتبة يعقوب فى العلم
عن الجبائى وقيل لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه عن ابن عباس ولما
دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال انى انا اخوك فلا تبتئس
بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه
ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم
ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا
سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد
فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فبدا باوعيتهم قبل
وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى
علم عليم ثمانى آيات القراءة فى الشواذ قراءة ابى رجا صوع الملك بفتح الصاد
وقراءة عبد الله بن عون صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة يحيى بن يعمر صوغ
فتح الصاد والغين معجمة وقراءة ابى هريرة ومجاهد بخلاف صاع الملك
والقراءة المشهورة صواع الملك وقراءة الحسن من وعاء اخيه بضم الواو وقراءة
سعيد بن جبير اعاء اخيه بالهمزة وقرا يعقوب وسهل يرفع ويشاء بالياء والباقون
بالنون وقرا اهل الكوفة درجات بالتنوين والباقون بغير التنوين وفى

الشواذ قراءة ابن مسعود وفوق كل ذى عالم عليم الحجة الصواع والصاع
والصوع واحد وهو مكيال واما الصوع فمصدر وضع موضع اسم
المفعول اى المصوع وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد
ومن اعاء فاصله وعاء ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا فى وسادة اسادة
وفى وجاح للستر اجاح ومن قرا وعاء بالضم فانه يكون لغة والهمزة فيه افيس
كما قالوا احد فى وحد واجوه فى وجوه ومن قرا درجات بالتنوين فان من
يكون فى موضع نصب على معنى يرفع من نشاء درجات ومن قراها بغير تنوين
فان من يكون فى موضع جر بالاضافة وقال ابن جنى ان قراءة من قرا وفوق
كل ذى عالم عليم يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسمى الى
الاسم اى وفوق كل شخص مسمى عالما او يقال له عالم عليم مثل قول الكميت
اليكم ذوى ال النبى تطلعت نوازع من قلبى ظماء والبب اى اليكم يا ال النبى اى
يا اصحاب هذا الاسم الذى هو ال النبى وعليه قول الاعشى فكذبوها
بما قالت فصبحهم ذو ال حسان يزجى الموت والشرعا اى صبحهم الجنس الذى
يقال له ال حسان والوجه الثانى ان يكون عالم مصدرا كالباطل وغيره
والثالث ان يكون على وجه مذهب من اعتقد زيادة ذى فكانه قال وفوق
كل عالم عليم اللغة يقال آوى الى منزله ياوى واذا اصار اليه واويته انا
ايوا والابتياس الاغتمام واجتلاب البوس والحزن والسقاية الاناء التى
يسقى منها وهو من السقى وقيل السقاية والصواع واحد والاذان والتاذين
واحد وهو النداء يسمع بالاذن ويقال اذنته بالشئ اى علمته واذنته اكثرت
اعلامه والعير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التى فيها الاجمال والاصل
للحمير ثم كثر فسمى كل قافلة عيرا وقيل العير الابل السائرة المركوبة والجمع عيرات
والحمل بالكسر لما انفصل وبالفتح لما اتصل وجمعه احمال وحمول والزعيم
والكفيل والضمين نظائر والزعيم ايضا القائم بامر القوم وهو الرئيس قالت

ليلى الا حيلته اذا رفع اللوا رايته تحت اللوا على الخميس زعيما الاعراب تالله
معناه والله الا ان التا تختص باسم الله لا يجوز تا الرحمن وتربى وهو بدل
من الواو كما ابدل من الواو فى تراث وتجاه وتخمة قالوا جزاوه من وجد فى
رحله الجزو يكون المعنى جزاء السرق الانسان الموجود فى رحله السرق ويكون
قوله فهو جزاوه جمله اخرى ذكرت زياده فى الابانه كما يقال جزا السارق
القطع فهو جزاوه وزياده فى البيان وعلى هذا يكون موصوله ويكون
تقريره واسترقاق الذى وجد فى رحله السرق فحذف المضاف والآخر
ان يكون جزاوه مبتدا ومن وجد فى رحله فهو جزاوه جمله شرطيه فى موضع
الخبر والعايد على المبتدا الاول من الجمله جزاوه من قوله فهو جزاوه فكان
قال فهو هو اى فهو الجزاء والاظهار ههنا احسن ليلا يقع فى الكلام لبس قال
الزجاج ان العرب اذا فخمت امر الشئ جعلت العايد عليه اعاده اللفظ
بعينه وانشد لا ارى الموت شئ يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا وعلى هذا فيكون
المعنى قالوا جزا السرق ان وجد فى رحل رجل منا فالموجود فى رحله السرق
جزاوه استرقاقا وقال صاحب الكشف تقديره جزاؤ المسروق من وجد فى رحله
اى انسان وجد الصاع فى رحله فمن نكره وهو مبتدا بان وقوله وجد فى رحله
صفه لمن وقوله فهو جزاوه خبر لمن والجمله خبر قوله جزاوه والتقدير جزاوه ان
وجد فى رحله الصاع فهو هو الا انه وضع الظاهر موضع المضمر قال وليس
فى التنزيل من نكره الا فى هذا الموضع وموضع الكاف من كذلك كدنا نصب بانه
صفه مصدر محذوف وموضع ان يشاء الله نصب لما سقطت البا افضى
الفعل اليها فنصب والتقدير الا بمشية الله المعنى ثم اخبر سبحانه عن دخولهم
عليه فقال فلما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه اى لما دخل اولاد يعقوب
على يوسف ضم اليه اخاه من ابيه وامه ابن يامين وانزله معه عن الحسن
وقتاده وقيل انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا الذى امرتنا ان نأتيك

فقال

فقال احسنتم ثم انزلهم واكرمهم ثم اضافهم وقال ليجلس كل بنى آدم على
مايده فجلسوا فبقى ابن يامين قايما فردا فقال له يوسف مالك لا تجلس
قال انك قلت ليجلس كل بنى ام على مايده وليس لى فيهم ابن ام فقال يوسف
فما كان لك ابن ام قال بلى قال يوسف فما فعل قال زعم هؤلاء ان
الذيب اكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لى احد عشر ابنا كلهم
اشتققت له اسماء من اسمه قال له يوسف اراك قد عانقت النسا
وشممت الولد من بعده قال ابن يامين ان لى ابا صالحا وقد قال لى
تزوج لعل الله يخرج منك ذريه تثقل الارض بالتسبيح فقال له يوسف
تعال فاجلس معى على مايدتى فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف
واخاه حتى ان الملك قد اجلسه معه على مايدته روى ذلك عن الصادق
عليه السلم قال انى انا اخوك اى اطلعه على انه اخوه وقيل انه قال انا اخوك
مكان اخيك الهالك ولم يعرف له بالنسبه ولم يطلعه على انه اخوه ولكنه
اراد ان يطيب نفسه فلا تبتئس بما كانوا يعملون اى فلا تستكن ولا تحزن
لشئ سلف من اخوتك اليك عن وهب والشعبى فلما جهزهم بجهازهم اى
فلما اعطاهم ما جاوا لطلبه من الميره وكان لهم الطعام الذى جاوا لاجله
وجعل لكل واحد منهم حمل بعير ويسمى حمل التاجر جهازا جعل السقايه فى
رحل اخيه معناه امر حتى جعل الصاع فى متاع اخيه وانما اضاف الله تعالى
ذلك اليه لوقوعه بامره وقيل ان السقايه هى المشربه التى كان يشرب منها
الملك ثم جعل صاعا فى السنين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان
من ذهب عن ابن زيد وروى ذلك عن ابى عبد الله ع وقيل كان من فضه
عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضه مرصعه بالجواهر عن عكرمه ثم ارتحلوا
وانطلقوا ثم اذن مؤذن اى نادى منادى مسمعا معلما ايتها العير اى
القافله التقدير يا اهل العير وقيل كانت القافله من الحمير عن مجاهد انكم

لسارقون قيل انما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من
غير امره ولم يعلم بما امره يوسف من جعل الصاع في رحالهم عن الجبائي
وقيل ان يوسف امر المنادي بان ينادي به ولم يرد به سرقة الصاع
وانما عني به انكم سرقتم يوسف عن ابيه والقيتموه في الجب عن ابي مسلم
وقيل ان الكلام يجوز ان يكون خارجا مخرج الاستفهام كانه قال
ءانكم لسارقون فاسقط همزة الاستفهام كما في قول الشاعر كذبتك
عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ويؤيده ما روي
هشام ابن الحكم عن ابي عبد الله ع انه قال ما سرقوا وما كذب ومتى قيل
كيف جاز ليوسف ان يحزن والده واخوته بهذا الصنع ويجعلهم متهمين
بالسرقة فالجواب ان الغرض التسبب الى احتباس اخيه عنده ويجوز ان يكون
ذلك بامر الله تعالى وروي انه اعلم اخاه بذلك ليجعله طريقا الى التمسك به
فاذا كان ادخال هذا الحزن سببا موديا الى ازالة غموم كثيرة عن الجميع وكان
انه يتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازه فاما التعريض للتهمة بالسرقة فغير صحيح
لان وجود السقاية في رحله يحتمل امورا كثيرة غير السرقة مع علمه بانهم
اولاد الانبياء توجهة الايمة عليه قالوا اي قال اصحاب العير واقبلوا على
اصحاب يوسف ماذا تفقدون اي ما الذي فقدتموه من متاعكم قالوا
نفقد صواع الملك اي صاعه وسقايته ولمن جاء به حمل بعير اي قال المنادي
من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام وانا به زعيم اي كفيل ضامن قالوا اي قال
اخوة يوسف بالله لقد علمتم ايها القوم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين قط وانما اضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموا لان معنى
هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا اياكم مرة بعد اخرى
ما تعلمون به انه ليس من شاننا السرقة وقيل انهم انما قالوا ذلك لانهم ردوا
البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير اذن

يوسف اي فاذا كنا اخرجنا عن هذا فقد علمتم انا لا نسرق لان من رد ما
وجد لا يكون سارقا عن الكلبي وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد
سدوا افواه دوابهم كيلا يتناول الحرث والزرع وفي هذا دلالة على
ان ما فعله اخوة يوسف انما كان في حال الصغر وعدم كمال العقل ونفيهم
عن انفسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح قالوا فما جزاؤه اي قال الذين
نادوهم فما جزاء السرق ان كنتم كاذبين في قولهم انا لم نسرق وظهرت
السرقة وقيل معناه فما جزاء من سرق قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو
جزاؤه اي قال اخوة يوسف جزاء السرق السارق وهو الانسان الذي وجد
المسروق في رحله وقد بينا تقديره فيما قبل ومعناه ان السنة في بني اسرائيل
وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحق و
الجبائي وكان يسترق سنة وقيل كان حكم السارق ال يعقوب ان يستخدم
ويسترق على قدر سرقته وفي دين الملك الضرب والضمان وقيل ان
يوسف سالهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يوخذ بسرقته كذلك
نجزي الظالمين اي مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعني اذا سرق
استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف ع لقول اخوته ان جزاء السارق
استرقاقه فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه اي بدا يوسف في التفتيش باوعيتهم
لازالة التهمة ثم استخرجها يعني السقاية من وعاء اخيه وانما بدا باوعيتهم
لانه لو بدا بوعاء اخيه لعلموا انه هو الذي جعلها فيه وانما قال استخرجها
لانه اراد السقاية وحيث قال ولمن جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع
تذكر وتونث قالوا فاقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا وسودت
وجوهنا متى اخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي
وضع الدراهم في رحالكم كذلك كدنا ليوسف اي مثل ذلك الكيد امرنا
يوسف ليكيد بما يتهيا له ان يحبس اخاه ليكون ذلك سببا لوصول خبره

الى ابيه اى الهمنا يوسف هذا الكيد والحيله فجازيناهم على كيدهم بيوسف
اى كما فعلوا فى الابتدا فعلنا بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن
ابن عباس وقيل الهمنا عن الربيع وقيل دبرنا ليوسف بدلاله وفوق كل
ذى علم عليم على انه سبحانه علم من صلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره
عن القتيبى ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله اى ما كان
يمكنه ان ياخذ اخاه فى حكم الملك وقضايه وان يحبسه اذ لم يكن ذلك
من حكم مصر واهله عن قتاده وقيل فى دين الملك فى سلطانه عن ابن عباس
وقيل فى عادته فى جزا من سرق ان يستعبد وقيل انه كان حادلا ولولا هذه
الحيله لما كان يمكنه من اخذ اخيه الا ان يشاء الله ان يجعل ليوسف عذرا
فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يامره بذلك لانه كان لا يمكنه ان يقول
هذا اخى فكان لا يمكنه حبسه من غير حيله لانه كان يكون فعله ظلما وكان
من سنة ال يعقوب ان يسترق وفى حكم الملك واهل مصر ان يضرب ويغرم
فحبسه يوسف على قولهم والتزم حكمهم الذى جرى على لسانهم مبالغة فى نفى
السرقه عن انفسهم وكان ذلك مراده وقد شاءه الله لانه بامره عن الحسن
وانما سماه كيدا لانه لولا هذا السبب لم يتهيا له اخذه والكيد ما يفعله فاعله
ليتوصل به الى غيره ضرارا من حيث لا يعلمه او لينال منه شيا من غير ان يعلمه
نرفع درجات من نشاء بالعلم والنبوه كما رفعنا درجة يوسف على اخوته
وقيل بالتقوى والتوفيق والعصمه والالطاف الجميله وفوق كل ذى علم
عليم يعنى ان كل عالم فان فوقه عالما اعلم منه حتى ينتهى الى الله تعالى العالم
بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفى هذا دلاله على بطلان
قول من قال ان الله سبحانه عالم بعلم قديم لانه لو كان كذلك لكان فوقه عليما
على ما يقتضيه الظاهر قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم

بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه
انا نريك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده انا اذا لظالمون فلما استياسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم
الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم
فى يوسف فلن ابرح الارض حتى ياذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين
اربع ايات اللغه الياس قطع الطمع من الامر يقال يئس ييئس ياسا وايس
يايس لغه واستفعل منه استياس واستايس وروى ابو ربيعه عن البزى عن
ابن كثير استايسوا واستايس الرسل ولا تايسوا واستياس بمعنى مثل سخر واستسخر
وعجب واستعجب والنجى القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سوا قال سبحانه
وقربناه نجيا وانما جاز ذلك لانه مصدر وصف به والمناجاه المساره واصله
من النجوه وهو المرتفع من الارض فكانه رفع السر من كل واحد الى صاحبه فى خفيه
والنجوى يكون اسما ومصدرا قال سبحانه واذ هم نجوى اى متناجون وقال
فى المصدر انما النجوى من الشيطان وجمع النجى انجيه قال انى اذا ما القوم
كانوا انجيه وبرح الرجل براحا اذا تنحى عن موضعه الاعراب قوله فاسرها
يوسف ولم يبدها لهم قال الزجاج هذا اضمار على شريطة التفسير لان قوله
قال انتم شر مكانا بدل من ها فى فاسرها والمعنى فاسر يوسف فى نفسه قوله
انتم شر مكانا قال ابو على ان الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين احدهما
ان يفسر بمفرد نحو نعم رجلا زيد فقولك رجلا يفسر الرجل الذى هو فاعل
نعم وقد اضمر والاخر ان يفسر بجمله واصل هذا يقع فى الابتدا كقوله فاذا هى
شاخصه ابصار الذين كفروا وقل هو الله احد المعنى القصه ابصار الذين
كفروا شاخصه والامر الله احد ثم يدخل عوامل المبتدا عليه نحو كان واخواتها
وان واخواتها فينتقل هذا الضمير من الابتدا بها كما ينتقل سائر المبتدات
كقوله انه من يات ربه مجرما فانها لا تعمى الابصار وقول الشاعر وليس منها

سفاء الداء مبذول والذى ذهب ابو اسحق فيه الى انه مضمر على شريطة
التفسير يبتدى فيلزمه التفسير بالجملة الا ترى انها فضلة مذكورة بعد فعل
وفاعل وهو قول لسر فاذا كان مباينا لما اصله المبتدا لم يجز ان يغير تفسيره
وايضا فان المضمر على شريطة التفسير لا يكون الا متعلقا بالجملة التى
تفسيره ولا يكون منقطعا عنها ولا متعلقا بجملة غيرها وما ذكره ابو
اسحق فالتفسير فيه منفصل عن الجملة التى فيها الضمير الذى زعم ان اضمار
على شريطة التفسير فخرج بذلك عما عليه الاضمار قبل التفسير فان قلت
فعلام يحمل الضمير فى اسرها قلنا يحتمل ان يكون اضمار للاجابة كانهم
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اسر يوسف اجابتهم فى نفسه
ولم يبدها لهم فى الحال وجاز اضمار ذلك لانه دل ما يقدم من مقالتهم
عليه وجاز ان يكون اضمارا للمقالة لانه اسر يوسف مقالتهم لان القول
والمقالة واحد ويكون معنى المقالة المقول كما ان الخلق عبارة عن المخلوق
اى اكنها فى نفسه واوعاها ولم يطرحها ارادة للتوبيخ عليها والمجازاة بها
انتهى الحصر كلام ابى على وقوله شيخا صفة للاب وكبيرا صفة لشيخ ومعاذ
الله منصوب على المصدر والعرب يقول معاذ الله ومعاذة الله واعوذ
الله واعوذه الله وعياذ الله ويقولون اللهم عايذا بك اى ادعوك
عايذا بك وان ناخذ فى موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد
الا من وجدنا متاعنا عنده فلما سقطت من افضى الفعل فنصب عن الزجاج
وقوله انا اذا لظالمون فيه معنى الجزاء اى ان اخذنا غيره فنحن ظالمون
ونجيا نصب على الحال وفى قوله ما فرطتم لغواى ومن قبل فرطتم ويجوز
ان يكون مصدرية فى موضع رفع بمعنى تفريطكم واقع من قبل فيكون ما
فرطتم فى يوسف فى موضع رفع بالابتدا ومن قبل خبره ويجوز ان يكون
فى موضع نصب عطفا على ان فيكون المعنى الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم

موثقا وتفريطكم فى يوسف ويحكم عطف على يأذن ويجوز ان يكون
بمعنى الا ان اى لن ابرح الارض الا ان يحكم الله لى المعنى ثم اخبر سبحانه
عن اخوة يوسف انهم قالوا ليوسف ان يسرق ابن يامين فقد سرق اخ
له من امه من قبل فليست سرقته بامر بديع فانه اقتدى باخيه يوسف
واختلف فيما وصفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمة يوسف كانت
تحضنه بعد وفاة امه وتحبه حبا شديدا فلما ترعرع اراد يعقوب ان
يستردّه منها وكانت اكبر ولد اسحق وكانت عندها منطقة اسحق وكانوا
يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف
وادعت انه سرقها وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب
عندها عن ابن عباس والضحاك والجبائى وقد روى ذلك عن ائمتنا عليهم
السلم وقيل انه سرق صنما لجده من قبل امه وكسره والقاه عن الطريق عن سعيد
ابن جبير وقتاده وابن زيد وقيل انه سرق دجاجة كانت فى بيت يعقوب
او بيضة فاعطاها سايلا فعيروه بها عن سفين ابن عيينه ومجاهد فاسرها
يوسف اى فاخفى يوسف تلك الكلمة التى قالوها ولم يبدها لهم اى لم
يظهرها قال انتم شر مكانا فى السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم والله اعلم
بما تصفون اى الله اعلم اسرق اخ له ام لا عن الزجاج ويكون المعنى انتم
اسوا حالا من يوسف فانه لم يكن له صنيع فى المنطقة وكان بصدق
باذن الله ابيه ولم تكونوا براء مما عاملتموه به وقيل معناه انتم شر صنيعا
بما اقدمتم عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فانتم شر مكانا عند الله منه
اى اسر هذه المقالة فى نفسه ثم جهر بقوله والله اعلم بما تصفون قال
الحسن لم يكونوا انبيا فى ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح
عندنا انهم لم يكونوا انبيا لان النبى عندنا لا يجوز ان يقع منه فعل
القبيح اصلا وقال البلخى انهم كذبوا فى هذا القول ولم يصح انهم كانوا انبيا

وجوزنا ان يكون الاسباط غيرهم وان يكونوا من اولادهم قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه اى بدلا عنه انا قالوا هذا
لما علموا انه استحقه فسالوه ان ياخذ عنه بدلا شفقة على والدهم ورفقوا
فى القول على سبيل وجه الاسترحام ومعناه كبيرا فى السن وقيل كبيرا فى القدر
لا يحبس ابن مثله انا نراك من المحسنين الى الناس وقيل من المحسنين الينا
فى الكيل والبضاعه وفى الضيافه فنحن نامل هذا منك لاحسانك الينا وقيل
ان فعلت هذا فقد احسنت الينا فاجابهم يوسف بان قال معاذ الله ان ناخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده اى اعوذ بالله ان اخذ البرى بجرم السقيم وقال
من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا من الكذب انا اذا لظالمون
اى لو فعلنا ذلك لكنا ظالمين وفى هذا دلاله على ان اخذ البرى بالمجرم
ظلم ومن فعله كان ظالما والله تعالى عن ذلك ويجل عن ذلك علوا كبيرا
فلما استيئسوا منه اى فلما ياس اخوة يوسف من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه
من تخليه سبيل اى يامين معهم خلصوا خلوصا نجيا اى انفردوا عن الناس من غير
ان يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون فى ذهابهم الى ابيهم
من غير اخيهم ويتدبرون فى انهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعتزلوا
عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القران التى فى الغايه القصوى من
من الفصاحه والايجاز فى اللفظ مع كثرة المعنى قال كبيرهم وهو روبيل وكان
اسنهم وهو ابن خاله يوسف وهو الذى نهى اخوته عن قتله عن قتاده والسدى
والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم فى العقل والعلم لا فى
السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل يهودا وكان اعقلهم عن وهب والكلبى
وقيل لاوى عن محمد بن اسحق وعن على ابن ابرهيم ابن هاشم الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله الوثيقه التى وطلبها منهم يعقوب
حين قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتننى به فذكرهم

ذلك

ذلك ومن قبل ما فرطتم فى يوسف اى قصرتم فى امره وكنتم قد عاهدتم اباكم
ان تردوه اليه سالما فنقضتم العهد فلن ابرح الارض اى لا ازال بهذه الارض
ولا ازول عنها وهى ارض مصر حتى ياذن لى ابى فى البراح والرجوع اليه او
يحكم الله لى بالخروج وترك اخى ههنا وقيل بالموت وقيل بما يكون عذرا
لنا عند ابينا عن ابى مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخى عن الجبائى
وهو خير الحاكمين لا يحكم الا بالحق قالوا انه قال لهم انا اكون ههنا واحملوا
انتم الطعام اليهم واخبروهم بالواقعه ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسال القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتينى بهم
جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف
وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر
يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكوا بثى
وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بنى اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه ولا تيئسوا من روح الله انه لا ييئس من روح
الله الا القوم الكافرون سبع ايات القراة فى الشواذ قراه ابن عباس
سرق بضم السين وتشديد الراو وكسرها وقراه الحسن وقتاده وعمر ابن
عبد العزيز من روح الله بضم الراء الحجه معنى سرق نسب الى السرقه فيكون
من باب فسقه وبجعه اذا نسبه الى هذه الخلال واما روح الله فيمكن ان يكون
من الروح الذى هو من عند الله وبلطفه وهدايته ونعمته اللغه القريه
الارض الجامعه لمساكن كثيره واصله من القرى وهو الجمع يقال قريت الماء
فى الحوض ونظيره البلده والمدينه والعير قد مضى ذكر معناه والكظم تجرع
الحزن وهو ان يمسكه فى قلبه ولا يبثه الى غيره ويقال ما زلت افعل كذا

وماقبلت فعله افناء فتاء قال اوس ابن حجر يصف حربا فما فتئت خيل
يوب وتدعى ويلحق منها لاحق ويقطع والحرض المشرف على الهلاك يقال
رجل حرض وحارض اى فاسد فى جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا امرته
به لانه اذا خالف الامر فكانه هلك واحرضه اى افسده قال العرجى ان امرءا
لج حب فاحرضنى حتى بليت وحتى شفى السقم والحرض لاثنى ولايجمع لانه مصدر
والشكوى صفه ماعنده من البلوى يقال شكوته الى فلان شكوى وشكايه
وشكوى فاشكانى اى اعتبنى من شكواى واشكانى ايضا احوجنى الى الشكوى
والبث الهم الذى لايقدر صاحبه على كتمانه فيبثه اى يفرقه وكل شئ فرقته
فقد بثثته ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابه والتحسس طلب الشئ بالحاسه
والتجسس بطيره وفى الحديث لاتجسسوا ولاتحسسوا وقيل ان معناهما واحد
ويسبق احدهما على الاخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر متى اذن منه ينأ
عنى ويبعد وقيل التجسس بالجيم البحث عن عورات الناس وبالحا الاستماع لحديث
القوم وسيل ابن عباس عن الفرق بينهما فقال لايبعد احدهما عن الاخر
التجسس فى الشر والروح الراحه والروح الرحمة واصل الباب من الريح التى يأتى
بالرحمة الاعراب سئل القريه اى اهل القريه واهل العير فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه يا اسفا معناه يا حزنا والاصل يا اسفى الا ان يا
الاضافه يجوز ان تبدل الفا لخفه الالف والفتحه ويجوز ان يكون الفا للندبه
ويكون معناه البيان ان الحال حال حزن فكانه قال يا اسف هذا من اوانك
وقوله على يوسف من صله المصدر تفتؤ معناه ان تفتؤا فحذف حرف النفى
لعلم السامع به كما فى قول امرء القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا
راسى لديك واوصالى وانما جاز ذلك لانه لايجوز فى القسم بالله نفعل
حتى يقول بالله لنفعلن او يقول لانفعل المعنى ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كبيرهم
فى السن او فى العلم ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق فى الظاهر

وما

وماشهدنا عندك بهذا الا بما علمنا اى الا بما شاهدنا من ان الصاع استخرج
من رحله فى الظاهر وبين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه
ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق الا بما علمنا ان الحكم ذلك ولم يعلم
ان ابنك سرق ام لا الا انه وجد الصاع عنده فحكم بانه السارق فى الظاهر وانما قالوا
ذلك حين قال يعقوب لهم ما يدرى الرجل ان السارق يوجد بسرقته ويسترق
وانما علم ذلك بقولكم وما كنا للغيب حافظين اى انا لم نعلم الغيب حين سالناك
ان تبعث ابن يامين معنا ولم ندر ان امره يؤول الى هذا وانما قصدنا به الخير
ولو علمنا ذلك ماذهبنا به عن مجاهد وقتاده والحسن وقال على ابن عيسى علم الغيب
هو علم من لو شاهد الشئ لشاهده بنفسه لا بامر يستفيده والعالم بهذا المعنى هو
الله وحده جل اسمه وقيل معناه ما كنا لسر هذا الامر حافظين وبه عالمين فلا ندرى
انه سرق ام كذبوا عليه وانما اخبرناك بما شاهدناه عن عكرمه وقيل معناه ما كنا
لغيب ابنك حافظين اى انا كنا نحفظه من محضره فاذا غاب عنا ذهب عن حفظنا
يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغته حمير عن ابن عباس قالوا انا
لم نعلم ما كان يصنع فى ليله ونهاره ومجيئه وذهابه وسئل القريه اى اهل القريه
التى كنا فيها والقريه مصر عن ابن عباس والحسن وقتاده ومعناه وسل من شئت
من اهل مصر عن هذا الامر فان هذا امر شايع فيهم يخبرك به من سالته وانما
قالوا ذلك لان بعض اهلها كانوا قد صاروا الى الناحيه التى فيها ابوهم والعرب
يسمى الامصار والمداين قرى والعير التى اقبلنا فيها اى وسل اهل القافله التى
قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جيران يعقوب وانما حذف المضاف
للايجاز ولان المعنى مفهوم وقيل انه ليس فى الكلام حذف لان يعقوب عم
نبى صاحب معجز يجوز ان يكلمه القريه والعير على وجه خرق العاده وانما قالوا ذلك
لانهم كانوا اهل تهمه عند يعقوب وانا لصادقون فيما اخبرناك به قال بل سولت
لكم انفسكم امرا ههنا حذف كثير يدل الحال عليه تقديره فلما رجعوا الى ابيهم وقصوا

عليه القصه بطولها قال الهم ما عندي ان الامر على ما يقولون بل سولت لكم
انفسكم امرا فيما اظن فصبر جميل اي فامري صبر جميل لا جزع معه عسى الله
ان ياتيني بهم جميعا اي عسى الله ان ياتيني بيوسف وابن يامين وروبيل او شمعون
او لاوي او يهودا انه هو العليم بعباده الحكيم في تدبير الخلق وتولى عنهم
اي انصرف واعرض عنهم لشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين
وهاج ذلك وجده بيوسف لانه كان يتسلى به وقال يا اسفى على يوسف
اي يا طول حزني على يوسف عن ابن عباس وروي عن سعيد بن جبير انه
قال لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم يعط الانبياء قبلهم
انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيها الانبياء لاعطيها يعقوب اذ يقول
يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن والبكا ولما كان البكا من
اجل الحزن اضاف ابياض البصر اليه وسئل الصادق ع ما بلغ من حزن
يعقوب على يوسف قال حزن سبعين حرى ثكلى وقيل كيف وقد اخبر
انه يرد عليه فقال انسي ذلك وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل وقيل انه
اشرف على العمى فكان لا يرى الاشيا بشيء فهو كظيم الكظيم هنا بمعنى
الكاظم وهو المملو من الهم والحزن الممسك الغيظ لا يشكوه لاهل زمانه
ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى ابن جعفر ع الكاظم لكثرة ما كان
يتجرع من الغيظه والغم طول ايام خلافته لابيه في ذات الله تعالى وقال
ابن عباس هو المغموم المكروب قالوا اي قال ولد يعقوب لابيهم تالله
تفتؤ تذكر يوسف اي لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا اي دنفا
فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحق وقيل قريبا من الموت عن مجاهد
وقيل هرما باليا عن قتاده والضحاك او تكون من الهالكين اي الميتين
وانما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفا ورحمة له وقيل انهم قالوا ذلك
تبرما ببكائه او تنغص عيشهم بذلك قال يعقوب في جوابهم انما اشكو بثي اي

همي

همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن وحزني الى الله المعنى انما اشكو حزني
وحاجتي واختلال حالي وانتشارها الى الله في ظلم الليالي واوقات الخلوات
لا اليكم وقيل البث ما ابداه والحزن ما اخفاه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
ان جبريل اتاه فقال يا يعقوب ان الله يقرا عليك السلم ويقول ابشر وليفرح قلبك
وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي
المساكين اوتدري لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك لانكم ذبحتم شاة واتاكم
فلان المسكين وهو صايم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك اذا اراد الغدا
امر مناديا فنادى الا من اراد الغدا من المساكين فليتغد مع يعقوب واذا
كان صايما امر مناديا فنادى من كان صايما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم
ابو عبد الله في صحيحه واعلم من الله ما لا تعلمون اي واعلم صدق رويا
يوسف واعلم انه حي وانكم ستسجدون له كما اقتضاه روياه عن ابن عباس
وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون عن عطا وفي كتاب النبوة
بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر الباقر ع قال ان يعقوب دعا
الله سبحانه في ان يهبط عليه ملك الموت فاجابه فقال ما حاجتك
قال اخبرني هل مر بك روح يوسف في الارواح قال لا فعلم انه حي فقال
اذهبوا فتحسسوا من يوسف وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال
لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ابن يامين اي استخبروا من شانهما واطلبوا خبرهما وانظروا الى ملك
مصر ما اسمه وعلى اي دين هو فانه القي في روعي ان الذي حبس ابن يامين
هو يوسف وانه انما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالا في حبس
اخيه عند نفسه ولا تياسوا من روح الله اي لا تقنطوا من رحمته عن
ابن عباس وقتاده والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد
والمعنى لا تياسوا من الروح الذي ياتي به الله انه لا يياس من روح الله

الا القوم الكافرون قال ابن عباس يريد ان المؤمن من الله على خير
يرجو في الشدايد والبلا ويشكر ويحمد في الرخا والكافر ليس كذلك
وفي هذا دلالة على ان الفاسق المعنى لا ياس عليه من رحمة الله بخلاف
ما يقوله اهل الوعيد سوال كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب في المدة
الطويلة مع قرب المسافة وكيف لا يعلمه بخبره لتسكن نفسه ويزول حزنه
والجواب قال الجبائي العلة في ذلك انه حمل الى مصر فبيع من العزيز
فالتزم داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخبار الناس عنه فلا
يمكن احتياله في ايصال خبره بابيه على الوجه الذي امكنه وكان لا يامن
لو بعث رسولا اليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى
قدس الله روحه يجوز ان يكون ذلك ممكنا وكان عليه قادرا لكن الله
سبحانه اوحى اليه بان يعدل عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه
ولله سبحانه ان يصعب التكليف وان يسهله فلما دخلوا عليه قالوا
يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف
لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت
يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد اثرك
الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على
وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ست ايات القراءة
قرا ابو جعفر وابن كثير انك لانت يوسف بكسر الهمزة وقرا نافع
ويعقوب عن زيد وسهل اينك بفتح الهمزة غير ممدود وقرا ابو عمرو
وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب اينك بالمد وقرا الباقون

الربع

اينك بهمزتين وفي الشواذ قراءة ابي اينك او انت يوسف وقرا ابن كثير
وحده من يتقي باثبات الياء في الوصل والوقف والباقون بغير ياء فيهما الحجة
يدل على الاستفهام قوله انا يوسف وانما اجابهم عما استفهموا عنه قال
ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها على انه على الاستفهام كانه قال او تلك
نعمة تمنها فيجوز ان يكون من قرا انك على هذا فيكون القراءتان متفقتين وقل
ما يحذف حرف الاستفهام فاما باقي القراءات فانه يجري على مذهبهم في
احتمال الهمزتين وقد تقدم القول في ذلك واما قراءة ابي فيكون على حذف
خبر ان كانه قال انك لغير يوسف او انت يوسف قال ابن جني فكانه بل انت
يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال انا يوسف وقد جاء عنهم حذف خبر ان
قال الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضى مهلا اراد ان لنا
محلا وان لنا مرتحلا قال ابو علي من يتقي لا يحمل على نحو قول الشاعر الم ياتيك
والانباء تنمي لان هذا ونحوه انما يجي في الشعر ولكن يجعل من موصوله فيكون
بمنزلة الذي يتقي ويحمل المعطوف على المعنى لان من يتقي اذا كان بمنزلة الذي
بمنزلة الجزاء الجازم بدلالة ان كل واحد منهما يصلح دخول الفاء في جوابه واذا
اجتمعا في ذلك جاز ان يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلته
فيما ذكرناه ومثل قوله فاصدق واكن حملت واكن على موضع الفاء ومثله
قول من قرا ويذرهم في طغيانهم جزما ويجوز ان يقدر الضمة في قوله ويصبر
ويحذفها للاستخفاف كما تخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا في حركة الاعراب
لجوازه في حركة البناء وزعم ابو الحسن انه سمع رسلنا لديهم يكتبون باسكان اللام
من رسلنا ويقوي ذلك قراءة من قرا ويتقه الا ترى انه جعل تقه بمنزلة كتف
وعلم فاسكن فلذلك يسكن على هذا ويصبر فان الله اللغة الازجاء في اللغة
السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله يزجي سحابا قال النابغة
وهبت الريح من تلقاء ذي ارك تزجي مع الليل من صرادها صرما وفلان

يزجي العيش اى يدفع بالقليل ويكتفي به قال الاعشى الواهب المايه الهجان
وعبدها عوذا تزجي خلفها اطفالها اى تدافع وقال الاخر وحاجه غير مزجاه من
الحاج وانما قيل للبضاعه مزجاه لانها يسيره ناقصه وانما يجوز ذلك على دفع من
احدها والمن النعمه واصله القطع لانها يقطع المنعم عليه من حال بوسه والايثار
تفضيل احدى الشيين على الاخر ونظيره الاختيار والاجتبا ونقيضه الايثار عليه
واصله من الاثر وانما يوثر من له اثر جميل والاثر الاخيار يقال اثره ياسره
والماثره المكرمه لانها توثر يقال خطى الرجل يخطا خطاء وخطا فهو خاطى
واخطا يخطى اخطا قال امرا القيس يالهف هند اذ خطين كاهلا القايلين
الملك الحلاحلا التثريب التوبيخ يقال ثرب واثرب وثرب عن ابن الاعرابى
وقيل التثريب اللوم والافساد والتقرير بالذنب قال ابو عبيده واصله
الافساد وانشد فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد
وقال ثعلب ثرب فلان على فلان اى عدد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم هو
ماخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكانه موضوع للمبالغه فى اللوم والتعنيف
والبلوغ بذلك الى اقصى غايه الاعراب هل علمتم استفهام والمراد به التقرير
ما فعلتم بيوسف فيكون ما فى موضع نصب والجمله معلقه بعلمتم وقوله
فان الله لا يضيع اجر المحسنين فى موضع الجزم بانه جواب الشرط وذكر المحسنين
ناب عن الضمير العايد الى من لان الاتقا والصبر فى معنى الاحسان فكانه
قال لا يضيع جزاوهم لانت يوسف هذه لام الابتدا وانت مبتدا ويوسف
خبره والجمله خبر ان ويجوز ان يكون انت فصلا كما علمت فيما تقدم وقوله
لا تثريب عليكم تثريب نكره مفرده مبنيه مع لا على الفتح ولا يجوز ان يتعلق
عليكم به اذ لو كان كذلك لكان مشبها بالمضاف من حيث يكون عاملا
فيما بعده ويكون عليكم من تمامه فكان يجب ان يكون منصوبا منونا
كما يقول لا امرا يزيد عندك واذا عرفت هذا فان عليكم ههنا فيه وجهان

احدهما ان يكون فى موضع الخبر على تقدير لا تثريب عليكم او ثابت عليكم
ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه الى عليكم حيث سد مسده والاخر
ان يتعلق بضمير ذلك المضمر وصف لتثريب وعلى هذا فيجوز فيه وجهان
احدهما ان يكون فى محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول
لا رجل ظريف والاخر ان يكون فى محل نصب تقديره لا تثريب ثابتا
عليكم كما تقول لا رجل ظريفا ثم حذفت الصفه وقام الظرف مقامه
ويكون اليوم على هذا الوجه خبرا لا وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون خبرا
بعد خبر ويجوز ان يكون متعلقا بالضمير الذى فى الخبر ويجوز ان يكون
قد تم الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره
اليوم يغفر الله لكم وهو اختيار الاخفش وهذا الكلام فى قوله لا ريب فيه
المعنى ولما قال يعقوب لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه خرجوا
الى مصر فلما دخلوا عليه اى على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر اى اصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجه والشده من السنين الشداد
القحاط وقيل انهم شكوا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلا الذى اصابهم
وجينا ببضاعه مزجاة اى يدافع بها الايام وتتقوت وليست مما يتسع به
وقيل رديه لا توخذ الا بوكس عن ابن عباس والجباى وقيل قليله عن الحسن
ومجاهد وقتاده وابن زيد وابى مسلم واختلف فى تلك البضاعه فقيل كانت دراهم
رديه زيوفا لا تنفق فى ثمن الطعام عن عكرمه عن ابن عباس وقيل كانت خلق الغرارة
والحبل ورث المتاع عن ابن ابى مليكه عنه وقيل كانت متاع الاعراب الصوف
والسمن عن عبد الله ابن الحرث وقيل الصنوبر والحبه الخضرا عن الكلبى ومقاتل
وقيل دراهم فسول عن سعيد بن جبير وقيل كانت اقطا عن الحسن وقيل النعال
والادم عن الضحاك والادم عن الضحاك وعنه ايضا انها سويق المقل
فاوف لنا الكيل كما كنت توفى فى السنين الماضيه ولا تنظر الى قله بضاعتنا

في هذه السنه وتصدق علينا اي سامحنا عما بين المقدين وسعر لنا بالردي كما يسعر بالجيد وقيل معناه تصدق علينا برد اخينا عن ابن جريج والضحاك ان الله يجزي المتصدقين اي يصيبهم على صدقاتهم بافضل منها وفي كتاب النبوه بالاسناد عن الحسن ابن محبوب عن ابي اسمعيل الفراء عن طربال عن ابي عبدالله ع في خبر طويل ان يعقوب كتب الى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم الى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن اسحق ابن ابرهيم خليل الرحمن صاحب نار نمرود الذي جمع لنا النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وانجاه منها اخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريعا من الله ليبلونا عند السرا والضرا وان مصايب تتابعت علي منذ عشرين سنه اولها انه كان لي ابن سميته يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرة عيني وثمرة فوادي وان اخوته من امه سالوني ان ابعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكره فجاوني عشا يبكون وجاوا على قميصه بدم كذب وزعموا ان الذيب اكله فاشتد لفقده حزني وكثر على فراقه بكاي حتى ابيضت عيناي من الحزن وانه كان له اخ وكنت به معجبا وكان لي انيسا وكنت اذا ذكرت يوسف ضممته الى صدري فيكن بعض ما اجد في صدري وان اخوته ذكروا انك سالتهم عنه وامرتهم ان ياتوك به فان لم ياتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحا فرجعوا الي وليس هو معهم وذكروا انه سرق مكيال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني فجعتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس بذلك ظهري وعظمت به مصيبتي مع مصايب تتابعت علي فمن علي بتخليه سبيله واطلاقه من حبسك وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر واوف لنا الكيل وعجل سراح ال ابراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الى اخر الايه وتصدق علينا باخينا ابن يامين وهذا كتاب ابينا يعقوب اتينا

اليك

اليك في امره نسالك تخليه سبيله فمن به علينا فاخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتى بل دموعه القميص الذي عليه ثم اقبل عليهم وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه ومعناه انه قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف من اذلاله وابعاده عن ابيه والقايه في البير والاجتماع على قتله وبيعه بثمن وكس وما فعلتم باخيه من افراده عن يوسف والتفريق عنهما حتى صار ذليلا فيما بينكم لا يكلمكم الا كما يكلم الذليل العزيز وانما لم يذكر اباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم لفراقه تعظيما له ورفعا من قدره وعلما ان ذلك كان بلاء له يزداد به علو الدرجات ورفعة المنزله عند الله تعالى قال ابن الانباري هذا استفهام يعني به تعظيم القصه ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم وما اقبح ما اتيتم من قطيعه رحمه وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي هذه الايه مصداق قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله اذ انتم جاهلون اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن ومعناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهليه الصبا في غفوان الشباب حين يغلب على الانسان الجهل ولم ينسبهم الى الجهل في حال الخطاب لانهم كانوا تائبين نادمين في تلك الحال وكان هذا تلقينا لهم بما يعتذرون به اليه وهذا هو الغاية في الكرم اذ صفح عنهم ولقنهم وجه العذر قالوا ائنك لانت يوسف قيل ان يوسف لما قال لهم هل علمتم الايه تبسم فلما ابصروا ثناياه وكانت كاللولو المنظوم شبهوه بيوسف وقالوا له ائنك لانت يوسف عن ابن عباس وقيل رفع التاج عن راسه فعرفوه قال انا يوسف اظهر الاسم ولم يقل انا هو تعظيما لما وقع به من ظلم اخوته فكانه قال انا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني عن ابن الانباري قال ولهذا قال وهذا اخي لانه قصده وهذا المظلوم كظلمي قد من الله تعالى علينا بالاجتماع بعد طول الفرقه وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والاخره انه من يتق ويصبر على

المصايب وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين اجر من كان هذا حاله
والضياع ذهاب الشيء من غير عوض قالوا تالله اقسموا بالله سبحانه لقد اثرك
الله علينا اى فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن
والملك وان كنا لخاطئين اى ما كنا الا مخطئين اثمين فيما فعلنا وهذا
يدل على انهم ندموا على ما فعلوا ولم يصروا قال يوسف لا تثريب عليكم
اليوم اى لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم الان فيما فعلتم يغفر الله لكم
ذنوبكم فانى استغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين في عفوه عنكم ما تقدم
من ذنبكم وقيل في ضيعه بى حتى جعلنى ملكا وقيل اراد باليوم الزمان
فيدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا
واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لا تثريب
عليكم ثم ابتدا بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو دعاء لهم اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابى يات بصيرا قيل انه عليه السلم لما عرفهم نفسه سالهم
عن ابيه فقال ما فعل ابى بعدى قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي
هذا واطرحوه على وجهه يعد مبصرا كما كان من قبل قال ابن عباس يات
بصيرا يكن بصيرا ويذهب البياض الذى على عينيه واتونى باهلكم اجمعين
اذا عاد بصيرا وهذا كان معجزا منه اذ لا يعرف انه يعود بصيرا بالقاء القميص
على وجهه الا بالوحى وقيل ان يوسف قال انما يذهب بقميصي من ذهب به
اولا فقال يهودا انا ذهبت به وهو ملطخ بالدم واخبرته انه اكله الذئب قال
فاذهب بهذا ايضا واخبره انه حى وافرحه كما احزنته فحمل القميص وخرج
حافيا حاسرا حتى اتاه وكان معه سبعة ارغفة وكانت مسافة ما بينهما ثمانين
فرسخا فلم يستوف الا رغيفه في الطريق وقد ذكرنا قبل شان القميص وروى
ايضا الواحدى باسناده يرفعه الى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه
واله قال ان نمرود الجبار لما القى ابرهيم في النار نزل اليه جبريل بقميص من الجنة

وطنفسه من الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسه وقعد معه يحدثه
فكسا ابرهيم ذلك القميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا وقال
ابن عباس اخرج لهم قصبه من فضه كانت في عنقه لم يعلم بها اخوته فيها قميص
وهو الذى نزل به جبريل على ابرهيم وذكر القصه وقال مجاهد امره جبريل
ان ارسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة يقع على مبتلى ولا سقيم الا صح
وعوفى ولما فصلت العير قال ابوهم انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد
بصيرا قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم
خمس ايات اللغه الفصل اصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لانه يقطع الامور
والتفنيد تضعيف الراى قال يا صاحبى دعا لومى وتفنيدى فليس ما فات من امر
بمردود والفند ضعف الراى وقيل ان اصله الفساد قال النابغه الا سليمان
اذ قال المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند اى امنعها عن الفساد
المعنى ولما فصلت العير اى لما خرجت القافله وانفصلت من مصر متوجهه
نحو الشام قال ابوهم يعقوب لاولاد اولاده الذين كانوا عنده انى لاجد
ريح يوسف روى عن ابى عبد الله عليه السلم قال وجد يعقوب ريح قميص
ابرهيم حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل
في مسيرة ثمانى ليال عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخا عن الحسن وقيل
مسيرة شهر عن الاصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف الى يعقوب
وذكر في القصه ان الصبا استاذنت ربها في ان تاتى يعقوب بريح يوسف
قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها ولذلك يستروح كل محزون
بريح الصبا وقد اكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قولهم فان الصبا ريح اذا ما
تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها وقول ابى صخر الهذلى اذا قلت هذا

حين سلوا الهيجني نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر وقوله لولا ان يفندون
معناه لولا ان تضعفوني في الراي عن ابن اسحق وقيل لولا ان تكذبوني
والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك ايضا
عن ابن عباس وقيل لولا ان تهرموني عن الحسن وقتاده اي يقولون انه
شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره اني لاجد ريح يوسف لولا
ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي قالوا اشفاقا عليه
وترحما انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب يوسف فانه كان عندهم
ان يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا بذلك الضلال عن الدين وانما
ارادوا به المبالغه في حب يوسف والاماني الفاسده فيما كان يرجوا من عوده
بعد موته عن قتاده والحسن وقيل معناه انك في شقائك القديم عن مقاتل
وفي هذا دلاله على ان لفظ القديم قد يطلق في اللغه على المتقدم في الوجود
فلما ان جاء البشير وهو يهودا عن ابن عباس وفي روايه اخرى عنه انه مالك
ابن ذعر القاه على وجهه فارتد بصيرا اي القى البشير قميص يوسف على وجه
يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك عاد اليه بصره بعد العمى وقوته بعد
الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما ادري ما
اثيبك هون الله عليك سكرات الموت قال يعقوب لهم الم اقل لكم اني اعلم
من الله ما لا تعلمون اي كنت اعلم ان الله يصدق رويا يوسف ويكشف
الشدايد عن ابنايه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن كان الله اعلمه
بحيوته ولم يعلمه مكانه قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين فيما
فعلنا قال يعقوب سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم انما لم يستغفر لهم
في الحال لانه اخرهم الى سحر ليلة الجمعه عن ابن عباس وطاوس وروي ذلك عن
ابي عبد الله ع وقيل اخرهم الى وقت السحر لانه اقرب الى اجابه الدعا عن ابن مسعود
وابرهيم التيمي وابن جريج وروي ايضا عن ابي عبد الله ع وقيل انه كان

يستغفر لهم

يستغفر لهم كل ليله جمعه في نيف وعشرين سنه عن وهب وقيل انه كان
يقوم ويصفوا وراه خلفه عشرين سنه يدعوا ويومنون على دعايه واستغفاره
لهم حتى نزل قبول توبتهم وروي ان جبريل ع علم يعقوب هذا الدعا يا رجا
المومنين لا يخيب رجائي ويا غوث المومنين اغثني ويا عون المومنين
اعني ويا حبيب التوابين تب علي فاستجيب لهم فلما دخلوا على يوسف اوى اليه
ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد
اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض
انت وليي في الدنيا والاخره توفني مسلما والحقني بالصالحين ذلك
من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
اربع آيات الاعراب دخول من في قوله من الملك ومن تاويل الاحاديث
جاير ان يكون للتبعيض فيكون المراد اتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تاويل
الاحاديث وجاير ان يكون لتبيين هذا الجنس من ساير الاجناس فيكون المعنى
اتيتني الملك وعلمتني التاويل عن الزجاج قال وقوله تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء يدل على ان من ههنا للتبعيض الجنس ومثله قوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي الرجس الذي هو وثن فاطر السموات
منصوب على وجهين احدهما على الصفه لقوله رب لان المعنى يا رب فهو نداء
مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السموات صفه له وجاير ان ينتصب على
انه نداء ثان على تقدير يا فاطر السموات وذلك في موضع رفع بالابتدا ويكون
خبره من انباء الغيب ويكون نوحيه اليك خبرا ثانيا وان شيت جعلت نوحيه
هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من انباء الغيب صلته المعنى فلما

دخلوا على يوسف ههنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب واهله من ارضهم
واتوا مصر دخلوا على يوسف وحديث ابن محبوب باسناده عن ابي جعفر ع ان يعقوب
قال لولده تحملوا الى يوسف من يومكم هذا باهلكم اجمعين فسار واليه ويعقوب
معهم وخاله يوسف وابن يامين فحثوا السير فرحا وسرورا تسعه ايام الى مصر فدخلوا
على يوسف في دار الملك اعتنق اباه وقبله وبكا ورفع خالته الى سرير الملك ثم دخل
منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما راوه سجدوا جميعا اعظاما
له وشكرا لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنه يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب
حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل ان يوسف بعث مع البشير مايتي راحله مع
ما يحتاج اليه في السفر وسالهم ان ياتوه باهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب من مصر
تلقاه يوسف في الجند واهل مصر فقال يعقوب يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا
هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبي على يوم من مصر فلما دنا كل واحد من صاحبه بدا
يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وفي كتاب النبوه بالاسناد
عن محمد ابن ابي عمير عن هشام ابن سالم عن ابي عبد الله ع قال لما اقبل يعقوب الى مصر
خرج يوسف هم بان يترجل له ثم نظر الى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على
يعقوب نزل عليه جبرئيل فقال له يا يوسف ان الله جل جلاله يقول منعك ان تنزل
الى عبدي الصالح ما انت فيه من الملك ابسط يدك فبسطها فخرج من بين اصابعه نور
فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبي ابدا عقوبه بما صنعت بيعقوب
اذ لم تنزل اليه وقوله اوى اليه ابويه اي ضمهما اليه وانزلهما عنده وقال اكثر المفسرين
انه يعني بابويه اباه وخالته فسمى الخاله اما كما سمى العم ابا في قوله واله ابائك ابراهيم
واسمعيل واسحق وذلك ان امه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها
ابوه وقيل يريد اباه وامه وكانا حيين عن ابن اسحق والجبائي وقيل ان الله احيا امه
نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرويا عن الحسن وقال لهم قبل دخول مصر ادخلوا
دخلوا مصر ان شاء الله امنين والاستثنا يعود الى الامن وانما قال امنين لانهم كانوا

ضمهما

فيما خلا

فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها الا بجوارهم قال وهب انهم دخلوا
مصر وهم ثلثه وسبعون انسانا وخرجوا مع موسى وهم ستمائة الف وخمسمائة
وبضع وسبعون رجلا ورفع ابويه على العرش اي رفعهما على سرير ملكه اعظاما
لهما واراد بالعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقتاده وخروا له
سجدا اي انحطوا على وجوههم كان تحيه الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود
والانحنا والتكفير عن قتاده ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم
فاعطى الله هذه الامه السلام وهو تحيه اهل الجنه بدلا لهم قال اعشى بني ثعلبه
فلما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا وكان من سنه التعظيم يومئذ
ان يسجد للعظيم عن الزجاج وقيل كان سجودهم كهيه الركوع كما يفعل الاعاجم
عن الكلبي وقيل ان السجود كان لله تعالى شكرا له كما يفعله الصالحون عند
تجدد النعم والها في قوله له عايده الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه
النعم وتوجهوا في السجود اليه كما يقال صلى للقبله ويراد به استقبالها عن
ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله ع قال علي بن ابرهيم حدثني محمد بن
عيسى ابن عبيد بن يقطين عن يحيى بن اكثم سال موسى ابن محمد بن علي ابن موسى
مسايل فعرضها على ابي الحسن علي ابن محمد ع فكان احدها ان قال اخبرني
اسجد يعقوب وولده ليوسف وهم انبيا فاجاب ابو الحسن اما سجود يعقوب
وولده فانه لم يكن ليوسف وانما كان ذلك منهم طاعة لله وتحيه ليوسف
كما ان السجود من الملايكه لادم كان منهم طاعه لله وتحيه لادم فسجد يعقوب
وولده ويوسف معهم شكرا لله تعالى لاجتماع شملهم الم تر انه يقول في شكره
في ذلك الوقت رب قد اتيتني من الملك الايه الخبر بتمامه وقال يوسف يا
ابت هذا تاويل رويای من قبل اي هذا تفسير رویای وتصديق رویای
التي رايتها من قبل قد جعلها ربي حقا اي صدقا في اليقظه وقيل كان بين
الرويا وتاويلها ثمانون سنه عن الحسن وقيل سبعون عن عبد الله ابن شوذب

وقيل اربعون سنه عن سلمان الفارسي وعبد الله ابن شداد وقيل اثنتان
وعشرون سنه عن الكلبي وقيل ثماني عشر سنه عن ابن اسحق وولد ليوسف
من امراه العزيز افرائيم وميشا ورحمه امراه ايوب وكان بين يوسف وبين موسى
اربع مائه سنه وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن اي وقد احسن ربي الي حيث
اخرجني من السجن وانعم علي بر وجاء بكم من البدو اي من البادية فانهم كانوا يسكنون
البادية يرعون اغنامهم فيها فكانت مواشيهم قد هلكت في تلك السنين
بالقحط فاغناهم الله تعالى بمصيرهم الى يوسف وانما ابتدأ بالسجن في تعداد
نعم الله تعالى دون اخراجه من الجب كيلا يبتدئ بصنيع اخوته وقيل لان نعم
الله تعالى في اخراجه من السجن كانت اكثر ولان السجن طالت مدته وكثرت محنته
من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي من بعد ان افسد الشيطان
ما بيني وبين اخوتي وحرش بيني وبينهم وقال ابن عباس معناه دخل بيننا
بالحسد ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف في تدبير عباده يدبر امرهم على ما يشاء
ويسهل لهم العسير وبلطفه حصلت هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره وقال
الازهري اللطيف من اسماء الله سبحانه معناه الرفيق بعباده يقال فلان لطف
اذا رفق وقال غيره اللطيف الذي يوصل اليك في رفق وقيل اللطيف العالم
بدقائق الامور انه هو العليم بجميع الاشياء الحكيم في كل التدابير وفي كتاب النبوة
بالاسناد عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال يعقوب ليوسف يا بني حدثني
كيف صنع بك اخوتك قال يا ابه دعني فقال اقسمت عليك الا اخبرتني فقال له
اخذوني واقعدوني على راس الجب ثم قالوا انزع قميصك فقلت لهم اني اسألكم
بوجه يعقوب ان لا تنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتي فرفع فلان الكبير علي
وقال انزع فصاح يعقوب وسقط مغشيا عليه ثم افاق فقال له يا بني
كيف صنعوا فقال له يوسف اني اسألك باله ابراهيم واسمعيل واسحق الا
اعفيتني قال فتركه وروي ايضا ان يوسف قال ليعقوب يا ابه لا تسألني عن

صنيع

صنيع اخوتي بي واسأل عن صنيع الله بي قال ابو حمزة الثمالي بلغنا ان يعقوب
عاش مائه وستة واربعين سنه ودخل مصر على يوسف وهو ابن ثلثين ومائة
سنه وكان عند يوسف بمصر سبع عشر سنه وقال ابن اسحق اقام يعقوب
بمصر اربعا وعشرين سنه ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل
يعقوب الى بيت المقدس في تابوت ساج ووافق ذلك يوم مات عيصوا
فدفنا في قبر واحد فمن ثم تنقل اليهود موتاهم الى بيت المقدس وولد يعقوب
وعيص في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعة
واربعين سنه ثم رجع يوسف الى مصر بعد ان دفن اباه ببيت المقدس عن وصيه
منه اليه وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنه وكان اول رسول في بني اسرائيل
ثم مات واوصى ان يدفن عند قبور ابائه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى عظامه
فحملها حتى دفنه عند ابيه وقيل افضت النبوة بعده الى روبيل ثم الى يهودا وفي
كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر ع قال قلت له كم عاش
يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حولين قلت فمن كان الحجة لله في الارض
يعقوب ام يوسف قال كان يعقوب وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب
حمله يوسف في تابوت الى ارض الشام فدفن في بيت المقدس فكان يوسف
بعد يعقوب الحجة قلت فكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله
عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابي خالد
عن ابي عبد الله ع قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتي عشرة سنه ومكث
فيه ثماني عشرة سنه وبقي بعد خروجه ثمانين سنه فذلك مائة سنه وعشر سنين
قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله واقر له عينيه واتم له رؤياه ووسع
عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله
سبحانه نعيما لا يفنى وتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن ذلك
من قبله ولا بعده احد فقال رب قد اتيتني من الملك اي اعطيتني من تاويل

عيص

الاحاديث اى تعبير الرويا فاطر السموات والارض اى خالق السموات والارض
ومنشيهما لا على مثال سبق انت وليى اى ناصرى ومدبرى وحافظى فى
الدنيا والاخرة تتولى فيهما اصلاح معادى ومعاشى توفنى مسلما قال ابن
عباس ما تمنى نبى تعجيل الممات الا يوسف لما انتظمت اسبابه مملكته اشتاق
الى ربه وقيل معناه ثبتنى على الايمان الى وقت الممات وامتنى مسلما والحقنى
بالصالحين اى اهل الجنه من الانبيا والاوليا والصديقين وقيل انه لما جمع
الله سبحانه بينه وبين ابويه واخوته احب ان يجتمع مع ابايه فى الجنه فدعا بهذا
الدعاء والمعنى الحقنى بهم فى ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر
وهو نبى فدفن فى النيل فى صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح
الناس عليه كل يحب ان يدفن فى محلته لما كانوا يرجون من بركته فراوا ان
يدفنوه فى النيل فيمر الما عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكون كلهم شركا فى بركته
شرعا سوا فكان قبره فى النيل الى ان حمله موسى حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه
بعد تمام القصه الى خطاب النبى صلى الله عليه واله فقال ذلك الذى قصصت
عليك من قصه يوسف يا محمد من انباء الغيب اى من جملة اخبار الغيب نوحيه
اليك على السنه الملائكة لتخبر قومك ويكون دلاله على اثبات نبوتك
ومعجزه داله على صدقك وما كنت لديهم اى وما كنت يا محمد عندهم اولاد يعقوب
اذ اجمعوا امرهم اى اذ عزموا على القايه فى البير واجمع اراءهم عليه وهم يمكرون
اى يحتالون فى امر يوسف حتى القوه فى الجب عن الجبائى وقيل يمكرون بيوسف
عن ابن عباس والحسن وقتاده وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية
فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب
الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون خمس ايات القراة فى الشواذ

قراه عكرمه وعمرو بن فايد والارض يمرون عليها بالرفع وقراه السدى
والارض نصبا والقراه المشهوره بالجر الحجه من رفع او نصب وقف على السموات
ثم ابتدا والارض فالرفع على الابتدا والجمله بعدها خبره والعايد الى المبتدا
من عليها والضمير فى عنها عايد الى الايه واما النصب فبفعل مضمر تقديره ويطؤن
الارض ويويد ذلك قراه ابن مسعود يمشون عليها فلما اضمر الفعل الناصب
فسره بقوله يمرون عليها ومن جر الارض على قراه القراء فان شاء وقف
على الارض وان شاء وقف على اخر الايه اللغه الحرص طلب الشى باجتهاد فى اصابته
والعالم الجماعه من الحيوان التى من شانها ان تعلم ماخوذ من العلم وقيل
لاحواه الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذى ينتفع به وهو مخلوق لاجله
والغاشيه المجلله للشى بانبساطها عليه وغشيه يغشاه اذا غطاه والغشا
الغطا والبغته الفجاة وهو مجى الشى من غير توقع الاعراب وكاين فى معنى كم
واصلها اى دخلت عليها الكاف وبغته مصدر وضع موضع الحال بقوله
لقيته بغته وفجاة المعنى لما تقدم ذكر الايات والمعجزات التى لو تفكروا
فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا وابين عقيبها ان التقصير من جهتهم حيث
رضوا بالجهل وليس من جهته سبحانه لانه نصب الادله والبينات ولا من جهتك
لانك دعوتهم فقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اى وليس اكثر
الناس بمصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت فى دعايهم
اليه وارشادهم اليه لان حرص الداعى لا يغنى شيا اذا كان المدعو لا يجيب
وما تسالهم عليه من اجر اى ولا تسالهم على تبليغ الرساله وبيان الشريعه
اجرا فيصدهم ذلك عن القبول ويمنعهم من الايمان ويثقل عليهم ما يلزمهم
من الغرامه فاعذارهم منقطعه ان هو الا ذكر للعالمين اى ما القران الا موعظه
وعبرة وتذكير للخلق اجمعين نزلت بنذيرهم كلا خاصة وكاين من اية كم
من حجه ودلاله فى السموات والارض تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس

والقمر والنجوم في السما ومن الجبال والشجر والوان النبات واحوال المتقدمين
واثار الامم السالفه في الارض يمرون عليها ويبصرونها ويشاهدونها
وهم عنها معرضون اي عن التفكر فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون
فيها يعني الكفار وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اختلف في معناه على
اقوال احدها انهم مشركوا قريش كانوا يقرون بالله خالقا ومحييا ومميتا
ويعبدون الاصنام ويدعونها الهه مع انهم كانوا يقولون الله ربنا والهنا
يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي وثانيها انها نزلت في
مشركي العرب اذا سئلوا من خلق السموات والارض وينزل القطر قالوا الله
ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك عن الضحاك وثالثها انهم اهل الكتاب امنوا بالله واليوم
الاخر والتوريه والانجيل ثم اشركوا بانكار القران وانكار نبوة نبينا ص
عن الحسن وهذا القول مع ما تقدم رواه دارم ابن قبيصة عن علي ابن موسى الرضا
عن ابيه عن جده عن ابي عبد الله ع ورابعها انهم المنافقون يظهرون الايمان
ويشركون في السر عن البلخي وخامسها انهم المشبهة امنوا في الجملة واشركوا في
التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس وسادسها ان المراد بالاشراك شرك الطاعة
لا شرك العبادة اطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما اوجب الله
عليهم النار فاشركوا بالله شرك طاعة فيعبدون معه غيره عن ابي جعفر ع
وروي عن ابي عبد الله ع انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع
عيالي جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له قال لولا ان من الله
علي بفلان لهلكت فقال لا باس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحمران
عنهما ع انه شرك النعم وروى محمد بن الفضيل عن ابي الحسن الرضا ع قال انه
شرك لا يبلغ به الكفر امنوا ان ياتيهم غاشية من عذاب الله اي افامن هولاء
الكفار ان ياتيهم عذاب من الله سبحانه يغمهم ويحيط بهم ومنه غاشية السرج لانها

عليها

تغمه بالشر وانما اتى بلفظ التانيث على تقدير العقوبه اي عقوبة مجللة لجميعهم
عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستيصال عن مجاهد وابي مسلم وقيل هي الصواعق
والقوارع عن الضحاك او ياتيهم الساعة يعني القيامة بغتة اي فجاة على غفلة
منهم وهم لا يشعرون بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في سوقهم
قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا
من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار
الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون ايتان القراءة قرا حفص عن عاصم
الا رجالا نوحي اليهم بالنون حيث كان وقرا الباقون يوحي بالياء وفتح الحاء
افلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الانعام الحجة قال ابو علي الوجه في
النون قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وقل اوحي الي اللغة السبيل
الطريق وهو المكان المهيا للسلوك ودين الاسلام طريق يودي الى الجنه
والسبيل يذكر ويونث قال فلا تبعد فكل بني اناس سيصبح سالكا تلك السبيل
والبصيرة ما يبصر به الشيء اي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير واحد
السور لامتداده في جهة المعنى ثم امر سبحانه نبيه ص ان يبين للمشركين ما يدعوا
اليه فقال قل يا محمد لهم هذه سبيلي اي طريقي وسنتي ومنهاجي عن ابن زيد
وقيل معناه هذه الدعوة التي ادعوا اليها ديني وطريقي عن مقاتل والجبائي
ثم فسر ذلك بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اي ادعوا الى توحيد الله وعدله
ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد انا ومن اتبعني
اي ادعوكم انا ويدعوكم ايضا اليه من امن بي ويذكر بالقران والموعظة
وينهى عن معاصي الله قال ابن الانباري ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الى الله
ثم ابتدا وقال على بصيرة انا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس انه يعني
اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة وسبحان الله معناه تنزيها لله عما اشركوا

وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل انه اعتراض بين الكلامين
والواو فيه مثل قولك قال الله وهو منزه عن الشركاء سبحان الله وما انا من
المشركين اى الذين اتخذوا مع الله ندا وكفوا وولدا وفى هذه الاية دلالة
على فضل الدعا الى الله سبحانه والى توحيده وعدله ويعضد ذلك الحديث
عنه صم العلما امناء الرسل على عباده وفيها دلالة ايضا على انه ص كان يدعوا
الى الله فى كل اوقاته وان كان بين الشرايع فى اوقات ما وفيها دلالة ايضا على
ان الواجب فى الداعى ان يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك يوجب
فساد التقليد وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى بين
سبحانه انما ارسل الرسل من اهل الامصار لانهم ارجح عقلا وعلما من اهل
البوادى لبعد اهل البوادى عن العلم واهله عن قتاده وقال الحسن لم يبعث
الله نبيا قط من اهل البادية ولا من الجن ولا من النسا وذلك ان اهل البادية
يغلب عليهم القسوة والجفا واهل الامصار احد فطنا افلم يسيروا فى الارض
اى افلم يسير هولاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبين لرسلهم وكيف اهلكهم الله
بعذاب الاستيصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم ولدار الاخرة
خير للذين اتقوا تقول هذا صنيعنا باهل الايمان والطاعة فى دار الدنيا
اذا اهلكنا عدوهم ونجيناهم من شرهم ولدار الاخرة خير لهم من دار الدنيا
ونعيمها وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى ص انه قال لشبر من الاخرة خير
من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه فى غير هذا الموضع والدار
الاخرة فالاخرة نعت للدار لان لجميع الخلق دارين الدار التى خلقوا فيها وهى
الدنيا والدار الاخرة هى التى يعادون فيها خلقا جديدا فاذا قال دار الاخرة
فكانه قال دار الحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الاخرة ومثل
هذا فى الكلام الصلاة الاولى ثم قال الصلاة الاولى جعل الاولى نعتا

للصلاة

للصلاة ومن قال صلوة الاولى اراد الصلوة الفريضة الاولى والساعة الاولى
افلا تعقلون اى افلا تفهمون ما قيل لهم فيعلمون حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم
المجرمين لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
ايات القراءة قرا اهل الكوفة وابو جعفر كذبوا بالتخفيف وهى قراءة على وزين العابدين
ومحمد بن على وجعفر بن محمد وزيد بن على وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير
وعكرمة والضحاك والاعمش وغيرهم وقرا الباقون كذبوا بالتشديد وهى قراءة
عائشة والحسن وعطا والزهرى وقتاده وروى عن ابن عباس بخلاف ومجاهد
بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب
وسهل فنجى من نشا بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح اليا وقرا الباقون فننجى من نشا
بنونين وتخفيف الجيم وسكون اليا وفى الشواذ عن ابن محيص فنجا بفتح النون والجيم
والتخفيف وعن عيسى الثقفى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى
ورحمة برفع الاحرف الثلثة والقراء بنصبها الحجة قال ابو على الضمير فى ظنوا فى قول
من شدد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل اى تيقنوا وظنوا الظن الذى هو حسبان
ومعنى كذبوا تلقوا بالتكذيب كقولهم خبته وخطاته وتكذيبهم اياهم يكون
بان يلقوا بذلك كقولهم له وان نظنك لمن الكاذبين او عابدل عليه وان خالفه
فى اللفظ ومن حجة التثقيل قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله فكذبوا
رسلى وقوله ان كل الا كذب الرسل واما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم
كذبتك الحديث اى لم اصدقك وفى التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
وقياسه اذا اعتبر بالخلاف ان يتعدى الى مفعولين كما تعدى صدق فى قوله
لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقال الاعشى فصدقته وكذبته والمرء ينفعه
كذبه قال سيبويه كذب يكذب كذبا وقالوا كذابا فجاوا به على فعال وقد خففه

الاعشى وقال ذو الرمة وقد حلفت بالله مية ما الذى اقول لها الا الذى انا
كاذب والضمير الذى فى قوله وظنوا انهم قد كذبوا للرسل اليهم وظنوا المرسل
اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا نزل بهم
العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امهال الله اياهم والملاءة لهم
فان قلت كيف يجوز ان يحمل الضمير فى ظنوا على انه للمرسل اليهم الرسل والذين
قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل ان ذلك لا يمتنع لان ذكر الرسل
يدل على المرسل اليهم لمقاربة احد الاسمين الاخر ولما فى لفظ الرسل من الدلالة
على المرسل اليهم وقد قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا
اى بت اخال الرعد صوت دهم فاضمر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه
لمقاربة لفظ كل واحد منهما للاخر وفى التنزيل سرابيل تقيكم الحر واستغنى عن
ذكر البرد لدلالة الحر عليه وان شئت قلت ان ذكرهم قد جرى فى قوله افلم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم
من مكذبى رسل الله فان ذهب ذاهب الى ان المعنى ظن الرسل ان الذى وعد الله
سبحانه اممهم على لسانهم قد كذبوا فيه فقد اتى عظيما لا يجوز ان ينسب مثله الى الانبيا
ولا الى صالحى عباد الله تعالى من زعم ان ابن عباس ذهب الى ان الرسل قد ضعفوا
وظنوا انهم قد اخلفوا لان الله تعالى لا يخلف الميعاد وحدثنا احمد بن محمد قال
حدثنا الموصلى قال حدثنا اسمعيل ابن علية عن ابى المعلى عن سعيد بن جبير فى قوله
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال ان الرسل يئسوا من قومهم
ان يؤمنوا وان قومهم ظنوا ان الرسل قد كذبوا فيما قالوا لهم اتاهم نصر الله عند
ذلك واما قوله فنجى من نشا فان نجى حكاية حال لان القصة مما قد مضى وانما
حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك ليحكم بينهم حكاية للحال الكاينة
وكما ان قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال
الكاينة ومن ذلك قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فلولا حكاية الحال لم يعمل

اسم

اسم الفاعل لانه اذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك من شبه الفعل
لا يكون معهودا فكما ان اسم الفاعل اذا وصف وحقر لم يعمل عمل الفعل لزوال
شبه الفعل عنه بلا اختصاص الذى يحدث فيه التحقير والوصف كذلك اذا كان
ماضيا واما النون الثانية من نجى فهى مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر
حروف الفم لا تكون الا مخفاة قال ابو عثمان تبينها معها لحن وللنون مع الحروف
ثلث احوال الادغام والاخفا والبيان وانما يدغم اذا كانت مع مقاربها كما تدغم
ساير المقاربة فيما يقاربه والاخفا فيها مع حروف الفم التى تقاربها والبيان
فيها مع حروف الحلق فاما حذف النون الثانية من الخط فيشبه ان يكون
لكراهة اجتماع المثلين فيه الا ترى انهم كتبوا مثل العليا والدنيا ونحو ذلك
بالالف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حبلى وخشى وما لم يكن فيه
ياء من هذا النحو بالياء فكانهم لما كرهوا اجتماع المثلين فى الخط حذفوا النون
وقوى ذلك انه لا يجوز فيها الا الاخفا ولا يجوز فيها البيان فاشبه بذلك
الادغام لان الاخفاء لا يبين فيه الحرف المخفى كما ان الادغام لا يبين فيه الحرف
المدغم بيانه فى غير الادغام فلما وافق النون المدغم فى هذا الوجه استجير حذفه
من الخط ومن ذهب الى ان النون الثانية مدغمة فى الجيم فقد غلط لانها ليست
مثل الجيم ولا مقاربة له واذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما
اجتمع معه ومن قرا فنجى فانه اتى على لفظ الماضى لان القصة ماضية ويقوى
ذلك انه عطف عليه فعل مسند الى المفعول به وهو قوله ولا يرد باسنا عن
القوم المجرمين ولو كان نجى مسندا الى الفاعل كقول من خالفه لكان لا يرد
باسنا اشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرا تصديق الذى بين يديه وما
وما بعده بالرفع فتقديره لكن هو تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شى فحذف
المبتدا وبقى الخبر اللغة استياس فى معنى يئس كانه طلب اليأس لعلمه بامتناع الامر
والباس الشدة وهو شدة الامر على النفس ومنه البؤس الفقر ومنه لا باس عليك



والقصص الجزء يتلو بعضه بعضا من اخبار من تقدم والعبرة الدلالة التي تعبر
الى البغيه والالباب العقول واحدها لب وانما سمي بذلك لانه انفس شئ
في الانسان ولب كل شئ خياره المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال الرسل مع اممهم
تسليه للنبي صم فقال حتى اذا استيأس الرسل وههنا حذف يدل الكلام
عليه وتقديره انا اخرنا العقاب عن الامم السالفه المكذبة لرسلنا كما اخرنا
عن امتك يا محمد حتى اذا بلغوا الى حاله يأس الرسل عن ايمانهم وتحقق يأسهم
باخبار الله تعالى اياهم وظنوا انهم قد كذبوا اي تيقن الرسل ان قومهم كذبوهم
تكذيبا عاما حتى انه لا يصلح واحد منهم عن عائشه والحسن وقتاده وابي علي الجبائي
ومن خفف فمعناه ظن الامم ان الرسل كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم
واهلاك اعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد
والضحاك وابي مسلم وقيل يجوز ان يكون الضمير في ظنوا راجعا الى الرسل ايضا
ويكون معناه وعلم الرسل ان الذين وعدوهم الايمان من قومهم اخلفوهم
فكذبوا فيما اظهروه من الايمان وروي ان سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا في
دعوة فسئل سعيد بن جبير عن هذه الايه كيف نقراها فقال وظنوا انهم قد كذبوا
بالتخفيف يعني وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رايت كاليوم
قط لو رحلت في هذه الى اليمن لكان قليلا وروي ابن ابي مليكه عن ابن عباس
قال كانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا انهم اخلفوا ثم تلا قوله حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله الايه وهذا بعيد وقد بينا ما فيه جاءهم اي جاء
الرسل نصرنا حين يأسوا بارسال العذاب على الكفار فنجي من نشاء اي تخلص من نشاء
من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون ولا يرد باسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين
اي المشركين لقد كان في قصصهم اي في قصص يوسف واخوته عبره اي فكره
وبصيره من الجهل وموعظه وهو ما اصابه عم من ملك مصر والجمع بينه وبين
ابويه واخوته بعد القائه في الجب وبيعه وحبسه وقيل في قصصهم عبرة لان نبينا

صلى الله

صلى الله عليه واله لم يقرأ كتابا ولا سمع حديثا ولا خالط اهله ثم حدثهم
به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومباينته بحيث لم يرد عليه احد من ذلك شيئا
فهذا من اول الدلايل على صدقه وصحه نبوته لاولي الالباب اي لذوي العقول
ما كان حديثا يفترى اي ما كان ما اداه محمد وانزل عليه حديثا يختلق
كذبا ولكن تصديق الذي بين يديه اي ولكن كان تصديق الكتب التي
بين يديه لانه جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقتاده وتفصيل كل شئ اي بيان
كل شئ يحتاج اليه من الحلال والحرام شرايع الاسلام وهدى
اي دلاله ورحمه اي نعمه ينتفع بها المؤمنون علما
وعملا لقوم يؤمنون انما خصهم بذلك
لانهم المنتفعون به دون غيرهم
وبالله التوفيق وهو حسبنا
ونعم الوكيل

تمت

